بيان نويهض الحوت

صبرا وشاتيلا

أيلول ١٩٨٢



مؤسسة الدراسات الفلسطينية

تصميم الغلاف: **يوسف حمّو**

الصورتان: من مجموعة **مايا شون**

INSTITUTE FOR PALESTINE STUDIES
Anis Nsouli Street, Verdun
P.O.Box: 11-7164
Postal Code: 11072230
Beirut - Lebanon
Tel. 804959. Fax: 814193
Tel. & Fax: 868387
E-mail: ipsbrt@palestine-studies.org
http://www.palestine-studies.org

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة عربية مستقلة تأسست عام ١٩٦٣ غايتها البحث العلمي حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي ــ الصهيوني. وليس للمؤسسة أي ارتباط حكومي أو تنظيمي، وهي هيئة لا تتوخى الربح التجاري.

وتعبِّر دراسات المؤسسة عن آراء مؤلفيها، وهي لا تعكس بالضرورة رأي المؤسسة أو وجهة نظرها.

شارع أنيس النصولي ــ متفرع من شارع فردان

ص.ب: ٧١٦٤ - ١١

الرمز البريدي: ١١٠٧٢٢٣٠

بيروت ــ لبنان

هاتف: ٨٠٤٩٥٩، فاكس: ٨١٤١٩٣

هاتف/ فاكس: ٨٦٨٣٨٧

E-mail: ipsbrt@palestine-studies.org
http://www.palestine-studies.org

إهـداء ..

لِذِكْرى ضحايا

صبْرا وشاتيلا

صَبْرا وَشاتيلا

أيلول ١٩٨٢

Ṣabrā wa-Shātīlā, aylūl 1982
Bayān Nuwayhiḍ al-Ḥūt

Sabra and Shatila, September 1982
Bayan Nuwayhed al-Hout

ISBN 9953-9013-7-6

الطبعة الأولى ــ بيروت
نيسان/ أبريل ٢٠٠٣

صبرا وشاتيلا

أيلول ١٩٨٢

بيان نويهض الحوت

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

المحتويات

جداول:

كلمة شكر

لو شئت أن أشكر كل من أشعر بضرورة التوجه بالشكر إليها، أو إليه، فى هذه الكلمة، لكان عليّ أن أشكر المئات.

هؤلاء الذين تحدثت معهم من ذوي الضحايا والشهود فى مقابلات مطولة، هؤلاء الذين قدموا كل ما لديهم من معلومات إلى أعضاء فريق الدراسة الميدانية، هم الذين يجدر بي أن أتوجه بالشكر إليهم أولاً وآخراً. وفي طليعة هؤلاء أشكر من كانوا لي عوناً في تسجيل بعض الشهادات، وملء الاستمارات؛ كل هؤلاء ما كان ممكناً حقاً أن يصدر هذا الكتاب لولاهم.

وهؤلاء الصديقات، هؤلاء اللواتي فتحن لي بيوتهن لإجراء مقابلات مع ذوي الضحايا، وهؤلاء اللواتي قمن بتخبئة الأشرطة والأوراق والوثائق لديهن، كان أكبر عون قدمنه لي أنني شعرت حقاً بأنني لست وحدي.

وهؤلاء الصديقات اللواتي أخذت كل منهن ترسل إليّ من الخارج، من واشنطن ولندن وبون وروما، منذ شتاء ١٩٨٢ ــ ١٩٨٣، كل ما أمكنها أن ترسله إليّ من مقتطفات صحافية، ومن كتب، ومن أشرطة فيديو، مع صديقة أُخرى أو صديق عائد، أو مع صحافي أجنبي قادم إلى لبنان، فلهؤلاء جميعاً كل الشكر. ولو كانت الأوضاع الأمنية في تلك الأيام لتسمح بدخول مثل هذه المواد، لكنت وجدتها في مكتبات بيروت.

استمرت الصديقات والأصدقاء يسألونني سنة بعد سنة عما جرى في مشروع الكتابة عن مجزرة صبرا وشاتيلا؛ تلك الأسئلة كانت تسعدني، وما ضايقتني مرة كما تراءى للبعض حين كان يقدم الاعتذار قبل طرح السؤال.

وها إني أكتب كلمة الشكر هذه في شتاء سنة ٢٠٠٣.

ولو طرحتُ على نفسي السؤال: من كان معي طوال تلك الأعوام العشرين، مشجعاً دوماً، ومعيناً لي فى كل المحطات الصعبة؟ من هم هؤلاء الذين كنت أتوقف لأسألهم؟ ومن هم هؤلاء الذين كانوا يوقفونني ليسألوني؟ لأجبت:

بين هؤلاء، أبدأ بمن كان معى فى المشروع منذ البدايات.

رفيق العمر شفيق الحوت، ومنذ تزوجنا في مطلع الستينات، كان دوماً صديقاً ومشجعاً لي على المضي في الكتابة. شجعني حتى أكملت دراستي الجامعية، وشجعني

على كل دراسة قمت بها. لكنه في مشروع مجزرة صبرا وشاتيلا لم يكن بالنسبة إليّ مشجعاً فقط، بل كان أيضاً يحمل معي العبء كاملاً، بدءاً بترتيب أوراق الاستمارات وترقيمها وتوضيبها في منتصف ليالي ربيع سنة ١٩٨٤، وانتهاء بقراءة كل فصل حالما كنت أنتهي منه (وقد كانت مرحلة الكتابة ما بين انتهاء قرن وولادة قرن). وكم كان لآرائه وملاحظاته من أهمية، وكم كنت أحسب لها الحساب؛ فهو خير من خبر العلاقات الفلسطينية ـ اللبنانية منذ أن اختير مديراً لمكتب منظمة التحرير سنة ١٩٦٤؛ وهو ناقد صارم ومن القليلين الذين جمعوا في فكرهم وحياتهم تلك الثلاثية الصعبة: النضال والسياسة والقلم.

كان ممكناً لي أكثر من مرة أن أتساءل: هل يُعقل أن أستمر؟ أمّا هو، فما كان يرضى بطرح التساؤل أصلاً. أصدقاؤه على حق حين يصفونه بالجرأة النادرة؛ وأضيف: إن جرأته ليست مجرد صفة، وإنما نهج حياة.

أمّا الأصدقاء والباحثون الذين لم يكتفوا بإمدادي بالعون المعنوي، بل أمدوني أيضاً بالأفكار والمقترحات، فهؤلاء أذكر بعضهم، وفق إطلالتهم على المشروع، لا وفقاً لتاريخ معرفتي بهم.

الدكتور إدوارد سعيد، صديق حميم، كان متابعاً لعملي من دون أن يطرح عليّ مرة واحدة ذلك السؤال التقليدي: "أين وصلت بالمشروع؟" كانت متابعته متميزة بطريقة لا يستطيع سواه أن يقوم بها.

في أكثر من زيارة قمت بها للولايات المتحدة الأميركية من أجل المشاركة في حضور مؤتمر ما، كان جرس الهاتف يرن في مكان إقامتي، ويأتي صوت إدوارد من دون مقدمات ليشرح لي، مثلاً، أهمية لقائي رئيس قسم التاريخ الشفهي في جامعة كولومبيا، ثم يسأل: "هل تريدين لقاءه؟ ماذا؟... نعم؟ اتفقنا."

جامعة كولومبيا في نيويورك أول جامعة في العالم اهتمت بالتاريخ الشفهي، وأنشأت قسماً خاصاً به سنة ١٩٤٨. وكان مفيداً جداً لي أن ألتقي الدكتور غريلي، رئيس هذا القسم. وقد تم اللقاء في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٥. ولا أنسى حديثه وملاحظاته، ولا تأثره الشديد وهو يستمع إلى بعض الحكايات. ولا أنسى كذلك نائبه الذي أبدى التأثر الشديد نفسه. قلت لصديقتي غريس سعيد، التي حضرت معي اللقاء، ونحن عند الباب الخارجي: "أهم ما في هذا اللقاء بالنسبة إليّ وإلى أمثالي الذين يعيشون في بيروت، أنه يذكرنا بأن الإنسان هو الإنسان. ليتني أستطيع أن أنقل إلى بعض الأمهات المعذبات كيف استمع كلاهما إلى حكاياتهن."

وفي زيارة ثانية، وصلني صوت إدوارد مفعماً بالحيوية والرأي الجازم: "هذه المرة

الـزيارة خارج نيويورك. هل سمعت بإنشاء مركز (الأرشيف الصهيوني) في جامعة ييل؟ أعـرف أنك لم تسمعي به بعد. هذا أرشيف حديث جداً. أتذهبين إلى ييل؟... سأطلب لك الإذن في الزيارة. زيارة كهذه بحاجة إلى إذن."

وذهبـت إلـى جامعة ييل. أمضيت في غرفة "الأرشيف الصهيوني" الحديث النشأة خمـس ساعات. شاهدت أشرطة فيديو. استمعت إلى عذاب امرأة كانت في أوشفيتز وهي لا تـزال فـتاة صغيرة، لكنها تذكر كل ما جرى لعائلتها. واستمعت إلى غيرها. وتعلمت الكثير خلال تلك الساعات المحدودة.

الدكـتور وليد الخالدي، اجتمعت به في أكثر من لقاء أكاديمي حول مشاريع وثائقية فـي مؤسسة الدراسات الفلسطينية، في السبعينات. أمّا حين التقيته في شتاء سنة ١٩٨٩، فـي مكتـبه في بوسطن، فأذكر أنني قلت له: "لا أدري حقيقةً لِمَ جئت أتحدث إليك. ليس لـديّ سـبب واضـح، وليس لـديّ مطلب. لكن أعتقـد أنه يجب ألاّ يصدر كتاب عن مجزرة صبرا وشاتيلا من دون أن يكون وليد الخالدي مطلعاً عليه."

حتى ذلك اللقاء، لم تكن تجمعني صداقة مع الدكتور الخالدي. لكنني، منذ ذلك اللقاء حتى الساعة، مررت بتجربة جديدة من صداقة الفكر، أروع الصداقات.

مـا مـن مـرة جاء فيها وليد الخالدي إلى بيروت إلاّ والتقينا للحديث عن "صبرا وشـاتيلا". كـان يقرأ بعض الصفحات، يعلق على موضوع ما، أطرح عليه أسئلةً طالما طرحـتها علـى نفسي وعلى اخرين، لكنه وحده من كان يجيب بثقة بعد دقائق قليلة من التفكـير الهـادئ؛ وحده من كان يفكر وهو يتكلم؛ وحده من يستمر في حالة تفكير عميق حتى بعد أن ينتهي من حديثه. هو دائماً يبحث عن الأفضل. وفي صفحات هذا الكتاب أثر بالغ لمناقشاتنا.

الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي أعرفها منذ طفولتي. كانت من أوائل من أدهشنا ونحـن صغيرات، في مدينة القدس، حين عادت من الجامعة الأميركية في بيروت تحمل شهادة جامعية في الأدب العربي، وكان ذلك قبل سنة ١٩٤٨. ومرت فترة خمسين عاماً بين أيام القدس والطفولة وبين حديثي الأول معها عن كتاب صبرا وشاتيلا، وقد كانت في زيارة لبيروت، سنة ١٩٩٦، للإشراف على أحد مشاريعها الثقافية.

ربمـا بسـبب الدوافع الإنسانية التي تجعل سلمى الجيوسي وهي تتحدث عن صبرا وشاتيلا كأنها تتحدث عن مأساة خاصة بها، مرت بها وحدها؛ وربما بسبب فلسطين التي أعرف جيداً حبها الكبير لها؛ وربما بسبب الروح الأكاديمية العالية التي تتمتع بها؛ وربما بسـبب كل هذه الأمور مجتمعة، لا أدري تماماً، لكنني أعرف أنني لو سئلت أي الآخرين كـان الأكثر اهتماماً بهذا الكتاب، وبالعموميات كما بالتفصيلات، ومن كان أول من يبادر

إلى سؤالي عنه سؤالاً جاداً من الأعماق، لا عابراً، لقلت: "سلمى".

الدكتور إقبال أحمد، الباكستاني المولد، والعالمي الفكر، من أصدقاء زوجي الحميمين الذين امتدت صداقتهم إلى روحي من الحديث الأول. وهو أول من عرّفني على مكتبات نيويورك سنة ١٩٧٩ للبحث عن مراجع في العلوم السياسية.

إقبال أحمد، كان لا يجد غضاضة فى ارتداء قميص بسيط جداً، وهو يتباهى بأنه من صنع باكستان. لكنك ما إن تسمعه وهو واقف على منبر، مرتدياً ذلك القميص، حتى تشعر أنك تستمع إلى أمير مفكر حكيم ـ والإمارة هنا بنبل الأحاسيس لا بالنسب. وهو، على الرغم من الروح الشعبية والعفوية التى يتمتع بها، ما إن يتحدث حتى يأسر المستمع إليه بأناقة كلماته الهادئة.

كان يعلم بالمشروع منذ زمن. كان ينتظرني أن أحدثه عنه. وقد تحدثنا في لقاء خاص خلال زيارته الأخيرة لبيروت، سنة ١٩٩٧. طرح عليّ أسئلة أكثر مما قدم لي أجوبة. ذلك هو إقبال أحمد. هكذا تمكن من إيصال الرسالة إليّ، بأنني وحدي أفعل ما أريد، وأكتب ما أشاء. ومنذ لقائى ذاك معه ما عدت أسأل.

توفي إقبال أحمد في السنة التالية، ١٩٩٨، رحمه الله.

الدكتور خير الدين حسيب، المدير العام لمركز دراسات الوحدة العربية، ابتدأت أعرفه عن كثبٍ في أواخر السبعينات، حين عملت في المركز مسؤولة عن قسم الوثائق، لعام كامل، قبل التحاقي بالجامعة اللبنانية للتدريس. ولعل من أبرز صفاته، التي سرعان ما اكتشفتها، الجمع بين صفتين قلما تجتمعان معاً، وهما الدقة المتناهية إلى جانب السرعة في العمل، إن لم نقل السرعة الفائقة. أمّا وقد كان هو القدوة في العمل لجميع العاملين في المركز، فقد كانت النهايات تأتي دوماً في مواعيدها.

وتواصلت لقاءاتنا منذ تسعينات القرن العشرين عبر المؤتمرات القومية والإسلامية، ولم تشهد تلك المؤتمرات على دقة تنظيمه فحسب، بل على صلابة مبادئه أيضاً.

سألته مرة: "أنت الصديق الوحيد الذي يسألني عن تفصيلات صغيرة في هذا المشروع كما لم يسألني أحد، وكما لم تسألني أنت نفسك عن مشاريع أُخرى قمت بها. تسألني وكأنك مطلع سلفاً على كل شيء، أليس هذا مستغرباً؟" وجاءنى جوابه بسرعة كعهده دوماً: "لكن هذه مجزرة صبرا وشاتيلا...!!"

خير الدين حسيب، والقلة من الأصدقاء على نسيجه، كانوا بالنسبة إليّ ملجأ أمان مهما تراكمت الصعوبات، وإن كانوا ربما لا يعرفون ذلك.

الأستاذ محمود سويد زميل من أيام الدراسة الجامعية ورفيق درب طويل، هذا الدرب الذي كنا نعتقد ونحن طلاب أنه يبتدئ بين أروقة الجامعة، ولا ينتهى إلاّ بتحرير

فلسطين؛ وقد كان شعار الستينات "تحرير فلسطين". غير أن هذا الشعار لم يتحقق بعد.

محمود سويد، بصفته مديرا لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، التقيته مرات لا تحصى للحديث عن هذا الكتاب، ولم يكن النشر هو الهاجس إلاّ في المرحلة الأخيرة، وقد سبقتها مراحل متعددة، كان الهم الأكبر خلالها أن يُستكمل المشروع؛ أن تُنجز المخطوطة. وفي تلك المراحل كلها، لا أذكر أن مرحلة تمت من دون أن يكون للأستاذ محمود موقف ثابت ومشـــجع، ومعنـــي بالتفصيلات كما بالجوهر، إلى الحد الذي يجعلني أفهم تماماً لماذا لا يصـــدق الكثيرون في لبنان أنه لبناني، واثقين بأنه لا يمكن إلاّ أن يكون فلسطينياً؛ فحتى لهجـــته اللبنانية الأصيلة لا تشفع له على شاشات التلفزيون، ذلك بأن الانتماء إلى فلسطين عـــند هـــؤلاء قـــد تخطـــى اللهجـــات، وما عاد سوى حالة مرتبطة كل الارتباط بالعقل والمشاعر. إنه وأمثاله عرب قبل أن يكونوا لبنانيين أو فلسطينيين.

الأســـتاذ معن بشور، المناضل العريق، وصاحب الرأي الجسور والتحليل العقلاني لواقـــع هـــذه الأمة العربية، هو الحاضر في الندوات الفكرية والوطنية، وهو الذي يتلفت نحـــوه الآخـــرون منتظريـــن مـــا سيقول. أعرفه منذ زمن بعيد، ولقاءاتنا متواصلة في المؤتمـــرات القومية. أمّا الجيل الجديد فيعرفه منذ أوائل التسعينات؛ فهو الرئيس المؤسس للمنتدى القومي العربي، الذي أصبح أعضاؤه اليوم في أنحاء لبنان يعدّون بالمئات.

مـــا كان ممكناً لكتاب كهذا أن يصدر من دون أحاديث مطولة مع الأخ معن، وهذا هو اللقب الذي تعرفت عليه به منذ أكثر من أربعين عاماً، أي قبل أن تتحول كلمة "الأخ" في العمل الوطني إلى كلمة "الرفيق".

أخي معن بشور، شكراً على ما قلته لي، وشكراً على ما لم تقله أيضاً.

المحامـــي الأســـتاذ ميشـــيل إده، أول وزيـــر للثقافة في لبنان، والكاتب المبدع في "الصـــراع العربي ـــ الإسرائيلي" وفي "تاريخ الصهيونية". ابتدأت معرفتي به من متابعتي لكـــتاباته، ومـــن مشاهدتي لحواراته على شاشات التلفزيون، ثم تعمقت المعرفة بيننا من خـــلال مؤسسة القدس، التي أُنشئت سنة ٢٠٠١؛ فهو نائب رئيس مجلس أمناء المؤسسة، فضـــيلة الشـــيخ الدكـــتور يوسف القرضاوي. وهو يحضر بصفته تلك اجتماعات مجلس الإدارة، الـــذي أشارك في عضويته. ويصعب عليّ في هذه العجالة أن أعرّف عالماً هو الـــبحر العميق الهادر حين يتكلم، وصاحب العقيدة والرأي والشجاعة النادرة؛ هو من ذلك النوع من الرجال الذي يزداد إيمانه مع الأيام، ولا يتراجع مهما تشتد الصعوبات.

لا أعـــرف أحـــداً حدثني بتلك الحماسة الشديدة والفكر الثاقب والرأي الجازم، كما حدثني الأستاذ ميشيل إده.

توجـــيهاته التـــى كـــان لها الأثر الكبير حتى مع اقتراب هذا المشروع من النهايات

تجعلني أتساءل: يا إلهي، كيف لو جمعتنا الأيام منذ البدايات؟

أصـــدقاء آخـــرون بـــادرت إلـــى الاتصال بهم، وطلبت منهم قراءة فصول معينة، وبعضـــهم قرأ المخطوطة كلها. غير أنني ما كنت لأتصل بأي منهم، في سنة ما، أو في لحظـــة مـــا، إلاّ حين كنت أشعر بالحاجة إلى رأي آخر. والمرء دائماً بحاجة إلى الرأي الاخـــر، وخصوصـــاً عـــندما يكـــون صاحب هذا الرأي من القليلين الذين يمكن وصفهم بأصحاب العقول الراجحة، والثقافة العالية، والنظرة الشاملة إلى الحياة، والحس الإنساني العمـــيق. وأقولهـــا بكل صدق: إن لكل واحد من هؤلاء الكتّاب وأصحاب الخبرة والرأي الفضل الكبير، لا في التعديل الذي تقدم به، أو الفكرة التي اقترحها، فحسب، بل أيضاً في المشاركة الوجدانية التي لا أستطيع أن أتصور كيف كان ممكناً لي الاستمرار من دونها.

لا أجـــد مـــا أقوله لهؤلاء الأصدقاء والكتّاب الأعلام إلاّ شكراً، بل ألف شكر. وهم وفق مسيرتنا معاً من أجل هذا الكتاب: الكاتب الروائي الياس خوري، والدبلوماسي بيرند إيربل، والباحث الأستاذ محمد السماك، والمحامي الدكتور صلاح الدين الدباغ.

هـــناك غيرهم، كنت أنا من يقرأ لهم، بتواصل، وكانت قراءاتي تلك تضيء أمامي حلكة الليالي الموحشة. وأنا لا أذكر مرحلة في حياتي توقفت فيها عن قراءة الشعر، لكنني لا أعرف مرحلة التجأت فيها إلى الشعر، كما في تلك الأعوام التي عشت فيها نهاراً وليلاً مع صبرا وشاتيلا.

قصـــائد الشاعر الكبير محمود درويش التي قرأتها مرات ومرات، بت أشعر كأنني أقـــرؤها أول مـــرة. ومحمـــود درويش نفسه، وهو من أصبح فرداً من أسرتنا منذ جاء بـــيروت، وهو الذي لم أشاهد أواصر المحبة تنمو بتلك السرعة بين صديقين كما شاهدتها بيـــن زوجي وبينه، وهو من كنت أعتقد أنني أعرفه جيداً، كما أعرف أقرب الناس الذين نشأت معهم، أخذت أتعرف عليه من جديد، مع كل قراءة جديدة للقصيدة.

عبر أعوام طوال وأنا أستمع إلى أصوات المعذبين وهم يروون لي أقسى التجارب في حياتهم، سواء وهم يجلسون قبالتي، أو وأنا أستعيد تلك الأصوات بمفردي على شريط مســـجل، وعبر ليال لا نهاية لها وأنا أقرأ ما كُتب عن صبرا وشاتيلا، في مغرب الأرض ومشرقها؛ أنا ما سمعت وما قرأت أروع مما قاله محمود درويش.

ولا أغالي.

هناك أربعة أبيات من "مديح الظل العالي" تفتتح القسم الأول من هذا الكتاب، وأربعة غيرها تفتتح القسم الثاني منه، لا أكثر.

والقارئ حكَم.

أتوقـــف أخيراً أمام مجموعة من الفنانين المصورين بكل إجلال وتقدير، لأقول إن

بينهم من جمعتنا عرى الصداقة منذ زمن، ومنهم من كان التعارف بيننا على طريق صبرا وشاتيلا

هؤلاء كلهم بادروا سريعا إلى التعبير عن سعادتهم بالمساهمة في هذا الكتاب، فأرسل إليّ كل منهم مجموعة من الصور، بأسرع من التوقعات. وقد أكدوا جميعاً أنها مساهمة منهم. وكان من أسعد الأيام بالنسبة إليّ وإلى الإخوة الذين يعملون على تحرير الكتاب وإصداره، تلك التي تسلمنا في كل منها طرداً من بلد ما يحتوي على صور جديدة/قديمة؛ هكذا جاءتنا مجموعات من الصور الفوتوغرافية من الولايات المتحدة وألمانيا واليابان، وحتماً من لبنان.

غير أنني أود أن أتوقف هنا لأقول إن أول مجموعة صور كنت شاهدتها، في مطلع سنة ١٩٨٣، كانت للمصورة الأميركية البارعة مايا شون. فهي وزوجها الكاتب رالف شونمان كانا في بيروت أيام المجزرة، وكانا من أول الداخلين، لكنهما غادرا لبنان ثم عادا بعد أشهر قليلة. وهذا ما مكنني من مشاهدة تلك المجموعة النادرة من الصور (slides)، التي كانت مايا قد التقطتها، على حائط الصالون في بيتنا. وكانت مايا أول من اتصلت بهم من المصورين، وكانت أول المساهمين.

أمّا غونتر ألتنبورغ، القائم بالأعمال في السفارة الألمانية في بيروت، فقد جمعتنا صداقة عائلية. كنت أعرف جيداً اهتماماته الفكرية والإنسانية، وتحليله العميق لهموم العصر الذي نحياه. وأذكر أننا تحدثنا عن صبرا وشاتيلا، جريمة العصر، لكنه لم يخبرني، يومذاك، بأنه التقط صوراً لصبرا وشاتيلا، وبأنه كان مع صديق صحافي له من أول الداخلين. وقد برر ذلك فيما بعد بأنه ما أراد أن يضيف إلى آلامنا بمشاهدة الصور. أمّا حين أخبرته بعد عشرين عاماً، عبر الهاتف، بأن المخطوطة في مرحلتها الأخيرة وبأنني شرعت في إعداد ملحق الصور، فقد فاجأني بقوله أنه سيساهم في هذا الملحق؛ ووصلني منه بعد أيام من المكالمة مغلف كبير بالبريد، يحتوي على مجموعة مذهلة من الصور، ومنها ما لم أشاهد مثيلاً لها في أي معرض أو كتاب عن اجتياح ١٩٨٢. حقاً، كانت تلك هدية لا تقدر بثمن، لا لكونها لم تكن متوقعة، فحسب، بل أيضاً لكونها أكدت لي أن كل من يبحث عن صبرا وشاتيلا بعد اليوم، سيجد من الأدلة والتفصيلات والصور ما لم يكن أحد غيره قد توصل إليه بعد.

أمّا المصور الياباني ريوشي هيروكاوا فقد كانت المرة الأولى التي التقيته فيها في مدينة بون الألمانية، في ربيع سنة ١٩٨٥؛ وذلك في أثناء حضورنا ندوة "الجرائم الإسرائيلية المرتكبة ضد الشعبين اللبناني والفلسطيني"، التي دعت إليها اللجنة الدولية للتضامن مع الشعب العربي. وقد أقام هيروكاوا في تلك الندوة معرضاً لصوره، وحدثني

عن مشاهداته. غير أنني تعرفت عليه أكثر من خلال كتابه المصور الشهير الذي أصدره بالإنكليزية بعنوان: *Beirut 1982: From the Israeli Invasion to the Massacre of Palestinians at Sabra and Chatila Camps*. ولم يكن ليدور في خلد أيٍ كان أن الأعوام سوف تمر، وسوف يأتي هيروكاوا إلى بيروت في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢، مشاركاً الوفود الآتية من إيطاليا وإسبانيا وبلجيكا وفرنسا وألمانيا وكندا، بمناسبة الذكرى العشرين لصبرا وشاتيلا. وما أسرع ما لبى طلبي بإرسال مجموعة من الصور حال عودته إلى اليابان.

وكان مصور جريدة "السفير"، علي حسن سلمان، اخر من تعرفت عليهم شخصياً. أمّا السبب فهو أن صور المجزرة التي نشرتها الصحافة اللبنانية، يومذاك، لم تحمل في معظمها أسماء المصورين؛ الأمر الذي جعل البحث عن هؤلاء "المجهولين" أمراً غير يسير. كنت اطلعت على الكتاب الرائع حقاً لعلي سلمان: "بيروت: ذاكرة الأيام الحرجة"، الذي أصدره في أواسط التسعينات، والذي يحتوي على مشاهد لدمار بيروت عبر أعوام الحروب الدامية، بعين الفنان المبدع؛ غير أنني لم أكن أعلم أنه من الذين اخترقوا الحواجز كلها ودخلوا صبرا وشاتيلا. ولا أدري أيهما كان أكثر سعادة من الآخر: هو الذي أخرج الصور من دُرج قديم كي يراها الناس من جديد، أم أنا وقد اكتشفت هذا الفنان المتوقد حماسة وإنسانية؟

وتبقى مجموعة المصورين العاملين في وكالة الصحافة الفرنسية، هؤلاء الذين قدموا باسم الوكالة مجموعة ضخمة من أروع الصور وأكثرها شمولية للحدث المأساة، لكنهم طلبوا عدم نشر اسم أي منهم؛ فهم مجموعة، ويعملون باسم الوكالة، التي أعرف جيداً أنها كانت من أول من دخل المنطقة المحرمة. وكم أقدر عالياً الجهود التي قام بها هؤلاء الجنود المجهولون، وكم يسعدني أن أنقل إليهم التقدير الكبير من أهالي صبرا وشاتيلا، وخصوصاً من هؤلاء الذين باتت تربطني بهم صداقات وعلاقات متواصلة، والذين شاهدوا الصور حتى قبل نشرها.

ولو كان في استطاعتي أن أذكر كل الذين أمدوني بالصبر والشجاعة، لكان عليّ أن أملأ هذه الصفحات أسماء. لكنني، ومن دون توقف عند الأحداث والأسباب والمساهمات، أود أن أقول إن هناك مجموعة من الصديقات لا يمكن أن أنسى الأثر البالغ لوقفة كل منهن إلى جانبي في أحلك الأيام، وأقول لهنّ إنني سأكتفي بالأسماء من دون ألقاب أو تعريف؛ فهذه رسالة شكر خاصة إلى كل منهن مع كل المحبة: منى نصولي، منى سكرية، جاكلين إنغليسز، إلين هاغوبيان، سلوى الحوت، عادلة اللبان، فاطمة مخزوم، كلاوديا ألتنبورغ، غريس سعيد، إلين سيغل، جين مقدسي، رحاب مكحل.

أمّا من أشعر بأن شكري وتقديري يتوجهان إليه، بداية ونهاية، فهو الأستاذ والمؤرخ

الــذي علّمني أصول البحث العلمي وقادني بين متاهات البحث عن الحقيقة بلا خوف؛ إنه الدكــتور أنيس صايغ، الذي أشرف على أطروحتي للدكتوراه في الجامعة اللبنانية، والتي طالــت مــرحلة إعدادها نحو ستة أعوام في السبعينات. ولم تكن مصادفة أن الأطروحة تناولــت القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين في عهد الانتداب، وأن يكون الدكتور أنــيس صــايغ، المدير العام لمركز الأبحاث فى منظمة التحرير الفلسطينية، هو الأستاذ المشــرف؛ فهــو مــن القليلين الذين كرسوا حياتهم للبحث في القضية الفلسطينية، قراءة وتدريباً، وإشرافاً، وإنتاجاً. ولولا نظام الجامعة اللبنانية المتطور الذي يرحب بالتعاون مع أساتذة مشرفين من خارج إطار الجامعة نفسها، لما كان ممكناً لذلك أن يتم.

شكراً دكتور أنيس صايغ. كانت توجيهاتك التي لا أنساها منارات بعيدة قريبة، وأنا في خضم بحر هائج، وأيضاً لستة أعوام أُخرى من العمر.

* * *

بعــد انتهائي من كتابة هذه الصفحات أعدت قراءتها، وتذكرت أن كلمة الشكر عادة تشتمل على من تبرعوا بالمال للقيام بالمشروع، لكنني حقاً في حيرة، لسببين:

- الســبب الأول أنه لم يكن هناك، إلى حين الانتهاء من كتابة المخطوطة، من يتوقع منــي الشكر فعلاً. لكن إن يكن الشكر في هذا المجال واجباً، فهو أولاً لمؤسسة الأبحاث العربــية فــي الولايــات المتحدة التي كانت قدمت إليّ دفعة أولى فى شتاء سنة ١٩٨٢ لمشــروع في التاريخ الشفهي يتناول هجرة ١٩٤٨. ولمّا كان المبلغ نفد سنة ١٩٨٣ على مشروع صبرا وشاتيلا، ولمّا لم أجد وقتاً للبحث عن مصدر مالي آخر، رحت أقوم بتسديد كل ما كان ضرورياً من مدخولي، أو من مدخول زوجي، لا فارق. والشكر ثانياً لصديقين أميركيين أرسلا إليّ من نيويورك مبلغ ألف دولار (وسيرد أدناه كيف صُرف هذا المبلغ). أمّــا فــي المرحلة الثانية من المشروع، فالشكر لمؤسسة الدراسات الفلسطينية التي تبنت مسؤولية التكاليف المطلوبة.

السـبب الثانــي أن مشروعاً كهذا يُطرح فيه السؤال بطريقة مختلفة، وعلى النحو التالي:

من هم الذين تبرعوا بأوقاتهم وبأعصابهم، لا بأموالهم؟

كانت المشكلة تكمن في إقناع هؤلاء الذين قاموا بإجراء مقابلات وتسجيل شهادات، أو هؤلاء الذين قاموا بتوزيع الاستمارات في مشروع الدراسة الميدانية، وعددهم في هذه الدراســة نحو عشرين، بأن يقبلوا أخذ أجر معقول جداً، غير أنهم رفضوا بشدة أي مبلغ مــن المــال. ثــم صــادف عــيد الفطــر في ربيع سنة ١٩٨٤ يوم الانتهاء من توزيع الاســتمارات، فوجدتهــا حجة مقنعة بأن مبلغ خمسين دولاراً لكل منهم ليس سوى هدية

بمناسبة العيد، لا أكثر. وهكذا وزعت مبلغ الألف دولار، الذي كان وصلني من الصديقين الأميركيين.

والحق أقول إنني بذلت جهداً لإقناع فتاة فلسطينية قامت بتفريغ عشرات الأشرطة، وهددتها بأنني لن أقبل التعامل معها إن لم تأخذ أجراً؛ عندئذ فقط قَبِلَت. وهكذا يمكن القول إن المكافآت لم تدفع أصلاً إلاّ في حالات ثلاث هي: تفريغ الأشرطة؛ طباعتها؛ تحليل الدراسة الميدانية.

وأختتم بحادثة لا أنساها، وهي أنني لمّا كنت فى صدد طباعة الاستمارات للدراسة الميدانية، ذهبت إلى صديق صاحب دار للنشر، فرحب بالمهمة، ورفض قبول أي مبلغ أجراً لتصميم الاستمارة أو ثمناً للورق، لكنه أردف قائلاً أنه لم يعد يمتلك مطبعة، لذلك يترتب علينا أن نقوم بدفع فاتورة المطبعة فقط، ومكتبه يتولى كل الاتصالات.

قصدته في الأسبوع التالي لأتسلم الاستمارات، ولأدفع له، أقصد لأدفع للمطبعة بواسطته. فوجئت به يقول إن المطبعة لن تأخذ شيئاً، ذلك بأن العمال الذين قاموا بمهمة الطباعة بكوا تأثراً وهم يقرأون نص الاستمارة، وراحوا بعد انتهاء دوام العمل إلى مدير المطبعة يطلبون منه خصم أجرة ذلك اليوم من أتعابهم، لذكرى شهداء صبرا وشاتيلا.

مع اقتراب القرن العشرين من نهايته، وبعد أن كنت انتهيت من كتابة عدة فصول، وصلت إلى حائط مسدود؛ إذ جابهتني حالة كان لا بد فيها من البحث عن مصدر تمويل، وذلك حين اتخذت القرار بضرورة البدء بترجمة المخطوطة إلى الإنكليزية، بحيث يصبح من الممكن أن يتقارب انتهاء مرحلة الترجمة مع الكتابة، حرصاً على صدور الكتاب باللغتين في زمن متقارب. ولم أجد صعوبة في ذلك، بل على العكس وجدت ترحيباً وتشجيعاً من ثلاثة من عقلاء القوم ومن أصحاب النخوة، ساهموا بما كان يكفي للقيام بمشروع الترجمة كاملاً.

أعرف جيداً أن أياً من المساهمين الثلاثة الكرام لا يتوقع أي شكر، لكن هل يرضى أهل صبرا وشاتيلا؟ باسم هؤلاء أقول شكراً.

لكن.. يا لسذاجتي حين اعتقدت أنه لم يعد لي أية علاقة بمسألة التمويل؛ إذ فوجئت بتلك المسألة مجدداً حين وصلنا إلى الخطوة الأخيرة، خطوة الطباعة والنشر.

سابقاً، كانت هذه الخطوة من شأن دار النشر وحدها، فهى التى تتولى ذلك، سواء أكان تمويلها ذاتياً أم تبرعاً من آخرين. غير أن الدنيا تغيرت عما كانت عليه كثيراً، فما عادت حتى دور النشر الكبرى تقدم على أي مشروع نشر ما لم تؤمن مصدر التمويل، وهى تحاول البحث حتماً، لكن لا بد للكاتب من أن يحاول أيضاً.

ومرت أسابيع كان فيها الفشل في أكثر من محاولة.

حـــتى كـــان يـــومٌ زارتني فيه صديقة لي، لأكتشف بعد قليل سر الزيارة المفاجئة. وصـــديقتي هـــذه مـــن العاملات في الحقل الاجتماعي. بدأت حديثها كالعادة عن شؤون الساعة، ثم فوجئت بها تقول: "نحن في الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني قررنا أن نساهم في مشروع طباعة الكتاب، ولا تتصوري كم كانت السيدة وديعة خرطبيل متحمسة للفكرة. صـــحيح أن المبلغ لا يسد سوى جزء من التكاليف، لكن يسعدنا جميعاً أن تتقبلي ومؤسسة الدراسات الفلسطينية هذا المبلغ المتواضع."

مـــا هـــذا الخـــبر المفاجئ الذي لا يخطر على بال. مَن؟! الاتحاد النسائي العربي الفلســـطيني؟ المؤسســـة التـــي علينـــا جميعاً أن نقدم إليها العون والمال، كي تنفق على مشـــاريعها فـــي المخـــيمات والتجمعات الفلسطينية؟ قلت حالاً لصديقتي: "مع كل تقديري الكبـــير، لا يسعني قبول ذلك. هذا غير معقول. هل هذه نهاية الدنيا؟ صحيح أنني حدثتك عن المشكلات التي أجابهها، لكن حديثنا كان حديث الصديقتين معاً."

غـــير أنهـــا بـــادرت إلى القول: "نحن نريد المساهمة في إعلام الدنيا بما جرى في صبرا وشاتيلا. وهذا ليس واجباً علينا فقط. نحن نشعر بأن من حقنا أن نساهم."

من كانت منا على صواب؟

وديعـــة قـــدورة خرطبيل سيدة لبنانية شاء قَدَرها أن تتزوج بطبيب فلسطيني، وأن تعـــيش فـــي طولكـــرم، الـــبلدة الجمـــيلة، وأن تصبح من الرائدات في الحركة النسائية الفلسطينية، ابتدأت نشاطها الاجتماعي في فلسطين. أمّا بعد النكبة، فقد قامت سنة ١٩٥٦ مـــع مجموعـــة من السيدات بتأسيس جمعية للاتحاد النسائي العربي الفلسطيني في لبنان، وهـــي من أوائل من حضر المؤتمر الفلسطيني (البرلمان) الأول في القدس سنة ١٩٦٤. وقـــد ثابرَتْ على حضور هذه المؤتمرات باسم المرأة، إلى أن توقفت تلك المؤتمرات عن الانعقاد.

اليوم، وهي سيدة تقارب التسعين من عمرها، ما زالت تعمل هي ومجموعة السيدات مـــن حولها على رفع الضيم عن المجتمعات الفلسطينية المقهورة والصابرة، ما استطعن ذلـــك. وهكـــذا استطعن أيضاً إقناعي بأن المساهمة في نشر ما حدث في صبرا وشاتيلا ترفع عن كاهل المعذبات والمعذبين ولو جزءاً صغيراً من الظلم الفادح.

شكراً للسيدة خرطبيل، وشكراً للأخوات جميعاً.

لكن.. كيف حُلّت المشكلة المالية؟

الأســـتاذ رفعت النمر اسم فلسطيني معروف في الأوساط العربية في عالم الاقتصاد والمال، ومعروف في الأوساط الفلسطينية بتاريخ طويل ابتدأ يوم اعتقله البريطانيون وهو فتى في فلسطين في الثلاثينات، وتواصل عطاؤه، وخصوصاً في السنوات العشر الأخيرة،

مـــن خـــلال المؤتمرات المتلاحقة التى أخذت بيروت تشهدها، تحت لواء القومية العربية ولـــواء الإســلام. هـــو من الذين اجتمعت معهم في أكثر من مؤتمر، وكذلك فى مؤسسة القدس. إنه لا يعرف المجاملة بالكلمات مطلقاً. يقول رأيه الصريح دائماً، ويرفض الحلول المجتزأة.

ثـــم عرفـــته أكـــثر من خلال اجتماعاتنا في "اللجنة التأسيسية لمساندة الدعوى ضد شـــارون"؛ فهـــو رئيس هذه اللجنة، وهو تخطى الثمانين، لكنه أكثرنا نشاطاً. وقد استطاع الـــبرهان على الجمع في شخصه بين الصفتين اللتين يصعب اجتماعهما فى رجل واحد، وهما المثالية والواقعية: المثالية فى المبادئ، والواقعية في النضال اليومي.

وكان سؤال للأستاذ رفعت النمر، وكان جواب.

ولولا ذلك الجواب لكان هذا الكتاب تأخر في الصدور على الأقل.

أنـــا وعدتك يا أخي الكبير، يا "أبا رامي"، عدم الشكر؛ فمثل هذا العطاء واجب، كما رددت لـــي. غير أن هذا الشكر من أهالى ضحايا صبرا وشاتيلا، فهل ترفض أن تستمع إلى هؤلاء؟

* * *

أخيراً، هناك ثلاثة جنود مجهولين لا يسعني أن أمر مرور الكرام على عطائهم لهذا الكـــتاب، جهـــداً وعملاً مضنياً في الليالي الطوال؛ فكل من هؤلاء ساهم بشكل مباشر في تعديـــل كلمـــة، أو فقرة، أو اقتراح شطب جملة بحيث يصبح غيابها أقوى من حضورها. وكم من ملاحظة لأحدهم لقيت قبولاً لدى غيره، أو قبولاً مع تعديل. وكي لا أطيل، أقول إن هـــؤلاء الـــثلاثة الذيـــن لـــم يكن أحدهم يعرف الاخر، هم: محرر نص الكتاب باللغة العربية؛ المترجم إلى اللغة الإنكليزية؛ المحرر باللغة الإنكليزية. وكم يسعدني أن أقول إن تجربتنا المشتركة معاً، والتي تم الكثير منها عبر البريد الإلكتروني بحكم البعد الجغرافي، سادتها روح التعاون الرائعة. وما كان أسعدني بأن أكون المنسق بينهم وكأنني لست كاتبة النص، بل قارئة وحَكَم.

تلك كانت قراءتي الأولى للكتاب قبلَ أن يصدر.

وشكراً من الأعماق لكل منهم.

بيان نويهض الحوت

بيروت، كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣

مقدّمة

علـى امتداد ثلاث وأربعين ساعة متواصلة، ما بين غروب يوم خميس وظهر يوم سـبت، ما بين السادس عشر والثامن عشر من أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، كانت مجزرة صبرا وشاتيلا، إحدى أبشع المجازر همجية في القرن العشرين.

يقع حي صبرا ومخيم شاتيلا في منطقة سكنية شعبية فى مدينة بيروت، حيث توجد بالإضافة إليهما عدة أحياء صغيرة أُخرى متلاصقة. غير أن المنطقة كلها أضحت تعرف بـ "مخيمات صبرا وشاتيلا"، نظراً إلى وجود مخيم شاتيلا في قلبها. وقد كان قَـدَر هذه المنطقة أن تتحول إلي مسرح للمجزرة.

يعتـبر مخيم شاتيلا من أول المخيمات الفلسطينية في بيروت، وسكانه في معظمهم من ساحل فلسطين ومن الجليل الأعلى؛ أي أنهم من الذين اضطروا إلى اللجوء إلى لبنان بحـراً بواسطة بواخر حملتهم إلى أقرب المرافئ، أو براً عبر الحدود البرية المشتركة ما بيـن فلسطين ولبنان، فى أعقاب حرب ١٩٤٨؛ وهي الحرب التي يسميها العرب "حرب النكبة"، ويسميها الإسرائيليون "حرب الاستقلال".

كمـا أن مخيم شاتيلا يعتبر من أصغر المخيمات الفلسطينية مساحة، وبالتالي أصبح مـن غـير الممكـن بمرور الزمن أن يتسع لسكانه الذين يتكاثرون سنوياً. لكن كان من الممكن أن تمتد بيوت اللاجئين المتواضعة جداً إلى خارج حدود المخيم كما رسمتها الدولة اللبنانية فى منتصف القرن العشرين.

كـان مـن نـتائج امـتداد بيوت اللاجئين الفلسطينيين إلى خارج "حدود المخيم"، واخـتلاطهم باللبنانييـن مـن سكان "الجوار" واختلاط اللبنانيين بهم، وخصوصاً منذ عقد السـبعينات، أن تحولـت مـنطقة "مخـيمات صبرا وشاتيلا" إلى منطقة استقطاب لعمال وعائلات متعددة الجنسيات، تجمع بينها هوية الفقر التي توحد بين الأمم والشعوب. وهكذا، مـا عـادت جنسيات السكان مقصورة على الفلسطينية واللبنانية، بل أصبحت تضم أيضاً جنسـيات سـورية ومصـرية وأردنية وباكستانية وبنغلادشية وإيرانية وجزائرية.. ومن أصحاب هذه الجنسيات كلها كان ضحايا المجزرة.

فـي السـادس من حزيران/يونيو ١٩٨٢، أي قبل المجزرة بنحو ثلاثة أشهر، قام

الجيش الإسرائيلي باجتياح لبنان من جنوبه حتى وصل إلى مشارف العاصمة بيروت، وحاصرها براً وبحراً وجواً ثلاثة أشهر متتالية. أطلق العرب على هذا الاجتياح اسم "الحرب الإسرائيلية ــ العربية السادسة"، أو "الاجتياح الإسرائيلي الغادر للبنان"، في حين أطلق الإسرائيليون عليه اسم "عملية سلامة الجليل".

لم تتوقف الحرب إلاّ بعد اتفاقية شهيرة كان "قطبها" المبعوث الأميركي فيليب حبيب، المتحدر من أصل لبناني، حتى باتت الاتفاقية تعرف بين الناس باسمه؛ وكان موضوعها الرئيسي ترحيل المقاتلين الفلسطينيين عن مدينة بيروت نهائياً، على أن تشرف الولايات المتحدة نفسها وغيرها من الدول الغربية على مغادرتهم حفاظاً على سلامتهم، وقد تعهدت بحماية السكان المدنيين اللاجئين في المخيمات، بعد ذلك. وهذا ما عُرف عن الاتفاقية في حينه.

بعد توقيع تلك الاتفاقية، وبعد وثوق القيادة الفلسطينية بما جاء فيها، ابتدأ المقاتلون الفلسطينيون يغادرون على دفعات منذ الحادي والعشرين من آب/أغسطس، وهم يعتقدون أن أمن عائلاتهم بات أمانة في عنق الولايات المتحدة الأميركية!

غادر المقاتلون وهم يرتدون ثياب الميدان، حاملين أسلحتهم الفردية ومتاعهم الضروري على أكتافهم وبأيديهم. غادروا وهم يرفعون شارة النصر.

كان الالاف من سكان "بيروت الغربية"، من لبنانيين وفلسطينيين، يخرجون لوداعهم كل يوم؛ كانوا يتجمعون في الملعب البلدي حيث كان مركز التجمع الرئيسي، أو يقفون على الشرفات وفي الطرقات العامة، أو يصرون على الوداع حتى اللحظات الأخيرة في مرفأ بيروت، حيث كانت البواخر الراسية تنتظر المقاتلين الراحلين لحملهم إلى مناف جديدة.

وهكذا.. بينما كانت أفواج القوات الفلسطينية تغادر يومياً مدينة بيروت، وبينما كانت قوات فرنسية من ضمن القوات المتعددة الجنسيات المنتشرة في محيط مرفأ بيروت تراقب عمليات المغادرة، وبينما كان الجيش الإسرائيلي هو الآخر غير غافل عن المراقبة، وخصوصاً عن تعداد المغادرين، ومستمراً في الوقت نفسه في تثبيت مواقع أقدامه في أجزاء كبيرة من لبنان، انتخب في الثالث والعشرين من آب/أغسطس بشير الجميل، قائد القوات اللبنانية ورأس أحد الفريقين المتصارعين في سلسلة من الحروب الأهلية منذ منتصف السبعينات، رئيساً للجمهورية اللبنانية.

وعاشت بيروت في ذهول.

ولو كان للمدن شخصيات كالبشر لأمكن القول إن العاصمة اللبنانية عانت في تلك الأيام انفصاماً حاداً وازدواجاً في الشخصية، ندر أن عانت مثيلهما عاصمة غيرها على

مدى التاريخ؛ ذلك بأن نصف بيروت اعتبر يوم الانتخاب يوم انتصار كبير، بينما اعتبره نصفها الآخر يوم حداد.

كانت احتفالات الفرح الأكبر بوصول بشير الجميل، ابن رئيس حزب الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل، وابن الرابعة والثلاثين، إلى سدة الرئاسة تعم "بيروت الشرقية"، بينما كان الغضب يسود "بيروت الغربية".

في اليوم الأول من أيلول/سبتمبر كان المقاتلون الفلسطينيون والسوريون قد غادروا بيروت، بحراً وبراً. وسرعان ما أخذت القوات المتعددة الجنسيات، الأميركية والإيطالية والفرنسية، تستعد هي الأخرى للمغادرة، إذ اعتبرت أن مهمتها انتهت. وكان الفوج الفرنسي اخر المغادرين بينها، في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر.

خرج المقاتلون الفلسطينيون، واستمر الحصار الإسرائيلي، واستمرت بيروت بلا ماء وبلا كهرباء.

والمستغرب حقاً في تلك الأيام العصيبة أنه لم يرتفع صوت واحد من أي مصدر كان، ليسأل: من المسؤول عن أمن المخيمات الفلسطينية؟

سكان "بيروت الغربية" ــ أو بالأحرى أولئك منهم الذين لم يغادروها طوال الحصار إلاّ من شارع إلى شارع، بحثاً في الأيام والليالي العصيبة عن أمان نسبي من قصف إسرائيلي مركز تارة، وعشوائي جنوني تارة أُخرى، جواً وبحراً وبراً ــ وهؤلاء الذين عادوا إليها مسرعين بعد انتهاء الحرب، انهمكوا جميعاً في إصلاح ما تهدم من بيوتهم ومحلاتهم وأملاكهم؛ وقد ندر وجود شقة أو بيت لا يحتاج إلى تركيب زجاج، أو ترميم جدار متشقق. أمّا البيوت والشقق التي أصيبت في الحرب بقنابل، أو بصواريخ مباشرة، فكان معظمها بحاجة إلى ترميم أساسي، أو إعادة بناء.

أمّا أحاديث الناس حين يتلاقون وهم مسرعون على الطرقات، فكانت بعد تبادل السؤال عن الأحوال من دون انتظار الجواب، تتعلق كلها بالمستقبل القريب، وكانت التساؤلات: كيف ينتهي كابوس هذا الاحتلال؟ كيف تعود بيروت إلى بيروت؟

وأمّا هؤلاء الفلسطينيون من سكان المخيمات، والذين عاد الكثير منهم إليها، والذين ابتدأوا ورشة الإعمار والإصلاح كسواهم من أهل بيروت، فقد كان هاجسهم الأكبر هائماً بعيداً مع الأحباء الذين غادروا ولم تصل منهم رسائل بعد. تراهم كيف استقروا في منافيهم الجديدة؟

كان كثيرون من اللاجئين لا يعرفون بعد إلى أين غادر أحباؤهم حقاً؛ فالضرورات الأمنية كانت لها الأولوية، وقد حتمت أن تبقى الوجهات النهائية للكثيرين من المغادرين في طي الكتمان، ولو إلى حين. حتى المغادرون أنفسهم كان الكثيرون منهم لا يعرفون،

يوم غادروا، أين محطتهم النهائية. حياة اللاجئ الفلسطيني ليس أقسى ما فيها اللجوء بحد ذاته، بل الاستمرار فى عملية اللجوء من هجرة إلى هجرة، ومن منفى إلى منفى.

سكان "بيروت الشرقية"، الذين كانت أحياؤهم وبيوتهم بمنأى عن قنابل إسرائيل وصواريخها طوال أشهر الاجتياح، كانوا لا يزالون يقيمون الاحتفالات فرحاً بنجاح بشير الجميل في انتخابات الرئاسة. وكان الرئيس المنتخب قد ابتدأ يلقي خطباً جديدة يحاول من خلالها أن يوحي بأنه قادم رئيساً لكل لبنان لا زعيماً لميليشيا، ولا رأس حربة لفريق دون فريق، حتى كان يوم الثلاثاء الواقع فيه الرابع عشر من أيلول/سبتمبر. ففي الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر ذلك اليوم، دوى انفجار مروِّع في مقر القوات اللبنانية بحي الأشرفية في "بيروت الشرقية"، أدى إلى مقتل الرئيس المنتخب، ومقتل واحد وعشرين شخصاً اخرين، مع إصابة تسعة وخمسين بجروح مختلفة.

مع فجر اليوم التالي للاغتيال زحف الجيش الإسرائيلي في اتجاه بيروت من عدة محاور، وأول مهمة قام بها أنه أحكم الطوق حول "مخيمات صبرا وشاتيلا". كما تمكن خلال النهار من احتلال العاصمة.

سبق الاحتلال هذا مزاعم إسرائيلية متعددة فى شأن بقاء نحو ألفين وخمسمئة من المقاتلين الفلسطينيين فى بيروت؛ وهكذا، كانت الذريعة الأولى لاحتلال بيروت وحصار "مخيمات صبرا وشاتيلا" هي القضاء على المقاتلين الألفين والخمسمئة!!

أمّا المزاعم الإسرائيلية التي انطلقت مباشرة بعد عملية الاغتيال، والتى نشرتها وسائل الإعلام الإسرائيلية، فقد تمحورت حول توقع "حمام دم" في "بيروت الغربية" بين أنصار الرئيس المنتخب وعناصر الحركة الوطنية اللبنانية ــ وبلغة الحروب الأهلية في لبنان السبعينات، بين المسيحيين والمسلمين. وقد شكلت هذه المزاعم الذريعة الثانية لاحتلال الجيش الإسرائيلى "بيروت الغربية".

دخل الجيش الإسرائيلي تحت مظلة هاتين الذريعتين، لكن سرعان ما ثبت عدم صحتهما على أرض الواقع، إذ لم يحدث أي قتال بين المسلمين والمسيحيين اللبنانيين؛ كما أن الجيش الإسرائيلي لم يجد في صبرا وشاتيلا، ولا فى "بيروت الغربية" كلها، هؤلاء المقاتلين الألفين والخمسمئة الذين أشيع أنهم تخلفوا عن السفر، وبقوا في بيروت على الرغم من اتفاقية فيليب حبيب.

أمّا "حمام الدم" فلم يكن قط قتالاً ما بين مسلمين ومسيحيين لبنانيين، وإنما كانت هناك مجزرة دموية في منطقة صبرا وشاتيلا، خطط لها وزير الدفاع الإسرائيلي أريئيل شارون، ورئيس هيئة الأركان العامة الجنرال رفائيل (رفول) إيتان، وقام بتنفيذها ميليشيا القوات اللبنانية وغيرها من الميليشيات والعناصر المؤازرة لها.

بعـــد انـــتهاء المجـــزرة مباشرة دخلت عدسات الصحافة والتلفزة الأجنبية واللبنانية "المـــنطقة"، وهي التي كان دخولها محرماً طوال الأيام الثلاثة الدامية. وقد أثبتت الصور المتحركة والفوتوغرافية، وأثبت المراسلون والصحافيون الأوائل، في تقاريرهم ومقالاتهم، أن لا أدلة تشير إلى حدوث معركة، ولا أدلة تُذكر على وجود ألفين وخمسمئة مقاتل، ولا حـــتى علـــى وجـــود بضع مئات من المقاتلين؛ اتضح أنه لم يكن هناك غير مجموعات صغيرة من حملة "الكلاشينكوف"، الذين هم أقرب إلى الشبان الوطنيين الغاضبين منهم إلى المقاتليـــن المحترفيـــن. كـــل ما تبقى على أرض المجزرة كان ينبئ بذلك، وهو ما نقله الإعلامـــيون الأجانـــب عبر شاشات التلفزة والصفحات الأولى في صحفهم المنتشرة في عواصم الدنيا.

فـــي أقل من أربع وعشرين ساعة، أضحت مجزرة صبرا وشاتيلا الحدث الأهم في الأنـــباء العالمـــية، وراح المذيعـــون يطلبون عدم بقاء الأطفال والأولاد في أثناء عرض الصور.

مؤسســـات حقوق الإنسان العالمية، وأصحاب الضمائر في أكثر من مكان، كانوا لا يـــزالون فى غمرة البحث عما جرى وعما ارتكب من جرائم ضد الإنسانية في الاجتياح الإسرائيلى للبنان، وفى مجزرة صبرا وشاتيلا، على السواء، عندما صدر التقرير اللبنانى الرسمي "السري" قبل نهاية سنة ١٩٨٢؛ وهو التقرير المعروف بتقرير جرمانوس، نسبة إلـــى القاضـــي والمحقـــق العسكري أسعد جرمانوس. ثم صدر بعده، في ٧ شباط/فبراير ١٩٨٣، التقرير الإسرائيلي الرسمي "العلني"؛ وهو التقرير المعروف بتقرير كاهان، نسبة إلـــى القاضـــي يتسحاق كاهان الذي ترأس محكمة ثلاثية الأعضاء واستمع إلى الكثير من الشـــهود، وقـــد أُعلنـــت شهاداتهم، على النقيض من الشهادات التي استمع إليها المحققون اللبنانيون والتي بقيت شهادات "سرية"!!

اتضـــح، فـــيما بعـــد، أن القاسم المشترك بين التقريرين كان الاستناد إلى "المزاعم التبريرية" بوجود "المقاتلين الألفين والخمسمئة"، لكن اتضح أيضاً وجود اختلاف كبير، بل تناقض بين التقريرين في هوية الميليشيات المسلحة التى قامت بارتكاب المجزرة؛ فتقرير كاهـــان "العلنى" حدد "القوات اللبنانية"، بينما كان التقرير اللبناني "السري" الذي سبقه في الصدور، ينفى ذلك.

* * *

أكتـــب هذه المقدمة في صيف سنة ٢٠٠٢، أي بعد عشرين عاماً من مجزرة صبرا وشاتيلا.

أمّـــا وقـــد وصـــلتُ فـــى التقديم أعلاه إلى القاسم المشترك بين التقريرين اللبنانى

والإسـرائيلي، وإلـى التوافق والتناقض فيما بينهما، فإنه يسهل جدا عليّ التوقف لطرح الأهداف الرئيسية لهذا الكتاب، وأهمها:

١ ــ إثـبات أن مـا جرى فى صبرا وشاتيلا بين السادس عشر والثامن عشر من أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، كان مجزرة، ولم يكن معركة.

٢ ــ إثبات أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تخلف بوعودها، وأنه لم يكن هناك قط ألفـان وخمسـمئة مقـاتل فلسطينى، لا فى صبرا وشاتيلا، ولا فى "بيروت الغربية" كلها.

٣ ــ إثـبات عدم صحة أعداد الضحايا كما وردت في التقريرين، وتقديم البراهين على الأرقام التقديرية الأقرب إلى الحقيقة.

٤ ــ توثيق أسماء الضحايا ما أمكن، استناداً إلى مختلف المصادر الأولية.

٥ ــ تحديد هوية الميليشيات والعناصر التى قامت بارتكاب المجزرة.

غير أن هذه الأهداف، كما عرضناها أعلاه، هي الأهداف كما تطورت وتأكدت من خلال عملية التوثيق طوال عامين ونصف عام، ولم تكن كذلك حين البدء بمشروع التاريخ الشـفهي في تشرين الثاني/نوفمبر١٩٨٢؛ إذ اقتصرت أهداف المشروع يومها على القيام بتسـجيل الشـهادات، والمحافظـة علـيها في أوضاع أمنية لم تكن توحي حتى بإمكان الاستمرار فى مقابلة الشهود.

كذلك كان العمل على خطة البحث عملاً متطوراً باستمرار، إلى حد أنه بات يشمل خططاً ومشاريع جديدة لم تكن بدايةً تخطر على البال.

وما كان ذلك إلاّ بسبب الفوارق الرئيسية بين التأريخ للمجازر والتأريخ لغيرها من أحداث التاريخ ومراحله.

فلماذا يختلف التأريخ للمجازر عن التأريخ لأي حدث آخر؟

- لأن الباحث فى كل مرحلة يكتشف حقائق معينة، أو تواجهه عقبات محددة، الأمر الذي يجعله يبدأ من جديد مرحلة جديدة.
- لأن المجازر عمليات تتصف عادة بالسرية، إلاّ في النادر أو القليل منها.
- لأن المجـازر عـادة بـلا وثـائق أو مستندات، إلاّ حين يصنفها مرتكبوها فى خانة "الحـروب العظـيمة" لا فـى خانـة المجـازر، فينشرون كل ما يتعلق بها حتى مع المبالغات، وهم معتزون بذلك؛ وتلك حالات معدودة في التاريخ البعيد.
- لأن المجـازر لهـا بدايـات معلومـة، لكن ليس لها نهايات. قد يتراءى لمعاصريها وللباحثيـن عنها أن لها أيضاً نهايات معلومة، لكن الأيام تثبت أن المجازر لا نهايات لها؛ فالذين عاشوا أو بقوا أحياء من بعدها لا يعيشون كما يعيش الأحياء. حياتهم دوماً

تــتأثر، تتغــير، تتطور، لا كما يريدون وإنما كما تجتذبهم دوماً إلى الوراء نحو تلك التجربة المأساوية، بوعي أو بلا وعي، الذكريات الموجعة.

- لأن الباحــث عن المجازر يكتشف بصورة متواصلة ما لم يكن على علم به، حتى في الحكاية الواحدة للعائلة الواحدة؛ فالشهود باستمرار يتذكرون أكثر، ويقولون بعفوية في لقاءات لاحقة ما لم يقولوه في البدايات.
- وبإيجاز، لأن عملية التأريخ للمجازر هي التي تقود الباحث، لا العكس.

لكن، لِمَ لا أقول ما أريد أن أقوله.. ببساطة؟

أنا ــ بالتأكيد ــ لم أضع خطة جامعة لهذا الكتاب، منذ البداية، تشمل مناهج التاريخ الشفهي، والدراسة الميدانية، والبحث التاريخي، كما انتهى إليه.

عندما بدأت أسجل شهادات ذوي الضحايا قبل نهاية سنة ١٩٨٢، كان هدفى الأوحد توثــيق هذه الشهادات التي تتكلم عن نفسها، لا أكثر ولا أقل؛ حتى إن مجرد فكرة نشرها لم تكن واردة، وكأنها لا تعنيني. وأقولها بوضوح: إن همي الأكبر كان هماً إنسانياً، ولذلك كان عملى منصباً على مجرد تسجيل تلك الشهادات فى تلك الأشهر الأولى الصعبة.

لــم أكــن أدرك بدايـــةً أهمية جمع أسماء الضحايا؛ فقد كانت أخبار المجزرة تصم الآذان، وتدمــع العــيون، وتدمــي القلوب. كانت صورة واحدة تغنى عن كتابة عشرات الصفحات. كنت أعتقد أن عمق الحدث المأساوي هو جل ما أسعى إليه، إن استطعت.

أمّا الأرقام، فأي فارق حقيقي بين رقم وآخر؟ نحن لو قلنا إن عدد الضحايا كان ألفاً واحداً وما كان ثلاثة آلاف، أو إنه كان ثلاثمئة فقط وما كان ألف ضحية، فهل هذا يخفف أو ينتقص بشاعة ما ارتكب من عمليات التعذيب والهمجية وقتل الأبرياء العزل؟

أنـــا لم أكن أسعى، منذ البداية، لجمع كل ما نشر وينشر عن المقابلات والمؤتمرات والتحقيقات بشأن المجزرة.

أمّا في ربيع سنة ١٩٨٥، فقد اكتشفت أنني قمت بذلك كله.

وما قمت به كان، في معظم بداياته، ردات فعل للتحديات والعقبات التى كانت تواجهنى. تلك هى الحقيقة.

وهكــذا، ما كان عليّ في صيف سنة ١٩٨٥ سوى أن أبدأ كتابة النص؛ لكنها كانت عملية في منتهى الصعوبة بالنسبة إليّ يومذاك، إذ كنت فى غاية الإرهاق، فقررت تأجيل الكــتابة عامــاً أو عامين. ثم امتد التأجيل، لأسباب متعددة لا داعى للتوقف عندها، حتى اقتراب القرن العشرين من نهايته.

والآن أقول: إننى أعتبر المقدمة أعلاه مجرد مقدمة للتقديم أدناه.

* * *

يوم السبت الواقع فيه الثامن عشر من أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، وفي عز الظهيرة، كنت أترقب نشرة الأنباء من إذاعة مونتي كارلو، وكنت في تلك الساعة بمفردي في البيت. ولم يكن معي في المبنى كله، الذي يحتوي على عشرين شقة، غير ثلاث عائلات كانت عادت لتصلح ما تصدع من منازلها.

أمّا الشارع الصغير الذي يقع المبنى فيه، فهو شارع فرعي ما بين كورنيش المزرعة وشارع اليونسكو، ويدعى "جبل العرب"؛ وهو على الرغم من صغره، إذ لا يتعدى عرضه سبعة أمتار وطوله ثلاثمئة متر، فقد تجمعت فيه منازل الكثير من القادة الوطنيين، فضلاً عن مراكز عدد من الأحزاب السياسية اللبنانية، أهمها مقر قيادة الحركة الوطنية اللبنانية في منتصف الشارع. أمّا عند منعطف الشارع إلى جهة كورنيش المزرعة، فهناك مكتب منظمة التحرير الفلسطينية.

كان الجيش الإسرائيلي اتخذ من مبنى مكتب المنظمة "مركزاً" لقيادته منذ يوم الخميس، أي قبل يومين. وكانت دبابات الميركافا تروح وتجيء في شارعنا الصغير ببطء أحياناً، وبعصبية ونزق أحياناً أُخرى؛ وكان من الواضح أن الذين كانوا تمكنوا من العودة إلى الحي من السكان قد غادروه في معظمهم بسرعة من جديد، مع اقتراب هدير تلك الدبابات التي جاءت لتمنع "حمام الدم" المتوقع في "بيروت الغربية"، كما قيل!!

طال انتظاري لنشرة الأنباء. ورحت أقارن ما بين اليوم والأمس. ويا للفارق الهائل بينهما. أنا اليوم بمفردي، أمّا بالأمس، وفي عز الظهيرة أيضاً، فقد كان البيت يضج بأربعة من الجنود الإسرائيليين، بينهم ضابط. وساعة كهذه لا تنسى. قبل ذلك بقليل، جاءني جار لنا في الحي، وراح يقرع جرس الباب بإلحاح، وحالما فتحت له بادرني بالقول إن الإسرائيليين سألوه عن منزل شفيق الحوت. راح الجار يفرك يديه وهو يؤكد أنهم يحملون معهم خرائط لكل البيوت المطلوبة، ثم ابتعد وهو يقول إنهم لا بد قادمون، بينما رحت أؤكد له بدوري أن ما أخبرني به كان متوقعاً بالنسبة إليّ؛ فلا يعقل أن يحتل الإسرائيليون مكتب منظمة التحرير، ولا يفتشون منزل مديره.

وبينما رحت أقفل الباب، كان أول ما خطر ببالي حماية الأحباء الثلاثة الصغار الذين كانوا يلعبون في إحدى الغرف؛ هؤلاء كانوا أبناء شقيق زوجي، وكانت أمهم في المطبخ تهيىء لهم الطعام.

أخذت أنادي الصغار كي يصعدوا حالاً إلى بيتهم في الطبقة السادسة، إذ كان خوفي عليهم شديداً. غير أني فوجئت بصوت هادئ صارم يقول لي: "الاولاد باقيين هون. مستحيل أتركك لوحدك."

كانت أم الصغار تحدثني، وقد جاءت من المطبخ من دون أن أشعر. واضح أنها

سمعت ما قاله الجار. واضح أنها اتخذت قرارها بالبقاء معي. وكانت تلك اللحظة من أصعب اللحظات في عمري. ماذا لو ضربوا الصغار أمامنا؟ بالأمس فقط سمعنا، نحن الاثنتين معاً، أن ضابطاً إسرائيلياً هدد زوجة مسؤول فلسطيني بأخذ طفلتها رهينة إلى أن يرجع أبوها ويسلّم نفسه. أيعقل أن تكون نسيت؟

هناء الحوت، أم الصغار الثلاثة، صديقة حميمة لي، فضلاً عن القربى والجيرة فيما بيننا. أنا أعرف قوة شخصيتها وصلابتها، فكيف يمكنني إقناعها؟ وهل من وقت للإقناع؟ قلت لها بصوت عال وبسرعة إنني أرفض بقاءها، وأقدر جداً موقفها، وأرجوها أن تذهب حالاً مع الأولاد. وأسرعتُ لآتي بالصغار، لكنها أمسكت بي، وأصرت على موقفها بعناد.

حُسم الموقف بِطَرْق عنيف جداً على الباب، ولست أدري حقاً كيف استل هذا الطرق كل خوف من أعماقي، وكيف حلت السكينة على نفسي، فتوجهت بهدوء إلى الباب وفتحته، وإذ أمامي أربعة عساكر إسرائيليين مع أسلحة لا يغيب عن الناظر إليها، ولو لحظة، كميتها، ولا تنوعها، ولا النتائج التي قد تنجم عن استعمالها. وكان الترقب الشديد بادياً على وجوه العساكر المحتلين، باستثناء قائدهم الذي بادرني بصوت عال باللغة الإنكليزية: "هل شفيق الحوت بالبيت؟" وأجبته: "لا، إنه ليس موجوداً." وبعد ثوان من الصمت، دخل البيت من دون استئذان، ووراءه الثلاثة مع أسلحتهم.

استمرت علامات الترقب والحذر الشديد على وجوه العساكر الثلاثة. أمّا الرابع، قائدهم، فسرعان ما علّى صوته، مع نبرة متعمدة من الغطرسة، قائلاً: "هل من عاداتكم أن يهرب رجالكم وأن تبقى النساء في البيت؟" وأجبته بصوت واضح ونبرة هادئة، وباللغة التي حدثني بها: "أنت تعلم من الجرائد على الأقل أن زوجي لم يغادر بيروت طوال الصيف، ولا بد من أنك تعلم أيضاً أن موعد مناقشة القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة اقترب، وزوجي بحكم موقعه في منظمة التحرير يحضر كل هذه الدورات منذ منتصف السبعينات، مرتين كل سنة. وهو في طريقه إلى نيويورك."

لم أتنبه للإشارة الخفية التي أعطاها القائد لمن معه، لكنني انتبهت لما جرى بعدها. فقد اختفت لهجة الغطرسة المتعمدة من جانبه، وأصبح صوته عادياً، بينما أنزل من معه الأسلحة عن أكتافهم وأيديهم باستثناء المسدسات، وتركوها في حراسة أحدهم عند مدخل المنزل.

استمر التفتيش نصف ساعة؛ فتشوا الرفوف والملفات القديمة، وقرأوا عناوين الكتب، وتأملوا اللوحات والصور على الحيطان، ولم ينس أحدهم أن يفتش المخزن العلوي فوق الحمام، لكنه لم يجد أحداً مختبئاً هناك كما توقع!!

وبينما كانوا يعبرون باب المنزل مغادرين، تلفت قائدهم (ويدعى روبرتو براك، كما عرفت اسمه من صوره وأخباره في الصحف منذ أصبح مساعداً للقائد الإسرائيلي في

الجــنوب فيما بعد) إليّ وسألني بصوت عاد إليه بعض الغطرسة: "أتشهدين على أننا كنا متحضرين معك؟"

يــا لهذا السؤال الذي لم يخطر على بال. في تلك اللحظة فقط شعرت بارتباك. أية حضـــارة هي هذه الحضارة؟ ماذا أقول وأمام ناظري ذلك السلك السميك الذي لف بشكل دائـــري أكثر من عشر دوائر فارتفع عن الأرض ما يقارب ارتفاع الطاولة، ألا يكفى هذا وحـــده لنســف البيت فيما لو قرروا ذلك؟ لكنني في تلك اللحظة بالذات تذكرت الصغار الــثلاثة، تذكرت كيف طلبت أمهم من الجندي الواقف بالقرب من الباب وحارس الأسلحة أن يســمح لهم بالنزول ليلعبوا، ففتح لهم الطريق حالاً، لم يهدد أحداً منهم، ولم يؤذ أحداً. ومــرت ثــوان من الصمت، وجدت نفسي أقول له بعدها: "لقد كنتم معي أكثر تمدناً مما تصورت، لكنني لم أكن معكم في بيوت أُخرى لأعرف كيف تتصرفون."

وأغلقنا الباب وراءهم.

وها أنا بعد أربع وعشرين ساعة أجلس بمفردي أترقب نبأ عن نسف دبابة إسرائيلية، أو خبراً عن احتجاج دولة عظمى واحدة، على الأقل، على هذا الاحتلال غير المبرر.

كانت الدقيقة توازي ساعة من الزمن.

ثــم جــاء صوت المذيع على غير عادته، ولا أذكر كيف قدّم للنبأ. لا أذكر. لكننى أذكــر كــيف أخذ يسرد ما جرى في مجزرة صبرا وشاتيلا، وصوته يزداد تهدجاً حتى اختــنق بالــبكاء. ولــم أعد أنا أعرف أين أنا، وماذا يقول المذيع حقاً. أذكر كلمات عن الضــحايا "المشلوحة" على الطرقات وفى الزوايا، من شيوخ ونساء وأطفال. أذكر كلمات عــن التمثيل بالجثث؛ عن آثار الجرافات الضخمة في الرمال المجبولة بالدم؛ عن صراخ الناجين المصابين بالهلع؛ عن وقوف سيارات الصليب الأحمر على "أبواب" صبرا وشاتيلا تــرجو الدخول. أذكر أن المذيع كان يتكلم، والدنيا تسمعه. أذكر أنني كنت أصرخ وأبكي وحدي، وليس من يسمعنى.

طــوال فــترة الاجتياح الإسرائيلي، كثيراً ما كان الموت قريباً منا ومن أحبائنا، من أصدقائنا، من صغارنا، من صغار جيراننا. كثيراً ما بكينا على الذين عرفناهم، وكثيراً ما بكينا على الذين ما عرفناهم.

لكــن.. في ذلك السبت، لم يكن الموت هو الموت. كان أشد موتاً. كان موتاً للروح قبل الجسد؛ لروح الأمة قبل أطفالها ونسائها وشيوخها.

يا إلهي. كل تلك الدماء. كل ذاك التعذيب. كل ذلك الموت. وأين؟ على مسافة دقائق بالسيارة من بيتي؟ كيف لم نعرف، أنا وجيراني وكل سكان بيروت؟ كيف لم نشعر؟

لم أشعر في حياتي كلها بعجز وألم كما شعرت يوم السبت ذاك، وفي الأسابيع اللاحقة.

كل يوم كنت أقرأ وأسمع عن ضحايا يدفنون جماعات، وعن ضحايا ما زال البحث عنهم جارياً، وعن ضحايا ما تعرّف على أشلائهم حتى ذووهم.

هؤلاء الموتى هم الموتى الأحياء، في زمن الأحياء الموتى.

هؤلاء الموتى كانوا يتساقطون في عز الظهيرة من يوم الجمعة، بينما الضابط الإسرائيلي يسألني: "أتشهدين على أننا كنا متحضرين معك؟" ولم يعد الضابط المسؤول ليسألني السؤال نفسه بعد أن انتشرت أنباء المجزرة، وبعد أن ثبت أن الجيش الإسرائيلى الذي حاصر منطقة صبرا وشاتيلا، كان يعلم بما يجري في ساحاتها وأزقتها.

وراحت الأيام، بل راحت الساعات تمر على "بيروت الغربية" المثقلة أرضها بدمار لم يرفع بعد، وبأشلاء لم تدفن بعد، والمنتفضة زواريبها بشباب يطلقون النار على الجندي المحتل، ويعطبون دبابة ميركافا بين الحين والحين؛ ورحت أنا أغرق فى هاوية الشعور بالعجز والألم لعدم قدرتي حتى على الاقتراب من صبرا وشاتيلا. كانت السيطرة على الطرقات بيد جيش الاحتلال الإسرائيلي الذي جاء "بيروت الغربية" ليمنع "حمام الدم المتوقع"!!

ما إن خرج ذاك الجيش المحتل من "بيروت الغربية" في نهاية أيلول/سبتمبر، وما إن تمكنا من التواصل بعضنا مع بعض، أنا ومجموعة من الصديقات، حتى صرفنا كل جهودنا في محاولات تقديم المحبة والعون، ما أمكننا، لذوي الضحايا.

أنا لم أعمل يوماً في الحقل الاجتماعي، لكنني لم أجد أهمية لأي عمل آخر في تلك الأيام العصيبة. ولا يعني هذا أنني لم أعد إلى مهنتي في حقل التعليم في الجامعة اللبنانية بمجرد أن فتحت الجامعة أبوابها، لكننى أعني أنني بالإضافة إلى محاضراتي الجامعية، كان جل وقتى للعمل الاجتماعى.

وفي غمرة هذا العمل، نسيت تماماً أنني كنت في الشتاء المنصرم أنتظر قدوم الصيف للقيام بمشروع في التاريخ الشفهي يشتمل على مقابلات مع الفلسطينيين الذين التجأوا إلى لبنان سنة ١٩٤٨، لمعرفة ما جرى حقاً: أكان هجرة أم تهجيراً؟ غير أن الاجتياح الإسرائيلي حال دون ذلك، فقررت في ليلة شديدة الحرارة والرطوبة، في ليلة لم يهدأ فيها القصف الإسرائيلى، ونحن فى الملجأ ندعو الله أن يطلع الفجر ويهدأ القصف، قررت أنه حالما تنتهى الحرب سأستبدل المشروع باخر في التاريخ الشفهي عن "الاجتياح الإسرائيلى سنة ١٩٨٢"؛ ذلك بأنه ليس سهلاً على الفلسطينى اللاجئ أن يتحدث عن "حرب ١٩٤٨" التي جرت منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وهو خارج من حرب أشد منها ضراوة وقسوة.

أمّا مشروع "هجرة ١٩٤٨"، فكان تم الاتفاق عليه أصلاً بينى وبين "مؤسسة الأبحاث

العربية" في الولايات المتحدة، وكان أمينها العام الأستاذ إدوارد سعيد، وهو المفكر العالمي والكاتب العربي الأميركي المبدع في أكثر من ميدان وموضوع، لكنه من غير المعروف عنه، ربما، حبه واهتمامه الشديد بالتاريخ الشفهي. كنت واثقة بأن إدوارد سعيد سوف يتفهم الأوضاع ويبارك المشروع الجديد. لكن.. لم يخطر لي على بال أن الاجتياح نفسه سيتقادم عليه الزمن بسرعة مذهلة، وكأن الأيام سنوات، بل عقود، إزاء مجزرة صبرا وشاتيلا

غير أن هذا الحدث المأساوي الضخم شل تفكيري عن الكتابة، إلى حد أنني لم أفكر قط حتى في الكتابة عنه. كان همي الأكبر، أنا وتلك المجموعة من الصديقات، التواصل ما أمكننا مع ذوي الضحايا. فماذا يمكن أن نفعل من أجلهم؟ كان توفير مسكن من غرفة أو غرفتين لعائلة تهدم بيتها، أو تأمين العلاج لمصاب، هو العمل الأسمى. ولا أنكر أن القدرات كانت محدودة، وأن التنسيق كان في غاية الصعوبة حتى مع آخرين يعملون في الميدان نفسه، لكن المبدأ الأساسي كان أن نحاول ما استطعنا.

تحدثت النساء الصامدات والباكيات في لقاءاتنا معاً عن أكثر من قضية. وتحدث بعضهن عن مأساتهن الخاصة في صبرا وشاتيلا، أو مأساة جيران لهن أو أقرباء. وكنا نحن نستمع. وكانت مشاعر الألم تتضاعف. وسرعان ما أصبحنا نحن جزءاً من المأساة، نعرف تفصيلاتها، ونسأل عن مصير ضحاياها؛ نسأل هل وُجدت جثة "أبي ربيع"؟ ونسأل هل عاد "أسعد" بعد أن كانوا اختطفوه بالقرب من السفارة الكويتية صباح يوم الجمعة.

في الوقت نفسه كنت أتابع، بقدر ما أستطيع، ما يذيعه وما ينشره الإعلام الغربي عن المجزرة. وكنا، نحن المقيمين ببيروت نفسها، نقرأ ونعلم ونتعلم مما ينشر في نيويورك ولندن وباريس. وكنا نظن، فى تلك الأسابيع الأولى التي تلت الحدث، أن كل ما يمكن كتابته قد كتب. لكنني ما كدت أتجاوز مرحلة الصدمة، حتى تنبهت لثلاث مسائل فى غاية الأهمية:

المسألة الأولى تتعلق باكتشافى أن أحداث المجزرة ومآسيها أعمق وأبعد من كل ما كان ينشر علناً أو يقال همساً. وكان دليلى على ذلك أن كل من روت لنا تجربة مرت بها، كانت تروي أشياء جديدة.

المسألة الثانية تتعلق بالتحول المذهل في أحوال بيروت. فهذه المدينة قد تحولت من حال الصراخ والبكاء ونشر صور المجزرة على الصفحات الأولى إلى حال الصمت المطبق. ولم تعد سياسة السلطات اللبنانية خافية على أحد، وهي سياسة التعتيم الكلي على ما حدث.

المسألة الثالثة تتعلق بالعساكر الإسرائيليين الأربعة الذين فتشوا بيتى، فما زال سؤال

قائدهم لي: "أتشهدين على أننا كنا متحضرين معك؟" بحاجة إلى جواب.

إزاء هــذه المســائل الثلاث، اتخذت القرار بالشروع في مقابلات مطولة مع ذوي الضحايا والشهود، قبل فوات الأوان، ومهما تكن العقبات.

المرحلة الأولى:
مشروع التاريخ الشفهي

كانــت التغطــية الإخــبارية للحدث في إثر وقوعه مهمة جدا، لكنها كانت سريعة كــالحدث نفسه. فوسائل الإعلام اليومية من طبيعتها البحث عن الجديد، أمّا كتابة التاريخ فمــن أهدافهــا بعــث الماضي من أجل المستقبل؛ وما ذاكرة الشعوب إلاّ الينبوع الذي لا ينضــب، وليست الصرخة المتألمة ساعة الحدث إلاّ الفصل الأول، لكن الرواية لا تكتمل بالفصل الأول وحده. وهذا ما دعاني إلى القيام بمشروع التاريخ الشفهي.

باشــرت مشــروع الــتاريخ الشفهي في العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢، واكتفيــت في المقابلات الأولى بتدوين الأحاديث في ملاحظات، مع شرح أهمية المشروع للنســاء والشــباب الذيــن تحدثت معهم؛ ولمّا تأكدت بعد خمس مقابلات من تقبل الناس للمشروع، بل من ترحابهم به، ابتدأت تسجيل الشهادات على أشرطة بعدِ موافقة أصحابها، ومع التأكيد لكل الذين تحدثت معهم أن أسماء عائلاتهم لن تنشر، وأنني سأكتفي بالأحرف الأولى أو الاسم الأول، إلاّ في حال أرادوا هم نشر أسمائهم. لكن الوعد بعدم ذكر الأسماء الصــريحة لــم يمنع حدوث حالات سيطر فيها الحذر الشديد على المتحدثة أو المتحدث، فآثــرت أو آثــر عــدم التسجيل. كما أنه في حالات معدودة أُخرى حال بعض الظروف الموضــوعية دون التســجيل. وفي قائمة مصادر المقابلات، كما في الحواشي، إشارات واضــحة إلى طبيعة الحديث، إن يكن حديثاً مسجلاً، أو حديثاً مدوناً في ملاحظات كتبت خلال المقابلة.

وكما قلت سابقاً، إن هدفي الأوحد من مشروع التاريخ الشفهي كله في تلك المرحلة كــان توثــيق الشــهادات والمحافظة عليها، بأي شكل كان، خوفاً عليها من الضياع، من ناحية، وتفادياً لسلبيات مرور الزمن على الحدث، من ناحية أُخرى.

كــان حظي كبيراً بمساعدة عدد من شباب المنطقة الذين كنت أعرفهم جيداً؛ فهؤلاء ســهلوا لــي أمــر المقابلات بترتيب المواعيد واصطحابهم ذوي الضحايا. ثم راح ذوو الضــحايا أنفسهم، بعد المقابلات الأولى، يعرّفونني بأقرباء أو بجيران لهم. وقد تم معظم المقــابلات مبدئياً في بيتي، ثم قمت ببعضها في بيوت صديقات لي، كما في داخل منطقة صبرا وشاتيلا؛ وغني عن القول إنه لو كان في قدرتي أن أقوم بالمقابلات كلها في بيوت

المعذبيـــن الصـــامدين لما ترددت، لكن ذلك كان من المستحيلات لدواع أمنية؛ فالمنطقة المنكوبة كانت منطقة مراقبة باستمرار، وكان مجرد ذكر كلمة المجزرة، بعد انتهاء موسم الإعلام الأجنبي في الأيام الصعبة الأولى، قد بات من المحرمات.

اســـتمر "تحريم" ذكر المجزرة أعواماً طويلة لاحقة. ولم يكن من نتائج ذلك "التحريم" أنه فــرض عليّ تفادي إجراء المقابلات ما أمكن في مكان المجزرة فقط، بل أيضاً تفادي إجرائها بتواصل في أي مكان آخر في "بيروت الغربية"، تجنباً لأنظار المخبرين وتقاريرهم!!

ذكرت أعلاه أن المقابلات التى قمت بها قد تم معظمها في بيتي، لكنني لم أذكر أنه حتى القيام بإجرائها في بيتي ما كان له أن يتم لولا وضعي العائلي الخاص كزوجة ممثل مــنظمة الــتحرير الفلسطينية في لبنان، ولولا أن السلطات اللبنانية كانت أقدمت، بمجرد انحسار الاحتلال الإسرائيلى عن بيروت، على منع إعادة فتح مكتب المنظمة (وكان منعاً واقعــياً لا قانونياً)؛ لذلك أيضاً، كان من الطبيعي أن يأتي إلى بيت ممثل المنظمة كل من يجــد مكتب المنظمة مقفلاً؛ وبالتالي، كان من المنطقي أن يستوعب المخبرون ورؤساؤهم كــثرة زيارات "أهل المخيمات" لهذا البيت. لكنني، مع ذلك كله، ما استطعت استثمار هذا الوضــع "بلا حدود"، حرصاً على المشروع نفسه، وحرصاً على السرية التي وعدت بها المتحدثين المنكوبين الصادقين، والذين كان مجرد تقديمهم لشهاداتهم هو الجرأة بعينها في تلك المرحلة المتميزة بالمزيد من القهر للفلسطينى، بدلاً من تخفيف آلامه وأعبائه.

أمّا ما دعانى إلى ذكر المكان المحدد للمقابلة في المصادر، كما في الحواشي، وعدم الاكـــتفاء بذكر مدينة بيروت مكاناً، كما هو الشائع، فمن أجل الدلالة على طبيعة الأجواء الســـائدة في تلك المرحلة. أمّا بالنسبة إليّ، فذكرياتي عن كل مقابلة لا تنفصل عن مكان إجرائها، وكأن المكان جزء لا ينفصل عن المقابلة نفسها، ولا حتى عن الحدث المأساوي كلـــه؛ ففي بيوت ذوي الضحايا كان الحديث يدور همساً أحياناً وكأن للحيطان آذاناً، وكان دائمـــاً حديـــثاً مفعماً بالإشارات إلى الصور على الحيطان (والحق يقال إن أوامر المنع، العلنية منها والسرية، ما كانت طالت تعليق صور الشهداء على حيطان بيوتهم)؛ وأمّا في بيوت الصديقات، فكان هناك ترقب دائم لعقارب الساعة كي تنتهي المقابلة قبل موعد قدوم الأولاد من المدرسة، وهكذا..

وجاء يوم اقترحت فيه على عدد من فتيات وشباب المخيم، تميزوا باطلاعهم الوافر علـــى أوضاع المخيم وسكانه، وبرغبتهم في التعاون، أن يقوموا هم بتسجيل مقابلات مع شـــهود من أهل المخيم ومع ذوي الضحايا. وقد تمكن ثلاثة شبان وفتاة من إجراء واحدة وعشـــرين مقابلـــة، يتضـــح أثـــرها الكبير في سياق الشهادات؛ ولعل أبرز ما يميز هذه المقابلات، أنها تمت مع نساء ورجال كان يصعب عليهن وعليهم الخروج من المخيم ومن

جواره لأسباب متعددة.

استمرت المقابلات إجمالاً بشكل عفوي وتلقائي، ومن دون الحاجة إلى تخطيط مسبق أو انتقاء معين؛ فالناس الذين نبحث عنهم للحديث معهم هم من ذوي الضحايا، ومن الشهود والأطباء والممرضين والمسعفين. وكلهم يعيشون في مدينة واحدة، ومعظمهم في منطقة واحدة. والتجربة التي نسعى لمعرفة تفصيلاتها تجربة حديثة العهد جداً؛ وهي تجربة عامة تشمل سكان المنطقة جميعاً، حتى أنها تشمل الصغار كما الكبار.

كنت أتوقع أن تنتهي مرحلة التاريخ الشفهي خلال عام واحد، لكنها استمرت ضعف ذلك، وأكثر. وهنا أتوقف أمام العقبة الرئيسية الأولى.

جاءت هذه العقبة من مصدر كان لا يفترض فيه أن يكون عقبة بأي حال، وأعني به تقرير كاهان الذي صدر في شباط/ فبراير ١٩٨٣. وقد قرأته أول مرة مباشرة بعد صدوره مترجماً إلى العربية في جريدة "السفير" اليومية، فعصفت بي حالة من الغضب الشديد..

لماذا الغضب؟

وماذا فعلت بعد ذلك الغضب كله؟

هذا ما سأتعرض له في المرحلة الثانية أدناه، أي مرحلة "جمع الأسماء".

أمّا بالنسبة إلى تجربة المقابلات بشأن مجزرة صبرا وشاتيلا، فقد كانت بحد ذاتها تجربة فريدة بشكل لم يسبق أن عشت مثيلاً لها لدى قيامي بأي مشروع آخر في حقل التاريخ الشفهي. ولو سئلت عن أبرز ما تحمله الذاكرة من هذه التجربة لكان جوابي، بلا تردد، إنها الأجواء السرية غير الطبيعية التي كنا نحياها، بل غير المعقولة.

هل أحاول ذكر مثلين فقط لأجيال القرن الحادي والعشرين؟

المثل الأول يتعلق بعملية نقل الأشرطة على نسخة ثانية؛ فهذه العملية ليست شرطاً أساسياً من شروط التاريخ الشفهي، وهي في الأحوال العادية عملية يمكن أن تتم تحسباً لتلف ما قد يصيب شريطاً ما لسبب ما، لا أكثر ولا أقل. أمّا في مشروع كمشروع مجزرة صبرا وشاتيلا، والأوضاع الأمنية على ما كانت عليه من التردي، فالاحتفاظ بنسخة ثانية كان من الضروريات، وأمّا الاكتفاء بنسخة واحدة فقط فخطأ قد لا يغتفر..

لذلك، وتحسباً لأية "مداهمة"، أو لأية "عملية استيلاء" على الأشرطة بأية طريقة كانت، كان لا بد من عملية نسخ الأشرطة والاحتفاظ بالنسخ الثانية في أماكن أُخرى.

كنت حريصة بعد كل مقابلة على نسخ الشريط أو الأشرطة في اليوم نفسه، أو في الأيام التالية مباشرة. وكلما انتهيت من نسخ عشرة أشرطة كنت أضعها في علبة كرتون رقيقة وصغيرة وأغلفها بورق الهدايا الملون، ثم أودعها إحدى الصديقات. وقد راعيت توزيع النسخة الثانية من الأشرطة في أكثر من مكان. وكثيراً ما تنقلت الأشرطة من بيت

إلى بيت، بسبب سفر صاحبة البيت، مثلاً.

أمّا المثل الثاني فيتعلق بمهمة تفريغ الأشرطة طباعة؛ وهي مهمة من المتوقع أن تتم في الأحوال العادية بالتعاون مع طابعة تعمل في مكتبها. غير أن الأحوال لم تكن عادية قط، فاستبعدت فكرة تعاون كهذا.

توجهت في تفكيري إلى تكليف إحدى الطابعات القيام بالمهمة في بيتها كعمل إضافي، لكن ثلاثاً من اللواتي أعرفهن وأثق بهن رفضن هذه المهمة مع الاعتذار الشديد؛ ذلك بأن كلاً منهن كانت تخشى أفراد أسرتها. وإحداهن كانت تخشى حتى الجيران. ولمّا سألتها متعجبة: "ولماذا تخشين الجيران؟ هل تزوركم جارتكم فجأة؟ إذاً لِمَ لا تطبعين في غرفة مقفلة؟" جاءني جوابها: "المشكلة في صوت آلة الطباعة [لم يكن عهد الكومبيوتر في مطلع الثمانينات قد انتشر بعد في بيروت]، فجارتنا تسمعه حتى لو كانت في بيتها، ذلك بأنها تسكن في شقة ملاصقة لنا تماماً. وهي ذكية جداً وفضولية جداً، ولا بد من أن تسمع صوت الطباعة عن الشريط متقطعاً وليس متواصلاً كما هي الطباعة عن نص مكتوب، وهذا ما سيجعلها تسألني ماذا أطبع، وأنت تعلمين أن لا مؤتمرات هذه الأيام ولا محاضرات مسجلة. فهل أقول لها ما هي هذه الأشرطة؟ هذا مستحيل!!"

أخيراً، كان الحل الوحيد في تلك المرحلة الأولى أن تفرَّغ الأشرطة على الورق بخط اليد. وقامت بهذه المهمة فتاة "جريئة" كانت تنتظر أمها وأخاها كي يناما وتصبح بمنأى عن سؤالهما: ماذا تفعلين؟ فكانت تقفل باب غرفتها على نفسها، وتقوم بالمهمة في هدوء.

هكذا.. تمكنت س. خ. من تفريغ عشرات الأشرطة.

أمّا عندما عدت إلى مشروع صبرا وشاتيلا في سنة ١٩٩٨، وقمت بتسجيل مقابلات جديدة لاستكمال بعض زوايا الموضوع، كما قام غيري بتسجيل مقابلات أُخرى، فأستطيع القول إن الفارق الرئيسي بين تفريغ أشرطة المرحلة الأولى وبين تفريغ أشرطة المرحلة الأخيرة يكمن في أن الأشرطة الأخيرة طبعت على الكومبيوتر مباشرة، في إحدى المؤسسات البحثية، من دون تحسّب أو تخوّف، تماماً كما يطبع أي مشروع عادي في أحوال عادية.

وأختم بالنسبة إلى مشروع التاريخ الشفهي وطبيعته وأهميته بالقول إن هذا المشروع بالذات يعكس جانب الضحية وحدها، مع العلم بوجود جانبين آخرين هما الجانب الإسرائيلي، وجانب الميليشيات التي ارتكبت المجزرة: لكن من غير الممكن لأي باحث عربي في الزمان والمكان حيث كنت أنا، في النصف الأول من الثمانينات في بيروت، أن يستكمل بمفرده مقابلات مع الجوانب الثلاثة، أو أضلاع المثلث الثلاثة، لا على الصعيدين

السياسي والأمني فحسب، بل على الصعيدين الوطني والنفسي، كذلك.

هذا مشروع يكتفي بعرض شهادات ضلع الضحية. لكن هذا لا يعني أن العودة إلى المقابلات الصحافية والمتلفَزة مع الضلعين الآخرين، وإلى التحقيقات والكتابات الغربية والإسرائيلية، لم تكن ضرورة للاقتباس عنها والعودة إليها عبر صفحات الكتاب.

بالتأكيد، كان هناك الكثير من المقابلات المشابهة مع ذوي الضحايا والشهود، والتي سبق أن نشرت في وسائل الإعلام المتعددة الغربية والعربية في الأيام الأولى، أو نشرت لاحقاً. لكن أهمية مشروع التاريخ الشفهي الذي قمت به بين تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢ وكانون الثاني/يناير ١٩٨٥، ثم عدت لاستكماله قبل انتهاء القرن العشرين، تنبع من كونه مشروعاً متكاملاً.

كذلك تعود أهمية مشروع هذا التاريخ الشفهي إلى توقيته. فالناس في الأيام والأسابيع الأولى التي عقبت المجزرة مباشرة، كانوا يتكلمون في ذهول مريع. أمّا بعد ذلك، فقد كانوا يتكلمون بألم شديد، لكنه مصحوب بوعي عميق أيضاً، وبذاكرة لم يتطرق إليها أي نسيان بعد. كما كانوا بأمسّ حاجة إلى من يستمع إليهم.

لذلك، فهم تكلموا في المرحلة الأولى على الرغم من الرقابة العسكرية التي كانت مفروضة على المنطقة بأسرها، والتي وصلت إلى حد تحريم ذكر كلمة "المجزرة".

وتتضح أهمية توقيت هذا المشروع أكثر من التصور التالي: فلو لم أقم بمشروع صبرا وشاتيلا يوم قمت به، ولو كان عليّ أن أقوم بمشروع مشابه متكامل في الوقت الحاضر، فلن يكون هذا سهلاً على الإطلاق لأسباب متعددة، أهمها الأسباب النفسية.

نستنتج من هذا كله أن أهمية هذا العمل تنبع، أساساً، من التوقيت الملائم الذي تم فيه جمع التاريخ من ذاكرة الناس ووعيهم.

المرحلة الثانية:

عملية جمع الأسماء

أصدرت اللجنة الإسرائيلية لتقصى الحقائق في الأحداث التي جرت في المخيمات الفلسطينية في بيروت تقريرها الشهير بتقرير كاهان، في ٧ شباط/فبراير١٩٨٣. وليس هنا مجال تأكيد أن التقرير يحتوي على مسحة من الديمقراطية، لكن هذه المسحة لا تشفع لغياب استنتاجات توحى بها المعطيات نفسها الواردة في التقرير، ولا لأخطاء في المعلومات والأرقام المضللة كما وردت. وللمثال فقط، نذكر ما ورد بالنسبة إلى عدد الضحايا من الإناث والأطفال؛ إذ ورد، نقلاً عن مصدر سري لم تكشف هويته، أن عدد الإناث كان خمس عشرة أنثى فقط، أمّا الأطفال فقد ورد أن عددهم كان عشرين طفلاً فقط!!

أي عقـل بشـري، وأي وجـدان إنساني يصدق هذا، وفي الصورة الفوتوغرافية الواحـدة، أو على شاشة التلفاز فى المشهد الواحد، كان يظهر أكثر من هذا العدد، كما أن الشاهد الواحد كان يتحدث عن أكثر من ذلك.

حـتى قراءتي لتقرير كاهان، كنت فى فلسفة الرقم على مبدأ توينبي الذي قال يوماً: "إن الـرقم الكبـير يضيف إلى هول المأساة والعذاب، لكن من المستحيل على المرء أن يكون مجزماً أكثر من مئة فى المئة." وكان توينبي، المؤرخ البريطاني، يرد على جاكوب هيرتسوغ، السفير الإسرائيلي لدى كندا، في مناظرة شهيرة بينهما جرت سنة ١٩٦١، فلمّا شـبّه توينبـي مـا جرى للفلسطينيين فى دير ياسين بما جرى لليهود في أوروبا على يد الـنازية، ثـار هيرتسوغ وصاح أن بضع مئات من الفلسطينيين فى دير ياسين لا تستحق الذكـر أمـام الملاييـن من اليهود ضحايا النازية؛ وكان توينبي يقصد برده على السفير الإسرائيلي أنه يكفي أن تقتل مرة كي تكون قاتلاً.

أمّـا بعـد قراءتـى لـتقرير كاهـان، فقد تأكدت من أننا نعيش فى عصر كاهان وهيرتسوغ لا في عصر توينبي.

اليوم، لا أجد ضرورة لوصف مدى الغضب والحزن اللذين كانا يعصفان بمشاعري فـي كـل مـرة أنتهي فيها من قراءة ذلك التقرير في تلك الأيام الصعبة، غير أنني أجد ضـرورة لذكر ما تعلمته من هذا التقرير؛ فقد تعلمت إلى أي مدى يمكن للأرقام المغلوط فيها أن تقلب الصورة رأساً على عقب.

قبل صدور تقرير كاهان، كنت أبحث عن عمق المأساة الإنسانية كما ذكرت أعلاه. لم أكن أحياناً أقاطع الأم الباكية لأسألها: "ما اسم ابنتك؟ أنت تتحدثين عنها لساعة، لكنك لم تذكـري لـي اسمها بعد." ما كان ممكناً لى أن أطرح سؤالاً كهذا قبل تقرير كاهان. فما الفـارق إن كـان اسم ابنتها ليلى أو مريم؟ ولعل ذكر هذه الأم لاسم ابنتها كان يثير ألمها أكثر، على النقيض من طبيعة أم أُخرى لم تكفّ عن ذكر اسم ابنتها زينب التي بحثت عن جثـتها أسـبوعاً كاملاً قبل أن تجدها، ولمّا وجدتها راحت تلطم وتبكي من جديد، ثم تقوم بدفنها، وهي تشكر الله على أن وجه ابنتها الجميل لم يشوه إلاّ قليلاً.

وأمّا بعد تقرير كاهان، فقد اتخذت القرار بضرورة البحث عن الأسماء والأعداد.

كما اتخذت القرار بضرورة نشر المقابلات في كتاب فيما بعد، ونشر لوائح الأسماء في ملحق خاص، لتكريم ذكرى الضحايا.

نقطة البدء بعملية جمع الأسماء كانت في التوجه الجديد في طبيعة الأسئلة، إذ أصبح مـن الضـروري سؤال ذوي الضحايا عن أسماء ضحاياهم، وعن أسماء ضحايا كل من يعرفون من جيران وأقرباء وأصدقاء. وبالتأكيد، كان عليّ أن أشرح لذوي الضحايا سبب

اهتمامي بالأسماء، وأهمية المساعدة التي يقدمونها في تقديم المعلومات والأسماء بدقة، في حال تمكنت فى المستقبل من إصدار كتاب عن المجزرة.

والحق أنهم تجاوبوا معي بصورة مذهلة.

والحق، أيضاً، أنه مع كل ذلك التجاوب سرعان ما اتضح من التجربة أنه ليس في إمكـــان المقابلات مع ذوي الضحايا أن توصلنا وحدها إلى الأسماء المطلوبة كلها، وكان ذلـــك لأن مجال التاريخ الشفهي لا يفترض فيه أن يشتمل على جميع الناس الذين جمعتهم التجربة الواحدة.

فما العمل؟

كانت الخطوة الثانية مع العاملين في مختلف المؤسسات الإنسانية، من أجل الحصول علـــى شـــهاداتهم، ومن أجل الحصول على ما لديهم من لوائح الأسماء. فهؤلاء هم الذين دخلـــوا صبرا وشاتيلا وعملوا طوال أسبوعين بصورة متواصلة في جمع جثث الضحايا مـــن علـــى الطرقات والزواريب ومن البيوت، وفي التنقيب عن الجثث التي طمرت مع الـــردم بفعـــل الجـــرافات، وفي تسهيل مهمة تعرّف ذوي الضحايا على ضحاياهم، وفي تسجيل أسماء الضحايا.

لكـــن لمّا كانت المرحلة هى مرحلة التعتيم الكلي على المجزرة، فقد بات هذا عائقاً يحـــول دون تمكني من إعلام المسعفين بأن موضوعنا هو توثيق مجزرة صبرا وشاتيلا. وهكذا كان لا بد من الغطاء الصحافى، ذلك بأن المهمة الصحافية مهمة مشروعة، فضلاً عـــن سهولة الانتقال بالحديث من تجارب الاجتياح الإسرائيلي ككل، إلى المجزرة كحدث مستقل.

لجـــأت إلى صديقة صحافية، منى سكرية، من الوجوه الصاعدة في عالم الصحافة اللبنانـــية يومـــذاك، وقد سارعتْ إلى القيام بالمهمة بكل حماسة وشجاعة، وقامت بتسجيل عدة مقابلات أغنت مشروع التاريخ الشفهي، وخصوصاً في مرحلة البحث عن الضحايا.

لمّـــا حاولـــت منى سؤال المسعفين أو العاملين المسؤولين فى المؤسسات الإنسانية الحكومية أو الدولية عن لوائح الأسماء، كان الاعتذار صريحاً؛ فتلك لوائح لم تكن للنشر، ولا حـــتى للاطـــلاع عليها بأي شكل كان. غير أن عدداً من العاملين فى المؤسسات الإنسانية الأهلية أخبرها بقيام المؤسسات التي يعمل فيها بعملية تسجيل لأسماء الضحايا. وطلب كل واحـــد مـــن هؤلاء مهلة لطرح الموضوع على المسؤولين في مؤسسته، ولتحضير لوائح بالأســـماء. لكنها لمّا عادت بعد أسابيع للسؤال عن تلك اللوائح، فشلت في الحصول على أي واحدة منها.

الكـــل تـــراجع عـــن تسليم "اللوائح الموعودة" بذرائع متعددة. ولعلهم كانوا بدورهم

معذورين.

إزاء تراجع كل من وعد، كان لا بد من البحث عن طريق آخر.

واضح أن الخوف كان يشل حتى إرادة الوطنيين والمستعدين للمساعدة.

واضـــح أن لوائح أسماء الضحايا كانت تعتبر من الخطوط الحمر التي خاف الجميع من تجاوزها.

ولطالما أصبت بالإحباط.

لكن.. كان لا بد من الاستمرار، ومن القيام بخطوة ثالثة.

كـــان الزمن سنة ١٩٨٣، وكان العهد عهد الرئيس أمين الجميل؛ وهو الرئيس الذي انتخـــبه مجلـــس الـــنواب اللبناني في أعقاب اغتيال أخيه بشير؛ وهو الرئيس الذي قوبل انـــتخابه بـــردات فعل مرحبة فى أوساط "بيروت الغربية"، على النقيض من ردات الفعل على انتخاب أخيه. وكان أمين، الأخ الأكبر، يبدو منذ البداية في كل الأوساط أكثر اتزاناً وحرصـــاً على مشاعر مختلف اللبنانيين، وحتى على مشاعر الفلسطينيين. لكن هذا كله لا ينفي أن المرحلة كانت ما زالت مرحلة الخضوع للهيمنة الإسرائيلية، ولا ينفي أن القوات اللبنانـــية نفسها، والتي كان الرئيسان الأخوان منها، كانت هي المهيمنة الفعلية في مختلف أجهـــزة الدولـــة، كذلك كان الإحباط العام هو السائد نتيجة اتفاقية ١٧ أيار/مايو بين لبنان وإسرائيل؛ فتلك الاتفاقية في حال تطبيقها تجعل لبنان خاضعاً للإرادة الإسرائيلية حتى في حالات السلم.

أمّـــا مجلس النواب اللبناني الذي كان وافق على هذه الاتفاقية سنة ١٩٨٣، فقد أقدم هـــو نفســـه علـــى إلغائهـــا فـــى السنة التالية؛ وكان نمو المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الإسرائيلي هو العامل المتغير الرئيسى البارز الذي شجع النواب على الإلغاء.

وهكذا، خلال فترة ١٩٨٣ ــ ١٩٨٤، ما بين الموافقة على الاتفاقية وما بين إلغائها، كانـــت بـــيروت تعيش أيام القهر والتسلط، مع تسلل أشعة من أمل كان يحييه ذلك النمو المتصـــاعد للمقاومـــة. ولم أجد في تلك الأيام من ألجأ إليه من المسؤولين اللبنانيين الذين أعـــرفهم وأثـــق بجرأتهم وإنسانيتهم غير الدكتور عبد الرحمن اللبان. هو طبيب نفساني، وهـــو إنسان بكل ما في الكلمة من معنى، وقد كان وزيراً للشؤون الاجتماعية في حكومة الرئـــيس شـــفيق الوزان يومئذ. عرضت عليه المشكلة، وطلبت منه العون للحصول على لوائح المؤسسات الإنسانية الحكومية والدولية التي اعتمدتها الحكومة اللبنانية، على الأقل. وكان رده بأسرع مما توقعت؛ إذ إنه بعد أربع وعشرين ساعة كان على مكتبي نسخ عن لائحة الصليب الأحمر الدولي، ولائحة الدفاع المدني اللبناني، وبعض الوثائق.

كانت تلك هي الخطوة الواثقة التى انطلقت منها من أجل الحصول على لوائح الأسماء.

ومــن الضـــروري القول إن أياً من تلك اللوائح والوثائق لم تنشر حتى الان، حتى كتابة هذه المقدمة على الأقل!

كان أهم ما اكتشفته من خلال دراستي لتلك اللوائح "الرسمية المعتمدة" ومقابلتها بما كنــت حصــلت عليه من أسماء عبر التاريخ الشفهى، التأكد من أن الأسماء الفعلية تفوق كثــيراً مــا بين يديّ. لذلك، كان لا بد من الاستمرار في البحث عن اللوائح الأُخرى غير الرســمية، وغير المعتمدة. ولمّا كان المسعفون في تلك المؤسسات تراجعوا عن وعودهم بتقديم ما لديهم من لوائح، كما أشرت سابقاً، فما عاد هناك من سبيل سوى القيام بمشروع فــردي خـــاص يهدف إلى تسجيل الأسماء، كما يهدف فى الوقت نفسه إلى معرفة كل ما يمكن معرفته عن الضحايا أنفسهم.

بمعنى آخر، العودة إلى نقطة الصفر.

لم يكن هناك من حل جذري اخر.

هكـــذا كـــان لا بـــد من خطوة رابعة للحصول على أسماء الضحايا. وانطلقت هذه الخطوة مع فكرة القيام بمشروع دراسة ميدانية إحصائية؛ وهو ما يتطلب توزيع استمارات موحـــدة علـــى ذوي الضحايا والشهود على أرض المجزرة. لكن ما كان ممكناً لمشروع كهذا أن ينفذ قبل حدوث تغيرات بارزة في الساحة السياسية وفي الأجواء الأمنية، وهذا ما سنتطرق إليه في البند التالي أدناه.

تجــدر الإشارة هنا إلى العلاقة الإيجابية بين الدراسة الميدانية لاحقاً (سنة ١٩٨٤) وبين الحصول على الكثير من لوائح الأسماء، حينئذ. ولعل السبب الرئيسى كان تمكننا من دخـــول مـــنطقة المجـــزرة وتوزيع الاستمارات التي هي في حد ذاتها أيضاً عملية لجمع الأسماء، وهذا ما أدى إلى رفع الحرج عن عدة مؤسسات كان في حيازتها لوائح رفضت ســـابقاً إعطاءنا نسخاً عنها. لكنها بعد الدراسة الميدانية عادت فتجاوبت معنا، وأعطتنا ما لديها.

قـــبل مـــرور عشرين عاماً على المجزرة كان قد صدر في السنوات الأخيرة لوائح جديدة. وفي النهاية بلغ مجموع المصادر التي اعتمدت عليها في لوائح أسماء الضحايا من شهداء ومخطوفين ومفقودين سبعة عشر مصدراً.

بلـــغ مجمـــوع الضـــحايا الشهداء من المصادر أعلاه ٩٠٦ ضحايا، وبلغ مجموع المخطوفيـــن والمفقودين ٤٨٤ مخطوفاً ومفقوداً. وهكذا، بلغ مجموع الأسماء لدينا ١٣٩٠ اســـماً لضحايا شهداء، ولمخطوفين لم يعد منهم أحد، ولمفقودين قيل إنه لم يعثر على أحد مـــنهم. وهـــذا رقـــم يفوق إلى حد الضعف تقريباً الرقم التقديري الذي تبناه تقرير كاهان استناداً إلى معلومات الجيش الإسرائيلي، وهو ما بين ٧٠٠ و ٨٠٠ ضحية.

أمّا الرقم الحقيقي فيبقى رقماً تقديرياً، ويبقى أبعد منالاً من أن تبرهن عليه جهود فردية، بالأسماء.

وأختم، فيما يتعلق بعملية جمع الأسماء، باعتراف صريح بأنها كانت العملية الأصعب في العمل التوثيقي كله؛ وهي عملية ما كان لها أن توصف بأنها ناجحة قبل الانتهاء من الدراسة الميدانية.

المرحلة الثالثة:

مشروع الدراسة الميدانية

حين ترسخت لديّ القناعة التامة بأن توثيق أسماء الضحايا من خلال جمع ما يمكن التوصل إليه من لوائح للأسماء، لا يمكن أن يصل إلى الحد الأدنى المتوقع تقديرياً، اتخذت القرار بالتحضير لدراسة ميدانية.

ولقد بدا أنه أصبح في الإمكان القيام بهذه الدراسة الميدانية بعد أحداث السادس من شباط/ فبراير ١٩٨٤، وهى أحداث مهمة في تاريخ بيروت المعاصر. كان ميزان القوى حتى ذلك التاريخ في "بيروت الغربية" تحت سيطرة الجيش اللبناني ظاهرياً، لكن تحت سيطرة عناصر القوات اللبنانية العاملين في الجيش اللبناني حقيقة؛ وما جرى في السادس من شباط/ فبراير كان تغييراً جذرياً فى موازين القوى داخل صفوف الجيش، إذ تمكن اللواء السادس في الجيش اللبناني من دخول "بيروت الغربية" بقوة السلاح، كما تمكن من إخراج اللواء الثاني الذي كان هو المسيطر على الوضع حتى ذلك الحين؛ وبكلمات أُخرى، انتقل ميزان القوى ظاهرياً من لواء إلى لواء في الجيش اللبناني نفسه، لكن حقيقة انتقل من أيدي عدد كثير من ضباط وجنود ينتمون إلى القوات اللبنانية إلى أيدي ضباط وجنود اخرين ينتمون إلى "القوى الوطنية" (وتلك هي التسمية السائدة في حينه).

كان لهذا الانتقال أثر كبير في منطقة صبرا وشاتيلا؛ وهو يعنى ببساطة أن "القوات اللبنانية" المتهمة بالقيام بالمجزرة، والتي كانت منذ ارتكاب المجزرة مسيطرة على الوضع الأمني من خلال وجود عناصرها من جنود وضباط في نقاط التفتيش.عند مداخل المخيم، تلك "القوات" غادر عناصرها المنطقة، وأصبحت عناصر من حركة أمل هي المسؤولة بحكم الأمر الواقع عن "أمن" المنطقة؛ وهي الحركة التي كان أسسها وأطلقها الإمام موسى الصدر حركة لكل المحرومين، وهي حركة وطنية ذات مبادئ عربية.

في تلك الأيام بالذات، كان البلد لا يزال يترقب تأليف حكومة جديدة، وقد طال الانتظار.

واستمر الشباب والفتيات في توزيع الاستمارات.

ضمت الاستمارة الواحدة للضحية الواحدة نوعين من المعلومات:

النوع الأول من المعلومات تناول الضحية "الفرد"، سواء أكان شهيداً أم مخطوفاً أم مفقوداً. وشملت أبرز المعلومات: الجنس؛ العمر؛ الجنسية؛ مكان الإقامة؛ المهنة؛ الوضع الاقتصادي؛ المصير. كما شملت أبرز المعلومات المطلوبة عن الشهداء: التعرّف على الجثة؛ المكان المحدد الذي تم القتل فيه (إن أمكن)؛ تاريخ القتل باليوم والساعة (إن أمكن). أمّا المعلومات عن المخطوفين والمفقودين فشمل أهمها: المكان بدقة؛ التاريخ؛ توفر الشهود.

والنوع الثاني من المعلومات تعلق بالعائلات، وخصوصاً الفلسطينية منها، وأبرز ما فيه: مكان الإقامة قبل "حرب ١٩٤٨"؛ حركة التنقل بعد "حرب ١٩٤٨"؛ خسارة العائلة من أفرادها خلال عمليات التنقل؛ "الخروج" (Exodus) بعد المجزرة.

قسمت منطقة المجزرة إلى أقسام، كما وُزع المتطوعون والمتطوعات إلى فرق مماثلة في العدد، وابتدأوا بسؤال أقرب الناس إليهم من الأهل والجيران، منتقلين بعد ذلك إلى الجوار.

بلغ عدد الاستمارات التي اعتمدت ٥٣٠ استمارة، منها ٤٣٠ للشهداء، و١٠٠ للمخطوفين. وقد كنا على معرفة، بناء على تقديراتنا، بأن عدد المخطوفين والمفقودين هو أضعاف ذلك، لكننا اضطررنا إلى التوقف عند رقم ١٠٠ لأسباب إنسانية محضة؛ ذلك بأن ذوي المخطوفين والمفقودين كانوا يصرون على الحديث عن كل أبنائهم وأقربائهم المخطوفين منذ منتصف السبعينات، منذ حصار تل الزعتر، ومنذ الحواجز "القواتية" الشهيرة عند مخارج بيروت. وكانوا يصرون على ملء استمارات بأسماء كل المخطوفين سابقاً. لم نتمكن من الرفض بدايةً، لكن عملية الاستمرار في ذلك باتت تعني انتعاش الآمال لدى الأهالي بعودة كل المخطوفين وكل المفقودين، وهو ما جعلني أتوقف عند الرقم ١٠٠، مبتعدة عن إثارة الام لا امال وراءها.

أعترف هنا بأن المهمة الأصعب كانت ترجمة المأساة الإنسانية إلى أرقام ونسب مئوية، لكنها كانت مهمة لا بد من أن يقوم بها أحد ما، رداً على الأرقام المضللة التي قدمت سابقا.

إن أية محاولة ثانية للقيام بدراسة ميدانية مماثلة لا بد من أن يكون لها أهميتها، لكن من الصعب جداً أن تتوصل إلى النتائج الدقيقة التي أمكننا التوصل إليها قبل مرور عامين كاملين على المجزرة.

حين الانتهاء من مراحل المشروع كلها، في صيف سنة ١٩٨٤، لم تكن أجهزة الكومبيوتر منتشرة فى البيوت، وإنما كانت مقصورة على بعض المؤسسات. كما كان عدد الذين يقومون بالتحليل فى الكومبيوتر محدوداً. لذلك قمت بعملية استقصاء من أجل التوصل إلى أحدهم، ونجحت في ذلك قبل ربيع سنة ١٩٨٥. وقد قامت الخبيرة ف. ن.

بالمهمـــة التحليلية خير قيام، وسلمتني بعد أسبوعين من العمل المتواصل جداول الدراسة الميدانية كاملة، مع النسب والمقارنات المطلوبة.

* * *

يتضح أمامنا أن تجربة التاريخ الشفهي واكبتها تجربة جمع الأسماء، ولاحقاً تجربة الدراســة الميدانية. وكان من نتائج مرحلة الدراسة الميدانية التلقائية حصولنا على لوائح بالأسماء لم يكن ممكناً الحصول عليها قبل هذه المرحلة. كذلك كان من نتائج هذه الدراسة أنني تعرفت إلى عائلات جديدة، وقمت بمقابلات جديدة في صبرا وشاتيلا. وهكذا، ما كان فـــي إمكـــان مشروع التاريخ الشفهي أن ينتهي قبل استكمال تجربة المشروعين الآخرين اللذين فرضتهما تطورات البحث. وفي حالات كثيرة كان التداخل بين هذه المشاريع سبباً في توسيع إطارها.

والـــيوم، إذا أردت العودة إلى أجواء تلك المرحلة، على الصعيد النفسي على الأقل، فلا يـــبدو أنها تمتّ بصلة إلى أجواء المرحلة التي أكتب فيها هذه المقدمة في صيف سنة ٢٠٠٢. ويمكن اختصار الصعوبات الرئيسية أمام بحث كهذا في رفض السلطات اللبنانية الرسمية وقتئذ كشف الحقائق؛ وليس إخفاء التقرير اللبناني الرسمي بشأن المجزرة الدليل الأوحد.

لقـــد فرض هذا الموقف السلبي وجوب اعتماد السرية المطلقة، ولم يكن الخوف من مداهمـــة ما تنتهي بالاستيلاء على أشرطة وأوراق، أو من توقيف للعاملين في المشروع، هـــو كل ما كنا نخشاه، بل كان هناك أيضاً القلق النفسي المستمر الناجم عن تلك الأجواء، واضطرارنا إلى إطالة في الوقت لا مبرر لها في مشاريع علنية مشابهة.

وكم كان الخارج مختلفاً عن الداخل.

فـــي الخـــارج عشرات المقالات والصور والشهادات قيلت في شأن صبرا وشاتيلا، من مقـــالات روبـــرت فيســـك وسواه، إلى تحقيق ماكبرايد وسواه، إلى شهادة جان جينيه وسواه. وهـــناك الكثـــير من المؤتمرات التي عقدت في عدد من عواصم العالم ومدنه، وخصوصاً في الأعوام الثلاثة التي تلت المجزرة، وكان أهمها في قبرص وأوسلو وأثينا وطوكيو وبون.

أمّـــا فـــي عقد التسعينات من القرن العشرين، فبتنا نقرأ شهادات عن المجزرة في الصـــحف، أول مـــرة، بالأسماء الكاملة من دون أي خوف، بينما كان عدم نشر الأسماء شرطاً رئيسياً من قبل أصحاب الشهادات في أعقاب المجزرة.

أقسام الكتاب

يستند الكتاب إلى أكثر من منهجية في البحث كما ذكرنا أعلاه، ويحتوي على قسمين وخاتمة وملاحق.

القسم الأول بعنوان "شهادات وروايات" من ستة فصول، قائم بصورة رئيسية على التاريخ الشفهي كما رواه ذوو الضحايا والشهود. يتضمن الفصل الأول تاريخ المكان والزمان، والفصل الثاني تطويق الجيش الإسرائيلي للمنطقة. أمّا الفصول الثلاثة من الفصل الثالث حتى الخامس فتتناول أحداث المجزرة وفقاً للتسلسل الزمني، فأحداث كل يوم من الأيام الثلاثة في فصل مستقل. وأمّا الفصل السادس والأخير، "القاتل والضحية"، فيتضمن شهادات الناجين والعاملين في المؤسسات الإنسانية في مرحلة البحث عن الضحايا ما بعد المجزرة، وكذلك أوصافاً للقتلة كما رآهم الشهود.

أمّا الروايات الخاصة، والتى تتناول كل منها مأساة عائلة أو فرد، فقد اخترت منها ستاً وأربعين رواية، وزعت عبر الفصول بحكم تسلسلها الزمني. فكل فصل، أو بالأحرى كل يوم، كانت له رواياته. وقد وردت كل رواية تحت عنوان خاص لتمييزها من سائر الروايات، كما حملت كل رواية رقماً متسلسلاً للهدف نفسه. أمّا الرواية التي لم تكتمل أحداثها في اليوم نفسه، فقد عدنا إليها فيما بعد لاستكمال أحداثها؛ ذلك بأن "البطل الرئيسي" في رواية المجازر ليس الإنسان، وإنما الساعة، وحتى الدقيقة.

القسم الثاني بعنوان "إحصاءات ومقارنات" من فصلين متكاملين، ويحتوي على موضوعين رئيسيين:

أولهما تحليل نتائج الدراسة الميدانية التي أجريتها في ربيع سنة ١٩٨٤، ومن خلال الجداول والأعداد والنسب يتم إعطاء الأجوبة عن كثير من الأسئلة الواردة في الجزء الأول من المقدمة أعلاه؛

وثانيهما تحليل أعداد الضحايا كما وردت في لوائح الأسماء من المصادر الأولية المتعددة، وعبر الأرقام التقديرية استناداً إلى تقارير لجان ومراجع مسؤولة متعددة.

الخاتمة، وهي بعنوان "من المسؤول؟".

الملاحق: تحتوي، بدايةً، على ملحق بأسماء الضحايا. وتستند لوائح هذا الملحق إلى سبعة عشر مصدراً رئيسياً، كما سبق أن ذكرنا. واحتراماً لذكرى الضحايا، تم تسجيل المصدر أو المصادر التى نقل عنها كل اسم بمفرده، إلى جانب الاسم، كما تم تسجيل المعلومات الأساسية التي توفرت لدينا عن كل ضحية. ويلي ملحق لوائح الأسماء ملحق صور، وملحق خرائط.

وليس مستبعداً أن يتمكن آخرون من الإضافة إلى هذه الملاحق مستقبلاً، استناداً إلى شهود آخرين، ونقلاً عن وثائق أُخرى.

كلمة أخيرة

هذا ليس بحثاً نهائياً فيما يتعلق بمجزرة صبرا وشاتيلا؛ فكل ما صدر في شأن هذه المجزرة، بما فيها هذا الكتاب، لا يزال ناقصاً. ولن تكتمل صورة المأساة المروّعة إلاّ مع صدور مذكرات لذوي الضحايا الشهود، بما فيها مذكرات الذين كانوا في تلك الأيام الدامية الثلاثة في عمر الحداثة.

كذلــك، لا تكــتمل الصورة إلاّ حين يكبر بما فيه الكفاية هؤلاء الشهود من الضباط والجنود الإسرائيليين، أو من المهاجمين؛ فهؤلاء الذين كانوا بالمئات، هؤلاء الذين راقبوا المجــزرة أو شــاركوا فــيها، وهم في سن العشرينات أو الثلاثينات، هؤلاء لا بد من أن يتحدث بعضهم عن ذكرياته بعد أن يتقاعد.

وهكــذا، لا يقفل البحث عن المجازر عادة إلاّ بموت كل الشهود والقتلة، وهذا معناه انتهاء مرحلة جيلين، إن لم نقل ثلاثة أجيال.

القِسمُ الأوّل

شهاداتٌ وروايات

يا فجرَ بيروتَ الطويلا
عَجِّلْ قليلا
عَجِّلْ لأعرفَ جيِّداً :
إن كنتُ حيَّاً أمْ قتيلا .

محمود درويش
« مديح الظل العالي »

الفصل الأول

المكان والسكان بين "الهجرتين" (١٩٤٨، ١٩٨٢)

في التاسع والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧ صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم ١٨١، وهو القرار الشهير بقرار التقسيم، ويتضمن إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في أقرب وقت ممكن، كما يتضمن تقسيم فلسطين بعد انتهاء الانتداب إلى ثلاثة أقسام: قسم تنشأ فيه الدولة العربية، وقسم تنشأ فيه الدولة اليهودية، وقسم ثالث يشتمل على مدينة القدس والقرى والأراضي المجاورة لها، ويخضع لنظام دولي خاص، تتولى الأمم المتحدة إدارته [١]

قرار التقسيم المختصر أعلاه في أسطر، هلل لصدوره اليهود في فلسطين والعالم واعتبروه نصراً كبيراً، بينما أعلن الشعب العربي الفلسطيني الحداد والإضراب والثورة ضد التقسيم؛ فهو الشعب الذي قاوم الانتداب البريطاني طوال ثلاثة عقود، سعياً لقيام الدولة الفلسطينية الديمقراطية الواحدة، استناداً إلى حقوقه التاريخية والسياسية والطبيعية، وإلى استمرار وجوده بتواصل منذ القرن السابع للميلاد حتى القرن العشرين؛ فكما استقل كل من العراق والأردن ولبنان وسورية، كان يجب أن تستقل فلسطين.

في المقابل، كانت الحركة اليهودية/الصهيونية، القائمة منذ أواخر القرن التاسع عشر (١٨٩٧)، قد أقرت ما أصبح يعرف ببرنامج بازل الذي احتوى على أربعة أهداف رئيسية، كان أهمها "إقامة وطن لليهود في فلسطين، معترف به وفقاً للقانون العام"؛[٢] وكانت المساعي الصهيونية إلى هذا الوطن/الدولة بين أوساط اليهود قائمة على الدعوى

---

(١) راجع: "قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الإسرائيلي ١٩٤٧-١٩٧٤" (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية؛ أبو ظبي: مركز الوثائق والدراسات، الطبعة الثانية موسعة ومنقحة، ١٩٧٥)، ص ٤ – ١٦.

(٢) O.K. Rabinowicz, "Basle Program," *Encyclopedia of Zionism and Israel*, vol. 1, p. 171.

الدينـــية التوراتية التى خلاصتها أن فلسطين هى أرض الميعاد، وعلى الدعوى التاريخية التـــي مـــن عناوينها قيام مملكة داود وسليمان منذ ثلاثة آلاف عام. أمّا مساعي الزعماء الصـــهيونيين فـــى الساحة الدولية للحصول على وعد ما، أو تأييد ما، بدءاً من هيرتسل، ومـــروراً بوايزمن، ثم وصولاً إلى بن ـ غوريون، فقد كانت قائمة بصورة أساسية على المصالح المتبادلة مع مراكز القوى الاستعمارية. فكما كانت لندن هي المركز في الحرب العالمية الأولى، باتت الولايات المتحدة هي المركز فى الحرب العالمية الثانية. وكما صدر عـــن لندن وعد بلفور سنة ١٩١٧، صدر بعده بثلاثين عاماً بالرعاية الأميركية المباشرة، وعن الأمم المتحدة، قرار التقسيم.

أدى صدور قرار التقسيم إلى اضطرابات متواصلة انتهت بسيطرة الجانب اليهودي علـــى قســـم كبير من فلسطين. ومع انتهاء الانتداب في ١٩٤٨/٥/١٥ وإعلان قيام دولة إســـرائيل، دخلت جيوش عربية باسم جامعة الدول العربية تحت شعار إنقاذ فلسطين. لكن الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى سرعان ما انتهت بهدنة أولى، عقبتها اتفاقيات هدنة ثانية وثنائية بين إسرائيل وكل من الدول العربية المجاورة، تحولت إلى هدنة دائمة بمرور الزمن.

ما إن انتهى عقد الأربعينات حتى كانت فلسطين، التي تبلغ مساحتها سبعة وعشرين ألفـــاً وتسعة كيلومترات مربعة، قد قسمت واقعياً إلى أربعة أقسام، ليس بينها دولة عربية فلســـطينية. فالقســـم الأكـــبر الـــذي يتألف من نحو ثلاثة أرباع فلسطين قامت فيه الدولة اليهودية/الإسرائيلية، ثم ضُم ما تبقى من أراضيها غربى نهر الأردن إلى الدولة الأردنية، وأصبح قطاع غزة تابعاً للإدارة المصرية، ومنطقة الحمة تابعة لسورية. وقد طالب لبنان مرات متعددة، في مؤتمر لوزان الذي عقد سنة ١٩٤٩، بإلحاق الجليل الغربي من فلسطين تحت حكمه ووصايته، لكنه لم يتمكن من ذلك.(٣)

لـــم يكن تقسيم أرض فلسطين أسوأ ما جابه شعب فلسطين، وإنما كان الأسوأ تشريد الشعب، وشرذمته، وتحويل القسم الأكبر منه إلى أعداد من اللاجئين.

خلال سنتى الاضطرابات الدموية والحرب على أرض فلسطين (١٩٤٧– ١٩٤٨) كـــان بعـــض الفلســـطينيين يهاجـــر، تماماً كما يجري في كل الحروب على وجه الكرة الأرضـــية، لكن في الوقت نفسه كان يتم ترحيل الكثير من الفلسطينيين من قبل "الهاغاناه" وغـــيرها مـــن التنظيمات اليهودية المسلحة بشتى وسائل العنف. وبعد قيام دولة إسرائيل

---

(٣) راجع في شأن اتصالات رئيس الوفد اللبناني إلى مباحثات لوزان بإلياهو ساسون في آب/أغسطس ١٩٤٩: حسان حلاق، "موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ – ١٩٥٢ (عهد الانتداب الفرنسي وعهد الاستقلال)" (بيروت: مركز الأبحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨٢)، ص ٢٩٢.

وإنشاء الجيش الإسرائيلي، أكمل ضباط الجيش الحديث التكوين عمليات الطرد والترحيل؛ وطالما أنكرت الرواية الرسمية الإسرائيلية المسؤولية الإسرائيلية عن ترحيل الفلسطينيين بالعنف والإكراه. غير أن الكشف عن الوثائق الرسمية بعد ربع قرن من قيام الدولة، كشف للكثير من الباحثين، وللصهيونيين بينهم، زيف الادعاءات الإسرائيلية الرسمية.

طوال النصف الثاني من القرن العشرين احتلت قضية اللاجئين الفلسطينيين مركز الصدارة بين كل قضايا اللاجئين في العالم، وتميزت من سواها من القضايا المماثلة بمفارقة بارزة؛ فالشائع أن اللاجئين الهاربين من حكم جائر في أوطانهم هم الذين يرفض الكثيرون منهم العودة حتى لو قدمت إليهم عهود الأمان من قبل دولهم. أمّا اللاجئون الفلسطينيون، فهم الذين دائماً أصروا على العودة إلى وطنهم مهما يكن الثمن، لكن القوى الإسرائيلية والإمبريالية المعادية لعودتهم كانت لهم دوماً بالمرصاد، وكانت وراء سلسلة مشاريع التوطين ـ المشاريع البديلة من العودة ـ التي جابهها اللاجئون بتواصل، ورفضوها باستمرار.

قبل انتهاء عام النكبة، صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٨/١٢/١١ القرار رقم ١٩٤، الشهير بقرار العودة، وفيه "تقرر وجوب السماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن، للاجئين الراغبين فى العودة إلى ديارهم..."،[٤] ثم تبعه عبر السنين سيل من القرارات الدولية تأييداً للحقوق الكاملة وغير القابلة للتصرف للشعب الفلسطينى؛ وعلى الرغم من موافقة الولايات المتحدة في حينه على القرار رقم ١٩٤، غير أنها ـ عملياً ـ لم تؤثر يوماً في إسرائيل التي رفضت بتواصل عودة اللاجئين، واستمرت على موقفها الرافض حتى بعد عقد مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط سنة ١٩٩١.

لبنان، بحكم جواره مع فلسطين، كانت له مع "اللاجئين" منذ البداية حكاية؛ وهذا موضوعنا العام في هذا الفصل. أمّا الخاص فهو وقفة مع سكان صبرا وشاتيلا، ومع طبيعة الحياة في هذه البقعة الصغيرة من بيروت، التي كان قَدَرها أن تشهد ساحاتها الصغيرة وأزقتها المتعرجة أيام المجزرة الدامية الثلاثة.

أولاً: نزوح الفلسطينيين إلى لبنان

لم تكن الظروف الصعبة التي نزح فيها معظم الفلسطينيين خارج بلدهم خلال سنتي ١٩٤٧ و١٩٤٨ لتسمح لهم باختيار البلد الذي يلجأون إليه. ولمّا كان لبنان بلداً تربطه بفلسطين حدود برية، ولمّا كانت موانئه البحرية في صور وصيدا وبيروت هي من أقرب الموانئ إلى حيفا ويافا، فقد كان أمراً طبيعياً أن يصل إلى لبنان أعداد كثيرة من اللاجئين.

---

(٤) "قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين ..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٩

بالإضافة إلى هؤلاء اللاجئين الذين جاؤوا قسرا واضطرارا ــ وهم الأكثرية ــ جاء إلى لبنان فلسطينيون بمحض إرادتهم وخيارهم؛ وهؤلاء ــ وهم الأقلية ــ إمّا من العائلات الميسورة التي اعتادت المجيء لتمضية الصيف في لبنان، وإمّا من العائلات التي تعود جذورها إلى أصول لبنانية، أي أن الأجداد أو الاباء كانوا انتقلوا إلى فلسطين من لبنان في أواخر العهد العثماني حين كانت الدولة العثمانية دولة واحدة، وحين كان التنقل أمراً طبيعياً بين أبناء شعوبها. وحتى بعد أن انتقل الحكم في بلاد المشرق العربي المعروفة جغرافياً ببلاد الشام، من العهد العثماني إلى عهد الانتدابين البريطاني والفرنسي، فقد استمر الكثيرون من اللبنانيين في القدوم إلى فلسطين للعمل والسكنى فيها، وخصوصاً في المدن الساحلية المختلطة، كحيفا مدينة المشاريع والعمال، ويافا المدينة المحاطة ببيارات البرتقال والأراضي الزراعية.

تلك العائلات اللبنانية الأصل لم تفقد علاقاتها الأسرية بأقربائها في لبنان طوال النصف الأول من القرن العشرين. وكان من عاداتها تبادل الزيارات معهم، وهذا ما دفع عائلات كثيرة منها إلى الاعتقاد أنها قادمة لمجرد تمضية بضعة أشهر تعود في إثرها إلى فلسطين بعد أن تهدأ الأوضاع؛ لكنها لم تتمكن من العودة، هذه المرة.

في الأشهر الأولى، قام عدد من المؤسسات الدولية بتقديم المساعدات للاجئين، ثم اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٩/١٢/٨ القرار رقم ٣٠٢، وهو القرار الذي ينص على "تأسيس وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى"، وهي الوكالة المعروفة اختصاراً باسم "أونروا".[٥] وقد ابتدأت أعمالها في ١٩٥٠/٥/١، وكانت مهمتها الرئيسية في البداية العمل على تحسين أوضاع اللاجئين بالتعاون مع الحكومات المحلية، وإيجاد فرص عمل لهم، على أن توقف برنامج أعمالها الإغاثية بعد عام واحد. لكن لأسباب متعددة، أهمها سياسية واقتصادية، لم تتمكن الأونروا من ذلك، واستمرت في برنامجها بتقديم المعونات الغذائية والطبية والاجتماعية والتعليمية الأساسية.[٦]

على الصعيد القانوني تعتبر الأونروا وكالة دولية ما دامت اكتسبت شرعيتها من الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهي تعمل باسم المجتمع الدولي، لكن هذا لا يعني أن أعمالها لا تخضع في الوقت نفسه لموافقة الدولة المضيفة.[٧]

أمّا على الصعيد اللبناني، فقد ساهمت رهبانيات لبنانية متعددة في تقديم أراض في أكثر

---

(٥) المصدر نفسه، ص ٢١-٢٤.

(٦) *UNRWA's Emergency Operation in Lebanon: 1982-83* (Vienna: UNRWA Headquarters – Vienna International Centre, March 1984), pp. 2-3.

(٧) Ibid., p. 3.

مـــن مكان لإسكان اللاجئين، كما قام مواطنون لبنانيون بتأجير أراض يملكونها للأونروا لمدة تسعة وتسعين عاماً؛ وهكذا أقيمت على هذه الأراضي ــ وبإشراف الدولة ــ ما أصبح يعرف بالمخيمات الفلسطينية.

قُــدّر عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين نزحوا عن فلسطين ما بين سنة ١٩٤٧ وسنة ١٩٤٩ بنحو ثلاثة أرباع مليون نسمة، توزعوا وفقاً لأعدادهم في الدول والمناطق التالية: الأردن الــذي نــزح إلــيه القسم الأكبر، ومن بعده قطاع غزة، فالضفة الغربية، فلبنان، فســورية؛ وهذا ما دعا الأونروا إلى حصر خدماتها ومسؤوليتها في هذه الأماكن تحديداً. أمّا اللاجئون إلى الدول العربية والأجنبية الأُخرى، فكانت أعدادهم متفرقة وقليلة، وبالتالي لم يتم إحصاؤهم في سجلات الأونروا، ولم تصلهم خدماتها.

قامــت الأونروا سنة ١٩٥١ بإحصاءات رسمية للاجئين الفلسطينيين، وكان عددهم في لبنان في تلك السنة ١٠٦,٨٠٠ لاجئ.[٨] ولا يشتمل هذا العدد على الفلسطينيين الذين لم يسجلوا أنفسهم لاجئين في سجلات الأونروا على الأرض اللبنانية، إمّا لتوقعهم أن هذه الهجرة موقتة، وإمّا لاستغنائهم عن خدمات الأونروا، وإمّا لخجلهم من أن يراهم معارفهم وهــم يقفون في طوابير الإعاشة. أمّا العدد الذي كان في حينه متداولاً في المجلس النيابي وبين الناس، والذي يشتمل على المسجلين وغير المسجلين، فكان نحو ١٢٠,٠٠٠ لاجئ.

مـــا مـــن ريب في أن هذا العدد مرتفع بالنسبة إلى بلد صغير كلبنان، نظراً إلى أن تعداد شعبه لم يكن ليصل إلى مليون نسمة في مطلع الخمسينات، أولاً؛ ونظراً إلى صغر مســاحته، ثانــياً؛ ولأنه كان يشكو فى تلك المرحلة نقصاً فى فرص العمل لأبنائه، ثالثاً؛ ونظراً إلى التوزيع الديموغرافي الطائفي بين أبنائه، رابعاً. فلبنان، البلد المتعدد الطوائف الدينــية، كان على أرضه في الخمسينات ست عشرة طائفة. ولمّا كان هو البلد الحريص على عدم مس التوزيع الديموغرافي بين طوائفه كي لا يؤثر هذا في الدور السياسي لهذه الطائفــة أو تلك، ولمّا كان ٩٠٪ من اللاجئين الفلسطينيين ينتمون إلى طائفة واحدة، هي الطائفــة الســنية، فقد كان هذا في حد ذاته من أهم الأسباب لعزل اللاجئين عاماً بعد عام داخل المخيمات.

هذه السياسة العامة لحصر اللاجئين في المخيمات، في الخمسينات والستينات، ومع كــل ما رافقها من ذكريات مؤلمة في القمع والاضطهاد بحجة تطبيق سياسة عدم السماح لهــم بالاندماج في المجتمع اللبناني، فهي على مرارتها لا تلغى من ذكريات اللاجئين ما لاقــوه مــن محــبة ومن مشاعر أخوية وإنسانية من قبل اللبنانيين، على مختلف فئاتهم؛

---

(٨) *UNRWA IN LEBANON*, issued by Public Information office (United Nations Relief and Works Agency for Palestine in the Near East, 1992), p.1.

فرئـيس الجمهورية، بشارة الخوري، حرص على أن يذهب إلى صور لاستقبال اللاجئين قائلاً لهم: "أدخلوا بلدكم".(٩) أمّا رئيس الحكومة، رياض الصلح، وهو الذي زار فلسطين عدة مرات، وشارك فى الكثير من مؤتمراتها الوطنية، فقد كان له موقف متميز حين ناقش مجلس النواب اللبناني ميثاق الأمم المتحدة في جلسة ١٩٤٥/٩/٤ وأقره بالإجماع؛ كان موقف رئـيس الحكومـة الصلح، الذي كان نائباً في الوقت نفسه، التحفظ تجاه الميثاق خشية أن تتخذ الولايات المتحدة ـ في المستقبل ـ قراراً بشأن فلسطين لا يرضى عنه العرب.(١٠) وكـان قد بات واضحاً أن مصير فلسطين رهن القوى الدولية التى أنشأت المنظمة الدولية الجديدة، والولايات المتحدة على رأس تلك القوى.

علـى الصـعيد الشعبى، تبارت الجمعيات النسائية والأحزاب والهيئات الشعبية في تقديم المحـبة والعون للاجئين، وكذلك فعل المواطنون فى كل المناطق من دون استثناء. وكان رب العمـل اللبنانـي المسيحي يستأجر للعمل في ورشته أو مصنعه عمالاً فلسطينيين من دون أي تردد. ويروي معلم العمار ديب، من سكان شاتيلا، عن أوضاع عمله في تلك المرحلة الأولى:

> بالأول كانت علاقاتنا كويسة مع المسيحية، كنا نشتغل معهم... وحتى المسيحية كانوا يحبونا ونحبهن ونشتغل معهن أكتر... وما كانوا يوكلوا علينا أجارنا أو يأخرونا، كانوا دغري.
>
> لكـن كنا نحس إنّو نحنا أقل درجة، مش منعزلين، لأ، لكن أقل درجة، أنا مش مـتعايش معهم، مليش جنسية، مليش مركز اجتماعي، لاجئ، أقل كلمة يقولك: "لاجئ، أو... كذا فلسطيني"، يعني أوطى درجة، يعني تحقير.
>
> فـي حروب السبعينات فش منا واحد إلاّ راحلو ولد وولدين من حرب الكتايب والقذايـف، أنـا إبني راح بقذيفة من الكتايب، وغيري وغيري... كانت تيجي قذايف علينا من الشرقية، كبيرة...
>
> كل شي تغير...(١١)

تحدثـت هناء، وهى معلمة فلسطينية من أصل لبناني، عن تجربة مماثلة في نظرة السكان إلى اللاجئ. وقد كانت فتاة صغيرة يوم وصل ذووها إلى لبنان، وسكنوا في منزل أقـرباء لهم قبل أن ينتقلوا إلى مسكن خاص في بلدة الشويفات القريبة من بيروت، وهناك

---

(٩) حلاق، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨.

(١٠) "البيانات الوزارية اللبنانية ومناقشاتها في مجلس النواب ١٩٢٦ – ١٩٨٤"، إعداد وتحقيق يوسف قزما خوري، المجلد الثالث (بيروت: مؤسسة الدراسات اللبنانية، ١٩٨٦)، ص ٢٠٩١.

(١١) POH. S/SH. No.138 (234/T.109). Mu‘allem Deeb. Interview by Sana’ Hammoudeh. Beirut-Shatila: Narrator’s house, March 2, 2001.

درست في مدرسة تبشيرية. وهي تقول:

أنـــا أول مـــا جينا على لبنان كنت فرحانة كتير أتعرف على أهلنا، كانت أول زيـــارة إلي للبنان ... ونحنا في فلسطين ما كان عنّا قرايب أبداً، منشان هيك كان كتير شي حلو إني أتعرف على اولاد عمومتي اللّي كنت أشوف صورهم وأعرف أساميهم. ويمكـــن، بفتكر هادا السبب اللّي ما خلاّني أشعر متل غيري شو يعني لاجئين. وكانت إمي تقولّي إنّو نحنا أكيد راجعين على فلسطين بس تهدا الحالة.

لكن... ما هديت الحالة...

دخّلونـــي أهلـــي مدرسة بالشويفات كانت معروفة بمدرسة مس مالك، وأول ما عرفـــت شـــو عم بيصير في مخيمات اللاجئين كان من صاحباتي من يافا وحيفا اللّي كانوا عايشين على التقتير، ولو ما كانوا هنّي ساكنين بالمخيمات لكن كان في كتير من أهالـــيهم ســـاكنين، وفي واحدة كان أبوها موظف في الأونروا وكانت تحكيلنا كل إشي بخبّرهم اياه أبوهم عن عذاب أهالي المخيم.

كان في واحدة يافاوية صاحبتي، وكنت أنا واياها بفرد صف، كان إسمها روز، وكانـــت أختها معلمة بنفس المدرسة، ومنها كنت أعرف كيف كل المعلمين والمعلمات الفلســـطينية معاشاتهم قليلة، أقل من المعلمين اللبنانية بكتير... يمكن هادا كان أول ظلم تألمت منّو بحياتي.

كمان كان إلي صديقة لبنانية، إسمها سلوى، كانت صديقتي كتير وكانت تسألني عـــن فلسطين وكنت أحكيلها، وما في مرة حسّيت إنها غير شكل عني، حتى كان يوم كـــنا عـــم نتمشـــى في ملعب المدرسة، لمّا إجت تناديها صديقة إلها كمان لبنانية، من مدرسة تانية، وهيّ كتير اهتمت بصديقتها حتى إني فكرت إنها من عجقتها فيها نسيت تعرّفني عليها، لكن لمّا صديقتها نفسها سألتها: "ليش ما عرفتيني على صاحبتك هاي؟ مين بتكون؟" أنا تعجّبت لمّا شفت سلوى ارتبكت، وترددت، وراحت على جنب وشدّتها وقالتلها بإدنها: "هيدول لاجئين".

رنّـــت الكلمة بإدني، وما عرفت شو صار فيّ بعدين. هربت بعيد... وبكيت... وبكيت...

حتى سلوى ما بتقول إسمي؛ وبتقول "هيدول لاجئين".[١٢]

يـــندر أن يتحدث فلسطيني لاجئ ولا يتذكر موقفاً أو مواقف أُهين فيها عن قصد أو عـــن غـــير قصـــد لمجرد كونه لاجئاً، حتى أضحت مأساة اللجوء بحد ذاتها هي القاسم

---

(١٢) POH. S/SH. No. 6 (231/T.1). Hana A. Interview with author. Beirut: Author's house, January 15, 1983.

المشترك الأعظم بين أبناء شعب فلسطين.

مع مرور الزمن، تطورت أعمال الأونروا فأصبحت مسؤولة عن إقامة المدارس الابتدائية والإعدادية، ثم الثانوية، وعن توفير الخدمات الصحية والاجتماعية لجميع اللاجئين المسجلة أسماؤهم في ملفاتها. وهؤلاء جلهم من سكان المخيمات، ذلك بأنه لم تصل إعاشات الأونروا ولا خدماتها بشكل مباشر إلى غير هؤلاء. حتى اللاجئون الذين كانوا يقيمون بتجمعات خاصة بهم، ولو كانوا في أمسّ حاجة إلى المساعدة، فإنه لم يكن يحق لهم الاستفادة الكاملة من الخدمات. وقد فاق عدد هذه التجمعات عدد المخيمات نفسها، فبلغ ثلاثة عشر تجمعاً في مقابل اثني عشر مخيماً في لبنان.(١٣)

وهكذا، لمّا لم يكن في قدرة الأونروا تقديم المساعدات لكل اللاجئين، ولمّا كان حتى أولئك الذين يتلقون المساعدات لا يعقل منطقياً ولا إنسانياً أن يستمروا في حياتهم على ما يقدم لهم، ولمّا كانت فرص العمل في لبنان في تلك المرحلة محدودة أمام الفلسطيني، فقد كان لا بد من التوجه إلى دول عربية أُخرى للعمل، وكانت دول الخليج العربي من أكثر الدول التي فتحت أبوابها في الخمسينات والستينات أمام الفلسطيني. ويصعب تصور الوضع الاقتصادي والوضع النفسي للعائلات الفلسطينية، وخصوصاً في لبنان، لولا مئات الشباب والفتيات من أبنائها الذين استوعبتهم سوق العمل في تلك الدول.

سنة ١٩٨٢، سنة الاجتياح الإسرائيلي والمجزرة، كان هناك اثنا عشر مخيماً فلسطينياً على الأراضي اللبنانية، هي: الرشيدية والبص وبرج الشمالي في منطقة صور؛ عين الحلوة والمية ومية في منطقة صيدا؛ ويفل في بعلبك؛ شاتيلا ومار الياس وبرج البراجنة وضبية في منطقة بيروت؛ نهر البارد والبداوي في منطقة طرابلس. ويعتبر مخيما عين الحلوة ونهر البارد من أكبر المخيمات مساحة، أمّا مخيم شاتيلا فمن أصغرها.

بالإضافة إلى هذه المخيمات، كان هناك مخيم النبطية الذي دمر تدميراً كاملاً بفعل القصف الإسرائيلي في ١٩٧٤/٤/١٦. أمّا مخيمات صور وصيدا فقد دمرت تدميراً جزئياً عدة مرات. وبسبب الحروب الأهلية المتعددة على أرض لبنان دمر في سنة ١٩٧٦ تدميراً كلياً كل من مخيم جسر الباشا ومخيم تل الزعتر؛ وهو المخيم الذي عانى جرّاء حصار طويل. كما تم تدمير مخيم ضبية تدميراً جزئياً.(١٤)

وسواء أكان السبب في دمار المخيمات قصفاً إسرائيلياً أم حروباً داخلية، فالنتيجة أن

---

(١٣) المنظمة الفلسطينية لحقوق الإنسان، "واقع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان: إلى متى... ولماذا؟" بيروت: تقرير صادر عن المنظمة الفلسطينية لحقوق الإنسان، آب/أغسطس ١٩٩٩، ص ٢.

(١٤) استمر تدمير المخيمات بسبب الحروب الأهلية المؤسفة، حتى بعد سنة ١٩٨٢، كما جرى في مخيمات الشمال وبرج البراجنة وشاتيلا ومخيمات صور.

اللاجئيـن كـانوا هم الذين يدفعون الثمن. وكان الأثر الأكبر لكل هذا التدمير المزيد من هجرة الفلسطيني من مخيم إلى آخر؛ فكم من عائلة هاجرت من النبطية إلى تل الزعتر، ثم من تل الزعتر إلى شاتيلا، أو من تل الزعتر إلى بلدة الدامور، ثم من الدامور إلى شاتيلا.

ثانياً: الأوضاع القانونية والأمنية

اختلف الوضع القانوني للفلسطينيين اللاجئين ما بين دولة عربية وأُخرى. فمن دول نـالوا فـيها بحكـم القانون الحقوق الاجتماعية والمدنية نفسها لمواطني الدولة المضيفة أنفسـهم، كالأردن وسورية، إلى دول نالوا فيها حقوقاً تسمح لهم بالعمل والإقامة بشروط مـتفاوتة، كمعظم الدول العربية، إلى دولة نسيج وحدها بين الدول العربية حرمتهم أبسط حقوق الإنسان في التنقل والعمل، على الرغم من حسن استقبالها للاجئين في البداية، وتلك هي دولة لبنان.

بلـغ حرص الدولة اللبنانية على الابتعاد عن التعامل مع قضية اللاجئين قانونياً حداً لا مثـيل له، إذ لم يكن هناك في الملف القانوني سوى وثيقـتين، وهما بالأحرى وثيقـة واحدة، لكون الوثيقة الثانية مكملة للأُولى.

الوثـيقة الأولى مرسوم اشتراعي صدر في ١٩٥٩/٣/٣٠، أي بعد اثني عشر عاماً مـن اللجـوء. وقد حمل هذا المرسوم الرقم ٤٢، ويقضي بإحداث "إدارة شؤون اللاجئين الفلسـطينيين فـي وزارة الداخلـية". أمّا الوثيقة الثانية فهي مرسوم جمهوري صدر في التاريخ نفسه، ورقمه ٩٢٧، وهو يحدد صلاحيات هذه الإدارة. وكان من الممكن الاكتفاء حـتى بهذيـن المرسومين في حال تناولهما علاقات اللاجئين بالدولة المضيفة وواجباتهم تجاههـا، وحقوقهم كمقيمين على الأراضي اللبنانية. غير أن هذين المرسومين يقتصران علـى موضـوع ضـبط الوضع الفلسطيني على الأراضي اللبنانية، مع ترك هذه المهمة لأجهزة الأمن العسكرية كي تقوم بالتنفيذ.[١٥]

وهكذا، بقيت الشؤون المعيشية من دون أي نصوص قانونية يمكن العودة والاحتكام إليها. ولمّا كان اللاجئون الفلسطينيون لا ينتمون إلى دولة عضو في الأمم المتحدة وفي جامعة الدول العربية، فهم لا ينطبق عليهم قانون المعاملة بالمثل، القانون السائد بين الدول في العالم كله.

يمكـن اختصـار سياسة الدولة بصورة عامة يومذاك في كونها سياسة قامت على

---

(١٥) شفيق الحوت، "مستقبل العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية" في: "لبنان وآفاق المستقبل: أوراق ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية" (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١)، ص٢٢٧-٢٢٨.

اعتبار الوجود الفلسطيني وجوداً طارئاً وموقتاً، لا أكثر ولا أقل. وقد نتج من هذه السياسة تضارب في مرجعية القرارات المتعلقة باللاجئين؛ إذ كان بعضها يصدر عن مديرية الأمن العام، وبعضها عن وزارة الداخلية، وبعضها عن الشعبة الثانية (الاستخبارات العسكرية) في الجيش اللبناني. وكان الهم الأكبر لهذه الأجهزة كلها مراقبة وضبط تحركات اللاجئين وانتماءاتهم السياسية، من دون أي توجه أو اهتمام مسؤول بأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية.(١٦)

لا تمحى من الذاكرة الفلسطينية عن الأعوام العشرين الأولى من حياة الفلسطيني اللاجئ في لبنان أحداث الاعتقالات الاعتباطية بلا محاكمات، والعقوبات الجماعية، والغرامات المالية لأتفه الأسباب، والحد من حرية التنقل من مخيم إلى آخر إلاّ بإذن من السلطات الأمنية. ولم يكن الحصول على الإذن سهلاً؛ فكثيراً ما توفي أقرباء للاجئ ما في مخيم غير المخيم الذي يعيش فيه، ولم يتمكن من حضور جنائزهم. وكما في الجنائز كذلك في الأفراح!!

أمّا الاعتقال والتعذيب فكان يطال في الدرجة الأولى الشباب المنتمين إلى أحزاب سياسية. وكثيراً ما كان هؤلاء يعتقلون من دون قيامهم فعلاً بما يتهمون به، فما إن كانت تظاهرة لتنطلق في شوارع بيروت أو طرابلس أو صيدا، تقودها أحزاب لبنانية ويمشي فيها مواطنون لبنانيون حاملين أعلامهم ويافطاتهم، حتى يهرع رجال الأمن لاعتقال فلان أو فلان من شباب المخيمات. وهذا مع معرفة رجال الأمن معرفة أكيدة بأنه يستحيل على فلان "الفلسطيني" من مخيم شاتيلا في قلب بيروت المشاركة في تلك التظاهرة التي جرت في طرابلس، لكونهم وجدوه في بيته في شاتيلا ساعة اعتقلوه، والمسافة بين طرابلس وبيروت تحتاج إلى أكثر من ساعة بالسيارة!! لكن مع ذلك، كان الاعتقال يتم بصورة آلية، وكان لا بد من أن يتبع الاعتقال تعذيب، ثم استجواب. وأمّا مدة الاعتقال فقد تمتد أياماً، أو أسابيع، أو عدة أشهر.(١٧)

مشكلة أُخرى لم تكن تقل عن مشكلة الاعتقال بسبب أو من دون سبب، وهي مشكلة التنصت على البيوت التي امتدت طوال عشرين عاماً، يضاف إليها الإذلال المتواصل الذي كان يتعرض له أهل البيت بضرورة إعطاء خبر مسبق عن أية زيارة يقوم بها

---

(١٦) سهيل محمود الناطور، "أوضاع الشعب الفلسطيني في لبنان" (بيروت: دار التقدم العربي، ١٩٩٣)، ص ١٣، ٢٧.

(١٧) أبو ماهر اليماني (أحمد اليماني)، مقابلة مع المؤلفة، "مقابلات مع قادة الحركة الوطنية الفلسطينية"، بيروت، شتاء ١٩٧٢ (كان أبو ماهر في تلك المرحلة من الناشطين في حركة القوميين العرب، ثم أصبح من قادة الحركة العمالية ومن مؤسسي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين).

ضيف أو قريب لهم. والجمعيات النسائية الخيرية، كغيرها من الزوار، كان عليها دوماً أن تطلب الإذن المسبق لكل زيارة اجتماعية إنسانية، وإلاّ تعرضت نساء الجمعية للاستجواب والاعتقال.

خـــالد، شـــاب فلسطيني ولد في مخيم تل الزعتر في الستينات، كبر وهو يسمع من ذويـــه عن صعوبات الأوضاع الأمنية، وهو لا ينسى مشاهد القمع التي شاهدها حين كان تلميذا صغيراً:

> أول شي كانت الشعبة التانية، يعني الاستخبارات العسكرية، هيّ المسؤولة عن وضع المخيمات...
>
> الأمـــن والوضـــع الاجتماعي... وكل شي مدني ما كانش إلو إشي بشي إسمه مدنـــي، كـــان علاقة الفلسطيني مع الشعبة التانية عسكرية. المخيمات من بدايتها لسنة ١٩٦٩ كانـــت علاقتها مع الشعبة التانية. يعني ضباط يتعاملوا مع الناس، ما كانش في تعـــاون مدنـــي، ما فيش وزارة، وزارة الداخلية كانت هيك... حتى لمّا عملوا مديرية الشـــؤون [شؤون اللاجئين...] بقيت الكلمة الفاصلة للأجهزة الأمنية. وكانت أقل كلمة "شيل ناس.. وحط ناس"، ويلاّ على التحقيق.
>
> كـــان الواحـــد بعد ما ياخدوه ما يمر على ضابطة عدلية ولا على درك، يعني ممكـــن ياخدوه متلاً من تل الزعتر ويحطوه بثكنة رياق، القاعدة الجوية، كانوا ياخدوا الـــناس يحبسوها هناك، كانوا يحطوا الناس شهر، شهرين، ستة أشهر، وما حدا عارف تهمته، ما حدا، ما فيش محامي، ما في واحد يقول ليش حابسينو... ما في ...
>
> أنـــا بتذكر موقع مخفر الدرك بتل الزعتر، كنا نمر عليه كل يوم ونحنا رايحين للمدرســـة، ومـــا كـــنا نحكي لمّا نقرّب عليه. وكان "أبو عبود" المسؤول عن المخفر مشهور عنّا أكتر من شارل حلو رئيس الجمهورية. وفي يوم ما بنساه، كيف إجو فجأة علـــى البيـــت يفتشوا على سلاح، وما لاقوا إشي، لكنهم شحطوا أبوي شحط من البيت قدّام عيونا، وغاب عنا...
>
> أكتر من مرة اعتقلوا أبوي...
>
> الناس عانت الأمرين... حتى إجت الثورة.[١٨]

أمّا معلم العمار ديب، فيروي وهو يضحك حادثة ضياع "ميكروفون" في مخفر مخيم ويفـــل فـــي بعلبك في الخمسينات، ونادراً ما يضحك الفلسطيني وهو يروي حكاياته عن

---

(١٨) POH. S/SH. No. 128 (245/T.98). Khaled A. Interview with author. Beirut: Author's house, September 11, 1999.

الخمسينات والستينات:

مرة بمخيم بعلبك انسرق المكرفون اللّي كانوا يذيعوا فيه بالمخفر، بمخيم ويفل، صاروا ييجوا ويصرخوا: "محمد، إنت، إنت، إنت ... تعالوا." سبعة، تماني، عشرة، يلاّ ... انزلوا على بيروت. وكانوا في بيروت يجيبوهن هون على دائرة الشعبة التانية، ويبجوا بالكرابيج، يقتلوهن قتل [ضرب]، قتل، قتل، بدون سبب، يضلّوا يجلدوا فيهن ساعتين، تلاتة، من الصبح للمغرب. وعند المغرب، يقولوا: "يلاّ روحوا..."

تاني يوم، القصة ذاتها، "إنت تعال، إنت، وإنت..." كل يوم شي سبعة تمانية، كل المخيم، نزل من بعلبك يلاّ على بيروت، على المخابرات...

يعني ... [ويعود المعلم ديب يضحك] كان الواحد هوّ على حسابه، بيجي من البقاع على بيروت، يوكل قتل، ويروّح.(١٩)

بالنسبة إلى العمل، لم تكن شكوى اللاجئين في الأعوام الثلاثة الأولى بعد النكبة جرّاء انعدام فرص العمل؛ فقد عملوا في المجالات المهنية والزراعية وغيرها. أمّا الموسرون منهم الذين جاؤوا بأموال كافية فقد تمكنوا من فتح محلات تجارية، أو ساهموا في مؤسسات اقتصادية. كما أن مؤسسات الأونروا استوعبت أعداداً من المعلمين والموظفين، إضافة إلى تقديمها في تلك المرحلة الأولى إعاشات شهرية تشمل معظم المواد الغذائية الرئيسية.

لكن ما إن وقّعت اتفاقية الهدنة بين لبنان وإسرائيل في ٢٣ آذار/مارس ١٩٤٩ حتى اتضح أن مشكلة اللاجئين قد تطول، فأخذت حكومة عبد الله اليافي في مطلع الخمسينات تضيق من فرص العمل على اللاجئين، غير عابئة بالاتفاقيات التي وضعتها الأمم المتحدة مع الحكومات السابقة لتشغيلهم في مختلف قطاعات التنمية؛ وهذا على الرغم من أنه على الصعيد الاقتصادي، ما كان يجدر البحث في الأزمة المالية التي تسبب بها وجود اللاجئين من حيث توفير فرص العمل لهم، فقط، من دون البحث في الموارد المالية التي جناها لبنان بسبب الوجود الفلسطيني، وقد كان أهمها في تلك المرحلة: رؤوس الأموال التي جاء بها الموسرون من اللاجئين وقاموا باستثمارها في لبنان؛ التبرعات التي كانت تصل إلى اللاجئين من مختلف الدول والشعوب العربية والإسلامية؛ القسم الأكبر من ميزانية الأونروا المخصصة لقطاع لبنان؛ المبالغ التي كان يرسلها شهرياً كل من تيسرت لهم فرص العمل خارجاً إلى ذويهم.

لكن الحكومة يومذاك لم تجد حلاً غير التضييق على فرص العمل، إن لم يكن جعلها

---

(١٩) POH. S/SH. No. 138 (234/T.109), as above.

مــن المستحيلات في الكثير من الحالات. فقبل نهاية سنة ١٩٥١، أصدرت قانوناً يفرض على كل فلسطيني التوقف عن العمل إذا لم يكن يحمل إجازة عمل. أمّا طالب العمل الجديد فعلــيه أن يحصـــل مســبقاً علـــى إجازة عمل. وبمعنى آخر أصبح يطبق على اللاجئ الفلسطيني القانون المطبق على الأجانب. ولم تكن هذه الإجازة مطلوبة سابقاً، أمّا وقد أصبحت مطلوبة قانونياً، فالمشكلة أنه ما كان في الإمكان الحصول عليها عملياً بسهولة.[٢٠]

تعــرض هــذا القـــانون لمناقشات حامية في المجلس النيابي، تداخلت فيها الشؤون السياســية والاقتصـــادية والعقائديـــة والعاطفية. وطرحت خلال المناقشات مسألة وجود ٥٠,٠٠٠ لبنانـــي عـــاطل عن العمل لهم الأولوية في ظروف العمل، كما طرحت مسألة تقاضي العامل اللاجئ أجراً أقل كثيراً مما يتقاضاه العامل اللبناني. لكن الذين طرحوا مثل هذه المسائل اكتفوا بطرحها فقط. وقد تميز طرح النائب بيار إده بالواقعية بحثاً عن الحل الممكـــن، فقال في المجلس النيابي إن قضية اللاجئين تهم جميع اللبنانيين وأن الكل متفق علـــى مســـاعدة الفلسطينيين لأن لبنان ملجأ لكل مظلوم، غير أنه ليس في إمكان الحكومة اللبنانـــية أن تعـــالج هذه القضية بمفردها، واقترح أن يشترك في معالجتها كل من جامعة الدول العربية والأمم المتحدة.[٢١]

أمّا كلمة النائب إميل البستاني في جلسة ١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥١، فقد تميزت بانطلاقها من التزام إنساني وعربي، ومن جرأة اشتهر صاحبها بها في حياته الاقتصادية والسياسية، فقال مخاطباً رئيس الحكومة:

> إننـــي ســـألتك مـــاذا تنوي أن تفعل بأمر اللاجئين الذين لا ذنب لهم سوى أنهم آمنوا يوماً بتدجيل قادة العرب. لقد أجبتني أن الحكومة ستهتم بأمرهم. فماذا كان هذا الاهتمام؟
>
> ... إن اللاجئيـــن يـــا ســـيدي لم يأتوا كغرباء عندما نزلت ضربة القضاء بهم، ونحن مسؤولون مع الحكومات العربية الأُخرى عن النكبة التي حلت بهم...
>
> ... هل تكتفي الحكومة بأن تمنع هؤلاء اللاجئين العرب وتلاحقهم، واليهود في هذا البلد يسرحون ويمرحون كيفما شاؤوا؟ ماذا فعلت الحكومة بيهود سورية والعراق الذين أتوا إلى هذا البلد واستوطنوه؟
>
> ... أنـــا أعـــرف يهودياً جاء من العراق واستوطن هذا البلد وهو يأمر وينهي كـــيفما شاء، وكنت جالساً في حفلة في يوم من الأيام على إحدى البواخر وفي معرض الحديـــث عن فلسطين قال هذا اليهودي علناً إن الحكومة اللبنانية عليها أن تتصالح مع

---

(٢٠) حلاق، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٥-٣١٦.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٣٥٣.

إســـرائيل. إن هـــذا اليهودي وغيره يسرحون ويمرحون ولا نفعل شيئاً إزاءهم ولكننا نطارد اللاجئين المساكين ونمنعهم من كسب لقمة العيش.[٢٢]

لمّـــا رد رئيس الحكومة، عبد الله اليافي، على النواب المعترضين على القانون زايد عليهم محبة وغيرة على اللاجئين، من دون التعرض للنص القانوني المعترض عليه؛ أمّا وزيـــر الشـــؤون الاجتماعية، بهيج تقي الدين، فكان رده قانونياً محضاً، وهو يتلخص في ضـــرورة اتـــباع القوانين المرعية الإجراء في دول العالم؛ أي أن الوزارة لا تجيز العمل عـــادة إلاّ لمـــن كـــان يعمـــل عمل أخصائي لا يستطيع اللبناني القيام به، كما أنها تجيز للأجنبـــي، الـــذي تجـــيز دولته العمل للبناني على أرضها، العمل في لبنان. وفي جميع الحالات، فالقرار بإصدار إذن العمل قرار تملك الوزارة حق إصداره كما تملك حق رفض الطلـــب. وختم مناقشته بأن قضية اللاجئين قضية طارئة، وأن الوزارة تتسامح معهم إلى أقصـــى درجـــة، وتفضلهم على غيرهم إلاّ إذا تعارضت مصلحتهم مع مصلحة اللبناني، فاللبناني أولى وأحق.[٢٣]

كـــان مـــن الممكن أن يكون موقف الحكومة بصورة عامة منطقياً أو مقنعاً في حال قـــدوم اللاجئ الفلسطيني إلى لبنان من تلقاء نفسه باحثاً عن عمل، تماماً كما يفعل اللبناني مـــثلاً، أو السوري، الذي يغادر وطنه إلى المهاجر بحثاً عن الرزق. لكن اللاجئين جاؤوا إلـــى لبـــنان مرغميـــن، لا باحثيـــن عن سبل أفضل للحياة، والدول العربية مسؤولة عن مصـــيرهم، كما كانت مسؤولة بمحض إرادتها عن "القرار الفلسطيني" تحت مظلة جامعة الـــدول العربـــية، هذا من ناحية؛ أمّا من ناحية أُخرى فالتوقف عند أهمية التعامل بالمثل، كـــأي أجنبـــي آخر، فهذا بحد ذاته يعني القضاء على فرص العمل بالنسبة إلى الفلسطيني اللاجئ، لكونه لا يمتلك وطناً ولا ينتمي إلى دولة. أمّا عندما كان يمتلك وطناً، فاللبنانيون الذيـــن هاجـــروا إلـــى وطـــنه فلسطين وجدوا أفضل الفرص للعمل، وما عاملهم الشعب الفلســـطيني يوماً كأجانب. هذه المفارقات هي التي دعت عدداً من المؤسسات اللبنانية إلى الوقوف ضد قانون العمل بحق اللاجئين.

مع مرور الزمن، كانت المساوئ نتيجة سوء تطبيق القانون أكثر من القانون نفسه؛ ذلك بأنه في كثير من الحالات التي كان يحق للفلسطيني فيها الحصول على إذن في العمل ضمن حدود القانون، لم يكن هذا الفلسطيني يتمكن من الحصول على الإذن فعلاً، وبالتالي لا يعمل، لأن مسألة القبول وعدمه كانت خاضعة دوماً لمنطلقات الواقع السياسي وتقلباته،

---

(٢٢) من محضر الجلسة السادسة عشرة لمجلس النواب اللبناني، ١٣ كانون الأول ١٩٥١، ص ١٠٨٥ ــ نقلاً عن: حلاق، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٧ – ٣١٨.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٣١٩–٣٢٠.

ولابتزاز الرشوات؛ وهذا ما أدى إلى تفاقم الوضع الاقتصادي والاجتماعي في المخيمات من سيىء إلى أسوأ. وكان متوقعاً أن يؤدي مثل هذا الظلم الفادح الذي عانى جرّاءه اللاجئون إلى الانفجار.

في سنة ١٩٦٤ أُنشئت منظمة التحرير الفلسطينية، وفي السنة نفسها كان لبنان أول بلد عربي يُفتتح فيه مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية، فسجل بذلك سبقاً دبلوماسياً في الساحة العربية. لكن هذا لم يكن ليعني أي تغيير في أوضاع المخيمات الداخلية، إذ استمرت السياسة القمعية نفسها. أمّا إنشاء إدارة لشؤون اللاجئين فقد ثبت أن أهم ما قدمته من خدمات كان إصدارها وثائق السفر الفلسطينية على الأقل. لكن لمّا لم يكن لهذه الإدارة أية علاقة بأي إشراف مدني على المخيمات، فقد استمرت الممارسات القمعية من قبل الشعبة الثانية والأجهزة الأمنية المتعددة، التي كانت وحدها صاحبة الرأي والقرار في مخيمات اللاجئين، في الأمور الكبيرة، كما الصغيرة.

شهد لبنان سلسلة من الحروب الأهلية والمحلية الدامية امتدت سبعة عشر عاماً. ولا مجال هنا لسرد أحداثها، وخصوصاً أن حروباً أهلية متواصلة على هذه الصورة لا يمكن إلاّ أن تكون أسبابها متعددة، وأن يكون الأطراف الضالعون فيها، سواء من داخل البلد أو من خارجه، متعددين أيضاً. أمّا جوهر الخلاف فهو التناقض الطبيعي والواقعي بين منطق الثورة ومنطق الدولة، والمقصود بالثورة هنا ثورة اللبنانيين أيضاً لا ثورة الفلسطينيين وحدهم؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى، كان هناك جملة تناقضات داخلية في المجتمع اللبناني نفسه، إن من حيث الطائفية، أو الطبقية، أو العقائدية القومية ومسألة الهوية الوطنية، أو من حيث الموقف من إسرائيل، وبالتالي من القضية الفلسطينية؛ وهذا ما جعل الانقسام شديداً في شأن اتفاقية القاهرة التي عقدت سنة ١٩٦٩ في عهد الرئيس شارل حلو، والتي كان المفروض فيها أن تنظم العلاقات بين لبنان والمنظمة، لكن عوضاً عن ذلك ساهمت أكثر في الانقسام بشأن القضية الفلسطينية.

عندما انتقلت القيادة الفلسطينية من الأردن إلى لبنان بعد أحداث أيلول/سبتمبر الدامية في عمان سنة ١٩٧٠، ومعها مختلف الفصائل المسلحة، وقفت إلى جانبها الحركة الوطنية اللبنانية. وما مرت أعوام قليلة، أصبحت خلالها الحركة الوطنية اللبنانية نفسها بحاجة إلى دعم، حتى بادرت القيادة الفلسطينية إلى مساندتها. وكانت هذه المساندة طبيعية بحكم المبادئ القومية والسياسية المشتركة، لكنها كانت ــ بحكم الأمر الواقع في لبنان ــ تعني الوقوف إلى جانب نصف لبنان ضد نصفه الآخر.

أمّا السؤال: لماذا حطت رحال الثورة الفلسطينية في لبنان بعد الأردن؟ أكان ذاك عن تخطيط مسبق، أم كان خياراً له أسبابه ومعطياته؟ هنا يشير عضو المجلس الوطني

الفلسطيني، شفيق الحوت، إلى العامل الرئيسي، في خطابه أمام الدورة السادسة عشرة للمجلس التي عقدت في مدينة الجزائر في شباط/ فبراير ١٩٨٣، بقوله:

> إن الثورة الفلسطينية لم تأت إلى لبنان بدعوة رسمية أو حتى شعبية. وإن الثورة لم تختر لبنان من دون الدول العربية لأنه أكثرها عروبة أو ثورية. لقد حطت الثورة فى لبنان لأنه كان حديقة من دون سياج.[٢٤]

جوهر المأساة اللبنانية أن لبنان كان "حديقة من دون سياج." لكن سر استمرار هذه المأساة نحو الأعمق، ونحو انتشار أشد هولاً وألماً مع مرور الأيام، هو أن لبنان من خلال سلسلة الحروب الدامية قد تحول إلى حدائق من غير سياج، بما فيها "حديقة" صبرا وشاتيلا، التي ازدهرت خلال مرحلة الثورة وامتدت بيوتها، وارتفعت، وجاء يسكنها لبنانيون وعرب ومسلمون من مختلف الجنسيات، وما عاد فيها موطئ لقدم، وما عاد للأجهزة الأمنية التي كانت تحكمها من سلطان عليها (وهذا ما سنتوقف عنده في البند اللاحق أدناه). لكن تلك "الحرية"، وذاك "الازدهار"، ثبت أنهما كانا "حديقة" من دون سياج أيام الاجتياح الإسرائيلي على امتداد ثلاثة أشهر، وأيام المجزرة الدامية على امتداد ثلاثة أيام.

ثالثاً: من الخيام إلى المنازل المتراصة

عائلة عبد الحليم التي نزحت عن صفد في شمال فلسطين إلى لبنان، كانت من أولى العائلات التي سكنت مخيم شاتيلا سنة ١٩٤٩. وكان عبد الحليم فتى صغيراً يومذاك، وهو يذكر أشجار التين والصبير تملأ الشارع الرئيسي المعروف اليوم بشارع شاتيلا، والذي يقع خارج حدود المخيم. وهو يؤكد أنه كان هناك شجرة تين كبيرة وارفة الظلال مكان قهوة علي همدر، التي تضاعفت شهرتها منذ أيام المجزرة حتى أصبح مكانها معلماً أساسياً.

ابتدأ السكان يتكاثرون. العائلة دعت أقرباءها الذين قذفت بهم رياح الهجرة إلى صور في جنوب لبنان، أو طرابلس في شماله، فكبر المخيم من عشرين عائلة في البداية حتى وصل عددها بعد أعوام قليلة إلى مئة عائلة. وقد استقرت هذه العائلات في هذا المخيم الذي أصبح يشتهر بمخيم شاتيلا نسبة إلى الباشا شاتيلا الذي أجر الأرض ذات يوم للأونروا.[٢٥]

---

(٢٤) شفيق الحوت، "عشرون عاماً في منظمة التحرير الفلسطينية: أحاديث الذكريات (١٩٦٤ – ١٩٨٤)" (بيروت: دار الاستقلال، ١٩٨٦)، ص ١٨٥.

(٢٥) POH. S/SH. No. 53 (231/T.52). “Abu Qassem”. Interview with author. Beirut: Friend’s house, April 28, 1983.

يـروي الحـاج أبـو أحمد كيف استأجرت الأونروا الأرض من الباشا، ويروي أن الناس لجأت أولاً إلى القرى، ولجأ ذووه بدايةً إلى قرية يعتر في قضاء بنت جبيل فنصبوا الشوادر هناك. لكن لمّا طالت العملية جاء هو إلى بيروت وفتح مرأباً لإصلاح الدراجات فـي رأس النـبع، ولـم يكن هناك مخيم شاتيلا بعد. وهو يصف المكان الذي تجمع فيه اللاجئون بقوله: "كانت هناك عائلات فلسطينية قاعدة في الحرش تبع العيد، وين مراجيح الأطفـال ينصـبوها فـي العيد، وين قصقص، هناك." ثم يروي عن مساعي الحاج أمين الحسيني لتوفير الأرض:

> كـان عبد بشر أصحاب مع الحاج أمين الحسيني، زلمته، قلّو بدنا نضل قاعدين فـي الحـرش، العملية طالت. فقلّو الحاج أمين: شفلك شقفة أرض ومنعمل مخيم فيها. إجـا عبد بشر وكانوا أصحاب مع الباشا شاتيلا، وكان وكيل الأرض. عبد بشر شاف الباشـا، وسـأله عن الأرض، فقلّو: بدكن اياها، تعالوا خدوها... وكانت الأرض كلها تلال، كانت للجبخانة الفرنساوية هادي الأرض.
>
> تلفـن الحاج أمين للأونروا إنّو في شقفة أرض، إجوا شافوها هون، استأجروها من الباشا شاتيلا.(٢٦)

وانتقل الحاج أبو أحمد وسكن غربي المخَيم.

كذلـك انتقلـت عائلات كثيرة، منها عائلة محمود الذي نزح عن الكابري في شمال فلسـطين، فقد عاشت عائلته عامين في القرعون ثم جاءت إلى مخيم شاتيلا. أكد محمود بدوره أن المنطقة كانت تحتوي على نبات الصبير وملآنة بالأشواك. وقد اعتمد اللاجئون فـي معيشتهم في الأعوام الأولى، إلى حد بعيد، على الإعانات من الأونروا. أمّا بالنسبة إلـى العمل، فكان الرجال في معظمهم عمالاً مياومين، يعمل معظمهم في ورش البناء في شـتى أنحـاء بيروت، أو حمّالين في المرفأ؛ وأمّا داخل المخيم فكانت أكثر المهن رواجاً مهنة ترقيع الشوادر وإصلاحها. ولم يكن من أهل المخيم من يعمل في التجارة سوى عدد ضـئيل جـداً، ولا تتعدى تجارة هؤلاء بيع الخضروات على العربات، أو فتح الدكاكين الصـغيرة حيـث يبيعون الحاجات الضرورية جداً لنساء المخيم، والسجائر للكبار، والحلوى للصغار.(٢٧)

---

(٢٦) POH. S/SH. No. 136 (231/T.107). Hajj "Abu Ahmad". Interview by Sana' Hammoudeh. Beirut – Shatila: Narrator's house, March 2, 2001.

(٢٧) POH. S/SH. No. 66 (249/N.11). Mahmud S. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 24, 1983; Shatila camp: May 16, 1983.

في مطلع الخمسينات كان في المنطقة بعض البيوت المؤلفة من طبقة واحدة لبعض اللبنانيين. أمّا الفلسطينيون فكانت الأونروا تؤمن لهم الشوادر؛ فكان هناك في مخيم شاتيلا ثمانية عشر شادراً بين كبير وصغير، وكان الشادر الكبير يسع خمس عائلات. وأمّا مدرسة الأونروا الأولى فكانت تتألف من ثلاثة شوادر كبيرة.

تطور "عمران الشوادر" لكن بتدرج بطيء. وساهمت الأونروا، والحق يقال، في هذا التطور، فأصبح رب العائلة في الأعوام التالية يعمل مدماكين أو ثلاثة مداميك داخل البيت، ثم يرفع فوق المداميك تنكاً. أمّا مع قمة التطور فالعمران صار بالطوب، لكن.. كان من الممنوع صب الباطون، حتى دق المسامير كان ممنوعاً أيضاً كما قال أبو قاسم، فإذا دق أحدهم مسماراً جرّه المكتب الثاني للتحقيق. ولو تساءل أحد لماذا؟ فالجواب جاهز: يجب أن يكون سقف البيت من التوتياء أو ألواح الزينكو، ذلك بأن السقف المصبوب يعني بقاء واستمراراً لا يتوافقان مع حياة اللجوء، والتي ما هي إلاّ مرحلة موقتة حتى العودة إلى فلسطين![٢٨]

أبو علي، أحد المسؤولين في "عهد الثورة"، كما كان يقال يومذاك، وصف مخيم شاتيلا سنة ١٩٥٩، وهي سنة قدومه إلى المخيم، قائلاً:

> شاتيلا كانت عبارة عن خيم، معمّرلها من الداخل ٦ أو ٧ مداميك ومسقوفة فوق بألواح خشب عليها حجار. نص سكان شاتيلا اللّي مش قادر يحط حجار جُوّات الخيمة كان يحط ألواح زينكو أو تنك. يعني كان هناك تنك مغلف بقماش متقّلو بحجار. ولكن لمّا كان يقوى الهوا ويشتد كانت الخيمة تنتفخ وتصير متل البالون. وتصير الناس تركض. اللّي بعدهم حاطين عمود للخيمة يمسكوا العمود، واللّي كانوا متجاوزين قصة الخيمة، يصيروا يتقلوا على السقف بخشب أو يطلعوا يقعدوا عاالسقف. كان رب البيت يتحمل الهوا بصدره حتى ما يطير السقف.
>
> وما كانت عملية أسهل مع سقوف الزينكو، لأنّو لمّا كان ييجي الهوا الصعب كان ياخد معه ألواح الزينكو مهما يكون عليها متقلات، وكانت شغلة. يا ما ناس تجروحت وهي لاحقة ألواح الزينكو الطايرة في الهوا.[٢٩]

تحدث الحاج أبو خضر عن "تطور البناء" في شاتيلا، حديثاً مشابهاً ومكملاً للشهادتين أعلاه، وبحماسة مشابهة، على الرغم من فارق سبعة عشر عاماً بين شهادته

---

(٢٨) POH. S/SH. No. 53 (231/T.52), as above.

(٢٩) POH. S/SH. No. 110 (231/T.86). Hasan A. (Abu ‘Ali). Interview with author. Beirut: Narrator’s office, May 11, 1984.

والشــهادتين أعلاه. وفي هذا دليل على أن الذاكرة الفلسطينية الجماعية قد وحدتها مرارة التجربة، إلى حد يكاد يجعلها تطغى على الذاكرة الشخصية. قال الحاج أبو خضر:

> كانــت الخيم بالأول للأرض، بعدين صارت العالم تتطور، وعملت يعني أربع مداميك، يعني أقل من متر. من تحت أربع حجار، والباقي شادر. بعدين وصلت العالم للســقف بزيــنكو. إيمتى صارت بالزينكو؟ بعد ما صارت الناس طالعة بالأبولو على القمر.
>
> بالسبعين كنا إحنا لسّا بعدنا بالزينكو.
>
> لمّــا إجــت الشباب وصار في ثورة، صار في باطون. أمّا من السبعين وتحت للخمسين، كان كلها زينكو وشوادر.
>
> لكــن مــن قبل والله مسمار ما كان الواحد فيه يدق. أنا على زمان الدرك كنت بدّي أعمر حجار محل تصوينة الزينكو، دفعت ٢٥ ليرة حتى يعطوني رخصة.. يعنى دفعــت رشــوة.. ولازم تعمــر بيوم واحد.. ممنوع يندق مسمار، يعني اللّي بدّو يدق مســمار لازم الكل يسمعه هناك، والناس تسأل: مين هادا؟ ليش عم يدق؟ شو عم يدق؟ ولازم تقول أنا بدّي أدق الزينكو، دق الزينكو هو الوحيد المسموح.(٣٠)

أمّا عن بدايات صبرا فهي لا تختلف كثيراً عن شاتيلا، فالحاج أبو أحمد يقول:

> صبرا معظمها لبيت صبرا، وين طرمبة الدنا، هاي البناية الكبيرة، سمّوا صبرا على إسمها.
>
> أولاً الــناس ســكنت فــي تــربة الداعوق، لمحمد الداعوق، كان عاملها تربة [مقــبرة]، لمّــا إجــت الفلسطينية قلهم اقعدوا فيها. وسكنّا في شاتيلا نحنا واياهم سوا. وأول شي كله خيم.. تربة الداعوق سكانها أكتر شي كانوا من صفد، ومن يافا.(٣١)

تؤكد ذكريات المعلم ديب ما قاله الحاج أبو أحمد:

> أول ما إجينا ما كانش صبرا، من الدنا وجاي ما كانش ولا بيت، لمّا كان المطار هون ما كانش ولا بيت، أجوا الفلسطينية، حطن الداعوق بالتربة، ولا كان في هاي البنايات كلها، هاي تعمّرت بعدين، وكان في محل هاي البنايات شوادر...(٣٢)

---

(٣٠) POH. S/SH. No. 137 (231/T.108). Hajj "Abu Khodr". Interview by Sana' Hammoudeh. Beirut-Shatila: Narrator's house, March 2, 2001.

(٣١) POH. S/SH. No. 136 (231/T.107), as above.

(٣٢) POH. S/SH. No. 138 (234/T.109), as above.

بالمقارنـــة بين صبرا وشاتيلا، في السنوات الأولى العجاف ما بين نهاية الأربعينات ونهاية الخمسينات، كانت صبرا، المنطقة الواقعة بين شاتيلا والطريق الجديدة، أكثر قفراً ورمـــلاً وفراغاً من شاتيلا. لم يكن فيها سوى بعض الأزقة والأبنية القديمة التي كان كل مـــنها عبارة عن غرفة ومطبخ، لا أكثر. وقد ابتدأ بعض الفلسطينيين بالسكنى في صبرا منذ نهاية الخمسينات.(٣٣)

في أوائل الستينات، قررت الدولة فتح شارع رئيسي يصل صبرا بمنطقتي بئر حسن والأوزاعـــي، وهـــذا هـــو الشارع الذي أصبح يعرف بشارع شاتيلا الرئيسي. ولمّا كان يفـــترض بالشـــارع الجديد أن يكون عرضه نحو عشرة أمتار، فقد كان على الدولة هدم الكثـــير من البيوت القائمة مكان الشارع الجديد، وهو ما أدى إلى فتح الشارع بالقوة كما يـــروي الســـكان. وقد اضطرت الدولة في مقابل هدم البيوت إلى منح أصحابها الحق في البناء على قطعة أرض بالقرب من مخيم شاتيلا وحي فرحات.

غـــير أن الحق في البناء ما كان يعني الحق في بناء سقف للبناء. فاستمرت عملية بـــناء بيـــت للفلســـطيني اللاجـــئ تعني بناء حيطان للبيت لكن من غير صب سقف من الـــباطون؛ إذ إن ذاك الســـقف بقي ممنوعاً حتى جاء عهد منظمة التحرير الفلسطينية في الســـبعينات فأصبح الممنوع مسموحاً، إلاّ لمن كان لا يملك مالاً يكفي لبناء السقف المنيع، أو لمن لم يكن له صلات مباشرة بقيادات الفصائل المسلحة؛ فكان على مثل هذا الانتظار. هكـــذا انـــتظرت عائلـــة عـــبد الحلـــيم إلى ما بعد الاجتياح الإسرائيلي سنة ١٩٨٢، فقد دمرالاجتـــياح بيـــتها الصـــغير داخل المخيم، وما كان أمامها فيما بعد غير بناء غرفتين ومطـــبخ مكـــان البيـــت المهـــدم؛ وكم كانت العائلة سعيدة بصب سقف البيت الجديد من الباطون.(٣٤)

شـــارع شاتيلا الرئيسي لم يعرف التعبيد ولا الرصيف في البداية، فبقي على الرغم من اتساع عرضه شارعاً ترابياً، لكنه لم يكن مستوياً بحيث يمكن للسيارات أن تمر به.

وبالـــتدريج، أخذت البيوت الصغيرة تنتشرعلى الجهة اليمنى من الشارع في الاتجاه مـــن صبرا إلى بئر حسن، أي من الشمال إلى الجنوب؛ وقد كان البناء ممنوعاً على تلك الجهة، وممنوعاً أساساً في كل تلك المنطقة التي تقع خلف مباني المدينة الرياضية الحديثة التـــي أنشئت في عهد الرئيس كميل شمعون، والتي تصل حدودها إلى شارع شاتيلا؛ فتلك منطقة من أملاك الدولة. وكي لا تقوم مبان فيها تحولت إلى مكب نفايات ومصب مجارير للمدينة الرياضية، إلى حد باتت معه الروائح الكريهة لا تطاق. لكن على الرغم من ذلك،

---

(٣٣) POH. S/SH. No. 53 (231/T.52), as above.

(٣٤) Ibid.

فإنه لم يكن أمام البعض سوى الإقبال على البناء لعدم توفر أراض أُخرى في الجوار. وقد قامت الوساطات مع رجال الدرك المسؤولين بدور مهم في التغاضي عن الأبنية غير الشرعية التي بدأت تظهر منذ سنة ١٩٦٨. أمّا بعد خروج المكتب الثاني والدرك من المخيمات، فقد أقبل الناس على العمران في هذه المنطقة بالذات نظراً إلى فراغها النسبي، حتى امتلأت واكتظت بالسكان وامتدت حتى السفارة الكويتية وحتى ملعب الغولف.(٣٥)

في البداية أقبل الكثير من السوريين على البناء والسكن في هذه المنطقة بالذات، لكن الكثيرين منهم غادروها بعد الحرب الأهلية، حرب السنتين، في منتصف السبعينات، عائدين إلى بلدهم، لعدم توفر العمل أساساً، وسكن في معظم بيوت السوريين عائلات لبنانية جنوبية، وخصوصاً في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي للجنوب اللبناني سنة ١٩٧٨.(٣٦)

تكررت ضرورة هدم بعض المباني على جانب شارع شاتيلا الرئيسي مرة ثانية، من أجل تعبيد الشارع. لكن الهدم هذه المرة كان في "عهد" الثورة الفلسطينية ومسؤوليتها عن شؤون المخيمات واللاجئين. وقد تم فعلاً هدم الأبنية "الجديدة" التي أقيمت على طرف الشارع معتدية على مساحات من الشارع الترابي نفسه. لكن لمّا لم يكن لدى المسؤولين عن الأعمال الهندسية علامات واضحة لحدود شارع شاتيلا، فقد أخذوا علامات عشوائية بدءاً من قهوة علي همدر التي قامت مكان شجرة التين التي لا ينساها أهل المخيم، ثم وضعوا خطاً مستقيماً حتى نهاية الشارع المتقاطع مع شارع السفارة الكويتية.

هدمت بيوت كثيرة كما يروي أحد السكان: "بيت قاسم مكحل هدوه، بيت ديب الشافعي هدوه، هدوا بيوتهم ووعدوهم بس نخلص من الشارع منعمرلكو جُوّا." كلمة "جُوّا" تعني "الداخل"، أي في المنطقة ما بين شارع شاتيلا ومخيم شاتيلا. وبصورة عامة كانت الأراضي في هذه البقعة إمّا مؤجرة للأونروا، وإمّا ملكاً لعائلات لبنانية، لكنها لم تكن للدولة كحال الأراضي المقابلة لها ما بين شارع شاتيلا والمدينة الرياضية.

من "نوادر" شارع شاتيلا الرئيسي التي لا ينساها أهل المنطقة مشكلة انخفاض الشارع عن الرصيف المحاذي للمخيم انخفاضاً متفاوتاً تراوح بين خمسة وسبعة أمتار، الأمر الذي جعل أحد أصحاب المحلات الأوائل يبني "جسراً" بين محله والشارع كي تسير عليه السيارة. وأمّا مع كل عملية إصلاح أو تعبيد أو مد مجرور، فكان الشارع يرتفع من الردم المضاف إليه.(٣٧)

---

(٣٥) Ibid.

(٣٦) POH. S/SH. No. 44 (231/T.44). “Abu Jamal”. Interview with author. Beirut: Outside talk all through Shatila main street, March 19, 1983.

(٣٧) Ibid.

صفة الانحدار هذه تميز طبيعة الأرض الواقعة خلف المدينة الرياضية حتى مخيم شاتيلا والمنطقة المحاذية له، والشهيرة باسم منطقة "الحرش" (وهي المنطقة التي تقع بين شارع السفارة الكويتية والمخيم، وقد كانت أساساً منطقة مشجرة بالصنوبر)؛ فالأرض عند المدينة الرياضية عالية نسبياً ثم تبدأ بانحدار يصل إلى أقصاه في الحرش؛ وهذا ما حول قسماً كبيراً من الحرش إلى مستنقعات شبه دائمة في فصل الشتاء، وكأن كل أمطار بيروت مأواها تلك المستنقعات، وبالتالي فهي مأوى للبرغش والذباب.

لا ينسى أهل المخيم يوم جاء أول وزير لبناني ليزور "هذه المستنقعات" في آذار/مارس ١٩٧٢، وكانت الحكومة تعرف بحكومة الشباب ويترأسها صائب سلام، أمّا الوزير الزائر فكان هنري إده، وزير الأشغال العامة والنقل.

بدايةً، استغرب الوزير مطلب الشباب الفلسطينيين الذين تجرأوا على قرع باب مكتبه ودعوته إلى زيارة المخيم، قائلاً لهم: "أنا أفوت على المخيم؟" فاسترسلوا يقنعونه بأن لبنان كله أرض واحدة، وأن مخيم شاتيلا جزء من هذه الأرض. واقتنع الوزير.

يتذكر أحد هؤلاء الشباب، أبو علي، وهو الذي أصبح فيما بعد أحد المسؤولين عن الإنشاءات في شاتيلا، كيف تمت الزيارة:

> شاف الوزير هنري إده المستنقع وشاف الحرش. كانت الناس بهداك الوقت بعد ما كانت بلّشت العمار بالحرش. كان الحرش فاضي. كان حرش صنوبر حلو، كانوا الناس يقولوا عنه في السابق "حرش النَّوَر"، لكترة ما كان فيه من خِيم للنَّوَر اللّي ما لقوا في مطلع الستينات أي ملجأ غيره، حتى يحتموا فيه. لكن حتى النَّوَر رحلوا معظمهم عن الحرش وما بقيوا فيه. وكنا نسميه حرش تابت نسبة لصاحبه كما يقال. وكنا في بعض الأحيان نسميه حرش القتيل، يعني نخاف نمر فيه بالليل. "غابات" كثيفة كانت، لكنه كان نظيف، كنا بالصيف وين نروح؟ يا نروح عالبحر، يا نفوت عالحرش. ناخد بطانية، نلعب ورق، نتسلى يعني، يا نحكي.. ونستغيب الناس.
>
> فلمّا إجا الوزير إده وشاف البحيرة، يعني المستنقع، قال: "مش معقول، مش معقول. هاي ردمها عليّ. كيف بشر ممكن تعيش على هيك مستنقع؟"
>
> وفعلاً، وفى الوزير بوعده، وطمر بعدين المستنقع على حساب الوزارة. وكمان وفى بوعده في التشجير، فبعت شجر على أساس نشجر المخيم.
>
> وما ننسى كان في هداك الزمان هبّة من قبل بعض المسؤولين والسياسيين ممكن نلخصها إنّو الدولة ناوية تشيل المخيم لأنّو بسيء للمدينة الرياضية. وقدّم الوزير ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي كمال جنبلاط يومها للمسؤولين اقتراح دمه خفيف، قال:
>
> "حتى ما تشوفوا بيوت من تنك، منشجع الفلسطينية كل واحد يزرع شجرة كينا

في قاع داره، فلمّا تصير المنطقة كلها غابة كينا، بتبطلوا تشوفوا بيوت التنك."[٣٨]

كان أكثر ما اشتهر به كمال جنبلاط في بلد طائفي كلبنان أنه زعيم الطائفة الدرزية، وذلـــك على الرغم من تأسيسه عن عقيدة وإيمان حزبه التقدمي الاشتراكي؛ وكان اشتهر عـــنه أيضـــاً حســـه الإنساني العميق، وتمتعه بالثقافة العالية، وتبحره في مختلف العلوم الفلســـفية والدينية والاقتصادية، لكن لم يكن من الشائع عنه، إلاّ بين الخاصة، تلك الصفة النادرة بين البشر، وهي السخرية الراقية، كاقتراحه أن يغطي شجر الكينا بيوت اللاجئين المسقوفة بالتنك، كي لا تتأذى عيون غير المحبين لهم بمرأى تلك البيوت.

أمّـــا الشجر الذي أرسله الوزير هنري إده فكان من نوع السرو الطويل، كي يساهم الســـرو فـــي وضـــع حدود للشارع. وزُرع السرو فعلاً، لكن لم يبق منه سوى شجرتين عاليتين، أمام بيت أبو لطفي، شهدتا أيام المجزرة.

أمّا عن البناء في منطقة الحرش، حرش ثابت، أو حرش القتيل، فلم يكن هناك بيت واحـــد حتى سنة ١٩٧٣، إذ كان البناء ممنوعاً منعاً باتاً. لكن بعد الاشتباك بين قوى من الجـــيش اللبنانـــي وقوى فلسطينية في أيار/مايو من تلك السنة، تحول الحرش إلى مأوى وملاذ للفلسطينيين واللبنانيين الفقراء على حد سواء. فامتلأ بالبيوت الصغيرة، إذ كان كل محـــتاج إلـــى بيـــت يقتلع شجرتين أو ثلاثاً، ويبني بيتاً صغيراً من غرفتين. وكانت قيادة الـــثورة تعطـــي اللبنانـــي القـــادم من الجنوب أو من أي مكان آخر الإذن في البناء قبل الفلســـطيني، وخصوصـــاً بعد الاجتياح الإسرائيلي للجنوب سنة ١٩٧٨ وما نجم عنه من هجرة نحو بيروت.

مـــا كان في إمكان أحد أن يتصور أن هذا المكان بالذات، أي حرش ثابت، سيغدو أول المناطق المباحة للمجزرة منذ الساعات الأولى، حيث لم يميز سكين القاتل أو مسدسه الكاتم للصوت لبنانياً من فلسطيني.

ثمـــة فـــي تاريخ المنطقة مخالفة أُخرى سبقت مخالفة البناء في حرش ثابت، وهي عملـــية جر المياه بالقساطل من طريق المطار، سنة ١٩٧٠. وكان وزير الموارد المائية والكهربائـــية يومذاك المحامي أنور الخطيب في حكومة الرئيس رشيد كرامي، فذهب إليه وفـــد مـــن أهـــل المخيم يقوده الشباب المخالفون، ولكن تتقدمهم لجنة "ختيارية" من الذين يعـــتمرون الحطـــة والعقال. وقد أراد الشباب بهذا المشهد، أي بدخول هؤلاء "الختيارية" مكتب الوزير بالزي الشعبي الوقور قبل دخول الشباب، إثبات تراث الشعب وأصالته أمام الوزير.

---

(٣٨) POH. S/SH. No. 110 (231/T.86), as above.

الواقـع أن إنسـاناً عالماً كبير القلب، وأستاذاً بارعاً بالقانون تخرج على يديه مئات المحاميـن من الجامعة اللبنانية كالأستاذ أنور الخطيب، لم يكن بحاجة إلى من يرشده إلى الخيط الدقيق الذي قد يفصل أحياناً بين تطبيق القانون بحذافيره وبين أبسط حقوق الإنسان الطبيعـية. استمع إليهم، وعلى فمه ابتسامته الهادئة، والشباب يحاولون شرح الموقف من دون تلعثم:

> نحـنا يـا معالي الوزير، نحنا يا معالي الوزير، نحنا جايين نقول لمعاليك إنّو المي صارت بالمخيم.
>
> ونحـنا يا معالي الوزير منطلب من الدولة إنها تبعتلنا موظفين من عندها حتى يعـيروا المـي، وحـتى نتمكن من دفع الفواتير، نحنا ما بدنا المي من دون مقابل، يا معالي الوزير.

ورد الوزير أنور الخطيب من دون أن تفارق الابتسامة شفتيه:

> روحـوا الله يوفقكم، ما دام المصلحة جماعية. وإذا صار في مجال منبقى نبعتلكم ناس تعيّر المي في البيوت. روحوا الله يوفقكم.(٣٩)

ومثلما حل الشباب مشكلة المياه، كان عليهم أيضاً حل المشكلات المعيشية الأُخرى كلهـا؛ ذلـك بأن قيادات الحركة الوطنية الفلسطينية والفصائل المحلية لم تكن لتقوم بتلبية حاجات سكان شاتيلا، إمّا لانهماكها في الأمور السياسية، وإمّا لأنها لم تكن أساساً اتخذت قـرارها بتولي الشؤون الإدارية المحلية والمعيشية، إلاّ من خلال بعض اللجان أو بعض الشـباب. وهـذا مـا شجع الشباب على المبادرة إلى القيام بالواجب تحت ستار "فتح" أو سواها. ومن الأمثلة لذلك ما جرى في عملية رصف الشارع الرئيسي داخل مخيم شاتيلا، وعملية بناء المجارير.

كـان طبيعـياً أن يحتاج الشباب أولاً إلى المال، فاتخذوا قراراً ببيع حصص سكان المخـيم مـن الكاز لمدة ستة أشهر، وكانت الأونروا هي التي تقدم الكاز للاجئين، مجاناً، فصادره الشباب باسم "فتح"، من غير أن يكون لقيادة "فتح" علم بالمصادرة. لكنهم حرصوا قـبل بـيع كميات الكاز كلها على تقديم بعضه للفقراء جداً فقط. ثم اشترى الشباب بالمال الـذي حصـلوا علـيه نتـيجة بيع الكاز حمولة نحو ثلاثين شاحنة من حجارة "الدبش"، ووضـعوها فـي الشارع نفسه لعرقلة المرور، وخصوصاً طريق مرور اللاجئين لتسلم أكـياس الطحيـن وغيرها من المؤن المتوفرة في مقر مستودعات الأونروا. وهنا اقترح

---

(٣٩) Ibid.

الشـــباب أن الحل الوحيد لوصول الطحين وبقية التموين أساساً إلى المستودعات من أجل توزيعـــه على العائلات، يقضي بأن يتعاون الجميع على رصف الطريق، وكل أمام بيته. وهكـــذا كان. قامت ورشة عمل. الرجال والنساء والأولاد، كل يمسك بالشاكوش ويكسر الحجارة ويهذبها. وجاء طلاب الجامعة الأميركية المتعاطفون مع الثورة، وخصوصاً من العروبيين والشيوعيين والقوميين السوريين. و"هات يا تكسير حجارة". وكان هذا في أوائل السبعينات.(٤٠)

وكما حُلّت مسألة رصف الشارع، حُلّت أيضاً مسألة المجارير داخل المخيم. لكن ما كان ممكناً لهذه المسألة أن تحل قبل أن تحل عقدة المجارير خارج المخيم، أي في الشارع الرئيســـي الكبـــير الذي ورث اسمه عن المخيم، فأصبح لا يعرف إلاّ بشارع شاتيلا. أمّا مســـؤولية حل هذه العقدة فهي على عاتق الدولة اللبنانية ولا ريب، لكنها حُلّت عن طريق المصادفة أو عن طريق الخطأ في أثناء تنفيذ مشروع الخندق. أي أن الفكرة أساساً لم تكن بـــناء مجاريـــر، وإنما حفر خندق كبير ارتفاعه متران وعرضه متران يصلح ملجأً كبيراً للناس أيام القصف، كما يصبح في إمكان الرجل العادي في الأيام الصعبة أن يتنقل عبره من حدود قهوة علي همدر إلى نهاية الطريق حيث التلاقي مع الطريق النازل من السفارة الكويتية.

ابـــتدأت الحفريات، ودُفعت للناس تعويضات، وخصوصاً للذين سيمر الخندق تحت بـــيوتهم. لكن حدثت أخطاء تقنية بسبب عدم دراسة المشروع دراسة كافية، ولا سيما من حيـــث التحســـب للمشكلات الناجمة عن الاختلاف في مستوى الأرض علواً وانخفاضاً، وكانت النتيجة أن هرب المقاول المسؤول، فلم يستكمل المشروع ملاجئ أو نفقاً للتنقل كما كـــان يفترض. وكان الحل الأنسب أن يتحول العمل من مشروع خندق كبير إلى مشروع مجارير تصب فيها مياه صبرا وشاتيلا كلها.(٤١)

شـــهدت الســـبعينات نمو "السوق التجاري" في شارع شاتيلا الرئيسي. فقبل مجيء قيادات الحركة الوطنية الفلسطينية والفصائل المتعددة من الأردن في أعقاب أيلول الأسود، أي في خريف سنة ١٩٧٠، لم يكن هناك محلات أو حتى متاجر صغيرة إلى يمين الشارع للمقبل من جهة السفارة الكويتية، أي من الجنوب في اتجاه الشمال. كان هناك فقط بعض بيوت للسكن. لكن الوضع أخذ يتبدل منذ ذلك التاريخ عاماً بعد عام. أخذت المحلات تنمو وتكـــبر علـــى جانبي الشارع، حتى أصبح شرياناً حيوياً لا يسأل المرء عن شيء فيه إلاّ ويجـــده. كـــل شيء تغير. حتى نهاية الشارع تحولت إلى بدايته. فقبل فتح شارع شاتيلا

---

(٤٠) Ibid.

(٤١) Ibid.

الرئيســي كان المقبل من صبرا يعتبر تقاطع صبرا مع شاتيلا أول شاتيلا، ونهاية شاتيلا التقاطع مع شارع السفارة الكويتية. أمّا بعد فتح الشارع، فأصبح المقبل من المطار أو من جهة البحر، على حد سواء، يدخل من ناحية شارع السفارة الكويتية، باعتباره هو المدخل الرئيسي لشاتيلا؛ وهكذا تحولت نهاية الشارع إلى بدايته.

أبــو جمــال، صاحب كاراج لإصلاح السيارات، كان أول من بنى محلاً كبيراً إلى يمين الشارع. قال يصف بعض معالم شارع شاتيلا على الجانبين قبل الاجتياح الإسرائيلي في حزيران/ يونيو ١٩٨٢:

> أول مــا يدخــل الواحد على شارع شاتيلا من السفارة كان هناك الفدائية على اليميــن والشمال، وبعدهم على اليمين بيت واحد من بيت المقداد إسمه أبو علي، وكان هــناك محل لإبنه في الداخل لصب الحديد، وأمّا على جهة الشمال فكان يوجد مكاتب، وبعدهــا كــان هناك منجرة، منجرة للشحرور، وجنب المنجرة كان كاراج كبير لفتح. بالمقابل كان في مطعم ومحل لصب الحديد، وهناك محل لشغل التريكو، وهو لشخص من عائلة العيتاني.
>
> وبعــد السير قليلاً هناك محلات كبيرة مستأجرة مخازن، ومقابلها كاراج حدادة وبويا على اليمين، وبعده محل لعائلة أبو خلف للميكانيك، وفي إلهم على الجنب الآخر مخــازن للميكانيك أيضاً. ولقدّام شوي كان هناك محل لشخص لبناني ومحل لشخص إســمه أبــو محمود لبيع ماكينات كبيرة آلات نجارة، مثل المناشير وآلات كبيرة كانت موجودة عنده، وكان يصلح ويعمل هناك، وكانوا على جهة الشمال، وقبالته كان هناك مكتــب يــنام فــيه الفدائية. وقربه كان هناك محل حدادة وبويا وهو لفلسطينية ببابين، وبجانــبه كاراج ببابين للحدادة والبويا أيضاً لجماعة فلسطينية، وبمواجهته على الشمال بيــت المقــداد، وبعــده هناك كاراج لعلي المقداد وهو ببابين. وهذا غير إبن أبو علي المقــداد، هــادا إبــن أبــو سهيل وهو من أقربائهم. وأمّا على جهة اليمين فكان هناك كاراجــي، وكــان إلي كمان منجرة كبيرة، وسكن للعمال خلف الكاراج وكان ينام فيه عمــال أردنــية. وأمــام الكــاراج علــى الشمال منجرة كبيرة تنتج المنجور الشرقي والكنبايات والموبيليا، ومقابل هاي المنجرة كان هناك دكاكين لفلسطينية، وعلى شمالهم كــان هناك جماعة من الجنوب فتحوا مطعم ومحل آخر لتلحيم الدواليب، ومحل لغيار الزيت، ومحل بالة لبيع الثياب المستعملة، وكلهم من الجنوب. وبالقرب منهم كان هناك محــل حــدادة كبير وهو لفلسطيني ويعمل جميع أنواع الحدادة وورش بنايات وشبابيك وأبواب، ومقابيله كان هناك دكان، وبجانبه مطعم كبير، ومحل حدادة مقابيله وصاحبه لبناني، ومقابل هادا المحل كان هناك محل لبيع الخضرة وأصحابه لبنانية من الجنوب.

> ولقدّام شوي مقابيلهم محل لبيع الفراريج والبيض وأصحابه جنوبية، ومحل ميكانيك وصاحبه لبناني من بيروت، وفوقه كان هناك معمل لشخص لبناني لصنع البسكوت وغيره وراحة، وهو يعمل للتصدير للخارج، ومقابيله لقدّام شوي كان هناك محل لبيع البسكليتات، ولحام، وحداد عربي يعمل شواكيش ومطارق وأزاميل لعمال البناء وهو محل لبيروتي...(٤٢)

يستمر أبو جمال في وصف المحلات وأصحابها.

ويتكرر وصفه للمهن نفسها في شارع شاتيلا الرئيسي في اتجاه الشمال، لكن يضاف إليها صيدليات ومحلات لإصلاح البرادات والغسالات، ولتركيب الزجاج، ولبيع الأدوات المنزلية، ولبيع الترابة للبناء، ولبيع الثياب الجديدة والمستعملة، ولبيع الأدوات الكهربائية من برادات وغسالات وتلفزيونات، إضافة إلى محلات بيع الطعام والشراب بالجملة والمفرق. حتى أثاث البيوت متوفر لكن لا للبيوت الفخمة كما يقول الراوي مازحاً، وإنما للبيوت الشعبية. أمّا أصحاب هذه المحلات فكانوا لبنانيين وفلسطينيين وسوريين.(٤٣)

شارع شاتيلا هذا كما وصفه أبو جمال وهو يضج حيوية ونشاطاً في مطلع صيف سنة ١٩٨٢، عاد إليه سكانه بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين فلم يجدوا فيه دماراً كبيراً كما توقعوا. صحيح أن بيوتاً تضررت أكثر جداً من غيرها، وبعض البيوت داخل المخيم تهدم، إلاّ إنه لم يكن هناك دمار كما كان يتوقع، وهذا بينما كانت "بيروت الغربية" خلال الاجتياح الإسرائيلي والحصار طوال تسعين يوماً تتلقى القذائف والصواريخ بالآلاف.

كان واضحاً لسكان المدينة أن هناك مناطق كانت مستهدفة أكثر من مناطق أُخرى، وأن هناك مناطق كانت غير مستهدفة على الإطلاق؛ وأمّا أن تكون "شاتيلا" غير مدرجة في لائحة المناطق المستهدفة بامتياز، فذاك أمر يخالف كل التوقعات، وبالتالي يثير التساؤل: لماذا؟ وماذا وراء ذلك؟

صحيح أن البيوت المهدمة كلياً لم تكن كثيرة العدد، لكن هذا لا يلغي ورشة استبدال الزجاج المكسر، وردم الحفر، وترميم الحيطان المثقوبة بالصواريخ، وتنظيف المنطقة كلها، وخصوصاً بعد أن جاءت سيارات مؤسسة أوجيه وقامت بتنظيف الشوارع الرئيسية فأزالت المتاريس ورفعت الأتربة والردم، وفتشت عن الألغام لإزالتها. وهكذا، سرعان ما تحولت المنطقة الشعبية شبه المهجورة في صيف الاجتياح إلى منطقة ترحب بسكانها الأصليين وسكانها الجدد؛ فكثيرون من المهجرين اللبنانيين الذين لم يتمكنوا من العودة إلى

---

(٤٢) POH. S/SH. No. 44 (231/T.44), as above.

(٤٣) Ibid.

قـــراهم المهدمـــة في الجنوب جاؤوا إلى شاتيلا يبحثون عن المكاتب الفارغة بعد خروج المقاومة، وعن الشقق الفارغة أيضاً بعد رحيل سكانها من المقاتلين.

ولكن..

خـــلال الأيـــام الدامية الثلاثة، خلال المجزرة، تحول هذا الشارع الشهير بالحيوية، شـــارع شـــاتيلا، إلى المسرح الرئيسي للمجزرة. استبيح فيه كل كائن حي، وكل حجر. والـــراوي أبـــو جمال نفسه هو الذي سنستمع إليه لاحقاً، وهو يقف في الشارع نفسه بعد حـــدوث المجـــزرة بســـتة أشهر يشير إلى أكوام المحلات التي دمرت، وتلك التي سُوّيت بالأرض، أو تلك التي أصبحت في خبر كان. كان أبو جمال يتحدث عن "المأساة"، مأساة الحجر، كما مأساة البشر.

تميزت منطقة صبرا من منطقة شاتيلا بعد المجزرة كما تميزت قبلها. فمنطقة صبرا لـــم ينلها من الدمار والحرث بالجرافات ما نال منطقة شاتيلا أيام المجزرة. كما أن تاريخ مـــنطقة صـــبرا تفوّق على شاتيلا تطوراً وعمراناً؛ فقد بني فيها في الستينات سوق كبيرة مـــنظمة لبـــيع الخضـــروات والفاكهة، وهي السوق التي اشتهرت باسم سوق صبرا. وقد شـــهدت إقـــبالاً من ربات البيوت اللواتي كن يأتين من مختلف أنحاء بيروت، كما شهدت ازدهاراً متواصلاً حتى كانت موجات الحروب الأهلية منذ منتصف السبعينات.(٤٤)

شـــهدت صـــبرا كذلـــك إنشاء مستشفى مأوى العجزة في منتصف الخمسينات، وقد اســـتكمل فـــي نهاية العقد، إلى الغرب من شارع صبرا الرئيسي، وفي شارع فرعي بين المديـــنة الرياضية وشارع صبرا يعرف بشارع غانا. كما شهدت إنشاء مستشفى غزة في السبعينات إلى الشرق من الشارع نفسه، بالقرب من تربة الداعوق. المستشفى الأول يملكه لبنانـــيون، والثاني يتبع الهلال الأحمر الفلسطيني. ولم يكن في مخيم شاتيلا نفسه مستشفى خـــاص، لكـــن أبناء المخيم والجوار كانوا يستفيدون من المستشفيات الثلاثة التي لا يبعد الواحـــد مـــنها كثيراً عن قلب المخيم. كان مخيم شاتيلا في نقطة وسط بين مستشفى غزة علـــى "حـــدوده الشـــمالية"، ومستشفى عكا على "حدوده الجنوبية"، أي في شارع السفارة الكويتـــية، ومستشفى مأوى العجزة الذي يقع إلى الغرب على بعد عشر دقائق سيراً، على الأكثر، من قلب المخيم.

مع الازدهار الذي شهدته منطقة شاتيلا في السبعينات، وخصوصاً بعد تعبيد الشارع ومـــد المجارير في منتصف العقد، شهدت المنطقة تضاعفاً في عدد المدارس، وفي إنشاء الأنديـــة العامة، ودور الحضانة، بعضها قام بجهود محلية، وبعضها الآخر قام بمساعدات أجنبية كالمركز الذي ساهم فيه النرويجيون والآخر الذي ساهم فيه الدانماركيون. ونشطت

(٤٤) POH. S/SH. No. 53 (231/T.52), as above.

اللجان المحلية والاتحادات العمالية والنسائية وما كان يتبعها من مراكز لتعليم الخياطة والتطريز، مساهمة في رفع الشأن الاقتصادي للأسرة، وفي الحفاظ على التراث الشعبي.

في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي للجنوب اللبناني سنة ١٩٧٨، نشأت حالة من القلق تحسباً لاجتياح آخر. وكان من نتائج هذا التحسب إقبال التنظيمات والفصائل الفلسطينية المتعددة على بناء الملاجئ. فما جاء الاجتياح الإسرائيلي سنة ١٩٨٢ إلاّ وكان هناك الكثير من الملاجئ، وهي الملاجئ التي بناها الفلسطينيون اتقاء لخطر الحروب. أمّا في المجازر، فتنقلب الملاجئ إلى سلاح مضاد؛ فهناك، في الملاجئ، سوف يدفن الناس أحياء أو أشلاء، أو يُخرجون منها بقوة السلاح كي يقتلوا عند جدار، أو في ساحة مكشوفة، أو في أي مكان يسهل فيه طمس المعالم بواسطة الجرافات.

رابعاً: خروج المقاتلين الفلسطينيين

كانت الذريعة الإسرائيلية الرئيسية لحصار صبرا وشاتيلا بقاء ألفين وخمسمئة مقاتل فلسطيني بعد خروج المقاتلين.

والواقع أن المصادر الإسرائيلية ابتدأت تتكلم على بقاء هؤلاء حتى قبل بدء خروج المقاتلين، كما أن العدد لم يكن دائماً هو العدد نفسه. وسأتطرق في فصول لاحقة، وخصوصاً في خاتمة الكتاب، إلى معالجة هذه الذريعة، ومدى صحتها، وأبعادها.

لكنني في هذا القسم الأول، القائم على شهادات السكان، أتوقف إزاء حكايات الخروج من بيروت، كما أتوقف إزاء وضعية السلاح. فلا أهمية لوجود مقاتل لا يمتلك سلاحاً، كما أن لا أهمية لمستودعات السلاح من دون وجود من يستطيع الوصول إلى هذا السلاح واستعماله.

تسلم كل مقاتل فلسطيني لم يكن من المصنفين بلاجئي ١٩٤٨ أمراً بالمغادرة؛ وحتى هؤلاء، أي لاجئو ١٩٤٨، الذين وفدت عائلاتهم أصلاً إلى لبنان مع أحداث النكبة، كان بينهم من غادر حكماً لكونه يعمل في صفوف جيش التحرير الفلسطيني، مثلاً، أو لكونه من المقاتلين المسؤولين. أمّا شباب التنظيمات، أي العناصر، والذين لا بد من أن يكون بعضهم شارك في القتال، فقد ترك لهم الخيار، أو القرار، كل وفق ظروفه، لكن مع إعطاء التوجيهات بأن يغادر منهم كل من كان مطلوباً للدولة اللبنانية، وخصوصاً أن "مجلس القضاء الثوري الفلسطيني" كان سلم الدولة اللبنانية كل الملفات والقضايا.

لم يكن صعباً على المقاتل الذي تلقى أمراً صريحاً بالمغادرة أن يلبي ذلك امتثالاً للأمر، وإيماناً منه بأن مصير الثورة الفلسطينية رهن بتجاوز تلك الأيام الصعبة، وبلمّ الصفوف من بعدها في تلك المنافي الجديدة.

لكن كان صعباً جداً على الشباب، الذين تُرك لهم القرار، أن يتخذوا هم القرار، كل بمفــرده، وخصوصـــاً أنه قرار يتعلق بالمصير. كان السؤال أمام كل منهم: هل يبقى، أم يرحل؟

إن هؤلاء الذين تُرك لهم أمر الخيار ينتمون عقائدياً إلى مختلف التنظيمات، كما أنهم مهنياً يتوزعون على مختلف المهن؛ كان منهم المقاتل والممرض والأستاذ والإداري، إلخ.

روى شاب فلسطيني من فتح عن تلك الأيام الصعبة، فقال إنه بينما كان الحديث عن توقيع اتفاقية مع فيليب حبيب في مرحلته الأخيرة، وصلت رسالة من القائد العام إلى جميع الأجهــزة، وكانت رسالة قصيرة جداً على ورقة بيضاء، وتحتوي على تعميم إلى الجميع بشـــأن المغـــادرة والبواخر، مع التشديد على عدم إثارة الفوضى؛ فالمنافي الجديدة ليست معروضة على الشباب كي يختاروا منها، بل كي يذهبوا إليها كما يؤمرون. وقال أيضاً إنه قـــبل تعمـــيم هذه الرسالة بيومين، في منتصف آب/أغسطس تقريباً، عقد القائد أبو جهاد الوزير اجتماعاً غير رسمي لمجموعة من الشباب الذين يعملون معه، وقد كان هذا الشاب بين الحضور، وروى أن "مازن"، أحد المجتمعين، سأل القائد: "يا أخ أبو جهاد ونحنا شو؟" وكـــان يقصـــد المقاتليـــن وغـــير المقاتلين، الذين هم أساساً من اللاجئين إلى لبنان، ماذا سيفعلون؟ ويروي المتحدث ما قاله أبو جهاد:

> رد عليه أبو جهاد حرفياً، وأنا بتذكر إنّو هاي الجلسة كانت ضيقة مش اجتماع موسع... وكنا نحنا القاعدين، في منا فلسطينية وفي لبنانية، وأكيد كلنا فتح، وكان يبدو إنّــو حتى يومها ما كاينين ماخدين قرار نهائي في اللجنة المركزية لفتح، بالنسبة لأهل ٤٨، يطلعوا واللاّ يبقوا. قلّو أبو جهاد يومها:
>
> "أنـــا شخصـــياً كـــأبو جهـــاد بفضّل اللّي منّو لبناني يترك، لأنّو نحنا وصلتنا تعهـــدات، حســـب مـــا بتعرفو، إنّو يبقوا الشباب اللبنانية، يعني لأنّو الوضع القانوني الموجـــود بالبلد بيحميهم... أنا كمان في شغلة بحب أكد عليها، نحنا طالعين باتفاق ما فـــي حـــدا منّا يرجع عاالبلد، وهاي شغلة كتير مهمة، الواحد رايح يترك أهلو ويترك عيلـــتو، ما منعرف الظروف كيف بتصير معانا، يعني الفلسطيني اللّي طالع ما ينسى إنّو أهاليه هون موجودة، وما ينسى إنّو المخيمات قايمة..."
>
> وحرفـــياً بعدنـــي بـــتذكر كلماتـــه: "بدكو تعرفو إنّو في سلطة مش رح تيجي تعمّرلكو بيوت وتفرشلكو السجاد."
>
> خـــافوا الحاضـــرين، خافوا إنّو اللّي رح يغادر، مش رح يرجع، وأهلو باقيين بالـــبلد، يعني رح يضلّوا لوحدهم. وصارت فوضى في الاجتماع. كل واحد كان عليه ياخد قراره.

المشكلة إنّو كيف أهالينا بدنا نتركها.. وين بدنا نروح، رايحين طالعين بالباخرة على شي مجهول. وهيك صارت الصورة، وهاي الصورة مش عم ينقلها واحد عادي، عم ينقلها أبو جهاد.. أكتر واحد كنا منوثق فيه. هو الوحيد كان بالنسبة إلنا القائد. وبصراحة.. عشنا بحالة رعب.. رعب.. رعب.[٤٥]

شـــاب فلســـطيني فتحاوي آخر كان يعمل في جهاز الممرضين العاملين في الهلال الأحمـــر الفلســـطيني، وقـــد حضـــر في الفترة نفسها اجتماعاً آخر في مدرسة الكوليدج بروتســـتانت، التـــي تحولـــت إلى مستشفى ميداني خلال الاجتياح. وكان الدكتور فتحي عـــرفات، رئـــيس جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، يرئس ذلك الاجتماع، وسأله الشباب السؤال نفسه الذي طرحه على أبو جهاد رفاق آخرون لهم. ولمّا سأله أحدهم بوضوح:

"يا دكتور فتحي، طيب بركي [ربما] إجا الجيش أخدنا؟"

رد علـــيه بالحـــرف الواحد فتحي عرفات: "إذا كنت ماشي أنا وبشير الجميل، ومشـــنكلني، وشفت الجيش اللبناني عم ياخد واحد، واحد منكو، أو إنت بالذات، أو أي واحد منكو، أنا ما رح أتدخل."

فتحـــي عرفات رد بهادا الرد على الشاب. يعني هيك ضعنا. أنا جيت عم بقول هـــيك للشـــباب اللّـــي ما كانـــوا معنا بالاجتماع.. فضعنا إحنـــا كلنا.. ضعنا إنّو ليش فتحـــي عـــرفات يقـــول هيك.. كنا متوقعين ممكن نتعرض للإهانات، لكن يتخلّو عنا بهاالطريقة؟ ..

كيف بدّي أوصف حالتنا؟

عشنا ضياع.. ضياع.. مش عارفين شو نعمل.. شو ممكن يصير.[٤٦]

ما بين الرعب والضياع، تولدت الأزمة في نفوس الشباب. شعروا من خلال كلمات أبـــو جهاد بأن سلامتهم الشخصية وسلامة أهاليهم والمحافظة على مؤسساتهم المدنية كان لها الأولوية في نفس ذلك القائد الثوري الكبير. هو لم يطلب منهم قط البقاء كمقاتلين، لكنه كمســـؤول وكإنسان أدرك أبعاد المرحلة، وأدرك أن هؤلاء الذين لجأوا أساساً إلى لبنان، وولـــدوا فيه، وعاشوا فيه، ليسوا في وضع يسمح لهم بالهجرة مجدداً مع أهاليهم، وهم لو خرجوا بمفردهم لاستحالت عليهم العودة.

طلـــب الشـــباب لقـــاء مع الرئيس، مع أبي عمار، لكنه اعتذر عن عدم الحضور،

---

(٤٥) POH. S/SH. No. 128 (245/T.98), as above.

(٤٦) POH. S/SH. No. 127 (239/T.97). Ibrahim I. Interview with author. Beirut: Author's house, September 11, 1999.

وأرسل نائب مسؤول الإقليم أبو محمد (فايز فريجي) كي يتحاور معهم. ولم يكن أبو محمد مقتنعاً في قرارة نفسه بما يقوله، ومن الطبيعي أن كلامه كان مشابهاً لكلام جميع المسؤولين، إلى الحد الذي دفع بالشباب إلى التفكير في القيام باحتجاج ما، بحركة ما، لكن كيف؟

كانت أبرز الأسئلة في رؤوس الشباب الذين يعرفون بلاجئي ١٩٤٨: "ماذا سنعمل غداً؟ من يوظفنا؟ لا أعمال لنا." وعشرات الأسئلة الأُخرى كانت تدور في الرؤوس.

مسؤولون عسكريون آخرون لم يقلّوا ارتباكاً عن العناصر الشابة. وقد روى أحدهم ما قاله قائد عسكري فلسطيني رفيع المستوى لثلاثة من الشباب الحائرين:

> والله صدقاً بعدني بتذكر كلماته عم ترن بإدني، ومليون مرة كنا نحنا نردد كلماته ونضحك. قال: "صحيح، شو يحكي الواحد؟ طب أنا رح أطلع، أنا مش عارف صدقاً يا إخوان، أنا مش عارف وين أروح. طالع بالباخرة مش عارف لوين." وراح بدل ما يهدّينا نحنا الشباب صرنا متوترين أكتر، وبعدين راح وهو قايل نكتته المشهورة عنّو: "يعني وين بدكو تروحوا؟ على اليمن؟ بُرتكالي [برتقالة] ما فيهاش."(٤٧)

بعد أن غادرت أول باخرة محملة بالجرحى، طلب الشباب لقاء موسعاً مع القائد أبو جهاد، فلبى طلبهم. تم الاجتماع في مقر للحزب السوري القومي الاجتماعي في منطقة الروشة. وبينما النقاش على أشده حدة وتوتراً، قال أبو جهاد:

> "ما فيني أقول لحدا يضل، أو يروح. نحنا عنا أهالينا هون، عنا أطفالنا، وعنا مخيماتنا، وعنا مستشفياتنا، وعنا مدارسنا، لكن أنا ما عم بقول للّي رح يبقى هون ما رح تيجي الدولة اللبنانية تعمّرلو بيت، وتعطيه معاش. الدولة يمكن تحبسه، مثل كل الأنظمة العربية، بدنا نواجه هالحالة." وما شفناه غير احتد وهو يقول: "أنا شخصياً ما بحب أترككم لوحدكم، أنا بحب ضل معكم، بس هيك صار، وهيك ظروفنا."(٤٨)

لم يحدد أبو جهاد أسماء الذاهبين ولا الباقين من الشباب المقيمين مع ذويهم منذ سنة ١٩٤٨، تاركاً لكل واحد أن يقدر ظروفه؛ فالمسألة في رأيه لم تكن مجرد مسألة سياسية، بل إنسانية قبل كل شيء.

ازدادت حيرة الشباب، واستمر الصراع داخل النفوس، فاقترح أحدهم أن يتوجهوا بسؤال أخير إلى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، شفيق الحوت؛ فهو أساساً من

---

(٤٧) POH. S/SH. No. 128 (245/T.98), as above.

(٤٨) Ibid.

لاجئي ١٩٤٨، ولعله يعطي الشباب ضوءاً ما. وهو كما وصفوه: "هو مش عسكري، لكنه قائد، وفلسطيني، ومن ٤٨"، وكانوا يعلمون أنه باق في البلد. بعثوا بسؤالهم مع أبو علي، أحد الحراس العاملين في مكتب المنظمة: "شو نعمل؟" وفي اليوم نفسه جاءهم الجواب: "اللّي بدّو يبقى في فاتورة بدها تندفع، والكفين لا بد منهم."(٤٩)

ما رواه الشابان الفتحاويان أعلاه، حدث ما يشابهه في التنظيمات الأُخرى. فهما كانا على صلات بأصدقائهما في تلك التنظيمات؛ ولم يكن الحال في أي منها، أفضل من غيرها.

غير أن الحكاية لم تنته بعد..

كثيرون من الشباب قرروا البقاء، ثم صمموا فجأة على المغادرة..

وكثيرون غيرهم اتخذوا قرارهم بالمغادرة، ثم عادوا عنه في اللحظات الأخيرة؛ وتلك هي الذكريات الوحيدة التي يروونها وهم يضحكون.

يروي خالد ما جرى لصديقين له، وما جرى له:

> في اتنين شباب صحابي، كانوا اقتنعوا مني إنهم يبقوا بالبلد، وكنا صرنا في الأيام الأخيرة، إجوا هدول الشبّين عليّ فجأة بالليل وأنا نايم، إجوني بنص الليل، وفتحوا عليّ الباب كإنهم جايين يقتلوني، وراح واحد منهم صارخ فيّ: "قوم، إنت جاي تتفلسف علينا، جايي تنظّر، بدنا ناكل كفين؟ بس كفين؟ هلّق سمعنا على راديو إسرائيل إنهم بدهم المرابطون يطلعوا من البلد، إذا المرابطون أهل البلد بدهم يطلعوا، نحنا وين نبقى؟"
>
> تاني يوم الصبح راحوا الاتنين بالموتوسيكل. رموه على الرصيف. وطلعوا بالباخرة على اللادقية.
>
> وكان واحد منهم قريبي، وإسمه خالد على إسمي، وما شفت إلاّ إمه جاي تاني يوم بطبخة بامية لأنها كانت عارفة إبنها بنام عندي مرات، وقلتلي: "خالد بحب البامية يا خالتي." وكنت مجبور أخبرها إنّو إبنها صار باللادقية.(٥٠)

خالد، الراوي أعلاه، مر هو شخصياً بتجربة مناقضة لتجربة قريبه الذي يحب البامية. كان كل يوم يكتفي بالخروج للوداع، لكنه ذات يوم قرر السفر، فرتب الحقيبة، وصمم على الرحيل بالباخرة التي أقلت أبو ماهر إلى اللاذقية. وكان ذاهباً مع رفاق آخرين له صمموا كلهم على السفر فجأة، وكان عددهم نحو عشرين شاباً، وكلهم من

---

(٤٩) Ibid.

(٥٠) Ibid.

مجموعــة شــباب أبو جهاد، وكانوا يرتدون البدلات الكاكي المطلوبة للرحيل، وكانوا هم أنفسهم يرتدونها بشكل طبيعي كل يوم، فلمّا اقتربوا من الباخرة رأوا قائدهم أبو جهاد واقفاً للوداع، وبالقرب منه صديق لهم يعرفونه كلهم، هو أحمد حسون، فما إن رآهم أحمد حتى لفت نظر أبو جهاد قائلاً له: "هاي مجموعة من الشباب."

نظر إليهم أبو جهاد ملياً، ولمّا وصل بعضهم إلى مقربة منه، قال لهم: "مسافرين يا شــباب؟ الله معكم. الله معكم." وقالوا له كأنهم صوت واحد: "لا، نحنا جايين نودع. نحنا عــادة منيجي نودع رفاقنا." ورد أبو جهاد ضاحكاً: "لكنكم حاطين على روسكم الحطات." وهنا "حبكت" مع أحدهم فقال صادقاً:

> والله للحق نحنا منقول ما عارفين رايحين واللاّ مش رايحين، نحنا عم نقول زي ما كنا نقول ونحنا صغار: "حَكرة بَكرة .. عد للعشرة .." من هون لباب سلم الباخرة، فإذا كنا عدينا العشرة منطلع، وإلاّ ... منرجع.(٥١)

ضحك أبو جهاد. وعاد هؤلاء الشباب من المرفأ، لكنْ من دون أن يعدوا العشرة في ذلك اليوم كما فعلوا في الأيام السابقة.

حكايــة ثالــثة لشاب آخر اسمه خالد ع. فاسم خالد من الأسماء الشائعة بين الشعب الفلســطيني. خالد هذا نوى السفر لكن من دون أن يعلن ذلك خجلاً. فهو لم يقل لأحد أنه مســافر. خبأ وجهه بالحطة الحمراء بحيث لم يظهر من وجهه غير عينيه، وحرص على تغيــير صــوته، فلــم يعرفه أحد فعلاً حتى كانت اللحظات الأخيرة ... هناك في الميناء، وعلــى بعــد خطوات من سلم الباخرة، كانت امرأة جارة له تنزل يومياً لوداع من تعرف ومــن لا تعرف، وهو طالما صادفها هناك، أمّا هذه المرة ففوجئ بها وهي تقول له: "شو يــا خــالد؟ شــو؟ ما حد خبرنا إنك مسافر؟" ورد خالد: "لأ، أنا جاي أودع غيري." ولم يسافر.(٥٢)

إبراهــيم، الممــرض المسؤول في الهلال الأحمر، كان سجل اسمه للسفر بالباخرة الأولى المحملة بالجرحى، وجاءه كل الأصحاب مودعين في الليلة الأخيرة قبل السفر. لكن مــا إن صعد إلى الباخرة حتى تذكر أمه وأباه وأخواته، فكيف يتركهم جميعاً؟ كيف؟ وفي لحظــة نــادى غــيره ليكمل المسؤولية، ونزل من الباخرة ليعود في سيارة بيجو تخص مسؤولاً في الصليب الأحمر اللبناني.(٥٣)

---

(٥١) Ibid.

(٥٢) Ibid.

(٥٣) POH. S/SH. No. 127 (239/T.97), as above.

أبو محمد، أحد شباب أبو جهاد، رتب الحقيبة وترك في الغرفة بقية أغراضه ليستفيد منها من يسكن بعده، وقال لصاحبة السكن المسنة، أم سعيد المغربي، أنه مسافر، وودعها، وودعــته وهي تبكي. لمّا وصل إلى الميناء في عز "العجقة" تردد، وما إن رأى رفيقاً له على دراجة نارية حتى أعطاه الحقيبة وطلب منه أن يعيدها إلى غرفته، فهو عندما يسافر لــن يحتاج إليها، وكان فعلاً لم يقرر بعد، أيغادر أم لا. وصل إلى نقطة معينة حيث كانت تقــف شاحنات للجيش اللبناني، وكان على المغادرين أن ينتقلوا إلى إحداها. وفعلاً صعد درجتين، ثم قفل نازلاً بحجة أنه نسي شيئاً. ما إن وصل إلى غرفته في اليوم نفسه، حتى وجد أم سعيد، المرأة المسنة التي بكت لفراقه، قد رتبتها وأجّرتها لغيره.[٥٤]

كانت مرحلة أصعب من مرحلة الاجتياح.

الكــبار مـــا عـــاد لديهم أجوبة. والعناصر باتت تشعر بشيء من الخوف من طرح الأسئلة، فضلاً عن عدم ثقتها بتلقي أجوبة حاسمة. كانت مرحلة لا يمكن وضع عنوان لها أفضل من عنوان الضياع.

تفصـــيلات كثيرة بقيت عالقة في الهواء ... منها أن نصف المخيمات مدمر، ومنها أن نصـــف اللاجئين مهجر من جديد، فكيف يمكن تأمين الحماية؟ كان يجب تأمين عودة اللاجئيــن إلـــى مخيماتهم، وتأمين مسألة إعمار المخيمات لتأمين حمايتها. ويصف أحدهم الحالة:

> لمّـــا طلع بشير كانت صدمة. وكان أهم هاجس بين شعبنا هل إنّو بشير ضامن الاتفـــاق وموافق عليه، موافق على مجيء قوات متعددة الجنسيات للحماية. كان بشير الجمـــيل يحكي عن فواتير الكهربا والمي، ما يحكي عن أشيا تانية، يعني شو عن أمن المخـــيمات؟ القوات الدولية أساساً بتأتمر بأمر الدولة، يعني بشير الجميل ناوي يطلب منها تحمي المخيمات؟ شو ناوي يعمل؟
>
> نحـــنا ما كنا في هاي المرحلة نقدر نلاقي أبو عمار حتى نسأله، في الأول كان أي واحـــد يشـــوف أبو عمار كل يوم في الاجتياح، في أي وقت يطلب موعد، أو كان يشـــوفه مـــن دون موعـــد، هلّق ما عاد في مجال، وكتير من المسؤولين ما عاد فينا نشـــوفهم. أنا من اللّي كنت بتمنى أعرف جواب عن موقف بشير الجميل، موافق على القـــوات الدولـــية ولاّ لأ؟ نحـــنا كمقاتلين في فتح ما كنا نوجه الأسئلة رأساً عادة لأبو عمار، لكن عبر المسؤول التنظيمي اللّي تابعين إلو، هادا نفسه ما عاد يقدر يشوف أبو عمار. نحنا مسؤولنا العسكري والمشرف على المنطقة كان نبيل معروف (صار بعدين ســـفير للمـــنظمة في مدريد)، وكنا نعرفه بإسمه الحركي عبد المحسن الزعتر، وكان

---

(٥٤) POH. S/SH. No. 128 (245/T.98), as above.

مسؤول لجنة الإقليم، وواحد من المقربين لأبو عمار. وما أعطانا جواب عبد المحسن. قال قدّامي مرة وبحضور عدد من الإخوان ما معناتو "عسكري .. مدني .. مش مهم.. دبِّر راسك"، ورجع قال: "أنا صرلي يومين عم أحاول أشوفو مش قادر."(٥٥)

الواقــع أن أبو عمار قال رأيه محدداً وواضحاً في اجتماع أخير لقيادة الإقليم، وقد نقـل المســؤول فايــز فريجي، الذي كان حاضراً بحكم موقعه، تفصيلات الاجتماع إلى إخوانه، وردود أبو عمار على الأسئلة. وهذا ما يرويه أحدهم:

ســؤالين أمام أبو عمار: نحنا لوين رايحين؟ إذا رحنا نحنا، الباقيين شو؟ سؤالين كانوا مهميــن يجاوب عليهم. وهاي نقلاً عن فايز لأنّو حكالنا الاجتماع بتفصيله وكان أمين بــنقل الاجــتماع لأنّو هوّ باقي معنا بطبيعة الأمر، ونحنا في أي وقت رح نقولّو إنت قلــت هــيك. كــان فايز يخبرنا إنّو أكتر من مرة سأل أبو عمار عن الضمانات، كان يقــول: "أنــا الضــمانات، أنا عندي الضمانات." وكان يدق على جبينو، ويؤشر على جبينتو، "الضمانات هيّاها موجودة هون [يقصد مكتوبة وفي جبينته]، وما حدا رح يقرّب عليهــن [يقصد على المدنيين]". وهادا الكلام انقال وتكرر في الاجتماع اللّي انعقد بعد انتخاب بشير الجميل طبعاً.(٥٦)

لمّا اقتنع مسؤول مثل فايز فريجي، تمكن من إقناع الشباب. وقد وصف لهم موقف أبــي عمار في تلك الجلسة، فقال عنه: "كان حازماً بكلامه". وفي تنظيمات أُخرى عقدت اجتماعات مماثلة، كما كان الشباب يتحدثون مع بعضهم، ويتبادلون المخاوف والأخبار.

كثــيرون مــن القيادييــن حلقوا ذقونهم وكانوا مستعدين للرحيل، وخصوصاً من القيادات الوافدة في السبعينات. وقد أثار تصرفهم هذا غضباً في نفوس الباقين، وإن يكن غضــباً بغــير وجه حق؛ فهؤلاء كان مطلوباً منهم الرحيل من دون إبطاء. لكن هذا لم يمنع الشباب الباقين مع أهاليهم من أن يتطاولوا عليهم. وكما قال أحدهم: "جيتوا وخربتو أوضــاعنا، وهلّق رايحين وكإنّو ما في شي صار؟" وسيطرت حالة غير طبيعية، حتى كــاد يحــدث شقاق في صفوف "فتح" بين المدعوين بجماعة ٤٨ وجماعة ٦٧، غير أن الأمــور سويت بشيء من العقل. كذلك استدعت الأوضاع عقد عدة اجتماعات للكوادر كلهــا، وكان من أكبر الاجتماعات ذاك الذي عقد في أحد مباني الروشة، وضم مختلف ممثلي الاتحادات.

---

(٥٥) Ibid.

(٥٦) Ibid.

خامساً: السلاح في مخيم شاتيلا والجوار

كم كان داخل مخيم شاتيلا والجوار، أو كم كان داخل المنطقة التي حاصرها الجيش الإسرائيلي منذ فجر يوم الأربعاء في الخامس عشر من أيلول/ سبتمبر، من سلاح؟

لا بـد، بدايـةً، مـن إلقاء الضوء على موضوع السلاح لدى التنظيمات الفلسطينية بصورة عامة، في أعقاب خروج المقاتلين من بيروت.

كـان فـي حيازة منظمة التحرير الفلسطينية مستودعات كبيرة للسلاح، موزعة في مـناطق متعددة من "بيروت الغربية". وقبل أن يغادر رئيس المنظمة، ياسر عرفات، في أوائـل أيلـول/ سـبتمبر، تم تسليم معظم هذه المستودعات لقوى وأحزاب لبنانية وطنية، وخصوصاً تلك العاملة في "القوات المشتركة" التي ضمت مقاتلين لبنانيين وفلسطينيين.

أمّـا نوعية السلاح فكانت متنوعة: منها التشيكا، وهو مدفع مضاد للطيران يوضع فـوق الدبابـات؛ ومنها تشيكا رباعي عياره ٢٣، من أهم المضادات للطيران، وكان قد وصل حديثاً من الاتحاد السوفياتي؛ كذلك سلمت كميات من قذائف الكاتيوشا والغراد؛ كما وزع الكثير من السلاح الفردي.(٥٧)

أمّـا مـا كـان فـي عهدة "الشباب" باعتباره سلاحاً خاصاً لهم، فقد احتاروا في كيفية التصـرف فيه؛ إذ لم تكن القيادات وضّحت لعناصرها قبل الرحيل ماذا على المتبقين منهم أن يفعلوا بالسلاح الفردي. وهذا ما جعل كل مجموعة تجتهد وتتصرف بما يتناسب مع الأوضاع.

مجموعـة مـن الشباب اتفقت فيما بينها على خطة للمحافظة على هذا السلاح. وقد جمع ما بين أفراد هذه المجموعة صفتان: إحداهما الانتماء إلى تنظيم فتح، والثانية تجربة تـل الزعـتر المريـرة؛ فهم من الذين اضطروا بعد سقوط المخيم على أيدي الميليشيات اللبنانـية المسيحية في صيف سنة ١٩٧٦، إلى هجرة جديدة. وكان نصيبهم مع عائلاتهم الهجرة إلى الدامور، البلدة الساحلية بين صيدا وبيروت. لكنهم اضطروا إلى الهجرة مرة أُخـرى، بعـد أن زرع الجيش الإسرائيلي آلياته على الطريق الساحلي من الجنوب حتى بـيروت، منذ حزيران/ يونيو. وهكذا توزعوا في منازل وغرف موقتة في مناطق متعددة من "بيروت الغربية"، إلى أن تنتهي الحرب وتنجلي الأوضاع.

اتفق أفراد هذه المجموعة على المحافظة على أسلحتهم الفردية من أجل الدفاع عن الـنفس، وتحسباً للمجهول، ما دام الجيش الإسرائيلي في هذه المنطقة أو تلك من أطراف بيروت

---

(٥٧) POH. S/SH. No. 121 (231/T.92). “Abu Muhammad”. Interview with author. Beirut: Narrator’s office, November 15, 1998.

أبو محمد، أحد أفراد هذه المجموعة، وأحد الذين تحملوا في أثناء الاجتياح مسؤولية الحفـاظ على مستودع كبير للسلاح تابع لفتح، ثم مسؤولية توزيع معظم هذا السلاح على الأحـزاب اللبنانية، روى بالنسبة إلى ما تبقى من السلاح الخفيف في المستودع، أنه اتفق مـع خمسـة مـن رفاقه على تركه في مكانه. أمّا في حال سفر أحدهم، أو مقتل أحدهم، فالبقية من أفراد المجموعة تعرف المكان.(٥٨)

أبـو خليل، شاب آخر من المجموعة "الفتحاوية" أعلاه، روى جانباً آخر من تجربة المجموعـة فـي المحافظة على السلاح الفردي الذي كان في عهدتهم وبين أيديهم خلال الحرب. فهو قد ارتأى معهم أن ينقلوا ذلك السلاح إلى داخل شاتيلا، على الرغم من أن أياً منهم لم يكن من سكان شاتيلا. وهو يقول:

> بعد خروج المقاتلين بلّشنا نجمع سلاحنا الفردي وقررنا نخبيه لأنّو مش عارفين شـو رح يصـير. ما كان في مسؤولين نرجع إلهم. نحنا الشباب بقلب بعضنا البعض قررنا. يعني قبل خروج المقاتلين ما صار في تداول أبداً شو نعمل بالسلاح الفردي.
>
> نحـنا افـتكرنا نخبـيه فـي شاتيلا، لأنّو كنا نفكر إنّو أكتر الأماكن أمان هيّ المخيمات، لكن ما كان في حدا منا من سكان شاتيلا، ونحنا كنا منعرف شاب فلسطيني قريـب لواحد من مجموعتنا من سكان الحرش، إسمه محمد وكانوا ينادوه شيخ محمد، قال إنّو هوّ مستعد بأرض بيته إنّو يخبيه، وبيته داخل الحرش مطرح المجزرة أول ما بلّشـوا فيها بعدين، وقدّام البيت في أرض دار كبيرة. هادا الشاب ما كان من فتح لكن نحنا كان عنا ثقة فيه.
>
> بلّشـنا نجمـع السـلاح وشحّمناه ووضبّناه، يعني غلّفناه حتى ما يصدي لأنّو بدنا ندفـنه بالأرض، ودفناه بالأرض قدّام بيت شيخ محمد. كنا نعبّيه بالشحم ومنلفّو بالنايلون ومـنحطه بدولاب شمبريير جوّاني ومنسكر عليه من هون ومن هون. أو متل ما بيقولوا "دولاب الـبحر"، كـنا مـنخزقه مـن جهة ومنفوته بقلبه ومنسكره من الجهتين ومشحم ومـنزّلـه بـالأرض. كان في كمية منيحة. يعني الكمية كنا مجموعة شباب صحاب كل واحـد عـنده كلاشين أو اتنين، كل واحد كان يزبّطن وينقّان، وكان في قاذف بي سفن، وكـان فـي ديكتريوف جديد. كان في بواريد جديدة للتنظيم هاي كانت جاي من الصين. يعني كلاشين صيني، هاي سلمونا اياها من المستودعات. وما كان حدا منا استعملها.
>
> دفنا السلاح في أرض الدار البرانية، وحطينا فوقه صبّة باطون رقيقة.
>
> كمـية السلاح اللّي دفناها بتذكر، أنا كان عندي بارودتين ومسدس، وكل واحد

---

(٥٨) Ibid.

مــن صحابي الشباب، وكانوا شي خمسة ستة، نفس الشي، لكن دفنا كمان مع سلاحنا الكلاشينات الصينية الجديدة، ودفنا قاذف بي سفن وقاذف بي ٢، هادا للدبابات للآليات لكن أقل مفعول من بي سفن.

دفناهم بيوم واحد لأنّو الصبّة بيوم. وكان آخر يوم أحد قبل مقتل بشير الجميل.(٥٩)

مســاء الأحــد في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، نام هؤلاء الشباب بأمان نسبي، لأنهم باتوا يعتقدون أن سلاحهم في أمان، وأنهم حين يحتاجون إليه في أي وقت، ما عليهم ســوى أن يكسروا صبّة الباطون الرقيقة، ويخرجوا السلاح وينظفوه؛ وهذه عملية قدروا أنها تحتاج إلى ثلاثين دقيقة على الأكثر.

لكن السؤال: هل تمكنوا من الوصول إلى مكان السلاح أيام المجزرة؟ وأين كانوا هم أساساً في تلك الأيام؟ وهل تمكن غيرهم؟

والسؤال الأهم: ماذا عن السلاح في مخيم شاتيلا؟ وفي منطقة شاتيلا كلها؟

لــم تكــن مــنطقة المخــيمات الفلسطينية من المناطق الآمنة إطلاقاً خلال صيف الاجتــياح، لذلــك كان المطلوب إخراج السلاح المخزّن فيها، لا العكس. أمّا مخيم شاتيلا بــالذات، فكان موقعاً شبه مهجور لتعرضه للضرب المتواصل، كما كان هناك خوف من تدمــير المخيم، وهذا ما أدى إلى إخراج القسم الأكبر من السلاح المخبأ في المستودعات منذ بدء الاجتياح لدى مختلف التنظيمات.

ولذلــك، لم يكن هناك في شاتيلا الكبرى كلها حين البدء بالمجزرة سوى مستودعين للســلاح (وهما المستودعان اللذان قام المسؤولون عنهما بتفجيرهما كما سيرد لاحقاً). أمّا بالنســبة إلى السلاح الفردي، فالسكان لم يعرفوا حقاً ماذا يفعلون به، إذ إن القيادات التي رحلت لم تعط أوامرها بهذا الشأن، كما ذكرنا سابقاً. وحتى القيادات المحلية التي بقيت لم تعط أية أوامر وتوجيهات أيضاً، واكتفت بالإبقاء على بعض السلاح داخل مكاتبها للدفاع عن النفس حين الضرورة.

روى أبو محمد عن تخلُّص الناس من السلاح، ظناً منهم أن في ذلك الأمان:

الــناس خافــت فــي المخيم بعد خروج المقاتلين، صارت تكبّ السلاح، صار المخــيم هــو المستهدف، خافوا لأنّو المخيمات رح تصير عرضة للتفتيش وللمداهمات فصاروا الناس يكبّوا السلاح، وخصوصاً بعد ما دخلت إسرائيل، وكان منظر مؤلم جداً لمّــا الواحــد كان يلاقي في المزابل وفي أكوام الردم هون وهناك في شوارع بيروت

---

(٥٩) POH. S/SH. No. 122 (231/T.93). "Abu Khalil". Interview with author. Beirut: Author's house, November 22, 1998.

بـــارودة ولاّ مســـدس ملفــوف عشرين لفة بورق الجرايد واكياس نايلون. والناس في صـــبرا وشـــاتيلا كمـــان رمـــوا سلاحهم أو خبّوه بعشرين طريقة خوف من إسرائيل ومـــيكروفوناتها اللّـــي كانت عم تزعق "هاتوا سلاحكم وتعوا على المدينة الرياضية"، و"سلّموا بتسلموا".

لكـــن ما ننسى إنّو ما كان في المخيم أصلاً كمية السلاح اللّي ممكن يتصورها الناس، لإنّو المخيم كان طول الحرب شبه مهجور أو مهجور بالكامل.

أكـــيد داخـــل المخـــيم وقت الاجتياح ما حدا خزّن أو دخّل سلاح جديد لداخل المخيم. بالعكس، كانت الفكرة إنّو نطلّع السلاح من المخيم لأنّو المخيم مستهدف أكتر، تعالو نبعد شوي.

وبعد ما رحلت القيادات كان واضح إنّو المخيم هو المستهدف الأول من الجيش اللبناني، وتصور الناس إنّو أكيد عن قريب بدهم يدوْروا على سلاح.

يعني شاتيلا ما كان فيها غير السلاح الموجود بالمكاتب، يعني سلاح للحراسة.(٦٠)

ورد في مذكرات المسؤول في الجبهة الشعبية، الرفيق حسين، عن أوضاع شاتيلا ما يؤكـــد أقـــوال كل من أبو محمد وأبو خليل (وكلاهما من تنظيم فتح)، أعلاه، بالنسبة إلى السلاح:

لـــم يتم تجريد المخيم من السلاح، ولكن الجيش اللبناني قام بمداهمات للأحياء السكنية وكـــثر وجـــود قطع السلاح المختلفة على "المزابل" وبشكل لافت... لا شك بأن بعض الأفراد قامت بتخبئة ودفن قطع سلاح مع ما يعني ذلك من خطورة على الأسرة. ولكن الشـــكل العـــام كـــان التخلص من السلاح ... أمّا مستودعات الأسلحة فقد تم إهداؤها للحركة الوطنية اللبنانية من مرابطون والحزب الشيوعي... إلخ.(٦١)

أبـــو جمـــال، مـــن أصـــحاب المحلات في شارع شاتيلا الرئيسي، وليس من أبناء التنظيمات، تقدم بوصف حي لما كان عليه الوضع بالنسبة إلى السلاح والمسلحين. قال:

فـــي نهاية الاجتياح عدنا، صلّحنا المحلات، بقيت أسبوعين أصلّح، ما تجرأ ولا شـــاب مـــن أي منطقة إنّو ينزل على المخيم، ولا كانوا أهل المخيم يبقّوه في المنطقة. أهـــل المخـــيم نفسهم قالوا ما منريد مسلحين، وإسرائيل قريبة منا، ونحنا غير قادرين على أحد، وكلنا عنا اطفال ونسوان، واسمحولنا ما بدنا مسلحين بينّا...

وصـــاروا أهل المخيم يقولوا للّي كانوا بدهم يضلّوا حاملين سلاحهم: "يا عمي

---

(٦٠) POH. S/SH. No. 121 (231/T.92), as above.

(٦١) حسين ب.، " مذكرات مخطوطة" (١٩٩٩)، ص ٧.

الله يرضـــى علـيك إنــت بتريد تحمل السلاح، إخفي سلاحك وروح من هون، نحنا جماعة مسالمين وما بقى عنا شباب تقاتل، وما بدنا ولا طلقة واحدة من المخيم." وفعلاً هــادا اللّي صار، وما كانت تطلع طلقة واحدة من المخيم بعد عودة الناس لبيوتها، وما عدنا نشوف مسلحين دايرين زي زمان أبداً. وكل هادا الكلام، ما كان لسّا وصل جيش لبناني بعد، لا جيش ولا حدا.

أهــل المخــيم ذاتهــم اللّي بقيوا واللّي رجعوا ما عادوا يتحملوا وجود مسلحين لأنهــم كانوا يقولوا عِنا اطفال، وبيوتنا مهدمة وكلها بدها تصليح، وما عاد فيها بيوتنا تحمل ضرب.

وأكــيد، وأنا سمعتها من ناس كتار، إنّو طول تشريد الناس بالحمرا أو بالروشة أو بأي مكان، علّمهم إنّو بيوتهم مهما كانت صغيرة، ومهما كان بدها تصليح، لكن فيها بيشــعروا بالأمـــان، لأنهم كلهم مع بعض. يعني اللّي بدّي أقوله إنّو كتير ناس سكنت بــيوتها والمـــي لسّــا ما في، وكهربا ما في، والشبابيك مخلعة، وكانوا في عز ورشة التصليح لمّا صار اللّي صار.(٦٢)

قالت نوال، الممرضة في الهلال الأحمر:

أنـــا بثبّت إنّو ما كان في سلاح، لأنّو المقاتلين لمّا غادروا جرّدوا المخيم من السلاح. المقاتلين نفسهم جمعوا السلاح لمّا غادروا. أنا شفت جيرانًا بعيني عم بدوروا من بيت لبيــت، وعم يسألوا. ولو كان عنا سلاح، لكنا قاومنا. لكن نحنا مش مقاتلين، والمقاتلين طلعوا.(٦٣)

قالت أم أكرم، وهي زوجة فدائي:

أنـــا كنـــت أتجول بصبرا وشاتيلا ما بقي ولا مقاتل، أنا بعرف الناس، أنا بنت المخيم، وزوجـــي مقاتل من جماعة التمانية وأربعين، يعني ما عاد رجّال صغير، هو من اللّي بقــيوا واللّـــي ســلّموا سلاحهم. يا ربي. لو في مقاتلين ما صار فينا اللّي ما صار في الغابات.(٦٤)

(٦٢) POH. S/SH. No.44 (231/T.45), as above.

(٦٣) POH. S/SH. No. 42 (238/T.42). Nawal H. Interview with author. Beirut: Author's house, March 15, 1983.

(٦٤) POH. S/SH. No. 19 (249/T.22). H. Sh. (Um Akram). Interview with author. Beirut: Author's house, February 24, 1983.

يتضح من المقتطفات أعلاه أن منطقة "شاتيلا الكبرى" لم تكن موضع أمان بالنسبة إلى السلاح منذ بداية الاجتياح الإسرائيلي لبيروت في السادس من حزيران/ يونيو ١٩٨٢. فهي منطقة لم يخزّن فيها أي سلاح جديد طوال ذلك الصيف، بل على العكس من ذلك، فقد باتت عرضة لإخراج السلاح منها حفاظاً على السلاح نفسه في حالة الحرب. أمّا بعد الانتهاء من الحرب وخروج المقاتلين الفلسطينيين، فقد بات الهدف من إخراج ما تبقى من السلاح الحفاظ على السكان المدنيين.

بمعنى آخر، كان إخراج السلاح عملاً إفرادياً طوعياً، ولم تكن منطقة شاتيلا خضعت بعد لتجريدها من السلاح من قبل السلطات اللبنانية المعنية الرسمية؛ ربما لأن الأحداث داهمتها قبل أن تداهمها عمليات التفتيش (وقد تمت هذه لاحقاً بعد المجزرة). لكن هذا كله لا ينفي أن بعض التنظيمات وبعض الأفراد المسؤولين من سكان صبرا وشاتيلا تمكنوا من أن يحافظوا على سلاحهم الفردي. وسيتضح معنا أن ما أمكن استعماله من سلاح من قبل أصحابه، بالإضافة إلى السلاح المحدود الذي تمكن البعض من جلبه سريعاً من خارج المنطقة في اليوم الأول، وفي منطقة الحرش من دون سواها، كان لهما الأثر في عمليات التصدي التي سنعالجها لاحقاً.

سادساُ: السكان

كم كان عدد السكان؟ وما جنسياتهم؟ هؤلاء الذين كانوا من شهود المجزرة، أو ضحاياها.

ليس من السهل معرفة العدد، لكن يمكن تقديره انطلاقاً من العدد المعروف قبل الاجتياح الإسرائيلي في ذلك الصيف، وانطلاقاً من مجريات الأحداث بعد ذلك.

تضاعف عدد السكان في المخيم، أو بالأحرى في منطقة المخيم، أي شاتيلا وكل الأحياء الملاصقة لها والقريبة منها، والتي كانت مسرحاً للمجزرة، ما بين أوائل السبعينات وأوائل الثمانينات، أي خلال عقد واحد من الزمن، نحو ثلاث مرات: من ستة آلاف أو سبعة آلاف نسمة تقريباً إلى ما يزيد على العشرين ألف نسمة. مع بدء الاجتياح الإسرائيلي.

أمّا جنسيات السكان، فلم تكن كلها فلسطينية كما يعتقد. ذلك بأن سكان منطقة الحرش، "حرش ثابت"، كانوا، كما مر معنا، خليطاً من لبنانيين وفلسطينيين. وكذلك معظم الأحياء المتجاورة التي تؤلف "شاتيلا الكبرى"، لكن مع استثناء مخيم شاتيلا الصغير نفسه.

كان سكان شارع شاتيلا الرئيسي من جنسيات عربية متعددة. فبالإضافة إلى اللبنانيين والفلسطينيين كان هناك سوريون ومصريون وأردنيون، وغيرهم.

أمّا بيوت السكن في المنطقة ما بين المدينة الرياضية وشارع شاتيلا، فكانت في معظمها إلى جانب الطريق للفلسطينيين. وأمّا خلف المدينة الرياضية، فكانت البيوت في أغلبيتها للبنانيين. كذلك كان هناك بيوت للسوريين والمصريين، ولآخرين لم تكن الدولة اعترفت بهم إلاّ كمقيمين على الأراضي اللبنانية لا يتمتعون بأية جنسية، ويطلق عليهم في الملفات الرسمية أن جنسيتهم "قيد الدرس"!(٦٥)

أمّا البناء خارج شاتيلا الصغرى أو المخيم، فقد كان يتطور بسرعة أكثر من البناء داخل شاتيلا؛ فهو وإن ابتدأ من الحجر والزينكو، لكن سقف الباطون حل محل الزينكو مع الأيام، كما أصبح بعض الأبنية يتألف من طبقتين.

من الطبيعي أن منطقة مستهدفة كصبرا وشاتيلا فرغت من الكثير من السكان طوال أشهر الصيف التي شهدت الاجتياح الإسرائيلي، لكن كثيرين من السكان عادوا يصلحون بيوتهم بعد توقيع الاتفاقيات وخروج المقاتلين، حتى بات من المألوف رؤية الشوارع الرئيسية والضيقة مزدحمة بالسكان. ويقدر البعض أن ٧٠٪ من السكان عادوا، ويقدر البعض الآخر أكثر أو أقل قليلاً. وإجمالاً، وبناء على شهادات متعددة، تتراوح النسب التقديرية للسكان الذين عادوا بين ٦٠٪ و٧٠٪.

سابعاً: موقع المجزرة و"حدودها"

موقع المجزرة الشهير بمخيمي صبرا وشاتيلا لا ينطبق، في حقيقة الأمر، على الواقع الجغرافي لمكان المجزرة وحدودها التي وصلت إليها؛ فالتسمية أساساً اختلط فيها شيء من الواقع بشمولية في التعميم.

بدايةً، هناك خمسة أخطاء في التعبير المتداول "مخيما صبرا وشاتيلا". والإشارة إليهما بصيغة الجمع حين يقال "مخيمات صبرا وشاتيلا"، توحي برهبة أكثر، وبأهمية أكبر، غير أنها لا تنطبق على الواقع.

فما هي الأخطاء الخمسة؟ وما هو الواقع؟ وما هي حدود المجزرة؟

الخطأ الأول هو القول بوجود مخيمين للفلسطينيين في هذا الجزء من مدينة بيروت، ولا أقل منه القول بوجود مخيمات. الحقيقة أنه لا يوجد في هذه المنطقة مخيمات، ولا يوجد حتى مخيمان. هناك مخيم فلسطيني واحد هو مخيم شاتيلا. أمّا القول مخيم صبرا فهذا ليس صحيحاً، إذ لا يوجد هناك إطلاقاً مخيم اسمه مخيم صبرا؛ فالمنطقة السكنية المعروفة بصبرا هي منطقة لبنانية شعبية، يخترقها شارع تجاري طويل، وهي المنطقة

(٦٥) POH. S/SH. No. 44 (231/T.44), as above.

التي تمتد من الطريق الجديدة شمالاً إلى شاتيلا جنوباً. ويسكن صبرا لبنانيون وفلسطينيون وسواهم، لكنها قطعاً ليست مخيماً فلسطينياً، ولا منطقة فلسطينية.

الخطأ الثاني هو الاكتفاء، أحياناً، بذكر مخيم شاتيلا مع تجاهل الأحياء اللبنانية المتعددة المجاورة له، والتي كانت مسرحاً للمجزرة. ذلك بأن مخيم شاتيلا لا يحتل في حد ذاته سوى منطقة محدودة تبلغ مساحتها نحو خمسة عشر ألف متر مربع، لا أكثر. ولا يشكل المخيم أكثر من عُشر المنطقة الكبيرة المحيطة به، والتي باتت تعرف بمنطقة شاتيلا، استناداً إلى تسمية الكل باسم الجزء. وتشمل المنطقة المجاورة لمخيم شاتيلا أحياء شعبية متعددة، أخذت تحيط به بمرور الزمن، وهي حي فرحات وحي المقداد وحرش ثابت جنوباً، وشارع شاتيلا الرئيسي مع المنطقة خلف المدينة الرياضية غرباً، وحي عرسال والحي الغربي في الجنوب الغربي. لذلك فالقول إن المجزرة استهدفت مخيم شاتيلا وحده قول مخالف للواقع، فهي قد استهدفت المخيم الفلسطيني بالتأكيد، لكنها طالت أيضاً الأحياء المجاورة له جميعها، بما فيها الجزء المحاذي من صبرا شمالاً حتى مستشفى غزة.

الخطأ الثالث هو الإيحاء بأن سكان "منطقة المجزرة" كلهم فلسطينيون، وبالتالي فهم قطعاً ككل اللاجئين في مناطق المخيمات "إرهابيون"، أو يختبئ بينهم "الإرهابيون". وهذا الخطأ تدحضه الجغرافيا وجنسيات السكان الذين وحّد الفقر بينهم جميعاً في مناطق شعبية كهذه. فمنطقة شاتيلا، أو "شاتيلا الكبرى" إن جاز التعبير، ومنطقة صبرا، يقدر سكانهما معاً شبه مناصفة بين الفلسطينيين واللبنانيين، إضافة إلى سوريين ومصريين وأردنيين، وسواهم.

الخطأ الرابع هو الإيحاء بأن منطقة صبرا ومنطقة شاتيلا بأسرهما كانتا مسرحاً للمجزرة، أي أن الهدف الرئيسي من استباحة المنطقة كلها قد تحقق، بينما المجزرة في منطقة شاتيلا لم تصل حقيقة إلاّ إلى شارع شاتيلا الرئيسي خارج حدود المخيم، وإلى الأحياء المحيطة بالمخيم والتي باتت تعتبر مجازاً منطقة شاتيلا، وهي أحياء الحرش وفرحات والمقداد وعرسال؛ بينما لم تصل المجزرة قط إلى قلب مخيم شاتيلا، ولم تتعد أكثر من حدوده الخارجية من جهة الغرب. أمّا بالنسبة إلى منطقة صبرا، فالمجزرة لم تصل إليها إلاّ صباح اليوم الثالث، ولم تصل أساساً إلاّ إلى مستشفى غزة والساحة الرئيسية لصبرا وشارع مأوى العجزة، أي الجزء الجنوبي من منطقة صبرا، بينما بقي شارع صبرا الرئيسي من الساحة فشمالاً، بمنأى عن المجزرة؛ وهذا هو الجزء الأكبر من صبرا.

الخطأ الخامس هو تجاهل منطقة سكنية كانت من المناطق الأولى التي تعرضت للمجزرة، وهي منطقة بئر حسن التي تقع فيها السفارة الكويتية ومستشفى عكا. وهذه المنطقة تواجه منطقة شاتيلا من جهة الجنوب، ويفصل بينهما شارع رئيسي هو الشارع

الواصل بين مستديرة المطار شرقاً ومستديرة السفارة الكويتية غرباً.

نخلــص مــن هذا كله إلى أن المجزرة شملت منطقة شاتيلا بكل أحيائها، ولكن مع اســتثناء مخيم شاتيلا، وشملت من منطقة صبرا قسمها الجنوبي المحاذي لمنطقة شاتيلا لا أكثر، كما شملت جزءاً من منطقة بئر حسن.

مــع ذلك، يبقى اسم مكان المجزرة "صبرا وشاتيلا" هو السائد، كونه الاسم الشائع. كذلك يبقى اسم المكان "مخيم صبرا وشاتيلا" مستعملاً أيضاً لأن الهدف الرئيسي كان قتل الفلســطينيين والوصول إلى قلب المخيم. لكن على الرغم من عدم التمكن من تحقيق هذا الهــدف جغرافــياً، فهــو قــد تحقق عملياً بقتل الفلسطينيين القاطنين في كل تلك الأحياء المجاورة له، وكذلك بقتل أولئك الفلسطينيين من سكان المخيم الذين التجأوا إلى الملاجئ، وأولئك الذين ساقوهم على الطرقات.(٦٦)

خلاصة

- تعتــبر اتفاقية القاهرة سنة ١٩٦٩ عنواناً لما قبلها وما بعدها بالنسبة إلى حياة اللاجئ الفلســطيني في لبنان. كانت الاعتقالات الاعتباطية، والعقوبات الجماعية، والغرامات المالية، من دون مبررات، هي سمة الأعوام العشرين الأولى من حياة اللجوء. أمّا منذ نهايــة الستينات، فقد أخذت الأوضاع تتغير تغيراً مذهلاً، وخصوصاً بعد انتقال القيادة الفلسطينية والفصائل المسلحة إلى لبنان، وتحديداً إلى منطقة صبرا وشاتيلا والفاكهاني في بيروت.
- سقف الخيمة، أو حتى سقف البيت، كان يجب أن يبقى من الزينكو في أحسن الأحوال، وذلــك لتأكيد أن حياة اللجوء هي مجرد مرحلة عابرة مهما طالت، فكان صب السقف بالباطون من الممنوعات ــ مثلاً ــ على أساس أن مثل هذا السقف يوحي بالاستقرار، وبالتخلي عن هدف العودة إلى فلسطين!! وهكذا.. استمرت حياة اللاجئ بلا سقف حتى عهد الثورة، فتحول ما كان ممنوعاً إلى مسموح به.
- خــلال الاجتــياح الإسرائيلي في صيف سنة ١٩٨٢ خلت المنطقة تقريباً من سكانها، كونهــا منطقة مستهدفة. وكان هناك ضرورة لإخلاء المنطقة من مستودعات السلاح حفاظــاً عليه. أمّا بعد خروج المقاتلين وعودة قسم كبير من السكان، فالشهادات أكدت أن توجه السكان العام كان التخلص من السلاح، لا استرداده أو تخزينه من جديد، لكن يســتثنى مــن هذا التوجه بعض التنظيمات الفلسطينية التي استمرت مكاتبها تعمل في

(٦٦) راجع الخريطة الثالثة، "المواقع الإسرائيلية وحدود المجزرة"

المنطقة.

- قــيل للســكان إن الولايات المتحدة أعطت ضماناتها بالمحافظة على سكان المخيمات، لكن لم يكن هناك آلية لمثل هذه الحماية، ولا لغيرها.
- كانت إحدى أهم الذرائع لاقتحام "المخيمات" الشائعة التي أطلقتها إسرائيل وفحواها بقاء ألفين وخمسمئة مقاتل فلسطيني في "بيروت"، وأحياناً كان يكتفى بالقول في "المخيمات" (والمقصــود صــبرا وشــاتيلا). لكن شهادات الشباب المعروفين بشباب ١٩٤٨، كما وردت كلهــا أعلاه، لا تنفي ضمناً هذه الشائعة فحسب، بل أيضاً تتبع كلها وتصب في عــالم آخر لا تربطه بمثل هذه الشائعات أية روابط. فالشهادات أكدت ضرورة خروج جمــيع المقاتلين. أمّا الشباب الذين ولدوا في لبنان وعاشوا فيه، والذين قد لا يعودون يوماً لرؤية أهاليهم، والذين كان منهم المقاتل والممرض والأستاذ والعامل و.. فهؤلاء كان الموقف في شأنهم موقفاً إنسانياً، إذ ترك لكل واحد منهم خيار البقاء، أو الرحيل. وتؤكد الشهادات أن العامل النفساني والشخصي كان هو المسيطر. المأساة الكبرى أنه مــا من أحد كان حقيقة يخطط للحفاظ على أمن التجمعات الفلسطينية، لا على صعيد القيادات العليا، ولا على صعيد غيرها.

الفصل الثاني

الجيش الإسرائيلي يطوّق المكان

قـــال "الأخ" أبو عمار ـــ وهذا كان لقبه الأكثر شيوعاً في مرحلتي الثورة والمنفى ـــ في مستشـــفى غزة، على مسمع من جمع غفير من أهل صبرا وشاتيلا قبيل خروج المقاتلين: "ما تخافوش. أنا حأطلبلكم القوات الدولية على مداخل المخيمات لحمايتها."[١] ولم يكتف بالوعد، بـــل راح يشـــرح المواقع التي سوف تقف عندها هذه القوات. ولم يكن رئيس منظمة التحرير الفلســـطينية وحده من وعد ذلك؛ فكثيرون من المسؤولين في التنظيمات الفلسطينية قالوا كلاماً مشـــابهاً، مشددين على الاتفاقية الدولية، ومعتبرين أن منطقة المخيمات باتت أكثر المناطق أمناً للفلسطينيين.[٢]

لم يكن مثل هذه الأقوال كافياً لطمأنة أهل المخيمات. كانت النساء يبكين بحرقة بالغة طـــوال أيام رحيل المقاتلين. كانت الوجوه نفسها تذهب كل يومٍ إلى الملعب البلدي، قرب جامعة بيروت العربية، حيث كان مركز التجمع للراحلين صباح كل يوم من أيام الرحيل. ومـــا كان الوداع مقصوراً على من يمت إليهن بصلة قربى. كان وداعاً لمرحلة حافلة من عمر الشعب الفلسطيني؛ هي مرحلة مهما قيل عن تجاوزاتها وأخطائها، فسوف يشير إليها التاريخ بأنها كانت مرحلة مخاض ثورة لم تكتمل ولادتها.

لم تسترد هذه الثورة شبراً من أرض فلسطين المحتلة، لكنها تمكنت من جمع شتات شعب في الشتات، ومن تكريس هوية شعب ما كان لديه قبل عهدها سوى هوية اللجوء، أو هوية الإسرائيلي المحتل.

كـــان الحـــدث الأكبر منذ رحيل المقاتلين اغتيال الرئيس المنتخب بشير الجميل ليلة الـــثلاثاء الواقع فيه الرابع عشر من أيلول/سبتمبر. وسرعان ما زحفت القوات الإسرائيلية فجـــر الـــيوم التالـــي، الأربعاء، وقامت بتطويق منطقة صبرا وشاتيلا. وما بين الحصار الإســـرائيلي للمنطقة ودخول الميليشيات اللبنانية المسلحة مع غروب شمس يوم الخميس،

---

(١) POH. S/SH. No.113 (241/ N.22). M. Kh. Interview with author. Beirut: Narrator's office, June 5, 1984.

(٢) Ibid.

ست وثلاثون ساعة شهدت فيها صبرا وشاتيلا أحداثاً متسارعة على خطين متعاكسين:

الخط الأول خط السلام كما أطلق عليه رجال المخيم الكبار في السن، فأرسلوا وفداً إلـى الإسـرائيليين كـي "يطمئنوهم" إلى أنه لم يعد هناك أصلاً سلاح يذكر منذ خروج المقاتلين، وكذلك مشت عشرات النساء في مسيرة حاشدة للهدف نفسه.

الخط الثاني خط التصدي للإسرائيلي المحتل مهما كان السلاح محدوداً. فقد تصدى للإسـرائيليين عـدد من الشباب لا يتجاوز العشرة أو العشرين شاباً وفتاة، هنا أو هناك، بالقليل الذي كان يملكه من السلاح الفردي، معلناً مقاومته للوجود الإسرائيلي.

وهكـذا، بينما كانت المسيرة النسائية تفتش عن مقر القيادة الإسرائيلية، وبينما كان هؤلاء الشباب يصوبون بنادقهم نحو العساكر الإسرائيليين، ابتدأت المجزرة.

أولاً: الخوف من المجهول

مسـاء الرابع عشر من أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ أُعلن نبأ اغتيال الرئيس اللبناني المنتخب بشير الجميل. وكان نبأ الانفجار الذي هز مقر قيادة الكتائب قد أُعلن بعد الظهر من اليوم نفسـه، لكـن لم يكن هناك أي تأكيد لنبأ النجاة أو الوفاة، حتى بدأت الإذاعة الرسمية قبل الساعة العاشرة ليلاً تبث الموسيقى الكلاسيكية تمهيداً لإذاعة النبأ.

قالت معلمة فلسطينية في مدارس الأونروا، تسكن في منطقة رأس بيروت:

> أنـا مـا بنسى أبداً ليلة اغتيال الرئيس بشير. شعرت من لحظة سماع الخبر إنّو إسرائيل لازم تقـوم بعدوان جديد وتستغل الظروف. خطر على بالي احتلال بيروت. خطر على بالـي موجـة اعتقالات واسعة تقوم فيها بين الشباب الفلسطينية واللبنانية بحجة الاغتيال، لكـن مـا خطـر على بالي أبداً مجزرة في المخيمات. صحيح، افتكرت فيهم، في أهلنا بالمخيمات، في تلميذاتي، طول الوقت تاني يوم الصبح، وخصوصاً وأنا أسمع الأخبار عن تطويق الجيش الإسرائيلي لصبرا وشاتيلا. لكن تصير مجزرة! ليش؟ شو السبب؟ ما حدا عـنده ذرة عقل ممكن يقول إنّو هناك بقيت في قوة مسلحة في المخيمات بعد خروج كل المقاتليـن ووجود قوات دولية شاهدة على خروجهم وأعدادهم. وهاي هيّ الحجة الكاذبة اللّـي قدموها، وهيّ إنّو ضل فيه ألفين مقاتل. لكن أنا بعد ما صارت المجزرة، أنا بعد ما سمعت كل أخبار المجزرة، عرفت قديش أنا غبية. المجزرة سبب، مش نتيجة.[٣]

قبـيل السادسـة من صباح الأربعاء، في الخامس عشر من أيلول/سبتمبر، سُمع في

---

(٣) POH. S/SH. No. 6 (231/T.1). Hana A. Interview with author. Beirut: Author's house, January 15, 1983.

سماء منطقة المدينة الرياضية والطريق الجديدة قصف شديد كان إيذاناً بأن الجيش الإسرائيلي أخذ يتقدم في "بيروت الغربية". وسرعان ما أدرك سكان منطقة صبرا وشاتيلا، الواقعة خلف المدينة الرياضية، أن الجيش الإسرائيلي بات يحاصرهم. وكان هناك في بيروت محاور أُخرى تقدم منها الإسرائيليون أيضاً. واستمر القصف طوال النهار، عنيفاً أحياناً ومتقطعاً أحياناً أُخرى.

في ذلك اليوم، الأربعاء، كان في بكفيا مأتم حاشد لنجل رئيس حزب الكتائب، بشير بيار الجميل، الرئيس المنتخب. وكان في "بيروت الغربية" نوع من الذهول والترقب، والكل أمام التلفاز يشاهد المأتم، ويحاول أن يلتقط الأخبار ويتساءل: أيمكن أن يدخل الإسرائيليون غرب بيروت؟ هل من مقاومة؟ لم يكن هناك من يأمل بمقاومة قادرة على التصدي ودحر الجيش الإسرائيلي بعد خروج المقاتلين، وبعد قيام الجيش اللبناني بجمع الأسلحة ومصادرتها من مستودعات المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية. لكن الجميع كان يأمل بمقاومة قادرة على رفع صوت الكرامة والكبرياء: "بيروت لا تستسلم للمعتدي. بيروت قد تهزم، لكنها لا تستسلم."

كان لـ "بيروت الغربية" ما أرادت. المدينة لم تستسلم. فقد تصدى للجيش الإسرائيلي المعتدي شباب لبنانيون مؤمنون بحرية بلدهم. أعطبوا دبابات وقتلوا جنوداً وضباطاً إسرائيليين، فلم يكن وجود المحتل خلال النصف الثاني من أيلول/سبتمبر، ما بين الرابع عشر والتاسع والعشرين منه، "نزهة" كما ادعى، لكن هذا لا يعني أن الجيش الإسرائيلي لم يحقق فعلاً أمنيته باحتلال عاصمة عربية، هي العاصمة الثانية بعد القدس.

كانت مجزرة صبرا وشاتيلا مساء اليوم التالي للاحتلال، واستمرت نحو ثلاث وأربعين ساعة متواصلة. لم تنكر إسرائيل يوماً إشرافها على المخيمات في أيام المجزرة، وهي التي طوقتها منذ الساعات الأولى، غير أنها أنكرت معرفتها بأنه كان هناك مجزرة !!

لكن، ماذا عن الضباط والجنود الإسرائيليين الذين طوّقوا منطقة صبرا وشاتيلا منذ فجر الأربعاء، هل أنكروا، أم اعترفوا بأنهم كانوا يعرفون؟

منذ البداية حتى النهاية، أي منذ البدء بإحكام الطوق الإسرائيلي حول المخيمات حتى انفكاك هذا الطوق بعد انتهاء أيام الحصار والمجزرة، ما كان هؤلاء الضباط والجنود الإسرائيليون موحدي الرؤية، وهو ما جعل أوامرهم وتصرفاتهم تتسم بالتناقضات. منهم من كان مراقباً بالنواظير، وعوناً للميليشيات المهاجمة، وهازئاً بشكاوى الفلسطينيين الذين استطاعوا الوصول إليه؛ والقليلون منهم تصرفوا عكس ذلك، فقاموا بمد يد العون لسكان المنطقة من فلسطينيين ولبنانيين، ومنعوا القتلة من تنفيذ عدة عمليات قتل جماعي. وهذا ما تثبته شهادات السكان.

كمـــا تثبت شهادات السكان، عن يوم الأربعاء، أنه كان بين هؤلاء الإسرائيليين من كـــان يعلـــم بما قد خُطِّط له من اقتحام ميليشيات لبنانية لمخيم شاتيلا، وبينهم من كان لا يعلم.

بيـــن الذين كانوا يعلمون جندي إسرائيلي كان يقف مع عدد من زملائه الجنود قرب المدينة الرياضية، في منتصف يوم الأربعاء، فجرى الحديث التالي بينه وبين سبعة شبان فلسطينيين، كما يرويه أحمد، أحد الشبان السبعة:

> قلنالهم يعني شو نعمل، ناخد أهلنا وعائلاتنا ونترك المنطقة؟ وشعرنا باهتمام وانزعاج مـــن الســـؤال لمّا ترجم أحدهم كلامنا للغة العبرية، حتى يفهموه كلهم. لكن الرد كان حاســـم وأســـرع مـــن كـــل تصوراتنا: "ارجعوا لبيوتكم. اليوم ما يترك حدا. ارجعوا لبيوتكم. بس نهار الجمعة خدوا اخواتكم وأهلكم."(٤)

كـــرر الـــراوي قـــول الإسرائيلي لهم "بس نهار الجمعة خدوا اخواتكم وأهلكم" عدة مـــرات خلال المقابلة معه. كان يلوم نفسه لأنه ورفاقه لم يأخذوا الكلام على محمل الجد، أو بالأحـــرى لم يفهموه. هم فهموا أن يرجعوا إلى بيوتهم، وقد رجعوا. لكنهم لم يتذكروا كلامـــه قط إلاّ بعد انتهاء المجزرة. كم عذبتهم هذه الذكرى! كم صرفوا جهداً ونقاشاً في تفســـير أقوالـــه، لماذا قال لهم أن يتركوا يوم الجمعة فقط، مع التشديد على الجمعة؟ أكان ذلـــك لتصور ما لديه بأن المجزرة يجب أن تنتهي في يوم واحد؟ يوم الخميس مثلاً؟ أم.. لمـــاذا؟ أمّا بالنسبة إلى الراوي نفسه فهو قد نجا من الموت لأنه لم يكن في بيته تلك الليلة الأولى، ذلك بأن صديقاً له أصابته رصاصة نتيجة القنص، فأسرع أحمد مع صديق ثالث ينقلان الجريح إلى المستشفى. ولو حاول هذا الراوي الشاب ـ أحمد ـ أن يفعل ما طلبه منهم الجندي الإسرائيلي بحزم: "... بس نهار الجمعة خدوا اخواتكم وأهلكم"، لما كان في إمكانـــه ذلك، فكل أهله كانوا قتلوا ولم يبق أحد منهم حياً حتى يوم الجمعة. كانت نهايتهم في الساعة الأولى من الساعات الثلاث والأربعين.

توافقت الآراء التي استمعت إليها من داخل صبرا وشاتيلا على عدم توقع مجزرة، لكـــن هذا لا يعني انعدام الخوف من المجهول. وقد اختلفت مشاعر الناس وهم يشاهدون الجيش الإسرائيلي يطوق المنطقة بأسرها منذ فجر الأربعاء، من الطمأنينة إلى الخوف.

بـــرر "جماعـــة" الطمأنيـــنة مشـــاعرهم بعدم تعرض الإسرائيليين لهم طوال الأيام الماضـــية التـــي ســـبقت الحصـــار. فالجيش الإسرائيلي كانت له نقاط تفتيش في منطقة

---

(٤) POH. S/SH. No. 26 (241/T.28). Ahmad Khatib. Interview with author. Beirut: Author's house, March 1, 1983.

الأوزاعـــي، وفـــي نقـــاط غير بعيدة عن مستديرة السفارة الكويتية؛ ومع ذلك، لم يحاول الجـــنود الإسرائيليون التعرض للفلسطينيين، ولم يحاولوا معرفة من هناك في المخيم. لم يسألوا عن سلاح، ولا عن مقاتلين. لم يحاولوا التدخل في شيء، بل كانوا يحرصون على العلاقات الودية بالمارة، يكلمونهم، ويعطون الصغار البسكويت و"البون بون" كسباً لودهم، لكـــن البعض كان يأخذ "البون بون" ثم يرميه خوفاً.(٥) حتى الحواجز الإسرائيلية البعيدة نسبياً ساهمت في نشر الشعور بالطمأنينة، فلم تتعرض في تلك الأيام لأي فلسطيني.(٦)

أكـــدت أم علي، وهي لبنانية جنوبية، أنها كانت تشعر بالخوف منذ رحيل المقاتلين، غـــير أن ابنها ربيع، الشاب الموظف الذي كان يمر على حاجز إسرائيلي وهو في طريقه إلى عمله كل يوم، كان يتحدث مع الجنود الإسرائيليين، ثم يروي لها في المساء كم كانوا يـــتحدثون معه بلطف، وكم كانوا يعاملون الأطفال الفلسطينيين بلطف، فيتركونهم يلعبون حولهـــم طـــوال الـــنهار. ثم تروي هذه الأم نفسها، نقلاً عن جارة صديقة لها من قريتها الجنوبية شبعا، كيف ذهبت إلى الإسرائيليين صباح الأربعاء تسألهم عن سبب محاصرتهم المخيمات وليس في شاتيلا سلاح ولا مقاتلون؟ ثم تعود لتسألهم: "هل نترك بيوتنا؟" وكان الجواب دائماً لها ولغيرها: "خلّيكم في بيوتكم. نحنا هون لنحميكم."(٧)

الواقـــع أنهـــم لـــم يحموهم قط. فالشاب الموظف ربيع، ابن الأم الجنوبية، كان من ضـــحايا الـــيوم الثانـــي للمجزرة، كما كان سبعة من أقرب الناس إليه؛ كذلك صديقة أمه المنكوبة وجارتها، التي قادها الخوف إليهم فطمأنوها، كانت هي نفسها من الضحايا.

امـــرأة جنوبـــية أُخـــرى قالت أنها من الذين شعروا بالاطمئنان قياساً بالتجربة في الجـــنوب، إذ لم يعرف هناك أن الإسرائيليين تعرضوا للنساء أو الأطفال أو الشيوخ. وقد كانت هذه المرأة تقف مع المتجمهرين بالقرب من محطة الوقود على الطريق العام ما بين مســـتديرة المطـــار ومســـتديرة السفارة الكويتية يوم دخل الإسرائيليون صباح الأربعاء. شـــاهدتهم كـــيف جاؤوا قرب مستشفى عكا ووقفوا على المفرق قائلين للناس: "خبيبي ما تؤذونـــا مـــا بنئذيكم. إحنا جايين حماية إلكم." وتكمل المرأة إنه لم يكن لديها خبز، فجاء جندي إسرائيلي وأعطاها "ربطة" خبز وجبنة للأولاد الصغار. وأطعم الجندي الإسرائيلي بـــيديه صغار هذه المرأة خبزاً وجبناً. أمّا بعد انتهاء المجزرة، فقد اكتشفت أن زوجها بين

---

(٥) Ibid.

(٦) POH. S/SH. No. 21 (241/T.23). Khadijah Khatib. Interview with author. Beirut: Friend's house, February 25, 1983.

(٧) POH. S/SH. No. 18 (238/T.19). D. M. H. (Um 'Ali). Interview with author. Beirut: Author's house, February 22, 1983.

المفقودين. بحثت عنه كثيراً، لكنها لم تعثر عليه. ولم تعرف يوماً أكان مصيره على يد القوات الإسرائيلية، أم الميليشيات اللبنانية.(٨)

قالت أم أحمد، وهي أم فلسطينية لتسعة أولاد، إن زوجها لم يشعر بخوف على الإطلاق، ربما لأنه كان عاملاً في مصلحة الهاتف، وأي مصلحة بعيدة عن شؤون القتال كانت تطمئن الفلسطيني في أوضاع كهذه؛ فعمله لا يوحي بأي علاقة بالقتال والمقاتلين. وهي تنقل عن زوجها ما قاله لأسرته في المساء الأخير الذي اجتمعت فيه هذه الأسرة:

> ليش بدنا نخاف؟ إسرائيل صرلها تلات ايام مرابطة على شاتيلا، ونحنا منحكي مع الجنود وبيحكوا معنا. بعدين أنا زلمة كبير ومش راح يحكوا معي. يعني أنا زلمة من جيل أبوهم، معقولة يحكوا معي؟ أنا بعرف في الجنوب ازلام كبار ما حدا حكى معن. يلاّ .. اتكلوا على الله يا اولاد وناموا.(٩)

كان هذا آخر حديث لهذا الأب المسالم جداً مساء اليوم الأول للمجزرة، وهو لا يدري ما يجري خارج بيته الذي يقع على حدود مخيم شاتيلا. أمّا صباح اليوم الثاني، فكان هو من أول الضحايا قبل أن يتحقق القتلة من طبيعة عمله؛ قبل أن يثبت لهم أنه عامل في مصلحة الهاتف. كان يكفي أن يجيبهم عن سؤالهم الأول: "هل أنت فلسطيني؟" بقوله: "نعم. أنا فلسطيني". هذا الفلسطيني المسالم جداً أطلق القتلة النار عليه، وعلى كل من كان معه من أسرته في الغرفة الصغيرة. مات من مات منهم، ونجا الباقون بإرادة من الله يسميها البسطاء بالدارج "أعجوبة".

استغرب كثيرون مجرد السؤال عن الخوف، وأعربوا في شهاداتهم عن أنهم كانوا يشعرون بالاطمئنان. أمّا مصدر ذاك الاطمئنان فكان نابعاً من سببين: أولهما حقيقة انسحاب المقاتلين وخلو مخيم شاتيلا بالذات وجواره من السلاح؛ ثانيهما سلوك الإسرائيليين هذه المرة بشكل استدعى ثقة الناس البسطاء بهم. وقد أكدت عزيزة الخالدي، مديرة مستشفى غزة، أن الذين لجأوا إلى المستشفى منذ يوم الخميس تكلموا في معظمهم بهذا المنطق.(١٠)

فئة أُخرى من سكان المنطقة المحاصرة تكلمت بمنطق آخر؛ بمنطق الخوف الذي

---

(٨) POH. S/SH. No. 33 (231/T.32). Amina A. (Um Ibrahim). Interview with author. Massacre area: Friend's house, March 3, 1983.

(٩) POH. S/SH. No. 17 (231/T.21). Y. A. (Um Ahmad). Interview with author. Beirut: Author's house, February 22, 1983.

(١٠) POH. S/SH. No. 34 (241/T.33). Aziza Khalidi. Interview with author. Beirut: Author's house, March 4, 1983.

سـكن مشاعرها منذ خروج المقاتلين، ثم تضاعف مع اغتيال بشير الجميل. من هذه الفئة امـرأة فلسـطينية لجـأت مع أولادها إلى مستشفى عكا ليلة الأربعاء، وصباح الخميس توجهـت إلـى جنود إسرائيليين يقفون في نقطة على مرمى النظر من المستشفى، وكانت تحمل بيدها راديو "ترانزستور"، فسألها الجندي بشيء من الحذر عن الشيء الذي تحمله، ولمّا اطمأن إلى أنه ليس سلاحاً، قال لها كي يطمئنها بدوره، بعربية مكسرة:

> إنت من وين؟ مش إنت بتقولي إنك من مخيم برج الشمالي بصور؟ روخ روخ لهناك. برج الشمالي أحسن من شاتيلا. روخ. صور أحسن من هون. لشو إنت هون ببيروت؟ في مخرب ببيروت. روخ إنت على صور، روخ اقعد هناك.(١١)

ضـاعف الإسرائيليون جو الطمأنينة بـ "الميكروفونات" التي ملأت المكان زعيقاً: "سلّم تسلم... يلّي عنده سلاح يسلمه.. ما رح نحكي معاه.. وخلّي كل واحد ببيته." وتناقل الـناس الأنـباء بـأن من كان عنده سلاح حقاً فليسلمه حالاً كي لا يؤذي أهله وجيرانه. وحاول البعض مغادرة المنطقة يوم الأربعاء، لكن قلة استطاعت ذلك، إذ منع الإسرائيليون الباقين من المغادرة.

تروي ممرضة فلسطينية ما جرى لجيرانها الذين حاولوا الهروب:

> جـيرانّا حاولوا يهربوا، حطّوا اغراضهم بالسيارة ووصلوا عند حاجز قريب من قصر صـبري حمادة. ولمّا وصلوا لهناك وقّفهم الحاجز الإسرائيلي وسألوهم: "وين رايحين؟ إنت وين بدّك تروح؟ إنت إذا ما في معك سلاح بترجع على بيتك." وفعلاً رجع جارنا وعائلـته. وهـاي الحادثة تكررت مع ناس كتار. فصار في شعورنا إنّو إسرائيل ما بدها تفوت المخيمات. كل ما بهمها جمع السلاح.(١٢)

لم يكن الجنود الإسرائيليون الذين يحاصرون منطقة "شاتيلا الكبرى" يعرفونها تماماً؛ إذ دخل بعضهم يوم الأربعاء مستشفى عكا لاستكشاف المكان، وطرح الكثير من الأسئلة. وقـد أكـد لهـم الطبيـب سـامي الخطيب أنه لا يوجد "مخربون" في المستشفى. وتردد الإسـرائيليون يومـي الأربعـاء والخميس إلى المستشفى، أكلوا في "الكافيتيريا" من دون اسـتئذان، وقدموا الشوكولا و"البون بون" والحلوى للأطفال ــ هذا ما روته ممرضة في

---

(١١) POH. S/SH. No. 46 (234/T.47). Sa'ida D. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 22, 1983.

(١٢) POH. S/SH. No. 24 (240/T.26). Harbeh J. (Um Rabi'). Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, February 28, 1983.

المستشفى.(١٣) غير أن ذلك لم يحل دون الاقتحام الهمجي الذي تعرض له المستشفى في اليوم الثاني من أيام المجزرة. أمّا الطبيب الذي أكد للإسرائيليين أن لا "مخربين" في المستشفى، فقد كان بين الذين قتلوا، كما قتل غيره من الأطباء والممرضات والمرضى.

قال موظف في قسم الأشعة في مستشفى عكا أنه من الذين لم يشعروا بالأمان قط، وخصوصاً في إثر مقتل الرئيس المنتخب، إذ كانت المخاوف لا تفارقه طوال الليل. ولمّا كان هو "المناوب" في تلك الليلة، فقد اشتد انتباهه لكل صوت في الخارج. وهو يتذكر كيف أخذ يسمع هدير الدبابات عند الفجر، فنظر إلى الخارج غرباً صوب السفارة الكويتية ورأى رتلاً من الدبابات الإسرائيلية، حينئذ شعر بأن مخاوفه تحققت أسرع من توقعاته.(١٤)

شهد الكثيرون أنهم سمعوا بأنفسهم، أو نقلاً عن أقرباء أو أصدقاء لهم، أن الإسرائيليين طلبوا من السكان أن يعودوا إلى بيوتهم في المخيم، وهم يقصدون منطقة المخيم. من الذين شهدوا بما رأوه وسمعوه شاب فلسطيني قال أنه، في منتصف نهار الأربعاء، تقدم مع بعض الشبان الفلسطينيين في اتجاه حاجز إسرائيلي قرب المدينة الرياضية، وكان الرعب ظاهراً على الوجوه، وهو يقصد وجوه الجنود الإسرائيليين. ولمّا توجه إليهم الشباب بالسؤال: "شو رح يصير؟" حاروا في الجواب، حتى جاء الضابط الإسرائيلي المسؤول عنهم، وقال بنوع من الحزم:

> روخو خبيبي، إنتو بروخ على مخيمات. خلاص نحنا بدنا مرابطون مخربون. بس مرابطون مخربون. إنتو كلكم روخوا على مخيمات.(١٥)

زادت كلمات كهذه في حيرة الناس؛ فهي زادت البعض شعوراً بالأمان، بينما زادت البعض الآخر شعوراً بالخوف من المجهول.

ثانياً: صبرا وشاتيلا
بين فجر الخميس وغروبه

شاهد كثير من السكان سيارات تجوب المنطقة منذ صباح الخميس، ويسأل من فيها

---

(١٣) POH. S/SH. No. 35 (238/T.35). Nuzha H. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 6, 1983.

(١٤) POH. S/SH. No. 54 (230/T.53). Anonymous. Interview with author. Beirut: Friend's house, April 28, 1983.

(١٥) POH. S/SH. No. 103 (234/N.21). Q. D. Interview with author. Beirut: Author's house, March 1, 1984.

أسـئلة مريبة عن الملاجئ ومواقعها. ويذهب بعض السكان إلى حد التأكيد أنه كان رأى سيارات غريبة عن المنطقة يوم الأربعاء أيضاً.

تـروي زوجـة لبنانية جنوبية شابة من قلعة الشقيف، يقع بيتها على خط تماس مع مخـيم شاتيلا من جهة الشرق، أنه كان هناك حاجز إسرائيلي قرب قصر صبري حمادة على الطريق العام، وأنها شاهدت في الساعة الثالثة من بعد ظهر الخميس ملثمين مسلحين يمـرون بالسـيارات قرب بيتها، ولم تتأكد من أنهم فدائيون أو مهاجمون. وما حال بينها وبين التأكد أنها كانت تسمع، كغيرها، لعلعة الرصاص في الخارج، فخافت إن هي تركت المـنزل وحاولت سؤالهم أن تتعرض للقنص. كان على الطاولة أمامها عدد من المناشير التي رمتها إسرائيل بالطائرات في اليومين السابقين والتقطها صغار العائلة، وهي مناشير تدعـو أهالي صبرا وشاتيلا بالذات إلى عدم المقاومة: "سلّموا بتسلموا". وأكملت الزوجة الشـابة حديـثها قائلـة إنه صحيح أنها لم تكن متأكدة من هوية المسلحين الملثمين، ومن العلاقة بين المناشير الداعية إلى التسليم وبين تجول هؤلاء المسلحين الملثمين، لكنها كانت متأكدة من حدوث مصيبة ما، فلا يعقل أن يكون من المصادفات انقطاع التيار الكهربائي، وفقدان الخبز نهائياً في ذلك اليوم، والقصف المتواصل.(١٦)

شـاب لبناني آخر يسكن في حرش ثابت قال أنه شاهد صباح الخميس سيارة واحدة لا غـير تكـثر من التجول، وكان من فيها من الرجال يعتمرون كوفيات سوداً، ويلبسون بدلات خضراً، لكنهم لم يكلموه وإنما كلموا غيره، وسمعهم يسألونهم عن الملاجئ.(١٧)

أوضحت امرأة فلسطينية مشهد سيارة أُخرى، بدقة أكثر، فقالت:

> كـل الـناس بتحكي عن سيارات غريبة يوم الخميس، لكن أنا شفت سيارة يوم الاربعا بـنفس اليوم اللّي اندفن فيه الشيخ بشير. أنا شفت سيارة غريبة ما بعرف شو نوعها، بـس لونهـا بيضـا، وكان فيها أشخاص اتنين لابسين مدني طبيعي ويسألوا وين في ملاجئ. وتعجبت لمّا شفت ناس عم بترد عليهم وبتقولهم وبتأشّر هناك في ملجأ. يعني أنا تأكدت إنّو في عملية استكشاف للمنطقة. وأنا بعدين سمعت متل هاالكلام من ستات تانيـين. كتـير نـاس كانت تقول بعدين عن سيارات متلها يوم الخميس تبرم وتسأل، وتـبرم وتسـأل. تسـأل عـن الملاجئ. لكن ما حدا استشبه بالسيارة اللّي شفناها يوم الاربعـا ما عدا زوجي، كان ملاحظ عليها وقلّي هاي السيارة عم تتردد أكتر من مرة

---

(١٦) POH. S/SH. No.115 (231/T.89). Fatima ‘Ajami. Interview with author. Massacre area: Narrator’s house, July 13, 1984.

(١٧) POH. S/SH. No. 36 (236/T.36). Hamzah F. Interview by A. M. Massacre area: Narrator’s house, March 9, 1983.

عاالمنطقة، هاي سيارة مشبوهة. وكان زوجي مطّلع وفهمان.(١٨)

فلسطينية أُخرى، زوجة فدائي، تسكن في شاتيلا بالقرب من روضة الشهيد غسان كنفاني، قالت:

أنا شفت عند الضهر يوم الخميس مسلحين ملتّمين لافين حطات على روسهم، وحاطين إشارات فدائية، يمكن حتى يطمنوا الناس وما حدا يعرف مين هنّي. لكن أنا استغربت إنّو هدول صاروا يروحوا وييجوا من قدّام بيتنا أربع خمس مرات. ولمّا استغشيت بمشيتهم وحذرهم رحت حكيت معهم. تلات مرات حكيت معهم. ما ردوا ولا مرة عليّ ولا حكوا أبداً، ولا شفتهم حكوا مع حدا. بس تطلّعوا فيّ وضلّوا رايحين. وضلّوا باستمرار يروحوا وييجوا في الحي. أنا خوّفوني هدول أكتر من القصف الإسرائيلي.(١٩)

تؤكد الشاهدة أن أهل الحي كلهم يعرفون زوجها ويعرفونها، ولو كان هؤلاء الملثمون مقاتلين حقاً من الذين كانوا يترددون عادة على الحي لما كان من الممكن ألاّ يكلموها. أمّا الصمت المطبق من جانبهم فتفسره الشاهدة بأنهم حتماً لم يريدوا كشف لهجاتهم وأصواتهم ونياتهم. وربما كانوا مخبرين.(٢٠)

في صبرا كان سلوك بعض الرجال الملثمين مختلفاً. فقد ترجل هؤلاء أكثر من مرة من السيارة واشتروا "سندويشات" وبيبسي كولا. هذا ما تقوله فتاة تسكن في صبرا، مؤكدة أن عدداً من الجيران أيضاً شاهد يوم الخميس سيارة عسكرية فيها ملثمون، تجوب الطرقات أكثر من مرة، حتى شك السكان في أن من بداخلها جواسيس.(٢١)

قال شاهد أنه رأى في المناطق المحيطة بشاتيلا، في منطقة بئر حسن وقرب السفارة الكويتية وثكنة هنري شهاب، سيارات جيب صغيرة وكبيرة تتجول منذ العاشرة والدقيقة الثلاثين صباحاً، وقد كتب عليها بوضوح "القوات اللبنانية"، كما ظهرت عليها أرزة الكتائب، لكن هذه السيارات بالذات لم تقترب من منطقة شاتيلا. يعلق الشاهد بقوله إن مهمة هذه السيارات لم تكن الاستكشاف، وإنما كانت أشبه بإعلان في شأن ما سيجري.

---

(١٨) POH. S/SH. No. 20 (249)/T.22). Dalal Sh. Interview with author. Beirut: Author's house, February 24, 1983.

(١٩) POH. S/SH. No.19 (249/T.22). H. Sh. (Um Akram). Interview with author. Beirut: Author's house, February 24, 1983.

(٢٠) Ibid.

(٢١) POH. S/SH. No. 63 (232/T.61). Siham Balqis. Interview with author. Massacre area, May 9, 1983.

هذا ما قدره هو ورفاقه فيما بعد، لكن لم يكن في إمكانهم معرفته في حينه.[٢٢]

هؤلاء الذين انزعجوا من السيارات الباحثة عن أماكن الملاجئ داخل شاتيلا الكبرى ما كانوا سوى الذين تنبهوا لها وشاهدوها. أمّا المشكلة التي قضّت مضاجع السكان جميعاً فكانت فقدان الكثير من المواد الغذائية.

صباح الخميس، كانت شوارع المخيم ومنطقة صبرا وشاتيلا كلها تغص بالناس، وكان على الوجوه حيرة، وخصوصاً بعد اكتشاف الجميع أن الخبز مفقود، وأن التيار الكهربائي مقطوع أيضاً. ومع الحصار الإسرائيلي للمنطقة، ومع الأنباء عن دخول الجيش الإسرائيلي "بيروت الغربية" من ستة محاور، ومع القصف المدفعي الإسرائيلي المتقطع للمنطقة، ومع التراشق بالرشاشات بين بعض الشباب الفلسطينيين واللبنانيين من أهل المنطقة وبين الإسرائيليين، لم يتجرأ معظم الناس على مغادرة منطقة صبرا وشاتيلا المحاصرة، حتى بحثاً عن الخبز.

مع تقدم النهار، أخذ الجيش الإسرائيلي يقصف مخيم شاتيلا ومحيطه قصفاً مركزاً. وكان طبيعياً أن يهرب الناس إلى الملاجئ حتى ضاقت بمن فيها. ولم يجرؤ أحد على العودة إلى بيته لجلب الطعام للصغار إلاّ حين كان القصف يتوقف نسبياً.

بعيد الساعة الثالثة بعد الظهر، اشتد القصف على مدخل المخيم الجنوبي من مرابض المدفعية الإسرائيلية القائمة على كثبان رملية بالقرب من السفارة الكويتية؛ وهو المدخل نفسه الذي ستبدأ عنده المجزرة بعد ساعات قليلة. أمّا قبيل الساعة الخامسة، فقد اشتد القصف من الآليات الإسرائيلية التي تربض بالقرب من المدينة الرياضية على الطريق الرئيسي بين ساحة شاتيلا وساحة صبرا، حتى لم يعد هناك متسع في الملاجئ للمزيد، ولا في جامع شاتيلا الذي امتلأ بالنساء والأطفال ظناً أن الأماكن الدينية آمنة. ومما زاد في هلع السكان احتراق بناية مخللاتي بالقرب من الجامع؛ وهي من المباني القليلة المرتفعة، إذ تتألف من خمس طبقات.[٢٣]

كان من اللافت للنظر انقسام الرأي ضمن العائلة الواحدة. فقد كان عدد من أفرادها يهرول إلى الملجأ الأقرب، بينما يرفض الباقي مغادرة البيت، إمّا لتصور لا مبرر له بأن القصف لن يطول، وإمّا كرهاً لوضعية الملاجئ التي تكون مكتظة بالبشر. هذا ما دعا بعضهم إلى البقاء في البيوت مفضلاً انتظار المجهول. لكن لم يكن أحد ليتصور أن المجهول مجزرة. وقد أدت الانقسامات في الرأي ضمن العائلة الواحدة إلى أن يجابه

---

(٢٢) POH. S/SH. No.103 (234/N.21), as above.

(٢٣) Zakaria al-Shaikh, “Sabra and Shatila 1982: Resisting the Massacre,” *Journal of Palestine Studies*, vol. XIV, no. 1, Fall 1984, pp. 65, 67.

أفرادها أكثر من مصير.

أمّا العائلات السعيدة الحظ فهي التي تمكن أفرادها جميعاً من مغادرة المنطقة. وقد غادرها معظم هذه العائلات من الجهة الشمالية في اتجاه جامعة بيروت العربية وكورنيش المزرعة، أو من الجهة الشرقية ليس بعيداً عن قصر صبري حمادة. وأمّا الأماكن المحدودة التي كانت توحي بأمان نسبي في منطقة صبرا وشاتيلا، فهي المستشفيات الثلاثة التي تشكل مواقعها زوايا أضلاع مثلث يحيط بالمنطقة، وهي مستشفيات عكا وغزة ومأوى العجزة، وقد غصت هذه بالوافدين من العائلات ومن الشباب.(٢٤)

تروي ممرضة فلسطينية طبيعة الرعب الذي سيطر على صبرا وشاتيلا في تلك الساعات التي سبقت المجزرة:

> الخميس حوالي الساعة ٢، الخميس الضهر اشتد القصف كتير من الساعة ٢ وبالرايح. صار القصف كتير كتير، نفس المكان الواحد تنزل القذايف عليه مرات ورا بعضها، والعالم كلها راحت على الملاجئ. ما ضلّش في حدا بالبيوت. يعني الناس اللّي ضلّت بالبيوت ما في ملاجئ جنبها.(٢٥)

أمّا الشاب الفلسطيني الذي قال له الإسرائيلي مع رفاقه: "بس نهار الجمعة خدوا اخواتكم وأهلكم"، والذي ذهب لإيصال صديق جريح إلى المستشفى عند غروب شمس الخميس، فقال أنه فوجئ بانسحاب الجيش الإسرائيلى من مستديرة المطار، وكذلك بانسحاب الإسرائيليين الذين كانوا بالقرب من مستشفى عكا في بئر حسن. ولم يفهم قط حينئذ لماذا انسحبوا فجأة، لكنه فهم بعد ذلك أنهم أرادوا إخلاء الطريق للميليشيات اللبنانية الآتية من ناحية المطار لدخول شاتيلا من جهة بئر حسن.(٢٦)

حدثان لا تنساهما ذاكرة أهل المخيم أبداً في الساعات الأخيرة ما قبل المجزرة، وقد كانت نتيجة كل من الحدثين مأساوية، إذ عرف فيما بعد أن كثيرين من الذين شاركوا فيهما قتلوا أو خطفوا، وذلك على الرغم من أن كلاً من الحدثين انطلق من أجل السلام وحقناً للدماء.

حين يتحدث سكان شاتيلا عن الحدث الأول، فهم يطلقون عليه "وفد السلام". أمّا

---

(٢٤) Ibid.; POH. S/SH. No. 24 (240/T.26), as above; POH. S/SH. No. 50 (231/N.7). Afifa A. Interview by A. M. Massacre area: Narrator’s house, April 5, 1983; POH. S/SH. No. 51 (238/N.8). Yusra N. H. Interview by A. M. Massacre area: Narrator’s house, April 5, 1983.

(٢٥) POH. S/SH. No. 24 (240/T.26), as above.

(٢٦) POH. S/SH. No. 26 (241/T.28), as above.

حين يتحدثون عن الحدث الثاني، فهم يطلقون عليه "مظاهرة النساء"، أو "مظاهرة النسوان" في الدارج.

وهذه، أدناه، ذكريات السكان عن الحدثين.

ثالثاً: "وفد السلام" من مخيم شاتيلا

القذائف التي انصبت على شاتيلا وجوارها من المواقع الإسرائيلية منذ الأربعاء، عادت لتشتد نهار الخميس وبصورة تصاعدية. وقد شوهد عدد من الشباب يحمل سلاحه للتصدي.

من كان هؤلاء؟

هم من شباب المخيم ومن المناطق المجاورة. إنهم فلسطينيون ولبنانيون. لكن عددهم، كما يروي شهود من السكان رأوهم بالقرب من قهوة علي همدر، وبناء على أقصى تقدير، لم يتجاوز عشرة فتيان، بينهم فتاة. ولم تكن أعمار معظمهم تتجاوز العشرين عاماً. كانوا فتياناً متحمسين أكثر مما كانوا حقاً مقاتلين. بعضهم حمل الكلاشينكوف، وواحد حمل آر. بي. جي.، والباقون كان معهم مسدسات. وبينما كانت النساء يهرعن مع أطفالهن إلى الملاجئ، كان هؤلاء الفتيان يتعرضون للوم العنيف من قبل النساء كي يتركوا السلاح ويغادروا المخيم، أو يختبئوا في البيوت أو الملاجئ.

كان المنطق السائد بين السكان يحتم عدم استعمال القوة؛ فالعدو المحاصر المتربص هو العدو الإسرائيلي، ولا قدرة لأهل المخيمات بعد خروج المقاتلين على التصدي لمثل هذا العدو.

أمّا وأن هذا العدو الذي يقصف المخيم مجبراً الناس على الاحتماء بالملاجئ، هو نفسه الذي راح يقول للناس: "نحنا هون لنحميكم"!! فهذا ما ضاعف غرابة الموقف.

متى جاء عدو لحماية عدوه!؟

والإسرائيلي بالذات، وهو الذي أقام دولة إسرائيل على حساب فلسطين وشعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين، ما الذي جاء به لحماية لاجئين كان هو السبب في لجوئهم؟ وممن جاء يحميهم؟

أي حل هو الحل الأمثل: المقاومة، أم التسليم؟

وما هي النتائج المتوقعة لسلوك أي من الحلين؟

في الحقيقة، لم يكن الوضع ليسمح لسكان شاتيلا بالتفكير طويلاً وبالتحليل، ولا حتى بالإجابة عن السؤال: كيف يمكن لمن قال أنه جاء للحماية أن يقصف كل هذا القصف؟ وكيف يمكن تفسير مثل هذا التناقض؟

لكن، كان هناك وقت كاف كي يجتمع وجهاء المخيم على عجل ليقرروا ما العمل

إزاء قصف غير مبرر كهذا. ومن العادة أن هؤلاء "الوجهاء" هم الذين يقررون في اللحظات الحرجة، فكيف عندما تكون اللحظات مصيرية كهذه؟

اجتمع "الوجهاء" أو "الختيارية"، كما كان الوصف الشائع لهم، في منزل أحدهم، وكان عددهم نحو أربعين رجلاً. ولم يكن هذا الاجتماع السريع بناء على دعوة؛ فالعادة كانت أن يهرع هؤلاء "الختيارية"، كلما حدث أمر جلل، للتشاور فيما بينهم، في بيت أحدهم. وسرعان ما ينتشر الخبر، فيقال إن الاجتماع في بيت فلان، والمسافة بين أي بيت وآخر في المخيم تقطع سيراً على الأقدام؛ وهكذا يستمر قدوم المشاركين أحياناً طوال عقد الاجتماع.

كان من عادة أهل المخيم أن يقصدوا بيوت هؤلاء "الوجهاء" أو "الختيارية" في الأحوال العادية أيضاً، لا في الأزمات فقط؛ فالقهوة المرة دوماً متوفرة. وقد كان بيت أبو أحمد السعيد من تلك البيوت، كما يقول الحاج أبو خضر، الذي يصف بيت أبو أحمد بالديوان، فيقول إنه في زمن القيادات الفلسطينية، قبل الرحيل، كان القياديون وزوار المخيم يجتمعون عنده؛ فالكل يعرف ديوان أبو أحمد.(٢٧)

لم يكن التقدم في العمر وحده هو العنصر الجامع بين هؤلاء "الختيارية"، والدليل أنهم لم يكونوا كلهم فوق الستين، فقد كان بينهم من كان في سن الأربعينات.

بالإضافة إلى عامل التقدم في العمر، كان هناك عاملان آخران لا يقلان أهمية، ولهما كل الأثر في اعتبار فلان أو فلان من "الختيارية": العامل الأول ينحصر في الخدمات التي يقدمها كل من هؤلاء لسكان المخيم؛ والعامل الثاني يتعلق بالانتماء والهوية. وليس المقصود بالهوية هنا الهوية الوطنية الفلسطينية، وإنما الهوية القروية؛ فلا بد لأبناء القرية الواحدة من أن يكون هناك من يتكلم باسمهم في مجتمع "المخيم/المنفى"، وإن لم يوجد من يمثلهم في عمر الكهولة، فليكن من يمثلهم من الشباب.

نحو الساعة الثانية ظهراً، كان الاجتماع العفوي لـ "الوجهاء" و"الختيارية" ملتئماً في منزل أبو كمال بشر في مخيم شاتيلا. وكانت المسألة الوحيدة المعروضة للبحث إرسال وفد إلى الإسرائيليين كي يبلغهم أن لا سلاح في المخيمات، وبالتالي كي يطلب منهم وقف إطلاق النار. لكن الرأي لم يكن موحداً تماماً. فاتجاه الأغلبية كان مع إرسال الوفد، بينما خشي البعض نتائج ذلك. كما أعرب البعض الآخر عن عدم رضاه عن الفكرة من أساسها، خوفاً من أن يفسر ذهاب وفد باسم سكان المخيم إلى الإسرائيليين استسلاماً.(٢٨)

---

(٢٧) POH. S/SH. No. 137 (231/T.108). Hajj "Abu Khodr". Interview by Sana' Hammoudeh. Beirut-Shatila: Narrator's house, March 2, 2001.

(٢٨) POH. S/SH. No.133 (249/T.104). Riadh Sharqieh. Interview with author. Beirut- Shatila: Narrator's house, October 21, 1999.

في الواقع، لم يتخذ الجدال طابع الخلاف والحدة، وإنما كان هناك مجرد عرض للآراء. وسرعان ما تقرر تأليف وفد تنحصر مهمته في إبلاغ الإسرائيليين أن لا سلاح في المخيمات، وأن الناس على استعداد للسلام معهم. بل أكثر من ذلك، هناك من أكد أن الوفد كان مفوضاً إليه أن يقول للإسرائيليين: "تعالوا ادخلوا المخيم. وإذا أردتم استلام المخيم تعالوا واستلموه." وكان الدليل أن الوفد قرر حمل راية بيضاء كي يرفعها وهو يقترب من مقر القيادة الإسرائيلية.

في الحقيقة، لم يتم انتخاب وفد. فقد كان الانتخاب قائماً بطبيعة الحال، إذ لا خلاف في شأن هؤلاء الكبار المتكلمين، "الوجهاء". لذلك، فكل من رشحه المجتمعون، أو كل من تقدم بهمة وأريحية وهو يحمل صفات "الوجيه"، عمراً ومكانة وعقلاً، استحق أن يكون عضواً طبيعياً في مثل هذا الوفد. ولا يتكلم أهل صبرا وشاتيلا على الوفد إلاّ مقروناً بصفة السلام، فيقولون: "وفد السلام".[٢٩]

رياض شرقية، المعروف بـ "أبو محمد"، كان أحد الذين حضروا ذلك الاجتماع. وهو من القليلين الذين كانوا في الأربعين من عمرهم. وقد تم الاتفاق على عضويته في الوفد بمجرد ترشيحه من صديق له من بلدته كي يذهب نيابة عنه. وقد مشى "أبو محمد" مع أعضاء الوفد أمام أعين سكان المخيم بعيد الساعة الثالثة بعد الظهر إلى الشارع الرئيسي بين مستديرة المطار ومستديرة السفارة الكويتية، وذلك بينما كانت القذائف تنهمر على المخيم. لكنه عدل عن الذهاب في اللحظة الأخيرة، فأبى أن يركب السيارة معهم، وكانت الساعة حينئذ تقارب الثالثة والدقيقة الثلاثين من بعد الظهر. وهو يصف ما جرى في ذلك الاجتماع:

> أنا كنت قاعد في بيتي لمّا اشتد الضرب وصارت الضجة بين الناس. رحت أول شي على الجامع، بعدين رحت لأشوف الختيارية شو بدهم يعملوا. رحت لعندهم أنا وأبو أحمد السعيد. لقيناهم قاعدين عند أبو كمال بشر، كانوا شي أربعين واحد. واحد صاحبي لمّا شافني داخل راح قال: هاي إجا أبو محمد بِروح مطرحي.
>
> أنا كنت رايح أشوف شو صاير. لكن لمّا جيت لقيت الأمور منتهية وخالصة. وصار في حكي إنّو لازم يكونوا الأعضاء أكتر من خمسة، وكان في حكي كمان إنّو يكونوا أكتر من عشرة. وما صار في اتفاق على العدد، وكان توفيق حشمة بين الحاضرين يشجع على إنّو يروح أكبر عدد ممكن. والشي المهم اللّي بحب أقوله كمان

---

(٢٩) POH. S/SH. No.111 (243/T.87). As‘ad M. Interview with author. Beirut: Narrator’s office, May 11, 1984.

إنــو مـــا كـــان فيه اتفاق تام بين القاعدين على الفكرة من أساسها. في منهم كان ضد ذهـــاب وفـــد، أمّا اللّي كانوا مع ذهاب الوفد، فكانت الفكرة إنّو الرجال اللّى رايحين، يقولوا للإسرائيلية ليش عم تقصفو علينا ما في عنا مسلحين.

أنـــا الحقـــيقة شـــعرت إنّو الواحد كإنّو رايح يقول للإسرائيلي ادبحني. أنا من الأساس ما بدّي أروح. يعني الختيارية أخدوني غصبن عني.(٣٠)

"أبـــو علي" ليس من سكان شاتيلا، لكنه يعرف المنطقة معرفة تامة بحكم عمله في الإنشـــاءات والبناء فيها. وقد شاهد كيف سار أعضاء الوفد من مكان الاجتماع متوجهين جـــنوباً نحـــو الشـــارع الرئيسي الذي يصل مستديرة المطار بمستديرة السفارة الكويتية، ورصاص القنص يتساقط على مقربة منهم. قال إنهم قبل أن يبدأوا سيرهم من المخيم في اتجاه المدخل الجنوبي قبالة مستشفى عكا، توقفوا وطلبوا من الشباب المسلحين أن ينسحبوا من شارع شاتيلا الرئيسي، ولم يسمحوا لهم بالاقتراب من قهوة علي همدر، وحذروهم من التمادي. ثم أكملوا سيرهم حتى وصلوا إلى الموقف قبالة مستشفى عكا حيث كانت سيارة توفيق أبو حشمة متوقفة، فركبوها متجهين صوب السفارة الكويتية.(٣١)

هـــناك أكثر من حكاية عن رجال فكروا في الذهاب مع الوفد، لكنهم عدلوا عن ذلك حـــتى قـــبل أن يتحرك الوفد. من تلك الحكايات ما رواه أبو قاسم، الموظف في مستشفى مأوى العجزة، فقال إن والده كان بدايةً ينوي الذهاب مع الوفد، ومشى معه مسافة ثم عاد، لأن الأعضـــاء اخـــتلفوا بشأن ضرورة تهدئة الشباب تماماً قبل الذهاب إلى الإسرائيليين. فوالـــد أبـــي قاسم لم يكتف بالتحذير الذي وجهه أعضاء الوفد "الختيارية" إلى الشباب، بل طالـــب أيضـــاً بحـــل حاسم معهم. وأبى أبو قاسم أن يذكر اسم والده إمعاناً في التواضع ظاهراً، ومبالغة في اتخاذ الحيطة حقيقة، لكنه روى عنه سبب عدوله عن الذهاب قائلاً:

وهنـــي طالعيـــن بقولهـــم أبـــوي، بيقترح عليهم يعني، استنوا يا جماعة ليش مستعجلين، نحنا قبل ما نطلع تعالوا نشوف هاالاولاد اللّي بعدها عم بتطقطق بالمسدس بين لحظة والتانية، حتى لمّا نطلع عند الحاكم المسؤول العسكري الإسرائيلي ما نسمع مـــنّو كلام يعني كيف إنتو جايين ولسّا في عندكم شباب حاملة سلاح وعم بتقاوم. لكن مـــا ردوا عليه الباقين، إلاّ واحد قلّو: "يا زلمي نحنا منعناهم قبل ما تيجي من عرض الحـــال بالســـلاح، وهنّـــي وعدونـــا ما يبينوا بشارع شاتيلا، بعدين هدول اولاد، هنّي

---

(٣٠) POH. S/SH. No. 133 (249/T.104), as above.

(٣١) POH. S/SH. No.110 (231/T.86). Hasan A. (Abu ‘Ali). Interview with author. Beirut: Narrator’s office, May 11, 1984.

الإســرائيلية رح يــردوا علـــى اولاد؟ نحنا لمن بدنا نوصل لمقر القيادة يمكن يكونوا الاولاد زهقوا من حالهم وسكتوا."

أبــوي ما عجبه الجواب. اختلف معهم، ورجع من نص الطريق. ويمكن إذا أنا مش غلطان، في كمان واحد رجع من نص الطريق.(٣٢)

أمّـــا "أبو محمد" الذي أخذه "الختيارية" على الرغم منه، فهو يصف لحظات انطلاق الوفد في السيارة:

أنـــا ما ركبت سيارة حشمة، أنا اتجهت على مستشفى عكا وأعضاء الوفد كانوا مقـــابل مستشفى عكا. وبعدين كان القنص من السفارة الكويتية ومن على الجسر. فى معـــى كمـــان أبـــو كامل الصفصاف، كمان متلي ما رحش معهن. بعدين توفى هون بالحرب، الله يرحمه، مدفون بالجامع.(٣٣)

هنّـــى ركـــبوا وراحوا. ركبوا السيارة من باب المبنى تبع إبن حشمة الموجود مقـــابل مستشـــفى عكـــا، كان في إلو إبن حشمة أوتيل، وكان كمان في موقف لكاراج الشام، على الكورنيش. هنّي دخلوا من هاي الدخلة، لوصلوا مباشر على الأوتيل تبعه. بقيت أنا وأبو كامل فى مستشفى عكا.

أنـــا ما شاهدت السيارة كيف اتجهت بعد السفارة الكويتية، آخر لحظة شاهدتها لمّـــا وصـــلت على السفارة الكويتية، على الطلعة، وكان أبو أحمد السعيد حامل الحطة تاعتو من باب الشباك، طلّعها هيك، وواحد تاني كان غازز العلم اللبناني على السيارة. وكان هاي اخر مرة بشوفهم فيها.

قعـــدت أنـــا والدكتور محمد في مستشفى عكا... فأنا قد ما شفت بشر قلتلّو: يا خى المسألة مش هينة. أنا احتميت بالمستشفى لغاية الغروب، بعدين رجعت عالحرش لأبقى مع ولادي.(٣٤)

ابـــتدأ الحديث بين الناس عن عودة فلان أو فلان من أعضاء الوفد في اليوم نفسه، حـــتى قـــبل أن يعرف مصير أعضاء الوفد الذين أكملوا مسيرتهم. فبالإضافة إلى عودة رياض شرقية ورفيقه أبو كامل الصفصاف، شوهد أبو كمال سعد وهو عائد بعد الثالثة بعد الظهـــر من جهة الإسرائيليين مصفر الوجه، تعلوه نظرة مروعة. حاول الناس سؤاله عما

---

(٣٢) POH. S/SH. No. 53 (231/T.52). “Abu Qassem”. Interview with author. Beirut: Friend’s house, April 28, 1983

(٣٣) يقصد الراوي بالحرب حرب المخيمات فى منتصف الثمانينات يوم حاصرت حركة أمل مخيم شاتيلا.

(٣٤) POH. S/SH. No. 133 (249/ T.104), as above.

جـرى. لكـنه لم يرد على أحد، بل استمر في مشيه السريع نحو صبرا شمالاً، أي نحو المنطقة الأكثر أمناً.(٣٥)

لم تكن عملية التأكد من عدد أعضاء الوفد عملية سهلة، على الرغم من أن كل شاهد كـان يتكلم عما شاهده، جازماً بأن العدد الذي رآه هو العدد الصحيح. قيل إن عددهم كان أربعـة أعضـاء، وقـيل إنه خمسة، وقيل ستة، وحتى قيل إنه اثنا عشر عضواً. ويمكن اعتـبار كـل ما قيل عن الأرقام صحيحاً، ذلك بأن الحديث عن الوفد قبل انطلاقه شيء، والحديـث عنه وهو على الطريق شيء آخر، كذلك الحديث عنه بعد انتهاء مهمته ــ إن تكن هذه المهمة قد تمت أصلاً ــ شيء آخر أيضاً.

أسـعد، مـن سـكان شاتيلا، ومن الذين شهدوا أن الوفد كان يتألف بداية من ستة أشـخاص، قال إن الذين أكملوا "المشوار" كانوا أربعة فقط، وذكر أسماءهم. وقد شاهدهم يسـيرون في شارع شاتيلا، وشاهد معهم العضو الخامس الذي لم يكمل "المشوار" (يقصد رياض شرقية)، كذلك شاهد عضواً سادساً لم يعد يتذكر اسمه، لكنه قيل له يومئذ إنه عاد أيضاً من منتصف الطريق.(٣٦)

أحمد، شاب لبناني متزوج بفلسطينية، وهو من الذين شهدوا أن الوفد كان يتألف من ستة رجال لا من أربعة، وصف أعضاء الوفد فرداً فرداً للكاتب الأميركي رالف شونمان في الأيام القليلة التي أعقبت المجزرة.(٣٧) وربما كان أحمد من الذين شاهدوا الوفد في بداية انطلاقه.

لم تكن مسألة عدد الأعضاء وحدها التي أثارت النقاش قبل أن يعرف مصير الوفد. ففـي اليوم نفسه، وبينما القذائف منهمرة، أثيرت مسألة أُخرى بين الشباب الذين غضبوا وتـألموا لمجـرد أن يذهب كبار الرجال إلى الإسرائيليين يطلبون منهم وقف النار؛ فهذا عمل لا يمكن تفسيره إلاّ خضوعاً واستسلاماً.

زكـريا الشـيخ، شـاب فلسطيني من حيفا، ولد ونشأ في شاتيلا. كان من الشباب المتحمسـين الذين شاهدوا ما جرى يوم الخميس في شاتيلا من قصف إسرائيلي، وحاول مـع رفاق له تنظيم مقاومة في وجه الإسرائيليين، لكنهم لم ينجحوا في ذلك. وقد كان في بيـت صديق له في شاتيلا بعد ظهر الخميس، لمّا دخل الأخ الأصغر لصديقه يخبرهم آخر الأنـباء الصـاعقة، وهـي ذهـاب وفد من "الختيارية" إلى الإسرائيليين. ويصاب زكريا بالغضب والحيرة لدى سماعه النبأ الجلل، ثم يعود لكتابة انطباعاته في أعقاب المجزرة:

(٣٥) Al-Shaikh, op. cit., p. 66.

(٣٦) POH. S/SH. No.111 (243/T.87), as above.

(٣٧) POH. S/SH. No. 9 (249/T.5). Ralph Shoenman. Interview with author. Beirut: Author's house, January 27, 1983.

لــم أستطع أن أفهم لماذا اتخذ هؤلاء الناس هذا القرار. كان هناك شيء ما غير طبيعــي. هل كانوا يستسلمون للإسرائيليين؟ وهل يمكن تفسير القرار بشكل آخر؟ أنا أردت أن أمحــو نهائياً فكرة أن كبار رجال المخيم قد قرروا الاستسلام. وما أردت أن أصــدق ولــو للحظة أن أبو أحمد سعيد، أبو أحمد سويد، أبو كمال سعد، أو أبو محمد سعد، وكلهم كنت أعرفهم جيداً، قد قرروا أن يستسلموا.

أبــو أحمــد سعيد كان معروفاً جداً بين الناس في المخيم، بين الصغار والكبار. وكــم مــن مرة زار المخيمات باسم الصداقة أناس من دول أجنبية، وقدمت لهم القهوة العربية في فناجينه الخاصة المزدانة بالعلم الفلسطيني. أبو أحمد سعيد، ذلك الموسوعة البشــرية لكــل الأحداث التاريخية التي جرت في فلسطين، مسقط رأسه، ثم في لبنان، عبر أعوامه الثمانين، أبو أحمد سعيد، يستسلم؟ الرجل الذي كان يخبر الأجيال الأصغر دومــاً عن وعد بلفور، عن الملك عبد الله والملك فاروق، عن غلوب باشا، عن هتلر، ويخــبرهم قصصــاً عن السلطان عبد الحميد، عن بطولة المحاربين الفلسطينيين، عز الدين القسّام وعبد القادر الحسيني؟

وأبــو أحمــد سويد، الذي تربى ابنه في أحضان التقاليد الفلسطينية وعلّم أجيال المســتقبل دروســاً من تاريخنا؛ أبو أحمد سويد، يستسلم؟ الابن الأكبر لأبو محمد سعد كــان طبيبــاً مــرموقاً عمــل في مستشفى المخيم أعواماً، وهو يخدم شعبه كما فعل والده...(٣٨)

فــي شــأن الموضوع نفسه، وانطلاقاً من تحليل مشابه، كتب المناضل حسين بعد مــرور سبعة عشر عاماً على المجزرة مذكرات موجزة. وهو مناضل مسؤول في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان على رأس مجموعة من المقاتلين تمكنت من المقاومة فعلاً يــوم الخمــيس، ولو بشكل محدود (راجع البند الخامس لاحقاً عن القتال). وقد كتب عن مجــيء "ختــيارية" المخــيم إلــى مكتبه، وعن إبلاغهم إياه فكرتهم عن تأليف وفد إلى الإسرائيليين، ما يلي:

حضر لطرفي مجموعة من كبار سن المخيم (أعتقد بأن عددهم كان حوالي ١٢ شخصــاً) ليقولوا بضرورة وقف الأعمال العسكرية وبأن الإسرائيليين لن ينكلوا بمخيم وادع وبــأنهم سيشكلون وفداً للذهاب لمقابلة الإسرائيليين في المدينة الرياضية، تجادلنا معهــم وعــلا صــراخنا وبالتالي اتفقنا على أن يختار كل طريقه بالطريقة التي يراها مناسـبة (لــولا واقــع الأمــر آنذاك، لكان تبادر إلى الذهن احتجاز هؤلاء الأشخاص وسجنهم كحد أدنى).

---

(٣٨) Al-Shaikh, op. cit., pp. 65- 66.

لقـــد رفــض هؤلاء الإصغاء للمنطق وبأن الإسرائيليين هم أعداؤنا وهم سبب نكبتنا وبأن صراعنا معهم صراع وجود وبالتالي هم لن يرأفوا بنا.

علـــى كـــل حال علمت لاحقاً أن وفداً من هؤلاء ذهب لمقابلة الإسرائيليين في المدينة الرياضية ولم يعودوا.(٣٩)

هـــل ذهبت مجموعة الاثني عشر من "الختيارية" إلى المسؤول حسين قبل الاجتماع فـــي مـــنزل أبو كمال بشر، أم بعده؟ فهو لم يذكر متى كان ذلك؛ الأرجح أنهم ذهبوا إليه لمعرفة رأيه ورأي رفاقه المناضلين قبل اجتماعهم. وقد كان لموقفه الرافض الحازم ذلك الأثـــر فـــي اختلاف الآراء خلال ذلك الاجتماع، كما ورد معنا أعلاه، وفي تردد البعض وإحجامـــه عن الذهاب إلى حد أدى إلى تقلص عدد المتحمسين للفكرة والمستعدين للذهاب إلى ستة، بعد أن كان أصحاب الفكرة في الأساس اثني عشر رجلاً.

مـــن المنطقـــي والطبيعي أن تتناقض الآراء والرؤية بين جيل الثورة المقاتل وجيل "الختـــيارية" المسالم، لا لفارق السن وحده، بل أيضاً للفوارق في تجربة العمر والعذاب. فهـــذا الجـــيل المسالم اليوم كان هو نفسه جيلاً مقاتلاً بالأمس؛ ومخيم شاتيلا، كمخيم عين الحلوة وغيره من المخيمات الفلسطينية، فيه رجال ناضلوا في الثورة الكبرى على أرض فلســـطين (١٩٣٦ ـــ ١٩٣٩)، وفـــيه رجـــال تعلمـــوا الجهاد في شبابهم على يد الشيخ عز الدين القسّام، فحملوا السلاح باسم المبادئ التي نادى بها لتحرير فلسطين من الانتداب البريطانـــي والصـــهيونية معاً. لكن ها هي أغلبيتهم، في يوم الخميس الواقع فيه السادس عشر من أيلول/ سبتمبر ١٩٨٢، ترفع في مخيم شاتيلا شعار السلام لا المقاومة! فهل كان قرارهم عقلانياً، أم كان قراراً جباناً تحت ستار الأمر الواقع؟

ذلـــك الأمر الواقع اعترف به المناضل المسؤول في الجبهة الشعبية حسين. ولو لم يكـــن الأمـــر كذلك لكان تبادر إلى ذهن المناضل الجريء الشاب سجنهم كحد أدنى، ولما اتفـــق الفـــريقان "علـــى أن يختار كل طريقه بالطريقة التي يراها مناسبة"، كما كتب في مذكراته.(٤٠)

بعـــد انتهاء المجزرة تأكد سكان مخيم شاتيلا من عدد أعضاء الوفد ومن أسمائهم، وكان ذلك فقط بعد اكتشاف الجثث، واكتشاف القرائن الدالة على مصيرهم.

أعضاء الوفد الذين واصلوا مسيرتهم نحو مقر القيادة الإسرائيلية بالقرب من المدينة الرياضـــية، والمـــتفق على أسمائهم في الكثير من الشهادات والكثير من المراجع، كانوا

---

(٣٩) حسين ب.، "مذكرات مخطوطة" (١٩٩٩)، ص ٣.

(٤٠) المصدر نفسه.

أربعة، وهم: صالح محمد أبو سويد، الذي كان يناديه الجميع بكنيته "أبو أحمد سويد"؛ أبو حمد إسماعيل؛ أبو أحمد السعيد؛ أحمد توفيق حشمة. وأعمارهم كلهم ما بين الستين والسبعين عاماً، باستثناء أحمد حشمة صاحب السيارة الذي كان في الأربعينات.(٤١)

يوم كان هؤلاء المسالمون الأربعة لا يزالون أحياء، كان يسهل جداً على سكان المخيم أن يصفوهم. وأمّا بعد موتهم، فكان الوصف عملية صعبة حقاً. وجدت جثث ثلاثة منهم مرمية كل منها في مكان بعد انتهاء المجزرة. وما كان التعرف على أصحاب تلك الجثث سهلاً.

طبيب في الهلال الأحمر الفلسطيني قال: "أربعة منهم وجدوا جثثهم مقوصة مش ممثل فيها، مقوصة، مرشوشة رش."(٤٢) وطبيب زميل له في مستشفى عكا قال إن الجثث وجدت مفرقة على طلعة السفارة الكويتية وفي الشارع العام.(٤٣) لكن نساء المخيم يتداولن أن أعضاء الوفد ذبحوا وقطعت جثثهم. هذا ما تقوله أم ماجد:

> دبحوهم وحطوهم كل واحد بكيس. أبو أحمد سويد وأبو أحمد سعد، هدول بيّنوا على المدينة كل واحد قاتلينه وحاطين هويته على جنبه. وأبو أحمد سعيد لاقوا جثته قدّام الإنعاش، في كيس للزبالة، لكن أحمد حشمة ما بيّنت جثته أبداً، ولا بيّنت سيارته. راحت أخته، يا ويلي عليها، راحت فرجوها جثة مقطعة في كيس، قالت: "هاي مش أواعي أخوي، هاي مش تيابه، هادا مش أخوي."(٤٤)

الاختلاف الأساسي في الروايات هو في كيفية قتل أعضاء الوفد الذاهب من أجل السلام. فهناك من كان متأكداً أنهم قتلوا بالرصاص. وهناك من شهد أن جثثهم كانت مقطعة إرباً إرباً. لكن الحق يقال إن لا أحد شاهد عملية قتل أعضاء الوفد، ولا أحد تمكن من إعطاء تقرير دقيق بعد اكتشاف الجثث الثلاث. وسواء أظهرت الجثة الرابعة كما قال البعض، أم لم تظهر كما قال البعض الآخر، فالقرائن كلها تدل على أن رابعهم قتل أيضاً. إذ إن هناك أكثر من شاهد على ذهابه مع الوفد، وأكثر من شاهد على أنه صاحب السيارة

---

(٤١) POH. S/SH. No. 110 (231/T.86), as above; POH. S/SH. No. 44 (231/T.45). "Abu Jamal". Interview with author. Beirut: Outside talk all through Shatila main street, March 19, 1983; POH. S/SH. No. 62 (232/T.59). "Um Majed" Balqis. Interview with author. Beirut: Friend's house, May 5, 1983.

(٤٢) POH. S/SH. No.13 (238/T.9). Salim Hout. Interview with author. Beirut: Narrator's office, February 11, 1983.

(٤٣) POH. S/SH. No.113 (241/ N.22), as above.

(٤٤) POH. S/SH. No. 62 (232/T.59), as above.

التي ركبها الأعضاء والتي كان يقودها هو بنفسه، وهي التي قادتهم إلى حتفهم.

لكـــن، لا أحد يعلم حتى الآن إلى أي نقطة وصل أعضاء الوفد في رحلتهم الأخيرة القصـــيرة. فبعد وصولهم إلى السفارة الكويتية كيف تابعوا سيرهم؟ هل وصلوا فعلاً إلى مبنى القيادة الإسرائيلية قبالة المدينة الرياضية، أم أن الميليشيات التقطتهم في مكان ما بين الموقعين، أم تسلمتهم من الإسرائيليين؟ وهل تمكنوا من رفع الراية البيضاء، أم أن الموت كـــان أسبق إليهم، فلم يرفعوا راية؟ لم يمنحوا فرصة للكلام. لم يتمكنوا من تبليغ الرسالة للإسرائيليين أنهم وفد سلام، وأن المخيم لا سلاح فيه مذ خرج المقاتلون.

واضـــح أيضاً أن هناك سؤالاً ما زال بلا جواب: من الذي قتلهم؟ الجيش الإسرائيلي؟ أم ميليشيا القوات اللبنانية؟ أم قوات سعد حداد؟ أم مجرد عناصر ميليشيوية غير منضبطة؟

قـــد يأتـــي يوم يجيب فيه أحد الذين يعرفون عن هذا السؤال. واحد من الذين قاموا بعملـــية القتل، أو واحد شاهد زملاءه وهم يقتلون "الختيارية" الأربعة المسالمين. قد يأتي يوم ويتكلم فيه هذا "الواحد"، لسبب أو لآخر.

يبقى هناك أمور كثيرة يعرفها سكان المخيم وكل الجوار عن هؤلاء الأربعة، أهمها أنهم كانوا رجالاً طيبين. لم يكونوا مقاتلين، لكنهم كانوا حقاً رجالاً طيبين. كل من عرفهم ترحّم عليهم، وأسف على فراقهم.

أم علي من الذين يتذكرون أفضال هؤلاء "الختيارية" ومساعداتهم لأبناء المخيم. هي المرأة الجنوبية الشبعاوية التي قادتها الأقدار، في أواسط الستينات، للسكنى مع عائلتها في ذلـــك الجزء من صبرا المجاور جداً لشاتيلا. زوجها كان فقير الحال يعمل بائعاً متجولاً، يحمـــل ثياب بالة ويبيعها في منطقة الجبل. ونسمعها نترحّم على أبو أحمد سويد الذي لم يُعرف إلى الآن من قتله، لكن أم علي تعرف من كان أبو أحمد سويد. نسمعها تقول:

> الله يـــرحم الأرض اللي لمّت أبو أحمد سويد. هذا صديق إلنا، صديق أغلى من الخَيْ. والله بذكره وببكي عليه أكتر من جوزي ومن اولادي.
>
> مـــن أول معرفتـــنا لأبـــو أحمد سويد كنا جايين مش من زمان على المنطقة. وســـمعنا إنّـــو الأخضر العربي قتلته إسرائيل بالجنوب. والأخضر العربي كان بطل، ويومـــيها قتل ببلدنا، وسحبوه.[٤٥] وكانت الأعصاب فايرة، وكانوا الناس عم يتبرعوا بـــالدم. أنا كنت نحيفة كتير، حتى أرق من هيك. فلمّا صاروا يتبرعوا بالدم كنت قاعدة أنا وجارتي عم نسمع إنّو في تبريع [تبرع] بالدم.

---

(٤٥) الأخضر العربي اسمه أمين سعد، من أوائل الذين استشهدوا في مجابهة الإسرائيليين. كان بعثياً ومن المؤمنين بحرب التحرير الشعبية. استشهد فوق تلال شبعا في ١٩٦٩/١٢/٣.

حملـــت حالي وجيت أنا وكان أبو أحمد سويد قاعد على الصندوق بالمخيم. فت أنا. قلّي: "شو بتريدي يا أختي؟" قلتلّو: "بدّي اتبرع بالدم". تطلّع فيّ هيك، وقلّي: "طيّب بدنـــا نشـــيل الدمات بدنا نصير نحطّلّك محلهم يا عمي وجسمك على قدّك." قلتلّو: "لأ، يمكن يكون دمي أقوى من جسمي وأنا من كل قلبي بدّي اتبرع ولو أنا حطّيت غيرهم، بدّي اتبرع." قلّي، الله يرحمه: "والله يا أخت إذا كان بإمكانك ــ ويعني مش إجباري ــ تتبرعـــي بالمصاري أنا بقول أنسب، ولو خمس ليرات، إنّو أنسب ما تتبرعي من دمك لأنك ضعيفة إنتى وبتكونى صاحبة عيال."

بتذكّر إنّو كان معي خمس وعشرين ليرة، ورحت أنا وكمشت الخمس وعشرين ليرة، ورفض ياخدها. صرت أحلف، وهو يحلف، ولا رضيت معه. وبعدني بذكر إني رحت عاالبيت وطبخت طنجرة مجدرة، ورجعت جبتها وقلتلّو: "هاي للفدائية".

وهـــيك مشْيِت الصحبة بينّا. كل ما صار شي روح لعندو، وما تشوفيه إلاّ عنا بالبيت. كان أكتر من خيْ لأبو علي، وأكتر من بَيْ لاولادي.

وفـــي مرة رحت ليه بدّي ساعة كهرباء، لأنّو لمّن صار في مقاومة ما كانش حدا فـــي الدولـــة يعطي اللبناني اللّي ساكن في المنطقة هون. كانوا يقولولنا في الدولة روحوا للمقاومة. ورحت لمدير المخيم رفض يعطيني. قلّي إنّو ما بيعطي غير الفلسطينية.

جيـــت والله وأنا مارة ببكي قلّي أبو أحمد سويد: "شو في يا ام علي؟..." رحت قلـــتلّو. مـــا كـــذب خـــبر. راح من تاني يوم وجبلي ساعة باسم ابنه أحمد، وكان ابنه بيشـــتغل بليبـــيا. راح أخد كارت الإعاشة وجاب الساعة باسم ابنه. إسّى الساعة اللّي عندي باسم أحمد سويد.

وراحـــت الإيـــام وإجت الإيام، واحتجنا للميّ، لعيار الميّ. راح أبو أحمد سويد وجاب الميّ لبيتنا على اسم ابنه أحمد.

مأواك الجنة يا أبو أحمد. مأواك الجنة.(٤٦)

رابعاً: "المسيرة النسائية" والأعلام البيض

مـــع اشـــتداد القصـــف بعـــد ظهر الخميس، ومع امتلاء مستشفى عكا بالمئات من المحتميـــن به، ومع ازدياد المخـــاوف من تكاثر وصول الجرحى إلى المستشفيات بفعـــل القصـــف، راودت عدداً من النساء فكرة الذهاب إلى الإسرائيليين ليؤكدن لهم أنهن يردن الســـلام، وليطالبن بوقف قصف صبرا وشاتيلا. وبينما كان الحديث صاخباً قام رجل من

(٤٦) POH. S/SH. No.18 (238/T.20), as above.

المحتمين بالمستشفى، فشجعهن على ذلك وتطوع لمرافقتهن. وهناك رواية أُخرى تقول إنه كان هو صاحب الفكرة والبادئ بالتشجيع. هكذا يقول الشاهد أبو محمد:

> إجا شخص على مستشفى عكا، لابس بنطلون شورت وقميص نص كم وفاتح صدره، وعمره أربعين سنة أو أقل شوي، وقال يلاّ قوموا يا جماعة قوموا لنروح، هاي العسكرية على السفارة الكويتية. هادا الشخص لبناني، قام أخد الناس كلها على أساس الناس طالعة مظاهرة، عملولهم أعلام بقلب المستشفى، وأنا والدكتور محمد الله يرحمه قاعدين بالمستشفى. وعملولهم الأعلام على أساس بيضا، وعملوا الخشبات، وطلعوا ما يقارب حوالي شي سبعين أو تمانين مَرَةْ وولد وبنت، معظمهم نسوان واولاد.[٤٧]

انطلقت مجموعة النساء مع أولادهن من مستشفى عكا ومحيطه متجهة شرقاً نحو مستديرة المطار، ومن المستديرة اقتربت النساء من الجسر على طريق المطار حيث كان هناك نقطة للإسرائيليين. من المؤكد أن النساء ما نسين حمل الأعلام البيض وقد رفعنها فعلاً، غير أن الجنود الإسرائيليين بادروهن بالرصاص.

تروي سعيدة، إحدى المتظاهرات والعاملات في مستشفى عكا، كيف ارتفع صوت أحد الضباط يقول: "وين جايين؟ ما في شي خببيي وين جايين؟ ما في شي روخوا بيت. شو فى؟ يلاّ من هون يلاّ من هون روخوا بيت. سامعين." ثم ارتفع الصوت بحدة وعنف: "أنا بدّي واحد منكم بس يحكي معي، واحد منكم، والباقي يستنّى بعيد." وذهبت امرأة ومعها رجل كان يرافق المسيرة، وشرحا له كيف أن القذائف تسقط على بيوتهم وذويهم بينما لا توجد مقاومة في كل صبرا وشاتيلا. لكنه لم يعدهما شيئاً، بل تلفت إلى الجمع الحاشد وقال: "يلاّ روخوا لفوق في رئيس كبير على السفارة الكويتية."[٤٨]

عادت النساء وأطفالهن من الطريق نفسها لمقابلة ذلك المسؤول الإسرائيلى قرب السفارة الكويتية كما طلب الضابط. وكانت الساعة تقارب الخامسة مساء كما تتذكر سعيدة. وهي تتذكر كيف أن المسلحين كانوا بالعشرات يملأون الطريق.

المسافة بين النقطة الإسرائيلية المذكورة والسفارة الكويتية، حيث وصلت مسيرة النساء، تُقطع سيراً على الأقدام في الحالات العادية بخمس دقائق. لكنها هذه المرة كانت مسافة طويلة جداً، ذلك بأن المسيرة التي شارك فيها نحو خمسين من النساء والأطفال وعدد قليل من الرجال، تزامنت مع دخول الميليشيات المسلحة شاتيلا. لم يكن في إمكان النساء أن يفهمن ما معنى تلك التحركات، وما معنى أقوال هؤلاء المسلحين بعضهم

(٤٧) POH. S/SH. No. 133 (249/T.104), as above.

(٤٨) POH. S/SH. No. 46 (234/T.47), as above.

لبعض: "إنتوا ادخلوا من هون، نحنا من هونيك." وما معنى هرولة عشرات المسلحين في مجموعات تدخل كل منها مدخلاً أو زاروباً، أو تتوجه نحو المدينة الرياضية (اتضح فيما بعد أنهم كانوا يتوجهون إلى المدينة الرياضية من أجل دخول زواريب "شاتيلا الكبرى" من تلك الجهة). لكن، هل كان في إمكان هؤلاء النساء أن يدركن أن هؤلاء المهرولين إنما يهرولون لقتل ذويهن وجيرانهن في البيوت؟ ما كان في إمكانهن أن يدركن ذلك. فالمجزرة لم تكن ابتدأت بعد. لا أصوات، ولا صراخ، ولا إطلاق رصاص.

هناك شيء واحد أجمعت النساء عليه في شهاداتهن، وهو إدراكهن أن هؤلاء المسلحين لم يكونوا قط إسرائيليين، وإنما كانوا لبنانيين من الميليشيات المسيحية. وقد عرفن ذلك من لهجاتهم وهم يحدثون بعضهم بعضاً، ومن الأسماء التي كانوا ينادون بها بعضهم بعضاً: "جورج.. مارون.. ميشيل.."

الواقع أن المجزرة كانت على وشك أن تبتدئ. كانت الميليشيات نفسها في حالة ترقب وتقدم، وكان عددها وفقاً لتقدير سعيدة وغيرها بالمئات. غير أن أحداً من الميليشيات المتقدمة لم يتعرض لمسيرة النساء، ربما لأنه كان يعلم أن مهمته الأساسية هي في الداخل، داخل الحدود المرسومة.

كان بالقرب من حائط مبنى جمعية الإنعاش، قبالة السفارة الكويتية، جماعة من الميليشيات واقفة للحراسة والمراقبة، فأمرت النساء بالتوقف؛ وهناك كانت نهاية المسيرة.

أخذ أكثر من واحد من المسلحين يصرخ على النساء: "مين معكم شباب؟"

وتقدمت إحدى النساء ترد بصوت مرتفع: "بس بدنا نحكي كم كلمة بس، بس كلمة، جايين نحكي قديش في بمستشفى عكا هناك معنا اولاد وخايفين من القصف." وجاء الجواب سريعاً وحازماً: "ما تحكوا ولا كلمة. سكروا بوزكم. خلّيكم قاعدين وما تحكوا ولا كلمة. مين معكم شباب؟"

عدد قليل من الرجال الكبار في السن "الختيارية" كان رافق المسيرة، ولم يكن في المسيرة كلها من الرجال في عمر يسمح بحمل السلاح سوى اثنين أو ثلاثة فقط. ولمّا أشار الميليشيوي المسؤول إلى رجلين كانا يقفان جنباً إلى جنب بالتقدم، تبرعت عدة نساء للتأكيد أن هذين الرجلين المرافقين لهن لبنانيان مدنيان، وأنهما قاما بمرافقتهن للوصول إلى مركز القيادة الإسرائيلية. لكن بدا كأن المسؤولين الميليشيويين لم يسمعوا شيئاً. كانت نهاية قصة الرجلين أن صرخ المسلحون عليهما: "ارفعوا العشرة". ورفعا الأيدي، فقام المسلحون بوضع اللثام على وجهيهما، ثم اقتادوهما نحو الداخل، صوب المدينة الرياضية.

اخر مرة شوهد فيها هذان الرجلان كانت وهما يبتعدان شيئاً فشيئاً على الطريق، من

مبـــنى جمعية الإنعاش في اتجاه المدينة الرياضية، حتى اختفى كلاهما في معالم الطريق. هكذا اختفى الرجلان اللذان لم تعرف أي من الشاهدات اللواتي تحدثت معهن اسميهما، ولا مصيرهما.(٤٩)

لكـــن سكان بئر حسن تحدثوا حال انتهاء المجزرة إلى الصحافة الأجنبية عن هذين الرجلين، وقالوا إنهما كانا أباً وابنه. الأب اسمه سيد، كان يعمل في محطة للوقود بالقرب من مستشفى عكا، وابنه كان اسمه حسن.(٥٠)

وهكذا عرفت هوية الرجلين، فهما أب وابنه. لكن لم يُعرف لماذا وكيف ومتى رافقا المسيرة. غير أن الأجوبة سهلة بمجرد معرفة موقع محطة الوقود؛ فهذه المحطة ملاصقة لمستشفى عكا، ولا بد من أنهما شاهدا النساء يخرجن من المستشفى مع أعلامهن البيض، فدبّت فيهما النخوة والشهامة لمرافقتهن.

أمّـــا الـــرجل الذي شجع في قلب المستشفى النساء على المسيرة، والذي كان كما وصفه الـــراوي "لابس بنطلون شورت وقميص نص كم وفاتح صدره"، فلم يعرف إلى أي مدى رافق المسيرة، هل تركها قبل الوصول إلى حائط مبنى جمعية الإنعاش، أم أن عيون الميليشيويين لم تتنــبه لـــه؟ المعروف عنه أنه عاد إلى بيته بعد أن هدأت الأحوال في بئر حسن؛ فهكذا روى الشاهد نفسه الذي راه يشجع على المسيرة في مستشفى عكا.(٥١)

الأعلام البيض التي رفعتها النساء دلالة على أهداف المسيرة أثارت أعصاب المهاجمين الميليشـــيويين، وكـــان لها تأثير سلبي شديد، فجاؤوا بتلك القطع من القماش الأبيض ودعسوها بأقدامهم، وهم يقولون:

> شـــو جايبين كمان أعلام؟ منيح كمان جايبين أعلام. كمان جيبوا علم فلسطين. جايبين أعـــلام بيض؟ اقعدوا هون. خلّيكم قاعدين هون.. بس نخلص هلّق إذا ما في مخربين بنطلّعكم. لكن إذا في مخربين، يا ويلكم، بدنا ناخدكم.(٥٢)

خـــلال ســـاعة الحجـــز التي بدت أنها ساعات، عاد المسلحون يطلبون من النساء والأولاد الوقوف قرب الحائط، اللبنانيات إلى جانب والفلسطينيات إلى جانب آخر. وكانت

---

(٤٩) Ibid.; POH. S/SH. No. 32 (232/T.31). Thunaya B. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, March 3, 1983; POH. S/SH. No.117 (230/T.91). Anonymous. Interview by Q. Massacre area: Narrator's house, August 1984.

(٥٠) Amnon Kapeliouk, *Enquête sur un massacre: Sabra et Chatila* (Paris: Seuil, 1982), pp. 51-52.

(٥١) POH. S/SH. No. 133 (249/T.104), as above.

(٥٢) POH. S/SH. No. 46 (234/T.47), as above.

مناســبة ليتضح أن القسم الأكبر لبنانيات، لكن هذا لم يشفع لواحدة منهن. بقي المسلحون على غطرستهم وعلى تشكيكهم في هويات اللبنانيات: "اللّي ما بيحكي الحقيقة إحنا بنعرف مــن حكــيو. بــنعرف الفلسطيني من حكيو، وبنعرف اللبناني من حكيو. إحكوا الحقيقة أحسنلكم." ولمّا جاء دور امرأة متوسطة العمر وبدينة أجابتهم بشجاعة: "أنا فلسطينية وما بدّي أنكر أصلي. اللّي بنكر أصله بيكون بلا أصل."[٥٣]

استمرت الاستجوابات، وفجأة صاح أحد المسلحين بالنساء والأولاد:

> يــلا اســكتوا كلكم ولا كلمة. اسكتوا واركضوا من هون، اركضوا من هون ولا حدا يــتحرك ولا يتلفــت لا هيك ولا هيك. ضلكم ماشين على طول على طول، اللّي بدّو يتحرك رح نكوموا وندشروا هون.[٥٤]

هبــت النســاء مهرولات، ومن لم تستطع راحت تحاول اللحاق بالأُخريات. سمعت سعيدة أحدهم يقول لرفاقه: "يلاّ ناخدهم لفوق ونخلّص عليهم." ثم رأت مسلحاً جاء مسرعاً لــيقول لهــم: "هلّق بسرعة خدوهم بسرعة قبل ما تيجي دبابة إسرائيلية." وتحدد مصير النســوة فــي تلــك اللحظات؛ منهن من ركضن مسرعات طلباً للنجاة في الطرق الترابية المتعرجة خلف المدينة الرياضية، غير أن أيدي قوية مسلحة امتدت لتمسك بهن ولتقودهن على الرغم منهن نحو الزواريب الضيقة؛ ومنهن من استطعن مع صغارهن عبور بولفار المدينة الرياضية ثم الوصول إلى مقربة من مبنى القوات الدولية (UN)، غير أنهن تلقين هــناك الأوامــر بالوقوف مرة ثانية. ولم يشفع لامرأة بكاؤها ورجاؤها أن تذهب لإطعام أولادها الصغار الذين تركتهم في البيت.

أمّــا ســعيدة، إحدى راويات مسيرة النساء، فقالت أنها اكتشفت قرب مبنى القوات الدولية غياب الكثير من النساء اللواتي كن في المسيرة، وظنت أنهن تمكنّ من الهرب بين الزواريب فى فوضى الركض وتخوُّف المسلحين من قدوم دبابة إسرائيلية.[٥٥] كان ظنها فــي محله، غير أنها لم تكن لتتصور أن هؤلاء النسوة قد تعرضن للاغتصاب والقتل،[٥٦] وأن حظهــا وحــظ اللواتي ساقوهن نحو مبنى القوات الدولية كان أفضل جداً، ذلك بأنهم اقتادوهن نحو شاحنة كبيرة كانت تقف هناك. وقد أرغمت النساء على ركوب الشاحنة.

هكذا انتهت مسيرة النساء.

Ibid. (٥٣)

Ibid. (٥٤)

Ibid. (٥٥)

Kapeliouk, op. cit., p. 52. (٥٦)

وهكذا انتهى مصير النساء المشاركات في المسيرة. منهن من اغتُصبن، ومنهن من قُتلن، ومنهن من خُطفن.

فـــي نحو الساعة السابعة مساء، وبينما الأنوار الكاشفة تملأ السماء، انطلقت سيارة شـــحن كبيرة تحمل عشرات النسوة والأولاد، وكان قد أضيف إلى النسوة اللواتى ارتكبن "جـــريمة المشـــاركة فـــي المسيرة"، عدد من النساء والفتيات اللواتى كن ارتكبن "جريمة الاحتماء بالملجأ"، وكان الملجأ القريب من مبنى جمعية الإنعاش. فقد كان قدر ذلك الملجأ أن يكون من أول الملاجئ التي تعرضت للهجوم، فأجبرت النساء على الخروج منه وهن رافعات الأيدي فوق الرؤوس. قسم من هؤلاء النسوة اقتيد إلى الزواريب، وقسم آخر أُجبر على ركوب الشاحنة، التي ما لبثت أن انطلقت.

أمّا عن الشاحنة ومصير ركابها، فتلك رواية أُخرى.

خامساً: محاولات التصدي للجيش الإسرائيلي المحاصر

على النقيض من توجه كبار السن من أهل المخيم إلى القيادة الإسرائيلية كي يؤكدوا لها أن لا سلاح في المخيمات ولا مقاتلين، أو من قيام المسيرة النسائية للهدف نفسه، كان توجـــه عدد من الشباب نحو التصدي للإسرائيليين مهما تكن النتائج؛ فلا يعقل أن يحاصر العدو الإسرائيلى المخيمات ولا يتصدى له كل من يستطيع ذلك.

مـــن كـــان هؤلاء الشباب؟ وهل كانوا فلسطينيين فقط، أم فلسطينيين ولبنانيين؟ وكم كان عددهم؟ وكم كان لديهم من السلاح؟ وأين تمكنوا من التصدي؟ وهل كانت لديهم خطة شاملة للمجابهة؟ وكيف كان يمكن الوصول إليهم لمعرفة ما جرى؟

ورد فـــي مقدمة الكتاب أن المقابلات مع ذوي الضحايا والشهود كانت تتم بصورة عفويـــة مـــن دون الحاجـــة إلى تخطيط مسبق أو انتقاء معين. فالحدث كان تجربة عامة وحديـــث العهـــد، وقدرة أصحاب الشهادات على تفهم أهمية التأريخ لهذا الحدث الدرامي كانـــت الـــبوابة التي تم الدخول منها إلى أعماق الذاكرة والوجدان. وهكذا كانت المقابلة الواحـــدة تتلوها مقابلات مستندة إلى ما ورد فيها من أسماء وأحداث. غير أنه كان هناك فـــئة واحـــدة لم يكن في الإمكان الوصول إليها بعفوية من خلال شهادات ذوي الضحايا، وتلك هى فئة المقاتلين. ذلك بأن المقاتلين كان عددهم محدوداً جداً، كما أنهم آثروا الابتعاد عـــن أضـــواء الصحافة فيما بعد المجزرة، وما كان من وسيلة للوصول إليهم سوى عن طـــريق رفاق أو أصدقاء لهم كانوا يعرفون مسبقاً عنهم، ويعرفون كيف يجدونهم؛ وهكذا لمّا صادف وجود بعض هؤلاء "الأصدقاء" بين شباب المخيم العاملين في مشروع التاريخ

الشفهي في المرحلة الأولى (ما بين سنة ١٩٨٢ وسنة ١٩٨٤)، أمكن لهؤلاء العاملين أن يجروا مقابلات مع بعض المقاتلين، بناء على الصداقة والثقة المتبادلتين.

غير أن هذا النوع من المقابلات في تلك المرحلة كان محدوداً، وبالتالي لم يكن كافياً لتوفير الصورة الشاملة لطبيعة التصدي ومدى فاعليته. وهذا ما دعاني، في المرحلة الثانية من المشروع (بين سنة ١٩٩٨ وسنة ٢٠٠١)، إلى العودة لاستكمال المقابلات بالوسيلة نفسها، أي عن طريق عامل في المشروع صديق لعدد من المقاتلين، حتى اكتملت معالم الصورة.

معظم المقاتلين كان في عمر الشباب، ومنهم من كان دون العشرين. أمّا الأكبر سناً بينهم فهو أبو هشام الذي كان في العقد الخامس من عمره، وهو لمّا سئل هل كان هناك قيادات اجتمعت وقررت شيئاً ما فور دخول الجيش الإسرائيلي وحصاره للمنطقة، أجاب:

> إحنا بعد ما طلعوا المقاتلين ما ضل إلاّ العائلات.. قيادات ما قيادات أنا ما شفت شي .. لا. واللّي بيقولّك إنّو إحنا وقفنا.. وقاتلنا.. هلّق في ناس كتير عم بيزايدوا بعد سبعة عشر سنة، لكن إحنا ما منعرف المزايدة، إحنا إيديولوجية الجبهة [الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين] إنّو هيّ بدها تقاتل الإسرائيلية. لَنّو إحنا لَمّن إجوا الإسرائيلية وصاروا عنا هون، وهَيْهن [وها هم] قاعدين بيشربوا الشاي عند مستشفى عكا، ليش ما نقلق راحتهن؟..
>
> يعني يومها وقفنا إحنا الجبهة الشعبية. وما مقاتلين كتار اللّي ضلّوا، ما كتار، كنا سبعة تماني، مش أكتر، وفي معنا كان ناس تانيين.
>
> .. هيّ سيرة المجزرة الحقيقية إحنا اللّي شفناه منقولو، واللّي ما شفناه ما منقولو، واللّي منسمعو منقول سمعناه.(٥٧)

وهكذا، فشهادات أبو هشام وسواه من الذين حملوا السلاح وقاتلوا، رجالاً وفتياناً، وشهادات السكان الذين شاهدوا ما كان يجري، هي المصدر الوحيد الذي يمكن الاستناد إليه في رواية عمليات التصدي.

بلغ مجموع الأماكن التي شهدت عمليات التصدي أربعة، هي: حي الحرش؛ حي فرحات؛ حي الفاكهاني؛ حي الدوخي. ويقع حي الفاكهاني خارج حدود صبرا الشمالية، لكننا اعتبرنا أن لعمليات التصدي التي جرت فيه علاقة مباشرة بصبرا وشاتيلا تحديداً، أكثر منها بـ "بيروت الغربية" عامة، لسبب رئيسي هو أن الخطة الإسرائيلية قامت على

---

(٥٧) POH. S/SH. No.129 (238/T.99). Hajj "Abu Hisham". Interview by Khaled 'Abadi. Beirut-Shatila: Narrator's house, September 15, 1999.

أساس أن حي الفاكهاني يقع في دائرة المخيمات المحاصرة. فقد ورد في الصحافة العبرية صباح الجمعة أن الجيش الإسرائيلي استكمل يوم الخميس تطويق مخيمات اللاجئين في أحياء صبرا، وشاتيلا، والفاكهاني.(٥٨)

ذكر الناس معلومات متباينة عن توفر السلاح؛ فمنهم من قال إن السلاح كان مفقوداً، ومنهم من اعتبر أن السلاح لم يكن مشكلة ما دام الكلاشينكوف متوفراً لدى بعض الشباب.

كتب حسين، المسؤول في الجبهة الشعبية، في مذكرات موجزة له عن الأمن في المخيم، ما يعطي صورة حية وواقعية لما كان الوضع عليه:

> لم تكن هناك لجنة أو هيئة مسؤولة عن أمن المخيم، ولكن المخيم كان مقسماً سابقاً بفعل تواجد القوى الفلسطينية ومواقعها السابقة، فكان محور الشعبية مثلاً يمتد من قصر صبري حمادة حتى الحرش، حيث كان لها مقر مقابل مستشفى عكا. حى فرحات للجبهة العربية وهكذا...
>
> كان الوضع أشبه بعسكري "دبّر راسك" حيث أن كافة القيادات إمّا خرجت بالبواخر أو توارت عن الأنظار في الأحياء السكنية في المدينة بعيداً عن المخيمات.
>
> وكان الوضع النفسي محبطاً، فخروج المقاتلين والثورة من بيروت وآثار الاجتياح خلقا وضعاً مربكاً ومواجهة المجهول، والذي هو في أحسن الحالات مر.(٥٩)

أبو هشام، العضو الآخر في الجبهة نفسها وأكبر المقاتلين سناً، شهد على أنه كان هناك مناوشات و"طقطقة" منذ حصار- الإسرائيليين لمنطقة شاتيلا، وهذا ما جعل الناس تهرب إن استطاعت إلى أي مكان آخر أكثر أمناً. أمّا صباح الخميس فقد ناداه رفيق مسؤول عن المستودعات، وسأله عن السلاح الموجود فيها وكميته. وهنا يشرح الراوي الوضع:

> نحنا بعد الانسحاب، يعنى بعد ما طلعوا المقاتلين بلّشنا نِدّي [نُعطي] المرابطون سلاح، ونِدّي الاشتراكية ونِدّي الحركة، حركة أمل، وما كانش في حزب الله يومها، ونِدّي ونِدّي لعالم تانية، وكلهم كانوا شباب قبضايات.
>
> هلّق قلّي المسؤول: "بتقدر تجيب سلاح للشباب...؟" قلتلّو: "أنا اللّي بجيب".
>
> أنا سيارتي معاي. رحت أنا طلعت على عيشة بكار، طلعت حكيت مع شاب هناك مسؤول هو بحزب العمل الشيوعي قلتلّو أنا فلان وهيك هيك القصة. قلّي تكرم، مشِّي معي... [وذهبا إلى منطقة الكولا] هلّق صار على العكس، صرنا إحنا نجيب

---

(٥٨) جريدة "دافار"، ١٩٨٢/٩/١٧.

(٥٩) حسين ب.، مصدر سبق ذكره، ص ٧.

سـلاح من برّا، صرنا إحنا ناخد من عندهم... والله صرت أروح أنا. كان عنا سيارة جيب، سيارة تويوتا ستايشن.. ومرتين تلاتة رحنا وعبينا السيارة سلاح...(٦٠)

السلاح الذي جاء به أبو هشام من الأحزاب الوطنية اللبنانية استخدم في حي الحرش فقـط. وقـد كـان لكل حي وضعه الخاص بالنسبة إلى السلاح؛ فالوضع في كل من حي الفاكهانـي وحي الدوخي كان مختلفاً، حيث استعمل السلاح الذي تمكن المقاتلون من جلبه مـن بيوتهم ومن المكاتب القريبة، وكان عبارة عن الكلاشينكوف والآر. بي. جي. كذلك في حي فرحات لم يستقدم سلاح من خارج المنطقة، فهناك كان مستودع للسلاح، لكن لمّا كانت نوعية السلاح المخبأ فيه ليست من نوعية السلاح المطلوب للتصدي والمجابهة، فقد اتخذ القرار بتفجيره لأسباب سنتوقف عندها لاحقاً.

أ ــ حي "الحرش"

أولـى القذائـف التـي أطلقت على الجيش الإسرائيلي من شاتيلا كانت من منطقة الحرش قبالة مستشفى عكا، ولم يكن المقاتلون الذين أطلقوها قد تهيأوا فعلاً للقتال؛ بعضهم كـان في مكتب الجبهة الشعبية في لقاء روتيني، وبعضهم الآخر كان لا يزال في البيوت، لكنهم ما إن فوجئوا بوصول الدبابات الإسرائيلية حتى بادروا إلى حمل السلاح الذي توفر لهم.

يـروي الرفـيق حسين أنه لمّا سمع، يوم الخميس، أن القوات الإسرائيلية تمركزت تحـت جسر الكولا، قام وارتدى ملابسه على عجل وذهب مع رفاق له إلى منطقة الكولا حيث وجدوا الوضع طبيعياً، فتوجهوا عائدين في اتجاه مخيم شاتيلا، لكنهم شاهدوا دبابات مـيركافا قـرب كلية الهندسة التابعة لجامعة بيروت العربية، فغيروا طريقهم نزولاً حتى شارع صبرا، ومن هناك نحو منطقة الحرش حيث المكتب السياسي للجبهة.(٦١)

قـبل أن يصل الرفيق حسين ومن معه إلى المكتب كان غيره قد وصل. ولكل من هؤلاء رواية عما قام به، أو شاهده. منهم أبو الرائد الذي روى كيف علم بتحرك وحدات الجيش الإسرائيلي من امرأة فلسطينية دخلت مكتب الجبهة، وهي فزعة:

بتيجـي علينـا مَـرَه ملهوفة وخايفة، وراحت تقولنا: "الإسرائيلية صاروا على قصر صبري حمادة وإنتو قاعدين هون!" المهم قلنالها: "معقولة؟! ..."

المهـم.. رحـنا أنا ورفيق تاني، وكنا لابسين مدني، تاوصلنا تقريباً عند بناية

---

(٦٠) POH. S/SH. No. 129 (238/T.99), as above.

(٦١) حسين ب.، مصدر سبق ذكره، ص ٢.

الأمـــن أو قبل بشوي. يعني شفناها مبينة ميركافا وجنود إلخ. هلّق ما معنا سلاح إحنا. كنا رايحين بشكل استطلاعي، يعني هيك رحنا ردة فعل على اللّي قالتو إلنا المَرَه. فلمّا تأكدنـــا، جيـــنا ركض على مكتبنا، على المكتب السياسي، ولقينا تلات رفاق من قيادة الجـــبهة [كـــان حســـين المسؤول ومن معه قد وصلوا إلى المكتب في أثناء ذهاب أبو الرائد للاستطلاع] ...

قلتلهم: "يا رفاق، الإسرائيلية صاروا على قصر صبري حمادة." قالوا: "شو عم تحكـــي؟" قلـــتلهم: "هيك هيك مزبوطة القصة." فقال الرفيق حسين: "هلّق روح شوفلي فـــلان وفـــلان وفلان من الشباب." عرفت كيف يعني؟ في ناس محددين رحت دوّرت عليهم، لقيتهم، من ضمنهم صهري، وكلهم أربع شباب ...

المهـــم أخذنـــا قـــرار.. وكلها ما فيش ربع تلْت ساعة. كان في بالمكتب تلات قذايـــف بي سفن، وقذيفة واحدة آر. بي. جي. ومخبيين عنا شي خمس ست كلاشينات ورشـــاش مـــان، بس الذخيرة ما بتقدّي لحرب، لكن لقتال هيك خفيف يعني أبو عشر دقايق، كل واحد ممكن يطلعله تلات أربع مخازن إن كتّرت.

فالمهم الرفيق حسين قال: "بدنا نحاربهم يا شباب .. ما بدنا نخلّيهم يفوتوا على المخـــيم. وهـــاي فرصـــة إنّو صاروا هون يعني إجونا، متل ما قال الحكيم [الدكتور جورج حبش] كنا نتمنى يوصلوا، صاروا واصلين، فبدنا نقاتلهم..."(٦٢)

مـــا إن وصلت أول دفعة من السلاح إلى مكتب الجبهة حتى كان قد تجمع عدد من الشـــباب في المكتب بلغ نحو سبعة عشر مقاتلاً، لكنهم ما كانوا جميعاً ينتمون إلى الجبهة الشـــعبية وحدهـــا، فقد كان هناك من غير الجبهويين شبل وفتاة من "فتح"، قام كل منهما بدور مميز.

أعطـــى المســـؤول حســـين في مكتب الجبهة الشعبية تعليماته لأبي الرائد وآخرين، كي يذهـــبوا إلـــى مكتب الجبهة بالقرب من مستشفى عكا في مهمة استطلاعية لتقدير إمكان العمل ضد العدو. وهو الإمكان الذي لا يخرج عن قاعدة "اضرب واهرب". وكما روى أبو الرائد:

والله ورحـــنا، أنـــا وتـــلات رفاق، معنا بي سفن، وتلات كلاشينات، ومعنا كل واحد قنبلتين، قنابل يدوية، وكنا ملتمين إجمالاً، كنا مغطّين روسنا بحطات حمرا بتاعة الفلســـطينية [المقاتل المتحدث لبناني]، يعني مش مبينين إلاّ عيونّا، لأنّو بتعرف حوالينا جواسيس.

---

(٦٢) POH. S/SH. No. 130 (231/T.100). "Abu Ra'ed". Interview by Khaled 'Abadi. Beirut-Shatila: Narrator's house, September 29, 1999.

قبل ما نوصل مكتبنا بشي سبعين أو مية متر، قلّي المسؤول عنا إحنا الأربعة: "إنتِ حط سلاحك، وانزل على مستشفى عكا شوفلنا وين في إسرائيلية."

هلّـق حطّيت سلاحي أنا وبقي هوّ، ومعه اتنين شباب. طبعاً هلّق ماشي أنا بشكل أساسي إنّو مدني، ولبناني بلا مؤاخذة، ماشي طبيعي نزلت وصلت عند المكتب، ما نحنا مكتبنا عاالشارع. عم بنزل عاالشارع اتطلّعت هيك ولاّ بشوف جيش إسرائيلي علـى مدخل شاتيلا طلعة السفارة الكويتية. اتطلّعت هيك باتجاه جسر المطار، كان في دبابـة حامية حالها وبارمة بوزها ومدفعها مصوب لساحة الغبيري، كيف عرفنا؟ لأنّو بعديـن قرّبـنا حتى تأكدنا. يعني المهم نزلت أنا وقفت شي خمس دقايق مع المدنيين، وكـان مستشفى عكا مليان، شباب ونسوان وبتعرف حالة حرب، والناس راحت على أساس تحتمي بالملاجئ في المستشفى، وما حدا بقرّب على مستشفى. وأنا حكيت معهم وكنت نسبة كتيرة منهم بعرفها.(٦٣)

فـي أثـناء العودة من عملية الاستطلاع هذه، وبينما كان أبو الرائد ينزل من قرب مكتـب الـزوق، بيـن المكتب الشيوعي والحسينية في أول الحرش، شاهد شبلاً فتحاوياً معـروفاً في شاتيلا واقفاً عند مدخل الحسينية، وكان واضحاً أنه بمفرده، وأنه ذهب ليقاتل من دون أن يخبر أحداً، أو أن يأخذ أوامر من أحد. وما إن تقدم أبو الرائد قليلاً حتى شاهد "الإسـرائيليين" يمشون في الشارع العام، متجهين من جسر المطار نحو السفارة الكويتية. شـاهد عشـرة جنود أو اثني عشر جندياً يمشون، وأمامهم مقنعان اثنان يهرولان، وكان واضـحاً أن مهمـة المقنعَيْـن إرشاد "الجنود" إلى الطريق. وهنا يصف أبو الرائد هؤلاء "الجنود" والجاسوسَيْن أمامهم بقوله:

بْـتعرف كيف كلّو بصير بلمح البصر. والله العظيم، المهم طلِعْت أركض هيك، بيقولولي الإسرائيلية: "روخ، روخ، إرجع لورا." والله العظيم، هلّق كيف رجعت، كيف لقّيـت، مـا بعـرف، المهم ما سمعت حالي إلاّ بصرخ على شبل من عنا: "يا هاني، الإسـرائيلية تحـتك." وانسـحبت أنـا ومشيت في اتجاه الشباب رفاقنا. بسمع صوت انفجار، انفجار قنبلة، مبينة يدوية، صرت أصرخ عن بعيد، بعد مش شايفهم، زواريب بالحـرش، صرت أصرخ: "يا فلان، يا فلان، الإسرائيلية صاروا هون"، عرفت كيف، "بدهم يفوتوا على الحرش." ما بعرف طلعت معي هيك.

هلّـق عرفـنا بعدين إنّو كان هاني اللّي ضرب قنبلة يدوية على المشاة، وبنفس اللحظـة، يعني خلال دقيقة أو يمكن نص دقيقة الشاب تاع فتح، الشبل، كان فقع قنبلة

---

(٦٣) Ibid.

فوسفورية، يعني تلقحوا، التّعَن حريشهم متل ما بيقولوا.[٦٤]

ما إن وصل أبو الرائد متحمساً كي يؤكد لرفاقه في الحرش أنه رأى "الإسرائيليين" بالعين المجردة، حتى عاد فتلقى أمراً بالذهاب مرة ثانية إلى جهة مستشفى عكا، لكنه ذهب هـذه المرة مع سلاحه، ومع رفيق مسلح آخر يحمل بي سفن. وكانت المهمة نصب كمين في مكان مرتفع يطل على "الإسرائيليين" في منطقة جسر المطار لضرب دبابة إسرائيلية. وهو يروي:

> بدنـا نشوف إذا فينا نْصيب دبابة. المهم نزلنا، أنا والرفيق حسيب، شفناهم عند الجسـر. شفناهم. المهم يا أبو الحبايب ساعتها بلّشت. صار هو يقوّص هيك، أنا قوّص هـيك. نحنا ما تنسى كنا واقفين بالشارع وكنا عارفين ممكن نتعرض للقتل، للإصابة. ونحنا بعدين انسحبنا شوي على مكتبنا اللّي بيبعد عن الشارع خمس أربع امتار.
>
> هلّـق نحنا أطلقنا النار، وهنّي بلّشو قصف مدفعي، وقصف دخاني كمان، علينا وعلـى الخـط كلّـو، خط الحرش كلّو لداخل الحرش كلّو. المهم بلّشنا إطلاق النار، وبلّشوا همّي قصف مدفعي ...[٦٥]

وهكذا.. ابتدأت المعركة.

فـي تلـك الأثـناء كان خمسة أو ستة مقاتلين آخرين قد توافدوا على مكتب الجبهة الشـعبية، مـن الجبهة نفسها ومن تنظيم فتح. وتوجهت مجموعة صغيرة كان بينها الشاهد المـتحدث أبو الرائد، والرفيق حاتم، والفتاة المناضلة الفتحاوية فاطمة، والرفيق بطرس قائد هـذه المجموعـة الصغيرة. وقد جرى اشتباكان في الدقائق الأولى، فكانت أصوات القذائف والرصـاص تسمع من الجهتين. ثم توجه ثلاثة منهم صوب "المقبرة الجماعية" (كما عرفت هـذه الـبقعة فـيما بعد). وما إن ابتعدوا سبعين متراً عن مقر الجبهة حتى شاهدوا "شاحنة إسـرائيلية عسـكرية" ملآنـة بالجـنود متوجهة من مستديرة المطار نحو السفارة الكويتية. وأطلقت الشاحنة النار على الحرش. فسّر الشباب إطلاق النار هذا بأنه للاحتياط أو للوقاية، لكنه ليس إطلاق نار عشوائياً أبداً. وحاول الرفيق حاتم إطلاق بي سفن على الشاحنة:

> كان الرفيق حاتم بعيد عنا خمسين ستين متر، بيقوم لسوء حظه وحظنا، بقوم عم برفع الـ بي سفن بدّو يفقع الشاحنة، والشاحنة مكشوفة، يعني لو زبطت معو كانت مجزرة للإسرائيلية، لكن ما بشوف غير طلقة إم سكستين إجت من صوب السفارة الكويتية، ما

---

(٦٤) Ibid.

(٦٥) Ibid.

كان يومها في هاالعمار اللّي منشوفو اليوم كلّو عاالشارع هيدا، المهم إجتو الطلقة هون بخده، وقع بالأرض. وسحبناه بسرعة. وبلّشوا الإسرائيلية اللّي بالشاحنة متل اللّي انتبهوا، وبلّشوا حصد في منطقة الحرش. نحنا هلّق كنا سحبنا الرفيق حاتم زي ما قلتلّك وسلمناه لمدنيين واقفين، لمين ما بعرف صراحة، لأنّو نحنا عارفين حالنا كنا كم مقاتل ما بدنا نترك المحور. عرفت كيف. كنا حاسبين إنّو بدهم يفوتوا، إحنا مش حاسبين والله إنّو بدهم ياخدوا الاوتسترادات، ويقطعوا المناطق، ويفوتوا على الزواريب.(٦٦)

استمر الرفيق بطرس والمناضلة فاطمة ومعهما اثنان أو ثلاثة في إطلاق النار صوب تلة مرتفعة بالقرب من السفارة الكويتية كانت في الحرب موقع مدفعية للمضادات ضد الطائرات. ثم توقف إطلاق النار من جهة المقاومين حين بدأ الإسرائيليون يقصفون بالمدفعية قصفاً قوياً. وشوهد الطيران الذي كان حريصاً على ألاّ يحلّق إلاّ على ارتفاع منخفض، للتأكد من عدم وجود أي نوع من المضادات لدى المقاومين. وكان هناك غارات وهمية لإلقاء الرعب في النفوس. واشتد في الوقت نفسه القصف الدخاني، فاستنتج المقاومون أن الإسرائيليين يريدون سحب قتلاهم وجرحاهم بعد القذيفة التي كان الشبل هاني أطلقها.

خلال "المعركة" كان يتوافد على مكتب الجبهة الشعبية في الحرش مقاتلون آخرون، حتى أصبح عدد المقاتلين الذين انتشروا هناك، بين المكتب والكمين الذي نصبه الشباب على طرف الحرش، أي بحدود مئتين أو ثلاثمئة متر، عشرين مقاتلاً تقريباً. واستمر القتال متقطعاً نحو ساعتين على محور الحرش:

المهم يا أبو الحبايب قاتلنا بحدود الساعتين، مش متواصل متواصل، بس يمكن ربع ساعة أو نصف ساعة هدوء والباقي قتال. هلّق شوي هديت المعارك من الطرفين، بدهم يسحبوا قتلاهم وجرحاهم. أنا ما عم قلّك قتلت، أنا قوّصت عاالجنود. أنا، تصاوب ما تصاوب الواحد ما بدّي أزاود وقلّك إي والله وقع قدّامي، متل الأفلام، عرفت كيف. بس على ما أظن أكيد صبت. يعني ما معقول لو أغمض عيوني وقوّص بعرض الشارع بصيب، من حجم كمية العسكر. آخرة النهار هديت الأمور شوي. في خلال دقايق يمكن حفرنا خندق، في خلال دقايق، على مدخل الحسينية، إلنا محل زهور تحت على زاويتو من فوق بيطل على مفرق بروح على بير حسن، بيمرق بين مستشفى عكا وبين لاجيرالدا، هلّق هون أنا حطّيت النار وقاعد أنا، وقلتلّك هديت

---

(٦٦) Ibid.

الأمور، أبو رمزي الشافعي ووليد غانم قاعدين حدّي.

المهم أخدت أنا الاتجاه اللّي بدور بين لاجيرالدا ومستشفى عكا باتجاه طرف بير حسن، لأنّو قلنا خلص الإسرائيلية صاروا بكل مكان، هيدا كلّو أول يوم. بشوف واحد اتنين تلاتة قطعوا، انتبهت، يعني بين ما حضّرت حالي، هلّق أنا قاعد بدشمة صغيرة رملية حفرناها بقُلّك على عجل، كيف حفرنا ما بنعرف متل كمين عامل الواحد عرفت كيف.. هلّق ما شفتهم إلاّ كتروا، وكانوا بعاد عني شي مية وخمسين متر، كانوا عم يهرولوا هرولة وحاملين غراض على ضهورهم، بتعرف ذخيرتهم وعتادهم، حاملين كل واحد منهم حاملّوا شي عشرين كيلو، المهم شي سبع تمان جنود إسرائيلية، وكتروا، كانوا عم يقطعوا مجموعة مجموعة، هونيك في قصر مخبيين وراه جنب بير حسن عم يقطعوا شوي شوي باتجاه ما بدّن يروحوا، مش جايين لهون باتجاه شارع الجلاء، وما فيني أوصفلك كيف شعورنا لمّا بعدين نحنا منعرف، لمّا انتهى كل شي إنّو هيدول كانوا رايحين يرتكبوا المجزرة، بعدين لعرفنا إنّو هيدول قوات لبنانية وسعد حداد...(٦٧)

عاد الرفاق للتجمع في مكتب الجبهة. وجاء أحد المقاتلين مع الرفيق بطرس ليخبرهم بأنهم تمكنوا من إصابة ضابط وجنديين أو ثلاثة جنود كانوا يقفون على التلة بالقرب من السفارة الكويتية. كان هؤلاء يقفون باطمئنان وكأن لا أحد في إمكانه أن يصل إليهم. كانوا يستعملون النواظير، وكان المسؤول عنهم يشير بعصا إلى بعض المواقع. رماهم الشباب بقذيفة بي سفن وبالرصاص، وجاء الرد عليهم من أكثر من جهة.

كاد النهار ينتهي وما زالت المجموعة المقاتلة في الحرش تعتقد أنها تقاتل الإسرائيليين وحدهم، وقد كان كل الجنود منذ الأربعاء حتى غروب شمس الخميس، من دون أدنى ريب، جنوداً إسرائيليين وداخل آليات إسرائيلية. وقد كانت مهمة الجيش الإسرائيلي في أثناء حصاره للمنطقة أن يطلق عليها القنابل والصواريخ كي يجبر السكان على النزول إلى الملاجئ، وهذا ما حدث. أمّا الجنود الذين كانوا في الشاحنة الإسرائيلية فيصعب التأكد إن كانوا إسرائيليين، أو كانوا لبنانيين، ذلك بأن بعض عناصر الميليشيات وصل فعلاً في آليات إسرائيلية، وبعضهم الآخر في آليات للقوات اللبنانية. أمّا الذين وصفهم أبو الرائد في آخر النهار بأنهم كانوا يمشون كل سبعة أو ثمانية معاً، مجموعات مجموعات، فهذا الوصف ينطبق على القوات اللبنانية وهي تحاول التقدم عبر شارع السفارة. لكن لم يكن ليخطر على بال أبي الرائد ورفاقه أنهم ليسوا إسرائيليين. غير أن شهادة أبى الرائد

---

(٦٧) Ibid.

علـــى أنه سمع بأذنيه كلاماً عربياً مكسراً باللهجة التي يتكلمها اليهود الإسرائيليون عادة، يســـتدل مـــنها أنـــه كان معهم جنود إسرائيليون، لكن يصعب معرفة عددهم، ولا مهمتهم بالتحديد (ترد شهادته هذه لاحقاً عن يوم الجمعة).

كان هناك في منطقة الحرش دشم من الباطون المسلح للحماية، لكنها لم تكن لتحمي مـــن الدبابات؛ إذ لم تكن سماكة الباطون أكثر من أربعين سنتمتراً، أي أنه يمكن للدبابات الإســـرائيلية أن "تفلـــح الدشـــم فلاحة"، كما قالوا. لذلك حاول المقاتلون الابتعاد عن دشم الـــباطون، واستمروا يتنقلون، وكانت تعليمات الرفيق حسين لرفاقه أن يطلق الواحد منهم مخـــزناً أو نصف مخزن ثم ينسحب إلى مكان آخر، فهكذا يستمر المهاجمون في تحسب ولا يتمكـــنون مـــن الـــتقدم. وكان عند باب مكتب الجبهة الشعبية المقاتلون أنفسهم الذين توافـــدوا والـــتقوا قبل نحو ساعتين، كما كانت مجموعة الأصدقاء الأربعة الذين كان أبو الرائد أحدهم، والراوي باسمهم.

سمع أبو الرائد من الناس الذين كانوا يذهبون إلى بيوتهم ويأتون بالطعام، ثم يذهبون إلـــى مستشـــفى عكا للحماية، أن الرفيق هاني أصاب للمرة الثانية نصف مجنزرة. وكان هانـــي من المعروفين في المنطقة. كل السكان كانوا يعرفونه، كما كان رفاقه في الجبهة الشعبية معروفين أيضاً، وذلك لوجود مكتب لهم هناك ولحسن علاقاتهم بالسكان. وقد تميز هذا التنظيم بالذات بكثرة الأعضاء اللبنانيين، حتى كانوا هم الأغلبية من مجموع مئة مقاتل تقريـــباً، وهـــذا هو عددهم قبيل الاجتياح. أمّا في هذه الساعة العصيبة فما كان منهم إلاّ القليل لعدم توقع "حرب" جديدة.

فجـــأة، جاء من يقول إن أحد عناصر الجبهة الشعبية أصيب غير بعيد عن السفارة الكويتـــية. ســـألوه عن شكله وثيابه، أهو أسمر اللون؟ وهل يرتدي كنزة زرقاء وسروال جينز؟ ولمّا جاء الجواب بالإيجاب، عرفوا أن الرفيق بطرس هو الذي أصيب.[٦٨]

الرفيق بطرس اسمه الحقيقي فريد الخطيب، كان مثالاً للمناضل الشجاع.

قـــال أبو هشام إن أول من قُتل من الجبهة الشعبية يوم الخميس كان جمال بركة من شباب الإسعاف، رحمه الله. وقد استمر رفاقه بعد استشهاده ينقلون الجرحى إلى المستشفى وهـــم يعتقدون أن المهاجمين إسرائيليون. أمّا شهادته عن المقاتلين فهي تركز على الفتاة الجريئة فاطمة:

.. كان في بالبداية شي سبعة تماني وكان من ضمنهم بنت أنا حقيقة بقدّرها كتير.

هاالبنت إجت لابسة بنطلون محدق وقميص، وقفت تطلّع فينا، عرفتها أنا، قالت

---

(٦٨) Ibid.

أنا بدّي أقاتل، أنا بدّي أكون معكم.

وفعلاً، حملت هاي البنت الجريئة الذخيرة على جنبها وراحت تشوت. وكل الشباب السبعة التماني الله يعطيهم العافية، وبعدهم طيبين والحمد لله، قاموا بمهمات فعلاً تعجز عنها الناس التانيين، ومن جملتهم هاي البنت.

بهداك الوقت وهنّي عم يدخلوا [مع غروب شمس الخميس] ما صارش قصف على المخيم. هلّق اللّي عم يدخلوا مشاة وعمّالين يقتلوا عائلات كاملة وهادا اللّي عرفناه بعدين.. هلّق الجماعة اللّي بقيوا عنا وين بدهم يتقوقعوا؟ بالجامع، وإحنا وين كنا؟ عند المكتب السياسي، يعني بالحرش...[٦٩]

كان الظلام قد ابتدأ يخيم، وكان لا بد لليل من أن ينجلي. اتفق الجميع على الالتقاء صباح اليوم التالي. وغادر الرفيق حسين وعدد قليل من رفاقه إلى خارج المنطقة. أمّا الأكثرية من شباب الجبهة فآثرت عدم النوم في المكتب كالعادة، إذ إنه يقع في شارع عريض ومكانه معروف والوصول إليه سهل، فنامت مجموعة الأربعة في بيت الرفيق أبو رمزي داخل المخيم، ونام غيرهم في بيوتهم في قلب شاتيلا. ناموا شبه مطمئنين إلى أن لا أحد سيتمكن من دخول الزواريب، وحتى لو تمكن، فالدفاع عن النفس في أمكنة كهذه أسهل عليهم من مكان آخر.

ب ــ حي فرحات

كان يُسمع في منطقة الحرش أصوات تبادل نيران صادرة من حي فرحات القريب جداً من الحرش، بل الملاصق له. وكان سهلاً على مقاتلي الجبهة الشعبية أن يقدروا أنها صادرة على الأغلب من جهة مكتب جبهة التحرير العربية القريب من قصر صبري حمادة، فتوجهت مجموعة منهم تتألف من أربعة أشخاص لمعرفة ما يجري، وللمساندة.

دخلت المجموعة أرض الكلية العسكرية. وكان قصف الطيران الإسرائيلي خلال الاجتياح قد حول مبنى الكلية إلى دمار. وهناك سمع الأربعة صوت قذيفة بي سفن، وشاهدوا قطعاً معدنية تتطاير في الهواء، ثم اتضح لهم أن المقاومين كانوا عند مدخل قصر صبري حمادة المطل على "الاوتستراد"، أي الشارع العام. وخلال ثوان شاهدوا قطعاً معدنية تتناثر بالقرب منهم، وعرفوها قطعاً من آلية إسرائيلية، فدبت الحماسة في نفوسهم، وتأكدوا أن رفاقهم في الجبهة العربية هم الذين أطلقوا القذيفة، فسارعوا إلى النجدة لعل الرفاق بحاجة إليهم. وسرعان ما وصلوا إلى مكتب الجبهة العربية الواقع على

---

(٦٩) POH. S/SH. No. 129 (238/T.99), as above.

بعـد أمـتار، فوجدوا عدداً من رفاقهم في هذه الجبهة، قدّروه بنحو خمسة عشر مقاتلاً، وكانوا بقيادة الرفيق منصور، الذي كان مشهوراً بالعامية الفلسطينية بأنه "زُغْرُت"، وهذه بالعامية اللبنانية تعني " قَبَضاي".

كـان الوضع المحيط بمقر الجبهة العربية في حي فرحات مختلفاً عن الوضع حول مقر الجبهة الشعبية في حي الحرش. فبينما لم يحاول "الجنود" التقدم في اتجاه مقر الجبهة الشعبية، مكتفين بعد إصابتهم بمحاولة سحب قتلاهم، كانوا يحاولون العكس تماماً من جهة قصر صبري حمادة، إذ راحوا يقصفون مقر الجبهة العربية وما حوله قصفاً متواصلاً.

كان واضحاً للمقاتلين أن التصدي بما يملكونه من سلاح محدود أمام "جيش زاحف" لـن يعنـي سوى خسائر في الأرواح، مهما يكن هناك من استبسال. ولمّا باتوا على شبه يقيـن مـن قـدرة العدو على اقتحام المخيم من تلك الجهة المعروفة بجهة قصر صبري حمـادة، فقـد كان لا بد من البحث عن حل آخر، ووضع خطة أُخرى غير خطة القتال والصـمود. وسـرعان ما توصلوا إلى تلك الخطة الأُخرى، والتي نالت موافقة المقاتلين جمـيعاً، وهي تتلخص في تفجير مستودع أسلحة للجبهة العربية مملوء بصواريخ غراد، وبالكاتيوشا، وبالذخائر المدفعية.

وبيـنما راح مقـاتلون مـن الجبهتيـن العربية والشعبية يتناقشون في مهمة تفجير المسـتودع، ويبحثون عن أجوبة للأسئلة: من سيقوم بذلك؟ وكيف؟ ومتى؟ تنبهوا إلى أنه كان قد وصل إلى مسافة غير بعيدة عنهم مدفع ١٤,٥ محمول على شاحنة روسية يسوقها شـاب شجاع معروف بين أوساط المقاتلين، ويختفي وراء مقدمها مقاتل شجاع آخر. تقدم السائق بشاحنته إلى وسط شارع السفارة الكويتية، وما إن أطل على جسر المطار حتى قام المقـاتل المختبئ فيها بقصف الدبابة التي كانت تقصف حي فرحات قبل قليل، وكما قال الشـاهد: "بفضـيهم بُبْ بُبْ بُب ْ بُبْ ... أربع سلدرات، وبالتأكيد بصيب كل شي قدّامه، ونحنا كلنا الشباب المقاتلين طلعنا وراه وحاملين كلاشينات، وكلنا ضربنا."(٧٠)

كان لا بد من تحرك جديد بعد هذه العملية.

اتفـق الجمـيع على أنه يجب أن يكون هناك انسحاب، لكن لا هروب. وقال مقاتلو الجـبهة العربـية لإخوانهـم وجيرانهم في الجبهة الشعبية إن من الأفضل أن يعودوا إلى مكتـبهم وإلـى داخل الحرش، كي لا يكثر العدد في مكان واحد، فيتمكن المهاجمون من حصـدهم بقصف الطيران، أو بالقصف المدفعي. وكما قال أحدهم باللغة الدارجة: "يعني، يمكـن يفلحونا فلاحة، حرام نكون كلنا هون." واقتنع الإخوان في الجبهة الشعبية، فعادوا إلـى مكتبهم بعد أن اتخذوا القرار بأن يستمروا في التنقل بين قصر صبري حمادة ومقر

---

(٧٠) POH. S/SH. No. 130 (231/T.100), as above.

الجبهة العربية، كي يطمئنوا بدورهم على رفاقهم، ويقدموا لهم العون إن احتاجوا إليه.

لم يعرف مقاتلو الجبهة العربية النوم، وهم يخططون لنسف المستودع من أجل إيهام الإسرائيليين عبر أصوات الانفجارات التي لن تهدأ بسهولة، بأن المقاومة عنيفة وتمتلك السلاح الكافي، بينما هم في الحقيقة يقومون بنسف مستودع الأسلحة الوحيد الذي يمتلكونه.

ج ـ حي الفاكهاني

تختلف طبيعة الشهادات عن القتال في حي الفاكهاني عن طبيعة الشهادات عن القتال في كل من حي الحرش وحي فرحات، وذلك على الرغم من الحصول على أربع مقابلات عن القتال في هذا الحي، أجراها أربعة من العاملين في مشروع التاريخ الشفهي. غير أن أياً منهم لم يتمكن من التوصل إلى أي من المسؤولين المحليين عن الفاكهاني، ثم اتضح أنه لم يكن في ذلك الحي قيادة محلية موحدة؛ فكل شاب تمكن من حمل السلاح قاوم. أمّا موجز الشهادات فيتمحور حول أهمية القتال الذي جرى ضد الإسرائيليين بالقرب من كلية الهندسة التابعة لجامعة بيروت العربية.

الشهادة الأولى من مقاتل فتحاوي، توصل إليها صديق له في التنظيم نفسه. وقد أوصى المقاتل صديقه بعدم ذكر اسمه، ولنعطه اسماً من أكثر الأسماء شيوعاً في فلسطين، وهو اسم "إبراهيم".

تحدث "إبراهيم" عن جولته ومراقبته لأماكن وجود الإسرائيليين منذ بدأوا حصارهم لمنطقة صبرا وشاتيلا، فقال إنهم وصلوا سريعاً وتمركزوا منذ الساعات الأولى بالقرب من ثلاثة أماكن رئيسية: مستشفى عكا؛ السفارة الكويتية؛ كلية الهندسة. وقال يصف الاشتباك المسلح الذي شاهده بالقرب من كلية الهندسة في الساعة التاسعة من صباح يوم الخميس:

> حوالي الساعة ٩ دار اشتباك مسلح بين أفراد من الشعب اللّي كان عندهن نخوة وطنية وطلعوا يحاربوا القوات الإسرائيلية، بالأسلحة اللّي كانت متوفرة إلهن، كلاشينات وآر بيجيات. بقيت المعركة مستمرة طيلة النهار وطيلة الليل. صباحاً، خفّت بتراجع إسرائيلي...[٧١]

استطاع "إبراهيم" أن يعرف من طبيعة القتال والتصدي أنه لم يكن هناك في

---

(٧١) POH. S/SH. No. 116 (239/T.90). "Ibrahim". Interview by Q. Massacre area: Narrator's house, August 1984.

الفاكهاني قيادة ما مسؤولة. وقد ثبت من شهادات لآخرين أنه لم يكن هناك قيادة حقاً. وكرر الراوي في شهادته أنه رأى كثيراً من الأشبال، من الشباب الصغار، في هذا الموقع بالذات، كما أكد أهمية هذا المحور الذي أدى فيما بعد إلى تراجع الإسرائيليين إلى ما وراء كلية الهندسة. أمّا مع غروب شمس يوم الخميس فقد توجه "إبراهيم" نحو مستشفى عكا مستطلعاً، وقال يصف ما رأى:

> في حوالى الساعة خمسة من مساء الخميس رحت لمنطقة مستشفى عكا وما شفت أي إسرائيلي في المنطقة، وكان في ناس متخبين في المستشفى. تعجبت ليش التراجع الإسرائيلي على هذا الشكل، استغربت، رجعت لداخل المخيم، الشارع الرئيسي، حوالي الساعة الخامسة والنصف...(٧٢)

من داخل المخيم ومن حي الدوخي كان "إبراهيم" هو الذي تمكن من التصدي للجناة عند غروب شمس اليوم الأول. وسنعود إليه في حكاية حي الدوخي أدناه.

الشهادة الثانية عن حي الفاكهاني لمقاتل فتحاوي آخر يدعى أبو عماد. لكن هذا المقاتل لم يتمكن من القيام بأي دور في القتال. وقد روى لماذا، كما روى تجربة حدثت معه صباح الخميس، مشابهة لتجربة "إبراهيم"، فقال أنه كان في بيته لمّا جاءه صديق وطلب منه أن يذهب معه إلى الفاكهاني لاستطلاع الأوضاع:

> هلّق نحنا كنا بنص المخيم بين صبرا وشاتيلا، وإحنا طلعنا وما معنا سلاح، طلعنا استطلاع، وما وصلنا على الفاكهانى حتى شفنا الدبابة الإسرائيلية صارت بالفاكهاني. وكان هادا يوم الخميس.
>
> نحنا كان فى معنا خمس شباب ومعهم بنت كانوا بدهم يضربوا الدبابة. وكان في مَرَه فلسطينية ساكنة بالفاكهاني، أجت صارت تصرخ، بس صرخت سمعونا الإسرائيلية اللّي كانوا على الدبابة فسلّطوا المدفع، وضربوا قذيفتين بالبناية، أجت القذايف بضهر البناية، إحنا انسحبنا لورا شوي، نزلنا ردّينا على مستشفى غزة.. ورجعنا رحنا على صبرا. وما بين صبرا وشاتيلا أجت مَرَه مليانة بالدم بتقول إنّو الكتايب عم يْدَبْحوا. أنا ما صدّقتها..!!
>
> لكن ممكن نتركهم فعلاً يْدَبْحوا لو كان صحيح؟ أنا ما شفت غير أصحاب إلي بجروني على الملجأ وبيقولولي: "كل الناس صارت بالملاجئ.."(٧٣)

---

(٧٢) Ibid.

(٧٣) POH. S/SH. No. 25 (230/T.27). "Abu 'Imad". Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 1, 1983.

الشـــهادة الثالثة من زينب، وهي سيدة فلسطينية يقع بيتها في منطقة جامعة بيروت العربية، قالت أنها نزلت صباح الخميس في نحو الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين مرغمة على الذهاب إلى الملجأ بسبب القذائف الإسرائيلية المتلاحقة:

> طلعـــتْ مـــن البيـــت خمسة ونص والقذائف كانت نازلة زي زخ المطر. ونزلت على الملجـــأ، كـــان فـــي قصف من إسرائيل ما عم يوقف، لكن كانت الشوارع كلها مليانة شـــباب متحمسين ومسلحين ومعهم آر. بي. جي. والكلاشينات.. لكن كان واضح أنها حماسة من دون تنظيم.(٧٤)

كانت هذه السيدة دعت إلى منزلها ثلاثة شبان من سكان المنطقة ليتحدثوا عما جرى فـــي مـــنطقة الفاكهاني. وتتلخص شهاداتهم في أنهم رأوا الدبابات الإسرائيلية عند البناية المقابلة للجامعة، والمعروفة ببناية الصادق، وقد توقفت الدبابات نهائياً عند البناية رقم ٣، تمامـــا علـــى الزاوية عند مكتبة الرازي. وقال أحدهم أنه شاهد بينها دبابة معطوبة، كما وصـــف المقاوميـــن في الفاكهاني بأنهم كانوا شباناً صغاراً متحمسين، وكان واضحاً عدم التنسيق فيما بينهم، كما أكد وجود فتاتين معهم.(٧٥)

الشـــهادة الرابعة من المقاتل الفلسطيني علي، الذي شارك في التصدي للإسرائيليين بالقـــرب مـــن جامعـــة بيروت العربية. وقد تحدث عن الإرباك الذي ساد أوساط الشباب والسكان عامة، وخصوصاً لمّا سمعوا أن قوات العدو تقدمت في اتجاه المدينة الرياضية. وهو يصف مشاعر الشباب، وما جرى ليل الخميس، بقوله:

> ســـلاح، كـــان فـــي سلاح موجود، بس كان فى إرباك بنفس الوقت. يعنى فى شـــباب، بس مش منظّمة. يعنى مش عارفين حالهم شو بدهم يسووا. كل اللّي بيعرفوه إنّـــو في عدو اللّي هوّ إسرائيل عم بيقرب، وفقست براسهم إنّو شو بدّو يعمل معنا. أنا واحـــد مـــن الناس اللّى كانوا بجهة الفاكهاني، ونحنا كنا مسلحين، اه، كان في سلاح، شـــباب موجوديـــن، والأغلبـــية كانوا فلسطينية، وكان فى لبنانية، كان فى من الحزب الشـــيوعي، وكـــان فـــي تنظـــيم إســـمه الأفواج العربية، وأنصار الثورة، وكان في المـــرابطون، لكـــن يعنـــى كانوا أفراد، أبداً ما فينا نقول كانوا منظمين وتابعين لقيادة محلية مسؤولة عنهم.
>
> هاي الليلة، الخميس، نحنا عرفنا بعدين إنها أول ليلة فى المجزرة، لكن شفنا لمّا

---

(٧٤) POH. S/SH. No. 108 (249/T.84). Zainab S. Interview with author. Beirut: Narrator's house, March 7, 1984.

(٧٥) POH. S/SH. No. 106 (243/T.83). Mahmud M. Interview with author. Beirut: Friend's house, March 7, 1984.

أجـا اللـيل كيف صار فيه قنابل مضيئة، شفناها من ميلة الفاكهانى، فى اتجاه الجنوب لبـيروت اللّي هو فوق مخيم شاتيلا، في قنابل إضاءة، بكترة، بأعداد كبيرة. هلّق نحنا قلنا يمكن بدهم يدخلوا، ما في عنا علم إنهم عم يرتكبوا مجزرة. وبعد شي تقريباً تلات أربـع ساعات، صارت الناس تطلع من تحت، تطلع في اتجاه الفاكهاني يعني هربانة، وكـانوا يطلعوا طلوع، نسألهم: "يا عمي شو في؟" يقولوا: "في مجزرة، الإسرائيلية عم يرتكبوا مجزرة."(٧٦)

كـان لا بـد من التأكد مما يقال، لذلك سارع المقاتل علي مع عدد من الشباب نحو صبرا، لكن لم يجدوا أثراً لمجزرة. توجهوا إلى قلب مخيم شاتيلا، وكان الظلام قد أرخى سدوله. وسنعود إليهم وهم يتجولون داخل زواريب شاتيلا في الليلة الأولى.

د ـ حي الدوخي

لمّا تحرك أعضاء "وفد السلام" من رجال المخيم نحو مقر قيادة القوات الإسرائيلية، كان هناك شباب يحملون الكلاشينات في شارع شاتيلا الرئيسي، كما مر معنا، وخصوصاً بالقـرب من قهوة علي همدر. وقد اقترب منهم أعضاء الوفد طالبين عدم التمادي، ومنهم مـن طلب من الشباب التوقف كلياً. كان واضحاً أن نظرة أعضاء الوفد الكبار بالسن نحو هؤلاء الشباب هي نظرة الآباء إلى أبنائهم، كما أنهم كانوا مدركين عدم قدرة هذه الجماعة مـن الشـباب المتحمسـين على صد القوات الإسرائيلية.المحاصرة، ومدركين أكثر قدرة الجـيش الإسـرائيلي المحاصر على معرفة نوعية الطلقات التي توجه إليه، وأنها طلقات غضب وكرامة!!

مـا لم يدركه أعضاء الوفد الكبار بالسن حقيقة ما كان مخططاً لصبرا وشاتيلا. وما لـم يكن ممكناً أن يتصوروا إمكان حدوثه أنهم سيُقضى عليهم واحداً واحداً، بينما يستمر هؤلاء الشباب يقاومون، ولو لساعات، بعد رحيلهم عن الدنيا.

"إبراهـيم"، المقاتل الذي شارك في التصدي في حي الفاكهاني، كانت نظرته مختلفة عن نظرة أعضاء الوفد الكبار بالسن إلى هؤلاء الشباب. فهو قد شد أزرهم، وتعاون معهم كما سيتضح معنا في أحداث اليوم الأول الخميس، واليوم الثاني الجمعة. وهو المقاتل الذي تـرك حي الفاكهاني عند غروب شمس نهار الخميس متوجهاً إلى مستشفى عكا، كما مر معـنا. وقد تعجب من إخلاء الإسرائيليين لمراكز سابقة لهم، ثم توجه صوب شاتيلا نحو

(٧٦) POH. S/SH. No. 135 (243/T.106). ‘Ali. M. Interview by Khaled ‘Abadi. Beirut: Narrator’s house, November 2000.

الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين.(٧٧)

"إبراهيم" سوف يكون أول وآخر من قاتل القوات المهاجمة، وهو يعلم أنها قوات لبنانية وليست إسرائيلية. وهذا ما سنعود إليه في الفصل الثالث الذي نتحدث فيه عن اليوم الأول من المجزرة، أو عن ليلة الخميس.

سادساً: الدور الإسرائيلي التمهيدي لدخول الميليشيات

من الواضح أن المجزرة ما كان يمكن أن تحدث لولا التمهيد الإسرائيلي لها. ويمكن حصر عناصر هذا التمهيد بما يلي:

- محاصرة مخيم شاتيلا ومنطقة صبرا وشاتيلا كلها بحيث يصبح الخروج والدخول مرهوناً بالإرادة الإسرائيلية. وقد منع الإسرائيليون الناس فعلاً من المغادرة. والسؤال: لماذا منع النساء والأطفال إن كان الهدف هو البحث عن "المخربين المسلحين" كما قالوا؟
- إشاعة جو من طمأنينة كاذبة وخادعة بين سكان منطقة صبرا وشاتيلا من فلسطينيين ولبنانيين. وقد بدا أن بعض الجنود الإسرائيليين لم يكن حقيقة يعلم شيئاً عن الحدث القادم المجهول، فكان قول هذا البعض للناس أن يعودوا إلى بيوتهم لا يحمل معنى إرسالهم إلى الموت، لكن هذا البعض يمثل الأقلية بين الجنود الإسرائيليين. والدليل أن أقوال الآخرين كانت تتضمن معرفة بما سيجري. ومن هنا، كان يهم الذين يعرفون ما سيجري تجميع السكان وحصرهم داخل المنطقة المحاصرة؛ أي منطقة صبرا وشاتيلا.
- الإيحاء بأن المطلوب هو تسليم السلاح فقط، فمن يسلّم سلاحه يسلم، وفي إمكانه العودة إلى بيته مطمئناً. هذا ما وزعوه بالمناشير وما أذاعوه بمكبرات الصوت.
- القصف المركز من أجل حمل السكان على الهروب إلى الملاجئ التى تعتبر الأمكنة المثالية لارتكاب مجزرة. فكيف يقوم بمثل هذا القصف من يدعي أنه جاء للحماية؟ وهل بالقصف يقتل "المخربون" وحدهم؟
- التنسيق بين الفريقين الإسرائيلي والميليشيوي اللبناني قبل المجزرة. ويتضح هذا من خلال الأسئلة التي طرحها على السكان "أغراب"، في سيارات "غريبة"، عن مواقع الملاجئ، كما يتضح من خلال القصف الإسرائيلي الذي لم ينقطع مجبراً السكان على

---

(٧٧) POH. S/SH. No. 116 (239/T.90), as above.

التجمع في الملاجئ (وقد ثبت فيما بعد أن "نزلاء" الملاجئ هم الذين كانوا عرضة للقتل الجماعي، كما كانوا هم أول من تعرض للقتل).

- انسحاب الجيش الإسرائيلي من الأماكن القريبة جداً من منطقة صبرا وشاتيلا، وخصوصاً في محيط مستشفى عكا. وقد اتضح أن ذاك الانسحاب لم يكن إلاّ انسحاباً مبرمجاً من أجل فسح المجال للميليشيات المهاجمة كي تدخل من تلك الجهة وتتحمل المسؤولية بمفردها. وهكذا تتكامل مسرحية الاقتحام من دون أن تتحمل القوات الإسرائيلية أية مسؤولية، وكأنها لا رأت ولا سمعت!! وبالتالي فليس لها ضلع مباشر!!
- توقُّف القصف المركز من قبل المدفعية الإسرائيلية وتوقُّف القنص قبيل دخول القتلة، والبدء بإنارة المنطقة مع حلول الظلام، بحيث تحول الليل إلى نهار.
- السماح لبضع مئات من الميليشيات المسلحة بدخول المخيم والمنطقة بحثاً عن ألفين وخمسمئة مقاتل مسلح. أيّ عقل يقبل ذلك؟ إسرائيل لم تتنصل من معرفتها بدخول القوات اللبنانية بحثاً عن المقاتلين أو "المخربين" كما تدعوهم، وكما تدّعي. لكن، لو كانت إسرائيل تعتقد حقاً وجود ألفين وخمسمئة مقاتل لكان يلزم للقضاء عليهم أو أسرهم أو قتلهم عدد أكثر جداً من بضع مئات لا تتعدى ستمئة عنصر وفقاً لأبعد التقديرات، في ذلك اليوم الأول.

خلاصة

- اغتيل الرئيس بشير الجميل بعد ظهر الثلاثاء الواقع فيه ١٩٨٢/٩/١٤. وما إن بزغ فجر الأربعاء حتى كانت القوات الإسرائيلية تدخل بيروت من عدة محاور. وقبيل السادسة صباحاً بدئ بسماع انفجارات هائلة في منطقة المدينة الرياضية؛ فالقوات الإسرائيلية كانت تتقدم لتحكم الطوق حول مناطق صبرا وشاتيلا والفاكهاني.
- تباينت مشاعر السكان من فلسطينيين ولبنانيين، وتراوحت بين الطمأنينة والخوف الشديد. فالذين شعروا بالاطمئنان كانوا من شهود تجربة الاحتلال الإسرائيلي للجنوب اللبناني، حيث لم يتعرض جنود الاحتلال للعُزّل من السلاح، ولم يبادروا إلى إيذاء النساء والشيوخ والأطفال. أمّا الذين شعروا بالخوف، فهم إمّا شعروا به غريزياً، وإمّا أنهم ربطوا منطقياً بين ثلاثة أمور: انقطاع الخبز والتيار الكهربائي انقطاعاً نهائياً؛ القصف الإسرائيلي المتواصل للأحياء السكنية الآمنة من دون أي مبرر؛ منع الناس من المغادرة.
- منذ صباح الخميس أخذت المدفعية الإسرائيلية تركز على قصف المنطقة. ومع تقدم النهار كان القصف يشتد حتى امتلأت الملاجئ والمستشفيات والمسجد بالسكان؛ فهذه

هي الأماكن التي كان ينظر إليها على أنها أماكن آمنة. غير أن ما من عاقل إلاّ ويدرك أن مثل هذا القصف لا يقضي على "المقاتلين" حيث يوجدون، بل هو قصف لبث الرعب في نفوس السكان، وحملهم على اللجوء إلى الملاجئ. أمّا لماذا؟ فهذا ما سيتضح من اليوم الأول للمجزرة، بل من الساعات الأولى.

- قام وفد من رجال المخيم بمحاولة الوصول إلى مقر القيادة الإسرائيلية بعد ظهر الخميس، وعُرف هذا الوفد بوفد السلام، وكانت مهمته أن يخبر الإسرائيليين بأنه لا يوجد في المخيمات سلاح يذكر، وأن السكان لا يريدون القتال. لكن أحداً من أفراد هذا الوفد لم يعد.
- قامت عشرات من النساء وأولادهن بتظاهرة من مستشفى عكا نحو مقر القيادة الإسرائيلية للطلب منها وقف القصف، إذ لا يوجد هناك سلاح ولا "مخربون". تزامنت هذه التظاهرة قبيل غروب شمس الخميس مع دخول الميليشيات اللبنانية. وكانت نهاية المشتركات فيها إمّا الخطف بالشاحنات، وإمّا الاغتصاب ثم القتل في الأزقة خلف المدينة الرياضية.
- القسم الأكبر من المقاتلين الفلسطينيين كان غادر لبنان نهائياً. أمّا من تبقى منهم في بيروت بحكم انتمائهم إلى جماعة "لاجئي ١٩٤٨"، ووفقاً لاتفاقية فيليب حبيب نفسها، فحتى هؤلاء ما كان معظمهم قد عاد إلى المخيمات في أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ نظراً إلى الأوضاع السائدة.
- لم يكن هناك قيادة محلية موحدة في منطقة صبرا وشاتيلا، وإنما كان هناك مكاتب محلية لتنظيمات وجبهات. قسم من هذه المكاتب كان أقفل بحكم رحيل المسؤولين، وقسم اخر استمر بعض المناضلين في التردد عليه. وهذا البعض هو الذي تمكن من التصدي، ومن توزيع السلاح على الشباب العزل من أبناء المنطقة الذين طرقوا أبواب هذه المكاتب طالبين السلاح.
- شوهدت المجموعات التي قامت بالتصدي، في أربعة أحياء، هي: حي الحرش؛ حي فرحات؛ حي الفاكهاني؛ حي الدوخي. ولم تكن كل مجموعة من المقاتلين تعلم بوجود غيرها على الرغم من صغر المساحة الجغرافية، وذلك لافتقار المقاتلين إلى القيادة الموحدة، ولطبيعة التصدي التي لم تكن أكثر من ردات فعل سريعة.
- بناء على شهادات المقاومين والسكان يمكن تقدير مجموع الذين قاموا بعمليات التصدي ضد القوات الإسرائيلية المحاصرة يوم الخميس، في المحاور الأربعة، بنحو ستين شاباً وخمس فتيات، لم يكن بينهم من المقاتلين المدربين سوى عدد محدود، أمّا الأكثرية فكانت من الشبان المتحمسين الذين تفوق حماستهم قدرتهم القتالية الفعلية.

- كان على القيادة الإسرائيلية المحاصرة للمنطقة أن تدرك من طبيعة عمليات التصدي، ومـن نوعـية الأسـلحة المستعملة من قبل المقاومين، أن من يقفون أمامها هم ــ في معظمهـم ــ شـبان متحمسون شجعان وليسوا مقاتلين محترفين. وكان في استطاعتها تقدير عدد هؤلاء في خانة العشرات، وتقدير عدد المقاتلين المحترفين فى خانة الاحاد.
- لمّا ابتدأت الميليشيات اللبنانية اقتحام شاتيلا مع غروب شمس يوم الخميس كان الوضع "القتالـي" بين الشباب المقاوم والقوات الإسرائيلية كما يلي: حي فرحات كان القتال فيه قد توقف نهائياً؛ حي الحرش استمر فيه المقاومون في الساعة الأولى يصوبون بنادقهم نحـو المسـلحين القادمين ظناً منهم أنهم إسرائيليون. وقد توقف القتال نهائياً في هذا المحور قبيل الساعة السابعة؛ حي الفاكهاني كان القتال فيه، بدايةً ونهايةً، ضد القوات الإسرائيلية الموجودة خارج منطقة صبرا وشاتيلا، كما كان عبارة عن مناوشات متقطعة بدايـةً ونهايـةً؛ حي الدوخي كان فيه مناوشات شباب متحمسين ضد الإسرائيليين، وكان فيه إطلاق رصاص الكلاشينكوف في الهواء من قلب المنطقة المحاصَرة، إثباتاً للوجود. هل يُعقل أن تصل رصاصة كلاشينكوف من ذلك الموقع إلى بولفار المدينة الرياضية، مثلاً، حيث كانت أقرب الدبابات إليهم؟
- بإيجاز، كانت أحداث التصدي يوم الخميس في المحاور الأربعة كفيلة بأن تقنع القوات الإسـرائيلية المحاصرة، وبالتالي رؤساءها، بأن لا وجود للمقاتلين الأشداء الذين أُشيع أنهم خالفوا اتفاقية "فيليب حبيب" وصمموا على البقاء.
- إذاعـة الجـيش الإسرائيلي، من تل أبيب، كانت أول مصدر أذاع تقريراً عن عمليات التصدي للقوات الإسرائيلية المحاصرة لشاتيلا؛ فهي التي أذاعت لمراسلها عراد نير يوم الخمـيس، قبـيل دخـول الميليشيات المسلحة، تقريراً جاء فيه تأكيد لسيطرة الجيش الإسـرائيلي مع الغروب سيطرة تامة على "بيروت الغربية"، مع وصف المقاومة بأنها كانت غير منضبطة ومشتتة، وأنها كانت من نوعية "اضرب واهرب". أمّا عن منطقة صبرا وشاتيلا بالذات، فلم يذكر منها سوى "حرش ثابت" الذي أذيع بأن المقاومة ضد الجـيش الإسرائيلي قد تركزت فيه. غير أنه بالنسبة إلى الوضع النهائي، فقد ورد في الـتقرير أن الجـيش الإسرائيلي سيترك لــ "الفالانج المسيحيين" مهمة تطهير منطقة صبرا وشاتيلا (المقصود "تطهيرها" من "المخربين").[٧٨] وكأن التقرير يقول إن مهمة

(٧٨) Arad Nir, "Phalangists entrusted with Sabra, Shatila 'Purge'," Tel Aviv: Israeli Defence Forces Radio, September 16, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile, September 1982* (New York: Claremont Research and Publications, 1982), p. 4.

هؤلاء "الفالانج المسيحيين" كما جاء، هي "تطهير" المنطقة من نحو خمسة عشر شاباً، هم الذين كانوا عشية الخميس هناك، في حرش ثابت، يحملون الكلاشينكوف، أقلهم مقاتلون محترفون، وأكثرهم شباب متحمسون.

- من المنطقي أن التقرير الذي أذاعته على الملأ إذاعة الجيش الإسرائيلي لم يكن التقرير الإسرائيلي الأوحد. هناك الكثير من التقارير التي أرسلها الضباط الإسرائيليون المحاصِرون إلى رؤسائهم، بشتى الطرق. لكن هذه التقارير "السرية" ليست في أيامنا هذه مادة للباحثين. وإلى أن يُفرَجَ عنها، ويصبح الاطلاع عليها متاحاً، لا بد من التأكيد أن إذاعة الجيش الإسرائيلي إذاعة مسموعة من قبل أصحاب القرار في إسرائيل، حكومة وجيشاً. إذاً كانوا يعلمون جيداً أنه لا يوجد مقاتلون منظمون بالآلاف، ولا بالمئات، ولا بالعشرات، داخل صبرا وشاتيلا.
- لماذا، إذاً، أعطى وزير الدفاع الإسرائيلي في حينه، أريئيل شارون، تلك القوات الإسرائيلية المحتلة لمدينة بيروت الأمر بأن تفسح المجال، وبأن تقدم كل العون للميليشيات اللبنانية كي تتمكن من الدخول. لماذا، ما دامت الحجة وراء إدخالهم هي فقط للبحث عن ألفين وخمسمئة مقاتل، أو "مخرب" كما يقولون؟
- لماذا؟

الفصل الثالث

الخميس ١٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٢

تختلف الشهادات بشأن ساعة البدء بالمجزرة؛ وهذا أمر طبيعي لأن كل شاهد (أو شاهدة) يروي ما رآه في شارعه أو حيه. بعض السكان رأى الميليشيات المهاجمة وهي تتجمع وتستعد للهجوم، بينما فوجئ بها آخرون داخل بيوتهم. وهكذا تتراوح ساعة الدخول، وفقاً لعشرات الشهادات، ما بين الساعة الخامسة والساعة السادسة والدقيقة الثلاثين من مساء الخميس في السادس عشر من أيلول/ سبتمبر، لكنها تتفق كلها على أن الساعة الأولى الرهيبة تزامنت مع الغروب.

المداخل التي استُعملت في اليوم الأول متعددة، تقع كلها من الجهتين الجنوبية والغربية. فمن الجهة الجنوبية المداخل الواقعة في شارع السفارة الكويتية، الممتد بين مستديرة المطار ومستديرة السفارة الكويتية، والفاصل ما بين منطقة بئر حسن والمنطقة الجنوبية من "شاتيلا الكبرى". ومن الجهة الغربية المداخل الواقعة في الشارع الخلفي للمدينة الرياضية والفاصل بينها وبين المنطقة الغربية من "شاتيلا الكبرى"؛ كل المداخل من هاتين الجهتين شوارع ضيقة أو زواريب، باستثناء شارع شاتيلا الرئيسي المتقاطع عمودياً مع منتصف شارع السفارة الكويتية، والممتد شمالاً حتى صبرا.

يتضمن هذا الفصل كيفية دخول الميليشيات المسلحة، وكيفية قيام أفرادها منذ الساعات الأولى بالتعذيب، وبقتل السكان المدنيين الأبرياء من دون أي تمييز بين هويات السكان أو أعمارهم أو أجناسهم.

ويتضمن محاولات التصدي المحدودة من قبل مقاتل واحد تصدى بمفرده، ومن قبل مجموعة من الشباب كانت تتجمع طوال النهار في حي الدوخي. أمّا التصدي للإسرائيليين في كل من حي فرحات وحي الحرش فكان انتهى قبل دخول الميليشيات المهاجمة.

كان عدد الشهادات التي تحدثت عن اليوم الأول كثيراً، وكان عدد الروايات والمآسي الشخصية بالتالي كثيراً.

اخترت من شهادات اليوم الأول، أو بالأحرى من شهادات الساعات الأولى، أربعاً وعشرين رواية يمكن من خلالها مجتمعة معرفة ما جرى في اليوم الأول، أو بالأحرى

فى الليلة الأولى.

بعض هذه الروايات ينتهي في الليلة نفسها، أو في الساعة نفسها، أو في الدقيقة نفسها، وبعضها الآخر يحتاج إلى تكملة، أعود إليها في الفصول التالية من هذا القسم، أي مع أحداث اليوم الثاني، أو اليوم الثالث، أو في مرحلة البحث عن الضحايا. وقد لا أجد تكملة لروايات معينة، ذلك بأن من طبيعة روايات المجازر أن يبقى عدد منها بلا نهايات.

كانت قاعدة الاختيار من الروايات، سواء من روايات اليوم الأول أو الأيام التي تلته، التنوع في التجربة، والتكامل بحيث لا تتشابه الروايات تشابهاً تاماً. وهذا يعنى أننى حذفت الكثير من الروايات تجنباً للوقوع في التكرار؛ فالهدف الرئيسي هو إعطاء الصورة الشاملة المتكاملة، لا مجرد السرد، ولا مجرد تجميع الروايات.

أمّا الأسماء الأولى للشهود، فبعضها أسماء حقيقية، وبعضها الآخر ليس كذلك، بناء على رغبة المتحدث.

أولاً: صبرا وشاتيلا قبيل المجزرة

استمر القصف المدفعي المتواصل طوال نهار الخميس، بشكل تصاعدي، كما مر معنا فى الفصل الأول. واستمر القنص من قبل القوات الإسرائيلية المحاصرة للمنطقة إلى أن تم لديها التأكد من أن الشوارع باتت شبه خالية من المارة، وأن معظم السكان لجأ إلى الملاجئ، أو اختبأ داخل البيوت، وما دار في خلد أحد من السكان أن هذا القصف ليس إلاّ تمهيداً لما هو أعظم. كان أبعد التصورات لدى السكان المحاصَرين أن القصف هو البداية والنهاية، مهما اشتد وأرعد، فذاك ما كانت تفعله القوات الإسرائيلية في حصارها لبيروت كلها، طوال أشهر الصيف.. هكذا كانت التصورات!

مع غروب شمس النهار كان السكان ينتظرون بقلق عودة "وفد السلام" من رجال المخيم. منهم من كان ابتدأ يشعر باليأس والخوف، ويتساءل: ماذا جرى حقاً لهم؟ هل وصلوا إلى مقر القيادة الإسرائيلية؟ وهم إن وصلوا إليه، وإن هم بلّغوا تلك القيادة الرسالة بأن سكان المخيم لا يريدون قتالاً، فلماذا يستمر القصف الوحشي إذاً؟ كان على سكان صبرا وشاتيلا الانتظار أياماً كي يعلموا أنه لن يعود من رجال الوفد أحد.

كان عدد السكان الذين علموا بالتظاهرة النسائية أقل جداً من الذين علموا بذهاب الوفد، وخصوصاً أن التظاهرة انطلقت عفوياً من مستشفى عكا، بينما استغرق النقاش في مسألة ذهاب الوفد أو عدم ذهابه أكثر من ساعة، في قلب المخيم. لكن الذين كانوا يعلمون بالتظاهرة انتابتهم الهواجس، فهل يعقل أن يتعرض أحد لنساء وأولاد يرفعون الرايات البيض؟ كان على المتسائلين أن ينتظروا أياماً ليتعلموا أن غير الممكن ممكن في المجازر،

وأن كل شيء في المجازر مباح.

في المساء كان السكان جميعاً إمّا في الملاجئ، وإمّا في البيوت. فالشوارع خلت من المارة تقريباً، باستثناء القلة من المقاومين التي كانت لا تزال متيقظة، ذلك بأن العدد الأكبر منهم غادر المنطقة لاستحالة المقاومة ليلاً ضد قصف إسرائيلي مدفعي، حتى لو استمر؛ وقد اتفق هؤلاء على العودة للتجمع صباحاً.

ولمّا كان التيار الكهربائي مقطوعاً، كان جهاز "الترانزستور" سيد الموقف، فيتجمع أفراد العائلة الواحدة داخل البيت يستمعون إليه ويتساءلون عما سيحدث غداً. لكن، ما من أحد كان يتساءل عما سيجري الليلة.

نعلم من شهادات السكان أن قسماً كبيراً منهم كان لا يزال من دون غداء. وهكذا بينما كانت القوات المهاجمة تستعد للهجوم، بل تهجم فعلاً، كانت عائلات لا تحصى تجلس كي تتناول وجبتي الغداء والعشاء معاً. كما كان هناك أمهات ما زلن يهيئن الطعام، أو كان غيرهن يبحثن عن طريق آمن من القصف والقنص، كي يصلن إلى بيوتهن القريبة من الملجأ، ثم يرجعن بالحليب وبعض الطعام، للصغار على الأقل.

أخيراً.. هدأ القصف.

وابتدأت الإنارة غير المتوقعة، ولا المعقولة، تملأ سماء صبرا وشاتيلا.

كثيرون من السكان تساءلوا عن سر هذه الإنارة العجيبة؟ لماذا؟ لكن المتسائلين لم يتوصلوا إلى جواب تلك الليلة.

أمّا السكان الذين يسكنون حي الحرش وحي عرسال والحي الغربي وما حولها، فلم يكن لديهم وقت للتفكير في سر الإنارة، ذلك بأنهم كانوا هم الضحايا الأولى.

وحدهم بين سكان "شاتيلا الكبرى" الذين كانوا ينعمون بأمان نسبي في تلك الليلة، هم الذين تمكنوا في ساعات القصف الإسرائيلي من الوصول إلى المستشفيات الثلاثة المحيطة بالمنطقة طلباً للحماية، وهي مستشفيات عكا وغزة ومأوى العجزة. أمّا الذين كانوا ينعمون بأمان نسبي أكبر، فهم الذين تمكنوا إمّا من الهروب خارج المنطقة كلها، وإمّا من اللجوء إلى السفارة الكويتية. وقد روى لي ضابط لبناني كان مسؤولاً في تلك الأيام عن حماية السفارة الكويتية، أنه كان معه خمسة من عناصر الجيش اللبناني وطباخ سوداني واحد، وروى كيف التجأ سكان شاتيلا بالعشرات إلى السفارة يومي الثلاثاء والأربعاء هرباً من القصف الإسرائيلي، حتى بلغ عددهم نحو مئة وخمسين، معظمهم من النساء والأولاد:

> وزعناهم على المخابئ المتعددة، وبقيوا عنّا خمسة ايام ما سمحنا خلالها لأي واحد منهم بالخروج حرصاً على سلامتهم، لأنّو كنّا نعرف بوجود الدبابات الإسرائيلية عند مطعم السلطان ابراهيم على البحر، وكنا شاعرين إنّو في شي رح يصير. أنا

بذكـــر هناك أب كهل واحد خرج غَصْبَن عني [على الرغم مني]، ما قدرت إمنعه لأنّو أراد أن يطمئن على بنته. ومات هيدا الأب.

طول هاالأيام كنا نطعمهم من أكلنا، أكل العسكر.

وأمّــا يــوم الخميس بعد الظهر في الساعة أربعة أو خمسة، فأنا شفت تجمعات القــوات اللبنانــية، وأنا عرفتها حالاً، ما انخدعت أبداً فيها لأنهم حاولوا يوهموا الناس إنهــم عسكر متلنا. حاول كتار منهم يدخلوا على السفارة، لكن منعناهم. بعدين رجعوا وقالوا بدنا نشرب مي، ما عندكم مي؟ قلنالهم مي عنا. سقيناهم. ما بنسى أبداً وهم عم يشربوا صاروا يضحكوا ويقولولنا: "بكرة رح تسمعوا أخبار حلوة كتير بتبسط ."[١]

وكانت هناك أخبار في اليوم التالي، لكنها لم تكن قط أخباراً "حلوة".

ســيبقى المحــتمون بالسفارة الكويتية طوال أيام المجزرة يلقون الحماية التامة، كما ســيلجأ المــئات غيرهم، في ذلك اليوم خاصة، وفي الأيام التالية الدامية، إلى ثكنة هنري شهاب التي تقع خلف السفارة، حيث يلقون حماية مماثلة.

ثانياً: الميليشيات المسلحة
على أبواب شاتيلا

روت لــي سيدة يقع بيتها على طريق الجبل في ضواحي بلدة عرمون، أنها شاهدت بعد ظهر الخميس أرتالاً من السيارات والآليات آتية من كفرشيما، من مفرق التينول، في اتجــاه المطــار، وبينها دبابات ومجنزرات، وبعد كل خمس آليات تقريباً كانت ترى آلية إســرائيلية. وقــد أخبرها شقيقها مساء اليوم نفسه أن تلك الآليات توقفت فعلاً عند المطار ومســتديرة المطار، ثم غادرت قبل المغيب. ولمّا كان بيت السيدة واقعاً على سفح الجبل، فقــد كانــت الأنــوار الكاشفة التي ملأت سماء بيروت مصدر تساؤل طوال الليل: ماذا يجــري؟ ولم كل هذه الأنوار؟ كما كان ثمة تساؤل اخر: ما مهمة هؤلاء المسلحين الذين قدرت عددهم هي وزوجها بما بين ألف وألف وخمسمئة مسلح؟[٢]

السيدة الشاهدة أعلاه شاعرة لبنانية مثقفة لا تعرف المبالغات، وقد كان حديثها معي مصــادفة بعد الحدث بنحو أربعة أشهر. لكن لمّا كان فيما تقوله معلومات غريبة بالنسبة

---

(١) POH. S/SH. No. 120 (247/ N.25). I. Q. Interview with author. Beirut: Author's house, August 1986.

(٢) POH. S/SH. No. 5 (241/N.5). 'Adele Kh. Interview with author. Beirut: Author's house, January 9, 1983.

إليّ، فلم أكد أصدقها. أيعقل أن يكون ما جرى على هذا المستوى من التنسيق والتحضير ولا شيء ينشر أو يذاع في بيروت؟ حتى ذلك الحين لم يكن سهلاً التوصل إلى الصحافة الأجنبـــية، لكننـــي حين تمكنت من الاطلاع على ما نشرته تلك الصحافة بشأن المجزرة، اكتشفت أن ما قالته لى صديقتى الشاعرة، ساكنة عرمون، قد نشر ما يماثله في الكثير من الصحف الصادرة خارج لبنان.

تحـــدث ســـكان بلـــدة الشـــويفات مع لورين جنكينز، مراسل جريدة "واشنطن بوست"، فقـــالوا لـــه أنهم في الساعة الثالثة من بعد ظهر الخميس شاهدوا قافلة شاحنات وجيبات عليها شـــارات ميليشـــيا سعد حداد تمر بالشويفات، ثم تسلك طريقاً يسيطر عليه الجيش الإسرائيلي، ويـــؤدي إلى الطرف الجنوبي من مدرج مطار بيروت الغربي، الموازي للخط الساحلي، حيث توجـــد مواقـــع عسكرية إسرائيلية؛ كذلك كانت قافلة أُخرى من ناقلات الجند تصل، في الوقت نفســـه، مـــن "بـــيروت الشرقية" ثم تتحول إلى الطريق نفسه المؤدي إلى المطار. وعلى طول الطـــريق كانت تشاهَد شارة القوات اللبنانية (وهي مثلث في وسطه دائرة مع الحرفين M. P.)، كما كان يشاهَد إلى جانب الشارة سهم يوضح اتجاه السير المطلوب.

بعـــد مـــرور ساعتين على مشاهدة القافلتين في الجهة الجنوبية من المطار، تحرك مئات من المسلحين الذين يرتدون زي الميليشيا اللبنانية المسيحية من المطار في اتجاه بئر حســـن، بالقـــرب من مستديرة السفارة الكويتية، ومن ثم في اتجاه البحر حيث اتخذوا من مبنى كلية الإدارة والأعمال، الواقع بالقرب من المستديرة نفسها، مقراً لهم.[٣]

توافقـــت رواية توماس فريدمان، مراسل جريدة "نيويورك تايمز"، مع رواية لورين جنكينز أعلاه، بشأن وصول الميليشيات إلى المطار. وكانت مصادر الكاتبين واحدة، وهى شـــهادات ســـكان بلـــدة الشويفات. لكن الثاني اختلف عن الأول في العدد الذي توجه من المطار نحو مخيم شاتيلا، فبينما قال الأول إنهم كانوا نحو ألف ومئتي عنصر بزي القوات اللبنانـــية، وقد توجهوا كلهم نحو المنطقة المطلوبة، قال الثاني إنهم حتماً لم يذهبوا كلهم، كما أضاف أن مصادر في الجيش اللبناني أيدت أقوال السكان.[٤]

الـــرقم الأكـــثر تداولاً في المصادر المتعددة كان نحو ستمئة عنصر؛ فهذا هو العدد

---

(٣) Loren Jenkins, "The Massacre: Witnesses describe Militiamen passing through Israeli Lines," *Washington Post*, September 20, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile, September 1982* (New York: Claremont Research and Publications, 1982), p.11.

(٤) Thomas Friedman, "The Beirut Massacre: The Four Days," *New York Times*, September 26, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile*..., op. cit., p. 67.

التقريبي للذين دخلوا شاتيلا مع غروب شمس نهار الخميس.[٥]

أمّا سكان بئر حسن، وهي المنطقة التي تقع قبالة شاتيلا، فقد قالوا للكاتب أمنون كابليوك أنهم شاهدوا في الساعة الرابعة بعد الظهر خمس وعشرين آلية عسكرية (جيب عسكري) مملوءة بالمسلحين متجهة صوب السفارة الكويتية.[٦] وهذا يعنى أنها كانت ذاهبة في اتجاه مقر قيادة القوات، للتجمع، ثم للاقتحام، لأن دخول المخيمات لم يبدأ في الساعة الرابعة.

أمّا الصحافى روبرت فيسك، فقد اعتمد على شهادة اثنين من الضباط اللبنانيين تحدثا معه في غرفة عمليات للجيش اللبنانى قريبة من المكان، وهما يحملان الخرائط، وقد طلبا ألاّ يذكر اسم أي منهما أو رتبته، لأنه يجب ألاّ يتحدثا معه بصورة رسمية، لكنهما رغبا في التحدث إليه لأنه، كما قال له أحدهما، "... يجدر بك أن تعرف ماذا جرى هنا."

أشار الضابط الثانى من خلال النافذة في اتجاه المطار، وقال: "رأيت مئات الرجال والشاحنات تأتي من هناك يوم الخميس في الأسبوع الماضي. كان ذلك تماماً قبل أن تدخل الميليشيات المخيم."

وأكد الأول كلام الثاني قائلاً إن عدداً كثيراً منهم كان يتجمع بالقرب من مقر القيادة الإسرائيلية. وأضاف الثاني أنهم كانوا يقفون هناك مع أسلحتهم، وكانت شارات القوات اللبنانية ظاهرة على آلياتهم، ثم استدرك قائلاً إنه يمكن لأي كان أن يدهن الشارة على جيب. ثم ختم كلامه بأنه شاهد سيارتي جيب تابعتين للجيش الإسرائيلى تقودان عناصر الميليشيا لدخول المخيم.[٧]

لم يكن مقر الميليشيات اللبنانية المسلحة بعيداً عن مقر القيادة الإسرائيلية التي كان سبق أن تمركزت بالقرب من مستديرة السفارة الكويتية من الجهة الغربية، حيث احتلت مجمعاً من ثلاثة مبان متجاورة متشابهة، هي أساساً مساكن لضباط لبنانيين أرغمتهم ظروف الحرب على مغادرتها مع عائلاتهم. وتقع هذه المباني الثلاثة قبالة المدينة الرياضية، وعلى وجه الدقة أكثر، قبالة نادي الفروسية سابقاً (المعروف بنادي التورف/Turf Club)، أمّا الطريق الفاصل بينهما فكان يعرف ببولفار كميل شمعون، أو بولفار المدينة الرياضية.

---

(٥) أنظر: Mark Whitaker & Ray Wilkinson (in Beirut) & Scott Sullivan (in Jerusalem), "The Making of a Massacre," *Newsweek*, October 4, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile*..., op. cit., p. 85.

(٦) Amnon Kapeliouk, *Enquête sur un Massacre: Sabra et Chatila* (Paris: Seuil, 1982), p. 44.

(٧) Robert Fisk, "Reluctant Testimony on Chatila," *The Times*, September 25, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile*..., op. cit., p. 40.

كـــان موقـــع مبـــنى المقر الإسرائيلي في أقرب نقطة مرتفعة يمكن منها مراقبة ما يجري في منطقة المخيم، وخصوصاً أن الأرض ــ كما ذكرنا سابقاً ــ تأخذ فى الانحدار بالتدريج من على التلة الواقعة خلف المدينة الرياضية حتى يصل الانحدار إلى مداه داخل مخـــيم شـــاتيلا وحرش ثابت. وفضلاً عن هذا، فمبنى المقر نفسه يتألف من ست طبقات، الأمـــر الذي يجعل الواقف على السطح يشاهد منطقة المخيم كما يشاهد لوحة "بانوراما"، فكيف يكون الحال مع النواظير الحديثة، ومع الات التصوير؟

في الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين تقريباً، بدأت الناس تشاهد أرتالاً من الجنود من دون أن تتمكـــن من أن تحدد هويتها بادئ الأمر. وما كاد الظلام يحل حتى بدأت القنابل المضيئة تنهمر فوق المنطقة. وعلا الصراخ خوفاً وهلعاً. كانت المجزرة قد ابتدأت.

لـــم تدخل عناصر القوات المسلحة "شاتيلا الكبرى" مع غروب شمس ذلك الخميس من مدخل واحد، بل من مداخل وزواريب متعددة، هى التالية:

- جهة الغرب من المدينة الرياضية، حيث نزل أفراد الميليشيات عن التلة التي تقع خلف المدينة، والمقابلة للمخيم، فهبطوا على حي عرسال والحي الغربي.
- جهـــة الجـــنوب الغربـــي، أي جهة السفارة الكويتية، حيث دخلوا بالقرب من مدرسة الإنعاش، ومن التلة أيضاً، وهبطوا على حي عرسال.
- جهـــة الجنوب، أي جهة منطقة بئر حسن، حيث توقفت مجموعات منهم في بئر حسن بيـــنما راحـــت مجموعات أُخرى تجتاز شارع السفارة (الشارع بين مستديرة المطار والسفارة الكويتية) فتدخل المنطقة المطلوبة من عدة مداخل، وقد كان أولها حرش ثابت وحي المقداد.

أمّـــا جهة الشرق، فلم يتمكنوا من الدخول منها حتى لو كانوا خططوا لذلك، وربما كان السبب وقوع انفجار كبير في مستودع للسلاح بالقرب من أرض جلول.

يـــبقى هـــناك جهة أخيرة للمنطقة هي جهة الشمال من شارع صبرا الرئيسي، لكنهم لم يحـــاولوا قـــط الدخـــول منها، للصعوبة الفائقة في ذلك بسبب الواقع الجغرافي والديموغرافي. فـــالداخل مـــنها لا يأتى مباشرة من طريق عام كبولفار المطار أو بولفار كميل شمعون، وإنما عليه أن يجتاز عمق الأحياء البيروتية الكثيفة السكان، كالطريق الجديدة وحي الفاكهاني.

مـــع ذلـــك، من الممكن أن تكون هذه الجهة مدرجة في خريطة الاقتحام. فالدبابات الإســـرائيلية كانت طوال يوم الخميس تحاول التقدم من بولفار المدينة الرياضية في اتجاه حـــى الفاكهانى، وقد تصدى لها الشباب بالسلاح الفردي والآر. بي. جي.، وكانت النقطة الأخـــيرة لتقدمها تقع بالقرب من مكتبة الرازي، كما مر معنا في الفصل الثاني. لكن لمّا

كـــان الـــتوغل في عمق الأحياء السكنية في غير مصلحة القوات الإسرائيلية المحتلة، فقد اكتفت بتحقيق هدف إحكام الطوق حول المنطقة كلها، أي صبرا وشاتيلا والفاكهاني. غير أن من الواضح أنه حتى هذا الهدف لم يتحقق تماماً، إذ بقي هناك ثغرة طوال الأيام الدامية قائمة من جهة الطريق الجديدة الملاصقة لصبرا؛ وهكذا بقيت جهة الشمال من صبرا باباً لهروب الناس.(٨) (أنظر الخريطة الأولى، "صبرا وشاتيلا والأحياء المجاورة").

ثالثاً: شهادات عن اقتحام المداخل الجنوبية والغربية

كيف دخلوا؟

أو.. كيف اقتحموا؟

كان دخولهم منطقة ما دخول الحذِر. فكانوا لا يعرفون تماماً أين هم، وخصوصاً وهم لا يـــزالون خـــارج منطقة شاتيلا، إذ سوف يرد في بعض الشهادات أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عـــن منطقة بئر حسن المواجهة لشاتيلا الكبرى. كما أنه لم تكن لديهم أوامر واضحة في شأن مـــا عليهم تماماً أن يفعلوا؛ وهذا بينما نجد أنهم في مناطق أُخرى كانوا يعرفون تماماً ما عليهم فعله. فقد ابتدأوا بقتل العائلات من دون أي تمييز بين كبير أو صغير، بين لبناني أو فلسطيني.

الـــروايات الست أدناه تخبرنا عن كيفية دخول أو اقتحام منطقة بئر حسن، وشارع ثكـــنة هـــنري شهاب، وكلاهما خارج "شاتيلا الكبرى"، كذلك مناطق الحي الغربي وحي عرســـال وراء المدينة الرياضية، وحي المقداد وحي فرحات من منطقة الحرش المواجهة لبئر حسن؛ وهذه كلها تقع داخل "شاتيلا الكبرى".

أمّا الزمان فيبدأ مع الساعة الأولى من الدخول أو الاقتحام.

الرواية الأولى
شهود على دخولهم منطقة بئر حسن

كانـــت أم أيمـــن فـــي منطقة بئر حسن "تحمم" طفلها البالغ من العمر أربعة أعوام،

---

(٨) POH. S/SH. No. 63 (232/T.60). Siham Balqis. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, May 9, 1983; POH. S/SH. No. 44 (231/T.44). "Abu Jamal". Interview with author. Beirut: Outside talk all through Shatila main street, March 19, 1983; POH. S/SH. No.103 (234/N.21). Q. D. Interview with author. Beirut: Author's house, March 1, 1984.

وتنادي على طفلها الصغير ابن العامين ليبقى قريباً منها. وبينما هي "تحمم" طفلها قرعت عمته الباب لتدعوهم إلى بيتها في البناء المجاور، وهو بناية بعجور التي تقع خلف مستشفى عكا، فقبلت أم أيمن على الفور. لكن ما إن مضت لحظات حتى سمعت صوت العمة وهي تصرخ من الخارج: "إجو، إجوا، إجوا اليهود علينا." كان الطفل لا يزال مبللاً بالماء والصابون، فقفز من يدي أمه، لكنها تمالكت أعصابها، وراحت تناديه للعودة إلى الداخل، ثم سارعت إلى إحضار عدة الطوارئ المهيأة دوماً في حقيبة خاصة، وأهم ما فيها تذاكر الهوية ومصباح البطارية في حال انقطاع التيار الكهربائي.

تقول أم أيمن أنها مع خروجها من الباب شاهدتهم مقبلين من جهة مدرسة المروج. كانوا لا أقل من مئتي عنصر. كم كان عددهم كبيراً!

رأت معهم خمسة مقنعين يسير بعضهم خلف بعض، وحولهم حماية من المسلحين. كان المقنعون باللباس العسكري أيضاً، وكان القناع أسود. لم تسمع صوتاً للمقنعين، وإنما تابعتهم وهم يمشون في اتجاه المخيم عبر الشارع الآخر، قرب مدرسة الصمود، حيث دخلوا من هناك وتابعوا سيرهم. لم تتمالك أم أيمن نفسها من الصراخ: "شو في؟" فقالوا: "ولا شي. الكل يخرج إلى الشارع. الكل يطلع." قالت لهم: "ما في حدا هون غيري." فكرر المسلح كلامه: "الكل يطلع".

لم تستطع أم أيمن تحديد هويتهم، فهم لم يتكلموا بداية إلاّ القليل. غير أنها لاحظت ارتباكاً فيما بينهم. وقد انقسموا قسمين: قسماً توجه صوب مخيم شاتيلا ودخل حرش ثابت، وقسماً التف حول الأبنية في بئر حسن.

بلغ عدد الذين خرجوا من بيوتهم في بئر حسن نحو خمسة وسبعين شخصاً، وليس بين هؤلاء من فلسطينيين غير أفراد عائلتين فقط، والباقون كلهم لبنانيون وسوريون وأكراد. وأم أيمن نفسها سورية متزوجة بفلسطيني.

صفّوهم عند الحائط بالقرب من بناية بعجور، وقالوا: "النسوان يوقفوا في الخلف، والرجال والشيوخ في الأمام، والأطفال أمام الجميع." وقالت النساء بهلع: "الله يخلّيكم شو بدكم تعملوا فينا..." فقال واحد منهم: "جيبوا معكم تيابكم لناخدكم لمستشفى عكا." هنا رد عليه عنصر مسلح اخر: "ليش التياب؟ بلا التياب." فقال الأول: "يلاّ تعالوا بدون التياب." لكن ما إن وقف الناس للذهاب إلى مستشفى عكا، حتى كان عنصر جديد قد انضم إلى رفاقه في تلك اللحظات، فعادوا وقالوا لهم: "خلّيكم. اقعدوا محلكم. قولولنا وين في مخربين عندكم هون؟"[٩]

حافظت أم أيمن على هدوء أعصابها، وراحت تراقبهم وهم يختلفون، بل يتناقضون

---

(٩) POH. S/SH. No. 41 (249/T.40). Munira M. Sayyed. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, March 14, 1983.

في الرأي.

أم وسيم، جارة أم أيمن وقريبتها وصديقتها، أم لثلاثة أولاد أكبرهم في الثانية عشرة، عاشت تجربة الساعات نفسها فى المكان نفسه. هي متزوجة بالأخ الأكبر لزوج أم أيمن. والشهادتان كانتا فى مقابلتين منفصلتين، لكن الذكريات لحدث واحد.

وأم وسـيم فلسـطينية من الخالصة، التي أطلق عليها الإسرائيليون كريات شمونة. زوجها كان جريحاً فى مستشفى غزة، لكنها لم تتمكن يوم الخميس من الوصول إليه بسبب القصـف والقـنص. اكتفت بالمرور ببيت أخيها وأمها بالقرب من حى المقداد لتوصيهما بـأخذ الحذر، وكأنها لا تعلم أن الحذر لا يمنع القدر. كانت تلك آخر مرة ترى فيها أمها وأخاها وأسرته. وهى تقول:

> هنّي لمّا دخلوا المنطقة كان واضح إنهم ما بيعرفوها حتى. لمّا أجوا كانوا أكتر مـن مـية عنصر أجوا من ناحية مدرسة المروج. إحنا عارفين إنهم بدهم ييجوا بأي لحظـة، بس مش عارفين وين بدنا نروح. فى ناس قالوا هنّى أجوا من المطار علينا، أنـا شفتهم كمان جايين من منطقة السفارة الكويتية، نزلت مجموعة منهم لجهة حرش تابت، ومجموعة أجت لبير حسن من جوّا. هنّي ذاتهم اللّي كانوا عم يطوقوا المنطقة.
>
> لمّـا دخلـوا بلّشوا بالقواص على الناس اللّي بالمدرسة، مدرسة المروج. شافوا الـناس عم تهرب صاروا يقوصوا بالهوا... وبعد ما صفّونا على الحيط، راحت بنتى جـيهان الصغيرة تقول للمسلح اللّي رافع سلاحه بوجوهنا: "الله يخلّيك، الله يوفقك، ما تقتلـناش." وقلّو واحد من الجيران: "أنا يا خيّي لبناني." قلّو: "شو؟ لبناني؟ هلّق صرت لبنانـي؟ بـالأول ما كنت لبناني. صفّوا هون بدّي إعمل... وبدّي ساوي فيكم... هلّق كلكـم رح تشوفوا..." ولمّا صرخت بعض النسوان وبكيوا الاولاد، صاح فيهم واحد: "اخرسوا، اللّي بصرخ بدّي أقتله."
>
> وصار همنا نحنا نحاول نسكّتهم.[١٠]

بيـنما كانـت أم وسـيم تتكلم، كانت عينا جيهان، ابنة الحادية عشرة، لا تفارقانها. وتكلمت الفتاة:

> أنا قلتلّو ما يقتلنى. كانت دقنه طويلة، وكان صوته عالى.

راح الجـد يراقب حفيدته باعتزاز. هو رجل فى السبعين من عمره يتحدث ساخراً

---

(١٠) POH. S/SH. No. 29 (241/T.30). Nofa Khatib (Um Wassim). Interview with author. Massacre area: Narrator’s house, March 3, 1983.

من الحدث كله. وهو يعمل حارساً في بناية بعجور. وهو الذي اشتهرت قصته بأنه تحدى المسلحين. قال الجد:

> الساعة شي سبعة أو سبعة ونص، هيك شي، ما شفتهم إلاّ فايتين علينا بالعدّة الكاملة. قال: "اقعدوا". الناس قعدت. قلّي: "ليه ما بتقعد إنت؟" قلتلّو: "ما بديش أقعد. بدك تطخ طخ." قلّي: "شو إنت؟" قلتلّو: "فلسطيني من ٤٨. أنا من نص فلسطين." نط واحد قال: "رشهم. رشهم وخلّصنا منهم." راح واحد مبيّن مسؤول فيهم، لكن كان داير وجهه، أنا ما شفته، لكن سمعت صوته، راح قايل: "ما فيش معي أوامر أرشهم لسّا."
>
> وراح هادا المسؤول طلع برّه وغاب نتفة صغيرة ورجع يقول: "اتركوهم. يلاّ اتركوهم." وهيك صار.
>
> الساعة كانت صارت شي تسعة أو عشرة بالليل. قمنا طلعنا كلنا، واحتمينا بالبناية جوّا. وقام رجع مرة تانية الرجّال اللّي قلّهم ما فيش معي أوامر أرشهم، رجع هو نفسه يتأكد إذا في مخربين بالبناية. كان يحكي معي وأنا مش قادر أشوف وجهه من العتمة، راح قلّي: "يا عم بتعمل معروف ما تخلّي حدا يضهر." وضلّوا مراقبينا طول الليل. وعند الفجر حسّينا عليهم راحوا للبناية التانية.[١١]

أم أيمن عادت تتذكر كيف كانوا في حالة غير طبيعية، فقالت إنهم لمّا جمعوا أهل بئر حسن في الشارع، قالت لهم امرأة: "الله يخلّيكم، بدّي أسقي إبني مي"، فأجابها أحدهم بحدة: "بلا مي. ما تسقيه مي. نحنا بقالنا تلات ايام بلا مي. خلّي إبنك بلا مي."[١٢]

وتروي أم أيمن ما جرى في بناية مجاورة لهم ليس فيها فلسطيني واحد، فكل السكان لبنانيون. قالت إن المسلحين سألوهم بالتفصيل عن البيوت في نهاية الشارع، وهي التي كانت تسمى "المعسكر" لأنها كانت مقراً للفدائيين. وأكد السكان لهم أن الفدائيين خرجوا. وقام المسؤول عن المسلحين يسأل جارهم: "خبّرني وين نحنا هلّق؟" فأجابه: "إنتوا هلّق موجودين في بير حسن." رجع يسأل: "يعني.. قدّيه نحنا منبعد عن صبرا؟" قال له: "صبرا أصبحت في منطقة تانية." وعاد المسلح المسؤول يسأل عن قصر صبري حمادة وأين يقع؛ عن مخيم شاتيلا وأين يقع؛ عن مستديرة المطار وأين تقع. ثم عاد يتأكد إن كانوا فعلاً في بئر حسن، وإن تكن بئر حسن فعلاً ليست مخيماً للفلسطينيين. ولمّا أكد له السكان المحتجزون جميعاً أن بئر حسن ليست مخيماً، خاطب المسلح المسؤول

---

(١١) POH. S/SH. No. 30 (249/T.30). ‘Abdullah Sayyed. Interview with author. Massacre area: Narrator’s house, March 3, 1983.

(١٢) POH. S/SH. No. 41 (249/T.40), as above.

رؤساءه باللاسلكي: "سيدي نحنا موجودين الآن في منطقة بير حسن. سيدي، شو نعمل؟"

بدا واضحاً خلال لحظات أن أوامر سيده كانت أن ينقسموا قسمين: قسماً يتابع نحو "الداخل"، نحو المنطقة المطلوبة، وقسماً يبقى في منطقة بئر حسن. وهذا ما جرى.[١٣]

داخـــل بناية بعجور التي احتمى بها الجد، حارس البناية، مع أحفاده وكنتيه أم أيمن وأم وسيم، كان هناك وقت كاف أمام الكبار، بعد أن نام الصغار من الخوف والتعب، كي يتساءلوا:

لماذا لم يقتلوهم فعلاً؟

هل لأن بئر حسن ـــ فعلاً ـــ ليست مخيماً؟

لكنهم فلسطينيون. لماذا لم يقتلوهم؟ هل من سبب ما؟

فـــي الأيام اللاحقة عرف الجد وأسرته أن غيرهم في منطقتهم، بئر حسن، قد قُتل. فلماذا لم يقتلوهم، كسواهم؟

هل تكشف الأيام سر بقائهم أحياء؟

الرواية الثانية

شاهدتان على دخولهم شارع الثكنة

كان ناطور بناية على مقربة من ثكنة هنري شهاب.

قتلوه في الساعة الأولى.

ليس هناك على موته شاهد من أهله، بل شاهدتان من الجيران.

الشاهدة الأولى حربه، من مهجري تل الزعتر الذين اقتادوهم إلى الدامور، ثم قادتها الحـــرب إلـــى بئر حسن قبالة ثكنة هنري شهاب ونادي الغولف. أمّا الاجتياح الإسرائيلي الأخير فقادها إلى سينما كونكورد في شارع فردان، حيث التجأت جماعات المهجرين إلى الأبنـــية الكبـــيرة الحصينة. ومع خروج المقاتلين عادت إلى شقتها الصغيرة لتجد الزجاج محطماً والأبواب مخلعة. أخواها مسافران، وليس لها في بيروت سوى أخت أرملة. وهما تعيشان معاً.

شـــاهدت حـــربه انتشار الإسرائيليين في الأيام الأخيرة، لكنها لم تشاهد مبالغة منهم في طمأنـــة الـــناس كما روى البعض، وإنما على العكس من ذلك، قالت إنهم كانوا يدققون مع كل الســـكان، ويأمـــرون كـــل من يشتبهون فيه أو يقف على شرفة: "إنزل!!" وينزل المنادى عليه للتحقـــيق معه. وشعرت كأنهم كانوا في كل مكان، وكانوا داخل الثكنة، حتى عاد إليها الجيش

---

(١٣) Ibid.

اللبناني فاستردها. وكان الجيش العائد بالعشرات هو من أوحى إلى السكان بالطمأنينة.

تجـزم حربه أن المسلحين المهاجمين كانوا من القوات اللبنانية وقوات سعد حداد، وذلـك نتيجة رؤيتها القمصان البيض التى ارتداها الكثيرون منهم تحت اللباس العسكري الأخضر، والتى كان مكتوباً عليها القوات اللبنانية أو سعد حداد، وكذلك رؤيتها الشاحنات الكثـيرة العـدد التـي كتب على بعضها القوات اللبنانية، أو قوات سعد حداد. وقد ترجل ركاب هذه الشاحنات أمام الثكنة. دخلوا ثكنة الجيش قائلين أنهم يريدون ماء للشرب، وكان الجـواب أن لا مـاء فـي الثكـنة وأنهم لا يريدون إعطاء ماء لأحد. فدخلوا كل الأبنية المجـاورة، وأخـذوا يـنزلون الـناس إلـى الملاجئ، ويرعبونهم بالبلطات والسكاكين والمسدسات، وكأنهم توزعوا المهمات بهدف إلقاء الذعر. وهي تقول:

هنّـى دخلوا علينا بالعشرات، صارت ناس منهم تضرب، وصارت ناس تقتل، وناس تفتش على بنات حلوين.

فـي جارنـا ناطور بناية إسمه خير هو فلسطينى من لوبيا، أنا بعرفه، بس ما بعـرف إسـم أبوه وعيلته. وخير مَرْتُه حلوة، فلمّا دخلوا عليهم، كانوا ست مسلحين، إجـوا يزفّـروا الكـلام مع مَرْتُه وطلبوا منها تطلع معهم على الطابق التالت. كانت قبضـاية. شلحت الصرماية وضربتهم فيها وقلتلهم: "يا واطيين، يا عيب الشوم عليكن مـا بتستحوا على حالكم." ما ضربوها ولا غصبوها قاموا قلولها: "خلّيكى هون ونحنا مناخد جوزك على الطابق التالت ومنتفاهم معه."

وكـان واقف إبن عمتو لخير، راحوا ربطوه، ربطوا إيديه ورجليه على الحيط وقلولـو إنّـو إذا بيتحرك أو بيطلّع صوت بيرجعوا بالبلطة بحطوا راسه لحال وجسمه لحـال. وطلعـوا لفوق مع جوزها وهنّي ينادوا بعض: "يا محمد، يا أحمد، يلاّ يا عبد الله..." وصلوا للطابق التاني ووقفوا. وقاموا رجع ونزل منهم ناس حتى يقولولها كمان مـرّة: "إذا ما بدّك تيجي معنا، إحنا رح نرجع نتفاهم نحنا وجوزك في الطابق التالت." رجعـت هيّ صرخت عليهم وبزقت عليهم: "يا عيب الشوم عليكم." قلولها: "طيب رح نخلّيك تنبسطى كتير إنت وجوزك. الله يخلّيلك يّاه هاالشمعة."

بقيت المَرَه ناطرة، وهىّ بتفتكر إنهم عم بحققوا مع جوزها. وضلّت مدة طويلة ناطـرة. ونحـنا كمان كلنا بالشارع ما منسترجي نتحرك أو نروح لمحل. كنا ناطرين حـدا يحقق معنا أو نقدر نفركها ونهرب. وكانوا المسلحين بعدهم بالعشرات عم ينغلوا نغل، ومحاوطين كل المحلات، وداخل البيوت. ونحنا كنا عم نسمعهم بنادوا على واحد بعلبكـى من الحى حتى يوقف، وفجأة سمعنا صوت مَرَه عم تصرخ بأعلى صوتها: "يا

جماعة انقذونا. يا جماعة، خير لقيناه مقتول بالطابق التالت."

نحنا ما استرجينا نطلع لفوق. لكن الله بعت ناس طيبين. أجا اتنين رجال لبنانية طلعــوا لفــوق وسحبوه ومددوا جثته قدّام البناية. كاينين ضاربينه بالبلطة على راسه وطارقيــنه بكـــاتم صوت جوّا مناخيره، وداعسين على رقبته. وبعدين كاينين ساحبين حالهم ومش طالعين من نفس المدخل اللّي فاتوا منه، يعني من مدخل الملجأ.

مَــرتُه كانــت حالتها بالويل. أنا مَرتُه بعرفها. وهي مَرتُه لبنانية وعندها بنت عمــرها تلات سنين. أجت قلتلي: "بدّي أطلع عند الإسرائيلية. دخيلك. دخيلك. بتيجي معي يا حربه؟" قلتلها: "بروح معك. هيّ كلها موتة."

وصلنا عند أول نقطة للإسرائيلية في نزلة شارعنا، يعني شارع الثكنة أو شارع الغولــف. ومــا لحقنا دخلنا لاقت مَرتُه واحد من المسلحين اللّي دخلوا عليها قاعد مع الإســرائيلية، ومن اللّي كانوا بلبل بالحكي معها، راحت شرحتلهم القصة، ولمّا أشّرت علــى المســلح وقالت إنّو هادا مش واحد منهم، وبس، قالت إنّو هادا حكى معها هيك وهيك. لكن قام هوّ نكر.

رحت أنا قلت للضابط الإسرائيلي: "طيب ليش بعدك واقف. طيب هوّ اللّي قتل الزلمة."

وأنــا أول يــوم دخلوا الإسرائيلية شفتو لهادا الضابط ما غيره، ورحت أسأله: "مــندخل على صبرا؟" قام قلّي: "ما تروحي على صبرا وشاتيلا، إذا بدّك تروحي على صــبرا وشاتيلا بدّك تموتي بصبرا وشاتيلا." لكن هاي المرّة في الغرفة المليانة جنود ومــن القــوات أكــيد، قــام جاوبني هادا الإسرائيلي: "نحنا ما خصناش". وكانوا عم بضبضبوا اغراضهم ليتركوا هاديك النقطة في بير حسن.

رحــنا رجعــنا للجــيش على الثكنة، والله يجزيهم خير قاموا الجنود من الثكنة ســاعدونا علــى رفعه. لكن قلولنا: "إحنا ما معنا أوامر نشتبك معهم. وما بصير نحط على كل بناية جيش. ضبّوا حالكم وتعالوا عنا على الثكنة."

وهيك صار. جينا والتجأنا لثكنة الجيش وقعدنا. وكان عدد كبير كتير فلسطينية معنا بالثكنة.(١٤)

الشــاهدة الثانــية آمال، جارة أُخرى راحت تنتقد انصراف زوجة خير في الأيام العادية إلــى "غندرتها وزواقها"، لكن ذلك لم يمنع آمال كشاهدة من رواية ما جرى بأمانة، ولم تختلف

---

(١٤) POH. S/SH. No. 45 (231/T.46). Harbeh A. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 22, 1983.

روايـتها عـن روايـة حربه، بل أكثر من ذلك، راحت آمال تؤكد بانبهار شديد جرأة الجارة زوجة خير، فقالت: "أجت مَرْتُه مسكت هاالشحاطة بعيد عنكم ونزلت فيهم ضرب..."(١٥)

لكن آمال لم تتمكن وأسرتها من اللجوء إلى ثكنة هنري شهاب كما فعلت حربه وسواها، فكان لآمال وأسرتها مصير مختلف تماماً عن كل من جارتيها، كما سيظهر لاحقاً.

وانتشـر اللـيل في هذه البقعة من بئر حسن، نزلة الثكنة ونادي الغولف، تماماً كما انتشر في باقي الأماكن من بئر حسن. لكن مصير السكان في كل بقعة من المنطقة نفسها كـان مختلفاً؛ فهناك بالقرب من مستشفى عكا قتل البعض، بينما اطمأن البعض الآخر في بناية بعجور القريبة من المستشفى نفسه، حتى الصباح.

في كل شارع صغير مصير مختلف..

ولكل جماعة من تلك الميليشيات "اهتمامات" مختلفة عن اهتمامات غيرها..

وما أكثر الاختلاف وأشده بين مزاج قاتل وقاتل.

الرواية الثالثة

شاهدة على دخولهم الحي الغربي

هند، لبنانية جنوبية تتمتع بذكاء وشخصية قوية. تزوجت وهي في الرابعة عشرة من عمـرها جنوبـياً لا يمـت إليها بقربى، لكنها اكتسبت الخبرة من الحياة ومن الإقامة في الخـارج بحكم عمل زوجها. وقد أنجبت تسعة أولاد خلال الأعوام العشرين من زواجها. وتعرضـت وأسرتها لأكثر من محنة، فاستشهدت ابنتها الصبية خلال الاجتياح الإسرائيلي للجنوب سنة ١٩٧٨، ودمّر بيتها في الاجتياح الإسرائيلي سنة ١٩٨٢.

قبـيل خـروج المقاتليـن مـن بيروت جاءت هند تبحث عن بيت صغير، ولو من غرفتيـن. اتفقـت مع زوجها على أن يبحث كل منهما في محيط منطقة صبرا وشاتيلا، وقادتهـا قدماهـا إلى المنطقة الواقعة خلف المدينة الرياضية. كانت المنطقة يومذاك شبه مهجورة، وقد فوجئت برجل جالس بمفرده، فتقدمت وسألته عن منزل:

> "أنـا مـن الجـنوب الله يخلـيك في شي أوضة نقعد فيها، أنا دايرة على بيت، وجـوزي دايـر على بيت، ولِي الله بوفقه قبل التاني بنكون قعدنا." قلي: "تكرمي بدل الأوضـة فـي أربعة تعي اطلعي وهادا بيت أهلا وسهلا فيك." قلتلّو: "إنت من وين؟" قـال: "والله أنـا من بلاد الله الواسعة..." قلتلّو: "طيب يعنى كلامك بدل على إنك إبن

---

(١٥) POH. S/SH. No. 60 (234/T.57). Amaal Dirawi. Interview with author. Beirut: Author's house, May 4, 1983.

المــنطقة." قلّــي: "صحيح، أنا إبن المنطقة. أنا إبن البلاد العربية. أنا فلسطيني. جيبي اولادك وجوزك يا أختى وتعالوا على هاالبيت."

قولــوا المهم بعطيني حرامات وبعطيني صوفا للمنامة، وفي تختين كانوا تخوتة عسكرية بعدهم جوّا يعني، قلّي: "خدي هدول إلك، وأنا رايح جيبلك تموين لاولادك."

والله صــدق معي. فعلاً بروح بجيبلي أكل لاولادي وبقولّي ما تحملي هم. أول يــوم تاني يوم ما منشعر إلاّ طلعت المقاومة من البلد، ولمّا طلعت المقاومة قعدنا إحنا. ما عدت شفتو، وما عرفت إسمو. بس بعتلى أكتر من مرة كل الاغراض اللّى وعدنى فــيها مــع شباب من مستودعاتهم. بعرف إنّو ما اشتراهم، بس أخلاق منّو يتذكرنا في الظروف الصعبة اللّي كانوا فيها.

البيــت اللّــي قعدنا فيه كاينين الشباب محصنينو. واضح كان فيه فدائية. المهم قعدنـــا. وانتخــبوا رئيس الجمهورية. وقلنا إن شاالله رح يصير في أمن... لكن بعد ما انقتل بشير الجميل صعب نقول إنّو فْضلنا حاسين بالأمن.(١٦)

عندما حاصرت القوات الإسرائيلية المنطقة وقامت بقصفها بعنف يوم الخميس تهيئة لمــا هو ات، كان زوج هند قد ذهب في ذلك اليوم إلى الجنوب لزيارة والدته المريضة، وللعودة بالخبز المفقود وبما تيسر من طعام.

اشــتد القصف ظهراً وبعد الظهر، وراحت هند تهدئ من روع أولادها، وتؤكد لهم كجنوبية أن إسرائيل لم تفعل شيئاً للنساء والأطفال عندما احتلت الجنوب. ولمّا أرادت أن تؤكــد للإســرائيليين المحاصِرين أن ليس في هذا البيت مقاتلون أو رجال، خرجت وهي تحمل المكنسة، فما من أحد يشك في مظهر امرأة وهي تكنس أمام بيتها.

كان بيت هند يقع في أعلى الحي الغربي، في الشارع الفاصل بين المدينة الرياضية والحــي، وهو شارع ترابي مواز لبولفار كميل شمعون. فكانت هند تطل من سطح بيتها على الملعب الشهير وعلى بركة السباحة.

فــي تلــك الليلة الأولى، كانت هند من موقع بيتها "الاستراتيجي" هي الشاهدة على دخول المسلحين بالعشرات اتين من ذلك الشارع الترابي إلى الحي الغربي وحي عرسال الملاصق له جنوباً. وهي تقول:

ضــهرت مــن البيت والمكنسة بإيدي، إلا شي خمسين ستين شاب مارين من المديــنة الرياضــية، قريب من المسبح، وسمعتهم بيحكوا لبناني. بيقولو تعا يا جورج

---

(١٦) POH. S/SH. No. 59 (234/T.55). Hind D. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, May 3, 1983.

وتعـا يـا الـياس.. يعنى بيحكوا كلّو عربي.. كانوا ماشين على الأرض والجرافات وراهـم عم تجرف. كانت عم تجرف بدها تفتح الطريق. ساعتها خفت أنا قلت شو بدّو يصير؟

كان الوقت المغرب. يمكن شى الساعة ستة ونص عشية. بس بتقولى متل قلب الـنهار وزهـرة الشمس القوية. صرت طلع أنا وقلت أنا بركي إسّى إذا شافوني يعني جنوبـية ما بيحكوا، والجنوبية بتنعرف من بعيد!! صرت لِمّ أجَلكم اوراق من الأرض وحط بالعربية.

قـاموا اولادي بدهـم يطلعوا من البيت وما بدهم يطلعوا، قلتلهم اطلعوا خلّيهم يشـوفوا إنّـو في اطفال صغار يعني هون، الله وكيلك ما شفت إلاّ صوت بيصرخ في اولادي: "تعوا لهون". ولمّا توجهوا صوبنا بدهم ياخدوا اولادي مني صرخت أنا، قمت صـرخت وهرّبت الاولاد ونزّلتهم من الشباك من تاني ناحية. قاموا قوّصوا عليّ أنا. صـابوني بإجـري. تصـاوبت وتضايقت مظبوط يعنى، لكن الحمد لله ما مت بحسنة الاولاد، وبعده أثر الرصاصة برجلى.

لمّا بلّش الدم يشرّ من إجري، تضايقت أكتر. وما في شي ليوقف النزيف، قمت شـلت إيشـاري [إيشـاربي] عـن راسي، يعني قولي ربك الحميد اللّي نحنا بنحط الإيشار. منيح اللّي عنا هاالإيشار بيلزم. شلت إيشاري عن راسي وربطت إجري فيه، مـا ربطـت محـل الرصاصة بالذات كمان أعلى شوي حتى يوقف النزيف. وصرت شـوي شوي أحل الربطة جتى ما يصير نزيف داخلي يعني، ولفيت على البيت وجيت من محل تاني، من الدرج.(١٧)

ذات يـوم كانـت هـند تعمل في حقل التمريض، وقد اكتسبت هذه المهنة بالتمرين والخبرة، لكنها هذه المرة كانت هى الممرضة والمصابة. فبعد أن وصلت إلى البيت زحفاً تناولـت إبـرة لوقـف النزيف، وشكتها بنفسها لنفسها، وهذا بينما كانت تهدئ من روع أولادها، فتضع المنديل على فم ابنتها كلما سعلت، خوفاً من سماعهم الصوت وقدومهم إلى البيت.

لـم تجرؤ على إضاءة شمعة. كانت واثقة بأنهم لا يعلمون أن أحداً في المنزل؛ ذلك بأنها جعلتهم يتصورون أنها هربت مع أولادها بين الزواريب فى اتجاه الشمال، حيث كان واضـحاً أنه لم يكن هناك مسلحون منهم قد وصلوا بعد. وهناك حيث لم يصلوا قط، حتى فيما بعد.

---

(١٧) Ibid.

طـــوال اللــيل كـــان الصراخ يأتي من الحي الغربي، من "سفح التلة" خلف المدينة الرياضية. وكانت هند تسمع أصوات الاستغاثة، وهي تقول:

> كنـــت أسمعهم يقولوا: "منشان الله أنا شو ذنبي؟" وأسمعهم يقولولهم: "إنتو هيك وهيك.. إنـــتو ما بتعرفوا الله." ويقوموا يدبحوهم. واحدة قلتلو: "أنا لبنانية، أنا من الجنوب." قام زفّــرلها الكلام، وشو بدّي إحكي شي ما بينحكى. لمّا يدبحوا الواحد يصرخ متل تور الــبقر. يكمشـــوه يدبحوه. ويدبحوا كل جماعة مع بعض، ويرجعوا يحطوهم بالجرافة وترفســـهم الجـــرافة وتقلـــب علـــيهم التراب وترجع تمشي عليهم. كانوا يتركوهم ما يدملوهـــم، ويمشـــوا يجيبوا غيرهم. وكانت ليلة شبت منها. كانوا يقتلوا نسوان، بنات صغيرة، كبار، صغار ...[١٨]

كانـــت هند تتكلم في بيتها، وكنت أستمع إليها مع مصور تلفزيوني صديق، كان من أول من عرف قصتها بعد انتهاء المجزرة، وهو من أخذني للتعرف إليها. أرادت هند أن تكمـــل حديـــثها من على سطح منزلها حيث تمكنت من التسلل ليلاً بمفردها في تلك الليلة الأولى الرهيبة. وصعدنا نحن الثلاثة إلى السطح. هناك قالت لي إنه كان يوجد في السابق حـــرامات منشـــورة على جوانب السطح، وهو ما لم يترك مجالاً لهم لرؤيتها. ثم عادت لـــتكمل حديـــثها وهـــي تشير إلى البيوت والأماكن في المنحدر وراء المدينة الرياضية، والمعروف بالحي الغربي:

> بطـــلّ هـــيك بلاقيهم عم يدبحوا شي بإيده البلطة لمّا يصفّلو راسه للزلمي يطير لتانـــي ناحـــية ييجـــي التانـــي يحطّلو بالكلاشن يقوصو. صدقوني يا جماعة، شي ما بيتصدق. كانوا يدبحوهم ويرجعوا يرشوهم، وكان يطلع صوت قواص.
>
> كنـــت شـــايفة كل شي، يعني لو في إبرة بشوفها مع القنابل المضيئة. بعدين أنا أعلى منهم. أنا كنت شايفتهم، هني مش شايفيني.[١٩]

كـــان لـــدى هند وقت كاف للتأكد من أن عدد الجرافات التي رأتها تلك الليلة أربع جـــرافات، وقالـــت أنهـــا شاهدت أقرب الجرافات إليها مكتوب عليها باللغة العبرية، كما شاهدت الجرافات الأربع كلها تعمل، الكبيرة منها والصغيرة. لكن ليس في استطاعتها أن تعـــد المـــرات التي عملت فيها هذه الجرافات. كانت في الوقت نفسه خائفة على أولادها وتخشى إن هم اهتدوا إليها وإلى أولادها أن يقتلوهم جميعاً.

---

(١٨) Ibid.

(١٩) Ibid.

شهدت هذه الأم الممرضة على اغتصاب فتيات صغيرات، وعلى إخراج الجنين من بطن أمه، وأكثر من قصة شاهدتها وروتها لم تكن تعلم من هم أصحابها. نحن عرفنا فيما بعد أصحاب تلك العذابات وأسماءهم بالمقارنة بين الأوصاف التي قدمتها وبين الشهادات التي تقدم بها ذوو الضحايا هؤلاء والمتطوعون العاملون في المؤسسات الإنسانية.

كانت هند حقاً الشاهدة الوحيدة على دخولهم من خلف المدينة الرياضية.

لم تنم هند تلك الليلة.

كانت كلما تذكرت زوجها دعت الله أن يحميه في عودته.

هل استجاب الله لها؟

الرواية الرابعة

شهادة مؤجلة من حي عرسال

انتصــار، أم لثلاثة أطفال، ولد وبنتين صغراهما في نهاية العام الأول من عمرها. يقــع بيــتها فــي قلب حي عرسال المجاور للحي الغربي على سفح التلة، خلف المدينة الرياضــية. ومن الممكن الوصول إلى بيتها من أكثر من زاروب. لكن انتصار نفسها لم تشــاهدهم وهــم يقــتحمون، كما شاهدتهم هند، ذلك بأنها كانت تمكنت من الهروب قبل الخامسة مساء.

خافــت انتصار من القصف الشديد بعد الظهر، خافت على أطفالها الذين ما عاد في إمكــانهم احــتمال أصــوات القذائــف الإسرائيلية، وخافت أكثر لمّا قتل جار لهم بشظية إســرائيلية، فراحت ترجو زوجها أن يأخذهم إلى منزل خالتها. وكان زوجها يملك سيارة بحكــم عملــه، وتمكن بصعوبة من إخراجها من الزاروب الضيق بسبب تكدس أكثر من ســيارة لــم يتمكن أصحابها من الذهاب إلى أعمالهم يوم الخميس. عندما سمعت انتصار صــوت محرك السيارة يقترب ظنته أروع موسيقى. وهي تتذكر حوارها مع زوجها لمّا دخل مستعجلاً:

> قمــت ســألتو: "أجيب شي معي؟"، قلّي: "بس التياب اللّي محضرتيهم للاولاد." كنــت محضــرتلهم علــى طول شنطة صغيرة. أخدنا على شارع الحوري بالطريق الجديــدة. هــناك ســاكنة خالتي. لمّا وصلنا لحد التعاونية، تقوم تيجي قذيفة هناك. لمّا وقعــت القذيفــة قلّي: "شو، ترجعي؟" قلتلّو: "لأ، يا ربي شو أرجع، دخيلك ما صدقت على الله إيمتى وصلت. دخيلك هون في ملاجئ."
>
> وصــلنا لبيت خالتي، وهيّ إلها عادة بتصيِّف بعاليه، وهيّ كانت وقتها مصيّفة

بعالـــيه، على علمي. قلّي: "روحي انزلي شوفيها إذا هيّ بالبيت واللاّ لأ." رحت نزلت سألت ولقيتها بالبيت. قلّي: "روحي بالاولاد وانزلي، لأجيب الحليب والقناني."

أنـــا كنـــت عارفـــة هو عامل القناني والحليب حجة. نحنا كان في معنا جيران بالبيـــت، قلولـــنا خدونا معكم. قلتلهم إنّو بيت خالتي صغير كلّو غرفتين وهنّي عيلتين بحســـاب إبنها بكون عندها، ويمكن ما لقيهاش بالبيت. لكن راح جوزي أبو نبيل قلهم: "خلّيكم هون هياني برجع باخدكم."

أنـــا كان قلبي حاسسني، يا ما مرات كان يتركني وقت الحرب مع الصغار في الملاجئ ما أخاف، هاي المرة خفت كتير، رحت أترجاه يبقى معنا، ما كان يرد عليّ، قال لازم يوفي بوعدو للجيران، ووعدني إنّو بيرجع قوام.(٢٠)

مضت الليلة الأولى ولم يرجع أبو نبيل.

لم يكن أحد يعلم أنه كان هناك مجزرة.

أم نبيل، زوجته انتصار، لن تعلم عنه شيئاً قبل انتهاء كل شيء.

هي هربت من القصف.

وهـــو عاد إليه غير مبال كي يفي بوعده للجيران، وكي يخلصهم كما خلص زوجته وأولاده.

فهل تمكن من تخليص الجيران؟

هل تمكن من تخليص نفسه؟

هل يمكنه أن يشهد أمامنا، فيما بعد، على ما جرى؟

الرواية الخامسة
الجيران الشهود في أول شاتيلا

كان أحمد شاباً على مقاعد الدراسة سنة ١٩٨٢. هو من الخالصة في شمال فلسطين أصـــلاً، ومن النبطية في الجنوب اللبناني ولادة. عمّر أبوه بيتاً في النبطية لكنهم غادروه في أعقاب اجتياح الجنوب سنة ١٩٧٨ وانتقلوا إلى شاتيلا. سكنوا في أول شاتيلا من جهة شارع السفارة الكويتية. أسرته كثيرة العدد، تضم عشرة من الإخوة والأخوات، لكن اثنين كانا ناقصين في ذلك اليوم؛ فالأخ الأكبر كان يعمل خارج لبنان، والأخت الصبية الكبرى كانت اختطفت ذات يوم على حاجز كتائبي.

---

(٢٠) POH. S/SH. No. 112 (241/T.88). Intissar Khalil (Um Nabil). Interview with author. Massacre area: Narrator's house, June 3, 1984.

يقع بيت أحمد بالقرب من الطريق العام، شارع شاتيلا، إلى يمين المقبل من شارع السفارة. ويسكن في هذا البيت الصغير الملاصق لبيوت آل المقداد الأبوان والجدة والثمانية الباقون من الإخوة والأخوات. أمّا مهنة الوالد فكانت من المهن الرائجة جداً بين السكان، والمعروفة بلغة أهل المخيم: "بياع خضرة وبياع دخان."

يقول أحمد إن القصف الإسرائيلي اشتد في الساعة الرابعة من بعد ظهر الخميس بشكل لا يوصف، وسقطت قنابل كثيرة على المخيم، لكن معظمها كان يقع في أحياء لا سكان فيها، أو أن معظم السكان لم يكن عاد إليها بعد.

لم يكن أحمد في بيته تلك الساعة؛ كان مع بعض أصدقائه يتلهون بتعداد القذائف، ويتناقشون، وفجأة سقطت بالقرب منهم إحدى الشظايا وأصابت أحدهم، "وليد"، فقام أحمد والآخرون يحملونه إلى مستشفى غزة. وكان هذا بينما القصف ما زال عنيفاً بين الساعة الخامسة والساعة السادسة. وفي المستشفى شاهد المئات من الملتجئين إليه، وخصوصاً من سكان صبرا. وبينما كان ينتظر انتهاء العملية الجراحية التي خضع لها صديقه، دخل المستشفى ناس من شاتيلا وهم يصرخون: " دخلوا المخيم. دخلت إسرائيل على المخيم."[٢١]

استغرب أحمد لماذا تدخل إسرائيل لتقتل الناس. وهو من الذين طمأنهم الجنود الإسرائيليون المحاصِرون للمخيم. ولم يطل تفكيره حتى دخل المستشفى صديق له تعلو وجهه صفرة الهارب من الموت، وأسرّ إليه بصوت متقطع:

> ما تصدّق يا أحمد. مش الإسرائيلية اللّي داخلين، هنّي اللّي داخلين الكتايب. أنا ما لحقوا دخلوا البيت حتى طبقت الباب عليهم وهربت، نطيت من الحيط. وقدر أخوي يهرب معي، شوف هيّو أخوي واقف على الباب. الله نجانا من الموت يا أحمد. لو بتشوف قديش رشوا علينا أنا وأخوي، لكن كنا صرنا على الجنب التاني من الحيط وما قدروا يصيبونا. لكن ما بعرف شو ممكن يصير لأهلي. شو بتقول يا أحمد؟[٢٢]

لم يعرف أي من الصديقين النوم إلاّ لماماً في تلك الليلة، ولم يعرف أي منهما مصير عائلته. ولم يكن مصير العائلتين واحداً، فقد كان الفارق هائلاً بين المصيرين، كالفارق بين الموت والحياة.

كان أحمد أحد الرفاق السبعة الذين قال لهم الضابط الإسرائيلي يوم الأربعاء: "عودوا إلى

---

(٢١) POH. S/SH. No. 26 (241/T.28). Ahmad Khatib. Interview with author. Beirut: Author's house, March 1, 1983.

(٢٢) Ibid.

بيوتكم. اليوم ما يترك حدا. عودوا إلى بيوتكم. بس نهار الجمعة خدوا اخواتكم وأهلكم."[٢٣]

عن أي يوم جمعة كان الإسرائيلي يتكلم؟

بعض الجيران الشهود قال أنه رأى المسلحين يقتلون أسرة أحمد كلها على العتبة أمام بيتها في الساعة الأولى من المجزرة.[٢٤] وهذا يعني أنه حتى لو تمكن أحمد يوم الجمعة المنشود من الوصول إلى بيته ــ وهو لن يتمكن ــ فهو ما كان ليجد حتى جثث أبويه وإخوته وأخواته ليأخذها كما قال له الإسرائيلى. حتى الجثث اختفت نهائياً. جثة واحدة بقيت شاهدة عند عتبة البيت هي جثة الجدة. أمّا التسع الباقية لأبيه وأمه ولسبعة من إخوته وأخواته فقد اختفت.

الرواية السادسة

شاهد من حي المقداد

لا تُذكَر مجزرة صبرا وشاتيلا إلاّ وتذكر معها مأساة عائلة المقداد قبل أية عائلة أُخرى. هي عائلة لبنانية من مجدل زون التجأ الكثير من أسرها إلى حرش ثابت. وقد سمي الحي الذي سكنوه بحي المقداد، وهو إلى اليمين من بداية شارع شاتيلا الرئيسي من جهة شارع السفارة؛ أي أن حي المقداد كان في طليعة الأحياء التي دخلوها مساء الخميس، وقد دخلوها وهم لا شعار لهم إلاّ القتل.

هناك ناجون قليلون من آل المقداد في حِي المقداد. من هؤلاء حسين المقداد الذي نجا من موت محقق بسبب إلحاح زوجته عليه في الهرب. وهو يقول في أعقاب المجزرة مباشرة أمام مجموعة من الصحافيين:

> كنت ذاهبا إلى السوق لشراء حليب لطفلتي الصغيرة، وبعض المواد الغذائية لعائلتي عندما اشتد القصف وعلت أصوات الرصاص .. حاولت اتقاء القصف بالاختباء في ملجأ قديم تهدم معظمه نتيجة القصف السابق لطيران العدو. لم أتحمل رائحته الكريهة فخرجت لأجد المحلات التجارية أغلقت، وخلت الشوارع من المارة..
>
> هدأ القصف حوالي ربع ساعة. شاهدت الناس يتراكضون بفزع في كل الاتجاهات وهم يتصايحون لكني لم أفهم شيئاً.
>
> أصحاب المحلات أغلقوا محلاتهم على عجل، بعضهم هرب دون أن يغلقوا دكاكينهم. وقفت دقائق وسط الشارع، لا أدري أين أتوجه، لكني أفقت على صراخ

---

(٢٣) Ibid.

(٢٤) POH. S/SH. No. 44 (231/T.45), as above.

إحـــدى النسوة وهي تشدني بقوة من قميصي: "أهرب... إنهم يذبحون الجميع... لماذا تقــف كالأبله." قالت هذه الكلمات بسرعة... حاولت أن ألتفت لأستوضح الأمر، لكنها غابت ما بين مجموعات الناس، فقررت أن أعود إلى بيتي.

ســألتني زوجتـــي عما يجري فقلت لها: "لا أعرف. إنهم يذبحون الجميع. هكذا قـــالوا لـــي." وردت علـــيّ: "يذبحونهم؟ لماذا؟ هل هم نعاج؟" فقلت: "لا أعرف. إنهم يذبحونهم فقط!" وصرخت بي: "لماذا تقف كالأبله؟ علينا أن نغادر..." وقلت لها:

"أنـــا لن أغادر. إذهبي أنت وأبناؤك إلى حيث تريدين، هذا بيتي، بنيته بعرقي، ودمـــي..." وقاطعنـــي صراخ إحدى النسوة وهي تستنجد أن يرحموا طفلها. ودفعتني زوجتي وقالت: "يجب أن تهرب فوراً. إنهم يقتلون. ألا تسمع؟"

حاولـــت أن أحمل معي أحد أبنائي، لكنها ألحت عليّ بالخروج فوراً. وقلت لها: "أنا أحمل معي ولدي علي، وأنت تحملين خديجة وآمال."

"سأحملهم كلهم... أهرب أنت. أرجوك."

نزلـــت عند طلبها ودموعها... وكنت أخطو ببطء، لم أبتعد كثيراً عن البيت... فجأة سمعت من يصرخ بصوت عال: " قف، وإلاّ قتلناك".

حاولـــت الالـــتفات. ســـمعت طلقات نارية. شاهدت عسكرياً، وبدأت أركض. ســـمعته يقـــول: " قف مكانك".. لكن عبثاً. بقيت أركض وأركض إلى أن بدأت أشعر بثقل في ساقي اليسرى وبسائل ساخن ينساب عليها. ولحقت بالنسوة والأطفال والشيوخ الهاربين، وبدأوا ينظرون إليّ، وسألني أحدهم: "هل أنت مصاب؟ إنك تنزف. يجب أن تذهب إلى المستشفى."(٢٥)

بقي حسين المقداد في المستشفى ثلاثة أيام، علم بعدها أنهم طعنوا أطفاله بالحراب، كما أجهزوا على زوجته بالسكاكين. غير أن ابن عمه الذي نقل له الخبر، طمأنه إلى أنهم تمكنوا من دفن عائلته.

كانت مسألة العثور على الضحايا ودفنها نعمة لم تتوفر لكل الضحايا.

عـــدد الضحايا من عائلة المقداد فاق عدد ضحايا أية عائلة أُخرى، إذ بلغ أكثر من ثلاثين ضحية.

لـــيس بعـــيداً عن مساكن آل المقداد ومسكن أحمد في الرواية الخامسة أعلاه، كان هـــناك شجرة كاوتشوك ضخمة من ذات الأوراق العريضة الشديدة الخضرة. هذه الشجرة حمت شيخاً متوسط العمر، وكان لقبه "الشيخ" لكونه رجل دين لا لكونه في عمر الشيوخ.

---

(٢٥) نشرة "وفا" (بيروت)، ١٩٨٢/١٠/١٥.

فاجـــأت هجمة المسلحين هذا الشيخ وهو يمر بالشارع، فسارع إلى تسلق الشجرة، واختبأ بيـــن أغصــــانها. بقي مختبئاً طوال الليل وسحابة اليوم التالي إلى أن تأكد في لحظة من اللحظـــات أن المكـــان خـــلا من المراقبين والقتلة. ولم يشهد هذا الشيخ مقتل أسرة أحمد فحسب، بل أيضاً مقتل كل العائلات المجاورة لها، وأولها وأكثرها عدداً عائلة المقداد.(٢٦)

كـــان شعار الساعات الأولى من تلك الليلة الأولى في ذلك المدخل الرئيسي لشاتيلا، وفي مداخل الحرش كافة، وما سبقها من مداخل، هو قتل الجميع: الكبير والصغير، الرجل والمرأة، الفلسطيني واللبناني، وكل من تيسر من أهل الحى.

رابعا: شهادات عن الملاجئ

العنوان الأبرز الذي يجسد عمليات الاقتحام في الليلة الأولى هو "الملاجئ"؛ ذلك بأن وصول المسلحين المهاجمين مباشرة إلى مواقع الملاجئ كان الدليل على وجود الجواسيس المقنعيـــن الذين ورد الحديث عنهم في الرواية الأولى أعلاه، "شهود على دخولهم منطقة بئر حسن"، وهم الذين سيرد عنهم لاحقاً في الكثير من الشهادات؛ كذلك هو البرهان على أهمـــية تلـــك الســـيارات الغريبة عن المنطقة، التي راحت تجول في شاتيلا تحت حماية الحصار الإسرائيلى، بينما أصحابها يسألون عن أماكن الملاجئ بالتحديد.

الملاجـــئ تغـــص عادة بالنساء والصغار والمسنين. وهي قد تغص أيضاً بالرجال، لكـــنها تبقى آخر الأماكن التي يرتادها المقاتل المسؤول. فكيف يداهم مسلحون مهاجمون آتون للبحث عن مسلحين "آخرين" الملاجئ أولاً؟ ذاك هو السؤال الذي عليه الانتظار حتى استكمال الصورة كلها.

انتقيـــت مـــن الشـــهادات عن الملاجئ ست روايات أدناه. لكن هذا لا يعنى أن هذه الروايات الست هي كل ما له علاقة مباشرة باقتحام الملاجئ، فسيرد في روايات لاحقة ما يؤكـــد الهمجية التي تعرض لها مدنيون في ملاجئ أُخرى متعددة، إلاّ إن روايات هؤلاء صنفت وفقاً لموضوع رئيسي آخر تحتويه أحداث الرواية.

وهذا فضلاً عن أنه توجد روايات أُخرى عن الجانب الآخر، وأعني به جانب إقدام بعـــض المواطنيـــن أصحاب النخوة والمسؤولية على تخليص الناس من الملاجئ كى لا يداهمهـــم المهـــاجمون، فيلاقون هول المصير. وسوف نتحدث عن توفير سبل الخلاص لأكثر من ملجأ فى البند السادس أدناه.

---

(٢٦) POH. S/SH. No. 44 (231/T.45), as above.

الرواية السابعة

من الملجأ إلى سيارة الشحن

تروي ثنيا، وهي لبنانية متزوجة بفلسطيني، كيف اختطفوها هي وغيرها من النساء منذ الليلة الأولى، من داخل الملجأ المجاور لبيتها الذي يقع في منتصف شارع شاتيلا الرئيسي. تقول:

> كان صار المغرب، كان بادي الظلام. إحنا افتكرناهم جايين على الملجأ ليتخبّوا متلنا، همّى راحوا وقفوا برّا، وإحنا كنا جوّا الملجأ عم نتعشى، عم ناكل لقمة لأنّو طول النهار بلا أكل. كان مقطوع الخبز. نحنا عند الضهر ما كان في شي. قال جوزي بدنا نتغدى قلتلّو يا عمّي ما عناش خبز، وقَعَدْت صرت أخبز. وما لحقت خلّص الخبز حتى بلّشَت القذايف، إلاّ إجت قذيفة حد مننا ونزلت علينا شظايا. قمنا نزلنا على الملجأ الساعة وحدة ونص. ومن الساعة وحدة ونص لحدّ الساعة بين الستة والسبعة إلاّ وهمّى نازلين علينا. شو فكرناهم؟ زي ما قلتلكم، فكرناهم ناس تاهوا وبدهم ييجوا يتخبّوا بالملجأ.
>
> أكيد، باب الملجأ مفتوح. سمعنا واحد منهم بيصرخ على شاب من عنا: "إنت هون، إنتو هون، يا عكاريت، قتلتوا بشير الجميل يا عكاريت وعاملين دهاليز وقاعدين هون يلاّ اطلعوا لهون لشوف.. يلاّ.. الرجال تصف على جنب والنسوان على جنب. يلاّ امشوا طابور من هون وطابور من هون، والنسوان بالنص." وطلّعونا لفوق جنب السفارة الكويتية. وقاموا دوّروا هاالشاحنة وطلّعونا إحنا بالشاحنة. قالوا لجوزي: "شو إنت لبناني واللاّ فلسطيني؟" قلّو: "أنا فلسطيني". قلّو: "قدّيه عمرك؟" قلّو: "٥٢ سنة". قلّو: "ليه قعدت، عم قلّك وقاف محلّك، وهات البنت." وقام ناولني البنت وحطنا كلنا بالشاحنة، كنا حمولة شي أربعين مَرَةْ. وراحوا مدورينها. أمّا جوزي فتركوه على الشارع وما عرفت شو صار.[٢٧]

تتابع ثنيا فتقول إنهم قادوهن إلى المنطقة الشرقية، إلى أبعد من سن الفيل، ثم أعادوهن وتركوهن في منطقة الأوزاعي. لكن القرار بالعودة لم يكن سهلاً، فهي تقول:

> في أربعة بيناتنا فلسطينية. أنا بعدني ما خبّرتك، أنا جوزي فلسطيني لكن أنا لبنانية. وكنا نقول لكل واحدة من الفلسطينية الأربعة المخطوفين معنا: "ما تفتحي تمّك

---

(٢٧) POH. S/SH. No. 32 (232/T.31). Thunaya B. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, March 3, 1983.

وتحكـــي كلمـــة واحدة. نحنا منحكي عنك." طول الطريق هيدي راسها واجعها كتير، وهـــيدي مريضـــة كتـــير. وكانوا يسألوهُنْ للفلسطينية كل الوقت: "قولوا كم مقاتل بعد عندكم في شاتيلا؟ وين فيه فدائية؟ وين فيه أسلحة؟" رحنا قلنالو: "يا خيّي هيدي خرسا. لـــو ضـــلّيت طول الليل تحكى معها ما بتاخد منها كلمة." راح قال: "هلّق عملتو حالكم خرسان وطرشان وكلكم لبنانية؟ كلكم من مرجعيون ومن الجنوب ومن بعلبك؟"

لكـــن لمّا وصّلونا على مكتب قيادة عندهم، سمعنا المسؤول عنهم بقولْهم: "شو جايبينلنا نسوان؟ نحنا ما بدنا نسوان. ليه جايبينهم."

منشـــان هـــيك رجعونا على الأوزاعي ورمونا هناك. لكن لقينا حدا يجبلنا مي وأكـــل وبطانـــيات، والله والحقـــيقة قام قلْنا حتى ناكل. لكن مين فينا فيها تاكل ونحنا خايفين على رجالنا.(٢٨)

ســـعيدة، التي شاركت في مسيرة النساء، كانت أيضاً إحدى اللواتي أجبروهن على ركـــوب الشـــاحنة. وهـــي تذكرت أنهم جاؤوا بنساء أُخريات لم يكنّ معهنّ في المسيرة، ووضـــعوهن في الشاحنة. وكان العدد نحو أربعين امرأة. وكان مع بعضهن أطفال، كما كـــان هـــناك رجـــلان، أحدهمـــا لبناني والآخر فلسطيني، هو شقيقها. وهي تروي عن الاختطاف ما يؤكد أقوال ثنيا:

أخدونا حطونا فوق بعضنا البعض بالسيارة، سيارة شحن كبيرة، هلّق إذا شفتها بعرفها .. وما لحقنا ركبنا قام واحد لبناني قلهم للمسلحين اللّي معنا حراسة: "أنا بعرف ســـعد حـــداد وعايش معه." راح المسؤول عن الشاحنة يصرخ فيه ويسب سعد حداد. وبعـــد شوي تلفّت لواحدة وقَلْها: "أنا شفتك متصورة مع أبو عمار بالجريدة. شفتك ما تكذبي." وراحت المسكينة تحلف وتبكي وتقلّو: "والله أنا لبنانية".

ضلّينا شي ساعة بالسيارة.. بعدين وصّلونا لبناية عالية كتير عليها صور بشير الجمـــيل وفاتـــت الشاحنة لجوّا، يعني كل البناية إلهم، كان شي واضح. وقّفونا وسمعنا واحـــد عـــم يســـأل: "معكم شباب؟" وكنا بعدنا بالشاحنة لمّا سمعناهم عم يْهَنّوا بعضهم الـــبعض ويبوّســـوا بعضهم البعض: "عال عال جبتلنا فلسطينية. عال. هلّق بنشرب من دمهم."

وطلـــع واحد منهم على الشاحنة وتلفّت وقال: "وين الرجال؟ ما في رجال؟" أنا كنـــت ناصـــحة ومخبية أخوي ما مبيّن أبداً، والشاب التاني اللبناني كان نحيف وكإنّو خـــنفس راح يا حرام وحلفلو يمين إنّو لبناني لكنّو نسي هويته بالبيت. ما شفناه إلاّ قلّو:

---

(٢٨) Ibid.

"انــزال ولاه". وشــفناهم عــم يْلبْطوا فيه ويخبْطوه وما عرفنا بعدين شو صار معو. وبعديــن تلفّت واحد مسؤول فيهم، مبيّن يعني مسؤول، وقال لّلي جابونا بالشاحنة: "شو هيدا؟ جايبين نسوان واولاد؟ يلاّ خدوهم مطرح ما جبتوهم. وجيبولنا شباب لنشرب من دمهــم." وتْطَلّــع واحــد تانـــي: "استنوا شوي ما في واحدة حلوة تعطونا اياها؟ وين الحلوين؟"

وما صدّقنا على الله يرجعونا. ما سقونا نقطة مي. طلبنا مي وكنا عطشانين. ما قبلوا أبداً. شتمونا كتير.

رجّعونا من طريق تانية. هاي أول مرة بشوف هاالطريق. وكانت طريق طالعة نازلـــة. يا عمّي يمكن أخدونا على الأشرفية ما بعرف. لكن بعرف إنّو تغيروا الشباب اللّـــي معـــنا على الطريق. يعني هنّي تبدّلوا وأجا غيرهم. ولمّا وصلنا على الأوزاعي رجعـــوا ســـألونا قبل ما ينزلونا الحراس الجداد: "مين فيكم فلسطينية؟" وراحت واحدة لبنانية تقولنا: "يلعن أبوكم يا فلسطينية. كلّو منكم."

آخرتـــنا نـــزّلونا في الأوزاعي وكانت الساعة صارت شي تسعة بالليل ويمكن عشـــرة. وشفنا القنابل المضيئة من هناك بعدها بتطلع. لكن ما سمعنا ضرب. وضلّينا للســـاعة تنتين بنص الليل والاولاد عم ترجف من البرد والجوع. وما حدا في المنطقة فتح بابه إلنا.(٢٩)

بقيت النساء والصغار حتى الصباح.

ولــولا رحمة من بعضهم، من بعض "الكتايب" كما تقول سعيدة، لما وجدوا بطانية ولا شيئاً من الأمان. فالبعض كان مختلفاً جداً عن الكل.

وكان عليهن في الصباح العودة للبحث عن ذويهن.

الرواية الثامنة

المئة والخمسون في ملجأ أبو ياسر

يقع ملجأ أبو ياسر إلى اليسار من زاروب في قلب الحرش، متفرع من الجهة اليمنى لشارع شاتيلا الرئيسي، بالنسبة إلى المقبل من جهة الجنوب.

هــذا الملجأ شهير باسم صاحبه أبو ياسر، السوري الأصل، والذي بناه ليكون ملجأً عائلياً لأسرته، وللجيران الأقربين بالتأكيد. وكان هذا الملجأ الذي أوجده صاحبه من دون

---

(٢٩) POH. S/SH. No. 46 (234/T.47). Sa'ida D. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 22, 1983.

أي تخطيط مسبق، يعتبر ملجأً صغيراً ولم يكن يحسب له الحساب في المنطقة. أي أنه لم يكن من الملاجئ المنشأة كي تستوعب فعلاً أكبر عدد من السكان.

يوم الخميس ذاك، امتلأ ملجأ أبو ياسر بالجيران وجيران الجيران، هرباً من القصف الإسرائيلي. وكان أبو ياسر كريم النفس ومحباً للجميع، فلم يشأ أن يطلب من أحد التفتيش عن ملجأ آخر، وكما يقول المثل: "بيت الضيق بيوسع ألف صديق."

وعندما دخلوا، أو عندما اقتحموا، كان ملجأ أبو ياسر من أول الأمكنة التى وصلوا إليها.

كيف وصلوا؟

ومن هم هؤلاء الذين تمكنوا من الوصول إلى ملجأ صغير يقع في زاروب داخل الحرش، منذ الدقائق الأولى لدخولهم شاتيلا، وخصوصاً أن المهمة الرئيسية لهؤلاء كانت البحث عن الفلسطينيين المقاتلين والمسلحين والمتخلفين عن السفر إلى المنافي الجديدة!!

من في استطاعته ذلك غير هؤلاء الذين يمشي أمامهم جواسيس مقنعون كما ذكرت أم أيمن في شهادتها عن دخولهم منطقة بئر حسن، وكما شهد الكثيرون غيرها.

أم علي كانت من الهاربين إلى ملجأ أبو ياسر، ولم يكن بيتها يبعد أكثر من عشرين متراً عن هذا الملجأ؛ فهي من الجيران، لا من جيران الجيران.

كان الزمان يوم الخميس. وكانت الساعة نحو السادسة بعد الظهر لمّا دخلت إحدى بناتها لتقول للجميع: "اسمعوني، الإسرائيلية والكتايب فاتوا وعم يقتلوا الزلم [الرجال]."

وصار هرج ومرج، وقفزت أم فادي ابنة أم علي الكبرى المتزوجة بابن عمها، والتي كانت هربت إلى الملجأ مع زوجها وصغارها وأمها، قفزت توبخ أختها الأصغر منها أمام الجميع قائلة: "اسكتي ولّي بَلا إشاعات. إسرائيل ما بتعملش هيك، ولا الكتايب بيعملوا. تعمليش إشاعات وتفزعي العالم. اسمعوا يا ناس، ما حدا يخاف منكم."

حارت أم علي بين ابنتيها.

كانت واثقة بذكاء ابنتها الصغرى وشجاعتها، كما كانت متأكدة من خوف ابنتها الكبرى "أم الصغار" التي صاحت تنفي "الشائعات". فهذه لا يمكن أن تغادر الملجأ، وهذه هي عادتها في كل جولات القصف والرعب. ونظرت أم علي حولها فقدرت نحو مئة وخمسين طفلاً مع أمهاتهم، وقالت في أعماقها بإيمان: فليفعل الله ما يشاء، وما يجري على هؤلاء الصغار يجري على أحفادي. وخرجت أم علي من الملجأ رافعة رأسها.

قالت أم علي إن إسرائيل كانت تطلق قنابل مضيئة، فمشت وكأن الدنيا نهار لا ليل، وراحت تتساءل في سرها: ماذا سيجري؟

لحقت بها ابنتها أم فادي، "أم الصغار"، على الطريق وراحت تشد بثوبها وترجوها أن ترجع معها إلى الملجأ لتبقى معها ومع أولادها. لكن الأم كانت حازمة. يجب العودة

إلى البيت. البيت ملآن بسكانه وبالضيوف.

وراح صاحب البيت، أبو علي، يقول عن خبرة بالحياة: "ناموا يا جماعة واستهدوا بالله. إسرائيل ما بتعمل شي. ولمّا تفوت الناس بتسلّمٍ وكل واحد بضل قاعد ببيته."

لكن أبو علي لم يبق في بيته في اليوم التالي، كما توهم. كانت تلك هي ليلته الأخيرة في بيته.

جاءهم في الصباح صهر لهم يقع بيته جنب ملجأ أبو ياسر تماماً، وأخبرهم بما سمعه من صراخ النساء والصغار في الليلة السابقة؛ كن يصرخن: "دخيلكم سلْمونا للصليب الأحمر"، وهو سمع صوت أم فادي تصرخ: "يا أبو فادي الحقنا. يا جماعة سلْمونا للصليب الأحمر. دخيلكم نحنا لبنانية. ما تقوصوا علينا."(٣٠)

وكان الصهر يعرف صوت أم فادي جيداً.

وكان على أم علي أن تشكر ربها لأن هناك من أخبرها شيئاً عن الدقائق الأخيرة من حياة ابنتها على الأقل، بينما الكثيرون من ضحايا ملجأ أبو ياسر لم يعرف عنهم ماذا قالوا، ولا كيف قتلوا، ومنهم من وجدت جثثهم، ومنهم من لم توجد.

ساعة وصل القتلة إلى باب الملجأ الصغير صرخوا بمن فيه أن يخرجوا حالاً، ولم يستمعوا إلى استغاثة أم فادي "دخيلكم نحنا لبنانية. ما تقوصوا علينا"، ولا إلى استغاثة غيرها.

يا الله، كم كان مصير هؤلاء الخارجين من ملجأ أبو ياسر مختلفاً، فالموت في المجازر ليس واحداً، وليس صحيحاً أبداً أنه "تعددت الأسباب والموت واحد."

ثلاثة مصائر جماعية خطّط لها القتلة على عجل لرواد ملجأ أبو ياسر.

أول المصائر كان من قضى برصاص المهاجمين النزقين حالاً، ومن أمروه أو اقتادوه حياً أو ميتاً إلى كاراج أبو جمال القريب في شارع شاتيلا الرئيسي.

ثاني المصائر كان مخصصاً للرجال الذين أمروهم بالوقوف إلى جانب الجدار المقابل للملجأ، في انتظار ما سيحدث لهم.

ثالث المصائر كان مخصصاً للنساء والأولاد الذين أمروهم بالسير نحو الطريق العام، ومن هناك جنوباً في اتجاه شارع السفارة، لأنهم، كما قالوا لهم، يريدون أن يأخذوهم إلى مستشفى عكا.

إلى مستشفى عكا! لماذا؟ النساء والأولاد والصغار صدقوا ذلك. ما كان في وسعهم الاّ أن يصدقوا.

---

(٣٠) POH. S/SH. No.18 (238/T.19). D. H. M. (Um ‘Ali). Interview with author. Beirut: Author’s house, February 22, 1983.

لكنهم ــ أي القتلة ــ لم يأخذوهم قط إلى مستشفى عكا.

منهم من قتلوهم أمام كاراج أبو جمال، أو أخذوهم إلى هناك بعد أن قتلوهم. لا أحد يعلم تماماً. ومنهم من أوقفوهم حيث تقع المقبرة الجماعية اليوم، في بقعة خالية من البناء. ومــنهم من أخذوهم إلى محطة وقود مجاورة، غير أنهم أطلقوا عليهم جميعاً الرصاص، على النساء والأولاد، وهذا بينما كانت المهمة المعلنة هي البحث عن الفلسطينيين المقاتلين والمسلحين والمتخلفين عن السفر إلى المنافي الجديدة!!

وبقيت الجثث في العراء..

أمّا مصير الرجال عند ذاك الجدار، فكان الموت بالرصاص، بعد أن ابتعدت النساء والأولاد قليلاً.

لــيس صحيحاً أن المجازر لا تخلو من الرحمة. فالنساء حقاً لم يشاهدن منظر قتل الــرجال، لكنهــن سمعن أصوات الرصاص، وكان رصاصاً غزيراً جداً؛ ذلك بأن الذين سقطوا عند ذلك الجدار لم يكونوا رواد ملجأ أبو ياسر وحدهم، وإنما كان معهم الكثيرون مــن سكان حرش ثابت الذين أمرهم القتلة بالمجيء من بيوتهم، وبالوقوف إلى جانب ذلك الجدار.

هناك وقف الجميع. هناك أمطروهم بالرصاص.

ليس صحيحاً أبداً أن المجازر لا تخلو من الرحمة، فما أرحم الموت بالرصاص من الموت بغيره.

شــاءت القــدرة الإلهية أن ينجو عدد من هؤلاء وهؤلاء، من الرجال والشباب عند الجــدار في قلب الحرش، ومن النساء والأولاد على أرض المقبرة الجماعية؛ عدد قد لا يــتجاوز أصــابع الــيد، وسنعود إلى حكاياته فيما بعد، هو الذي أنبأنا بما جرى في ملجأ أبو ياسر وفي الحرش. لكن هناك عائلات بأسرها لم يبق منها أحد، كي يخبر بما جرى.

كانت العائلة التي سقط منها الضحايا الأكثر هي عائلة المحمد، إحدى العائلات التي التجأت إلى ملجأ أبو ياسر.

عائلــة المحمد من قرية سحماتا في قضاء عكا من شمال فلسطين. وقد سكنت هذه العائلة في شاتيلا الكبرى، ليس بعيداً عن ملجأ أبو ياسر. وكما اشتهرت عائلة المقداد بأن ضحاياها كانوا الأكثر عدداً من ضحايا سائر العائلات، اشتهرت عائلة المحمد بأنها كانت أكثر الضحايا عدداً فى الأسرة الواحدة.

فالأفراد من أسرة خالد يوسف المحمد الذين كانوا داخل المنزل، وهم الأبوان وتسعة من الأبناء والبنات، قتلوا كلهم، كلهم.

لــم يــنج من الأسرة غير الابنة المتزوجة مها، والابن الأكبر زهير، ذلك بأن كلاً

منهما كان خارج البيت.

أمّا من كان فى البيت والتجأ إلى ملجأ أبو ياسر، بدءاً بالأب خالد والأم فاطمة، وانتهاء بالطفل سامر ابن العامين، فكلهم قتلوا؛ إحدى عشرة ضحية من أسرة واحدة.[٣١]

ويبقى سؤال: لماذا قتلوا بينما المهمة المعلنة للداخلين هي البحث عن الفلسطينيين المقاتلين والمسلحين والمتخلفين عن السفر إلى المنافى الجديدة!!

ويبقى سؤال: لماذا قتل الرجل الكهل صاحب الملجأ، أبو ياسر نفسه، وهو لم يرتكب جريمة كونه فلسطينياً، أو جريمة كونه لبنانياً سكن بالقرب من الفلسطيني؟ لماذا؟

الرواية التاسعة

أم وأطفالها

كم كان ملجأ أبو ياسر صغيراً، وكم كان عدد ضحاياه كبيراً.

لكل من الذين كانوا فى هذا الملجأ حكاية.

عائلة أحمد محمد حمود التجأت إلى هذا الملجأ كسواها من الجيران.

لكن.. قبل أن تنزل العائلة إلى الملجأ دار نقاش بين الأم والأب؛ فالأم راحت تقنع زوجها، أبا الأولاد، بأن يهرب إلى مستشفى غزة بسرعة، ذلك بأن الإسرائيليين يقتلون الرجال كما سمعت، أمّا هي والصغار، فلا خوف عليهم في الملجأ. واقتنع زوجها أخيراً بكلامها، وتمكن من الهرب إلى مستشفى غزة، ووصلت هى والصغار الثلاثة بأمان إلى ملجأ أبو ياسر.

كانت السماء تعج بالقنابل المضيئة.

وكانت هذه العائلة اخر من وصل إلى الملجأ، حتى لم تكد تجد لنفسها مساحة صغيرة تركن إليها.

كانت الساعة ما بين السادسة والدقيقة الثلاثين والسابعة ليلاً. هكذا قال الراوي.

دخل الملجأ سبعة مسلحين. لم يتوقفوا لحظة إزاء استغاثات الرحمة ولا الصراخ ولا بكاء الصغار. قاموا فور دخولهم بإطلاق الرصاص في كل الجهات حتى سقط الكثيرون على الأرض قتلى.

ثم كان ما كان من فرز الرجال إلى "جدار الموت" وجر النساء إلى شارع شاتيلا الرئيسى.

وكانت نهاية عائلة أحمد حمود في كاراج أبو جمال الذي يقع في شارع شاتيلا

---

(٣١) POH. S/SH. No. 26 (241/T.28), as above.

الرئيسي. هناك كم تفننوا في قتل النساء والأطفال بطرق متعددة.

أمّا السؤال كيف؟ فلا بد للإجابة عنه من الانتظار حتى مرحلة البحث عن الضحايا؛ ففـــي تلـــك المرحلة وجد من وجد، وضاع من ضاع، وراح أمثال أحمد حمود يبحث عن أشلاء زوجته وصغاره، كما راحت أم علي تبحث عن أشلاء ابنتها وأحفادها.

ويروي شاهد من شاتيلا ما رآه أمام الكاراج يوم السبت:

> كانـــت الجثـــت قـــدّام الكاراج حد بعضها البعض وكل واحدة مقتولة شكل. شي مش معقـــول. بحياتـــي كلها ما شفت هيك. في نسوان كانوا مدبوحين بالسكين. في نسوان مخنوقين. في نسوان محروقين. في نسوان مضروبين رصاص.(٣٢)

الرواية العاشرة

شاهدة على اقتحامهم أحد الملاجىء

هذه الفتاة وحدها نجت من كل أسرتها.

شـــاهدت ما جرى، وكانت من أول من تحدث مباشرة بعد المجزرة، يوم كان رجال الدفـــاع المدنـــي لا يـــزالون يعملون على رفع الأنقاض. تحدثت الفتاة مع مراسل وكالة "اليونايتد برس"، جاك ريدن، لكنه لم يذكر اسمها حفاظاً على سلامتها، كما ورد في مقدمة المقابلـــة، فـــي خـــيمة أقيمت على أرض المجزرة، وبحضور مسؤول في الدفاع المدني اللبناني.

أمّا الملجأ الذي تتحدث عنه، والذي لم يذكر اسمه، فهو أحد الملاجئ في حي عرسال.

قالت الفتاة:

> كـــنا أســـرة مكونة من خمسة أفراد وقد قتلوا جميعهم. لن أنسى ذلك الوقت من بعـــد ظهر الخميس حيث كنت مع صديقتي داخل مخبأ وبسبب صعوبة التنفس بداخله قـــررنا الخروج، وما إن وقع بصرنا على المنطقة حتى وجدنا أطراف المخيم تتحول إلى جحيم حيث كان البعض يقفز من فوق أسطح المنازل. وعدت مسرعة مع صديقتي إلى المخبأ وأخبرت الجيران وأسرتي أننا رأينا جنوداً من الكتائب.
>
> وقام كل من كان في الملجأ بالخروج منه، واتجهوا صوب الجنود وهم يحملون الـــرايات البيضـــاء، لكن الجنود لم يأبهوا لهم وأطلقوا النار على الرجال والنساء بينما ارتفـــع صراخ الأطفال، وعندما شاهدت ذلك هربت واختبأت في حمام البيت فقد كان

---

(٣٢) POH. S/SH. No. 44 (231/T.44), as above.

كل الأطفال والنساء قتلوا برصاص الجنود.

ورأيت هؤلاء الجنود يذهبون بعد ذلك إلى الداخل ويطلقون النار بدون تمييز ثم اقتادوا النساء والأطفال بالقرب من بيتنا بعد أن قتلوا أزواجهن وأبناءهن وحاولت أن أرفع رأسي لأرى أين ذهبوا لكن جندياً رآني من الشباك وأنا أنظر إلى الخارج، وأطلق النار عليّ وطلب من سيدة أن تدخل وتحضرنى، وعندما دخلت السيدة طلبت مني الخروج وعدم الخوف، وأطعتها بعد أن مكثت في حمام البيت أكثر من خمس ساعات كدت خلالها أختنق من الروائح الكريهة المنبعثة منه.

واقترب بعض الجنود منى وسلطوا الضوء عليّ للتأكد من شخصيتى وطلب أحدهم مني الجلوس وسألني: "هل أنت فلسطينية؟" وأجبته: "نعم". وكان ابن عمي وهو طفل لم يتجاوز شهره التاسع يصرخ بجانبي. وصرخ الجندي في وجهي: "لماذا يبكي؟" ولم ينتظر رداً مني، وصوب سلاحه تجاه الطفل وأطلق عليه النار وأصابه فى كتفه... وبدأت أبكى وأخبرته أن هذا الطفل هو الوحيد الذي بقي من عائلتي، ووجدت الجندي يمسك الطفل من قدميه ومزقه نصفين.(٣٣)

أمّا الكاتب أمنون كابليوك فيضيف إلى رواية هذه الفتاة نفسها كيف أنه لمّا وصل عمها فيصل، وكان ضعيف العقل قليلاً، أرادوا أن يقتلوه، فاسترحمتهم وتضرعت إليهم أن يتركوه. وفعلاً، تركوه حياً تلك الليلة، لكن لماذا؟ هل استجابة لتضرعاتها، أم لسبب آخر؟(٣٤)

وفي اليوم التالي، هل سيترك القتلة عمها حياً، أم سيقتلونه؟ وماذا عنها؟ وماذا عن مصير رواد الملاجئ المجاورة؟

الرواية الحادية عشرة
قتلوه قبل أن يولد

أمل، فتاة فلسطينية من سكان شاتيلا حرمتها الحياة نعمة النطق، لكنها لم تحرمها نعمة حب الحياة، ولا نعمة الطموح الدائم.

تزوجت أمل في مطلع سنة ١٩٨٢ شاباً فلسطينياً عرف قدرها، وعاش أحاسيسها. وفرحت صديقاتها بزواجها، وكانت بينهن صديقة أجنبية تعمل في الحقل الاجتماعي.

اللقاء الأول بينهما، بين "ماري" وأمل، تم خلال الاجتياح. كانت أمل يومذاك تعيش

---

(٣٣) نشرة "وفا" (بيروت)، ١٩٨٢/١٠/١٧، نقلاً عن وكالة "اليونايتد برس" بقلم جاك ريدن.
(٣٤) Kapeliouk, op. cit., pp. 50-51.

حياة التهجير في أحد ملاجئ منطقة الحمراء بعيداً عن شاتيلا، وكانت العاملة الاجتماعية، "ماري"، تقوم بزيارات متواصلة لأماكن المهجرين. التقت أمل، وتمكنت من التخاطب معها بلغة الأيدي والمشاعر، وكانت أمل بارعة فى الطباعة، كما كانت تعرف جيداً اللغة الإنكليزية، لغة صديقتها الجديدة.

كانت أمل حاملاً يوم التقتا. وقد فهمت منها "ماري" أنها ترغب جداً في أن يكون الجنين أنثى؛ فأغلى أمنية لديها أن تصبح أماً لطفلة تدللها كما كانت تفعل معها أمها وهى طفلة.

وعدتها "ماري" بزيارتها في شاتيلا كلما جاءت لبنان بحكم عملها.

وكانت أول زيارة لـ "ماري" في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي. وصادف مجيئها قبيل الذكرى الأربعين لشهداء صبرا وشاتيلا، فلم يكن لديها وقت للسؤال عن أمل قبل ذلك اليوم، وقد اتخذت قرارها بأن تبحث عنها بعد الذكرى، إذ رغبت "ماري" في حضور تلك المناسبة الأليمة، وهى التى باتت تعرف العادات والتقاليد العربية.

هناك، أمام المقبرة الجماعية، التقت الصديقة الأجنبية "ماري" والدة أمل، وكانت تعرفها من قبل جيداً. تحدثت أم أمل، واستمعت إليها الصديقة التي جاءت للقاء أمل فلم تجد إلاّ حكاية.

كتبت العاملة والباحثة الأجنبية التي رفضت أن يذكر اسمها حكاية أمل (أمّا اسم "ماري" فهو اسم مستعار اتفقنا عليه كلتانا). ثم كتبت غيرها وغيرها. كانت تستمع إلى الحكايات باللغة العربية التي كانت تعرفها، ثم تكتب الحكايات بلغتها الإنكليزية. وتحمل حكاية أمل الرقم السابع من مجموع ثلاث عشرة شهادة قامت "ماري" بجمعها وكتابتها، وقد سلمتني نسخة مصورة عنها، بخط يدها.

> أنا شفت إم أمل لابسة أسود، كله أسود. وكان وجها لونه أصفر. ولمّا سألتها شو صار، خبرتني حكاية أمل وهيّ دموعها على وجها كل الوقت. كتير ناس حكيوا معي كانت دمعتهم نشفت. لكن إمها لأمل ما كانت دمعتها ممكن تنشف. وقالتلي إمها:
>
> "كانت أمل وجوزها متخبيين من القصف في الملجأ لمّا دخلوا القوات عليهم. راحوا قتلوا جوزها قدّامها بالبلطة، وهمّي شايفينها حامل، لأنّو كانت أمل رح تصير بشهرها الأخير، لكن ما كان في قلوبهم أي رحمة. راحوا قطعوا إيد جوزها ورموها قدّامها. وبعدين إجا دور أمل. راحوا جايبين سكينة كبيرة فوّتوها ببطنها وطلّعوا منّو الجنين وهمّي عم يضحكوا. ما عاد فيها أمل تتحمّل. وقعت على الأرض على آخر

نفس. راحوا رموا الجنين جنبها بعد ما تأكدوا إنّو مات. ويمكن مات من غرزة السكين الأولـــى. ومـــا اهـــتموا يقـــيموا جـــثة أمـــل زي مـــا قاموا جثث كثيرة ودفنوها مع البولدوزرات. كان كثير مهم عندهم يتركوا آثار حتى تشوف الناس أعمالهم."(٣٥)

روى كثيرون من أهل شاتيلا حكاية أمل..

ولم تكن مأساة أمل هي الوحيدة من نوعها..

كان من المألوف في هذه المجزرة قتل الصغار والأجنة..

الرواية الثانية عشرة

شهادة فتى في الثانية عشرة

منير فتى فلسطيني تمكن من النجاة من ملجأ أبو ياسر.

حاولوا أن يقتلوه ثلاث مرات. لكنه نجا من الموت؛ وتلك إرادة الله.

يـــوم حطت قوى الطغيان على ذلك الملجأ الصغير، كان منير في الثانية عشرة من عمره، وكان تلميذا في مدرسة الجليل.

مـــن عادة الفلسطينيين أن يطلقوا أسماء مدنهم وقراهم ومناطقهم التي احتلت، وحتى تلـــك التـــي لـــم تحـــتل، على المدارس والمستشفيات والمؤسسات، كي لا تنساها أجيال المســـتقبل. في بيروت مستشفيات حيفا وعكا وغزة والناصرة، وفي مخيم شاتيلا مدرستا أريحا والجليل، وفي صبرا مدارس يافا والبقعا ويعبد ورام الله والعفولة وحيفا والحمة.(٣٦) وهذا هو منير، الذي يدرس في مدرسة الجليل في شاتيلا، قد تمكن من إقناعنا بأنه يعرف جيداً عن الجليل في شمال فلسطين، على الرغم من أنه لم يتكلم كثيراً طوال المقابلة. لكنه تكلم قليلاً عن الجليل.

الجـــار، الذي رافق منير إلى المقابلة، كان يتكلم معظم الوقت. وكان عليّ أن أتأكد مما يقوله الجار من عيني منير. حتى هزة رأسه بالموافقة كانت لا تحدث إلاّ بطلب مني.

هل تزعجه أسئلتي إلى هذا الحد؟

تذكـــرت أنـــنا نتحدث معاً بعد ثمانية أشهر من المأساة. يا لظلمي لهذا الفتى الجميل الصامت المتألم. لو فكرت لحظة بعدد المقابلات الصحافية التي تكلم فيها منير، أو التي لم

---

(٣٥) Mary, “Testimonies on Sabra and Shatila” (Beirut, 1983), Testimony no. 7.

(٣٦) الأونروا، "لائحة المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية في لبنان" (١٩٨٥). المدارس المذكورة أعلاه ابتدائية باستثناء مدرستي الجليل والحمة فهما إعداديتان.

يتكلم فيها، كهذه، لما طلبت الحديث معه. لكنني ما فكرت في ذلك.

قال الجار الراوي، الذي يعمل في مأوى العجزة:

كان منير في البيت، في شاتيلا، قريب من حرش تابت، مع أمه وإخوته وأخواته، فلمّا اشتد القصف يوم الخميس الضهر انقسمت عيلة منير زي كل العائلات الفلسطينية، الرجال راحوا على أقرب مستشفى للحماية، والنسوان والصغار راحوا على أقرب ملجأ. وهيك صار. أجا عنا على مأوى العجزة أخوه الكبير لمنير وخاله وصهره، وأمّا باقي العيلة فهربت على ملجأ أبو ياسر. وكان الملجأ مليان نسوان وصغار. وكان منير مع أمه.. شو؟ بكمّل أنا؟ ما بدّك تحكي يا منير؟

أنا رح كمّل. وأنا بعرف الحادثة كأني كنت معهم. الساعة سبعة كان الليل صار نهار مع القذايف المنوّرة، صرخوا المسلحين على باب الملجأ إنّو كل الناس تطلع لبرّا. قاموا وقّفوا الرجال على الحيط، وقالوا للنسوان والصغار: "إمشوا من هون". المسلحين اللّي فضّلوا مع الرجال ضربوهم وبعدين قتلوهم. وتلفّت منير وشافهم عم يسقطوا على الأرض. مش هيك صار يا منير؟

وصلت النسوان والاولاد على محطة بنزين قريبة. ونطّروهم شي ساعة. في ناس بتقول راحوا يتعشوا. وفي ناس بتقول راحوا يقتلوا جماعات تانية. لكن هلّق رجعوا يرشوهم كلهم رش. ما خلّوا مَرَه ولا ولد. ولمّا سقطوا كلهم على الأرض، صاح فيهم واحد: "اللّي انجرحت فيكم مستعدين ناخدها على المستشفى. قوموا تنشوف." وما في واحدة جرّبت تقوم إلاّ قاموا رشوها رش. ولمّا ما عاد فيها أي وحدة تتحرك، راحوا يسلطوا عليهم ضو اللوكس القوي، آه، كان في تنوير قوي. لكن كانوا حابين يتأكدوا أكتر. ويمكن في محلات فيها خيال ما فيها ضو كافي.

لكن.. أنا فتكم بالحكي، أمّه لمنير جرّبت تقوم لمّا سمعتهم بقولوا إنهم رح ياخدوهم على المستشفى، لكن منير الله يرضى عليه قلّها: "ما تقومي يمّا لأنهم كذابين."

تاركني أحكي لحالي يا منير؟[٣٧]

كان على الفتى منير أن يتظاهر بالموت كي يعيش.

طوال الليل بقي إلى جانب أمه وأخواته وهو لا يعلم يقيناً أنهن رحلن عنه إلى الأبد. كما لا يعلم إن كان سيتمكن من الهروب في اليوم التالي.

---

(٣٧) POH. S/SH. No. 61 (243/T.58). Munir Muhammad. Interview with author. Beirut: Friend's house, May 4, 1983.

يوم ذهبت إلى مقابلة منير كنت أفكر في هذه المقابلة أكثر من أية مقابلة أُخرى. تلك هي أول مرة أتحدث فيها مع فتى في عمره عاش المجزرة. فكرت في هدية أقدمها لـــه، لكن.. أية هديـــة؟ كتاب؟ ألوان ودفاتر رسم؟ لعبة؟ لا أدري لماذا عندما خطر ببالي "ترانزستور" صغير لم أتردد قط. كانت بيروت كلها ما زالت في عهد "الترانزستور" بسبب انقطاع التيار الكهربائي معظم الوقت. لمّا أعطيته "الترانزستور" في آخر المقابلة كان عليّ أن أقول له ماذا يوجد داخل العلــبة المغطـــاة بــورق الهدايا الملون، لكن لم يبد عليه أي ردة فعل. هل أحب الهدية، أم أنه استمر على صمته بحكم العادة؟ لا أدري.

قبل أن أودعهما عند باب المصعد، برفقة صديقتي وصاحبة المنزل التي استضافتنا لإجــراء المقابلة، تذكرت السؤال الأهم الذي أردت أن أطرحه على منير، ولم أكن أتوقع منه رداً، لكنني مع ذلك سألته:

> بكــرا رح تكبر يا منير وبتصير تقدر تحمل سلاح. إنت بتفكر بأي انتقام؟ بتفكر تقتل زي ما قتلوك؟ واللاّ بتسامحهم؟ شو بتفتكر يمكن تعمل؟

وكانت المرة الوحيدة التي ارتفع فيها صوت منير واضحاً جريئاً وينم عن شخصية قوية

> لأ. لأ. أنا ما ممكن أنتقم بقتل الأطفال زي ما قتلونا. شو ذنبهم الأطفال؟[٣٨]

مر أكثر من سبعة عشر عاماً.

جــاء منير إلى بيروت من واشنطن شاباً قوي العضلات، خلوقاً كما كان وهو فتى، لكنه يتكلم أكثر قليلاً. وكنت رأيته أكثر من مرة في الولايات المتحدة خلال تلك الأعوام.

طلبــت مــنه فــي أثناء زيارته تلك، في نهاية صيف ٢٠٠٠، أن يذهب معي إلى شـــاتيلا، فنمشي معاً على الطريق نفسه، لعل هناك شيئاً جديداً يحب أن يقوله. واستجاب للفكرة بحدود. وذهبنا معاً برفقة صديق ثالث يعرف المكان جيداً.

وقف منير واجماً أمام باب ملجأ أبو ياسر. لم يتكلم. كانت أمارات الألم على وجهه. وبعــد لحظات طويلة، قال: "أنا مش عارف. يمكن يكون هادا هو الباب. معقول؟ معقول يكون صغير لهادا الحد؟"

تلفتُّ إلى الصديق مستجيرة، لكنه لم يكن يعرف أيضاً، كان أعلم بالطرقات العامة، لكن ليس بأماكن الملاجئ، فالاعتماد فى مثل هذا كان على منير.

كـــان لا بـــد من العودة مرة ثانية بعد أيام، برفقة رابع هو زوج شقيقة منير الذي يعرف

---

(٣٨) Ibid.

المكان جيدا.

دخلنا شارع شاتيلا الرئيسي من شارع السفارة مشياً على الأقدام، دخلنا أحد الزواريب يميناً، وبعد قليل مشينا بلا تفكير وراء زوج شقيقته وهو يقف أمام باب صغير على الجهة اليسرى، قائلاً: "نسيت يا منير؟"

كان هو الباب نفسه الذي وقف أمامه منير منذ أيام، ثم تردد، ولعله ما استطاع أن يتصور كيف خرج من هذا الباب الصغير العشرات إلى ساحات الموت.

لم يتكلم منير.

لكن الذي تكلم كان قريبه وهو يشير بإصبعه إلى الحائط المقابل: "على هادا الحيط قتلوهم. كان بعده الدم كله على الحيطان لمّا رجعنا..."

وعدنا نحن أدراجنا نمشي في شارع شاتيلا الرئيسي نحو مستشفى عكا.

لم يكن لديّ أي سؤال.

عندما وصلنا بالقرب من ساحة المقبرة الجماعية، مقبرة شهداء صبرا وشاتيلا، لم يتوقف منير، لكنه قال بصوت منخفض متقطع وهو مستمر في مشيه، وكأنه يخاطب نفسه أكثر مما يخاطبنا: "بعد ما رمونا بالرصاص، كنا كلنا على الأرض، وكانوا هنّي يروحو ويجوا، وكانوا يقولوا: 'إذا في أي حدا منكم بعده عايش نحنا عنا شفقة ورحمة ومناخدو على المستشفى، قولولنا، ما تخبوا'."

ثم يصمت منير. ولا يسأله أحد منا عما جرى بعد ذلك، لأننا كلنا كنا نعرف.

نحن كنا الأربعة، منير وقريبه والصديق من أبناء المنطقة وأنا، كنا ونحن نمشي في شارع المجزرة الرئيسي في نهاية القرن العشرين، نمشي بين صفين من باعة الخضروات الذين لم يكن لهم وجود في تلك الأيام، فكان لا بد لنا من تحمل زعيق سيارة من هنا، وأصوات مناداة الباعة على الزبائن من هناك، وصوت موسيقى مرتفعة لأغنية جديدة رائجة من تلك العربة. نحن جميعاً كنا نسمع ما يجري حولنا لكن لا نعي ما نسمع. كنا ننتظر ماذا يريد منير أن يقول، وهو قد عاد يتكلم من تلقاء نفسه، وهو يمشي، وكلنا نمشي:

> وبس كانت واحدة تئن، أو تصدقهم وتقول أنا بدّي إسعاف، كانوا يسعفوها بطلقات نار ويخلّصوا عليها.
>
> أنا.. أنا أكتر شي ضايقني مش بس الموت من حولي. أنا.. كنت مش عارف إذا إمي ماتت أكيد، وإذا إخواتي ماتوا أكيد، كنت عارف إنّو معظم الناس من حواليّ ماتوا. وصحيح، أنا نفسي كنت خايف أموت. لكن.. أنا ضايقني كتير إنهم كانوا يضحكوا ويسكروا ويتسلّوا كل الليل. رموا علينا بطانيات وتركونا للصبح. وكل الليل كنت أسمع أصوات بنات يبكوا ويصرخوا: "منشان الله اتركونا بحالنا." يعني.. ما فيني إتذكر قديش

اغتصبوا بنات. أنا أصوات البنات من الخوف والوجع، ما بعمري فيني أنساها.(٣٩)

الطبيب البريطاني بول موريس عالج منير ساعة قدومه إلى المستشفى في اليوم التالي، يوم الجمعة، وراقبه في الأشهر التالية، قال لي وهو يحدثني في منزل سيدة أميركية في حرم الجامعة الأميركية في بيروت، ربيع سنة ١٩٨٣: "إنه كان يبتسم قليلاً أحياناً، ويلعب 'الفوتبول' أحياناً، لكنه لا يستجيب بعفوية كما يستجيب من هم في عمره، إلاّ أحياناً أيضاً." ثم ضرب الطبيب بيده على الطاولة: "يجب أن ينقذ الفتى. يجب أن يخرج من المنطقة ولو إلى حين، كي يسترد نفسه."(٤٠)

الرواية الثالثة عشرة

شهادة فتى لم تصلنا شهادته

مفيد، فتى فلسطيني كان بين الهاربين إلى ملجأ أبو ياسر.

ومفيد أكبر بعامين من أخيه منير.

كان يعتبر نفسه أنه أصبح رجلاً، وهو في الرابعة عشرة.

حاولوا أن يقتلوه مرتين. فهل نجا مفيد، أم مات؟ وإن كان مات، فكيف مات حقاً؟

المرة الأولى التي حاولوا فيها قتله، كانت في ذلك اليوم الخميس بينما الجموع التي أخرجوها وجرّوها من ملجأ أبو ياسر تسير في شارع شاتيلا الرئيسي، متجهة جنوباً نحو مستشفى عكا كما قيل لها، ونحو ساحة المقبرة الجماعية كما أمر أصحاب البنادق.

كان مفيد بين أمه وأخواته وأخويه: عايدة، معين، فاديا، إيمان، منير. كان بين عشرات من الناس الذين يعرفهم، لكنه لم يكن يعرف هؤلاء الذين صوبوا نحوهم البنادق، ولا يعرف لماذا أصلاً هم يريدون قتلهم.

لم يصدقهم مفيد قط في ادعائهم أنهم يريدون أن يوصلوهم إلى مستشفى عكا، وهو قد سمع بأذنيه طلقات الرصاص تقتل جيرانه وأحباءه.

نحن لم تصلنا شهادة مفيد، وقد لا تصلنا أبداً عبر الوسائل المعتادة. لكننا لسنا بحاجة إليها كي نتأكد من ذكائه، ومن معرفته بالمصير المنتظر لمثل هذه المسيرة من النساء والأولاد والأطفال تحت حراسة البنادق.

نظر الفتى، ابن الرابعة عشرة، إلى أمه نظرة وداع، وبأسرع من لمح البصر ركض

---

(٣٩) Munir Muhammad (From a visit to Shatila, September 2000).

(٤٠) POH. S/SH. No. 64 (243/T.62). Paul Maurice. Interview with author. Beirut: Friend's house, May 17, 1983.

بين الجموع المنقادة محاولاً الهرب بأقصى ما يستطيع من سرعة.

رآه القــتلة. صرخوا فيه أن يقف حالاً. أطلقوا عليه النار. أصابوه. لكنه تمكن من الاستمرار في الهرب على الرغم من إصابته في أعلى الفخذ إصابة بليغة.(٤١)

يــوم قابلت شقيقه الأصغر منير، وهو في الثانية عشرة من عمره (راجع الرواية الثانية عشرة أعلاه)، لم يتفوه بكلمة واحدة عن مفيد، وكانت الصحافة اللبنانية كتبت الكثير عنه.

لكنــنا بيــنما كنا نمشي في شارع شاتيلا الرئيسي متجهين نحو مستشفى عكا، بعد سبعة عشر عاماً، أشار منير فجأة بيده نحو الأمام قائلاً:

> مــن هادا الطريق كان آخر مرة شفت فيها أخوي مفيد. ركض لوحده، كان أكبر مني ويمكن عارف شو ناطرنا، وراحوا قوّصوا عليه، وما عرفنا يومها شو صار فيه.(٤٢)

كان هذا هو المشهد الأول في حكاية مفيد وهو يختفي بين الجموع والأزقة.

أمّــا المشــهد الثاني فيظهر فيه مفيد مختبئاً مساء اليوم نفسه تحت أشجار الصنوبر القريبة من مستشفى عكا؛ وهذا يثبت أنه تمكن من أن يعبر شارع السفارة، ومن أن يصل إلــى الجانــب الآخــر علــى الــرغم من جرحه، لكنه لم يتمكن من الوصول بنفسه إلى المستشفى، فارتمى إعياء غير بعيد عن المستشفى تحت إحدى شجرات الصنوبر.

يصــف المشــهد الثانــي كولين سميث، مراسل جريدة "ذي أوبزيرفر"، كما سمعه من ممرضات في المستشفى، فيقول إنه كان هناك جرحى التجأوا إلى البقعة نفسها حيث كان مفيد، لكن بعضهم أُجهز عليه هناك، بينما تمكن البعض الآخر من الوصول إلى المستشفى بواسطة ممرضات ونساء ساعدنهم على الوصول. وكان مفيد واحداً من هؤلاء.

قبــيل غروب شمس الخميس كان مستشفى عكا يغص بالملتجئين إليه من القصف، وكــان عــدد الملتجئيــن يتزايد مع مرور الوقت. فلمّا دخل مفيد على الحمالة لم يكن في الطــبقة الأرضية موطئ قدم، ووجد الذين يحملونه صعوبة في إيجاد طريق للحمالة بين المحتشــدين كي يصلوا بها إلى أقرب غرفة للعمليات.(٤٣) وهناك أجريت له الإسعافات الأولــية. والطبيب الذي حدثني عن حكاية مفيد، كما سمعها من أحد زملائه، لم يعد يتذكر إن

---

(٤١) POH. S/SH. No. 13 (238/T.9). Salim Hout. Interview with author. Beirut: Narrator's office, February 11, 1983.

(٤٢) Munir Muhammad, op.cit.

(٤٣) Colin Smith (in Beirut), Ian Mather & Eric Silver (in Jerusalem), "Lebanon Massacre / The Evidence: How the Cover-Up was blown," *The Observer*, September 26, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile…*, op. cit., p. 81.

أجريت له عملية أم اكتُفي بالإسعافات تلك الليلة.(٤٤)

فى تلك الليلة الأولى كان حظ الفتى مفيد أفضل من حظ أخيه منير؛ فهو لقى عناية في مستشفى عكا، ونام بحماية الصليب الأحمر الدولى. وهكذا كان كل الذين يلتجئون إلى المستشفيات يعتقدون. كانوا يعتقدون أنهم في حماية الصليب الأحمر الدولي. أمّا منير فنام تلك الليلة الأولى بين الأموات فى العراء، وهو لا يجرؤ حتى على التنفس كى لا يسارعوا إلى الإجهاز عليه.

لكن ماذا عن اليوم التالي؟

أيهما سيكون الأكثر حظاً؟

وكيف يكون الحظ أكثر، أو أقل قليلاً، في أتون مجزرة؟

وكيف ستصلنا شهادة مفيد؟

خامسا: شهادات عن جدار الموت

جـدار الموت القريب من ملجأ أبو ياسر لم يكن جدار الموت الأوحد في مجزرة صبرا وشاتيلا، لكنه ربما كان الأول في سلسلة عمليات متشابهة، إمتدت طوال الأيام الثلاثة.

لـو قـدّر لكل من أمروه بالوقوف هناك، ثم رشوه بالرصاص، أن يموت فعلاً، لما بقي هناك من يتحدث عن جدار الموت، لكن الجريمة المثالية يصعب تحقيقها حتى في المجازر.

ولو كانت الجرافات تمكنت من إخفاء معالم الجرائم كلها، لما وجد المصورون بعد انتهاء الأيام الثلاثة ما يثبت أقوال أصحاب الشهادات أدناه.

ولـو لـم يكـن الضمير الإنساني حياً لدى الكثيرين من سكان الأرض، لما وجدت جدران الموت كاتباً حي الضمير مثل ديفيد لامب الذي كتب عنها، وعما جرى تحديداً في الليلة الأولى، على صفحات جريدة " لوس أنجليس تايمز". قال:

> عـائلات بكاملها ذبحت. مجموعات من عشرة إلى عشرين شخصاً كانوا يوقفونهم إلى جانـب الحـيطان ويرشـونهم بالرصاص. الأمهات ماتت وهى متشبثة بأطفالها. كل الـرجال ظهر أن النار أطلقت عليهم من الخلف. خمسة شباب فى عمر القتال ربطوا إلى بيك آب، وجرّوا على الطرقات، قبل أن تطلق عليهم النار.(٤٥)

---

(٤٤) POH. S/SH. No. 13 (238/T.9), as above.

(٤٥) David Lamb, "Survivors raise Doubts on Israel Troops' Actions," *Los Angeles Times*, September 20, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile*…, op.cit., p. 18.

الرواية الرابعة عشرة

أربع عشرة رصاصة في جسمه

كان مصطفى هبرات رجلاً عاملاً ذكياً ومدركاً لخطورة الموقف منذ ابتدأت الإضاءة غير المعقولة، أي منذ تحول الليل إلى نهار.

عرف مصطفى أن القادمين ليسوا إسرائيليين، وإنما قتلة مجرمون في حماية الإسرائيليين.

وكان يعلم أن الليل الحقيقي ليس الظلام وإنما الظلم. ولأنه كان يعلم، حسب حساب الاعتقال والسجن، لكن.. لا أبعد من ذلك.

أعطى مصطفى زوجته آمال، الجزائرية الأصل، الهويات والأوراق الرسمية وما يملك من مال، وودعها وأوصاها بالأولاد، وقال لها كلمتين: "يمكن ياخدوني". أدركت زوجته أن الأمر جَلَل، ولكن إلى أي حد؟

لم يتركوا له وقتاً للحديث مع زوجته أكثر من تينك الكلمتين. كما أنهم لم يتركوا له وقتاً حتى للهرب، فبيت مصطفى يقع على حافة الحرش الملاصق لشاتيلا. وتلك المنطقة نالت من الرصاص والجثث ما لم تنله منطقة أُخرى.

وصلوا .. وكأنهم الجان الذي يهبط فجأة من كل مكان.

ويصف المشهد صديق حميم لمصطفى بعد أن كان سمعه منه:

> هلّق صار مصطفى بألمانيا الله يشفيه. خبَّرني كيف أجوا كمشوه، ووقّفوه، وصفّوا الرجال كلهم على الحيط، وبلحظات كان الرصاص يلعلع، ووقعت مَرْتُه واولاده التلاتة أمام باب المنزل جثث هامدة قبل ما كانوا المجرمين تلفّتوا للرجال. هوّ قال إنّو حالاً شعر إنهم راحوا. بساعتها عرف من صراخ بنته الصغيرة، عرف إنهم ماتوا.. فراح بدّو يهجم على المسلحين قدّامو بلا وعي. كانوا أسرع منّو. قوّصوه. وضلّوا يقوصوا. وهو ضل نايم بالأرض. وهنّي افتكروا إنّو مات.
>
> أكبر ولد كان عمره تمان سنين. وكان أصغر واحد بعده عم يرضع. كلهم ماتوا. ومَرْته ماتت
>
> وما كان مصطفى وحده. أخدوهم فوق العشرين واحد. حطّوهم على الحيط ورشّوهم كلهم. كان نصيبهم الرصاص.
>
> وهوّ خبّرني:
>
> "بعد نص الليل، تاني يوم الصبح فقت. كنت نايم أو غميان ما بعرف. كان فى واحد فوقي ناصح، قلتلّو زيح عني. لكنّو ما زاح. عرفت إنّو ميت. حسّيت إنّو فى

حـــركة فـــي الطـــريق ما استرجيتش أتحرك أحسن ما يرجعوا يلاقوني بعدني طيب، يقوصـــوني.. وضـــلّيت قـــاعد مـــش قادر أتحرك، وكنت أدعي طول الليل.. يا الله.. إرحمنى يا ربى."(٤٦)

الرواية الخامسة عشرة

قتلونا مرتين

حمـــزة شاب لبناني من قرية مجدل زون في الجنوب. بعد أن دُمِّر البيت الذي كان يسكنه هو وعائلته بسبب القصف الإسرائيلى لجأوا إلى حرش ثابت، واشتروا بيتاً صغيراً.

عندما تسأل حمزة كم عدد أفراد أسرتك؟ يظهر عليه شيء من الذهول وهو يجيب: "نحـــنا أربعـــة. قصدي.. نحنا كنا سبعة، هلّق نحنا أربعة." وتسأله: "وين راحوا؟" يجيب باقتضاب وتعجُّب من السؤال، وهو يتلفت حواليه في بيته: "بالمجزرة.. هون".

طـــوال الاجتياح الإسرائيلي كان حمزة وأسرته في مجدل زون، لكنهم ما إن انتهت الحـــرب، وبلغة البسطاء، "لمّا طلعوا الفدائية"، رجع حمزة وأسرته إلى حرش ثابت، في جوار شاتيلا، وهم سعداء لأن الأضرار التي لحقت بالبيت لم تكن جسيمة.

يؤكـــد حمزة أن القصف يوم الخميس اشتد على كل المنطقة ما بين الثانية والدقيقة الثلاثيـــن والسادسة والدقيقة الثلاثين. وبعد ذلك هدأ القصف وابتدأت القنابل المضيئة تملأ الســـماء. وعلى الرغم من أن حمزة كان من الذين شاهدوا وجوهاً غريبة في المنطقة في ذلك اليوم، وعلى الرغم من أنه كان لا بد من أسباب لتلك الإضاءة التي وصفها بأنها "شي عجيـــب لا يوصـــف"، فقـــد كان مواطناً بسيطاً، وكذلك كانت أسرته، ولم يربط أحد من أفرادها بين الحدثين، وراحوا يجلسون على الشرفة الصغيرة أمام البيت ويشربون الشاي، وهم يقولون: الحمد لله هدأ القصف!!

كانـــت الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين عندما فوجئوا بجماعة من المسلحين تصرخ فـــيهم: "ارفعـــوا إيديكم". فرفعوا الأيدي. منذ اللحظات الأولى أدرك حمزة أنهم لبنانيون، وأنهـــم جاؤوا للقتل. وعرف أنهم لبنانيون من لهجاتهم، ومن الشعار الأصفر على صدور بذلاتهم الخضر، وقد كتب عليها "الكتائب اللبنانية". لم ينتبه إن كان هناك شعار أيضاً على أكـــتافهم. لكنه يجزم أنه يعرف وجوههم جيداً ويذكرها، وأنه إذا رأى أياً منهم فهو يميزه من ألف رجل.

---

(٤٦) POH. S/SH. No. 111 (243/T.87). As‘ad M. Interview with author. Beirut: Narrator’s office, May 11, 1984.

وبينما كان المسلحون يتبارون في توجيه الشتائم والإهانات إلى السكان، كان حمزة وأهلـــه والجـــيران ينفذون الأوامر بالنزول إلى الشارع. وكان بعض الجيران ــ كأسرة حمزة ــ يجلس أمام المنازل، والباقون داخل بيوتهم. يروي حمزة:

وقت صرنا بالشارع قالوا: "يلاّ.. الشباب لحال والنسوان لحال."

أول مـــا جمعونـــا كـــان في شي تلاتين ما بين نسوان واولاد، وضلّوا ينزلوا الســكان ويتجمعوا. ونحنا الشباب والرجال اللّي صفّونا على الحيط كنا سبع وعشرين واحــد. وأول شـــي صـــاروا يضربونا وينيمونا على الأرض ويسبّونا ويدعسوا على روســنا. وأخـــدوا منا هوياتنا. يعني أكيد عرفوا أنا لبناني، لكن أنا ما استرجيت قول كلمة قدّامهم، وكمان بيّي وخيّي، ما حدا حكي كلمة. وبعد الضرب قلولنا وقفوا وصفّوا وجوهكـــم علـــى الحيط. قمنا وقفنا وصفّينا. راحوا قالوا للنسوان: "هلّق بنبعتلكم اياهم، رح نتركهم هلّق. قوموا روحوا إنتوا."

ونـــزّلوا النسوان والأطفال لتحت على المفرق، هونيك كان في طرمبة البنزين. وهونـــيك بعدين قتلوا العالم هونيك. قتلوا النسوان والاطفال. وأنا ما شفت بعيني، لأنهم رشّونا قبل، لكن على حكي ولد صغير زمط من الموت، وهو لمّا الله نجاه ورجع على الحـــي، خبّرنا [يقصد الفتى منير في الرواية الثانية عشرة أعلاه]. وهيك عرفنا بعدين إنّو إمي وخيّاتي اتنيناتهم راحوا.

همّـــي مـــا لحقوا النسوان يبعدوا شوي حتى راحوا يقولولنا-إنهم بدهم يفتشونا. لكـــن مـــا فتشونا. قاموا رشونا، كل ما كان الواحد منهم يرش علينا بلا وعي، يرجع يحـــط إيـــده شوي صغيرة على آخر الحيطة، يريحها، ويرجع بعد شوي يبلّش قواص عليـــنا. وإذا تعب في غيره. كان عددهم شي ١٥ واحد. أنا كنت واقف على الحيط قبل الأخـــير باتنين، فلمّا صاروا يرشوا من هونيك تطلعت هيك لقيت العالم عم تقلب. عم تموت. قلت يلاّ اقلب إنت كمان يا ولد. قلبت أنا ونمت على الأرض قبل ما يرشوني. وافتكروني إني مت. وضلّيتني نايم شي خمس أو عشر دقايق.

رجعـــوا يرشونا ويقتلونا مرة تانية، رجعوا يكفّوا علينا وإحنا مرميين بالأرض. وهمّـــي عـــم يرشوا فينا صابوني أنا بإجري من تحت. لكن الرصاصة فاتت وطلعت، وما بقيت، وهيدا اللّي ساعدني.(٤٧)

ويقول حمزة إن أباه أيضاً أصيب لكنه لم يمت. أمّا أخوه عباس فكان من أول الذين

---

(٤٧) POH. S/SH. No. 36 (236/T.36). Hamzah F. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 9, 1983.

قتلوا. وهو يتذكر الذين يعرفهم من جيرانه عند جدار الموت ذاك. يقول إنه قتل معهم أبو ياســـر وعائلــته كلها، وقتل اثنان من الجيران أيضاً لا يعرف اسميهما، وقتل رجل وكل أولاده، وقتل أبو أحمد وأولاده، وقتل ستة من الباكستانيين واثنان من السوريين.[٤٨]

انتظر حمزة حتى رحل القتلة، فنهض جارّاً رجله الجريحة. وهو يتذكر:

> حسّيت عليهم لمّا راحوا. في واحد متصاوب حد مني حاطط راسه على الرمل. قلــتلّو: "راحوا؟" قلّي: " قوم شوف". تطلّعت هيك وتأكدت. لكن هو ضل خايف يقوم، ويمكن ما كان يقدر يقوم.
>
> فكّــرت شــو بــدّي أعمل. قلت أروح إتخبى بالبيت. قمت أعرج على رجلي ورحت على قلب البيت. طبعاً كنت خايف. لكن شو كان ممكن إعمل؟ شلحت القميص كـــان كله دم، وشلحت الصباط اللّي كنت لابسه، وربطت رجلي. كانت الساعة صارت شـــي تسعة ونص. وشفت إختي إجت من مستشفى عكا ولاقت بيّي بعده طيب. وقلتلهم روحـــوا وَصْـــلوا بيّـــي وأنا فيني روح لوحدي. وقمت مشيت لحالي على المستشفى وراهم.[٤٩]

أخبر حمزة كل من رأى في مستشفى عكا بما جرى. وفزع الناس، لكن ماذا يفعلون؟

يقول عن أصعب لحظة مرّ بها إنها كانت بعد أن تمكن من الاختباء في بيته، فسمع جـــريحاً يصرخ: "اسقوني مي. اسقوني مي." ويكمل حمزة بأسى: "لكن ما فى حدا متخبى في بيته استرجى يحمل كاسة مي ويطلع يسقيه."

لا ينســـى حمـــزة، ابـــن مجـــدل زون، كيف أنه لم يتمكن من أن يحمل شربة ماء للجـــريح، فـــي لحظات كان هو نفسه بأمسّ حاجة إلى من يواسيه؛ فهو كان يعلم في تلك اللحظات أن أباه أيضاً جريح، وأن أخاه وأمه وأخواته، كلهم، لا بد من أن يكونوا قُتلوا.

الرواية السادسة عشرة

عندما يهرب القتيل والقاتل

كانـــت رنـــدة في ملجأ مستشفى عكا منذ بعد ظهر يوم الخميس. ذهبت للبحث عن إسعاف لجيران لها، لا للاحتماء. لكنها وجدت أخاها الأكبر هناك، فقال لها أن تبقى معه، وبقيـــت. ثـــم جاء الأخ الثاني ليقول لهما إن هناك مذبحة في المخيم، ولم يلب طلبها في

---

(٤٨) Ibid.

(٤٩) Ibid.

البقاء معهما حتى تهدأ الأمور. لكن فى الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين جاءهما رجل آخر من المنطقة ليؤكد أن هناك مذبحة في الشارع. ولم تصدق رندة، لكنها خافت على أهلها، فلعلّ الكلام صحيح.

رافقـتها على الطريق امرأة مسنة. ودخلنا معاً من الزاروب القريب من ملجأ فتح ١٧، أي قـبالة المـرأب "اللّـي هدموه على العالم" كما تقول. مشت نحو بيت أهلها في حرش ثابـت. وهـى اكتشفت فيما بعد أنها مرت بالزواريب نفسها التي مر بها القتلة. لكنهم في هـذه السـاعة كـانوا رحلـوا. وأنّى لرندة أن تعلم أن قذيفة واحدة أطلقت عليهم جعلتهم يهربون من زواريب الحرش التى سلكتها، وإلاّ كان مصيرها الموت كغيرها، أو كأهلها. شـيء واحد كان يبدو غير طبيعي، وهو رؤية الشباب الذين يتراكضون للهروب من هذا الزاروب أو ذلك المدخل.

رنـدة، هي أيضاً شقيقة حمزة الذي كان في تلك اللحظات يضمد جرحه لوحده في البيت (كما مر معنا في الرواية السابقة). وهي تروي ما شاهدته في الحرش:

> مـا لحقـت أدخل الحرش إلاّ لقيت القتلى بالشوارع. كل شي تغير. وكان في شـباب لسّـا عم يهربوا ويصرخوا: "في مجزرة يا ناس"، وتلفّت على القتلى، سمعت أنيـن، ونـاس عم يصرخوا من الوجع، وصرت أنا قول بقلبي وتمتم: "دخيلكِ يا رب ارحمنا. دخيلك ارحمنا." شفت القتلى كلهم، ووقفت اتطلّع فيهم، والله صبّرني. وصرت أنا والست اللّي معي نعدِهم على الجنبين. بس شو نعد لنعد.
>
> وأنا عم بتلفّت شفت بيّي، وهو سمعني وشافني، وقام ناداني. كان بيّي نايم فوق القـتلى وعم يئن من الوجع. قرّبت صوبه وحكيته: "الله كبير يا بيّى، الله كبير. الله ما بيتخلّى عنا." قام قلّي: "ما فيكم تاخدوني، جيبيلي إسعاف يا بنتي."
>
> أنـا ما عدت فكّر بشى غير بيّى. رجعت على مستشفى عكا ورحت قلتلهم في قـتلى وجـرحى وبدنا نجدة لنجيب بيّى، وفي ناس كتار غيره بدها إسعاف. وكان في شباب كتير لكن ما كان حدا يقبل ييجى معنا. حتى النيرسات ما صدقونى. قلتلى واحدة جيبـي دم علـى إصبعك حتى نصدقك. أي دم على إصبعي وأنا شفت القتلى مكدسة بالشارع؟ أي دم على إصبعي حتى تصدقني الممرضة وأنا تركت بيّي عم بموت؟
>
> اخر شي إجت معي إختي ومَرَةْ خيّي والمَرَهْ الختيارة اللّي راحت معي أول مرة.
>
> ومـا لحقـنا نوصل لقينا القتلى فى منهم عايشين. واحد يقولّي: "اعطيني مي". وواحـد تاني: "جيبيلنا مساعدة. دخيلك، احملينا." وأنا مش مسترجية فوت على البيت جيـب مـي. كـان كل همي وصّل بيّي على المستشفى. أمّا خيّى عباس فعرفت من سـاعتها إنّـو مـات. قمت شلت ساعته من إيده وعرفته على الأكيد من ساعته. آه يا

ربي.. كان مرمي بنص الشارع.

> كـــان بيّـــي واعي، ومش واعي، يغيب شوي، ويرجع وعيه شوي. وبيّي رجع خـــبّرنا إنهـــم هـــربوا بس ضرب حدن قذيفة عليهم. قال إنّو الكتايب ضلّوا هربانين، وكمـــان اللّـــي ضربوا القذيفة هربوا. فصار الحرش من نصه لشارع السفارة.. ما فيه حدا.(٥٠)

مشـــت العائلة نحو مستشفى عكا، الابنة المصدومة تحمل أباها الجريح، وتساعدها اللواتي جئن معها، والابن الجريح يلحق بالموكب.

مشـــت العائلـــة ولـــم يكن هناك أي صوت في منطقة حرش ثابت، وكأنها لم تكن المنطقة التي تصدت للإسرائيليين حتى قبل ساعات قليلة، وكأنها ليست المنطقة التى جرت فـــيها أبشـــع عمليات القتل الجماعي قبل ساعة أو ساعتين. كانت المنطقة يسودها سكون المـــوت، لكـــن لا أحد بقي فيها من مجموعات المسلحين القتلة، حتى الذين قتلوهم مرتين حـــتى المـــوت، لـــم يحسنوا قتلهم جيداً، فبقي أحياء بين الموتى، راحوا ينشدون ماء، أو يحاولون هرباً.

صدق والد رندة الجريح عندما أراد أن يقول: هرب القتيل والقاتل.

هـــناك شـــاهد آخر من فريق "القاتل" شهد بأنهم جميعاً هربوا فعلاً. لم يعلن الشاهد اسمه، لكن مجلة "دير شبيغل" التي نشرت شهادته ذكرت أن اسمه معروف لديها.

قال هذا المهاجم:

> فجـــأة سُـــمع صوت رصاص. في القسم الشمالي من مخيم شاتيلا حصّن بعض الشباب الفلسطينيين أنفسهم. أطلقوا "بازوكا" على مجموعتنا.
>
> زميل لى فقد يده اليسرى، فاضطررنا إلى العودة.
>
> لم نعد نفكر في إنهاء المهمة خلال ثلاث ساعات...(٥١)

فمـــن ذاك الـــذي صـــوب قذيفة ار. بى. جى. حتى خلت منطقة الحرش كلها من المسلحين القتلة، وحتى تمكنت رندة من أن تعود من المستشفى لتنقذ أباها الجريح؟

كـــل ما عرفناه يقيناً من شهادة المهاجم هو مصدر القذيفة، وهو جهة الشمال. كذلك تأكد لنا أنهم هربوا فعلاً.

---

(٥٠) POH. S/SH. No. 37 (236/T.36). Randa F. Interview by A.M. Massacre area: Narrator's house, March 9, 1983.

(٥١) "Jeder von euch ist ein Racher: Ein Libanesischer Milizionar uber seine Taten beim Massaker von Beirut," *Der Spiegel*, February 14, 1983, p. 112.

وبينما كانت القافلة الصغيرة من هذه العائلة تسعى نحو مستشفى عكا، كان الضحايا من أبنائها لا يزالون على الطرقات.

عباس، الابن الأكبر، بقيت جثته حتى جاء عمه يوم السبت فنقلها إلى مجدل زون، وقامت الضيعة بدفنه كما يدفن الشهداء.

أمّا الأم وابنتاها الصبيتان، نجاح ونهى، فلم يعرف أحد شيئاً عن مصير جثثهن. وقد اعتُبرن في عداد الضحايا.

سادساً: المجابهة في حي الدوخي

المجابهات المسلحة التي جرت يوم الخميس بين المقاومين في جي فرحات وبين الإسرائيليين، انتهت كما مر معنا في الفصل السابق بعد القصف على الدبابة. كذلك انتهت المجابهات في حي الحرش بعد إصابة فريد الخطيب، فانسحب معظم المقاومين إلى خارج المنطقة نهائياً، باستثناء عدد محدود أمضى ليلته داخل مخيم شاتيلا ولم يعلم هؤلاء إلاّ في صباح اليوم التالي باقتحام الميليشيات وبحدوث المجزرة.

كان من المفارقات التي لا ينساها المقاومون، كيف أنهم ما ظنوا لحظة أن هؤلاء الذين يرتدون زياً عسكرياً موحداً، والذين بدوا لهم إسرائيليين عن بعد، ما هم إلاّ ميليشيات لبنانية، ستقوم باقتحام شاتيلا، وبارتكاب مجزرة.

كان عدد المقاومين في حي الحرش ساعة إصابة الخطيب لا يصل إلى الخمسة عشر، وكانت خطتهم التي اتخذوها على عجل بعد هذه الإصابة هي ضرورة الاستراحة ليلاً. فقد كان في حساباتهم أن الإسرائيليين لن يقوموا في أثناء الليل سوى بالقصف المدفعي الذي ليس في استطاعتهم الرد عليه، لكنهم اتفقوا على اللقاء صباح اليوم التالي لاستئناف التصدي، بالسلاح الفردي، كما فعلوا يوم الخميس.

وكان أن دخل المسلحون من الميليشيات اللبنانية من الأطراف والزواريب حي الحرش وحي المقداد والحي الغربي وحي عرسال، وابتدأوا بالقتل الجماعي وتعذيب السكان، فكان الناجون أنفسهم هم أول من ينشر الأنباء المروعة من أن هناك مجزرة ترتكب بحق المدنيين. لم يكن هناك مسؤول واحد في مكتب حي الحرش، أو في مكتب حي فرحات، مساء ذلك الخميس، ذلك بأن المقاومين تعمدوا الابتعاد عن المكاتب، ظناً منهم أن القصف المدفعي الإسرائيلي سيطالها قبل سواها.

مقاتل واحد فرد من الذين تصدوا بشكل إفرادي في حي الفاكهاني نهار الخميس، شعر في اخر النهار بضرورة الذهاب إلى منطقة صبرا وشاتيلا للاطلاع على الأوضاع هناك. وهذا المقاتل هو الذي أطلقنا عليه اسم "إبراهيم".

وحده سيتصدى في شارع شاتيلا الرئيسي للميليشيات المهاجمة.

وهــو مع مجموعة من الشباب الذين حملوا سلاحهم طوال النهار بحماسة، فأثاروا هواجس السكان ومخاوفهم من ردات الفعل الإسرائيلية بسبب "طقطقتهم" بالسلاح، وحدهم سيبقون طوال الليل حراساً يقظين على الأقل، فيشعر المهاجمون بأن هناك من يراقبهم.

أ ـ المقاتل الفرد

"إبراهيم"، الذي ترك حي الفاكهاني ووصل في جولته إلى مستشفى عكا، متعجباً من إخــلاء الإسرائيليين لمراكز كانوا يحتلونها، كما مر معنا سابقاً، دخل شاتيلا من الشارع الرئيســي قبالة مستشفى عكا عند الغروب، وكان يسمع إطلاق نار غزيراً داخل الحرش، فتعجب من ذلك، واستمر يتقدم بسرعة. وما كان في إمكانه أن يدرك في تلك اللحظات أن هناك هجوماً من ميليشيات لبنانية مسلحة كان قد بدأ في اتجاه الحرش إلى اليمين، وأنّى له أن يعرف أنه حين وصل إلى حي الدوخي كان المسلحون المهاجمون قد وصلوا إلى ملجأ أبــو ياسر، وأنهم كانوا في تلك الدقائق بالذات يخرجون الناس من الملجأ، فيطلقون النار على من يشاؤون، ويأمرون الرجال بالاصطفاف إلى جانب الجدران، كما يأمرون النساء والأطفال بالسير نحو مستشفى عكا، هكذا قيل للناس؛ أمّا الحقيقة فكانت، كما اتضحت فيما بعد، أن تلك المسيرة كانت المسيرة الأخيرة لهؤلاء نحو الموت.

مــا إن وصــل "إبراهيم" إلى حي الدوخي حتى وجد صديقه حسن مضرجاً بالدم. وســرعان ما قال له حسن: "تزلوا علينا وعم يبيدونا؟" فقال له: "مين، الإسرائيلية؟" ورد حسن: "لأ، هدول لبنانية".

توجــه "إبراهــيم" مسرعاً إلى منزل كان مع رفاق له من "فتح" يخبئون فيه أسلحة فردية، فتناول كلاشينكوف ووقف على مقربة من مفرق الدوخي.

أصــبح في استطاعته الآن أن يرى المهاجمين وهم يقودون جمهرة النساء والأطفال في الشارع الرئيسي متجهين جنوباً، بينما كان "إبراهيم" يمترس خلفهم شمالاً.

أطلــق "إبراهيم" عدة طلقات في الهواء، فتوقف المهاجمون عند المفرق الذي يؤدي إلى قصر صبري حمادة، ولم يكن في استطاعته أن يطلق النار عليهم مباشرة، معللاً ذلك بخوفه على الناس:

> مــا قدرت أصوب بشكل مباشر لأنّو الناس كانوا يركضوا أمامي. وبعد شوي لمّا الناس هربت، وصاروا بعاد عنى أقرب لمحل المقبرة الجماعية اليوم، بقيت مشتبك أنـــا واياهم، أنا والمهاجمين، مدة ربع ساعة. وكانوا يصرخوا: "سلّم سلاحك"، وكانوا يشتموا إمي "..."، ويكرروا: "سلّم سلاحك".

قلتلهم بالعالي: "إذا كنتوا رجال قربوا خدوا سلاحي." وبقيت مدة ربع ساعة. ما كنــت بقدر أعرف نتيجة الضرب. تصاوب حدا منهم أو ما تصاوب، ما بعرف. لكن بعد الربع ساعة تراجعت بين البيوت.. ما بقي معي ذخيرة.(٥٢)

ما كان في إمكان "إبراهيم" أن يعلم إن كان أصاب بعض المهاجمين أم لا، لكن يبدو أنــه فعــلاً أصـــاب بعضهم؛ وكان الشاهد هو الفتى منير الذي كان في الثانية عشرة من عمره، يومذاك.

كان منير بين عشرات النساء والأولاد والأطفال الذين أخرجهم المهاجمون من ملجأ أبــو ياسر وأجبروهم على السير في شارع شاتيلا الرئيسي جنوباً نحو المقبرة الجماعية، كما مر معنا. وقد راهم "إبراهيم" لكنه ظن أنهم هاربون من القصف والموت. ما كان في اســتطاعته أن يعلــم أنهــم مرغمون في سيرهم تحت الحراب، وأنهم ليسوا هاربين من الموت، بل هم سائرون نحوه.

لم يقل منير شيئاً لي عن تلك المسيرة الأخيرة يوم كان فتى، لكنه قال من تلقاء نفسه فـــي أثناء سيرنا معاً في ذلك الشارع، مرتين، وذلك في أثناء زيارة له لبيروت في نهاية صـــيف ســـنة ٢٠٠٠: في المرة الأولى تذكّر أنه كان يشاهد القنابل المضيئة تملأ السماء وكـــأن الليل تحول إلى نهار، وتذكّر أنه كان يسمع صراخاً وشتائم، لكن لم يتبين له تماماً من كان يصرخ على من.

وفي المرة الثانية تذكّر كيف رأى ثلاثة من العناصر الميليشيوية، وربما أربعة، وهم يسقطون في أكثر من مكان في الشارع. قال:

نحــنا علـــى هـــادا الشارع نفسه كنا ماشيين زي الغنم. ما حدا بيسترجي يطلّع لورا. كانوا يقولولنا إنهم ماخدينا على مستشفى عكا. وصدّقناهم. لكن لأ. ما أخدونا على مستشفى عكا.

ويغيـــب منير طويلاً وهو ينظر إلى الأمام، وكأنه يمشي بمفرده، ونحن كنا أربعة، كما مر معنا سابقاً، وبعد دقائق من الصمت لم يقطعه أحد منا بسؤال، قال:

هلّــق تذكرت ونحنا عم نمشي هون. أنا كنت عديت تلات أربع عناصر من المسلحين اللّـــي هاجمونا، كنت عدّيتهم لمّا سقطوا. ماتوا؟ يمكن. ما بقدر أتأكد. يمكن مات حدا منهم. يمكن اتنين. ما ممكن أعرف. بس بعرف إنّو الضرب عليهم كان من فوق.

أشار منير بيده إلى الشمال حيث مفرق الدوخي، وبعده بنحو مئتي متر قهوة همدر،

---

(٥٢) POH. S/SH. No.116 (239/T.90). "Ibrahim". Interview by Q. Massacre area: Narrator's house, August 1984.

وكان في المفرق الأول المقاتل "إبراهيم" يصب نار الكلاشينكوف على عناصر الميليشيا. لكنني أحببت التأكد، فسألته كيف يمكن لمن كان هناك أن يطلق النار على السكان المدنيين في وسط الشارع؟ وأجابني بسرعة:

> هنّي، يعني الميليشيات، كانوا ماشيين حراسة معنا على الجنب الأعلى من الطريق [وأشار إلى جانب الطريق جهة المدينة الرياضية]، ونحنا كانوا يقولولنا يلاّ امشوا، يلاّ على مستشفى عكا. وما بتذكر إنّو الفدائية اللّي عم بقوصوا قوّصونا على نص الطريق، لأ، كانوا يقوصوا على جنب الطريق الأعلى، هون، وهلّق بتذكّر منيح كيف واحد من اللّي كانوا عم يأمرونا، راح صرخ على رفيقه الواقف على العالي: "دخلك يا روبير ما تقوّص من عندك، يمكن تيجي الرصاصة فينا نحنا. في تلاتة من رفقاتنا سقطوا."(٥٣)

يُستنتج من كلام المقاتل "إبراهيم"، ومن كلام الفتى منير بعد أن أصبح رجلاً وعاد إليه بعض الذكريات، أنه كان للمقاومة الفردية أثرها، أولاً؛ ويُستنتج أنه بينما كان المسلحون المهاجمون يقودون السكان جنوباً كالأغنام للقتل وليس إلى مستشفى عكا كما ادعوا، كان من الممكن أن يتقدم عدد منهم شمالاً؛ وهؤلاء هم الذين راهم "إبراهيم" وتلاسن معهم ومنع تقدمهم، ثانياً؛ ويُستنتج إمكان سقوط مسلح أو أكثر منهم بحكم الخطأ، أي من قبل رفاقهم المسلحين المهاجمين أنفسهم، ثالثاً.

أمّا المقاتل "إبراهيم" فهو بعد تراجعه إلى الداخل، وفي أثناء محاولته إنقاذ الناس المحتمين بأكثر من ملجأ، صادف شباباً شجعاناً متحمسين بالقرب من قهوة همدر، فطلب منهم انتظاره، بينما ذهب هو في مهمة اعتقد أنها الأسمى والأجدى في تلك الساعة العصيبة، وهي تخليص الناس من الملاجئ.

ب ــ إنقاذ من في الملاجئ

أدرك "إبراهيم" أن ليس في إمكانه الاستمرار في القتال بمفرده، إذ كادت الذخيرة التي في حيازته تنفد. ولمّا لم يكن لديه متسع من الوقت للإجابة عن السؤال ما العمل؟ ولمّا كان مقاتلاً جريئاً يتمتع بالوعي والمسؤولية، فقد اتجه بتفكيره إلى تخليص الناس المحتمين بالملاجئ. كان مدركاً أن الميليشيات المسلحة ستقوم باقتحام الملاجئ بين دقيقة وأُخرى، وقال أنه توقع أن يكونوا بدأوا ذلك فعلاً؛ وهذا ما ثبت أنه جرى.

أخذ "إبراهيم" ينتقل من ملجأ إلى آخر داعياً الناس إلى الخروج بهدوء في اتجاه الشمال. ذهب إلى ملجأ مدرسة الجليل الذي يقع أمام الجامع بنحو خمسين متراً، وهو يعلم

---

(٥٣) Munir Muhammad, op. cit.

سلفا باحتماء الناس به، كما يحدث فى كل الملمات.

وجد في ملجأ الجليل ما يقارب مئتي شخص، من أطفال ونساء ورجال. أخبرهم أن هـناك مجزرة، وصدقوه فوراً لكونه مقاتلاً معروفاً، وبلغة البسطاء "مثله لا يناقش". وهو يروي في شهادته كيف قال لهم آمراً بحزم وهدوء:

"انتـبهوا. القاطع بينّا وبينُنْ حيط واحد مش أكتر. بتطلعوا من هون بكل هدوء. بدّيـش أسمع صوت. استنوني حد الجامع لبينما اجي. إذا بسمع صوتكو، منروح كلنا سوا، لأنّو هنّى أكترية."

ومـا ننسى كانت القوات الإسرائيلية منورة المخيم، كل نص دقيقة كانت قذيفة تنوير، وكان فى تنوير المدفعيات الهاون وتنوير الطائرات. فالناس ردوا عاالكلام اللّي قلـتلهم ياه، وتوجهوا صوب الجامع. تقدمت شوي بين البيوت، كمان لقيت تلات بيوت فيهم عالم، طلّعتهم ورجعت. ووصّلناهم على مستشفى غزة.(٥٤)

لم يكن "إبراهيم" وحده من فكر في تخليص الناس من الملاجئ. فهناك الممرضة أم ربـيع التـي قامت تماماً بما قام به هو، وهي لا تدري بالمأساة التي كانت تحل بأسرتها، بينما كانت هي تسعى لإنقاذ الآخرين.

وكمـا قاد "إبراهيم" الناس نحو مستشفى غزة، فعلت أم ربيع الشيء نفسه؛ ذلك بأن مستشفى غزة كان الملجأ الأقرب.

ثبت أيضاً أن المئات من السكان التجأوا، عائلات وأفراداً، في الليلة الأولى إلى ثكنة هنري شهاب؛ وهذا ما قاله ضابط لبناني في الثكنة:

مسـاء الخمـيس جاءني هنا إلى الثكنة نساء وأطفال ورجال مسنون ــ نحو الخمسمئة مـنهم ــ وتوسـلوا إلـيّ أن نحميهم من العناصر اللبنانية التى كانت تقتل الناس فى المخيم. قالوا إن هؤلاء جاؤوا ليقتلوهم. نحن لم نستطع أن نصدقهم، لكننا رعينا هؤلاء الناس طوال الليل، ووضعناهم خلف الثكنة في حماية جنودنا.(٥٥)

الرواية السابعة عشرة
من الملجأ إلى مستشفى غزة

تقول أم ربيع:

"أنا والدي راح بالمجزرة في تل الزعتر، وأمي وأخوي بمجزرة شاتيلا."

---

(٥٤) POH. S/SH. No. 116 (239/T.90), as above.

(٥٥) Fisk, op. cit., p. 40.

ولا يجـد أبـناء المخيم أي دهشة في الاستماع إلى مأساة الأسرة الواحدة التي راح مـنها من راح في تل الزعتر أو في شاتيلا. كل العائلات راح منها شهداء في معارك أو مجازر.

اعـتاد الفلسـطينيون على السرد أو الاستماع، وكأن لا فارق بين الحالتين، أو بين الاثنين، المتحدث والمستمع. وهذا ما يجعل أم ربيع تقولها ببساطة تنسيك ما تقول، وكأنها لا تقول إن والدها قتل في تل الزعتر وإن أمها وأخاها قتلا في شاتيلا. بل كأنها تقول إنهم من الخالصة مثلاً، أو كأنها تقول أنها تعمل ممرضة في مستشفى عكا.

لكن أم ربيع تصف القنابل المضيئة بدقة لا تصف بها مأساة عائلتها:

> حوالـي السـاعة ٦ المسا بلّشت القنابل المضيئة. يعني من غيرعادة كانوا أول شي يزتّوا قنابل مضيئة بس مش هيك، بعدين صاروا كتير كتير يعني، أول شي كانوا يستنوا القذيفة المضيئة حتى تنطفي، يرجعوا يزتّوا غيرها. بس هلّق صاروا يزتّوا كل تلاتـة أربعـة مع بعض، ونوّروا كل المنطقة وكإنّو الشمس طالعة، وكانت القذيفة لمّا تـنزل تحـرق دغـري. في بيت حد بيتنا ولّع دغري، وصار كل العالم بباب الملجأ يتفرجوا عليه وحاولوا يروحوا يطفّوا ما قدروا لأنهم كانوا واثقين إنّو رح تنزل واحدة تانية.
>
> فـي هاالوقـت كنت أنا وإخواتي التلاتة في البيت نحضّر عشا، نحنا كنا طول الـنهار بـلا أكل. ما فى خبز. وجعنا كِتير. كنا قلقانين وما إلنا نفس ناكل. وهيك فتنا حتى نحضّر. ما صرلى خمس دقايق فِت على البيت وحطّيت ابريق الشاي على النار، والـلاّ الدنـيا نوّرت بزيادة، وإخواتى كانوا بعدهم واقفين برّا، قلتلهم فوتوا هلّق بتنزل واحدة عليكم. فاتوا. بعد شي خمس دقايق قعدنا ما سمعنا إلاّ صوت برّا، صوت خناق مـع صراخ، طلعنا، وكان أخوي أول واحد طلع. قام صرخ عليّ: "تعالي تعالي.. أجو الكتايب.. تعالي اسمعي شو بقولوا."
>
> نحـنا بيتنا حد بيت أبو ياسر وملجأ أبو ياسر. يعني شو فينا نقول. في عشرات النسوان والصغار والرجال فى الملجأ. وفيهم لبنانية أكتر من فلسطينية. كانت أم ياسر، كانـت أم رضـا، كانـت أم فادي، كانت أم جعفر، كانت أم علي، كلهم هدول لبنانية، ونحنا كنا معهم قبل شي بسيط، نحنا كنا بالملجأ معاهم، أنا وإخواتي.
>
> أنـا ما لحقت أطل لبرّا، إلاّ سمعت أوامر وصراخ: "وجهك على الحيط، ولا، ديـر وجهك على الحيط." قام قلّو: "الله يخلّيك.. أنا لبنانى.. ما فلسطينى." قلّو: "لبنانى والـلاّ فلسـطيني شـو عم بتساوي هون إنت قاعد مع الفلسطينية. وجهك على الحيط وارفع إيديك لفوق بسرعة." وبلّش يصفلّك بالشباب واحد ورا التانى.

شـــافوني. قلّـــي أخـــوي: "تعي لنهرب". رجعنا فتنا لجوّا ولبسنا وجينا لنهرب، كـــانوا إخواتـــي أسرع مني هربوا هنّي. بس شافوهم عم يهربوا قوّصوا عليهم دغري وقلّـــو واحـــد: "ما تهرب وْلا، وقاف محلك." كانوا هنّي إخواتي صاروا فاركينها. أنا ضلّيتني واقفة وهو شايفني. أنا ما تحركت، قلت يا امّا هوّ بدّو يعيّطلي يا امّا بطخني، خلّينـــي واقفـــة محلي، وصرت أتطلع فيه، وهو صار يتطلع فيّ، بعدين التهى بالناس اللّـــي عـــم يصـــفّهم على الحيط حتى ما حدا يهرب منهم. أنا فكرت أرجع على البيت وأهـــرب مـــن ميلة تانية. رجعت فتحت الباب وطلعت من الميلة التانية، وبطلعتي من المـــيلة التانـــية سمعت رش رصاص بشكل غزير مش معقول. قلت لحالي أكيد هدول الشـــباب اللّـــي صـــفهم على الحيط قتلهم كلهم. وبعدين تأكدنا إنّو هيك صار [ذاك هو جدار الموت في البند الخامس أعلاه].

ضلّيت رايحة على مستشفى غزة. والساعة بين الستة ونص والسبعة، وأنا على الطـــريق شـــفت جيرانّا حدنا سهرانين وعم يضحكوا، أم أكرم وبنتها دلال والجيران حوالـــيها كـــانوا كمـــان سهرانين ويحكوا ويضحكوا وما حدا عارف شو عم بصير. وصـــدّقوني المســـافة بين الملجأ [ملجأ أبو ياسر] وبيت أم أكرم ما في عشر امتار. أنا خفت أفوت خبّرهم يقوم يطلعلي من الزاروبة التانية.

وأنـــا ماشـــية لقيت ملجأ تاني مليان عالم وأكتريته شباب مدنيين وواقفين العادة كـــإنّو ما في شي. كانوا عم يتطلّعوا على القنابل المضيئة. قلتلهم: "عجلوا اطلعوا لأنّو في هون مسلحين كتايب وإسرائيلية قاعدين عم يقتلوا كل الشباب قدّام ملجأ أبو ياسر." جـــنّوا الشـــباب وقـــالوا مـــش معقول. المهم أخدتهم وضلّيتني طالعة أنا واياهم. وكل النسوان والصغار كمان طلعوا. وضلّينا رايحين على مستشفى غزة.(٥٦)

كانـــت أم ربـــيع ممرضة قبل أي شيء آخر. أنقذت العشرات. ولم تكن لتفكر في مأساتها المرتقبة وهي تقودهم إلى مستشفى غزة كأنهم لا يعرفون الطريق.

في ملجأ أبو ياسر الذي سمعت بأذنيها الرصاص عند بابه، كان هناك أخوها وأمها، كمـــا كانت ابنة عمها مع ولديها وأمها. لكنها راحت طوال الليل تطمئن نفسها إلى أنهم لا يمكن أن يقتلوا النساء والأطفال. أمّا أخوها، فهو ما زال فتى في الخامسة عشرة؛ هو ليس رجلاً مقاتلاً، هل يمكن أن يقتلوه؟

وحمدت أم ربيع الله على أن زوجها خرج مع المقاتلين.

---

(٥٦) POH. S/SH. No. 24 (240/T.26). Harbeh J. (Um Rabi‘). Interview by A. M. Massacre area: Narrator’s house, February 28, 1983.

كان عليها الانتظار حتى صباح اليوم التالي لتجد من تسأله عن أهلها، وكانت سبقتها إلــى السؤال جارتها أم أكرم، أولى الباحثات عن الضحايا، وقد تلاقت المرأتان على درج مستشفى غزة.. وكان حديث..(٥٧)

ج – مجموعة من "شباب الكلاشينكوف"

مجموعة واحدة فقط لم تغادر موقعها مساء ذلك الخميس، وكانت تلك هي المجموعة التــي شوهدت بالقرب من قهوة علي همدر، إلى الشمال من مفرق الدوخي. كانت تكتفي بــإطلاق النار عن بعد لإشعار الإسرائيليين أن هناك شباباً في المنطقة. هؤلاء هم أنفسهم الشــباب الذيــن احــتج على وجودهم كبار السن في المخيم ووجهاؤه، وطلبوا منهم عدم "الطقطقة" بالسلاح كي لا يتوهم العدو أن المخيم ما زال يعج بالمقاومين المسلحين. هؤلاء هــم الذيــن كانوا فتياناً متحمسين وما كانوا مقاتلين محترفين، لكن حماستهم كانت شديدة بحيث أنهم لم يغادروا موقعهم قط، حتى بعد أن علموا أن المهاجمين القادمين هم ميليشيات مسلحة ترتكب المجازر.

عــدد أفــراد تلك المجموعة، في تلك الليلة، لم يكن ليتجاوز السبعة أو الثمانية من الشــباب، من فلسطينيين ولبنانيين، وكان معهم فتاة أو فتاتان. وقد لفتت الأنظار تلك الفتاة التي كانت تحمل الآر. بي. جي. على كتفها معظم الوقت.

تلك هي أول مجموعة ظهرت في كل صبرا وشاتيلا، وتلك هي آخر مجموعة بقيت حتى قبل الظهر من يوم الجمعة.

الســكان على مقربة من الدوخي وقهوة همدر يتذكرون حدثين بارزين يتعلقان بتلك المجموعة من الشباب: الحدث الأول قيام الشباب باستعمال مبنى مرتفع لإطلاق النار منه وللحمايــة، فكان أن ردت القوات الإسرائيلية عليهم بقصف هذا المبنى بالذات بالمدفعية، فاحترقــت بــناية مخللاتي الشهيرة؛ أمّا الحدث الثاني فكان عملاً قام به الشباب أنفسهم، وذلــك عــندما فجّروا مستودعاً للسلاح كان معروفاً بمستودع الستوديو؛ وقد اشتهر بهذا الاسم لوجود ستوديو للتصوير في المبنى نفسه.

تتحدث عن هؤلاء الشباب أم فلسطينية تسكن، كما تقول، "على حدود التماس ما بين صبرا وشاتيلا"، فهي من الذين رأوا الشبان بالقرب من قهوة علي همدر. تقول:

> نحنا كنا شايفين. كان يطلع قذايف من جهة البناية اللّي قدّام بيتنا، بوجهنا، هاي البــناية رمــوا عليها قذايف، وانحرقت، ونزلت أنا وبنتي والجيران نتفرج عليها. أكيد

---

(٥٧) Ibid.

كانوا الإسرائيلية حاسين إنو في ضرب كان يطلع من هاي البناية.

أمّا المستودع، في ناس فجّروه خصوصي، كان في شباب مارين قلتلهم شو في؟ قالوا ما تخافوا هادا إحنا ولّعنا النار فيه عشان إذا إسرائيل بدها تدخل أو حتى تستولي على السلاح تعرف إنّو في ناس عم يقاوموا...(٥٨)

أمّا ابنتها فتتحدث عن هذه المجموعة نفسها، وتروي عن أهمية تفجير المستودع بالقرب من بيتهم، مؤكدة أن هناك شباباً فجّروه عمداً؛ هكذا قال لها شباب تعرفهم من جيش التحرير:

أنا اللّي شفتهم مجموعة شباب صغار. كانوا يتجمعوا، شفتهم، ما هنّي كانوا واقفين حد بيتنا، فتحوا مخزن تياب لجيش التحرير وطالوا الحطات وبلّشوا يْلَثّموا حالهم، لأنّو حتى من الناس صاروا يقولولهم يلاّ روحوا إحنا بدناش مشاكل ويسبّوا عليهم الناس. وكان معهم بنت ملثّمة متلهم... كان معهم آر. بي. جي. وكان معهم كلاشينات. هدول كانوا على مدخل المخيم بالضبط منشوفهم من البلكون. هدول ضلّوا يقاوموا.

يعني كيف يقاوموا؟

كانوا يضربوا رصاص بالهوا، ويضربوا كمان آر. بي. جي. بالهوا ليوم الجمعة قبل الضهر. وبعدين ما عدنا سَمعنا طلقة واحدة. هدول الشباب كانوا أعمارهم مش أكتر من عشرين سنة، كانوا بين ١٧ و ٢٠ سنة.(٥٩)

من الواضح أن حماسة الشباب لم تعتبرها القوات المحاصرة أنها أكثر من ذلك، ولم يعتبرها كذلك أي مراقب ذكي ولو لم يكن عسكرياً. فالطبيب بول موريس قال إن هؤلاء الشباب ما كانوا مقاتلين محترفين. وقال أنه كان يراقب من مستشفى غزة لا أكثر من خمسة عشر شاباً يتبادلون المواقع، ويتحركون في الدائرة نفسها أكثر مما يصوبون. ثم قال أنه كان يعرف وجوه الكثير منهم عندما راقبهم مساء الخميس. كان واثقاً بأنه لا يوجد بينهم مقاتلون محترفون. وقال أيضاً إن لا أحد توقع أن تهاجَم المخيمات.(٦٠)

أمّا المقاتل "إبراهيم" فهو بعد تراجعه إلى الداخل، وفي أثناء محاولته إنقاذ الناس المحتمين بأكثر من ملجأ، صادف فعلاً تلك المجموعة من الشباب الشجعان المتحمسين،

---

(٥٨) POH. S/SH. No. 62 (232/T.59). “Um Majed” Balqis. Interview with author. Beirut: Friend’s house, May 5, 1983.

(٥٩) POH. S/SH. No. 63 (232/T.60), as above.

(٦٠) POH. S/SH. No. 64 (243/T.62), as above.

فطلب منهم انتظاره حتى يرجع. ونعود نستمع إليه يقول:

وأنـا فـي طريقي وجدت بعض الشباب عم يتمركزوا قرب قهوة الشرق/ قهوة علـي همدر. الساعة صارت أكتر من سبعة. كانوا شباب فلسطينية ومعهم بنات تنتين لبنانية، بنات المختار، وكانوا دخلوا منطقة الطرمبة، وكانوا هدول الشباب فكرهم إنهم بدهـم يقـاتلوا إسرائيل. لمّن وْصِلْتْ خبّرتهم القصة هيك هيك، وقلتلهم: "انطروني.. راجـع". وفعلاً نطروني. وكنت أنا بهاالوقت مطلّع جماعة من المدنيين على مستشفى غـزة، وصلّتهم ورجعت، ولقيت الشباب بعدهم ناطرين. بقي معي أربع شباب مشكلين من المخيم. كانوا كلهم من المخيم لأنّو ما كان حدا بيقدر يوصل لداخل المخيم.

رحـنا تقدمنا بين البيوت حتى معسكر تدريب الأشبال، وهناك دار اشتباك بينّا وبينهم.

كـان فـي جرحى بالأرض، كنا نحاول إنّو نشيلهم، قدرنا نشيل تنتين نسوان. وفـي شـاب رحت لأجيبه، شاب انصاب، حاولنا نسعفهم، لكن المَرَهْ توفت، الشاب.. كمان توفى، من المخيم، إسمه من بيت سريس، جمال سريس بعتقد.

حوالى الساعة العاشرة رجعت توغلت بين البيوت حتى الحرش، ورحت طلّعت الناس من منازلهم إنّو في مجزرة، والقصة هيك وهيك ورجعنا.. الساعة عشرة بالليل، كنـت أقول للناس استنوني جنب الجامع [معروف بجامع شاتيلا]، لأنّو كان في شباب بهاديك المنطقة.[٦١]

هكـذا، اسـتمر "إبراهـيم" وهؤلاء الشباب الذين وجدوا فيه سنداً لهم، يحاولون جاهدين إثـبات الوجـود بلا خوف ولا تراجع، لكن أيضاً من دون أي تقدم. وحده "إبراهيم" بينهم كان يـدرك تمامـاً أن كل ما يفعلونه هو حقاً إثبات وجود، لكن هذا بحد ذاته كان له أثر؛ ذلك بأن تقدم الميليشيات المهاجمة في اتجاه الشمال بقي في تلك الليلة الأولى محدوداً كما سنرى.

د ــ لغز قذيفة الآر. بي. جي.

ثمة شهادات كثيرة أكدت أن المهاجمين غادروا منطقة الحرش بسرعة بعد قذيفة ار. بي. جي. كان لديهم الوقت الكافي قبل تلقيهم هذه القذيفة للقيام بقتل الشباب والرجال عند الحائط بالقرب من ملجأ أبو ياسر. وكان لديهم الوقت لإخراج الناس من البيوت كي يلاقوا مصيرهم. وكان لديهم الوقت لملء الزواريب بالجثث. لكنهم من دون ريب ما عاد لهم من وجود هناك بعد قذيفة الآر. بي. جي. تلك.

---

(٦١) POH. S/SH. No. 116 (239/T.90), as above.

لـــم يُعرف تماماً متى أُطلقت تلك القذيفة. لكن المؤشرات كلها تدل على أنها أُطلقت في نحو الساعة التاسعة مساء.

ولم يُعرف من الذي أطلقها.

لمّــا توغــل "إبراهــيم" داخل شاتيلا ليخرج الناس من بيوتهم كانت الساعة الثامنة تقريــباً، ولــم يكــن الحــرش كما قال الأب الجريح من مجدل زون قد هرب منه القتيل والقاتل، أي أن القذيفة أُطلقت حتماً ما بين الثامنة والتاسعة.

هــناك احتمالان بشأن قذيفة الآر. بي. جي.: أحدهما أن يكون مطلقها شاباً تحمس للمقاومــة بمفرده، أو مع أصدقاء له؛ وثانيهما أن يكون واحداً من شباب المجموعة إياها، "شباب الكلاشينكوف" الذين غضب عليهم سكان المخيم، والذين لمّا رآهم المقاتل "إبراهيم" كــان الوحــيد الذي عاملهم باحترام وتقدير، طالباً منهم أن ينتظروه حيث هم بالقرب من قهوة همدر، ريثما يعود إليهم. وفعلاً عاد بعد أن أنقذ من كانوا في ملجأ الجليل وسواهم.

لكــن لا علم لدينا إن كان هؤلاء الشباب انتظروه من دون أي تحرك من جانبهم، أم أنهم كــانوا هــم الذيــن أطلقــوا تلــك القذيفة، ذلك بأنهم كانوا في موقع يسمح لهم بإطلاق النار، وخصوصــاً إذا اتخذوا موقعاً في شارع شاتيلا نفسه، أو في الجهة المقابلة، كما أنه كان لديهم آر. بي. جي.

الاحــتمال الثانــي بــأن يكون مصدر القذيفة "شباب الكلاشينكوف"، تدعمه شهادة المهــاجم الذي أشرنا إليه في الرواية السادسة عشرة، "عندما يهرب القتيل والقاتل"؛ فهو حدّد جهة الشمال، كما اعترف بأنه ومن معه هربوا في إثرها.(٦٢)

كانت النتيجة أن قذيفة ذلك المقاوم المجهول التي أُطلقت ولم يظهر صاحبها، كانت السبب المباشر في حدوث ما يلي:

- هروب المسلحين المهاجمين من منطقة الحرش.
- تمكن بعض الجرحى من النجاة بأنفسهم؛ حتى قيل "هرب القتيل والقاتل".
- تمكن سكان المخيم من أن يغادروا؛ ولا ريب في أن إخلاء حي الحرش وحي فرحات من المهاجمين منح المخيم الصغير الفرصة للنجاة.

سابعاً: شهادات عن الليلة الأولى

هذه الروايات الخمس، عن الليلة الأولى، ليست إلاّ استكمالاً لإطار الشهادات السابقة عن الاقتحام، وعن الملاجئ، وعن جدار الموت.

---

(٦٢) "Jeder von euch ist ein Racher…," *Der Spiegel*, op. cit., p. 112.

في الشهادات السابقة تعذيب وهمجية ارتُكبا بحق السكان في الساعات الأولى، وفي هـذه الشـهادات أيضاً؛ وهي كلها تؤكد أن المهمة الرئيسية لهؤلاء المهاجمين المسلحين كانت أبعد ما تكون عن البحث عن فدائيين!

الرواية الثامنة عشرة
قنبلة على البيت ومن فيه

نـوال، ممرضة محبة لعملها، لم تأخذ يوماً إجازة إلاّ في حال اشتداد مرض عليها، وفـي حـالات أُخرى أيضاً كحالة يوم الخميس حين اشتد القصف من قبل الإسرائيليين، وحين أصبح التنقل من مكان إلى آخر يعرض صاحبه للموت.

بيـتها يقـع بالقرب من شارع شاتيلا الرئيسي، حيث "محل بيع الدراجات"، فهناك مدخل للمخيم، وقبل حارة المخيم يقع بيت نوال، وهو كما قالت: "على حرف المخيم".

خرجـت نوال في نحو الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين إلى الشارع لشراء بعض الطعـام، ولـم تكن لتدع أحداً من إخوتها يخرج، وكان على جميع من في المنزل إطاعة نوال. وهي تقول:

> مـا لْحِقْـت أطلع مِن البيت شفتهم مش بعيد عني عم يدبحوا الناس متل الغنم. وبلحظـة واحـدة صـرت راجعة على البيت وجوّا البيت. كان عددهم كتير جداً. ما عدّيـتهم. كـانوا يمكن بالمئات. وما لحقت دخلت البيت صرخت بإخوتي: "يلاّ اطلعوا بـرّا هـدول الجايـن علينا مش إسرائيلية، هدول مسلحين عم يدبحوا العالم." وكانوا إخوتـي واعييـن، وما بذكر كل واحد شو حكى، لكنهم اتفقوا إنّو الداخلين مش جيش لبنانـي أبداً، لإنّو الجيش بيدخل مع دبابات ولاندات، وقام كل واحد منهم حمل ولد أو ولديـن وركضـوا. عـندنا بالمخـيم زواريب كتيرة. وأنا حملت اولاد أخوي الاتنين الصغار وهربت.
>
> تركـنا بـاب البيـت مفتوح ما حدا اهتم أو فكّر يسكرو. كان واحد من إخوتي حافي ما لحق يلبس كندرته، حتى إمي وهيّ حاجّة ركضت تهرب من دون غطا على راسها. وأول محل تخبينا فيه عند جيرانّا من بيت عايدي، خبرناهم شو صار، وقلنالهم يـتركوا البيـت. فـي منهم شاب واحد هو أحمد طلع معنا مع مَرْتُه ومع تلات اطفال صـغار، لكن أمه، وأخته وكانت حامل، وإخوته الأربعة، وأبوهم، وأصهرتهم الاتنين، مـا هربوا. لكن نحنا هربنا وهربوا كمان باقي الجيران اللّي شافوا شو صار. لكن ما عاد في حدا يقدر يخبّر الباقين. كل واحد كان "ربي أسألك نفسي" وبدّو ينجى بنفسه.

ونحـنا بعـد ما صرنا في عمق المخيم، كان هناك ملجأ، دخلنا عليه، فصاروا الأهالـي كـل مـا وصـل حدا منهم يخبّر إنّو في ناس عم تندبح في المخيمات داخل البـيوت، وعم ينضربوا بالفؤوس والبلطات. وما صدقنا نقدر نهرب تانى، حتى هربنا على مستشفى غزة.

ما ممكن أتذكر الساعة اللّى وصلنا فيها على مستشفى غزة، كانت الدنيا ليل.

ونحنا كنا بعدنا مسطولين..

وبعـد نـص ساعة بس، جابوا على المستشفى جيرانّا. كانوا المجرمين رامين عليهم قنبلة وهنّي بنص بيتهم. وسمعت القصة.

دقـوا علـيهم الباب. وما حدا فتح الباب. خافوا. راحوا رموا عليهم قنبلة على قلـب البيـت. مات تلات شباب وطفلين صغار. والأم جارتنا كانت منصابة، وبعدها واعية لمّا دخلت عليها وسألتها: "شو صار يا جارتنا؟"

قالتلي: "قتلوا موسى".

وبعدين .. الأم ماتت بسبب جروحها.(٦٣)

تذكـر نـوال مـن الذين ماتوا رجلاً من عائلة مطر وزوجة أخيه وابنها. وهؤلاء فلسطينيون. كما قتل جارهم وهو سوري لا تعرف اسمه كان مختبئاً عندهم، لكنها تعرف موسى عايدي، وهو فلسطيني وفي الوقت نفسه عديل السوري.

كل هؤلاء ماتوا، وأم مطر ماتت.

ولم تنته قصة نوال بعد، فهي تقول:

إم مطر عندها سبع اولاد، وكان اولادها هاربين عند الجيران، وأمّا أخو موسى عايدي وإسـمه سـعيد [صهرها]، فكان واقف فى الخارج، وبدّو يدخل البيت، شافوا كتفه من ورا، راحـوا يشـتموا ويسـبوا، ومـا اسـتنوا علـيه راحوا قتلوه بالنار من رشاش كلاشـينكوف بكـاتم صـوت للرصاص. ومات. أنا حكت لي قصة سعيد مَرتُه وهيّ صـاحبتي وهيّ لبنانية وعندها ولدين ربيع ومحمد، لكنها لمّا شافت كيف قتلوا جوزها راحت تخبّت تحت التخت مع الاولاد، خايفة يفوتوا البيت ويكملوا عليهم.(٦٤)

لم تنته قصة نوال.

كان أشد ما آلمها أن أحداً لم يصدقها في المستشفى.

---

(٦٣) POH. S/SH. No. 42 (238/T.42). Nawal H. Interview with author. Beirut: Author's house, March 15, 1983.

(٦٤) Ibid.

لم يصدقوها ولم يصدقوا غيرها حتى بعد وصول جيرانها الذين رمى القتلة بينهم القنبلة.

هناك أطباء قالوا إن نوال مجنونة.

وهناك مديرة المستشفى التي احتضنتها بحنان، لكن حباً فيها، إذ لم يبدُ عليها أنها فعلاً صدقت ما تقوله نوال.(٦٥)

وهي فعلاً لم تصدقها في تلك اللحظات.(٦٦)

الرواية التاسعة عشرة

أولى الباحثات عن الضحايا

أم أكرم، أم لتسعة أولاد صغيرهم في الرابعة من عمره. هي زوجة فدائي لم يغادر لبنان. فهو من المقيمين منذ سنة ١٩٤٨، وهو من الذين يعتزون بالقول "نحن فدائيون".

أبو أكرم على الرغم من اعتزازه بكونه من الفدائيين، فهو وأولاده الشباب أسرعوا في الذهاب إلى مستشفى غزة قبل السادسة من بعد ظهر الخميس، وبقيت زوجته والبنات والصغار في البيت، كذلك بقيت الجدة والدة أبو أكرم.

أم أكرم كانت من اللواتي أخافهن الملثمون المسلحون الذين لم يتكلموا كلمة واحدة مع أحد، وكانوا يذرعون شاتيلا جيئة وذهاباً. وهي تقول:

> نحنا بيتنا حد روضة الشهيد غسان كنفاني بالظبط. الروضة كانت متلانة بنى ادميـن واولاد واطفال، ولمّا جيت قلولي: "تعي تخبي بالملجأ". قلتلهم: "لأ. بدّي أضل بالبيـت بركـي حدا فات على البيت." ورحت هرّبت الاولاد على الملجأ وأنا ضلّيت بالبيت.
>
> شـوي أجـت عـندي حماتها لبنتي المتزوجة دلال. قلتلي: "والله أنا بدّي أضل معـاك." قلتلها: "أهلا وسهلا فيك". وشوي، سمعنا صريخ وطخطخة، وأصوات بتقول: "يا الله.. يا الله." هادا كان الخميس عشية، والدنيا بعدها شوي ضو.
>
> بنتي دلال المتزوجة كانت عم تركض، راحت دخلت الزاروبة. هناك في ملجأ بالـزاروبة ضلّت مخباية حالها، وبعدين طلعت من الزاروبة قالت خلص، ويا ساتر يا رب شـو شـافت قدّامها. لاقت شي ١٦ واحد لابسين لبس عسكري وواقفين، وراحوا يصيحوا بالشباب: "اطلعوا وْلا.. اطلعوا وْلا." وأخدت الشباب تطلع من الملجأ.

---

(٦٥) Ibid.

(٦٦) POH. S/SH. No. 34 (241/T.34). Aziza Khalidi. Interview with author. Beirut: Author's house, March 4, 1983.

وكـــان فـــي هادا الملجأ نسوان وصغار، مش بس رجال. واولادي أنا الصغار كانوا في هادا الملجأ كمان. وممكن تقولي كان في شي ٣٠٠ بني آدم.(٦٧)

وتقول الابنة دلال تصف المشهد نفسه:

أنـــا طبيعتـــي بخاف أقعد بالملجأ لأنّو لمّا هربنا وكانت إسرائيل بتضرب قامت هبطـــت بـــناية بسبع طوابق على الملجأ وما عاش حدا من اللّي بالملجأ. أنا طلعت من الملجـــأ. ولمّـــا سمعت الصراخ رحت ركضت وكنت سامعة صوت رصاص. لْطيت بالحـــيط حتى ما توصلني رصاصة. وتْطلّعت هيك واللاّ شي ١٦ واحد حاملين أسلحة ولابسين أخضر لباس الجيش يعني وبيحكوا لبناني: "اطلاع وْلا، انبسطتْ بموت بشير الجميل؟ اطلعوا وْلا. كلكم اطلعوا وْلا." أنا سمعت هيك ما قدرت قرّب دغري ضلّيتني رايحـــة عند بيت أهلي. رجعت خبّرت مَرْتْ عمي لما شفتها عند إمي وقلتلها: "مَرْتْ عمي دخلك راحوا اولادي وجوزي.. تركتهم بالملجأ."

أنـــا عـــندي ٣ اطفال، تركت بنت ٣ سنين وولد سنتين مع أبوهم، ولمّا طلعت حملت معي الصغير اللّي بعدو بيرضع على إيدي.

مَـــرْتْ عمـــي قامت راحت وما قدرنا نمنعها ونقنعها إنّو شو رح تقدر تعمل. قالـــت: "أنـــا رايحة شوف إبني وأحفادي الصغار." وركضت. ومَرْت نص ساعة وما رجعـــت. واللاّ جاي مَرَه من الجيْرة وهي راكضة ورجليها كلها معوّمة بالدم، ومعها إبنها عمره أربع سنين. هاي كاينة تدعس على الدم اللّي كان ينزل من الشباب. وكانت المَرَه متل المجنونة، رفعت إيديها وصرخت:

"ربـــي يشـــهد. شـــو بعدكم فاتحين البوابة والباب مشرّع كمان، روحي شوفي الشباب كلها صارت مقتّلة على الأرض."

هـــيّ قالـــت هيك راحت أعصابي وما عدت أقدر أمشي، وقلت خلص اولادي راحـــوا! جوزي راح! مَرْتْ عمي راحت! وشو عد لعد! وما لقيت حالي غير بترجى المَـــرَه: "دخيلك خلّيكي معانا". قامت دخلت وسكرنا البوابة وطْفينا الإضوية وفتنا على الأوضة الوسطانية. وهيّ قامت قالت: "ما تحكوا ولا كلمة. خلّونا نتكل على الله."

ومضّينا الليلة على أعصابنا، وما كنا فعلاً نسترجى نحكى.(٦٨)

---

(٦٧) POH. S/SH. No. 19 (249/T.22). H. Sh. (Um Akram). Interview with author. Beirut: Author's house, February 24, 1983.

(٦٨) POH. S/SH. No. 20 (249/T.22). Dalal Sh. Interview with author. Beirut: Author's house, February 24, 1983.

وتكمل الأم الحديث:

> تانـــي يــوم الصــبح عرفنا من شاب كان واقف حارس على باب الملجأ، كان يشــوف وما ينشاف، خبّرني إنّو في أربع اشخاص من المسلحين، من اللّى كانوا يقتلوا ويضـــربوا، كانوا يطلعوا على الدرج لعنا على السطوح وينزلوا ويطلعوا طول الليل. ويــتطلّعوا بنواضير معهم. وقلّي: "يلاّ الحمد لله على سلامتكم. منيح اللّي ما حسّوا في حــدا بالبيــت. بس ما بدكوش تضلّوا بالبيت، بعدهم عم يدبحوا وصاروا بدهم يوصلوا على المنطقة عندكم."
>
> وأنـــا كـــان معـــي الصغير فيهم، والشباب راحوا مع أبوهم، لكن بقية اولادي واولاد بنتى فى الملجأ.(٦٩)

صـــباح يـــوم الجمعـــة، وتحديـــداً منذ الخامسة صباحاً، راحت أم أكرم تبحث عن ضـــحاياها بين القتلى. ولعلها كانت أول من يبحث عن الضحايا في هذه المجزرة التي لم يكـــن قـــد سمع بها إلاّ القليلون. ومن كان سمع، حتى على بعد أمتار من التعذيب والقتل الجماعى، كان يرفض أن يصدق.

يعتقد الإنسان أن موت الأحباء هو الخبر الأكثر قسوة وألماً في حياته، غير أنه في المجـــازر يتعلم كم يمكن للموت نفسه أن يصبح مجرد خبر، بينما كل ما حول الموت هو القسوة المجردة، والألم الذي لا ينسى.

الرواية العشرون
في انتظار الموت

شهيرة من سكان شاتيلا في أول المخيم، أو كما يقال أيضاً على حدود المخيم، قالت أنهم كانوا سهرانين عند خالتها أم أسعد القريبة منهم، لكنهم لم يسمعوا شيئاً، ولم يعرفوا شيئاً.

لا تذكر شهيرة تماماً متى خرجت أختها عايدة لتحضر جواز سفر أخيها ومبلغ ألفي لـــيرة لبنانية، فالبيتان متجاوران. لكنهم سرعان ما سمعوها تصرخ بأعلى صوتها، فهرع الأب من باب الزاروب ليعرف ما حدث، فلاقى مصير ابنته.

وتسأل شهيرة:

> يعنـــي بتســـألونا إذا عرفنا إنهم قتلوهم؟ كيف ما عرفنا. بالتأكيد عرفنا. لكن مين كان بـــيقدر يطلـــع لبرّا. مين كان يسترجي يقرّب على شباك. يعني أبوي ما في لحظة بعد

---

(٦٩) POH. S/SH. No. 19 (249/T.22), as above.

ما طلع لبرّا كانوا قتلوه. بقينا طول الليل نستنّى الفجر يطلع.(٧٠)

كـــان الأمل بأن ينبلج الصبح، فتقوم العائلة بدفن ضحاياها. لكن.. من قال إن الدفن مباح في المجازر؟

صباح اليوم التالي كانت الهجمة الشرسة على من تبقى من الأسرة التى عاشت ليلتها فى الانتظار مع الموت. ومن كان ينتظر الصباح ليدفن قتلاه تحول إلى جثة تنتظر من يدفنها.

الرواية الحادية والعشرون

أب وابنته

في ذلك الخميس المجنون قصفاً وخوفاً، كان لكل فرد فى الأسرة موقف.

وكان مسكن العائلة على "حدود المخيم".

الأم لم تحتمل القصف الإسرائيلي في أثناء النهار فهربت إلى مستشفى غزة.

الابنة الصبية عفاف رفضت الهروب. كانت متعبة من كثرة الهروب ومن حياة اللجوء. لم يكن قد مر على عودتهم إلى البيت، بعد الهجرة القسرية إلى شارع الحمراء، أكثر من أيام معدودة.

الأب محمـــد محمـــود ســـعد من مواليد فلسطين في أول الثلاثينات، لم يغادر البيت كزوجـــته، بقي مع ابنته لكن بقاءه كان لأسباب تختلف عن أسباب بقائها. كان مقتنعاً بأن البيت أكثر أماناً من ملجأ المستشفى الملآن بالبشر.

كانت تلك تصوراته، وقد كانت صحيحة، فلم يكن في مستشفى غزة كله، وليس في الملجأ فحسب، موقع قدم.

الابـــن حـــاول إقناع أبيه بالهروب إلى خارج المنطقة. قال له أنه سمع أنهم يقتلون الناس في بيوتهم. لكن الأب لم يصدق.

وتقول الأم، نقلاً عن الجيران، ومن وحي ذاكرتها أيضاً:

خبّرونى بعدين إنّو اللّى هجموا كانوا خمسة عشر مسلح. منهم حاملين بلطات. منهم حاملين بواريد متل الكلاشينكوف.

بنتـــى كانـــت لابســـة فستان حلو كتير جبلْها اياه أخوها هدية من السعودية لمّا رجع. كل ما سافر كان يجيب هدايا وفساتين لأخته. لكن.. يا ويلى على اللّى مقدّر.

شو حكيوا معهم؟ ما حدا بيعرف. لكن العملية كلها كانت بدقايق.

---

(٧٠) POH. S/SH. No. 69 (231/T.63). Shahira Abu Rudaineh. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator’s house, May 30, 1983.

هيك خبّروني..

راحـــوا قاتليـــن بنتي بالرصاص. الرصاص خزّق صدرها. ورموا عليها لوح زينكو. ليش؟ ما بعرف.

كانت بنتي زي الملاك بأحلى فستان لبسته بنت فى حياتها

أبوها ما عرفنا أبداً شو صار فيه.

كان علينا نستنى كتير حتى نعرف.

يا ريتني ما تركت البيت. يا ريتنا كلنا رحنا سوا.(٧١)

الرواية الثانية والعشرون

لا أحد على استعداد ليصدق

ســـمعت يســـرى وزوجهـــا امرأة تصرخ في الشارع: "يا جماعة اهربوا. الكتايب صاروا بالحرش وعند السفارة والإنعاش. اهربوا. الكتايب عم بقتلوا الناس."

صدّقت يسرى وزوجها ما سمعا.

ولم يكن بد من انقسام العائلة، فأخذ زوجها الأبناء الشباب إلى مستشفى غزة، وقال لها أن تذهب حالاً إلى الملجأ مع الصغار.

وكانت الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين مساء.

يقول الزوج:

نحـــنا ورايحين على المستشفى ما قدرنا نروح من الشارع العام، رحنا من الزواريب الضـــيقة، دايمـــاً الزواريـــب أكـــتر أمان في هيك حالات. وفي طريقنا شفنا ناس كتير من المخـــيم، وخبّرناهم بكل شي سمعنا، لكن ما حدا صدّقنا، على العكس قلولنا: "هادا الكلام ما فـــي مـــنّو شي، وإنتو بتهبطوا المعنويات بهاالكلام، وإنتو بتخدموا إسرائيل." لكن نحنا كمّلنا للمستشفى، ولاقينا ناس من فج وغميق، خبّرناهم، وكان الرد متل أهل شاتيلا.

ونحـــنا بالمستشـــفى صرنا نسمع أصوات انفجارات عم تتلاحق. ما عرفنا أول شو في. بعدين عرفنا إنّو مستودع الستوديو الخاص بالصاعقة عم يتفجر، وعم تتطاير مـــنه القذايـــف في السما. هادا زاد برعب الناس والمسلحين المهاجمين. لكن مين فجّر المستودع، أنا ما عرفت.(٧٢)

---

(٧١) Mary, "Testimonies…," op. cit., Testimony no. 13.

(٧٢) POH. S/SH. No. 51 (238/N.8). Yusra N. H. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, April 5, 1983.

أمّا زوجته فكانت تجربتها مختلفة.

قالت إن الأولاد لمّا جاعوا، ولمّا رأت أن النسوة يذهبن لإحضار طعام لأولادهن، تشجعت وقالت لجار يجلس قربها في الملجأ: "ممكن تعطيني ضو اللوكس؟" فتشجع الجار وقال لها بأريحية أنه لن يتركها تذهب وحدها، ونهض وذهبا معاً.

لمّا وصلت إلى بيتها، وهو على حافة الطريق العام، طرقت باب جارتها لتعرف الأخبار، لكن الجارة لم تفتح لها وأجابتها من الداخل: "روحي الله يوفقك. روحي الله يوفقك. واعتبريني مش فى البيت." وتعقِّب يسرى أن هذه الجارة بقيت طوال أيام المجزرة مع أولادها في المنزل من دون أي صوت، ولم يعرف أحد بوجودهم، ولذلك لم تصب بأذى.

تابعت يسرى نحو بيتها، وضعت المفتاح بالباب، وإذ بأحد المسلحين يصرخ بها بلهجة لبنانية وبأعلى صوته: "مين في هون يا اخوات... وقفوا عندكم." ولم تتمالك يسرى نفسها فتركت المفتاح معلقاً وهربت. كذلك هرب الجار المرافق لها. وراح كل منهما يجري في اتجاه. أمّا المسلح البارع في الشتائم فلم يكن كذلك في التصويب، إذ أفرغ جعبته من الرصاص وهو يلاحقهما، لكن أياً منهما لم يصب برصاصة. والفضل أساساً لطبيعة الزواريب الضيقة.

أخذت الأم أطفالها الجياع من الملجأ، وهناك التقت جارها صاحب اللوكس، وهنأته بالسلامة، وقالت له أنها ذاهبة مع الأولاد إلى مستشفى غزة، مهما جرى.

أمّا فى مستشفى غزة حيث التقت زوجها، فقد فوجئت به يقول لها: "ما تحكي مع حدا. ما فى حدا مستعد إنّو يصدق."![٧٣]

ثامناً: حدود اقتحامات الليلة الأولى

وصلت الميليشيات المسلحة في هجومها في الليلة الأولى عبر المداخل الجنوبية والغربية إلى أحياء متعددة من شاتيلا الكبرى، هي أحياء فرحات والمقداد والحرش شرقي شارع شاتيلا الرئيسي، وعرسال والغربي غربي هذا الشارع، لكنها لم تصل إلى مخيم شاتيلا، كما أنها لم تصل إلى صبرا، حتى أنها لم تصل إلى ذلك الخط الوهمي ما بين شاتيلا وصبرا.

لم يكن ممكناً للميليشيات المهاجمة أن تدخل تلك الطرقات والزواريب ليلاً لولا الإنارة المستمرة التي وفرتها لها القوات الإسرائيلية المحاصِرة. وقد اعترفت المصادر

---

(٧٣) Ibid.

الإسرائيلية بهذه الإنارة، واعتبرتها ضرورة ماسة لتحقيق الهدف المنشود، وهو القبض على المقاتلين الفلسطينيين الذين تخلّفوا في صبرا وشاتيلا، إذ قال شارون وزير الدفاع الإسرائيلى إن قواته كانت تطلق قنابل مضيئة من مدفعية ٨١ ملم، بناء على طلب القوات اللبنانية، كي تنير لها الطريق.(٧٤)

ونشر معظم الصحف الإسرائيلية النبأ بوضوح، وهو أن الجيش الإسرائيلي كان طوال الليل يطلق قنابل مضيئة كي ينير المخيمات للميليشيات. وذكر جندي إسرائيلي يعمل في وحدة المدفعية أن وحدته كانت تطلق قنبلتين مضيئتين كل دقيقتين طوال الليل، من الغسق حتى الفجر، وذلك من أجل دعم الميليشيات المسيحية، كذلك قال إنه كان هناك قنابل مضيئة بواسطة الطائرات.(٧٥)

يتضح من الشهادات أدناه مدى الحدود التي وصلت إليها القوات المهاجمة شرقاً وشمالاً، على الرغم من كل الدعم الإسرائيلي، ومن كل الإضاءة التي حولت الليل إلى نهار.

الرواية الثالثة والعشرون
الأصدقاء الثلاثة

كانوا ثلاثة أصدقاء.

كانوا بصدق، وببساطة، ومن دون مواربة يشربون كؤوس العرق الأبيض الصغيرة، المشروب اللبناني المفضل، بالقرب من قهوة علي همدر. ولا يعني شربهم العرق اللبناني أنهم كانوا لبنانيين؛ كانوا فلسطينيين.

كانوا يُعتبرون من "الزكرتية" بالعامية الفلسطينية، ومن "القبضايات" بالعامية اللبنانية. والمعنى فى كل منهما يتضمن الجرأة.

وكانوا يشوون "سيخ لحمة" للعشاء. ولا يعني الشواء أنه كانت هناك مائدة وأصناف من الطعام. كان هناك "سيخ لحمة" لا غير.

وكانوا من الظرفاء، وقد أمضوا ليلتهم يتندرون ويضحكون. وأنّى لهم أن يعرفوا أن هناك مجزرة ابتدأت في الحرش.

أحد هؤلاء الأصدقاء الظرفاء هو الراوي لما جرى. وقد روى ما جرى لسكان المخيم مرات ومرات.

---

(٧٤) Friedman, op. cit., p. 69.

(٧٥) Abraham Rabinovich, "IDF fired Flares to light Camps for Phalangists," *Jerusalem Post*, September 22, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile…*, op. cit., p. 25.

بينما كان قاسم، أحدهم، يقوم بعملية الشواء، سمع واحداً يناديه ويقول له: "تعال وْلا.. تعال إنت.. قرّب لهون."

تلفت إليه قاسم وقال بصوت عال: "إن كنت إنت قبضاي، إنت تعا قرّب لهون."

ولم يقترب أحدهما من الآخر.

ظن قاسم وصديقاه بداية أن القادمين إسرائيليون، وخاف قاسم فعلاً من الاقتراب. أمّا المنادون الذين ما كانوا بإسرائيليين، بل من المسلحين المهاجمين، فهم أيضاً خافوا من الاقتراب؛ فهذه أول جماعة لا تخاف منهم وتتحداهم.

وتبادلا الدعوات "العنترية"، لكن لم يقترب أحدهما من الآخر.

حينئذ تصور محمد، أحد الأصدقاء الثلاثة، أن القادمين شباب يمتحنون مكانتهم، فسارع يحمل الكلاشينكوف الذي يضعونه بقربهم للطمأنينة لا للاستعمال، واقترب من منتصف الشارع وهو يقول للقادم: "ومين تكون إنت؟ الله؟ أستغفر الله، مين إنت؟"

كان "القبضاي" محمد يظن فعلاً أن أمامه شباباً صغاراً يمازحونهم؛ فهم معروفون في المنطقة، ومعروفون بسهراتهم. وهو لم يحاول قطعاً إطلاق النار عليهم. لكن المهاجمين الذين لم يكونوا شباباً صغاراً وما جاؤوا للمزاح معهم، بادروا إلى إطلاق النار على محمد بغزارة، حتى ارتمى على الأرض، ومات.

أدرك الصديقان الآخران أن المسألة ليست مسألة مزاح. فهرب كل منهما إلى زواريب المخيم. ومن داخل المخيم أخذ الرصاص يلعلع صوب الطريق العام. حينئذ أدرك المهاجمون القتلة بدورهم أن المسألة ليست مزاحاً، وأن عليهم التوقف عند ذلك الحد.

هل لعلع الرصاص من داخل المخيم بأيدي قبضايات كالأصدقاء الثلاثة؟ أم بأيدي شباب صغار متحمسين؟

النتيجة واحدة. كانت هذه الحادثة سبباً في حماية العشرات، إن لم نقل المئات، داخل المخيم. والدليل أن المهاجمين توقفوا عند تلك الحدود في تلك الليلة، على بعد نحو عشرين متراً إلى الجنوب من قهوة علي همدر. فهؤلاء المهاجمون لم يتقدموا بعد مقتل محمد النابلسي، رحمه الله، شبراً واحداً.(٧٦)

قيلت هذه الرواية نفسها في صيغ متعددة. فبعض سكان المخيم يقسم بالله أن محمد "القبضاي" قال لهم وهو يحمل الكلاشينكوف في منتصف الشارع: "ما بتعرفوني؟ ما بتعرفوا إني أخو المصارعين الاتنين المشهورين النابلسي؟"

---

(٧٦) POH. S/SH. No. 110 (231/T.86). Hasan A. (Abu ‘Ali). Interview with author. Beirut: Narrator’s office, May 11, 1984.

هل أعطوه فرصة كي يقول هذا؟ أم أن ذلك البعض تخيل هذا. فمن عادة محمد النابلسي دوماً المباهاة بأخويه المصارعين البطلين. ولمّا كان من طبيعة الإنسان ألاّ يحب أبداً أن يرى أحباءه مجندلين على الطرقات لا حول لهم ولا قوة، فهناك من يؤكد أنه قال لهم ذلك.

كثيرون رأوا جثة محمد النابلسي على قارعة الطريق أياماً، قبل أن ترفع للصلاة عليها، ودفنها.

الرواية الرابعة والعشرون
العائلة الصامدة من قلعة الشقيف

من هو أبو علي؟

هو الحاج المبتسم.

لا يتكلم إلاّ باسماً، أو ضاحكاً.

هو رجل مؤمن يقرأ القرآن كل يوم.

وهو أب لأحد عشر ولداً، منهم سبعة صبيان وأربع بنات. ومنذ تزوجت البنات سكنت كل منهن بالقرب من بيت ذويها في حي فرحات الملاصق لمخيم شاتيلا، شرقاً، باستثناء واحدة سكنت في الجنوب.

إن سألته: "من أين أنت يا حاج؟"

يجيبك الحاج الضاحك بسرعة: "نحنا من قلعة الشقيف."

لا يعترف الحاج بمكان في لبنان أجمل من قلعة الشقيف. بيروت سكناها موقتة، والعودة إلى القلعة الجنوبية لا بد منها. يقول، في المقابلة نفسها التي أُجريت مع ابنته:

> ولا في أحلى منها القلعة. لأ. أنا مش من أرنون. أنا من نص القلعة. من القلعة بالذات. الواحد لازم يمر بنص أرنون قبل ما يوصل للقلعة. القلعة بالجبل والضيعة هيك نازلة. مناخ الشقيف أحسن مناخ، هوا ناشف، ولا أحلى منو. وقت الاجتياح ما كان بقي حدا في الضيعة، كان يكون في ضرب عليها على طول. هربت الناس. كانوا يزعبوا العيلة لبرّا وبعدين يفجروا البيت. فينا نقول من نص السبعينات ما في حدا. هلّق في ناس عم ترجع. كتير تدمرت بيوتهم. لكن في ناس عم ترجع. ونحنا بإذن الله رح نرجع.[٧٧]

لا يشعر الحاج أبو علي، الذي حجّ بيت الله الحرام مرتين، بأن بيروت يمكن أن تكون

---

(٧٧) POH. S/SH. No. 115 (231/T.89). Fatima ‘Ajami. Interview with author. Massacre area: Narrator’s house, July 13, 1984.

بديلاً من ضيعته الجنوبية بأي ثمن. ولا يدري لماذا ساقته الأقدار إلى هذه البقعة بالذات، وهو من الذين لا يفلسفون الأمور وإنما يأخذونها ببساطة؛ ولذلك كان محبوباً من الجيران.

ما أقفل بابه يوماً أمام أحد، وخصوصاً في تلك الليلة الأولى من المجزرة. فكل الجيران التجأوا إلى بيت الحاج أبو علي. لقد حمى ببيته أكثر من ثلاثين من جيرانه.

تقول ابنته فاطمة عن تلك الليلة:

قالت إمي قوموا نقعد تحت، يعني بالطابق الأرضي. لأنّو إذا صار شي فوق ما بيجي علينا. نزلنا لتحت. وحطّينا الغدا، وكانت الساعة شي أربعة بعد الضهر، ما كنا تغدينا بعد. وما لحقنا حاطين الصدر، والله العظيم، وبعدني عم بوزع خبز علينا، وممكن قول فتافيت خبز لأنّو كان الخبز خالص يومها، ما شفنا إلاّ قذيفة انفجرت قدّام الباب، أكيد قذيفة إسرائيلية. قمنا فتنا لجوّا نحنا. تصاوب عدة أشخاص من جيرانّا.

وغابت الشمس. وبدل الشمس كانت القنابل المضيئة غريبة الشكل. ونحنا صرنا عم نسمع صريخ وعياط، بس نحنا كنا مفكرين إنّو العالم عم تتصاوب بالضرب والقنص. ما حدا افتكر بمجزرة. ونحنا ما حسّينا إلاّ وكل الجيران صاروا عنّا. نحنا بيتنا مستقل عن غيره وفي إلو بوابة برّانية منسكّرها على حالنا. نحنا جيرانّا فلسطينية تخبّوا عنّا، جيرانّا عراقية تخبّوا عنّا، ولبنانية كمان، وفي عمال باكستانية إجوا تخبّوا عنّا، يا حرام ما بيحكوا كلمة عربي، وما في غير يقولوا "الله أكبر.. الله أكبر." وما قال بيّي لحدا ما تفوت. قام راح يجيب حرامات صوف ويقولهم: "اقعدوا ما تخافوا". ما في قرنة بالبيت ما كان فيها حدا، حتى بالحمامات تخبّوا الشباب.

هلّق نحنا شي الساعة عشرة بالليل، دقّوا علينا الباب، دقّوا كتير. نحنا ما فتحنا الباب. ما كنا نفتح. افتكرناهم فلسطينية فدائية بدهم يتخبّوا عنّا وبكرا بييجوا الإسرائيلية وبكمشونا كلنا. هيك نحنا افتكرنا. وقامت جارة مخباية عنّا فلسطينية فزعت يا حرام وقالت: "دخيلكم، اطبشوا البوابة، سكروها، أحسن ما يفوت فدائية لهون وبيعملوا قصة. دخيلكم ما تفتحوا الباب، هلّق إذا بفوتوا مسلحين وبدهم يتخبوا منروح كلنا معهم." إجا بيّي قلها: "ما تخافي يا جارتنا، هَيْني أنا رح اقعد على الدرج."

طول الليل أنا شايفة بيّي. قاعد على الدرج عم يبكي ويقرا قرآن. وكلنا صرنا نصلّي وندعي إنّو الله سبحانه وتعالى يخلصنا من هالحالة. وكل هيدا ومش عارفين إنّو في مجزرة برّا.. وإنها كانت واصلة للشارع اللّي حدنا تمام.(٧٨)

أمّا لماذا أمضى الحاج ليلته على الدرج، فهو يقول:

Ibid. (٧٨)

قعــدت أدعي للباري عز وجل، أقرأ أدعية، أتضرع لله سبحانه وتعالى، يا رب تبعدهم عننا. وقلت إذا إجوا بيلاقوني أنا أول شي، ببطلوا يفوتوا لعند اولادي وبيتركوا اولادي، يعنـــي بياخدوني إلي.. قعدت أنا ناطرهم. ولمّا دقوا كتير وما طلع ولا صوت مـــن بيتنا، يمكن افتكروا ما في حدا. يمكن. ما بعرف. يمكن ربنا بيْعدهم عننا. ونحنا ما سمعنا صوتهم أبداً. هنّي ما حكيوا أبداً. بس سمعنا الدق على الباب.

أنـــا بقيــت طـــول الليل صاحي. سامع برّا صريخ، وسامع اصوات وناس عم يقولـــوا إنّـــو عـــم يدبحوا. ولمّا قالوا عم يدبحوا ما عادش فيّ اقعد جوّا. قلت أنا خلّي الإســـرائيلية يقتلونـــي أنا، قبل ما يفوتوا لاولادي يقتلوهم قدّامي. قعدت على هاالدرج، صرت أدعي للباري عز وجل إنّو يحجب نظرهم عننا، والحمد لله، الله رحمنا.(٧٩)

بعـــد الطـــرق العنـــيف على الباب سحبت ابنة الحاج، فاطمة، أطفالها من فراشهم وخبأتهم تحت المجلى العريض، هناك مدّت الفُرش لهم فناموا بقية الليل. وقد تصورت أن لا أحد يخطر على باله أن ثمة أطفالاً تحت المجلى، فإذا دخل المجرمون يستطيعون قتلها، لكنهم لن يمسوا أطفالها. هكذا تصورت.

أمّـــا الحاجة أم علي، وهي التي رافقت زوجها إلى بيت الله الحرام في المرتين، فقد ســـمعت الأصـــوات فـــي الخارج، كما سمع زوجها، وعرفت أنهم يقتلون الناس، وكانت حيلـــتها للمحافظة على الصغار أنها أوصتهم في حال شعروا بأن أحداً سيقتحم البيت، بأن يســـارعوا إلى الاختباء في البركة على السطح. هناك ماء في البركة، صحيح، لكن أليس الاختباء في بركة ماء أسهل من مواجهة الموت؟

يا لها من ليلة.

أخـــيراً انبثق الفجر. اكتشفت أم علي أن سطح جارهم احترق خلال الليل من قنبلة مضيئة، كذلك بيت جارة أُخرى. وكان الشارع قد امتلأ بالجثث.

وكان لا بد من الهروب.(٨٠)

أهـــل حي فرحات جميعاً يذكرون الحاج أبو علي بكل الخير. فأمثاله حموا العشرات من الموت.

تاسعاً: مخيم شاتيلا ليلاً

اتضح لنا من البند السادس أعلاه، "المجابهة في حي الدوخي"، أن المقاتل "إبراهيم" ومعه

(٧٩) Ibid.

(٨٠) Ibid.

مجموعــة مــن "شباب الكلاشينكوف" استمروا في الليلة الأولى يعملون على إخراج الناس من بــيوتها فــي مخيم شاتيلا، وكانوا يعملون بهدوء. أمّا سكان المخيم، فكثيرون منهم عرفوا من طــرق أُخرى بأن هناك مجزرة، فهرعوا للخروج. وهكذا ما إن جاء صباح الجمعة حتى كان معظم السكان قد أصبح فعلاً خارج "الحدود".

لم تكن هناك أية قيادة ــ ولو قيادة محلية شعبية ــ وجدت من مسؤولياتها المباشرة أن تــبقى ســاهرة، ومــتابعة لكل ساعة، بل لكل دقيقة، منذ الحصار الإسرائيلى لمنطقة شاتيلا، والكل كان يعلم أن المخيم بالذات هو "الرأس المطلوب".

غــير أنه كان هناك أفراد شعروا بالمسؤولية، بحكم وجودهم في المنطقة، أو بحكم مشــاعرهم الوطنية وضميرهم الإنساني، فذهبوا إلى المخيم ليلاً لمعرفة ما يجري، وكي يعملــوا على مساعدة الغير ما استطاعوا. وتؤكد شهادات هؤلاء ما ورد سابقاً من إخلاء المخيم إخلاء شبه تام من الليلة الأولى.

كان علي أحد الشباب المقاتلين في حي الفاكهاني، وهو لمّا سمع شائعات عما يجري فــي شــاتيلا، كــان أيضاً أحد الذين حملوا سلاحهم وتوجهوا ليلاً إلى مخيم شاتيلا، نحو الثامنة مساء. وهو يقول:

> فــي عدة شباب نزلوا على أساس يشوفوا شو بدهم يعملوا، أنا واحد من الناس اللّــي كانوا معهن. لكن أنا في مخيم شاتيلا بعرفش أمشي لوحدي. يعني في زواريب. منشان هيك نزّلنا معنا شاب من المخيم، كان معنا في الفاكهاني، هو كان يمشي ونحنا ورا مــنّو. كان في عالم لسّا عم تطلع، نسألهم: "يا عمي شو في؟" يقولوا: "الإسرائيلية عم يرتكبوا مجزرة." وكل ما نقرّب شوي، الناس يقولوا: "لقدّام، لقدّام".
>
> قطعــنا المخــيم كلّو ما شفنا صوص مدبوح، ما في شي كان، ما مبين شي بعد. صــرنا على اخر المخيم، على الطرف التاني من المخيم، في اتجاه الدوخي، على طرف الدوخي، هلّق نحنا ما قرّبنا، أنا واحد من الناس اللّي ما قرّبت، لكن كان واضح إنّو هناك فــي اتجاه الحرش في إطلاق نار، وفي هرج باتجاه الحرش.. هلّق بهادا الوقت صار في إربــاك، الكــل مرتبك، ما حدا عارف شو بدّو يعمل، لا عارف يروح من هون، ولاّ من هون، ما حدا عارف شي، حتى الشاب اللّي كان معنا من المخيم بيعرفش شو في جوّا.
>
> نحنا رحنا ورجعنا. بصراحة ما صار معنا شى. ما قدرنا نعمل شى. وكل اللّى بقدر أكد عليه إنّو المخيم ما دار فيه أي اشتباك ولا أي مجزرة.[٨١]

---

(٨١) POH. S/SH. No. 135 (243/T.106). ‘Ali M. Interview by Khaled ‘Abadi. Beirut: Narrator’s house, November 2000.

أبو علي لم يكن مقاتلاً، ولم يكن يحمل سلاحاً، ولم يكن من سكان شاتيلا، لكنه كان في المنطقة ذلك اليوم بحكم عمله، قال إنه كان في إمكانه العودة إلى بيته خارج المنطقة من جهة مستشفى غزة، حيث يعمل، لكنه فضل البقاء للمساهمة في أي عمل، نظراً إلى الظروف غير الاعتيادية. هو من الذين مشوا في مخيم شاتيلا في الليلة الأولى، وشهد بأن المخيم كان شبه خال من السكان بعد العاشرة ليلاً. أمّا السؤال: من الذي حمى السكان هؤلاء؟ من الذي أوقف تقدم المسلحين المهاجمين عن التوغل في المخيم ليلاً، كما فعلوا في حي فرحات، أو في الحي الغربي؟ فيعتقد أبو علي:

> المقاومة المسلحة المتعارف عليها، ما شفناها أبداً، ما كانش فى اشتباكات. أبداً أبداً ما شعرنا إنّو فى مقاومة جدية.
>
> يمكن لمّا حمل محمد النابلسى الكلاشينكوف لحتى يخوّف المهاجمين، وهو ما بحياته قوّص على حدا، وأنا أكيد إنّو ظنهم شباب من المنطقة، ولمّا رشوا عليه رش وقتلوه على الحارك [في اللحظة نفسها]، ويمكن مجموعة الشباب الصغار اللّى كانوا عم يقوصوا عند قهوة همدر، وهدول نحنا كلنا شفناهم، وكنت شفقان عليهم من أي قذيفة تدهورهم، أنا بقول هدول يمكن منعوا المجزرة توصل لجوّا.
>
> المهاجم حتى لو كان صاحب مجازر ومدعوم بحماية إسرائيلية، لكنه أمام الخوف من المجهول بيفْضَل جبان.. طلقات الشباب كلهم من قلب المخيم بعد مقتل النابلسي هيّ اللّي خوّفت المهاجمين، وَلاّ ليش يوقفوا المهاجمين والإنارة المتواصلة خلّت الليل صار نهار؟
>
> ظنوا الميليشيات إنهم أكيد بكرا الصبح بكملوا، لكن تاني يوم الصبح ما عاد في المخيم حدا، اللّي بقيوا فيه رجعوا طلعوا من جهة قصر صبري حمادة، أو من جهة مستشفى غزة. ولمّا صاروا الميليشيات تالت يوم في مستشفى غزة نفسه، ما كان في حدا بقي في المخيم...[٨٢]

أسعد، شاب يعمل في مستشفى غزة، وهو من سكان شاتيلا، دخل المخيم مع شاب اخر يعمل في المستشفى مع جهاز الإسعاف والطوارئ، وكان معهما شخص ثالث كي يساعدهما في حمل الجرحى. دخل ثلاثتهم ما بين الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين والتاسعة ليلاً.

أسعفوا اثنين وجدوهما فى الطريق، واستمروا في السير. لا أثر داخل المخيم لأي مجزرة.

---

(٨٢) POH. S/SH. No. 110 (231/T.86), as above.

وصـــل أســـعد إلى بيته عند زاوية مخيم شاتيلا تماماً، حيث لا يفصله عن الشارع المـــؤدي إلى قصر صبري حمادة غير بيت واحد، ولا يفصله عن شارع شاتيلا الرئيسي غـــير شـــارع واحد. لم يشاهد أسعد أي أثر للمجزرة عند هذه الحدود، ولذلك استنتج أن المهاجمين توقفوا نهائياً في الليلة الأولى قبل مفرق الدوخي.(٨٣)

وكان استنتاجه صحيحا.

عاشراً: وانتهى اليوم الأول

- مـــا كـــان لهذا اليوم أن يبتدئ لولا التمهيد الإسرائيلي والحماية الإسرائيلية. وقد ابتدأ التمهـــيد بإشـــاعة جو كاذب من الطمأنينة، منذ إقامة الحواجز الإسرائيلية في منطقتي الأوزاعـــي وبئر حسن. أمّا منذ صباح يوم الأربعاء، منذ حصار منطقة المخيم بشكل مباشـــر، فقـــد ضاعف بعض الجنود الإسرائيليين إشاعة جو من الطمأنينة. وتناقضت محاولـــتهم هذه مع قيامهم عملياً، يومي الأربعاء والخميس، بقصف متقطع يجبر الناس علـــى البقاء داخل بيوتهم. وقد اشتد القصف منذ ظهر الخميس بشكل تصاعدي، الأمر الذي أجبر الناس على النزول إلى الملاجئ، حتى امتلأت كلها. وقد كانت الملاجئ هي الهدف الأول للمهاجمين.
- مـــا إن أوشك الظلام أن يرخي سدوله حتى ابتدأت مرحلة التعاون الإسرائيلي التام مع المهاجمين بواسطة إطلاق القنابل المضيئة بشكل متواصل، حتى تحول الليل إلى نهار. وقد أحرق بعض هذه القنابل الكثير من المنازل.
- لم يوقف الإسرائيليون قصف المنطقة إلاّ فترة وجيزة رافقت دخول المهاجمين من عدة مداخـــل. لكنهم سرعان ما عادوا إلى القصف بتقطع، مختارين الأماكن التي لا يوجد فيها المهاجمون. وبذلك استمروا في إجبار الناس على البقاء في الملاجئ، وإجبار من لم يلتجئ إليها بعد على أن يفعل.
- لـــم يكـــن المهاجمون يعرفون زواريب المنطقة، لكن هذه العقبة ذللت أمامهم بالإنارة المتواصـــلة، وبمساعدة جواسيس ملثمين رافقوهم، وبقيام الجرافات حتى بحفر الطرق منذ الساعات الأولى.
- نام بعض سكان مخيم شاتيلا وصبرا في الليلة الأولى وهو لا يعرف أن هناك مجزرة.
- لم يستطع البعض النوم لأنه كان يعرف أو يشعر بأن جرائم ترتكب في الخارج، لكنه لا يعرف أكثر من ذلك. فأقفل الأبواب. وما تجرأ أحد من هذا البعض على إضاءة شمعة.

---

(٨٣) POH. S/SH. No. 111 (243/T.87), as above.

- تمكـــن البعض من الهرب إمّا إلى المستشفيات القريبة ــ غزة وعكا ومأوى العجزة ــ وإمّـــا إلى السفارة الكويتية، وإما إلى ثكنة هنري شهاب، وإمّا إلى خارج المنطقة من جهة الشمال.
- أمّـــا الذين احتموا بالملاجئ على كثرتها، فكان مصير الكثيرين منهم القتل الجماعي، ومصير بعضهم الخطف. وأمّا من نجا منهم فقد نجا مصادفة.
- لـــم يميز القتلة بين لبناني وفلسطيني، لم يميزوا بين الجنسيات، كما أنهم لم يميزوا بين الرجال والنساء، ولا بين الأطفال والشيوخ.
- الكل كان هدفاً. ولا وقت للسؤال. أمّا حين تبرع بعض الناس للإيضاح بأنهم لبنانيون، فكان عقابهم الموت لأنهم ارتضوا البقاء مع الفلسطينيين.
- علـــى الرغم من سؤال المهاجمين عن "المخربين" في بعض الأماكن، فإن سلوكهم منذ دخـــول المـــنطقة كـــان يشير إلى أن المهمة لم تكن البحث عن "مخربين"، وإنما قتل الأحياء.
- كـــان أمـــام المهاجميـــن وقـــت كـــاف مـــنذ الساعات الأولى لا للقتل فقط، بل أيضاً للاغتصاب، وللسرقة، ولتعذيب الضحايا بمختلف الأساليب قبل قتلها.
- منطقة الحرش وما فيها من أحياء، كحي المقداد وحي فرحات، وما يقابلها خلف المدينة الرياضية، كحي عرسال والحي الغربي، بالإضافة إلى الشارع الرئيسي من تقاطعه مع شـــارع السفارة الكويتية إلى ما قبل قهوة على همدر بنحو عشرين متراً، كلها تحولت إلى ساحات للمجزرة في الساعات الأولى أو اليوم الأول.
- لـــم يدخل أحد من المهاجمين في الليلة الأولى مخيم شاتيلا بالذات، كذلك لم يصل أحد إلى منطقة صبرا بأكملها.
- قـــيل إنه لم يكن هناك وقت كاف للمهاجمين كي يدخلوا المخيم، لكن السبب الأهم هو المقاومـــة المحدودة التي جابهتهم، منها: تفجير مستودع الستوديو؛ المقاتل الذي تصدى لهـــم من حي الدوخي؛ القذيفة التي أطلقها شباب من جهة الشمال على منطقة الحرش فهرب المهاجمون.
- مع فجر يوم الجمعة كانت جثث الضحايا موزعة في منطقة شاتيلا كلها، باستثناء مخيم شاتيلا.
- عائلات بأكملها أبيدت في اليوم الأول.
- عـــرف فـــيما بعـــد أن عدد الذين قتلوا في اليوم الأول كان أكثر مما قتل في كل من اليومين التاليين. لكن العدد كان يمكن أن يتضاعف لولا خمسة عوامل:
    - □ تمكُّن الكثيرين من الهرب صوب الشمال، أو من اللجوء إلى المستشفيات.

- نجــاح المقاومـــة شبه العفوية، والمحدودة جداً في إمكاناتها، في إيقاف التقدم إلى داخــل المخيم. وما كان تفجير المستودع أساساً إلاّ دليلاً على محدوديتها، لا على قوتها.
- قـــيام الجـــيش اللبناني بمساعدة أهل المنطقة وإيواؤه المئات منهم، سواء إلى ثكنة هنري شهاب أو إلى السفارة الكويتية.
- إدراك القلة لأهمية إفراغ الملاجئ من البشر ومساعدتهم في الوصول إلى أي مكان أكـــثر أمـــناً. وقـــد ثبت أن مواقع الملاجئ كانت هدفاً معروفاً للمهاجمين، منها ما دخلوه وهم على شبه يقين من وجوده، ومنها ما دخلوه مصادفة.
- عـــدم إقدام بعض المهاجمين على جريمة القتل الجماعي أو الفردي. فقد ظهر منذ الليلة الأولى اختلاف وتناقض في سلوك المهاجمين، إذ كان سلوك البعض مختلفاً. فبيـــنما أقدمت الأكثرية على قتل كل إنسان أمامها، امتنعت الأقلية من قتل عائلات فلسطينية. لكن مثل هذه الحالات كان محدوداً، الأمر الذي يضعه في باب "الخروج عن القاعدة"، لكنه كان موجوداً.

الفصل الرابع

الجمعة ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢

مـــع صــــباح يوم الجمعة الباكر كانت التعزيزات قد وصلت إلى المهاجمين ودخلوا المنطقة.

ومنذ الصباح الباكر أخذت النداءات تسمع في كل شاتيلا: "سلِّم تسلم".

لكن لو استطاع أحد أن يمر بشوارع وزواريب منطقة شاتيلا بأسرها لاكتشف، من دون أي عـــناء، عدم صحة أن من "يسلِّم يسلم". فالطرقات والزواريب ملآنة بالجثث. أمّا الخـــائفون الذين امتلأت الملاجئ بهم فقد تمكن بعضهم من الهرب، غير أن العدد الأكبر قـــتل داخل الملجأ، أو أمامه، أو عند الحائط المواجه، أو في نهاية الزاروب؛ وهذا فضلاً عن ملاجئ بقيت مملوءة بالناس حتى الجمعة، فجابهت مصائر متعددة، كاليوم السابق.

إن أمكن القول إن ليلة الخميس كانت ليلة القضاء على نزلاء الملاجئ، لأمكن القول إن يوم الجمعة كان يوم اقتحام مستشفى عكا.

تطـــورت أساليب القتل، وما عادت جدران الموت وحدها تكفي، فكثر استعمال حفر الموت.

تطـــورت أساليب اقتحام الملاجئ أيضاً، فأكثر من ملجأ في هذا اليوم قضى من فيه حرقاً بقنبلة فوسفورية، أو قتلاً بالرصاص.

لـــم يتمكـــن المهاجمون في هذا اليوم من التقدم كثيراً نحو الداخل. لكن هذا لم يحل دون عملـــيات القتل الجماعي والفردي والتعذيب، التي ضاهت في هذا اليوم ما جرى في اليوم السابق.

يـــرد في أكثر من شهادة أن الإسرائيليين شاهدوا عمليات القتل الجماعي في الحفر، أو عـــرفوا عـــنها وعن غيرها من الأساليب الوحشية من شكاوى السكان لهم، وقد كانت ردات الفعل لديهم متناقضة. فمنهم من كان موقفه سلبياً للغاية، ومنهم من تدخل لمنع أكثر من عملية قتل جماعي.

فـــي هـــذا الفصـــل تكملة لروايات من الفصل السابق، أو اليوم السابق، وفيه عشر روايات جديدة تناولت كلها مآسي عائلات بأسرها، وكأن القضاء على العائلات هو الهدف

الأول لكل هذه الدوامة الدموية.

مخـــيم شـــاتيلا الصغير لم يتمكنوا من دخوله قط في هذا اليوم أيضاً. وهم حتى لو دخلـــوه لما وجدوا أحداً؛ ذلك بأن السكان كانوا في معظمهم غادروه خلال الليل. ومن لم يتمكن من ذلك، أو لم يكن قد عرف بعد بحدوث مجزرة، فقد غادره مع الصباح من جهتي الشمال والشمال الشرقي.

قـــيل إن إسرائيل طلبت من القتلة الخروج نهائياً يوم الجمعة، لكن الطلب ـ إن حدث ـ لم يلاق استجابة لا من القتلة أنفسهم، ولا من القوات الإسرائيلية المحاصِرة للمنطقة، وهي التي كانت تستطيع عملياً إخراجهم.

أولاً: شاتيلا ما بين الخامسة والسابعة صباحاً

قال أبو جمال، وهو فلسطيني يملك كاراجاً لإصلاح السيارات:

> يـــوم الخميس ما وصلوا لمخيم شاتيلا أبداً، منقدر نقول وصلوا لمنتصف شارع شاتيلا الرئيســـي مش أكتر. وصلوا آخر شي تقريباً على حدود محل بيقولولو محل الدوخي، وهو ببيع بالجملة والمفرق. والدوخي صاحب المحل قتل ليلة الخميس، الله يرحمه.(١)

صـــاحب الشهادة أعلاه هو كما ذكرنا صاحب كاراج يقع في منتصف شارع شاتيلا الرئيسي إلى يمين الطريق للمقبل من شارع السفارة الكويتية. وهو لا يسكن شاتيلا، لكنه يعـــرفها حجراً حجراً بحكم عمله فيها منذ الستينات. وقد اكتشف حين سمح للناس بالعودة لـــتفقد بيوتهم ومحلاتهم أنهم دمروا واجهة كاراجه المحكمة البناء، كما وجد أمام الكاراج العشرات من القتلى.

ما قاله صاحب الكاراج أعلاه، بناء على ما سمعه من اخرين، جاء في شهادات عن صباح الجمعة بناء على الرؤية بالعين المجردة.

كان التصوير والمصورون والصحافة والصحافيون من الأمور الممنوعة حتى يوم الســـبت إلى ما بعد خروج القتلة. ولكن.. من قال إن عدسة آلة التصوير أكثر صدقاً من عين الإنسان؟

هناك خمس شهادات عن صباح الجمعة ما بين الساعة الخامسة والسابعة، تصور لنا شاتيلا في بانوراما حسية من خلال عين الإنسان وذاكرته.

الشهادة الأولى لإحدى اللواتي خطفوهن من الملجأ في الليلة السابقة وأعادوهن إلى

---

(١) POH. S/SH. No. 44 (231/T.44). "Abu Jamal". Interview with author. Beirut: Outside talk all through Shatila main street, March 19, 1983.

الأوزاعـــي (راجع الفصل الثاني أعلاه، بند "المسيرة النسائية...")؛ فقد عادت ثنيا تبحث عن زوجها، من دون أن تعلم أن هناك مجزرة قد حدثت. وهي مرت من أمام كاراج أبو جمال وشهدت أن واجهته لم تكن صباح الجمعة قد دمرت بعد. وهي تصف ما رأت:

> السـاعة ستة ونص الصبح، ما كان في دومري واحد بشارع شاتيلا الرئيسي، ولا صوص شفنا أبداً. بتتمنى تشوفي واحد ماشي بالشارع لكن ما فيش حدا. أنا مشيت ووصلت لكاراج أبو جمال بنص الشارع ما كانش لسّا بالمرة مدمَّر أبداً أبداً. ما بعرف إيمتى رجعوا دمروه، لأنّو بعدين لمّا خلص كل شي شفناه مدمَّر.
>
> .. هنّي بس سمعوا صوت سيارة عم تدور صاروا ينزلوا من فوق [تقصد حي عرسال] ومن أول الحرش، من أكتر من محل، وشو تلاقيهم متل النمل، وبلّشوا يرشوا علينا ويقولولنا: "لوين جايين يا عكاريت يا شراميط لوين جايين؟"
>
> خـبّرناهم إنّـو نحنا أخدونا ونيّمونا بالأوزاعى، وإنّو نحنا طلبنا إذن من مسيو نديم بدنا نروح نجيب حليب لاولادنا. إلاّ بقول واحد: "... أختكم على أخت اللّي بعتكم يــلاّ على القيادة. يلاّ امشوا." قاموا مشيوا حوالينا طابور من هون، وطابور من هون، وإحـنا بالـنص راحوا سايقينا، واللّى بتتأخر لحظة، يا يلبطوها برجليهم، يا يضربوها بكعب البارودة.
>
> ونحـنا بطريقنا على القيادة بعد السفارة الكويتية لصوب البحر، والساعة بعدها مـا صـارت سبعة، مرّينا من حد الملجأ مطرح ما كنا، يعني مطرح ما أخدونا الليلة اللّـي فاتـت، ولا اسـترجينا نتطلّع، لا والله، لأنّو اللّي بتتطلّع هيك وَلاّ هيك يقولولها تطلّعى قدّامك وما تتلفتى لا هيك ولا هيك. لكن شو بدنا نقول، من غير ما نتلفت شفنا الـناس ملقحـة على الطرقات. لقينا إم محمد، إمها لإم حسين، بجنب بيت أبو عفيف، شـفناها طابّة طبّ على بطنها، وكاينين طاخينها.. وعند بيت أبو بسام كاينين هيّ [أم بسام] واولادها هدول كمان طاخينهم هناك على عتبة بيتهم .. هادا الجرف ما كان في جـرف بعد للبيوت هناك ولا دمار ولا شي بالمرة. كانت البيوت اللّى مرّينا عليها كلها بعدها واقفة.[٢]

الشـهادة الثانية لامرأة أُخرى شاركت في مسيرة الخميس النسائية، وقد كانت هي وأمهـا مـن اللواتـى اختطفوهن وأرجعوهن إلى الأوزاعي (راجع الرواية السابعة: "من الملجـأ إلى سيارة الشحن"). وقد كان لهذه المرأة مع نساء أُخريات تجربتهن في محاولة

---

(٢) POH. S/SH. No. 32 (232/T.31). Thunaya B. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, March 3, 1983.

العودة إلى شاتيلا صباح الجمعة. وهي تقول:

الساعة خمسة، أول الضو، قامت واحدة لبنانية نطّت وقالت: "إنتو فلسطينية روحوا لحالكم وإحنا بدنا نروح لحالنا، هلّق إذا شافوكم معنا بيقتلونا وبيقتلوكم. خلّيكم إنتو. إحنا اللبنانية بنروح أول شي، وبعدين إنتو بتروحوا يا فلسطينية."

لكن نحنا ما رضينا معهم. رحنا نمشي. هنّي يمشوا بجهة وإحنا نمشي بجهة. والاولاد الصغار يا حرام يركضوا قدّامنا.

جينا من الأوزاعي على بير حسن، ضلّينا ماشين لحد ما وصلنا على ثكنة هنري شهاب. شفنا جيش لبناني، سألنا واحد: "وين رايحين؟" قلنالو: "كنا متخبين من القصف وجينا هلّق مروحين على البيت. في شي؟" قال: "لأ. ما في شي." بعد شوي في واحد عسكري لبناني تاني كان رايح يطلع بسيارة، قام وقف ورجع سألنا: "إنتو وين رايحين؟" قلنالو: "إحنا رايحين على بيوتنا في شاتيلا، في شي؟" قام العسكري قال: "إصحى تروحوا لهونيك، ما تروحوا على صبرا وشاتيلا. بتموتوا إذا رحتوا. ارجعوا أحسنلكم."

نحنا صدقنا كلامه، لكن قلنا بدنا نروح نفادي بأرواحنا أحسن ما نبقى محلنا ويقوموا ييجوا ويدبحونا.

رحنا ومشينا حتى أول شارع شاتيلا، وكنا بدنا نقطع من عند تمثال أبو حسن سلامة لمّا بلّشوا يقنصوا علينا ويضربوا قذايف علينا.

الله نجانا. وكمّلنا نمشي.

نحنا لمّا قرّبنا على الحرش، وبعدين قرّبنا على المخيم، ما في حدا بالمخيم، ولا حدا ولا حكي ولا شي. وين بدنا نروح؟ إحنا قلنا لنروح على مستشفى عكا، ما أنا وإمي منشتغل بعكا، وصرنا نركض واحدة ورا واحدة على عكا، والقنص لاحقنا وشغّال، ولمّا وصلنا المستشفى كانت الساعة تقريباً سبعة الصبح.(٣)

الشهادة الثالثة للدركي اللبناني الذي ذكرنا سابقاً أنه كان أحد المسؤولين عن حماية السفارة الكويتية، وقد سارع هو وزملاؤه إلى حماية كل من التجأ إليها من السكان. كان الدركي يقف صباح الجمعة الباكر أمام السفارة لمّا أمسكت به امرأة فلسطينية وهي تصرخ: "عم تقتلونا!! عم تقتلونا !!" لم يصدق ما سمعته أذناه، فقالت له: "تعال معي". وأخذته فعلاً إلى أول مدخل المخيم من شارع السفارة نفسه. وهو يصف ما رآه:

في الشارع الكبير أمام كل بيت خمس أو ست جثث. أنا طلعت لشوف الحي

(٣) POH. S/SH. No. 46 (234/T.47). Sa'ida D. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 22, 1983.

الفوقانـــي، كـــل بيت في كمان خمس أو ست جثث. وكان واضح إمّا بكواتم صوت أو ســـكاكين أو حـــرق. وعلـــى أول مدخل المخيم من فوق في بنت أربعة عشر سنة أو خمســـة عشر سنة، شايلين صدرها بسكين، ومع رصاصة في وسطها. ما كانت ماتت بعـــد. هاي أخدها الصليب الأحمر في أول مركز في مار مخايل، واللّي حملوها لعندو كانوا اتنين من العسكر.

وشـــفت رجّـــال مقتول على كرسي. كاينين مربطينه، وضاربينه بالبلطة على راسه. كانت القوات موجودة في اخر الشارع، ومعروفة من تيابها الخضرا.(٤)

الشـــهادة الرابعة للمقاتل الفلسطيني "إبراهيم"، الذي أدرك استحالة المجابهة بالسلاح من الليلة الأولى فراح ينقذ من يمكن إنقاذهم من المحتمين بالملاجئ (راجع الفصل الثالث، البند السادس، فقرة "إنقاذ من في الملاجئ")، وشهادته عن صباح الجمعة تتوافق مع شهادة الدركي أعلاه. فهو يقول:

صـــباح يـــوم الجمعـــة، نزلت وتغمقت داخل المخيم لغاية معسكر الأشبال أنا وأربع شباب، فوجدنـــا جـــثة شـــاب إسمه جمال بركة، وهادا كانوا قوّصوه من بعيد، ركض من الشارع الرئيسي لبين الزواريب لغاية ما وقع. ما فيش مين يشيله. أخدناه وبعتناه على مستشفى غزة .. واللّـــي اتضـــح إنّو جرافات كانت تهدّم البيوت فوق الناس اللّي كانوا يقتلوهم.. وما تسأل عن الناس المقتولة في الشارع الرئيسي بشاتيلا وفي الزواريب اللّي دخلناها في الحرش.(٥)

الشـــهادة الخامسة لأم أكرم، التي كانت "أولى الباحثات عن الضحايا" (في الرواية التاســـعة عشرة)، فهي أخذت منذ الساعة الخامسة صباحاً تبحث عن أولادها. لم تجدهم، لكـــنها استمرت تمشي في الأزقة، تمشي ولا تيأس من البحث. وما أعياها عن الاستمرار سوى الخوف من السقوط مغشياً عليها وليس هناك من مسعف.

هكذا وصفت أم أكرم شاتيلا المنكوبة ما بين الخامسة والسابعة صباحاً من يوم الجمعة:

مـــن أول الشارع أول الزاروبة، يعني من أول ما نفوت من عند بيت أبو أحمد لنوصل عند بيت أبو أسعد لعند رشيدة لفوق، شفت شي ميّي وخمسين جثة. هدول غير اللّـــي بالملجـــأ. والزواريب مليانة قتلى. يعني كنت على أي جنب أتطلّع ألاقي خمسة ســـتة، وأنا ماشية مش واعية على حالي كيف ماشية. يعني شفتو الزواريب اللّي بتنفّد

---

(٤) POH. S/SH. No. 120 (247/N.25). I. Q. Interview with author. Beirut: Author's house, August 1986.

(٥) POH. S/SH. No. 116 (239/T.90). "Ibrahim". Interview by Q. Massacre area: Narrator's house, August 1984.

على مستشفى عكا في الحرش، هاي كلها مشيت فيها، أطلع بزاروب وأفوت بزاروب، وكـــل زاروبـــة أفوت فيها، فيها قتلى، وبعدين منهم من حلاة ارواحهم يكونوا داحشين حالهم تحت طنابر الكاز، وهيك يا حرام وأنا مارة من حد رشيدة، هناك فى طنبر كاز كان في تحته ست اشخاص زلام داحشين حالهم، هنّي حاطينهم، هنّي مجمعين جثتهم، هنّي من حلاة روحهم تجمعوا على بعض، ما بعرف.

رح قلبـــي يسقط خاصة عند زاروبة الدوخي، هناك كلها اطفال، وأغلبها نسوان كلهـــا بالشـــارع وبالزواريب مقتولة. هلّق وين الدوخي، فيش زاروبة بتطلع لفوق، أنا وصلت لنص الزاروبة اللّي بتطلع لبيت موسى، لكن لمّا شفت قتلى كتير صرت أحس الدنيا كلها بتقلب، وما عدت أقدر أمسك أعصابي من كتر الشوف اللّي شفتو. ورجعت قلـــت بركي يصيرلي إشي من الدوخة ومن الشوفة اللّى شفتها. رجعت وضلّيت رايحة على مستشفى غزة دغري، ما كمّلت.

لكن فتكم بالحكي. كان في بحي عرسال الناس الميتة مكدسة فوق بعضها البعض، وكـــان واضـــح إنّـــو الجـــرافات كاينة تجرف وتكوّم العالم. أنا شفت أثار الجرف على الطـــريق. وأنا تطلّعت على بيوت بعرفها لكن ما لقيتها. يعنى شفت بيوت لحقوا هدموها وجرفوها بليلة واحدة فى عرسال. كان القتل والجرف يمشي مع بعضه البعض.(٦)

تقـــول أم أكـــرم أنها سمعت نداء مكبّرات الصوت "سلّم تسلم"، وأنها أرادت أن تذهب لتسلم نفسها كي تجد الأمان، وتضيف أنه كان معها عشرة أشخاص من نساء وشبان وأولاد، وقد هيأوا أوراقهم ليسلّموا أنفسهم جميعاً، لكن جاء ابن أختها قاسم وهمس في أذنها:

لأ، مـــا تروحـــيش أبداً. شو بدّك يا خالتي من هاالشغلة. هاي كلها خدعة يا خالتي، ما فـــي تسليم ولا إشي، عم ياخدوا الناس على المدينة الرياضية وبيقتلوها هناك. إسمعى منى يا خالتى.(٧)

عملت خالته بما قال. لم تذهب، ولم تعلم إن كان الآخرون ذهبوا. فيوم الجمعة كان كيوم الحشر.

* * *

تأكـــيداً لشـــهادة هـــند في الحي الغربي (راجع الرواية الثالثة)، من أنها شاهدتهم يشقون طـــريقاً جديداً يبدأ من خلف المدينة الرياضية نزولاً إلى حي عرسال، قالت امرأة فلسطينية في

(٦) POH. S/SH. No.19 (249/T.22). H. Sh. (Um Akram). Interview with author. Beirut: Author's house, February 24, 1983.

(٧) Ibid.

شهادتها عن قبل ظهر يوم الجمعة وهم يسوقونهم إلى المدينة الرياضية:

> وشفنا الجرافة عم تشق طريق من المدينة الرياضية للمخيم، وكانوا يحطّوا في الطريق حصـــى حــتى يقدروا يمروا عليه. وكان واضح كتير إنّو شق الطريق ابتدوا فيه قبل صباح الجمعة.(٨)

كذلــك قالت امرأة فلسطينية من اللواتي مشين على الدرب نفسه مرغمات تحت الحراسة فى اليوم نفسه، والمسيرة نفسها، من شارع شاتيلا الرئيسي نحو المدينة الرياضية، مروراً بحي عرسال:

> كانــت الجــرافة تهدم البيوت وتغطي القتلى بالتراب. وكان هناك اتنين رجال يحملوا القــتلى وينقلوهم لحفرة كبيرة. ما كانوا منهم. بيعرفوهم ناس كانوا ماشيين معنا. ولمّا خلصوا من نقل الجثث، كافأوهم راحوا قتلوهم. يا ويلهم من الله.(٩)

مــن خــلال المقارنة بين الشهادات الخمس الأولى عن صباح الجمعة الباكر، وبين الشــهادتين اللاحقتين في أثناء المسيرة بالإكراه نحو المدينة الرياضية، فى الضحى، يبدو واضحاً أن عملية جرف البيوت لم تتم في ليلة واحدة، وإنما كانت عملية مستمرة.

فــي الشــهادة الأولــى قالت ثنيا إن البيوت التي شاهدتها في الطريق نحو السفارة الكويتــية كانــت لا تزال قائمة كما هي، وإن هذه البيوت نفسها قد جرفت فيما بعد، بينما قالت أم أكرم في الشهادة الخامسة عن حي ملاصق هو حى عرسال إنه بدا لها واضحاً أن القــتل والهــدم والجــرف كانت عمليات تتم الواحدة في إثر الأُخرى خلال الليل؛ وأكدت امــرأتان فلسطينيتان فى الشهادتين الأخيرتين، عن حى عرسال نفسه بعد ساعات، أنهما شــاهدتا في أثناء سيرهما بالإكراه مع مجموعات من السكان نحو المدينة الرياضية، كيف كانت الجرافات تعمل على الهدم والجرف أمامهم جميعاً.

"شاتيلا الكبرى" كانت معالمها تتغير ما بين مساء وصباح، وما بين ساعة وأُخرى. هناك جرافات تعمل، وبيوت تهدم، وجثث تبتلعها الجرافات.

ثانياً: المهاجم والمدافع

من هم هؤلاء المهاجمون؟

---

(٨) POH. S/SH. No. 69 (231/T.63). Shahira Abu Rudaineh. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 30, 1983.

(٩) POH. S/SH. No. 65 (241/N.10). 'Aisha K. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 24, 1983.

من هي تلك الميليشيات التي اقتحمت شاتيلا؟

الإجابــة عن هذا السؤال لا تكتمل من خلال هذا البند وحده، بل هي عبر صفحات الكتاب كله، وهي الإجابة التي ابتدأت في الفصل السابق بالحديث عن "الميليشيات المسلحة على أبواب شاتيلا"، واستمرت في الفصل نفسه عبر "شهادات عن اقتحام المداخل الجنوبية والغربــية"، وستستمر حتى الصفحات الأخيرة. وما هذا البند سوى تكملة لما ورد سابقاً، وهو يتناول أوضاع المهاجمين ما بين الليلة الأولى والصباح الأول، وأوضاع المدافعين.

وصــف جــندي إســرائيلي المهاجمين لمراسل جريدة "جيروزالم بوست"، أبراهام رابينوفيــتش، ساعة اقتحامهم المخيم عند غروب الخميس، فقال إنهم وإن كان يبدو عليهم أنهم متهيئون لمعركة، لكن طريقة تشكيلهم لم تكن كذلك، إذ كانوا منسقين أكثر مما يجب فــي مجموعــات. وقــد قال أحدهم أمام الجميع بتبجح: "نحن سنقتل المخربين". أمّا بعد دخولهم شاتيلا، فقال الإسرائيلي المتحدث أنهم لم يسمعوا أصوات تبادل إطلاق نار سوى لفترة قصيرة في البداية.(١٠)

قــال جنود اخرون للمراسل نفسه إنه في أثناء الليل جاء ميليشيوي منهم إلى أقرب موقــع إسرائيلي، وطلب حمالة لنقل رفاق لهم مصابين. سأله أحدهم عما يجري، فأجابه بأنهم قتلوا حتى الآن مئتين وخمسين مخرباً. وما إن غادرهم حتى ضحكوا جميعاً، وعقبوا علــى كلامــه بأنــه كان يعد المدنيين، من دون ريب، ذلك بأنهم ما كانوا يسمعون تبادل إطلاق رصاص.(١١)

ذكــرت مجلــة "تايم" أنه كان هناك مقاومة لكنها متفرقة. وأشارت إلى المهاجمين بقولها "رجال حبيقة"، وقالت إن هؤلاء طلبوا من الإسرائيليين المزيد من الإنارة، والمزيد مــن القصف المدفعي، ثم عادوا فطلبوا المساعدة لنقل المصابين لديهم. ومع فجر الجمعة تسـلم رئيســهم، إيلــي حبيقة، الإذن في استقدام كتيبتين إضافيتين (لكنه ثبت فيما بعد أن إحداهما فقط قد استُعملت).(١٢)

مع فجر الجمعة أيضاً أدخل المهاجمون جيبات وآليات بينها جرافات. وقد قال جندي

---

(١٠) Abraham Rabinovich, "IDF fired Flares to light Camps for Phalangists," *Jerusalem Post*, September 22, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile, September 1982* (New York: Claremont Research and Publications, 1982), p. 25.

(١١) Ibid.

(١٢) William E. Smith & Robert Slater (in Jerusalem), William Stewart (in Beirut), "Crisis of Conscience," *Times,* October 4, 1982, as cited in *The Beirut Masssacre: Press Profile...,* op. cit., p. 89.

إسرائيلي من الذين راقبوا المشهد، أنهم ظنوا أن الجرافات هي لهدم البيوت، لكنهم علموا فيما بعد أنها كانت لدفن الجثث.(١٣)

واحد من هؤلاء المهاجمين لم يكن من "رجال حبيقة"، كما أطلقت عليهم مجلة "تايم". كـان، كما عرّف عن نفسه لمجلة "دير شبيغل"، من النمور الأحرار، لكنهم جميعاً ـــ كما قـال ـــ لبسـوا اللـباس الكتائبي الرسمي. وقال أيضاً إن أكثر من اثنى عشر إسرائيلياً انضـموا إلـيهم باللـباس الكتائبـي الأخضر منذ يوم الأربعاء، يوم تجميعهم وإعطائهم التعلـيمات فـي وادي شحرور القريب من بيروت، وقد وصف هؤلاء الإسرائيليين بأنهم كانوا يتكلمون العربية بطلاقة مع استثناء حرف "الحاء" الذي يلفظونه "خاء". ولم ينس أن يذكر ما شرحه لهم الضباط:

> الأصدقاء الإسرائيليون الذين سيرافقونكم هم أيضاً سيذهبون بحرية قرارهم، ومن غير علم جيشهم، سوف يسهلون عليكم المهمة.(١٤)

أُعطي المهاجمون تعليمات أهمها أن كل شيء يجب أن يتم بهدوء، ولذلك يجب استعمال الحـراب والسـكاكين، وعدم إطلاق الرصاص إلاّ عند الضرورة، خشية أن يتنبه السكان لما يجري!! وكان من أهم ما قيل لهم إن كل شيءَ يجب أن ينتهي في ثلاث ساعات فقط !!(١٥)

غير أن الساعات الثلاث امتدت إلى أيام ثلاثة.

لماذا؟ وكيف؟ هذا ما ستظهره الأحداث ساعة بعد ساعة.

معَ صباح الجمعة، كان المهاجمون على أتم استعداد لاستكمال المهمة: منهم من كان ذهب ليلاً بالشاحنات ليستريح في بلدة الحدث بضع ساعات، كي يعود بعدها صباحاً، وقد عـاد؛(١٦) ومـنهم من كان وصل مع الأفواج الجديدة لتوه مع ضوء الصباح الباكر؛(١٧) ومـنهم مـن أمضـى الليل على أرض المجزرة، يستكمل مهماته التي يسمح بها الليل.. وسوف تعرف هذه المهمات فى الفصل السادس، وهو فصل "القاتل والضحية". فمع البحث عـن الضحايا الذين وجد أقلهم وتم التعرف عليهم، والذين اختفت معالم معظمهم، وُجدت مخلفـات للمهاجميـن على أرض المجزرة، وأمام البيوت، وعلى الطاولات، وحتى على الجدران، وهي تدل على مهمات المهاجمين الليلية.

---

(١٣) Rabinovich, op. cit., p. 25.

(١٤) "Jeder von euch ist ein Racher: Ein Libanesischer Milizionar uber seine Taten beim Massaker von Beirut," *Der Spiegel*, February 14, 1983, p. 112.

(١٥) Ibid.

(١٦) Ibid., p. 113.

(١٧) Smith and others, op. cit., p. 89.

تلك هي الصورة المرئية لهم. أمّا الصورة غير المرئية، فهي أن هؤلاء ما كانوا أشباحاً، وإنما كانوا مقاتلين ينتمون إلى قيادات لبنانية محلية، وكانت تلك القيادات المحلية تأتمر بأوامر القيادة المحاصرة لصبرا وشاتيلا، وهي قيادة الجيش الإسرائيلي.

كانت "بيروت الغربية" كلها قد أصبحت تحت الاحتلال الإسرائيلي.

كان كل ما يحتاج إليه المهاجمون لإنجاز مهماتهم التي أعلنوها، والتي لم يعلنوها، يصل إليهم عبر القوات المحاصِرة لتلك المنطقة الشعبية المعروفة بمخيمات صبرا وشاتيلا.

وإلى ماذا كان المهاجمون يحتاجون؟

إلى المزيد من: الإنارة؟ وإحكام الحصار؟ وتأمين المداخل والمخارج لهم؟ والقصف المدفعي على غيرهم؟ والشاحنات؟ والآليات؟ والجرافات؟ والذخيرة؟ والطعام؟ والمشروبات؟

كل هذا كان مؤمناً إلى الحد الذي يطلبونه، لكن أيضاً إلى الحد الذي يبعث على التساؤل: ماذا بقي للمهاجمين كي يفعلوا سوى استعمال السلاح؟

ومن المهاجمين إلى المدافعين.

من كان هؤلاء المدافعون الذين يفترض أنهم في الجانب الآخر؟

لن أناقش هنا شائعات آلاف المقاتلين!! أترك تلك الشائعات كي تدحضها الوقائع عبر الصفحات.

ولن أستعيد ما مر معنا في الفصول السابقة عن كيفية تجمع هؤلاء المدافعين، الذين لم يتعد عددهم العشرات، والذين كان معظمهم من سكان المنطقة، هرع كل منهم إلى أقرب قطعة سلاح للتصدي للقوات الإسرائيلية المحاصِرة، ولا كيفية جمعهم للسلاح في اللحظة الأخيرة.. وإنما أكتفي بالمقارنة بين المهاجم والمدافع على صعيد القيادة.

هذا المدافع الذي يسكن صبرا وشاتيلا، والذي ينتمي فكرياً ووجدانياً إلى الثورة الفلسطينية، سواء أكان فلسطينياً أم لبنانياً، كان في تلك الأيام الضائعة بلا قيادة على مختلف المستويات؛ كان لا تربطه أي رابطة بالقيادة العليا في الخارج، فحتى أجهزة الاتصال انقطعت نهائياً؛ وكان كذلك لا تربطه صلات بمن تبقى من أعضاء قيادات الفصائل الفلسطينية، الذين يفترض منطقياً أن يكونوا ما زالوا في لبنان، وخصوصاً في البقاع والشمال (من دون أي خرق لاتفاقية فيليب حبيب الشهيرة)، فالأوضاع لم تسمح لأحد كي يتصل بأحد. وهكذا، كان على من حوصر داخل صبرا وشاتيلا أن يتحمل وحده مسؤولية ما يقرر، وما يفعل.

غير أنه لم يكن هناك قيادة محلية مسؤولة عن أمن المخيم، وعن أمن جوار المخيم. كان هناك فقط مكاتب محلية، يتبع كل منها جبهة ما أو حزباً ما. كان بعض هذه المكاتب مقفلاً بشكل نهائي، وبعضها أضحى منذ خروج المقاتلين الفلسطينيين يفتح يومياً، فيأتي

إليه من تبقى من أعضائه، كي يتداولوا الشؤون العامة، لا أكثر ولا أقل.

من الأحياء الأربعة التى شهدت تصدياً للقوات الإسرائيلية، ولو محدوداً، كان هناك اثـنان حمـل فـيهما الشباب سلاحهم من دون أن يتوفر لهم قيادة أو مكتب أو مسؤولون يرشـدونهم ويقودونهم، كما مر معنا في كل من حي الفاكهاني وحي الدوخي، بينما تميز حـي فـرحات بوجود مكتب للجبهة العربية، وحي الحرش بوجود مكتب للجبهة الشعبية. وهكـذا وجـد الشباب في كل من هذين الحيين مكتباً مفتوحاً في إمكانهم أن يقرعوا بابه ويطلـبوا قطعـة سـلاح للدفاع عن عائلاتهم، وعن بيوتهم، في وجه القوات الإسرائيلية المحاصِرة.

انـتهى يـوم الخمـيس، وانتهى معه القتال في كل من حي فرحات وحي الحرش. وخرج المسؤولون في كل من مكتب الجبهة العربية ومكتب الجبهة الشعبية على أمل اللقاء فـي الـيوم التالي، كما علمنا سابقاً. كان قرارهم ذلك نابعاً من الصعوبة الفائقة في قتال القوات الإسرائيلية ليلاً، والتي لم يكن متوقعاً منها غير القصف المدفعي.

غير أنه كان هناك هجوم للمشاة ليلاً، من زاروب إلى زاروب، ومن بيت إلى بيت. ولـم تكن القوات الإسرائيلية هي التي هاجمت ليلاً، فمن طبيعة تلك القوات أنها لا تقتحم مخيمات فى الليل، بل تترك مهمات كهذه لآخرين سواها.

يصـعب القـول إنـه كان هناك دفاع تصدى لهؤلاء الآخرين المهاجمين في الليلة الأولى، باستثناء إطلاق النار من جهة حي الدوخي عليهم لمدة ربع ساعة، أو أقل، عندما استمر مقاتل شجاع يطلق نار بندقيته، حتى نفدت ذخيرته.

طوال الليل راح هذا المقاتل ومن وجد حوله من شباب شجعان يحرسون المخيم.

لكن ماذا عن يوم الجمعة؟

مـاذا عن تصدي من تبقى من مدافعين ليس هناك من يساندهم، في وجه مهاجمين سـفاحين ومدعوميـن مـن قوات عسكرية محاصِرة، تابعة لجيش يصنف بأنه أقوى قوة ضـاربة في الشرق الأوسط، وهي تلك القوات نفسها التي طمأنت الناس على أرواحهم، وادعت أنها جاءت لحمايتهم؟

هل صحيح أن المجابهة ما كادت تبدأ حتى كان الانسحاب؟

ثالثاً: انسحاب المدافعين

كمـا كان لكل حى من الأحياء الأربعة التي تصدت للقوات الإسرائيلية يوم الخميس بداية تختلف عن بداية غيره من الأحياء، كان كذلك لكل حي نهاية تختلف.

ووفقاً للتتابع السابق نفسه في بداية التصدي، نعود لمعرفة النهاية.

أ ــ حي الحرش

المجموعـــة التـــي تصدت في منطقة الحرش للإسرائيليين نهار الخميس، كان قسم منها غادر إلى خارج منطقة شاتيلا كلها، بينما بقي قسم اخر في الداخل. وكان القرار بعدم التصدي للمدفعية الإسرائيلية ليلاً ناجماً عن الصعوبة الفائقة في ذلك، إن لم نقل الاستحالة. وكان أقصى توقعات هؤلاء المقاومين استمرار القوات الإسرائيلية في القصف المدفعي.

مـــا كاد صباح الجمعة ينبلج حتى كان أبو الرائد ومجموعته الصغيرة، المؤلفة من الأربعة الذين بقوا معه داخل مخيم شاتيلا، يتسللون بحذر لمعرفة ما يجري. وبالقرب من مكتـــب الجـــبهة الشعبية، رأوا امرأة مغطاة بالدم، فسألوها: "شو في يا خالتي؟" قالت لهم بصوت مقهور: "الإسرائيلية عم بدبحوا، هون على مدخل شارع شاتيلا."

صُدم الشباب. "الإسرائيلية عم بدبحوا..."! شيء لم يتوقعوه.

يتحدث عن تلك اللحظات أبو الرائد:

"شو يا شباب؟"

هلّــق صـــار فـــي نوع من اللخمة. عم يدبحوا، عم يقطعوا بالسكين، عم يقتلوا بالـــبلطات.. بديـــش قلّك دب الخوف، لأ، بس كانت صدمة. ما حدا متوقع إنّو يصير مجازر. ما حدا متوقع إنّو يقتلوا المدنيين. وهيك، بهاالطريقة؟

"ولك شو يا شباب، منقاتل؟"

قالوا: "بدنا نروح لعندهن"، والله العظيم.

نحـــنا كـــنا لسّا داخل الحرش، قريب من مكتب جبهة النضال، ولمّا صرنا ورا بيتـــنا، تحت شباكنا، في مَرَه إسمها إم جعفر من مجدل زون، هيّ بيتها بعيد عن بيتنا عشـــر امـــتار، بيتها بضهر بيتنا، كانت هيّ وبنتها ملقوحين على الأرض، هيّ طاسة راســـها قابعيـــنها مع عيونها مع الشعر، وبنتها، بفتكر بنتها، لأنّو ما كان فينا نشوف معالم وجهها، وأنا بعرفها منيح، كانت مقتولة يا حرام نفس الشي..

هلّــق لحـــد هااللحظـــات ما شفنا إسرائيلية، بس تأكدنا إنّو القصة صايرة، فى مدبحـــة صـــايرة، وبعدها مستمرة. وفي كمان بيت مهنا، كانت الإم وبنتها، وعلى ما أذكر إبنها كمان.. مضروبين ببلطات بطريقة بشعة، مقتولين..

كمّلـــت أنا وشابين.. ما ضلّينا مع بعض الأربعة.. على فكرة أنا هون بتضايق كتير، ما عاد فيني أحكي..[١٨]

---

(١٨) POH. S/SH. No. 130 (231/T.100). "Abu Ra'ed". Interview by Khaled 'Abadi. Beirut-Shatila: Narrator's house, September 29, 1999.

تغــير صــوت أبو الرائد، لكنه عاد فأكمل الحديث. قال أنه شاهد على الأرض بين القتلى أبو رضا وشقيق أم جعفر من مجدل زون، وشاهد ابنه أيضاً، كما شاهد أمام محل بليياردو لأبو العيسى جثثاً أُخرى، وشاهد عند حائط بالقرب من مرأب نحو خمسة أو ستة أشخاص "مصفوفين ومطخوخين"، ومع كل هذه المشاهد لم يشاهدوا "إسرائيلياً" واحداً بعد.

أكمــل أبــو الــرائد ومن معه السير حتى دخلوا الحرش ووصلوا إلى ملجأ صغير لا يسع لأكثر من خمسين أو ستين شخصاً، ولا يبعد كثيراً عن منزل أم جعفر، ولا يصل إلــيه إلاّ مــن يعرف مكانه، وكان يطلق عليه بين السكان تندراً "الملجأ السري". حاولوا الاقتراب قليلاً كي يطمئنوا على من فيه، لكنهم قبل أن يفعلوا ذلك فوجئوا بصوت إطلاق نار، فأخذوا الحيطة، وتلفتوا نحو شارع شاتيلا الرئيسي، وإذ بهم يشاهدون عساكر بلباس موحد، وآخرين إلى جانبهم بلباس مدني، فظنوهم جميعاً، أول وهلة، إسرائيليين.

مــا إن نظــر المقــاومون صــوب العساكر المسلحين المهاجمين حتى كانت قنبلة فوســفورية قد وقعت عند باب الملجأ، فكان الانفجار، وكان أن اشتعلت النيران واحترق الملجأ بمن فيه.

لــم يحــتمل المقــاومون، فأطلقوا النار على المهاجمين، ووقع اشتباك بين الفريقين لدقــائق، ولــم يعرف إن كان أحد من المهاجمين قد أصيب. وكانت نتيجة هذه المجابهة المفاجئة والسريعة، أن تأكد المقاومون من أنه ما عاد في استطاعتهم معرفة الأماكن التي يوجد فيها الإسرائيليون كما كانوا في اليوم السابق.

لا ينســى أبــو الــرائد الصراخ الذي سمعه بعد انفجار تلك القنبلة الفوسفورية عند مدخل الملجأ، لا ينسى صراخ الضحايا. وهو يقول:

> يعنــي دوب رميوا القنبلة الفوسفورية عاالملجأ لتحت، ولعت الدنيا، ولع الملجأ باللّــي فِيّو.. وسمعنا صريخ. يا الله شو هاالصريخ. إحنا شفناهم بهاي اللحظات وهنّي عم يرموا القنبلة، نحنا أطلقنا عليهم النار، كنا شي أربعة وكانت معنا هيّ، ما شفتها إلاّ واقفــة معــنا، كانــت فاطمة، والله فاطمة، شوي جسمها مليان، قصيرة، سمرا. كانت عايشة لحد هديك اللحظات.
>
> إحنا أطلقنا النار، اشتبكنا نحنا ويّاهم بحدود العشر دقايق، ويمكن أقل.
>
> طبعاً سمعناهم بنادوا على بعض يا توني ويا سعيد ويا بيير ويا روبير..
>
> وأنا بهاي اللحظات، أنا سمعت عبري، تحديداً بهاي اللحظات اللّي انرمت فيها القنبلة الفوسفورية، أنا لمّا تلفّت عليهم، أنا سمعت لغة يهود، لغة عبرية.[١٩]

---

(١٩) Ibid.

تــراجع المقاومون هؤلاء من زاروب إلى زاروب تراجعاً غير منظم، وسرعان ما أدركــوا أنهــم مهما يدخلوا زواريب فلن يشاهدوا أعداءهم الإسرائيليين، لأن دور هؤلاء الرئيســي كان خارج منطقة المخيم، وفي محيطه، كما أدركوا أن تلك اللغة العبرية التي سمعوها ليست لغة أكثرية المهاجمين القتلة.

وهم لم يدركوا ذلك إلاّ بعد أن أكد لهم كل الذين التقوهم أن هناك حقاً مجزرة، وأنها ابتدأت منذ غروب اليوم الماضي، وأن هؤلاء المهاجمين المنفذين القتلة هم لبنانيون، وأنهم قــد وصــلوا بمعاونــة جواســيس يعــرفون الطرقات والزواريب، وربما أيضاً بمعاونة إسرائيليين في غير مجال، فمن أين جاء هؤلاء الذين تكلموا بالعبرية؟

يؤكد أبو الرائد دور الجواسيس بقوله:

> إحــنا لحــد هلّــق منضيع بالمخيم على باب المخيم، فعلاً أنا لحد هلّق في زواريب ما بعــرفها، وأنا بعتبر نفسي إبن المخيم، إلي من سنين طويلة هون، ساكن هون، صرت أعــرف بالمخيم أكتر من أهله، لكن لسّا لحد هلّق في بعض الزواريب فعلاً بحس كإني لأول مرة بفوت فيها، من هون مش ممكن يكون هذا حصل بالليل ولا حتى بالنهار من دون جواسيس.(٢٠)

كان الوقت ما زال قبل الظهر من يوم الجمعة.

تفقّد المقاومون ما تبقى معهم من ذخيرة، فاكتشفوا أنها على وشك النفاد. لم يكن ما لديهم يكفي لقتال دقيقة واحدة.

لمّا وصلوا إلى المكتب وجدوا أربعة آخرين من رفاقهم، واكتشفوا أن المكتب أصبح شــبه خال من السلاح والذخيرة، إذ لم يكن فيه سوى أربعين قنبلة يدوية دفاعية، وتذكروا كم وزعوا في اليوم السابق على كل من طلب منهم قطعة سلاح أو ذخيرة.

قــال أحدهــم: "تعــالوا نسأل إخواننا في الجبهة العربية، أنا واثق إنّو عندهم سلاح ليعطونا"، ورد عليه آخر: "هنّي هلّق عم يبحثوا بتفجير مستودعهم." وصمت الأول.

ولم تمض دقائق، حتى سمعت أصوات انفجارات متتالية.

عرفوا مصدرها. وانسحبوا.. بهدوء.. مخلفين وراءهم بين جدران المكتب رشاشات الكلاشينكوف التي كانت في حيازتهم، وقاذف بي سفن واحداً.

لم يكن بين هؤلاء "قائد" مسؤول عنهم، وقد اتفقوا فيما بينهم على أن يقرر كل منهم المكان الذي يفضل الذهاب إليه. هل يبقى مع الأهل إن بقوا، أم يغادر؟ وإلى أين؟

أخــيراً، اتفقــوا على الذهاب إلى جامع عبد الناصر في كورنيش المزرعة. وهكذا

---

(٢٠) Ibid.

توجهـوا، ثمانـية لا أكثر، حاملاً كل منهم قنبلة يدوية أو اثنتين بهدف الدفاع عن النفس وعدم الوقوع في أسر الإسرائيليين. وهم لو علموا أن إذاعة "المرابطون" في مبنى الجامع قـد احتلت، وأن مبنى مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى كورنيش المزرعة نفسه احتل أيضاً، لما اتخذوا قرارهم ذاك.

أمّـا المجموعـة التى كانت خرجت أول الليل على أن تعود صباحاً، فقد علمت بما جرى، واتخذ الرفيق حسين، المسؤول عنها، قراراً بعدم العودة إلى المخيم.(٢١)

بلغ مجموع الذين قاتلوا أو حملوا السلاح في حي الحرش منذ يوم الأربعاء حتى يوم الجمعـة نحـو خمسـة وعشـرين، على دفعات وفي أوقات مختلفة، كان بينهم مقاتلون متمرسون يُعَدّون على أصابع اليد الواحدة، وكان بينهم من يحمل السلاح ليقاتل أول مرة، وقد عمل هؤلاء جميعاً بإرشاد مكتب الجبهة الشعبية فى الحرش.

لـم يكـن بيـن هؤلاء من أعضاء الجبهة الشعبية غير سبعة أو ثمانية، أمّا الباقون فمعظمهـم لـم تعـرف هوياتهم السياسية، لكن عرفت هوياتهم السكنية، إذ كانوا جميعاً، فلسـطينيين ولبنانيين، من شباب المخيم والمنطقة، وبينهم شباب من النَوَر سكان الحرش الأصـليين، وهو الحرش الذي كان يعرف أول ما عرف بحرش النَوَر. هؤلاء لم يعرف عن معظمهم شيء منذ الليلة الفائتة، وساد الاعتقاد أنهم غادروا المنطقة.

كذلك لم يعرف شيء كثير عن مصير الفتاة الوحيدة التي حملت السلاح مع مجموعة حى الحرش، وكانوا ينادونها: "الأخت فاطمة".

هل استشهدت فاطمة؟

هل استشهدت تلك الفتاة الفتحاوية الجريئة التي جاءت بمفردها في اليوم السابق، يوم الخميس، إلى مكتب الجبهة الشعبية تسأل عن سلاح، فأعطوها سلاحاً؟

استعملت فاطمة سلاحها، وهناك شهود.

وكانـت إلـى جانب فريد الخطيب حين أصيب بالقرب من مدخل شاتيلا، بعد ظهر الخميس، وهناك شهود.

وفي اليوم التالي، صباح الجمعة، كانت إلى جانب مجموعة أبى الرائد، قرب الملجأ الصغير الذي احترق بقنبلة فوسفورية على من فيه، وهناك شهود.

لكن.. منذ ذلك الحين لم يشاهد أحد فاطمة.

قنبلة فوسفورية؟ عند باب ملجأ صغير بمن فيه؟

لا أحد يسأل عن أحد فى تلك اللحظات.

لم يعد أحد يشاهدها في المخيم كله.

---

(٢١) حسين ب.، "مذكرات مخطوطة" (١٩٩٩)، ص ٤ – ٥

قيل إن أهلها نزحوا إلى دمشق، حيث يوجد أقرباء لهم.

هل نزحت فاطمة معهم؟

أم بقيت مع الرفاق الذين ارتحلوا رحلتهم الأخيرة، عميقاً في التراب؟

آخرون غيرها استشهدوا ولم تُعرف حتى أسماؤهم الأولى.

ذلـــك الشبل الفتى الذي قاتل مع زاهر السعدي،[٢٢] الشبل الآخر، يوم الخميس، لم يـــتذكر أحد اسمه. لكن الرواة تذكروا جيداً كيف رمى على الإسرائيليين المهاجمين قنبلة فوســفورية، بينما رمى عليهم زاهر أربع قنابل يدوية. وتذكر أحد الرواة أيضاً آخر مرة رآه فيها يوم الخميس وهو يمشي أمام مكتب الحزب الشيوعي.

كل ما عرفه عن ذلك الفتى أنه كان في الرابعة عشرة من عمره، وأنه كما قالوا عنه بالعامية: "وسمعنا إنّو الشبل بتاع فتح استشهد."[٢٣]

ب ــ حي فرحات

كانـــت المجابهـــة الرئيســـية في حي فرحات يوم الخميس ضد الإسرائيليين، عندما قصف المدافعون القوات المحاصِرة من مدفع ١٤,٥ محمول على شاحنة، فاستمرت نحو ربـــع ساعة، كما مر معنا في الفصل الثاني. أمّا بعد ذلك، فلم يكن هناك مجابهات، إذ إن الشـــاحنة نفسها التي قادها شاب من الجبهة العربية قصفت وغادرت المنطقة، وبقي رفاقه الشـــباب متيقظيـــن يحرسون المستودع الشهير بمستودع حي فرحات، غير أنهم لم يتنقلوا خارج المكتب، كما كان يفعل رفاقهم في الجبهة الشعبية، في حي الحرش المجاور.

اتخـــذ المسؤولون في مكتب الجبهة العربية قراراً بنسف المستودع عند الضرورة، منذ يوم الخميس، لكن لم يكن لديهم في تلك الظروف خبير للقيام بذلك. كان الأفضل خبرة بيـــن الشـــباب مقاتل من الجبهة الشعبية قام بتحضير الديناميت المطلوب، ووضعه حيث يجب في المستودع، ولم يعد أمام حراس المستودع سوى إشعال الفتيل عند الضرورة. أمّا الشـــاب "الخبـــير" نفسه فقد عاد إلى مجموعته في حي الحرش، وكان مصيره أن أصيب بجروح. ولعدم توفر مستوصف قريب، فقد عالجته ممرضة في بيتها بداية، ثم تم إيصاله إلى مستشفى غزة.

كـــان هـــناك لـــدى شباب الجبهة العربية تخوف من دخول المهاجمين حي فرحات واســـتيلائهم علـــى ما في المستودع من صواريخ غراد وغيرها، فاتخذوا قرارهم النهائي

---

(٢٢) زاهر السعدي اغتاله عملاء الموساد الإسرائيلي في عين الحلوة في ٩ آذار/مارس ١٩٩٠، بسبب مهماته فيما سمي "محكمة الشعب"؛ وهي المحكمة التي كانت تحاكم عملاء إسرائيل المحليين والمتعاونين معها.

(٢٣) POH. S/SH. No. 130 (231/T.100), as above.

بتفجير المستودع ثم الانسحاب.

وفعلاً قاموا بتفجيره قبل ظهر يوم الجمعة، وذلك بينما كان المهاجمون القتلة منشغلين في أماكن أُخرى ما بين شاتيلا وصبرا، يخرجون الناس من بيوتهم ويقودونهم إلى المدينة الرياضية، أو إلى الشاحنات، أو إلى حفر الموت.

ما إن فُجِّر المستودع حتى راحت الصواريخ تنفجر في كل الاتجاهات، واستمرت الانفجارات القوية نحو ربع ساعة، ثم أخذت الأصوات تصدر متباعدة وأقل قوة.[٢٤]

ج ـ حي الفاكهاني

تقع منطقة الفاكهاني خارج محيط صبرا وشاتيلا، وهي المنطقة التي لم يكن في نية المهاجمين الوصول إليها، لكنها كانت من أول المناطق التي وصل إليها الإسرائيليون. ولمّا كانت منطقة اهلة، فالشباب من سكانها هرعوا إلى حمل سلاحهم، وكان عددهم أكثر من عدد المقاومين في الأحياء الأُخرى، لكنهم كانوا بلا قيادة، وبلا توزيع أدوار، وبلا دعم شعبي من السكان؛ وهذا ما يتضح من شهادة المقاتل علي الذي استمعنا إلى شهادته سابقاً (في الفصل الثاني) عن القتال ضد الإسرائيليين في حي الفاكهاني، ثم استمعنا إلى شهادته عن تفقده لشاتيلا ليلاً، وها هو يحدثنا عما جرى من "قتال" في الفاكهاني:

> أول ما طلع الفجر تقدموا الإسرائيلية، شفناهم طلعوا وتقدموا بدبابة، وطلعوا الطلعة كلها وقرّبوا على طرف كلية الهندسة من الميلة الجنوبية، قبل الباركينغ على يمين الجامعة، قبل منّو بشوي، هناك صفّت الدبابة.
>
> وفي شاب كان معنا هو بادر أطلق عليها قذيفة بي سفن، والإسرائيلية بلّشوا يضربوا على مصدر النيران، وصار في أضرار، وصار في مناوشات، وطول يوم الخميس ويوم الجمعة فينا نوصف المناوشات بأنها كر وفر، رجعوا الإسرائيلية تراجعوا لأول المدينة الرياضية، وبعدين نلاقيهم كل ساعة وكل ساعتين يرجعوا يقربوا لكلية الهندسة، نرجع نعمل هجوم عليهم، يرجعوا يثأروا منا، يعني هجوم سريع يكون.
>
> إلْنا استشهد شابين، في شاب بتذكّر إسمه، عصام اليسير.[٢٥]

الشباب الذين حملوا سلاحهم في حي الفاكهاني كانوا ينتمون إلى عدد من التنظيمات

---

(٢٤) Ibid.

(٢٥) POH. S/SH. No. 135 (243/T.106). ‘Ali M. Interview by Khaled ‘Abadi. Beirut: Narrator’s house, November 2000.

والأحـــزاب كمـــا مر معنا. ومع أنهم كانوا بلا قيادة، وبلا أي توجيه، إلاّ إن ذلك لم يكن السبب الأول في انسحابهم النهائي من المواجهة؛ فالسببان الرئيسيان يتحدث عنهما المقاتل علي، بصدق وبساطة:

> بعـــد يوميـــن من الحصار الإسرائيلي، في اليوم التالت، الجمعة، صار في عنا ضـــياع كبـــير، وصـــرنا مش عارفين شو بدنا نعمل، عنا هون فى الفاكهانى صاروا دبابتين، ويمكن تلاتة، وصرنا نسمع سقطت هاي المنطقة وهاي المنطقة، في بيروت، يعني صرنا ضايعين وما عارفين شي.
>
> وبـــنفس الوقت، وهاي الأهم، صار في نقمة علينا من سكان المنطقة، يعني الله يســـامحهم، اعتبروا إنّو نحنا عم نجيب ضرر على المنطقة، يعنى بعد ما قفلوا مداخل البنايات بوجهنا، بطّل فى مبرر لوجودنا، بدنا ندافع عن مين؟
>
> آخـــر شى نحنا انكفأنا لمنطقة صبرا، يعني نزلنا من الفاكهاني لميلة صبرا ـــ الدنا، نحنا كنا ساكنين بهاي المنطقة...[٢٦]

د ـــ حي الدوخي

المقاتل "إبراهيم" الذي تصدى بمفرده للمهاجمين في حي الدوخي ليمنع تقدمهم، كما مر معنا في الفصل الثالث، والذي أنقذ الناس من الملاجئ، والذي مد يده لمجموعة "شباب الكلاشينكوف"، والذي استمعنا إلى شهادته عن شاتيلا ما بين الخامسة والسابعة صباحاً من يـــوم الجمعة، في هذا الفصل، كان مقاتلاً عاقلاً، حمل سلاحه صباح الجمعة وقاد اشتباكاً محدوداً بالقرب من معسكر الأشبال، وهذا في الوقت الذي كان يسمع أصوات مجنزرات، اتضـــح لـــه فيما بعد أنها أصوات جرافات كانت تهدم البيوت على رؤوس ساكنيها، بعد قتلهم.

القول إن التصدي انتهى قبل ظهر يوم الجمعة قول صحيح، لكن من الصعوبة بمكان معـــرفة متى انتهى بالتحديد، وخصوصاً أن عدداً من الشباب استمر لساعات أكثر يحمل الكلاشينكوف بكل جرأة، وهو يعلم يقيناً أن ليس في استطاعته وقف المجزرة.

تمكـــن بعـــض الصحافيين من الوصول إلى منطقة الدوخى من جهة الشمال ظهر الجمعة، وتحدثوا مع "إبراهيم". وهو يروي ما جرى معهم:

> الســـاعة ١٢ الضـــهر فى كتير صحفية أجانب وصلوا من جهة مستشفى غزة، ومعـــاهم صـــحفي عربي، عم بيقولّي بدّي أصور شو عم يحصل، قلتلّو: "للأسف نحنا

---

(٢٦) Ibid.

انسحبنا من مواقعنا لأنّو فش إمكانية قتال، ونحنا قلال، فيك توصل لغاية قهوة على همدر، وهناك فيك تصور إنو فى مجزرة عم تشتغل، وفي ناس هناك لسّا حاملين سلاحهم، يعني شباب صعبان عليهم يرموا سلاحهم...". قلّي: "مش صحيح، صعب صدّق"، قلتلّو: "شرّف لورجيك".

أخدته لغاية قهوة على همدر وطلعنا فوق سطح بناية وصوّر الناس المرمية بالشارع وهيّ مقتولة. وبعتقد صوّر قتل أربع اشخاص بالشارع. وكانوا الصحفيين يحكوا فرنساوي، لكن طبعاً مش دليل إنهم فرنسوية، أنا ما عرفت جنسياتهم.

وهدول الصحفية هنّى اللّى راحوا للسفير الفرنسى وقلولو القصة هيك هيك.

والسفير الفرنسى نهار الجمعة إجا لكن ما قدر يدخل، ورجع يعمل على أساس إنّو في مجزرة لازم توقف.(٢٧)

يصعب القول إنه كانت هناك مقاومة حقاً يوم الجمعة.

بالنسبة إلى هؤلاء الشبان الذين استمروا يطلقون النار بالقرب من قهوة علي همدر في الاتجاه الجنوبي لشارع شاتيلا، فإنهم أرادوا إيهام المهاجمين بأنه ما زالت هناك مقاومة. والواقع أن شريط الفيديو اليتيم الذي صوره مصور تلفزيوني في هذا اليوم بالذات، تردد فيما بعد أنه دانماركي، يظهر فيه بوضوح ثلاثة من الشبان وهم يتبادلون الوقوف في ذلك المكان ويطلقون النار. كانوا جريئين، لكن غير محترفين. فقد كان الواحد منهم يتقدم إلى المفرق، ويطلق الرصاص فى الهواء بسرعة وغزارة، ولا يظهر في الشريط على من أطلق النار، ثم يعود إلى حيث يبدأ بتعبئة الكلاشينكوف بطريقة تنبئ عن عدم الاحتراف، وهذا بينما يتوجه آخر نحو المفرق بحذر شديد، ليفعل ما فعله رفيقه قبل دقائق.(٢٨)

شاهد خمسة من أبناء شاتيلا شريط الفيديو هذا، فى جلسة واحدة، بهدف التعرف على هؤلاء الشباب، فعرفوهم بالأسماء، وقالوا إنهم كانوا شباباً جريئين تتراوح أعمارهم بين السابعة عشرة والعشرين، لكن لم يكن بينهم مقاتل محترف واحد.

ربما يكون المصور الذي التقط هذا الشريط اليتيم هو المصور الذي قاده المقاتل "إبراهيم" ظهر يوم الجمعة.

كان هؤلاء الشبان الشجعان هم آخر من أطلق النار، ولو فى الهواء، من قبيل إثبات الوجود.

* * *

---

(٢٧) POH. S/SH. No. 116 (239/T.90), as above.

(٢٨) Danish cameraman et al., The Massacre Video.

حين سمح للصحافيين بدخول المنطقة بعد انتهاء كل شيء، كان من أوائلهم روبرت فيســك، الكاتــب البريطاني، وقد مشى في الزاروب نفسه حيث كان شباب حي الدوخي يقفــون، ومشـــى في كل زاروب من زواريب ساحة المجزرة، وكان عنوان مقاله الشهير مقالاً بحد ذاته: "في أسفل كل زقاق.. نساء، شباب، أطفال رضّع ــ يرتمون حيث طعنوا بالسكين أو أطلق عليهم رصاص حتى الموت."

وصــف روبــرت فيسك اثار "القتال" بالقرب من جامع صبرا (جامع مخيم شاتيلا) ومفرق الدوخي، فقال إن الطريق كان ملآناً بالخرطوش الفارغ، وقسماً من المعدات التي وجدها من صنع سوفياتي، كان يستعملها الفلسطينيون. وبعد أن قال إنه كان هناك قتال في هــذا الزقاق، ذكر أنه كان ثمة كلاشينكوف ملقى على الأرض، فلمّا اقترب منه وجده من الخشب للعب الأطفال.(٢٩)

كمـــا كان بين الذين شاهدوا اثار المجزرة، وشهدوا على ما رأوا، الكاتب الفرنسي جـــان جينيه، ولعل في جمله الموجزة إيجازاً لأسطورة "المعركة" التي شاعت بعد تقرير كاهان:

> ماذا حدث للأسلحة المسؤولة عن كل هذه الجثث؟ وماذا عن أسلحة أولئك الذين دافعوا عـــن أنفسهم؟ في الجزء الذي زرته من المخيم، رأيت فقط قطعتي سلاح ضد الآليات غير مستعملتين.(٣٠)

رابعاً: اقتحام مستشفى عكا

كان اقتحام مستشفى عكا الحدث الأبرز صباح يوم الجمعة، وكان المستشفى قد عاد حديثاً إلى مزاولة نشاطه، بعد أن كان معطلاً أيام الاجتياح.

الــتجأ إلـــى المستشفى المئات من السكان للحماية، لكنهم جميعاً كانوا غادروه منذ الفجــر قــبل اقــتحامه. أمّـــا أهل المستشفى من مرضى وأطباء وممرضات، من عرب وأجانب، فقد لاقى كل منهم مصيراً مختلفاً عن سواه، في تلك الساعات العصيبة.

---

(٢٩) Robert Fisk, “Down every Alleyway.. Women, Young Men, Babies – Lying where they had been Knifed or Machine Gunned to Death,” *The Times*, September 20, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile…*, op. cit., p. 7.

(٣٠) Jean Genet, “Four Hours in Shatila,” *Journal of Palestine Studies*, vol. XII, no. 3, Spring 1983, p. 16. (A translation of the French original: “Quatre Heures à Chatila,” *Revue d’études palestiniennes*, no. 6, Hiver 1983).

أ ـ العودة إلى العمل في المستشفى

تأســس مستشفى عكا فى أواسط السبعينات، في مبنى يتألف من خمس طبقات، ويقع في شـــارع الســفارة الكويتـــية قبالة حرش شاتيلا. يحتوي على ملجأ كبير تحت الأرض، وطبقة أرضـــية، أشبه بالملجأ، قُسِّمت غرفاً للعمليات الجراحية والطوارئ والأشعة والعيادات. وفوق هذه الطبقة تقع العيادات، والإدارة، وغرف المرضى التي تضم نحو ستين سريراً.

قام مستشفى عكا في المرحلة الأولى من الاجتياح الإسرائيلي بدور بارز في استقبال الجرحى، وخصوصاً من محيط المطار، وذلك على الرغم من صغره، وكان الجرحى من مختلف التنظيمات الفلسطينية واللبنانية والقوات السورية.

أصــيب المستشــفى خلال الاجتياح، لكن الأضرار لم تكن جسيمة بسبب إخلاء الطبقة العلويـــة منذ بدء الاجتياح ونقل المرضى إلى الطبقة الأرضية. غير أنه مع مواصلة الاجتياح وحصـــار بـــيروت، ارتأى الهلال الأحمر الفلسطيني فتح مستشفيات ميدانية ومستوصفات في مـــناطق أكثر أمناً فى رأس بيروت؛ مستشفى عكا بالذات، لم يعد امناً بسبب موقعه الجغرافي المعـــرض للقصف الشديد، من جهة، وبسبب وجود محطة وقود قريبة منه، من جهة أُخرى، الأمر الذي قد يؤدي إلى احتراق المستشفىَ في حال تعرضت المحطة لإصابة مباشرة. وهكذا تحـــول المستشـــفى إلـــى مجـــرد مركـــز إسعاف، وانتقل القسم الأكبر من العاملين فيه إلى المستشفيات المستحدثة فى رأس بيروت، وكان أهمها مستشفى اللاهوت، الذي أقيم في مدرسة اللاهوت في شارع الصيداني الموازي لكل من شارع بلس وشارع الحمرا، والواقع بينهما.

عـــادت الحـــياة إلى مستشفى عكا بعد انتهاء الحرب وخروج المقاتلين الفلسطينيين والســـوريين من لبنان، وجاء متطوعون من الصليب الأحمر اللبناني للمساعدة في إعادة تأهيل المستشفى. ولم يكن هناك تصور أن يعود الإسرائيليون إلى المنطقة. وقبل منتصف أيلول/سبتمبر كان العمل قد عاد إلى مستشفى عكا بشكل طبيعى. كما كان عدد من الأطباء والممرضات الأجانب قد انضم إليه.(٣١)

موظـــف في قسم الأشعة رفض إعطاء اسمه، لكنه قال باعتزاز أنه من مدينة عكا أصـــلاً ومـــن صبرا ولادة، تحدث عن كيفية التحاقه للعمل فى المستشفى، فقال أنه كان يطمح إلى دراسة الطب، لكنه كلاجئ فلسطيني ما كان يحلم بإمكان ذلك. درس في صغره فـــي مدرسة يعبد التابعة للأونروا، والواقعة في زاروب الديك في صبرا. ودرس المرحلة الإعدادية في مدرسة الجليل التابعة أيضاً للأونروا في شاتيلا. ثم أكمل دراسته الثانوية في

---

(٣١) POH. S/SH. No. 13 (238/T.9). Salim Hout. Interview with author. Beirut: Narrator's office, February 11, 1983.

مدرســة رأس النبع الرسمية التابعة لوزارة التربية اللبنانية. لم يكن أمامه للتخصص بعد تخـرجه ســوى مدرسة للتمريض أنشأها الهلال الأحمر الفلسطيني، وكانت تحتوي على أربعة أقسام: التمريض؛ المختبر؛ الصيدلة؛ الأشعة. وقع اختياره على القسم الأخير، حيث كــان أطباء الهلال يوفرون الدروس النظرية لطلاب الأشعة. أمّا الدروس العملية فكانت تعطى في معهد ألماني في شارع الحمراء. ومنذ أن تخرج سنة ١٩٧٨ وهو يعمل في قسم الأشــعة في مستشفى عكا. وكان يوم حاصرت الدبابات الإسرائيلية صبرا وشاتيلا، فجر الأربعاء في الخامس عشر من أيلول/سبتمبر، هو الموظف المناوب.[٣٢]

قــال موظف الأشعة إن دوره في المناوبة كان من الثامنة ليلاً حتى الثامنة صباحاً. وأضــاف أنــه سهر مع زملائه تلك الليلة، وكانت أحاديثهم تدور عن مقتل الشيخ بشير، والكل توقع أن يحدث شيء ما، لكن ماذا بالتحديد؟ هذا ما لم يتوصل إليه أحد منهم. نحو الساعة الرابعة من صباح الأربعاء، كان الموظف النشيط لا يزال يقظاً بحكم عمله، فسمع هديــر الدبابات وهي تقترب من المدينة الرياضية. وقف ونظر في اتجاه السفارة الكويتية فشــاهد الدبابات الإسرائيلية الزاحفة. نادى الطبيب المناوب ليلاً وقال له: "أنظر يا حكيم". نظــر الطبيــب، وهز رأسه، وعلّق بقوله أنه لا بد من أن ينتظر الساعة الثامنة صباحاً، موعد مجيء من سيحل مكانه.

فــي الثامنة تماماً سلّم موظف الأشعة لمناوب النهار، وغادر المستشفى إلى بيته في صــبرا. لكنه لن يستطيع العودة إلى مستشفى عكا؛ سيبقى هناك، وسيصبح شاهداً على ما جرى يوم السبت في صبرا.[٣٣]

قالــت الممرضــة نزهة، وهي ممرضة فلسطينية تعمل مع الهلال الأحمر منذ سنة ١٩٧٩، إن الإسرائيليين جاؤوا إلى مستشفى عكا عدة مرات منذ حصارهم المنطقة بحجة التأكد من عدم وجود "مخربين". وكان الطبيب سامي الخطيب يجيبهم بأن لا أحد هنا سوى المرضــى والجسم الطبي. قالت إنهم دخلوا أكثر من مرة وأكلوا في "الكافيتيريا" من دون استئذان، وصعدوا إلى الطبقة الأولى وشاهدوا المرضى، ولم ينسوا قط أن يحملوا للصغار المرضــى "البون بون" والشوكولا.[٣٤] ليس من داع للتعليق بأن الجنود الإسرائيليين ما كــانوا بحاجة إلى "كافيتيريا" المستشفى؛ كانوا بحاجة إلى شيء واحد هو معرفة ما يوجد

---

(٣٢) POH. S/SH. No. 54 (230/T.53). Anonymous. Interview with author. Beirut: Friend's house, April 28, 1983.

(٣٣) Ibid.

(٣٤) POH. S/SH. No. 35 (238/T.35). Nuzha H. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 6, 1983.

داخل هذا المستشفى وما يجري فيه. وقد تحقق لهم ذلك.

شهدت الممرضة الفنلندية مارجلينا (ماريا)، زوجة الموظف المصري عرابي، على أن يوم الأربعاء كان يوماً عادياً نسبياً في المستشفى، فقد فُتحت العيادة واستقبلت عشرين مريضـــاً. وسمعت ماريا من المرضى أن الإسرائيليين يتقدمون في اتجاه المخيمات، وأن بعضـــهم وصـــل إلى الفاكهاني. ولاحظت أن الممرضات والمرضى الفلسطينيين انتابهم الخوف، غير أن العمل في العيادة لم يتأثر، فاستمرت تستقبل المرضى الذين كان معظمهم يشـــكو مرضاً عابراً كالزكام، أو جروحاً بسيطة، أو الذين جاؤوا لتغيير الضمادات. كانت تســـمع أصوات الرصاص في الخارج، والانفجارات من ناحية المخيمات. ازداد القصف لـــيلاً، واستقبل المستشفى جرحى، كما استقبل العشرات من المخيم جاؤوا للنوم والحماية. وتفادياً لخطر القصف اتخذ القرار بالنوم في الطبقة الأرضية.(٣٥)

قالت الممرضة نزهة أيضاً إن مئات العائلات التجأت إلى مستشفى عكا، وخصوصاً يـــوم الخمـــيس، فـــالكل هرب من القصف. أمّا فى المساء فقد أخذت الأخبار تصل عن عمليات قتل مباشرة، وليس مجرد إصابات نتيجة قصف مركز. ومن الجرحى شاب لبنانى مـــن الجنوب أطلق المهاجمون عليه الرصاص بغزارة مع مجموعة من الشباب والرجال، بعد أن أمروهم بالوقوف عند الجدار، لكنه لم يصب بغير رصاصتين في رجله، ثم تمكن من الوصول إلى المستشفى (راجع الرواية الخامسة عشرة: "قتلونا مرتين")، وكذلك تمكن والـــده الجريح من الوصول إلى المستشفى (راجع الرواية السادسة عشرة: "عندما يهرب القتـــيل والقـــاتل"). وعلـــى الـــرغم من تأكيد الشاب وأبيه القتل الجماعي الذي شاهدوه، فالممرضة تؤكد بدورها أنهم في المستشفى لم يصدقوا ذلك!(٣٦)

تؤكـــد الروايةَ نفسها النرويجيةُ ان سوندي، وهي من المتخصصات بالحقل الاجتماعي، زارت بيروت أكثر من مرة، لكنها فى صيف الاجتياح بدأت العمل في المستشفيات كونه العمل الرئيسي المطلوب لإنقاذ الجرحى والمصابين. وقد كانت في مستشفى عكا تلك الليلة نفســـها. قالت إن المستشفى استقبل أباً وابنه في نحو الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين مساء كانـــا مصـــابين فى أقدامهما، لكن الأب كان مصاباً أيضاً فى صدره، وارتأى المسؤولون إرسال الأب إلى مستشفى غزة كونه أكثر استعداداً لاستقبال الحالات الصعبة. لكن إرسال الرجل المصاب كان عملية مستحيلة، وعليه فقد قام طبيب سريلانكي وممرضتان نرويجية

(٣٥) Franklin P. Lamb, ed., *Israel's War in Lebanon: Eyewitness Chronicles of the Invasion and Occupation* (Boston: South End Press & Spokesman, 2nd printing, 1984), p. 586.

(٣٦) POH. S/SH. No. 35 (238/T.35), as above.

وفرنسية بإجراء عملية مستعجلة له. وفى منتصف العملية توقف المولد الكهربائي عن العمل بسبب فراغه من المازوت، فاضطروا إلى إنهاء العملية في ضوء الشموع. كان التيار الكهربائي مقطوعاً منذ ساعات طويلة كما قالت.(٣٧)

في أثناء إجراء العملية للأب، تروي آن سوندي عن صبية كانت تبكي بكاء هستيرياً في أسفل الدرج، فنادتها وهدأتها وسألتها ما بها، فأخبرتها أنها تسكن فى الحرش، وأن الرصاص أُطلق على كثيرين من الفلسطينيين واللبنانيين عند أحد الجدران، وأن أباها وأخاها كانا بينهم. أدركت آن بعد قليل أن الرجل الذي تجرى له العملية في ضوء الشموع هو أبوها، وأن هذه الفتاة التي تبدو منهارة هي التي أنقذت أباها الجريح وأوصلته إلى المستشفى. ولم تستوعب آن، كما لم يستوعب أحد في مستشفى عكا حتى تلك الساعة، أن مجزرة حقيقية تجري، وأن هؤلاء الذين سمعوا أنهم إسرائيليون يدخلون المخيمات كانوا من الميليشيات اللبنانية. كانت تقديرات الأطباء، كما قالت، أن المسألة لا تعدو أن تكون نزاعاً محلياً أو ثأراً معيناً! ووصل جريح آخر بعد قليل، وتوجه الطبيب سامي الخطيب لعلاجه.(٣٨)

ب ـ صباح الجمعة في المستشفى

استيقظت ان سوندي في الساعة الخامسة صباحاً. بعد قليل سمعت عبر مكبرات الصوت أن على الناس أن يتوجهوا إلى بيوتهم حيثما كانوا، وأن يضعوا الأسلحة التي يملكونها أمام البيوت. وكانت النداءات بالعربية، فترجَمها لها زملاؤها. وسرعان ما أخذ السكان الملتجئون إلى المستشفى يغادرونه. منهم من قال أنه عائد إلى شاتيلا، ومنهم من قال أنه ذاهب إلى مخيم برج البراجنة.(٣٩)

وهكذا، منذ الساعات الأولى من نهار الجمعة خلا المستشفى بصورة شبه نهائية من المئات الذين احتموا به، وهذا ما أكدته أكثر من امرأة في شهادتها؛ منهن أم كمال التي شاهدت جموع المسلحين بعينيها، واستمعت إلى تهديداتهم بأذنيها، فجر الجمعة، فعادت إلى المستشفى لتخبر الجميع كي يغادروا حالاً (راجع الرواية الثالثة والثلاثين: "قرب السفارة الكويتية")؛(٤٠) كذلك شهدت سعيدة التي كانت إحدى المشاركات في مسيرة النساء، وإحدى النساء اللواتي ساقوهن في الشاحنة إلى المناطق الشرقية في الرواية

---

(٣٧) POH. S/SH. No. 52 (249/T.51). Ann Sunde. Interview with author. Beirut: Author's house, April 6, 1983.

(٣٨) Ibid.

(٣٩) Ibid.

(٤٠) POH. S/SH. No. 47 (251/T.48). "Um Kamal". Interview with author. Massacre area: Narrator's house, April 1, 1983.

الســابعة، "من الملجأ إلى سيارة الشحن"، على ما رأته في مستشفى عكا في ذلك الصباح الــباكر. قالت أنها تمكنت، هي وأمها، على الرغم من القصف والقنص من الوصول إلى مستشــفى عكا بين السادسة والسابعة صباحاً، وكانت كلتاهما من العاملات في المستشفى. وتابعت تصف الذعر الذي كان مسيطراً على الناس داخل المستشفى وفي الملجأ:

> كــان فــي كتــير ناس لسّا واقفين. منهم صاروا يقولوا: "يا جماعة تعالوا كلنا نهــرب." ولكن غيرهم كان يقول: "ما تخافوا يا ناس والله ما في شي." وما شفنا غير مَــرَه وصلت تصرخ وتقول: "في مدبحة. أهربوا، هلّق بييجوا على مستشفى عكا." أنا مــا عرفتها للمَره لكن سمعتهم بقولوا: "سمعتوا يا ناس شو قالت إم كمال؟" وأنا تلفّت حواليّ لقيت ناس بعدها قاعدة وبتقول: "نحنا باقيين هون، ما في شي." ولكن على باب المستشفى كان هناك جرحى عم يدخْلوهم..
>
> ومــا حسّــينا إلاّ والــناس عم تمشي ورا بعضها فوج ورا فوج، في حدا قال: "إمشــوا ناس ورا ناس." أنا سمعت وما عرفت مين قال. قمنا رحنا مشينا لحتى صرنا عــند الجسر على طريق المطار. لكن هناك صاروا يضربوا قذايف علينا، وقفنا هناك. إمــي مــا عــاد فيها تركض معانا، لكن نحنا كلنا هربنا، أنا وإخواتي الصغار وأختي ركضــنا، وضــلّينا هربانين لحد ما وصلنا على بير العبد، لقينا الناس رايحة جاية وما حدا حاسس شو عم يصير.(٤١)

قالــت آن ســوندي أنهــا حضرت اجتماعاً عقد في الساعة الثامنة صباحاً للأطباء والممرضات من أجل التباحث فيما عليهم أن يفعلوه. كان السؤال: الهروب أم البقاء؟ وكان القرار البقاء. وذهبت الممرضتان المسؤولتان طوال الليل للنوم والراحة، وتم توزيع العمل على البقية، فبقيت ممرضتان إحداهما فرنسية للعمل في قسم الطوارئ، بينما بقيت ماري الأســترالية وجيــن لــرعاية الأطفال المعاقين. كما بقيت ممرضتان عربيتان في الطبقة الأرضية، وواحدة أو اثنتان في الطبقة العلوية.(٤٢)

فــي شــهادة أُخرى لطبيب فلسطيني رفض ذكر اسمه الصريح جاء ما يتوافق مع شهادة آن أعلاه، إذ قال إن إدارة المستشفى عقدت اجتماعاً لأعضاء الجسم الطبي ما بين الثامنة والتاسعة صباحاً، وكان هناك مجموعة تؤيد الخروج، ومجموعة أُخرى تؤيد البقاء فــي المستشفى والصمود. وفي النهاية اتخذ القرار بعدم الخروج. وقال الطبيب إن أقصى توقعــاتهم كان التعرض للاعتقال من قبل الإسرائيليين، وقال أيضاً أنهم كانوا واثقين بأن

(٤١) POH. S/SH. No. 46 (234/T.47), as above.

(٤٢) POH. S/SH. No. 52 (249/T.51), as above.

"اصطيادهم" كان سهلا جدا في حال مغادرتهم المستشفى، فهم محاصرون من كل الجهات. لذلك كان بقاؤهم داخل المستشفى أكثر حماية لهم جميعاً، وخصوصاً للفلسطينيين منهم.(٤٣)

لكـــن هـــذا الطبيـــب، الذي كان المسؤول الأول في المستشفى، رفض حتى إجلاء الأطفـــال المرضى بينما كان رأي الطبيب سامي الخطيب وسواه إجلاء الأطفال، ثم كان هو من أول من غادر المستشفى مع ثلاثة آخرين فور اقتحام المهاجمين.(٤٤)

لـــم ينكر الطبيب المسؤول نفسه ذلك، وقد روى لي أنه غادر مع طبيب زميل آخر واثنين من الموظفين قبيل دخول القوات اللبنانية عن طريق بناية يعقوبيان، فدخل الرجال الأربعة المبنى وخرجوا من مخرج آخر حيث كان الإسرائيليون، لكنهم لم يتعرضوا لهم. وتطوع شاب فأوصلهم إلى حارة حريك.(٤٥) والواقع أن كل الذين هربوا من المستشفى من أطباء وممرضات نجحوا في ذلك، باستثناء الطبيب علي عثمان.

كان الحدث الأبرز في صباح ذلك اليوم الطويل المشحون بالمآسي في مستشفى عكا مقتل عرابي، الموظف المصري في قسم الأشعة. كان عرابي نموذجاً للموظف المحبوب النشـــيط، وقـــد بكاه كل من عرفه. تقول الممرضة نزهة إنه في الساعة العاشرة صباحاً ذهـــب عرابـــي "لِيْجيـــب السيارة لجوّا"، وغيرها يقول إنه خرج لينجو بنفسه. لكن نهاية عرابـــي مـــتفق عليها، وهي أنه ما كاد يخرج ويمر من جانب المستشفى المواجه لمحطة الوقـــود حتى أردوه. في الوقت نفسه خرجت عاملة مصرية لتشتري "علبة دخان" للطبيب سامي، فأصابوها هي الأخرى برصاص القنص عند باب المستشفى، وماتت.(٤٦)

يقـــول الطبيـــب الفلسطيني المسؤول، الذي رفض إعطاء اسمه، إن عرابي قتل بعد الاجـــتماع الـــذي عقدوه مباشرة، ووجد بعد الكشف على جثته رصاصة في جهة الكبد، وثغـــرة فـــي وجهـــه إلـــى الجهة اليمنى، كما أصابه كسر في رجله اليسرى، وكسر في المفصـــل. ويعقب الطبيب قائلاً إن من الواضح أن عرابي لم يقتل بالرصاص وحده، بل بشظايا قذيفة أيضاً.(٤٧)

تقـــول آن سوندي أنها لم تعرف بمقتل عرابي في حينه. كان قد لفت انتباهها حريق شب في منزل يقع خلف محطة الوقود، وكان الحريق يتصاعد من سقف المنزل ذي اللون

---

(٤٣) POH. S/SH. No. 113 (241/N. 22). M. Kh. Interview with author. Beirut: Narrator's office, June 5, 1984.

(٤٤) POH. S/SH. No. 52 (249/T.51), as above.

(٤٥) POH. S/SH. No. 113 (241/N.22), as above.

(٤٦) POH. S/SH. No. 35 (238/T.35), as above.

(٤٧) POH. S/SH. No. 113 (241/N.22), as above.

القريب من الأحمر. فى تلك اللحظات دخل رجل مصاب بجروح بالغة، وكان هذا الرجل واقفـــاً في محطة الوقود، وهو الذي أخبرهم بإصابة اثنين اخرين في المحطة، فهل يكون عرابى أحدهما؟

لم يكن عرابي بالنسبة إلى ان صديقاً حميماً فحسب، بل كان أيضاً زميلاً مثالياً عملا معـــاً في قسم التخطيط، وطالما شربت الشاي معه ومع زوجته ماريا في المستشفى، وقد كانا بالنسبة إليها من أحب من عرفت في بيروت.

حـــاول الممرض الفرنسي أن يتعرف على المصابين فى محطة الوقود، فصعد إلى غـــرفة الطـــوارئ، وتمـــدد بهـــدوء حتى تمكن من رؤية جسد ممدد بشكل مواز لمدخل الطـــوارئ، وقـــال لـــزملائه إنه ليس عرابى. كذلك حاولت آن أن تتعرف على المصاب الآخـــر بدورهـــا، لكنها لم تتمكن من ذلك، فزحفت نحو الشرفة ورفعت رأسها قليلاً فوق جدار الشرفة، وتمكنت من أن ترى الرجل المصاب الممدد على الأرض، ولمّا رأته طويل القامة، طمأنت نفسها بقولها: "صحيح، هذا ليس عرابي. إنه أطول قامة بكثير."[٤٨]

كان الهم الأكبر للطبيب سامي الخطيب أن يتمكن من جلب اللذين أصيبا فى محطة الوقـــود لعله يستطيع إنقاذهما أو إنقاذ أحدهما. ولمّا سمع الطبيب صوت سيارة "رينو ٥" تقـــف فـــي الخارج، أرسل حالاً يستفسر عن صاحبها. واتضح أن سائق السيارة امرأة لا يعـــرفونها، فـــنادوها، وقبلت المرأة حالاً أن تعطيهم سيارتها لعمل إنساني. فجاءت عاملة مصرية تعمل في مطبخ المستشفى وساقت السيارة، بينما استلقت ان والممرضة إريكا فى المقعد الخلفي كي لا يظهر رأساهما. ساقت العاملة المصرية السيارة قليلاً إلى اليمين، ثم قطعـــت الطـــريق واحتمت بين البيوت، ثم سارت في خط مستقيم على الطريق ثانية نحو محطـــة الوقود. ولكن ما إن وصلن ثلاثتهن إلى هناك حتى اكتشفن أن الرجل الممدد كان عرابي. وتصف ان تلك اللحظات:

> لا أدري لماذا بدا لنا من شرفة المستشفى أطول.
>
> كان عرابي قد اختفى لبعض الوقت، ولم يخبر زوجته إلى أين هو ذاهب.
>
> لقـــد عرفـــناه من ثيابه ومن الكيس الذي يحمله. أمّا وجهه فكان من المستحيل التعرف عليه. كانت كل الجهة اليسرى من خده[٤٩] قد طارت (was blown out)، ولا أعلـــم أي نوع من الرصاص استعملوا. كان هناك عدة بقع تنزف من عدة أجزاء مـــن جسمه. وتمكنا من سحبه إلى السيارة أنا وإريكا.. نظرت في غرفة الطوارئ إلى

(٤٨) POH. S/SH. No. 52 (249/T.51), as above.

(٤٩) في شهادة أُخرى سابقة لطبيب فلسطيني أنها الجهة اليمنى لا اليسرى (أنظر الصفحة السابقة). وفيما عدا هذا الفارق، فالشهادات كلها توافقت على إصابته البالغة في وجهه، مع إصابات متعددة في جسمه.

ســاعته.. فرأيتها في تمام الساعة العاشرة والدقيقة الحادية والخمسين. وضعنا حوائجه جانباً. وما كاد الطبيب ينتهي من تكفينه (wrapping him) ويذهب ليخبر زوجته بما جرى، حتى شاهدنا مسلحاً يقف بالباب.(٥٠)

تحدثــت زوجة عرابى، الممرضة ماريا، عن المرة الأخيرة التى رأت فيها زوجها، فقالــت أنهــا بحثت في الوضع معه صباح الجمعة وهما يرشفان القهوة، وتوقعا أن يكون الــيوم يومــاً مشــحوناً، وخصوصـــاً بعد الفراغ الذي شهده المستشفى بخروج اللاجئين المحتميــن بـــه، الذين سمعوا بمكبرات الصوت أن على الجميع أن يذهبوا إلى بيوتهم ولا شيء سيصيبهم. وتوقعت ماريا صعوبة في تقديم المعونات الطبية للمرضى بسبب النقص فـــى المعدات الطبية. وروت أن جريحاً جاء في نحو التاسعة صباحاً، وهو مصري يعمل فـــي محطة الوقود القريبة، وسمعته يتكلم عن زوجها، لكنها لم تفهم تماماً ماذا قال، وإن تكن أدركت أن شيئاً سيئاً قد حدث. فذهبت إلى غرفة الطوارئ، ثم إلى قسم العناية الفائقة حيــث الفــريق الطبـــي النرويجـــي، ولـــم تلاحظ شيئاً، ولم تعلم شيئاً حتى جاء الطبيب السريلانكي راشا وقال لها إن زوجها عرابي مات نتيجة إطلاق النار والانفجار.

وكان تعليق الزوجة التى جاءت من صقيع فنلندا إلى جحيم حرب لا تنتهي حتى لو انتهت: "انتابنى شعور بأن الدنيا كلها كانت تتقلص؟"(٥١)

ج ـ نرويجية في مستشفى عكا

في الساعة الحادية عشرة كان الاقتحام.

كان المقتحمون متوترين وينظرون يمنة ويسرة بحثاً عن "مخربين".

أمّــا فـــي أثناء وجودهم في المستشفى في ذلك النهار، فقد كان لديهم الوقت الكافي ليــتعاملوا مع كل من الموجودين في المستشفى، أطباء وعاملين ومرضى، معاملة متفاوتة وفقـــاً للجنســـية أحـــياناً، ووفقاً للمزاج أحياناً أُخرى؛ وهى معاملة تراوحت بين المعاملة بالحسنى وبين التعذيب والاغتصاب والقتل الوحشي.

كانـــت الممرضـــة الفرنســـية إريكا أول من لاحظ قدومهم، فجاءت مسرعة تنادي الطبيـــب سامي. أسرع الطبيب ومن حوله ليشاهدوا مسلحاً يتقدم مجموعة عبرت المدخل الرئيسي، وهو يزعق بصوت عصبي وعنيف جداً، وكأنه يتوقع معارضة مسلحة. حاولت

---

(٥٠) POH. S/SH. No. 52 (249/T.51), as above.

(٥١) Testimony of “Marjaleena Oraby, Nurse, Finland,” as cited in Lamb, ed., op. cit., p. 587.

آن أن تســأل إن كــان ممكــنــا لها أن تأتي بجــواز سفرها. لم يسمح لها بذلك. فسألته حينذاك بالعربيــة المحدودة التي تعرفها: "إنتــو مين؟" فجاءها الجــواب بالإنكليزية أنهم "Phalangists". وعــادت تســأل الرجلين المسلحين اللذين كانا واقفين أمامها عما يبحثان. وجاء الجواب أنهما يبحثان عن جنود، عن مقاتلين، عن مخربين! هي لا تستطيع أن تؤكد أيــة لفظة استُعملت، لكنها تذكر جوابها بأنه لا يوجد جندي مسلح واحد في المبنى، فالكل مدنيون. كذلك لا يوجد فيه أي سلاح على الإطلاق. استوعب المسلح الثاني كلامها وسمح لها بأن تذهب وتأتي بجواز سفرها.(٥٢)

مسلحون اخرون كانوا يجمعون الممرضات وكل العاملين في المستشفى من غرفهم. كانت الممرضة النرويجية أستريد باركفيد ما زالت نائمة في غرفتها مرهقة بعد سهر نوبة الليل الطويل، وما إن فتحت عينيها حتى رأتهم فوق رأسها، وقالوا لها أنهم "فالانج"، لكنها لــم تلاحــظ أيــة شــارات على لباسهم. وسرعان ما سمعت أصوات هؤلاء الجنود وهم يصرخون من غرفة إلى أُخرى بحثاً عن جنود فلسطينيين.(٥٣)

بقيــت الممرضـــة أستريد النرويجية للعناية بالأطفال، بينما بقيت ماري الأسترالية وجيــن مــع الأطفال المعاقين، وغادرت آن باب المستشفى في حراسة مسلح لقّن بندقيته علــى أتــم اســتعداد لاســتعمالها إن لزم الأمر. غير أن المسلحين كانوا في واقع الأمر مضـــطربين ولا يصـــدقون أن المستشفى خالٍ من المقاتلين، فتضاربت أوامرهم. قال لها مسلح في الخارج بصيغة الأمر: "تعالي إلى هنا". بينما في اللحظة نفسها جاء مسلح اخر ليقول لها: "قفي مكانك". ولمّا كانت ان قوية الشخصية وهادئة بطبيعتها، فقد تمالكت نفسها وقالــت لهم بالإنكليزية: "من أطيع منكم؟ الواحد يقول كلاماً مناقضاً للاخر. فإذا فعلت ما يقولــه أي منكما، وقعت في مشكلة." وحلت المشكلة بأن طلبــا منها أن تخرج فخرجت، ومشت إلى جانبها العاملة المصرية التي ساقت سيارة الرينو قبل قليل لحمل جثمان عرابي إلــى المستشــفى، ومشــى اخرون. وسرعان ما لاحظ الجميع أن الأجانب يسيرون في طابور، بينما يسير الفلسطينيون في طابور اخر.

نظرت آن إلى الأمام عبر الشارع فرأت المسلحين يجلسون أمام بيوت حرش ثابت حــتى مدخل شاتيلا الرئيسي، وتعتقد أنهم كانوا نحو خمسة عشر مسلحاً. كذلك كان عند المســتديرة خمســة أو ستة آخرون. وكان يوجد عند تقاطع الطرق بين الشارع الرئيسي (شارع السفارة الكويتية) ومدخل شاتيلا مجموعة أُخرى من المسلحين يبلغ عدد أفرادها ما

---

(٥٢) POH. S/SH. No. 52 (249/T.51), as above.

(٥٣) Testimony of “Astrid Barkved, Health Worker, Norway,” as cited in Lamb, ed., op. cit., p. 608.

بيـــن العشرة والخمسة عشر مسلحاً. وما بين هذه النقاط المسلحة أعطت آن جواز السفر، فتأكدوا من كونها أجنبية وقالوا إن لا مشكلة هناك.(٥٤)

وصـــل الســكرتير الأول فى السفارة النرويجية كى يعود بالنرويجيين من أعضاء الجســم الطبــي في المستشفى، ووافق المسلحون على طلبه. هل ترضى آن بذلك قبل أن تطمئــن إلـــى مصير زملائها الآخرين؟ كانت فى تلك اللحظات الحرجة حزينة وغاضبة علـــى مصرع عرابي، وكيف تنسى أنه ما زال جثة ممددة في الطوارئ، وأن غيره مهدد بالمصـــير نفسه، بينما السكرتير الأول جاء ليحمي أبناء بلده. ولعله كان على حق. تصف آن تلك اللحظات الحرجة بقولها:

> كـــان قـــرارا مـــن أصعب القرارات في حياتي، وعليّ أن أتخذه في جزء من الثانية. هل أركب السيارة معه؟ هل أترك أصدقائي وأغادر المكان، أم أبقى؟
>
> لـــم أكن لأعلم ماذا يمكن أن يجري، ذلك بأن مجموعة الجنود (الميليشيا) كانت مهذبـــة ولم نكن نعلم في تلك اللحظات ما حدث في المخيمات فعلاً. ولم أجد نفسي إلاّ وأنا في السيارة بدافع غريزي لا إرادي.
>
> لمّـــا سمحوا لنا بالعودة ثانية إلى المستشفى، سمحوا لنا بأن نأخذ أستريد معنا، وســـمحوا لي بأن آتي بحقيبتي التي كان أهم ما فيها أفلام عن الأيام السابقة. سألتهم إن كـــنا نســـتطيع أن نأخذ معنا الأطفال، فوافقوا. وأخذنا أربعة أطفال. وكان هناك طفل خامس في تلك الغرفة لم نجرؤ على حمله معنا لصعوبة حالته، فهو بحاجة إلى سيارة إسعاف.(٥٥)

مـــن التناقضـــات بيـــن المســـلحين أنفسهم، أن أحدهم سأل بالفرنسية إن كان لدى السكرتير الأول في السفارة النرويجية سيارة كبيرة تسع بقية الأطفال. وكان الجواب أنه لا توجـــد ســـيارة كبيرة، وانتهى الجواب بسؤال مماثل من النرويجي: "هل لديكم أنتم سيارة لنقل بقية الأطفال؟" ورد المسلح بقوله إنه ليس لديهم. وتم الاتفاق على إمكان العودة لأخذ بقية الأطفال. لكن لن يكون هناك أطفال لأخذهم فيما بعد!!

لاحظـــت ان ســـوندي في طريق العودة اختفاء الأصدقاء والزملاء الذين كانوا أوقفوهم بالقـــرب من مدخل شاتيلا، ولاحظت وجود شاحنة كبيرة مقدمها مواجه لمستديرة المطار كان نصفها مملوءاً بالشباب والرجال، ودققت في وجوه هؤلاء لكنها لم تجد بينهم من تعرف.

وصلت السيارة الدبلوماسية أخيراً إلى مستشفى الجامعة الأميركية، ورفضت الإدارة

---

(٥٤) POH. S/SH. No. 52 (249/T.51), as above.

(٥٥) Ibid.

في بادئ الأمر استقبال هؤلاء الأطفال المرضى لصعوبة حالاتهم، وما كان في استطاعة آن أن تكشف عن هوية الأطفال وأنهم من مستشفى عكا لأنها ــ كما قالت ــ لم تكن تعلم مــن تكلم، ووجدت الطريقة المثلى في إقناعهم ببقاء ممرضة معهم للاعتناء بهم، وهكذا بقيت الممرضة أستريد.(٥٦)

تــتوقف تجــربة ان ســوندي فــي مستشفى عكا، لتبدأ في اليوم نفسه تجربتها في مستشــفى غزة؛ فهي "النرويجية" التي تمكنت من الوصول إلى مستشفى غزة وإبلاغهم ما جرى في مستشفى عكا.

د ــ فلسطينية في مستشفى عكا

تخــتلف تجربة نزهة، الممرضة الفلسطينية، عن تجربة ان النرويجية اختلافاً بيناً. الــتجربة في بداية النهار كانت متشابهة، فكل منهما كانت انتهت من "حمّام" الصباح وهي تستمع إلى النداءات عبر مكبرات الصوت بالتسليم، لكن الاختلاف البين في التجربة ابتدأ منذ تلك اللحظات.

كانــت نزهة ما زالت ترتدي ثيابها وهي تستمع وتستوعب لأول مرة أن ما يجري شيء خطر. وهي تقول:

> مقــر الهــلال الأحمــر كــان في بناية مجاورة في الطابق الرابع. اتطلّعت هيك ولاّ بيصرخوا بالميكروفون. الميكروفون كإني شايفته هلّق، الباب تبعه أبيض والمسكة من ورا حمــرا. صاروا يصيحوا ويقولوا سلموا بتسلموا. وإذا كان في مخربين وإذا كان فــي أي شــي وما مسترجي يعطينا السلاح بيرمي السلاح بالشارع وبيهرب. بيرمي السلاح إذا كان فزعان وبيهرب.(٥٧)

أكملت نزهة ارتداء ثيابها وغادرت المنزل إلى المستشفى حيث رأت الطبيب سامي، وقالــت له: "منشان الله يا دكتور سامي خلّينا نهرب." فرد عليها بقوله: "يا نزهة إسرائيل فاتــت علــى الجنوب وأهلك هلّق ساكنين بالجنوب، حَكَتْ معهم؟ يعني حَكَت مع النسوان والاطفــال؟ مــا حَكَتْ معهم." أدركت نزهة أن الطبيب يرفض تصديق أن هؤلاء كتائب وليسوا إسرائيليين. وهي تصف يأسها في تلك اللحظات:

> أنا صرت أبكي وأعبطه للدكتور وأبوس إيديه حتى يخلّينا نهرب، ما كان يخلّينا أبداً. قال: "معقولة نترك ونهرب؟"

---

(٥٦) Ibid.

(٥٧) POH. S/SH. No. 35 (238/T.35), as above.

وهيك بقينا، لحتى وصلوا لعنا.

كان الدكتور سامي عم يكفن عرابي، وقميصه غارق دم. قلّي: "اطلعي يا نزهة جيبيلــي قمــيص نضيف لألبسه." قلتلّو: "ما مسترجية يا حكيم". وصرت أبكي. قلّي، وهــو فكــره عم يشجعني: "والله إن ما طلعتي لارميك من الشباك. كل هاالقد جبانة؟" وردّيت عليه: "أنا مش جبانة يا حكيم، بس أنا خايفة، لأنّو هاي كتايب..."

وأنــا بس حسّيت إنهم دخلوا من مدخل الطوارئ، ما لقيت حالى إلاّ وأنا بهرب مــن المدخــل التانــي للطوارئ. وكان معي تلات بنات رفقاتي. كنا كلنا هربانين مع بعض، وكان معنا طفل صغير كمان هرّبناه معنا.

علــى الطــريق شفنا دبابة إسرائيلية قلنالهم شو صار معنا في المستشفى وعن الحــالات اللّــى وصــلت لعنا؛ عن قتل الناس بالرصاص والدبح. صاروا الإسرائيلية يضحكوا علينا ويقولولنا: "روخ.. روخ.. خبيبي ما تخاف."[٥٨]

وصــلت نزهة مع رفيقاتها إلى مخيم برج البراجنة. نمن ليلتهن هناك. وعادت في اليوم التالي إلى المستشفى لتأخذ هويتها وحقيبتها وما تركته من راتبها الشهري، إذ كانت لا تملــك مــن المــال مــا يوصلها إلى صور، حيث أهلها. لكنها لم تجد أحداً تعرفه في المستشفى. لا أحد هناك. وجدت شباباً من الصليب الأحمر اللبناني فسألوها: لم تبكين؟ وما إن عــرفوا أنهــا ممرضــة حتى صعد معها بعضهم إلى الطبقة الرابعة في مبنى مسكن الممرضات. هناك وجدت نزهة حقيبة يدها، لكنها فارغة من الهوية ومن بقية الراتب.

لم تقف نزهة حائرة بل شعرت بواجبها كممرضة منذ تلك اللحظة، وما عادت تفكر في الهروب إلى صور، وإنما قررت البقاء، وراحت تدقق فيما جرى فى المستشفى.[٥٩]

هـ ــ لبنانية في مستشفى عكا

تختلف تجربة شابة لبنانية عن التجربتين السابقتين لنرويجية وفلسطينية فى مستشفى عكا، بداية ونهاية. إنها تجربة رندة التي أنقذت أباها الجريح في الرواية السادسة عشرة، والتــي نامت في مستشفى عكا مع والدها بعد أن أكملوا له العملية الجراحية يوم الخميس ليلاً في ضوء الشموع.

شاهدت رندة تصرفات المسلحين منذ دخولهم مستشفى عكا. وشهدت أنهم لم يكونوا مهذبين معها كما كانوا مع الأجانب، لكنهم ما كانوا شرسين كما كانوا مع الفلسطينيين.

---

(٥٨) Ibid.

(٥٩) Ibid.

كانـــت رنـــدة واقفة بالقرب من الباب، فلم تشعر إلاّ وهم عند الباب وفي المدخل. وتقول: "فاجأونا وأخدوا يدفشوا فينا وينزلونا لتحت." وكان عددهم كثيراً جداً، وخصوصاً مـــع الواقفين في الخارج بين محطة الوقود والمستشفى. وحمدت رندة الله على أن السكان المحتمين بملجأ المستشفى كانوا غادروه، وإلاّ كانت الكارثة أعظم. تقول:

> أنـــا لمّـــا دخلوا لجوّا ركضت لعند بيّي، وقلتلّو: "إجو الإسرائيلية يا بيي." لكن هنّي كانوا وراي قالولي: "لأ. إحنا سعد حداد وكتايب."
>
> وإجـــا واحـــد قعد حدّي على سرير بيّي، وقلّي: "ما تفزعي. نحنا لبنانية متلك."
>
> قلـــتلّو: "بس إنتو قتلتونا. ليه قتلتونا؟ هاي بيّي وخيّي متصاوبين. وفي إلي خيّ انقتل. وأنا متأكدة إنّو جتته بعدها بالأرض. وإمي وخيّاتي بعد ما منعرف شو صار فيهم."
>
> قلّي: " لكن إحنا ما فتنا على منطقة الحرش أبداً."
>
> طـــبعاً عرفت عم يكذب. وإذا كان صادق إنّو هوّ ما فات، في غيره من رفقاته فـــاتوا. لكن شو بدّي إحكي. مضى الوقت وهنّي ساعة يقولولنا بدنا قهوة، وساعة بدنا شـــاي، أو قوموا هاتولنا مي بدنا نشرب. ما خوّفونا بالأول، وصحيح صاروا يمزحوا ويضحكوا معنا، لكن عاملونا برضه زي الخدم.
>
> في واحد منهم جرّب يحكي على جهاز اللاسلكي وما عرف، أو كان يمكن عم يجرّبني. إجا قلّي: "تعي إنت فوتي إحكي." قلتلّو: "أنا صرلي بس من امبارح هون وما بعـــرف اســـتعمل اللاسلكي. بعدين أنا لبنانية مش فلسطينية." قال: "نحنا عارفين إنك لبنانية. ليه قاعدة معاهم؟" قلتلّو: "طيّب فينا إحنا نستأجر بيت بألفين أو بألف ليرة. إحنا الله يساعدنا كلنا بنات وكلنا منشتغل ومنقدم لبيّي."(٦٠)

لـــم تشـــهد رنـــدة مقـــتل أحد أمامها، لكنها سمعت الرصاص حين قتلوا الممرضة انتصـــار. وقـــد تحدثت عن ممرضة أُخرى تمكنت من النجاة بنفسها حين قالت لهم أنها ستعود حالاً بعد أن تأتي بالماء، فغافلتهم ورمت نفسها من غرفة أُخرى إلى الخارج، وقد ساعدها ناس فأوقفوا لها سيارة أوصلتها إلى حارة حريك.

لـــم تحـــتمل رندة البقاء أكثر من الساعة الثالثة. ادعت أنها جائعة، فقالوا لها: "نحنا منجيبلك أكل. وبعدين إنت قلت إنك باقية للساعة خمسة." أجابتهم بأنها ستذهب إلى الشياح حيـــث يقطن عمها وعائلته وهم في انتظارها. أمّا السبب في قرارها الخروج وترك أبيها وأخيها فكان الخوف الذي اعتراها من سوء أدبهم والكلام الفاحش الذي أسمعوها إياه، وقد

---

(٦٠) POH. S/SH. No. 37 (236/T.36). Randa F. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 9, 1983.

تمـــادى بعضهم في قلة الأدب، فخافت من مصير كمصير اللواتي سمعت عما جرى لهن. وقالت في نفسها إن الله سبحانه وتعالى يحمي أباها وأخاها، لكنها لا تستطيع ذلك بمفردها. وتمكنـــت رندة من إنقاذ فتاة فلسطينية معها وهي خارجة، فادعت أنها تعرفها وأنها لبنانية من بلدتها في الجنوب. وكانت الفتاة قد مزقت بطاقتها الشخصية ثم أحرقتها.

تنفســت الاثنـــتان الصعداء في الخارج، واسترعى انتباه كل منهما أن الإسرائيليين كانوا غادروا مكانهم تحت جسر المطار.[٦١]

و ــ مصير الممرضات

روت ممرضة لبنانية في مستشفى عكا لمراسلة جريدة "ليبراسيون"، مايا ثابت:

> فـــي الســـاعة الحاديـــة عشـــرة اقـــتحم المستشفى رجال... يتكلمون العربية والإنكلـــيزية... كانوا في غاية الاضطراب، وبلهجة عسكرية طلبوا من جميع العاملين الأجانـــب بالمستشـــفى وعددهـــم يـــتجاوز أحد عشر طبيباً وممرضاً أن يخرجوا من المستشـــفى رافعيـــن أيديهـــم فـــي الهواء... وبقيت ممرضتان تعتنيان بثمانية جرحى وخمسة أطفال معوقين، كما بقي أطفال رضّع آخرون.
>
> على مدخل شاتيلا طلب منا ضابط إسرائيلي العودة إلى المستشفى وإغلاقه في وجـــه الجرحى والقتلى، لكنهم احتفظوا بطبيب فلسطيني كان معنا، وما عدنا رأيناه منذ ذلك الوقت [تقصد الطبيب سامي الخطيب].
>
> عدنـــا إلى المستشفى واكتشفنا أن أربعة جرحى اختطفوا، ولكن الممرضتين ما تـــزالان هناك. وبعد الظهر جاء وفد الصليب الأحمر للاطمئنان علينا، وأخذ أسماءنا، عـــندئذ اكتشـــفنا أن الممرضـــتين اختفتا. وقال لنا الطبيب أنه رأى المسلحين يخنقون الممرضتين خلف البناية.
>
> إحدى الممرضات الفلسطينيات كانت معنا، ذهبت للبحث عن أختها التي التجأت في بيت قريب من المستشفى فوجدتها عارية ملطخة بالدم.. ومقتولة خنقاً.[٦٢]

يروي طوني، وهو مواطن لبناني يسكن في مبنى مجاور لمستشفى عكا، كيف عاد إلـــى منزله لتفقده بعد طول غياب خلال الحصار الإسرائيلي لبيروت. وكان سبب غيابه القسري عن بيته أنه مسيحي؛ فمنطق الحروب الأهلية الطائفية يفرض العزل السكانى لكل

---

(٦١) Ibid.

(٦٢) نشرة "وفا" (بيروت)، ١٩٨٢/١٠/٢١؛ نقلت النشرة أقوال الممرضة كما روتها لمراسلة جريدة *Liberation*، مايا ثابت.

طائفة، ولأي طائفة كانت، في كل مكان، وهكذا كان في لبنان.

يروي طوني كيف اضطر إلى الاحتماء بمنزله من الرصاص، فقد كان في الخارج عـدد مـن المسـلحين يصوبون بنادقهم الرشاشة نحو المستشفى، وقد شاهدهم من إحدى الـنوافذ، كمـا تمكـن من مشاهدة ما جرى لممرضتين من المستشفى. الممرضة الأولى شاهدها عندما فتح باب بيته ليرى ما يجري في الخارج. كانت تجلس القرفصاء في ركن مـن الدرج خائفة مذعورة. دعاها إلى الاحتماء بمنزله، لكنها أشارت إلى الجهة الأُخرى التـي كانـت أصوات الرصاص تأتي منها. ومرت ساعة كاملة تشجع بعدها وفتح نافذة جانبية، وهناك شاهد عدداً من الجنود يغتصب ممرضة أُخرى. وقد كانت تستنجد بصوت مخنوق، وكانت تبكي. ثم رأى نهاية الجريمة: قتلوها بالرصاص.(٦٣)

مضـت ساعتان بعد هذه الجريمة كانوا خلالهما قد عادوا إلى الممرضة المذعورة، فقيدوها بالحبال، واغتصبوها، ورحلوا..

عـاد طونـي يفتح بابه ليعرف ما حل بالممرضة المذعورة، فوجدها مكانها، لكنها تحولـت إلى ضحية مشلوحة فى الممر، وما كاد يهم بالصلاة من أجلها كما صلى لراحة نفـس زميلـتها، حتى انهمر رصاص قريب، فأصيب فى ساقه اليمنى. التفت إلى مصدر الـنار فأدرك أن من أطلق النار عليه كان أحد أقربائه. أمر المسؤول عن المجموعة ذلك المسـلح بالإجهـاز علـيه، لكن المسلح كان بدوره قد أدرك أنه أطلق النار على قريبه، فرفض الأمر بالإجهاز عليه. ولولا تلك المصادفة، لما عاش طونى.(٦٤)

ربمـا كانت الممرضة الثانية هي نفسها الممرضة التي وجدت في ملجأ المبنى المجـاور، أي المبنى الذي يسكن فيه الراوي طوني. لكن لم يكن سهلاً التعرف على جثـتها، إذ تـم الـتعرف عليها من شعرها و"صندلها"، وقد ظهر أنها اغتصبت حتى الموت.(٦٥)

أمّا الممرضة انتصار فقد تكون إحدى هاتين الممرضتين اللتين شاهد طونى ما حل بهما. ويروي ما جرى لانتصار موظف الأشعة نقلاً عن زملائه وزميلاته في المستشفى؛ هـؤلاء يـروون كيف اقتادها المسلحون إلى الملجأ، بالقوة، شدوا شعرها وأنزلوها وهى تصـيح أن يقتلوها. وهم فعلاً قتلوها، لكن بعد أن اغتصبوها عدة مرات. وبعد أن انتهوا من عملهم جروها إلى محطة الوقود، فأمسكت بخزان الوقود تحتمي به، أو كما يروي أحد زملائهـا: "وتعبّطـت محل ما بعبّوا بنزين، تعبّطت فيها وبلشوا يتناشنوا عليها. خردقوها

---

(٦٣) المصدر نفسه، ١٩٨٢/١٠/٢٤.

(٦٤) المصدر نفسه.

(٦٥) Lamb, ed., op. cit., p. 589.

تخردق."[٦٦]

تروي الممرضة نزهة، التي كانت تمكنت من الهروب ثم العودة، أنه طلب منها أن تذهب إلى مستشفى الجامعة الأميركية للتعرف على جثة زميلتها الممرضة انتصار، إذ لا أحد من أهلها في بيروت، فهم من سكان طرابلس، وذهبت، وتعرفت عليها:

> الممرضــــة اللّــــي قتلوها انتصار رفيقتي كنت أنام أنا واياها في غرفة واحدة، قلتلها تهرب معاي، لكن ما كانت تهرب، لأنّو في معنا واحدة لبنانية كانت تداوم إسمها ســناء كانت بدها تضل معها وهي تقول إذا فاتوا لعنا ما بيحكوا معي، بدّي أقولهم أنا لبنانية من بعلبك.
>
> لكــن لمّـــا فـــاتوا عـــرفوها فلسطينية. عرفوها من لهجتها حالاً. اعتدوا عليها وقتلوها. وهيّ ما وفرتهم. شتمتهم وقاومت قد ما تقدر. في ناس سمعوا وحكولي.
>
> ويـــا ريتنـــي ما رحت حتى أتعرف على الجثة. ما في أصعب من شوفة أغلى الناس مشوهين على هاالصورة. لكن ما ممكن ما أتعرف على صديقتي؟ ممكن تموت وما حدا يشوفها ويؤكد إنّو هاي انتصار؟
>
> إرحمها يا رب.[٦٧]

ز ـــ مصير الأطباء والعاملين

لــــم يكن مصير الأطباء أقل وحشية من مصير الممرضات. اثنان منهم عذبا وقتلا، وهما الطبيب علي عثمان والطبيب سامي الخطيب، وكلاهما فلسطيني.

الطبيـــب علي عثمان متزوج بامرأة سوفياتية ولهما ابن. كان مع مجموعة الأطباء والعاملين في المستشفى الذين نادوهم منذ اللحظات الأولى كي يخرجوا. ولمّا صاحوا عليه ليقـــترب، سألهم أن يمهلوه كي يدخل المستشفى ويعود بزوجته. من الواضح أنهم ظنوها فلســطينية، وبالتالي، غنماً جديداً، فسمحوا له بذلك. لكنه ما إن دخل المبنى حتى قفز من الـــنافذة إلى الحديقة التى تطل عليها بناية يعقوبيان، ولم يتحمل الطبيب عثمان القفزة، إذ وقع على رجله المكسورة سابقاً، ولم يتمكن من الهروب بسرعة. أخذ يمشى ببطء خطوة خطـــوة، إلى أن دخل بناية يعقوبيان، ورأى صاحب البناية عند المدخل، وكان كل منهما يعرف الآخر، فقال له أنه يريد الاختباء عنده، واختبأ فعلاً فى الطبقة الرابعة.

قال يعقوبيان لموظفين فى مستشفى عكا، فيما بعد، إن المسلحين جاؤوا إليه وسألوه

---

(٦٦) POH. S/SH. No. 54 (230/T.53), as above.

(٦٧) POH. S/SH. No. 35 (238/T.35), as above.

إن كـــان أحد اختبأ عنده، فأجابهم: "ما بعرف". وكان معه ثلاثمئة ألف ليرة فاستولوا على ما معه من مال، وفتشوا المبنى.(٦٨)

أمّا الطبيب علي عثمان فقد وجدوه في الطبقة الرابعة. ويروي موظف الأشعة:

> طلعـــوا جابوا الدكتور عثمان. عذّبوه عذاب مش معقول. يعني في بنت شاهدة وموجودة. شـــافتهم بعيونها. حكِيت معي وقالت إنها شافت اسنانه مكسّرة ومرمية لبرّا. وشافتهم عم يشـــحطوه شـــحط علـــى الأرض، وهـــو عم يصرخ ويقول: "دخيلكم.." ولحد هلّق مش معـــروف شـــي عن الدكتور علي عثمان. بقولوا إنهم قتلوه. والطبيعي يكونوا قتلوه. لكن الجثة ما بيّنت!! وكمان ما التقت جثة الدكتور سامي الخطيب. أبداً ما التقت.(٦٩)

وجد دليل واحد على مقتل الطبيب علي عثمان، وهو قطعة المعدن التي كانت داخل رجله الاصطناعية، فلمّا شوهدت الرجل الاصطناعية على الطريق، عرفوا أنه قتل. كان علـــي عـــثمان طبيـــباً متخصصـــاً بالأمراض الداخلية، وكان أنهى تخصصه في الاتحاد السوفياتي وعـــاد إلى بيروت مع زوجته وابنهما الوحيد في نهاية سنة ١٩٨١. كان في منتصف الثلاثينات من العمر، وطبيباً مخلصاً في عمله ومحبوباً.(٧٠)

أمّـــا الطبيب سامي الخطيب فكان أحد الذين اقتيدوا إلى خارج المستشفى بأوامر من القـــوات اللبنانـــية، وليس بعيداً عن مكان تجميع العاملين في المستشفى، وقف السكرتير الأول في السفارة النرويجية يفاوض المسلحين بشأن أخذ الرعايا النرويجيين.

قالـــت آن ســـوندي أنها في أثناء الحوار لاحظت أن الطبيب سامي الخطيب فُصل عن المجموعة واقتيد إلى مدخل شاتيلا الرئيسي، فتوجهت حالاً نحوه. هناك كان يقف إزاء الحائط، ومعـــه عشرة أو خمسة عشر آخرين. ولمّا اقتربت منه سمعته يطلب من المسلحين السماح له بـــالعودة إلى المستشفى كونه طبيب الأطفال الوحيد، والمستشفى بحاجة إليه بسبب وجود الكثير مـــن الأطفال المرضى. وسمعتهم يسألون بعضهم البعض بالعربية عنها: "مين هاي؟" فأجابتهم بأنهـــا نرويجـــية. هنا قال لها أحد المسلحين بالإنكليزية: "إذهبي حالاً حيث تقف مجموعتك." وقال لها الطبيب سامي، بالإنكليزية أيضاً: "لا تقلقي. إرجعي أرجوك."(٧١)

عادت آن إلى حيث يقف الأجانب، مميزين من الفلسطينيين، على الرغم منها.

---

(٦٨) Ibid.; POH. S/SH. No. 54 (230/T.53), as above; POH. S/SH. No. 13 (238/T.9), as above.

(٦٩) POH. S/SH. No. 54 (230/T.53), as above.

(٧٠) POH. S/SH. No. 52 (249/T.51), as above.

(٧١) Ibid.

وكما علمنا أعلاه فقد سمح للسكرتير الأول في السفارة النرويجية وللنرويجيين بأن يعــودوا إلى المستشفى لإنقاذ بعض الأطفال. وفعلاً عادوا وتمكنوا من إنقاذ أربعة أطفال معاقين. لكن ما كادت السيارة الدبلوماسية تتحرك من المستشفى في اتجاه الأوزاعي حتى تلفتــت آن حيث كان يقف زملاؤها من الجسم الطبي، فلم تجد أحداً. اختفى الطبيب سامي الخطيــب واختفى الآخرون. اختفى الفلسطينيون. وهي تقول نقلاً عن آخرين إنهم شاهدوا الطبيب سامي فيما بعد في المدينة الرياضية، وهناك شخص قال أنه رآه وقد عذب كثيراً قبل أن يقتل.(٧٢)

هــل كانــت جثة الطبيب سامي أو جثة الطبيب علي بين الجثث المرمية في مسبح المدينة الرياضية؟

شهود العيان من بعيد حكموا بذلك لأنهم شاهدوا جثثاً لأربعة رجال يرتدون "الروب" الأبيض تعوم على سطح المسبح القليل المياه.

لكــن لموظفيــن فــي الهــلال الأحمر رأياً آخر، ذلك بأن المسعفين كانوا يرتدون "الروب" الأبيض أيضاً. وقد قتل ثلاثة من هؤلاء وهم في سيارة إسعاف، ومن الممكن أن تكــون جــثة أحدهــم أو جثث ثلاثتهم قد قذف بها في المسبح. ويندر أن يتحدث أحد من الهلال الأحمر من دون أن يذكر أسماء الشهداء الثلاثة معاً، زياد معروف ونزار الصادق وجهــاد الحاج. كانوا ثلاثة أصدقاء في الحياة وثلاثة رفاق في الممات.(٧٣) وعندما تسأل الممرضـــة نـــزهة عمن فقدت في المجزرة من أهل، تجيب بأنها فقدت الكثير، ثم يكتشف السامع أنها لم تفقد أحداً من الأقرباء لكن من الزملاء. تقول:

> كــان أقــربهم إلي تلاتة. أنا فقدت نزار، وفقدت جهاد، وفقدت زياد. كلهم انقتلوا بالمجزرة. كــان نزار ضابط إسعاف، وكانوا التلاتة مسعفين، كانوا رايحين يوصلوا جريح إسمه حاتم علــى مستشــفى غــزة. وصــلوا على غزة ووصّلوا الجريح، وهنّي راجعين قتلوهم بنص الطــريق. والسيارة اللّي كانت معهم كانت سيارة آخدينها من الصليب الأحمر، وعليها إشارة الصــليب الأحمــر. ولكن نحنا ما عرفنا إنهم ماتوا إلاّ في اليوم التاني. وما كان في اتصال بينّا وبين مستشفى غزة. كانت انقطعت الاتصالات لنسأل عنهم.(٧٤)

مــن ضــحايا الجسم الطبي والعاملين في مستشفى عكا طبيبان وممرضتان وثلاثة

---

(٧٢) Ibid.

(٧٣) POH. S/SH. No. 110 (231/T.86). Hasan A. (Abu ‘Ali). Interview with author. Beirut: Narrator’s office, May 11, 1984; POH. S/SH. No. 111 (243/T.87). As‘ad M. Interview with author. Beirut: Narrator’s office, May 11, 1984.

(٧٤) POH. S/SH. No. 35 (238/T.35), as above.

مسعفين وموظف وطباخ وحارس. وباقي الضحايا من المرضى، وخصوصاً الأطفال.

أمّـا الأجانـب، فقـد عاد من عاد منهم في اليوم نفسه، ومن الذين عادوا ماريا عرابي الفنلندية، التي قتلوا زوجها المصري عرابي. كانت واحدة من المجموعة التي اقتادوها للتحقيق سـاعة دخولهـم المستشـفى. وبعد التحقيق معهم بالقرب من مدخل شاتيلا خص المسلحون الأجانـب باحـترام خـاص، فوضعوا لهم بطانية على الأرض ليجلسوا، وقدموا لهم السجائر والعلكة، وأعربوا عن اهتمامهم بإمكان أن يتعرضوا للأذى جرّاء الشمس الحارقة. ولمّا سألهم الأجانب كم سيمكثون هكذا جالسين على البطانية، لم يتلقوا رداً. ثم تم القرار بأن يذهبوا خشية أن يظـن الإسرائيليون أنهم معتقلون لديهم. ولمّا سألوهم إلى أين يذهبون، هز المسلح كتفيه من دون جـواب. فقـال لهم الأجانب أنهم سيعودون إلى المستشفى وطلبوا أن يعود معهم الطبيب سـامي لحاجـة المستشفى إليه، وكان الجواب الرفض. وشاهدت ماريا جموع الموقوفين وهم يمشون صفوفاً رافعي الأيدي فوق الرؤوس.

أمّـا المسلحون الذين احتلوا المستشفى وبقوا فيه، فغضبوا حين شاهدوهم قد عادوا للاعتـناء بالمرضى والأطفال، وهاجموهم واصفين إياهم بالقذرين والسيئين لأنهم يعملون مع الفلسطينيين. وسألوهم إن كانوا شيوعيين أو من جماعة بادر ـ ماينهوف، ومن الذي أرسلهم، فأجابوهم بأنهم مسيحيون وأنهم جاؤوا من قبل عدد من المنظمات الإنسانية.[٧٥]

سـمح المسلحون للفريق الطبي الأجنبي بأن يبقى فقط في الطبقة السفلية، حيث كان لا يـزال خمسة معاقين من الأطفال وطفل من مستشفى الأطفال. وكان باقي المرضى في الطبقة الأولى، وعددهم ثمانية، ومعهم ممرضتان واحدة فلسطينية والأُخرى لبنانية، وبقي مع المرضى الطبيب راشا، لكن إلى حين.

أمّـا فـي شأن تصرفات هؤلاء المسلحين، حتى مع الأجانب، فكانت متناقضة جداً. تقـول ماريـا: "إنهـم كانوا يبدون في لحظة معينة في منتهى العنف، وفي اللحظة التالية يظهرون استعدادهم للقيام بأي شيء لمساعدتنا."[٧٦]

هـناك طبيـب أجنبـي استثناه المسلحون وأرادوا إيذاءه، وأبقوه بمفرده في الطبقة السادسـة تمهيداً لذلك، وهو الطبيب السريلانكي راشا. وقد اتضح أن أحد المسلحين كان يحـتفظ بالطبيـب رهينة، مهدداً بقتله إذا لم تعد ممرضة كان وعد نفسه بها، قبل السابعة مسـاء. وهـي الممرضـة نفسـها التي رجت آن سوندي أن يأخذوها فلم يتمكن الفريق النرويجـي من ذلك، إلاّ إنها عادت فتمكنت من الهرب. لكن العناية الإلهية أنقذت الطبيب عـن طريق إسرائيلي كان عالجه في الجنوب يوم كان الطبيب يعمل هناك، فقال الجندي

---

(٧٥) Lamb, ed., op. cit., p. 588.

(٧٦) Ibid.

الإسـرائيلي للميليشيوي: "أتركه يذهب". وقال للطبيب راشا: "إذهب إلى بيروت الشرقية وغـادر الـبلد حالاً."[٧٧] وهناك قصة ثانية تقول إنهم هددوا الطبيب راشا بالقتل إن لم يعطهم مبلغاً من المال.[٧٨] وأخيراً أنقذ الطبيب كما أنقذ غيره لمّا جاء الصليب الأحمر.

مـن الواضح أن أفراد الميليشيات غادروا المستشفى، وربما موقتاً، في نحو الساعة الثالثة، ذلك بأن عناصر الصليب الأحمر الدولي لم يروهم هناك حين وصلوا بعد الظهر. لكن الحريق الذي شب في المستشفى فيما بعد يدل على عودة من أحرق المستشفى.

جاء موفدون من الصليب الأحمر الدولي مرتين لإنقاذ من تبقى في المستشفى. كانت أول مـرة في نحو الساعة الثانية ظهراً، وقالوا أنهم حاولوا المجيء صباحاً فلم يتمكنوا، ووعدوا بالعودة بعد الظهر أيضاً، ووفوا بوعدهم في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين بعد الظهر. تقول ماريا إنه كان هناك أربعة مرضى فقط في الطبقة الأولى، ولم تعرف مصير الأربعـة الباقيـن، فـنقل الصـليب الأحمر المرضى إلى مستشفى نجار، والأطفال مع الممرضة إلى مركز أمل.[٧٩] ويقول حمزة أنه كان هو وأبوه بين الجرحى المحظوظين الذيـن أُنقذوا، ويتذكر أن الساعة كانت الثالثة والدقيقة الثلاثين بعد الظهر لمّا وصلوا إلى مستشفى نجار.[٨٠]

كان طوني أ. أحد المسعفين في فرقة الصليب الأحمر اللبناني التي رافقت الصليب الأحمـر الدولي إلى مستشفى عكا بعد ظهر الجمعة. قال إنه جرى اتصال بهم فحواه أن ثلاثـة ماتوا في مستشفى عكا، وأن عليهم الذهاب للمجيء بهم. ولمّا كانت طريق صبرا مقفلـة فقد اضطروا إلى الذهاب عن طريق الأوزاعي. هناك صادفوا حواجز لكن "مشّي الحـال"، علـى الرغم من أنهم توقفوا في محلات خطرة وخلال القصف، فكان مسؤول الصـليب الأحمـر الدولي يترجل ويتكلم مع المسؤولين الإسرائيليين هناك. وعند حاجز مستديرة الطيونة اضطر المسعفون إلى الترجل وهم يلفون أنفسهم بأعلام الصليب الأحمر كي يتأكد الجنود من أنهم حقاً مسعفون.

عند وصول المسعفين إلى مستشفى عكا سمعوا صوت إطلاق رصاص قوياً وسقوط قذائـف، واسـتغربوا هـذه الأصوات، إذ كانوا يعلمون أن الشباب سلموا سلاحهم. لماذا الرصاص إذاً؟ من يحارب من؟ يقول طوني:

---

(٧٧) POH. S/SH. No. 52 (249/T.51), as above.

(٧٨) Lamb, ed., op cit., p. 589.

(٧٩) Ibid., pp. 588, 589.

(٨٠) POH. S/SH. No. 36 (236/T.36). Hamzah F. Interview by A. M. Massacre area: Narrator’s house, March 9, 1983.

لمّا فتنا على مستشفى عكا ساعتها اكتشفنا إنّو الناس اللّي كانوا ميتين واللّي رايحين نجيبهم ما كانوا ميتين من قصف أو شي، كانوا ميتين من ضرب رصاص عن قريب. كانوا ميتين متل اللّي شفناهم بعدين كيف ماتوا بالمجزرة. وفي الوقت اللّي كانت عم تقوم فيه المجزرة إحنا كنا بمستشفى عكا، وما عرفانين إنّو المجزرة عم تصير.

بعدين عرفنا إنّو الجماعة [يقصد الميليشيات المسلحة] كانوا طلعوا من عكا وفاتوا لجوّا وصاروا بصبرا. بعدني بتذكر منيح إنّو إحنا شلنا من جماعة عكا يومتها امرأتين وحكيم وعامل كان يشتغل بمحطة بنزين جنسيته مصرية. شلناهم، كانوا كتير مشنْعين فيهم للممرضات والحكيم كمان هيداك المصري [يقصد الطباخ المصري الذي كان يلبس الرداء الأبيض] كان مقتول. أخدناهم. وشلنا معنا كمان من المرضى بذكر ستة أو سبعة كان معظمهم ختيارية.(٨١)

ح ـ مصير الأطفال

أنقذ السكرتير الأول في السفارة النرويجية والفريق النرويجي أربعة أطفال معاقين، وأنقذ الصليب الأحمر الدولي أطفالاً آخرين، لكن أين ذهب بقية هؤلاء الأطفال؟ المعاقون منهم، والمرضى، والرضّع؟ هل قتلوا؟ وكيف؟ وأين الجثث؟

يقول موظف الأشعة إن الأطفال كانوا في أسرّتهم في الملجأ لحمايتهم، وهناك قتلوهم. وأخذهم عناصر الصليب الأحمر إلى مستشفى غزة.(٨٢)

عبر فيلم فيديو التقط يوم الجمعة في مستشفى غزة يظهر الطبيب البريطاني بول موريس حاملاً جثث أطفال رضّع من المشرحة، ويعرضها على المصورين. لمن كانت تلك الجثث؟(٨٣)

تقول الممرضة نزهة أنها عندما عادت يوم السبت إلى مستشفى عكا سألت عناصر الصليب الأحمر عما جرى في قسم الأطفال في المستشفى، لكنهم لم يكونوا على علم بوجود قسم للأطفال أصلاً. قادتهم هي إليه، لكنه كان خالياً. لم يكن فيه أحد. وهي تجزم أن أفراد الميليشيات قتلوا الأطفال:

---

(٨١) POH. S/SH. No. 86 (231/T.74). Tony A. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983.

(٨٢) POH. S/SH. No. 54 (230/T.53), as above.

(٨٣) Danish cameraman et al., The Massacre Video.

إحــنا تانــي يوم لقينا طفل مزتوت برّا بالجنينة. ورجعنا رحنا على صبرا لقينا أطفال كنا نعالجهم. يعني بنعرفهم، شفناهم.

كان في أطفال عمرهم شي سنة، وفي ٣ سنين، وفي ٤ سنين، وفي ولد مشلول ما بيتحرك قاتلينه بالبلطة.

ويمكــن قاتلينهم وراميينهم في صبرا حتى ما ينقال إنهم قتلوا الأطفال المرضى في مستشفى.(٨٤)

تقــول عزيــزة الخالدي، مديرة مستشفى غزة، استناداً إلى شهادة الصليب الأحمر الدولـــي، إنه لمّا وصل المسعفون إلى مستشفى عكا يوم الجمعة، رأوا طفلاً صغيراً ميتاً حرقاً.(٨٥)

تقــول أم أكــرم، وهي "أولى الباحثات عن الضحايا": "لمّا دخلت الكتايب على عكا صباح الجمعة، راحوا شالوا كل اللّي بالمراطبين، يعني الأطفال اللّي لساتهم مش كاملين، مش كامل نموهم. وقتلوهم."(٨٦)

أمّــا الحــاج الذي نجا من الموت في الرواية التاسعة والثلاثين، فقد شكر ربه على نجاتــه، وراح يســاعد عناصــر الصــليب الأحمر والدفاع المدني لأيام متتالية بحثاً عن الضــحايا، وهو يقول أنه شاهد عند مدخل ملجأ مقفل في حي عرسال، حالما تمكنوا من فــتح الــباب، جثــثاً مكدسة فوق بعضها، وبينها جثث لأطفال رضّع في الأشهر الأولى ولأطفال لم يكتمل نموهم بعد، وعددها ما بين العشر والاثنتي عشرة جثة.(٨٧)

لــيس مــن المؤكد أن تلك الجثث هي كلها لأطفال كانوا في مستشفى عكا، لكن من المؤكد أنها جثث أطفال!

* * *

أمّــا في شأن مصير مستشفى عكا، فقالت الممرضة نزهة عندما عادت يوم السبت أنهــا وجدتــه محروقاً: البرادي كلها محترقة؛ البرّاد محطماً على الأرض؛ التموين على الأرض مدعوســاً بــالأقدام؛ الزجاج محطماً؛ صورة الطبيب فتحي عرفات مهشمة على

---

(٨٤) POH. S/SH. No. 35 (238/T.35), as above.

(٨٥) POH. S/SH. No. 34 (241/T.33). ‘Aziza Khalidi. Interview with author. Beirut: Author’s house, March 4, 1983.

(٨٦) POH. S/SH. No. 19 (249/T.22), as above.

(٨٧) POH. S/SH. No. 16 (248/T.18). Hajj Mahmoud R. Interview with author. Beirut: Author’s house, February 16, 1983.

الأرض وعليها آثار الدعس والأقدام؛ ثلاث ضحايا في قلب المستشفى لم تدفن بعد؛ "الكافيتيريا" محطمة مع كل الدلائل على أنهم أكلوا وشربوا طوال الليل؛ الفراش المسحوب والملقى في الخارج حيث نام من نام منهم في تلك الليلة.(٨٨)

خامساً: تكملة روايات من اليوم الأول

كان لكل يوم مآسيه، ولكل يوم رواياته، لكن مآسي اليوم الأول ما انتهت بانتهاء اليوم، ولا انتهت رواياته.

هناك روايات من هذا اليوم، عاش أصحابها في اليوم التالي، يوم الجمعة، في خضم العذاب، لم يعرفوا بعد النهاية، لم يعرفوا مصير أحبائهم، لم يجدوا أجوبة لأسئلتهم. هؤلاء الذين أضاف يوم الجمعة إلى مآسيهم، وانتظارهم، وأسئلتهم، نتوقف عند رواياتهم أدناه.

* * *

هند، في الرواية الثالثة، والتي كانت "شاهدة على دخولهم الحي الغربي"، بقيت مع أولادها في بيتها خلف المدينة الرياضية طوال يومي الجمعة والسبت من دون أن تجرؤ على الخروج. وكلما شعرت بالألم نتيجة إصابة رجلها بطلق ناري من المهاجمين، تناولت حبة مسكّن، ودعت الله أن يعيد إليها زوجها سالماً.(٨٩)

* * *

انتصار (أم نبيل)، في الرواية الرابعة، "شهادة مؤجلة من حي عرسال"، بقيت تنتظر مع أطفالها الثلاثة في منزل خالتها، حيث ظنت أن هناك الأمان.

علمت انتصار بحدوث المجزرة فلم تجرؤ على العودة إلى بيتها، وكان خوفها على زوجها أكثر من خوف هند على زوجها، لأن زوج هند كان في الجنوب في زيارة عائلية، والأمل بالله أن تستبقيه أمه فترة أطول، أمّا زوج أم نبيل فكان عاد إلى بيته في حي عرسال لينقذ جيرانه بعد ظهر الخميس، وأيضاً ليعود بزجاجة الحليب والحليب لطفله الرضيع.

كانت انتصار متعلمة وهادئة ومؤمنة، فبقيت في منزل خالتها لا تغادره، وهي تأمل بقدوم زوجها في أية لحظة، على الرغم من أنها تأكدت من أقوال الناس أنهم دخلوا في

---

(٨٨) POH. S/SH. No. 35 (238/T.35), as above.

(٨٩) POH. S/SH. No. 59 (234/T.56). Hind D. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, May 3, 1983.

السادسة مساء، أي في تلك الساعة التي كان زوجها عائداً إلى البيت.(٩٠)

هل يعود أبو نبيل إلى زوجته وأطفاله؟

هل يعود ليشهد؟

* * *

أحمد الذي كان وحده من نجا من أسرته، في الرواية الخامسة، "الجيران الشهود في أول شاتيلا"، والذي وصل إلى مستشفى غزة مساء الخميس لإيصال رفيق جريح له، والذي نام ليلته وهو يحسب ألف حساب لمصير أهله في أول شاتيلا قرب حي المقداد، غادر المستشفى صباح الجمعة وحاول دخول شاتيلا فلم يتمكن. عاد فذهب عبر أرض جلول إلى مستديرة المطار لعله يجد طريقاً للدخول من شارع السفارة الكويتية، حيث المدخل الرئيسي، لكنه وجد على جسر المطار أفواجاً من "الكتائب"، فاضطر إلى العودة من حيث أتى عند الواحدة ظهراً.

أعاد التجربة بعد ساعة بلا نتيجة، لكنه ما إن وصل عائداً إلى مستشفى غزة حتى فوجىء بالمئات من الذين التجأوا إليه يغادرونه، وكذلك وجد المرضى في الطرقات ينتظرون "الصليب الأحمر" لإنقاذهم. قام يشارك في المسيرة الكبرى نحو كورنيش المزرعة، لكن الجنود الإسرائيليين منعوها بحجة حظر التجول.(٩١)

كان على أحمد الانتظار طويلاً كي يتأكد من مصير أهله.

* * *

الفتاة التي كانت نجت وحدها بين أسرتها، والتي لم تذكر الصحف اسمها، في الرواية العاشرة، "شاهدة على اقتحامهم أحد الملاجىء"، حمدت ربها على أنهم لم يقتلوا عمها فيصل، لكنه لن يعيش أكثر من يوم واحد. وهي تروي أحداث اليوم الأخير من حياته:

> ... في الصباح قدمت شاحنات حيث قام جنود الكتائب بوضع جثث الضحايا بداخلها وطلبوا من عمي فيصل مساعدتهم بذلك، وأثناء رفعه لجثث القتلى وجد جثة أمه وانفجر باكياً، ثم اتجهت الشاحنات المحملة بالجثث إلى منطقة المدينة الرياضية حيث دفنوهم في مقبرة جماعية، وقام الجنود بعد ذلك باقتياد من تبقى وطلبوا منا الانتظار داخل المدينة الرياضية، وبعد أن ذهبوا حاولت أنا ومن معي الهروب.(٩٢)

---

(٩٠) POH. S/SH. No. 112 (241/T.88). Intissar Khalil (Um Nabil). Interview with author. Massacre area: Narrator's house, June 3, 1984.

(٩١) POH. S/SH. No. 26 (241/T.28). Ahmad Khatib. Interview with author. Beirut: Author's house, March 1, 1983.

(٩٢) نشرة "وفا" (بيروت)، ١٧/١٠/١٩٨٢.

كان رائعاً من هذه الفتاة المعذبة أن تقوم بمساعدة غيرها وهي في عز محنتها، فهي انتشلت ابنة جيرانها، الطفلة بنت العامين، حين شاهدتها مدفونة حية تحت جثة أمها في المدينة الرياضية. أمّا بعد قيام "جنود الكتائب" بإطلاق النار على السكان الذين كانوا في المدينة الرياضية، فقد تحرك الجنود الإسرائيليون لإنقاذ من لم يمت من هؤلاء ونقلوهم إلى منطقة الصنائع.

كان نصيب الفتاة المعذبة أن تمضي ليلتها في مستشفى الجامعة الأميركية، لكنها في اليوم التالي عادت وهمها الأول البحث عن عمها فيصل، والبحث عن جثث ذويها، وأخيراً وجدت عمها فيصل، لكنها وجدته هو الآخر جثة هامدة مزقها الرصاص.(٩٣)

عمها فيصل استغلوه لرفع الجثث إلى الشاحنات. شاهدوه يبكي أمه الراقدة بين تلك الأكوام. لم يرحموا وضعه العقلي الصحي، فأطلقوا عليه الرصاص، ومات.

أكان ممكناً لمن كان مثله ضعيف العقل أن يحمل سلاحاً ويقاتل؟

ربما رحموه ساعة قتلوه.

غير أنهم قتلوه حباً بالقتل، لا رحمة به.

* * *

منير، الفتى الذي قال أنه لن ينتقم بقتل الأطفال في الرواية الثانية عشرة، "شهادة فتى في الثانية عشرة"، أدرك في الصباح أنه فقد أمه وأخاه وشقيقاته الثلاث، وكان لا يزال ملقى على الأرض بين أكوام من جثث النساء والأطفال، وليس أمامه سوى الاستمرار في التظاهر بالموت.

لم يتمكن الفتى الجريح من إخفاء ارتعاشه عندما جاء أحدهم يغطي الجثث بالبطانيات، فسارع المسلح إلى إطلاق النار عليه.

مرة ثانية تكتب له الحياة. كان منير يخبئ وجهه بيديه لمّا أصابته الرصاصة الثانية الموجهة مباشرة إلى رأسه، فكان أن أصابت الرصاصة سبابته فبترتها.

وللمرة الثانية ظنوه ميتاً، فغطوه ببطانية.

من تكتب له الحياة ليس في إمكان أعتى المجرمين أن يسلبها منه.

نهض منير حين استطاع ذلك والتجأ إلى أقرب بيت ليغير ثيابه الملوثة بالدماء. لكنهم داهموا البيت وصاحوا عليه: "مين إنت؟ تكلم! إنت لبناني واللاّ فلسطيني؟" لم يجد منير نفسه إلاّ وهو يقول بصوت مرتعش: "أنا لبناني".(٩٤)

---

(٩٣) المصدر نفسه.

(٩٤) POH. S/SH. No. 61 (243/T.58). Munir Muhammad. Interview with author. Beirut: Friend's house, May 4, 1983.

هل كذب منير؟

لو قال لهم: "أنا فلسطيني" لكانوا قتلوه، وقد أكّدوا له ذلك: "لو كنت فلسطيني كنا قتلناك."

هل كذب منير؟

بعد أن غادروا، وجد الفتى الجريح قميصاً في ذلك البيت، ولمّا كان جريحاً، وبمفرده، وليس هناك من يساعده، فقد استغرق البحث عن القميص وارتداؤه ثلاثين دقيقة، نظر بعدها الفتى من النافذة وتهيأ له أن في إمكانه الخروج.

حاول الإسراع في مشيه كي يصل إلى المخيم، لكن أحدهم شاهده، فصاح به: "قف مكانك". إلاّ إنه لم يقف بل أسرع أكثر بقدر ما يستطيع، وأسرع المسلح المهاجم بدوره يطلق عليه الرصاص، فأصابت رصاصة خده الأيسر، لكنها لم تجرحه سوى جرح سطحي؛ وهذه إرادة الله.(٩٥)

كانت تلك المرة الثالثة التي يطلقون فيها النار لقتل الفتى ابن الثانية عشرة.

مشى منير وحده حتى وجد من أنقذه من شباب المخيم. حملوه إلى مستشفى غزة الذي كان لا يزال يعمل يوم الجمعة، وكان آخر من أجريت له عملية.

لكنْ من ينقذه في حياته كلها من أشباح ليلة واحدة أمضاها مع الموتى على الطريق؟

من ينقذه من أسئلة الناس كلما رأوه أول مرة: "ماذا جرى لإصبعك؟ من ترك هذه الندبة على خدك؟ هل كنت مقاتلاً؟ في أي حرب؟ وأين؟

* * *

مفيد، الفتى ابن الخامسة عشرة، والذي أطلق لساقيه العنان هارباً من المسيرة نحو الموت، مساء الخميس، في الرواية الثالثة عشرة، "شهادة فتى لم تصلنا شهادته"، والذي أطلقوا عليه النار وهو يركض وأصابوه، أنقذه الأطباء في مستشفى عكا، ونام ليلته هناك، لكن كان عليه أن يلقاهم في اليوم التالي، ساعة اقتحموا المستشفى.

وصلتنا عن مفيد ثلاث شهادات لثلاثة أفراد من عائلة واحدة.

كان مفيد في غرفة واحدة مع رجل جنوبي من مجدل زون، هو الحاج علي، أحد الذين صفوهم إزاء جدار الموت في الحرش، ثم أطلقوا النار عليهم. هو الأب الذي أنقذته ابنته في الرواية السادسة عشرة، "عندما يهرب القتيل والقاتل". قال الأب الحنون إن الفتى الجريح كان في غرفته وإلى جواره، وكان مصاباً في ظهره، بينما ذكرت شهادات أُخرى أنه كان مصاباً بأعلى فخذه، لكن الفتى في الحالتين لم يعد في إمكانه الهرب حتى لو أراد.

---

(٩٥) POH. S/SH. No. 134 (243/T.105). Munir Muhammad. Interview with author. Beirut: Narrator's house, September 2000.

والواقع أنه لم يرد.

قال أحد القتلة لهذا الأب متباهياً: "شفت الشّب اللّي كان نايم حد منك؟ طرقناه بالبلطة في الشارع."

كان حمزة، ابن الحاج علي، شاهداً أيضاً، وكان جريحاً في الغرفة نفسها، وهو الذي قال في الرواية الخامسة عشرة: "قتلونا مرتين".

قال حمزة إنهم وجدوه جريحاً في السرير فلم يكلموه، وقد عرفوا أنه لبناني، أمّا الفتى مفيد محمد فقد سألوه: "وإنت؟ مين إنت؟" قال لهم: "أنا فلسطيني". فأمسكوا به بعنف، وأمروه بأن يخرج من سريره، وقالوا له: "اطلاع برّا وْلا". وبالقرب من محطة الوقود في الشارع قتلوه.

سمع حمزة منهم عن عمليات قتل غيرها. قال إنهم لم يكونوا طبيعيين. كانوا يشتمون باستمرار. وداخل المستشفى قتلوا ناساً، وتركوا آخرين. كان هناك فلسطيني طاعن في السن، فلم يقتلوه، لكنهم قتلوا مفيد محمد.(٩٦)

كان حمزة متأثراً جداً بمقتل مفيد، فهو لا يكبره إلاّ بعامين، ولا يختلف عنه إلاّ بالهوية. وكان هذا هو كل ما عرفه القتلة عن الاثنين، العمر والهوية، فقتلوا واحداً، وأبقوا على الآخر.

أضافت رندة إلى شهادة أبيها وأخيها أنها ما زالت تذكر ذلك الشاب القاتل المتعجرف، وهي تذكر أن قامته ما بين القصيرة والمتوسطة، وأن عمره ما بين العشرين والثانية والعشرين، وهي تستطيع أن تعرفه بين العشرات.(٩٧)

صباح الجمعة، بينما كان مفيد يشدونه بعنف من سريره في مستشفى عكا ليقتلوه، لا لسبب إلاّ لأنه قال لهم "أنا فلسطيني"، كان أخوه الأصغر منير يحاول الهروب في زواريب شاتيلا بعد إصابته بالرصاص ثلاث مرات من قبل ثلاث مجموعات، وبعد نجاته من موت محقق لو لم يقل لمجموعة رابعة متلعثماً: "أنا لبناني".

الشهادة التي وصلتنا من الفتى مفيد، وهو جريح ملقى في مستشفى عكا، لا يعرف مصير أهله، لا يعرف إن كانت أمه وأخواته الثلاث وأخواه ما زالوا أحياء أم أنهم قتلوا، ولا يعرف إن كان أخوه الأكبر تمكن من الوصول إلى مستشفى مأوى العجزة الليلة الفائتة، كان لا يعرف بعد شيئاً من هذا عندما وصلتنا شهادته عبر ثلاثة كانوا معه في الغرفة، سمعوها، ونقلوها لنا، وكان هؤلاء الشهود هم الحاج علي وحمزة ورندة، أب وابنه وابنته، قال كل منهم إن منير لم ينطق بأكثر من كلمتين: "أنا فلسطيني".

---

(٩٦) POH. S/SH. No. 36 (236/T.36), as above.

(٩٧) POH. S/SH. No. 37 (236/T.36), as above.

هل هناك من ينتظر من الفتى مفيد شهادة بعد؟

* * *

مصطفى كان أحد الذين أوقفوهم إزاء جدار الموت في الرواية الرابعة عشرة، "أربع عشرة رصاصة في جسمه"، وقد عاش ليلته بين الأموات، كان جريحاً لا يستطيع الحراك، ولا يتذكر سوى صراخ ابنته الصغرى وهم يطلقون على زوجته وأطفاله الرصاص.

صباح الجمعة، جاءت رحمة السماء من أم مفجوعة هائمة في الأزقة تبحث عن مصير ابنتها العروس الحامل. وما كان أمام هذه الأم، أم علي، إلاّ أن تبحث بين الأموات. وقد هامت على وجهها على الرغم من إلحاح جاراتها اللواتي كن معها في الملجأ في ألاّ تذهب. قالوا لها: "الشارع مليان ضرب"، فقالت أنها ذاهبة لشراء طعام للصغار. لم تصدقها الجارات؛ فقد كانت الساعة لا تزال السادسة صباحاً. كلهن عرفن أنها انتظرت ضوء الصباح لتبحث عن ابنتها.

هناك.. بين أكوام من الأموات سمعت أنيناً. وراح مصطفى يناديها بصوت خافت كي تنقذه. تقول:

> طلّيت على راس الشارع شفت الجثث كلها ملَقْحَة. شي براس وشي بدون راس. كلهم على بعضهم البعض الزلم [الرجال]. وما سمعت إلاّ واحد بعنّ وبِقولّي: "دخيلك، دخيل اولادك إنقذيني." وصلت لحد منُه، وأنا عرفته لمصطفى، عرفته على طول، ولقيت مَرْتُه واولاده مقتولين على باب بيتهم، ومش بعيد أبداً عنُه. وصرت صرّخ أنا: "اللّي بحب الله، اللّي بريد الله ينقذ معي هاالإنسان".
>
> قلت أنا بركي بنقذ هاالشخص، والله بيبعت مين ينقذلي بنتي. رحت حملت هاالزلمة وساعدوني واحد سوري وواحد فلسطيني، حملناه لمصطفى وقمنا نركض والعالم كلها بعدها بالملجأ، قلت خبّرهم شو صار حتى يهربوا، وكان في شي ٤٠٠ شخص مع اولاد ومع نسوان، صرخت فيهم ليقوموا يمشوا، ومسكت اولادي الصغار إبني بايد وبنتي بايد، والبنت الأكبر مشيت حدّي، وهاالزلم الاتنين حاملين الزلمة المجروح ورحنا كلنا على مستشفى غزة...[٩٨]

لم يكن لدى أم علي وقت لتقول للمسؤولين في المستشفى قصة مصطفى. كانت مطمئنة إلى أنه يستطيع الكلام. وقد قالت بالحرف: "ليش هو ما عنده لسان يحكي؟ كان

---

(٩٨) POH. S/SH. No. 23 (238/T.25). Samiha H. (Um ‘Ali). Interview with author. Beirut: Author’s house, February 27, 1983.

قادر يحكي. وأنا بدّي لاقي بنتي."[٩٩] كان همها الأكبر أن تركض من جديد لتبحث عن ابنتها، وهي واثقة بأن السماء ستجد لابنتها من ينجدها كما فعلت مع مصطفى.

كان مصطفى من الذين خرجوا من مستشفى غزة في حماية الصليب الأحمر الدولي، لكنه خرج وفي جسمه رصاصات لم تستخرج بعد.

قال صديق له رآه في المستشفى يوم الجمعة، ورآه بعد ذلك، إن يده اليمنى أصبحت "معطوبة"، ولم يعد في إمكانه أن يمارس مهنته، فهو سنكري، وكان من أكثر السنكرية مقدرة وكفاءة، ختم صديقه باعتزاز.

كان مصير مصطفى اللجوء إلى ألمانيا.[١٠٠]

* * *

أم ربيع، الممرضة التي راحت تنقذ الناس من الملاجئ ليلة الخميس، في الرواية السابعة عشرة، "من الملجأ إلى مستشفى غزة"، سألت صباح الجمعة جارتها أم أكرم على درج مستشفى غزة: "دخيلك جارتنا إيش صار؟ شفتيلي إمي؟ شفتي أخوي؟" وردّت أم أكرم، وهي أولى الباحثات عن الضحايا، وهي العائدة لتوها من البحث عن ذويها في الأزقة، تسألها: "وين يا بنتي يا حبيبتي كانت إمك؟ وين؟ في ملجأ أبو ياسر؟" وأكدت لها أم ربيع: "آ، جارتنا، إمي وأخوي كانوا هناك." وجاء رد أم أكرم:

> والله أنا الصبح مرّيت على ملجأ أبو ياسر لقيت الشباب مكومة كلها فوق بعضها ومقتولة، على الشارع قريب من الملجأ، بس الملجأ ما لَقيت فيه حدا.
>
> أكيد يا بنتي كاينين مطلعين الناس من الملجأ. لكن الملجأ كان في نسوان واولاد. وين أخدوهم؟ برمت كتير. فتشت كتير. لَقيتهم ماخدين النسوان على كراج درويش وقاتلينهم هناك. سامحيني يا بنتي.[١٠١]

أدركت أم ربيع أن أمها وأخاها ابن الخامسة عشرة قد رحلا.. أي أنهما رحلا عن الدنيا، وليس كما رحل زوجها مع المقاتلين.

كانت أم ربيع ليلة أمس تقود الناس إلى حيث الأمان في مستشفى غزة، بينما كانت أمها وأخوها الأصغر يجابهان الموت، وهي لا تدري.

أمّا هؤلاء الهاربون جميعاً ليلة أمس إلى مستشفى غزة، فقد عادوا يهربون مرة ثانية

---

(٩٩) Ibid.

(١٠٠) POH. S/SH. No. 110 (231/T.86), as above.

(١٠١) POH. S/SH. No. 24 (240/T.26). Harbeh J. (Um Rabi‘). Interview by A. M. Massacre area: Narrator’s house, February 28, 1983.

يوم الجمعة إلى خارج المنطقة. وكانت أم ربيع بين الهاربين إلى شارع حمد.

حاولت مساء الجمعة تنظيم أكبر عدد ممكن منهم للتوجه نحو الإسرائيليين مساء الجمعة لإخبارهم بكل ما جرى. لكن ذلك لم يحدث لأكثر من سبب، كان أهمها عدم الاتفاق بين الهاربين أنفسهم.(١٠٢)

وكان هناك صوت داخلي في أعماق أم ربيع يقول لها: لِمَ الشكوى أساساً؟ ما هذه النهاية؟ ألا يعلم الإسرائيليون لو أرادوا؟ ألا يعلم اللبنانيون لو أرادوا؟ ألا تعلم الصحافة لو أرادت؟ ألاّ يعلم الله؟ عفوك يا الله ورحمتك.

الشكوى لغير الله مذلة.

* * *

شهيرة عاشت في الرواية العشرين تجربة "في انتظار الموت"، وهي لم تستطع النوم طوال الليل في منزل خالتها أم أسعد، وكانت تعلم من دون أن تتجرأ على القول أنهم قتلوا أختها عايدة وأباها.

قالت إنه في صباح الجمعة جاء نحو عشرين مسلحاً، منهم من وقف بالقرب من النوافذ، ومنهم من وقف عند الأبواب، ومنهم من وقف على الدرج، رافعين السلاح. بدأوا بتكسير الزجاج، وأخذوا النساء والأطفال إلى الخارج، وأبقوا الرجال في البيت. وهي تقول:

> كانت الطريق مزروعة بالقتلى. شفنا أبوي وأختي عايدة قدّام البيت أول ما طلعنا. كان أبوي مقتول بالرصاص، أمّا عايدة فكانت مشرّحة تشريح. كان وجهها مشوه. صرخت لمّا شفتها. قلّي الجندي الكتايبي: "قومي من هون وإلاّ قتلتك فوقها." وراحوا اولادي الصغار يصرخوا لمّا شافوا خالتهم عايدة مقتولة ويقولوا: "يا ماما شوفي خالتي عايدة."
>
> كل ما مشينا شفنا جثث. من اللّي بذكرهم جثة محمد النابلسي [راجع الرواية الثالثة والعشرين: "الأصدقاء الثلاثة"]، الله يرحمه. وكتار كتار ما بعرفهم.
>
> حبسونا في المدينة الرياضية في غرفة واحدة. كنا كتار. وكان علينا حرس منهم. لمّا عطشوا الاولاد وجاعوا وصاروا يبكوا، قام واحد من الحرس سمحلنا نقوم نشتري من الدكان مي وأكل. قال: "يلاّ روحوا وارجعوا".
>
> لكن نحنا رحنا وما رجعنا. هربنا. وما رجعنا على بيوتنا إلاّ بعد ما خلص كل شي.

---

(١٠٢) Ibid.

ويا ريتنا.. يا ريتنا ما رجعنا![١٠٣]

* * *

الحاجة أم علي في الرواية الرابعة والعشرين، ربة "العائلة الصامدة من قلعة الشقيف"، التي اختبأ عندها أكثر من ثلاثين من جيرانها ومن الباحثين عن مأوى، فتحت بوابة البيت الخارجية قبيل السادسة صباحاً، وراحت تمشي في الزاروب القصير، وما إن وصلت إلى نهايته ومدت رأسها حتى وجدت الشارع المجاور مملوءاً بالجثث. اقتربت لعل أحداً يريد مساعدة، فرآها القتلة وأخذوا يمطرونها بوابل من الرصاص، فرجعت أدراجها بسرعة محتمية بحائط الجيران.

ودوّت مكبرات الصوت بنداء "سلِّم تسلم".

كان الشارع الذي أطلت عليه الحاجة أم علي في الحرش هو الشارع نفسه الذي صفّوا الرجال والشباب عند جداره، بعد أن أخرجوهم من بيوتهم ومن ملجأ أبو ياسر. وهو الشارع نفسه الذي وصلت إليه رندة فأنقذت أباها في الليلة السابقة، ولم تشاهد أحداً في الحي كله؛ فقد كان المهاجمون هربوا بعد أن رماهم المقاومون بقذيفة آر. بي. جي. (راجع الرواية السادسة عشرة: "عندما يهرب القتيل والقاتل").

صباح الجمعة عاد المسلحون المهاجمون أقوى مما كانوا سابقاً، وأكثر عدداً.

لكن عائلة الحاج أبو علي، ذلك الحاج المؤمن المبتسم من قلعة الشقيف، لم تكن بحاجة إلى الهرب من الطرقات التي كان احتلها المهاجمون. فقد تمكنت من الهرب شرقاً من جهة قصر صبري حمادة، ومن هناك وجدت طريقها إلى الشياح. وما إن وصلت العائلة حتى علمت أن المنطقة أُقفلت حال خروجهم.[١٠٤]

سادساً: من شهادات اليوم الثاني

ابتدأ اليوم الثاني مع جثث ملقاة هنا وهناك تشهد على بعض ما جرى في الليلة السابقة، وبيوت مهدمة لإخفاء بعض ما جرى من جرائم قتل عائلات بأسرها.

ابتدأ هذا اليوم مع نداء عبر مكبرات الصوت: "سلِّم تسلم".

كانت النداءات عالية مدوية وفي أكثر من مكان، حتى أن امرأة فلسطينية في بئر حسن سمعتها، وكانت النداءات تدعو الرجال فقط كي يخرجوا من البيوت، ويضعوا

---

(١٠٣) POH. S/SH. No. 69 (231/T.63), as above.

(١٠٤) POH. S/SH. No. 115 (231/T.89). Fatima ‘Ajami. Interview with author. Massacre area: Narrator’s house, July 13, 1984.

السلاح أمامها، ويتركوا بيوتهم مفتوحة. أمّا النساء والأطفال فليبقوا في الداخل.(١٠٥)

لكن ما جرى حقيقة هو أنه لم يُسمح للنساء والأطفال بالبقاء في البيوت.

في يوم الجمعة هذا أُجبرت الجموع على السير نحو المدينة الرياضية.

الكثـيرون اخـتاروا الذهـاب طوعاً، إمّا خوفاً وإمّا تصديقاً للنداءات عبر مكبرات الصـوت بأن من يسلِّم يسلم. بينما خاف كثيرون غيرهم فراحوا يحكمون إغلاق الأبواب على أنفسهم، أو هرعوا يبحثون عن طريق للهرب.

أمّا المهاجمون القتلة، فما كانوا بصادقين ولو مرة واحدة مع النداءات عبر مكبرات الصوت.

ما من أحد أعادوا له هويته وقالوا له: "هذه هويتك عد إلى بيتك."

بعـض الإسرائيليين قال ذلك. وكان دور الإسرائيليين هو المهيمن عملياً في المدينة الرياضية وجوارها.

من شهادات اليوم الثاني اخترنا عشر روايات تباري مثيلاتها في اليوم الأول وحشية ورعونة وتمثيلاً بالضحايا، لكنها تتميز منها بأنها شهادات على ما جرى في وضح النهار.

ليس من فارق في المجازر ما بين ليل ونهار.

أ ـ شهادات عن قتل العائلات وخطف العائلات

من المستغرب حقاً ما رواه المقاتل في النمور الأحرار من أن رؤساءهم بلّغوهم وهم يهيـئونهم يوم الأربعاء في وادي شحرور للهجوم، أن العملية يجب ألاّ تستغرق أكثر من ثلاث ساعات!!

العملـية اسـتمرت طـوال اليوم الثاني أيضاً. وهي لم تتوقف مع انتهاء هذا اليوم الثاني. وقد تميزت في هذا اليوم بالذات بتصعيد رهيب في الاعتداء على عائلات بأكملها، وفي أحداث الروايات الثماني أدناه ما يشهد على ذلك.

الرواية الخامسة والعشرون
عائلة أم أحمد

أم أحمـد من قرية الناعمة في قضاء صفد، كانت خرجت من قريتها طفلة في الخامسة من عمرها، وشاءت أقدارها أن تتزوج رجلاً من قريتها وأن تنجب منه تسعة أولاد.

---

(١٠٥) POH. S/SH. No. 29 (241/T.30). Nofa Khatib (Um Wassim). Interview with author. Massacre area: Narrator's house, March 3, 1983.

مســـاء الـــيوم الأول خرج الشباب من أولادها تحسباً لما قد يحدث، وكانوا بالتحديد شابين فقط، بينما بقي السبعة الآخرون، فتياناً وفتيات، مع الأبوين مساء الخميس في بيتهم الواقع على حدود المخيم بالقرب من صبرا.

خافــت أم أحمــد وأرادت الاحتماء مع الصغار بالملجأ القريب، لكن زوجها خالفها الــرأي، فهــو العامل في "مصلحة" الهاتف كان مطمئناً إلى عدم إقدام الإسرائيليين على إيذائـــه لطبيعة عمله أولاً، ولكبر سنه ثانياً؛ والأهم، في رأيه، أن إخوته المقيمين بالجنوب لم يعتقلهم الإسرائيليون، وحتى لم يستجوبوهم. الإسرائيليون بحثوا في الجنوب عن الشباب فقط!!

أبــرز ذكريات أم أحمد عن يوم الخميس أنهم لم يجدوا خبزاً قط، فطبخت "مجدرة" لأولادها، لعل العدس يشبعهم قليلاً. وهي لا تدري كيف وصلت بالقرب منهم سيارة قبيل المغــرب وفــيها من يصيح: "اللّي بدّو خبز ييجي ياخد." وأخذت "ربطة" للأولاد. ونامت مطمئــنة إلـــى توفر الخبز للفطور غداً، لكنها لم تكن مطمئنة قط إلى ما قد يحدث. وهي تذكــر الإنـــارة الشـــديدة التي دفعتهم إلى القلق، كما تذكر القصف المتقطع، لكن القصف توقف أخيراً، وناموا قليلاً.

صـــباح الجمعة، وقبل السابعة، كانت أم أحمد في المطبخ تضع إبريق الشاي على النار وتحضر الفطور لمّا دخلت المطبخ أيضاً جارتها ليلى، وكانت الجارة قد نامت عندها بعـــد إلحاح شديد منها، فليلى بمفردها منذ سفر زوجها. غير أن ليلى التي قبلت دعوة أم أحمد إلى النوم عندها بسهولة، رفضت البقاء في الصباح وأصرت على العودة إلى منزلها حتى لو كان هناك مداهمات. لكن هذا لا يعني أن ليلى لم تكن خائفة من المداهمات، فهي صـــعدت إلـــى ســـطح منزل أم أحمد وهي تمسك بيد ابن جارتها، كي تطمئن إلى وضع الشارع وتعرف ما يحدث هناك.

مـــا إن أطلت ليلى برأسها حتى لمحها أحد المسلحين ولمح الفتى إلى جانبها فصاح: "يـــا إخـــت... إنتو منين جيتو؟ إنتو جيتو واللاّ الله نزّلكم من السما؟ انزلوا يا اخوات ... انزلوا. انزلوا من هاالبيت واللاّ منهبط البيت على روسكم. انزلوا."

نزلت الجارة وهي تصيح: "يا ام أحمد يا ابو أحمد أجونا. يا جماعة اسألوا الولد كان معي. اسألوه."(١٠٦)

لـــم يكـــن هـــناك وقـــت للسؤال، كان الصياح في الخارج يشتد كي يفتحوا الباب، والمهاجمون يحاولون الدخول من بيت الجيران.

---

(١٠٦) POH. S/SH. No. 17 (231/T.21). Y. A. (Um Ahmad). Interview with author. Beirut: Author's house, February 22, 1983.

قـــرر أبو أحمد، المحتفظ بهدوئه حتى اللحظة الأخيرة، أن يفتح الباب. فقام وهو يقول: "طولّــوا بالكم يا إخوان، هيّاني جاي." ودخلوا كالجان الهابط من كوكب آخر، وكأنهم يهبطون على غابة مهجورة لا على بيت آهل:

"وين كنتو مخبيين حالكم؟ شو جنسيتك وْلا؟"

ورد أبو أحمد: "أنا فلسطيني".

وسألوه بعصبية: "وجارك وْلا، شو جنسيته؟"

ورد أبو أحمد: "جاري بعلبكي طلع على بلده، وبعدين هو زلمة ختيار..."

وقاطعه أحدهم بصراخ: "صُوَر مين على الحيطان يا أخو ...؟ هيدول اولادك الكبار ما هيك؟ وين راحوا؟"

ورد الأب محــتفظاً بهدوئه: "هاي صُوَر اولاد إخوتي كانوا عنا بالأحداث ورجعوا راحوا عند أهلهم على صيدا."

صدق المهاجمون أم لم يصدقوا كلام أبو أحمد. لا أحد يعرف، لأنهم كانوا أصدروا الأمــر التالــي قبل أن ينتهي الأب من الجواب: "يلاّ، يلاّ كلكم برّا البيت، اطلعوا وإيديكم فوق روسكم."

خــرجوا جميعاً، والأيدي فوق الرؤوس. خرجوا وأمامهم ووراءهم أكثر من عشرة مسلحين.

خــرجوا جمــيعاً باســتثناء ولديــن كانـــا مختبئين في الحمام لم يعرف المسلحون المهاجمون بوجودهما أصلاً، ولم يفتقدهما حتى الأبوان. من الذي يفتقد الآخرين في ساعة كهذه حتى لو كانوا أبناءه؟

تقول أم أحمد:

> طلّعونـــا لبرّا، وتركنا البيت مفتوح. ونحنا كنا محضرين اوراق الولادة والهوية وقلـــنالهم إذا بحــبّوا يشوفوها يتفضّلوا. فرجيناهم الاوراق. منهم مين شافها، ومنهم ما كـــان همّو غير يصرخ: "يلاّ اطلعوا برّا". وطلعنا كلنا رافعين إيدينا فوق روسنا، حتى شـــادية الصـــغيرة رفعت إيديها متلنا. ومشّونا لأول الزاروبة، وبعدين ما بعرف ليش غــيّروا عقلهم. قاموا رجعوا بعد فترة قالوا: "يلاّ ارجعوا على البيت." رجعنا وفوّتونا لجوّا وقّفونا وقالوا: "يلاّ، يلاّ صفّوا هيك على الحيط."
>
> والله وقّفونـــا، وإحـــنا هيك رافعين إيدينا، وبلّشوا يرشوا. أول ما بلّشوا فيّ أنا وبالبـــنات. أنا وقعت بالأرض حسّيت ضهري انفتح وقلت أنا رحت وماعاد مني رجا. وبنتـــي الكبـــيرة كمان تصاوبت وبعدها الشظايا بإيدها وبكتفها وبضهرها. ومن يومها بنتـــي ســـعاد انشـــلّت، وبنتي نهاد انجرحت، ولكن الباقين كلهم راحوا. كلهم راحوا.

سـمعت فـريد بقول: "يا بابا إجو ليّي"، وما كبسوا إلاّ مخه راح طالع. وحسّيت شادية الصـغيرة بـتحوم حوالـيّ وبتقولّي: "يا ماما يا ماما." قاموا جابوها وضربوها، وما ضربوها رصاصة إلاّ وروحها طالعة.

هنّـي ما لحقوا طلعوا صرنا نحرك رجلينا نعرف مين مات ومين بعده طيب. وساعتها عرفت إنّو اسماعيل وماهر كانوا هربوا وتخبوا في الحمام. الله نقّدهم. وشفت إنّـو عندي بنتي الوسطانية نهاد مجروحة فيها تمشي، لكن سعاد كانت ما فيها تتحرك. جيـت أنـا وإخوتها الاتنين لنحملها، ما عدناش نقدر نحملها، كاينين مقوصينها لسعاد أربع رصاصات، منهم بضهرها حتى انشلّت. وما كان فيها تتحرك مش توقف. راحت قلتلـي: "يمّـا أنـا إجريّي وقفوا، خدي اخواتي وإذا فيكي تهربيهم اطلعي، أهربي مع إخوتي يمّا."

أخـدت هاالاولاد وطلعت. وآخر مرة تطلّعت على أبو أحمد كاين حامل الهوية بإيده ليناولهم اياها. لكن قوّصوه قبل ما يقدر يعطيهم الهوية.

ركضـنا بالشارع زي المجانين. الاولاد الاتنين كان الكبير فيهم، ماهر، واعي منـيح، إبن ١٣ سنة، قام أخد أخوه اسماعيل الأصغر، وكان عمره ٦ سنين، قام مسكه من إيده وراحوا تخبّوا عند الجيران، ولا عدت شفتهم إلاّ بعد تلات أربعة ايام. وكمّلت أركـض مـع بنتي والإيشارب على راسي منقع من دم بنتي الصغيرة ومن مخها اللّي طار على الإيشارب.[١٠٧]

لـم تكن أم أحمد وحدها حين جاءت إلى بيتي في ٢٢ شباط/ فبراير١٩٨٣، أي بعد خمسـة أشـهر مـن المجزرة، لتروي ما جرى. كان معها أخ صديق لزوجها، وهو من أخبرنـي بمأسـاتها ورافقها إلى الموعد، وهو من عرّفني على عدد كثير من أهل صبرا وشاتيلا، لكن فاته أن يعرفني على امرأة أُخرى جاءت برفقة أم أحمد. وما كان هناك من ضـرورة للسـؤال، إذ كان من الواضح أن المرأة الأُخرى هي أيضاً من أهل الذكريات. كانت تتشح بالسواد، مديدة القامة، منتصبة، لم تتفوه بكلمة. كان واضحاً أنها تستمع إلى أم أحمـد بانتـباه، وكأنها تستمع إليها أول مرة، مع أنها من دون ريب تعرف كل ما جرى، لكنني لم أكن عرفت قصتها بعد. ما لاحظته في أثناء حديث أم أحمد أن المرأة الآتية معها كانت تذرف الدمع طوال الوقت. أم أحمد لم تكن تبكي إلاّ نادراً، فتذرف دمعة أو دمعتين علـى الرغم منها. وأنا بينما كنت أستمع إلى أم أحمد كانت عيني على المرأة التي جاءت معها، والتي كان بكاؤها الصامت يقول الكثير.. الكثير.

---

(١٠٧) Ibid.

عادت أم أحمد تروي قصة هروبها من بيتها مع ابنتها:

> أنــا فكرت دق على باب الجيران. وين بدّي روح؟ في عنا جيران لبنانية رحت لعندهم وقلــت لجارتــنا: "إنــتو لبنانــية ومش راح يحكوا معكم شي. اطلعوا معنا منطلع مع بعــض." قامــت قلتلي الجارة: "نحنا مش ضاهرين محل. باقين بالبيت." قلتلها: "خبّونا عــندكم. دخــيلكم ويــن بدنا نروح؟" وكنت عم حاكيها والدم عم ينزل على الأرض.. قلتلي: "جارتنا روحي على المستشفى، الله يخلّيك، روحي على المستشفى."(١٠٨)

لم أتمالك نفسي. فقلت بغضب: "ولو؟ هادا معقول؟ كيف تخلّت عنك وإنت بهالحالة؟ قوليلــي يــا إم أحمــد، التقيتي معها بعد كل اللّي صار؟ حكيتوا مع بعض؟ قدّمتلك عذر واحد؟"

لم تجبني أم أحمد، إذ لاذت بالصمت.

لاحظتُ أن المرأة التي جاءت معها ازداد بكاؤها، لكن لم أعرف السبب. أوقفت آلة التسجيل، وتلفت نحوها: "أرجوك يا أختي أنا ما تعرفت عليك بعد، أنا قلت شي ضايقك؟" ولم تتكلم.

رحــت أســتنجد بــالأخ الضيف والمستمع، لاعتقادي أنه لا بد من أن يعرف ما لا أعرف. وجدته صامتاً، بل مصراً على الصمت.

أخــيراً تكلمــت المرأة المرافقة لأم أحمد، وسمعت صوتها أول مرة في بيتي. قالت بهدوء: "أنا جارتها".

لم تنته رواية أم أحمد عن يوم الجمعة.

فهي خرجت مع ابنتها من بيت جارتها قاصدة مستشفى غزة، وكأن مساً من الجنون أصابها، وهي العاقلة دوماً، فراحت تصرخ بكل من رأته من فلسطينيين كي يتركوا بيوتهم لأنهــم ســيقتلون. ولمّــا وصــلت إلى المستشفى كانت الساعة ساعة أم أحمد. لن ينسى صراخها كل من كان في المستشفى. راحت تقول:

> يــا عمــي شو مالكم هون؟ بعدكم هون؟ يا ويلكم من الله، مسلحين وواقفين هون، قدّام المستشــفى؟ روحــوا شوفوا العالم كيف مكومة بالشوارع. عم يقتلوا الناس في بيوتها، إنتوا الشباب حاملين سلاح وبعدكم واقفين قدّام المستشفى؟ يا ويلكم من الله.(١٠٩)

تعترف أم أحمد بأنها كانت كالمجنونة تصيح عليهم. وتعترف أيضاً بأنها شعرت بأن

---

(١٠٨) Ibid.

(١٠٩) Ibid.

مـــا مـــن أحد صدّق، وما من أحد رد عليها أو سألها كي تروي له كل ما جرى. وخافت كثـــيراً أن يعود القتلة إلى المستشفى، فما إن ضمدوا جروحها وجروح ابنتها حتى بادرتا إلى مغادرته بعد الظهر ملتجئتين إلى أقرب بناية تؤويهما.

هل فكرت في ابنتها المغمى عليها بين الأموات؟ بالتأكيد. لكن ماذا كان في إمكانها أن تفعل؟

فكرت ذات مرة في أنهم لم يسألوا زوجها ماذا يعمل. يا ترى هل كانوا سيتركونهم لو علموا وتأكدوا أنه رجل يعمل في مصلحة الهاتف، وأنه ليس مقاتلاً في صفوف فتح؟

لكنهم قتلوه قبل أن يسألوه. تلك هي المشكلة.

فكرت ذات مرة في جارتها ليلى التي قتلت معهم، وترحمت عليها.

أمّـــا ولداهـــا، إســـماعيل وماهـــر، فلا يبدو أنها فكرت كثيراً فيما جرى لهما بعد خروجهما من المخبأ في الحمام، ساعة كان المجرمون يقتلون الأسرة كلها.

ولقد تم اجتماع شمل من تبقى من هذه الأسرة بعد ثلاثة أيام.

الرواية السادسة والعشرون

عائلة أم علي

أم علي هي المرأة التي راحت تبكي في بيتي بينما كانت أم أحمد تروي مأساتها، أعلاه.

أم علـــي هـــي المـــرأة نفســـها التـــي قالت لجارتها أم أحمد: "جارتنا روحي على المستشفى، الله يخلّيك، روحي على المستشفى"، ورفضت قبولها في منزلها.

أم علـــي هـــي المرأة نفسها التي سمعناها في الحديث عن وفد السلام، في الفصل الثاني، تترحم على عضو الوفد أبو أحمد سويد، الذي كان لها ولزوجها وأسرتها نعم الأخ والصديق، منذ جاؤوا إلى شاتيلا.

هـــي لبنانية جنوبية شبعاوية، أحبت الفلسطينيين بحكم الجوار، ولاقت معهم المصير نفســـه بحكم الجوار. وقد جاء دور أم علي لتتكلم، وأم أحمد لتستمع، في لقائي معهما في ٢٢ شباط/ فبراير ١٩٨٣:

> لمّا رجعت من ملجأ أبو ياسر على بيتي الخميس بالليل، وتركت بنتي إم فادي، كنت متكلة على ربنا، سبحانه وتعالى. ما كان فيني أعرف شو ممكن يصير، ولو كنت بعـــرف، مـــا تركتها في الملجأ. كان عنا بالبيت ضيوف، وكانوا اولادي، ونمنا الليل، وما حدن عارف ينام..
>
> الجمعـــة الصبح، خبرنا إنهم أخدوا النسوان والاطفال والاولاد كلهم. والله بنتي

كـــان معها أربعة.. سامحني يا ربي، يمكن بنتي بتسوى قبيلة. يا غبن قلبي عليها. أنا شـــو كنت افتكرت ساعتها، افتكرت إنّو في مسلحين في المخيم، هو الحقيقة إنّو ما كان في مسلحين في المخيم، لكن نحنا كنا نسمع رصاص نفتكر إنّو في مسلحين.

رحت شلت إيشاري [إيشاربي] بإيدي ورحت بدّي إطلع على الطريق حتى قول للـــناس يا عمّي من شان الله هيدي إسرائيل ما بتعمل شي. في الجنوب ما عملت شي مع النسوان والاولاد، ارفعوا الأعلام البيض، وما تعملوا شي ما حدا بيحاكيكم.

مـــا شـــفت إلاّ إبني ربيع بيكمشني على إيدي هيك وبيقولّي: "هس. ولا كلمة يا إمـــي. مـــا تطلعـــي برّا يا إمي. سمعت إنّو أبو ياسر ومعه كتار قدّام الملجأ قاتلينهم. وســـمعت يـــا إمي إنهم أخدوا إختي إم فادي وولادها وأبو فادي ومش مبينين." رحت قلـــتلّو: "لكن يا إمي إختك واولادها ما بيحكوهم، كيف ممكن يحاكوا ويؤذوا اللبنانية؟" قـــام راح يخبرنـــي عـــن جيرانّا التانيين اللّي كانوا رايحين مقتولين عند جارنا سعيد المدبـــوح قدّام بيته، ويرجع يترجاني ما إطلع من البيت. وبعدين راح يترجاني يهرب لحـــالو، كان خايف يقوصوه لأنه شاب. صرت أنا قولّو: "لَهْ يا إمي بيفتكروك هربان. إحنا لبنانية وتذاكرنا بإيدنا."

وبقيـــنا للســـاعة سبعة ونص الصبح. واللاّ هالمَرَه جارتنا إم أحمد فايتة علينا، فاتـــت جارتنا ودمها متلّيها هيّ وبنتها. وبتقول: "دخيلكم خبّوني". قلتلها: "دخيلك دمك هيك شو بدنا نخبيك شو بدنا نعملّك يا عمي إسّي بيجو بلاقونا، مزال عم يقتلوا بلاقوك عـــنا بيقـــتلونا. دخـــيلك إنك تروحي على المستشفى بلكي بتقدري بتسلكي وبتضمدي جـــروحك." قامـــت هـــاي المَرَه قالتلي: "اللّي معهم جنسية لبنانية مش عم يحاكوهم." وراحت المَرَه بعد خمس دقايق.

إجا جوزي من برّا قلّي: "ليش قلتيلها هيك؟ ليش كحشتيها للمَرَه؟ وِلَكْ إلنا وإلها الله، كـــيف خلّيتـــيها تطلع؟" قلتلّو: "يا عمي ما دمها نقع بالأرض وإذا إجوا بقولوا إنهم كـــانوا عـــم يحـــاربوا هـــون، وكيف بدّي وقّفلها الدم، مش شايف دمها ودم بنتها عم يصـــفّي؟" رجع يقولّي: "يا ويلك من الله كيف خلّيتيها تطلع." وصار يضرب كف على كف.(١١٠)

حسم الجدال بين الزوجين مع ارتفاع صوت المنادين في الخارج: "سلِّموا بتسلموا". وخرجت العائلة كلها لتسلم!!

---

(١١٠) POH. S/SH. No. 18 (238/T.19). D. M. H. (Um 'Ali). Interview with author. Beirut: Author's house, February 22, 1983.

خرجــت أم علــي وأبو علي وبناتهما وابنهما الشاب ربيع ذو العينين الخضراوين والموظف في مطبعة مجلة "الحسناء"، وخرج كذلك الملتجئون الذين ناموا في المنزل. وقد عدّتهــم أم علــي مــع أسمائهم ثلاث أو أربع مرات في اللقاء. وأمّا بعد أن ابتدأ مشوار الرعب، فما نسيت أم علي أن تعد الجيران أيضاً:

مــا وصــلنا للطريق إلاّ شفنا هاالجيران الفلسطينية وهلّي مخبيين. شفنا مَرْتْ قاســم حــرب وبيت عودة، جيرانّا هناك كلهم بس سمعوا صوتنا كلهم تحوشوا، وكان معــنا كمــان واحــد من عرب المسلخ عمره تمانين سنة ختيار جارنا كمان، وواحدة مصــرية، وواحــدة ســورية ومتجنســة لبنانية. وراحوا اللبنانية صفوهم على جنب، والفلسطينية على جنب.

ومــا شــفنا إلاّ واحد منهم راح نادى على واحد تاني وقلّو: "بتعرف هاالوجوه هاي؟ بتشتبه بشي؟"

وما عرفنا شو قلّو. لكن أمرونا نمشي، الرجال لحال والنسوان لحال. قلتلهم أنا: "ويــن ماخدين إبني؟" ورحت عيّطت أنا: "يا ربيع، اسمعني يا إمي." وتلفّت عليّ ربيع وبقي ماشي مع الرجال. وما شفت إلاّ جوزي صار يترجّى المسلح ويقولّو: "أنا موجه الله عليك تخلّيني روح على الملجأ شوف بنتي بالملجأ واولادها." وسمحلو يروح. لكن شــو شــاف؟ ما لقيش جوزي حدا بالملجأ، شاف القتلى أمام الملجأ وكلهم رجال. ولمّا رجـــع الختيار كان إبني وإبن سلفي وصهري وديب الحناوي من شبعا والختيار اللّي حدنــا كمان إسمه حسين يونس، كلهم قطعوا وراحوا أخدوهم اتنين اتنين وراحوا على زاروبة تانية.

ونحــنا ماشــيين، شاف واحد بنتي حلوة وعمرها ١٦ سنة. قلّها: "إنت لبنانية؟ هاتي تذكرتك." وراح كامش التذكرة وبدّو يفوتها على بيت قريب منه. رحت صرخت فــيه: "لوين بدّك تاخد بنتي؟" رحت كمشت البنت وشدّيتها بإيدي وجبتها لبين النسوان، وغــرت عليه ونشلت التذكرة من إيدُه، راح ضربني على باهمي هون بالسنغي وقلّي: "إنــت بــدّك تموتــي". وأنا لمّا ضربني حسيت إنّو إيدي انقطعت، صارت إيدي كلها ترجف.

ونحــنا على الطريق، ناس عم تمشي كإنها في يوم الحشر، شفنا القتلى ومشينا حدهم. شفنا شباب بيت العايدي، وصهرهم، مكومينهم متل مشاقيع الحطب، ومرّينا من قــدّام الكاراج صاحبه إسمه أبو جمال بنتي مقتولة فيه هيّ واولادها ومكومين هونيك، لكن ما شفناهم وقتها، وكان بعدو الكاراج مش مهدم. وطلّعونا على المدينة الرياضية، وين الإنعاش، حد الإنعاش حطونا..

فــي بنت فلسطينية شجاعة قبضاية جاي يا حرام زيارة لعند أختها، وهي البنت ســاكنة صــيدا، راحوا شدوها وكمشولها قميصها، وما شفنا كيف شلّحوها البنطلون، شــلّحوها يــاه، بس كانت شجاعة، سبعة من السباع، كانت تضرب فيهم يمين وشمال وكــانوا أربعــة، ومنعتهم إنهم يحطوها على الأرض، وهي البنت عم تقاومهم مرقت واحــدة مَــرَه علــى إيدها ولد قالتلهم: "يا ويلكم من الله إنتو، هاي بنت صبية، إنتو ما عــندكم خــيّات؟" راح واحد كمش الفرد وقوّصها من خلف ورماها، ووقع إبنها على الأرض وصار يصرخ.

نحــنا لمّا صرنا حد مدرسة الإنعاش شفنا واحد جنوبي، من الخيام، واحد منهم، واحــد منعرفه وعايلته، راحت بنتي قالتلو نحنا مين، وما أنكر الشاب حاله، بالعكس، راح يســاعدنا، جــاب أكل، خبز وجبنة وحلاوة ولبنة، وقلْنا: "ما تخافوا". وفي الوقت ذاتــه كان في انتين من الباقين عم يصفروا بالصفيرة ويقولولنا بالصوت العالي: "على السعودية لاحقينكم. على اليمن لاحقينكم. ولعند الله لاحقينكم. إنتو العرب جرب. وإنتو وين ما رحتوا لاحقينكم."

ومــا تــركونا. راح الشــاب اللّــي ســاعدنا منهم، لمّا نحنا خبّرناه عن البنت القبضــاية، راح أنقذها وجابها للبنت. لمّا راح، لاقاها بالزلط، ضاربينها على ضهرها، علــى بطنها، لكن ما قدروش حطوها بالأرض. وهاالشاب اللّي راح يجيبها لاقى مَرَه مقــتولة معهــا كيس نايلون فيه دشداشة مقلمة طالها وأعطاها للبنت وقالها: "يا إختي تســتري"، وراح دايــر ضــهره للبنــت وطلّعها من بيناتهم ووصلّها لعنّا على المدينة الرياضية.

هــو خــبّرنا شــو صار. وأنا قلتلّو بعد ما عدت سائلة لا على إبني ولا على جــوزي، قلــتلّو: "دخلــك أنا داخلة على صباطك، دخلك تظمّتلي [تهرِّب] هاالبنات واعتبرهم خيّاتك."

راح فعلاً ساعدنا وقلنا: "إمشوا لبعد، وضلّوا ساحبين لبعد المدينة الرياضية."(١١١)

لــم تصدق أم علي أنها نجت ببناتها، وقد أكملت طريقها من المدينة الرياضية ووصلت إلــى مركز الصليب الأحمر اللبناني نحو الساعة الثانية عشرة ظهراً. أخبرت المسؤولين هناك بكــل مــا جــرى، وأعطــتهم الأســماء فسجلوها، وقالوا لها إذا كان هؤلاء الرجال أسرى فســيعيدونهم. ومن هناك وصلت إلى ثكنة الحلو وبلّغتهم ما حدث. اتصل ضابط ارتباط بالقيادة ونقــل لهــم مــا تقوله أم علي عما يجري في صبرا وشاتيلا، لكن المسؤول رد على ضابط

---

(١١١) Ibid.

الارتباط بأن هذه المرأة "خرفانة"، وقد سمعته بأذنها إذ كان صوته عالياً.

لم تكن أم علي قد أكملت مهمتها الإنسانية بعد.. تركت بناتها عند عائلة تعرفها في منطقة تكنة الحلو، وراحت تخبر جنود كل دبابة إسرائيلية تلتقيها بما يجري، وكانت تنوي الذهاب إلى القيادة لمّا خانتها قدماها ووقعت على الرمل بالقرب من مستشفى بيروت في منطقة الجناح.

رآها جندي إسرائيلي فنزل من المفرق وهو يحمل معه ماء ليسقيها. شرب من الماء قبلها ليؤكد لها أنه ماء نظيف. وكان يتكلم العربية قليلاً. قال لها: "خوذ مي. خوذ مي. هاي مية بيروت كويسة."

انفجرت أم علي بالبكاء وأخبرته بما جرى، فراح الجندي يبكي معها، وقال لها:

> حاجة، هيدا كوماندوس لبناني، هيدا كوماندوس. إحنا ما عملنا شي. إحنا ما بنقتل ولا بننزل على صبرا. إحنا ما خصنا بصبرا ولا نسترجي ننزل، ما معنا أمر.
>
> بس بكرة، إذا بكونوا أسرى إحنا بننزل وبنجيبهم.
>
> حاجة، بكرة بترجعي؟(١١٢)

ما كان ممكناً لأم علي أن تعلم شيئاً عن مصير ابنها وزوجها ومن كانوا في منزلها ملتجئين، يوم الجمعة، فسارعت لتنقذ آخرين لا يعلمون.

وصلت إلى مستشفى غزة، دخلت تصيح وهي تسأل عن ابنتها أم فادي وأولادها لعلهم جرحوا وجاء بهم أحد إلى المستشفى، وهي لم تتوقع أصلاً أن تجد أحداً، لكنها حاولت.

وجدت نحو ثلاثمئة شاب فلسطيني فصاحت عليهم:

> يا ويلكم يا فلسطينية شو عم تعملوا، هلّق بييجوا بيقتلوكم مطرح ما إنتو، روحوا سلموا لقليلات، يلاّ لحقوني لعند قليلات. ما بدّكم حدا يحميكم؟ مين في غيره عم بدافع.
>
> والله ما عدت عارفة حالي، منين هالصوت العالي.

صدقها البعض، وترك كثير من الشباب المستشفى. كانت الساعة لم تزل الواحدة والدقيقة الثلاثين ظهراً.

عندما كانت أم علي تتكلم على سجيتها كانت تعود إلى ذكر ابنها الشاب ربيع، صاحب العينين الخضراوين، الرقيق المشاعر، والذي قالت مرات متعددة إنه كان يعمل في مطبعة مجلة "الحسناء"، المجلة النسائية.. لا السياسية !!

---

(١١٢) Ibid.

.. ربيع.. كيف بنسى ربيع يوم واحد من عمري.. قد ما هيّ عيونو حلوة، وقد ما كان يقولّي: "يا إمي أنا وريثك." كنت قولّو: "شو في عندي لتستورثني يا إمي؟" كان يقولّي: "أنا حنون عليك.. أنا ورثان الحنية منك يا إمي."

وإكـــرام، إم فادي، من البنات اللّي بينفقدوا. قد ما كانت حنونة كانت تساعدني بالشـــغل وهـــيّ مريضـــة. في مرّة ضلّت سنة مريضة إكرام. ضلّيت أنا واياها لآخر لحظة. الله أخد فيها وديعته.(١١٣)

أدركــت أم علـــي بوحي من شعورها الداخلي أنها فقدت ابنها ربيع وابنتها إكرام، وأنها فقدت أحفادها، كما أنها فقدت زوجها وصهرها، لكن ما لم تكن لتدركه أو لتشعر به هو هول العذاب الذي ستلقاه وهي تبحث عنهم.

الرواية السابعة والعشرون

وحدها لم تقتل.. كي تشهد

فـــي الـــيوم السابع والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٢ كانت ذكرى مرور أربعيـــن يومـــاً علـــى ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا. تجمّع الأهل والمحبون في المقبرة الجماعية لذرف دمعة، ولتلاوة آيات من القرآن الكريم.

كانت "ماري" سيدة أجنبية من اللواتي يعملن في الحقل الاجتماعي، وقد جاءت لبنان للعمـــل في مجالها أكثر من مرة، كانت آخرها خلال الاجتياح. وكانت صديقة للكثير من العـــائلات الفلســطينية، وقـــد عـــادت إلى بيروت بعد المجزرة للزيارة والعمل، وراحت بمفردها في ذلك اليوم تحمل وردة حمراء لترميها على المدفن الجماعي.

رأت "ماري" صَبيّة في الرابعة عشرة من عمرها تقف بمفردها، وهي تحمل صورة بيدها. ذهبت إليها. نظرت الفتاة إليها للحظات، وتذكرتها، تذكرتها وهي تزورهم في أحد أبنـــية فردان، في عز الاجتياح، وما إن سألتها "ماري" ما بها، حتى انتحت بها جانباً بينما كـــان الـــناس يـــتفرقون، وروت قصتها كاملة، وكأنها ما كانت تنتظر إلاّ مجيء شخص ليستمع إليها:

يـــوم الجمعـــة الصـــبح كـــنا بالبيت. كان أبوي وأخوي وجار إلنا عم يشربوا القهـــوة.. كانـــت إمـــي راحت على صيدا لتسأل عن أخوي الكبير، كانوا الإسرائيلية اعتقلوه في "أنصار" من أول الاجتياح.

---

(١١٣) Ibid.

مــا لحقوا خلصوا شرب القهوة، حتى سمعنا صوت الباب عم يتكسر. وما شفنا قدّامــنا غير أربع مسلحين من القوات. وشفنا قدّام البيت كانوا واقفين ستة تانيين. كان معهــم بواريــد وسكاكين كتيرة وبلطات. وقلولنا نمشي على المدينة الرياضية. وطول الطــريق عم يدفشوا فينا برجليهم وبالبواريد، أبوي جرّب يعطيني مصاري من جيبته بلكــي صــار شــي، لكــن ما لحق يمد إيده على جيبته حتى واحد ضرب إيده بكعب البارودة، وأخدوا منه كل المصاري اللّي معه.

طــول الطــريق علــى المدينة الرياضية كانت الطرقات مليانة قتلى، وجبرونا نمشي على القتلى وهددونا يقتلونا إذا ما منطيع الأوامر. ومشينا على القتلى.

لمّــا وصــلنا علــى المدينة الرياضية كانت مليانة بشر، وكلهم كانوا جايبينهم القــوات والإســرائيلية. وكان بيناتهم مجموعة من الشباب حطوهم القوات الفالانج في قلــب حفــرة كبــيرة كتير، وكان في شاحنة كبيرة مليانة رمل عم تستعد ترمي الرمل علــيهم لتدفنهم تحت الرمل وهنّي عايشين. ولمّا خلصوا من رمي الرمل عليهم، وكل هادا قدّام عيونّا، عرفنا إنّو صار دورنا من بعدهم. وبهديك اللحظات حسيت تماماً زي مــا بــيقولوا إنّو الدم وقف في عروقي من اللّي شفته. وما كنت حاسبة حساب أبداً إنّو المشــهد الأبشع جاي، وإني رح شوف كيف بيقتلوا أبوي وأخوي. وهنّي تركوني عن قصد حتى أشوف كيف رح يقتلوا أبوي وأخوي.

واحــد مــنهم جاب سكينة. أعطاها لأبوي وقلّو: "يلاّ اقتل إبنك". لكن قام واحد مــنهم قال: "نحنا تعاهدنا إنّو رح نقتلهم بإيدينا. أعطيني السكين. أنا رح إدبحه بإيدي." وراح أخــد الســكين منّو ودبح أخوي من رقبته من ورا. ورمى أخوي على الأرض، وكان الدم عم ينفر منّو وتركه عم ينزف حتى لفظ آخر أنفاسه.

مــا كان فيّ أتحمل. ما كان فيّ أسمع صوتهم ولا أتطلع ولا أشوفهم. رحت وأنا واقعــة علــى الأرض مــن دون وعي. قاموا رشوا عليّ مي وهنّي عم يقولوا: "قومي إصحي هلّق لازم تشوفي كيف بيّك رح ينقتل. وبعدين فيكي توقعي بلا وعي قد ما بدّك."

وبلّشــوا يقوصــوا على أبوي. رصاص من أكتر من جهة. وكان أبوي نحيف الجسم. وما تحمل كتير حتى وقع على الأرض على آخر نفس.

وتصــورت إنّــو دوري أجا. وما لحقت بدّي أتشهد وأرفع عيوني للسما حتى سمعتهم يضحكوا عليّ ويقولولي: "إنت ما رح نقتلك. رح نتركك عايشة حتى تروحي وتخبري كل شي صار قدّامك. يلاّ روحي.."(١١٤)

(١١٤) Mary, "Testimonies on Sabra & Shatila" (Beirut, 1983-1984), Testimony no. 1.

وفعلت الفتاة ما أرادوا. أخبرت كل من رأت بما جرى.

قــررت "مــاري" (وهذا اسمها المتفق عليه بيننا للنشر) أن تكتب قصة هذه الفتاة، وكانت أول قصة تسمعها منذ عودتها إلى بيروت، لكنها لم تكن الأخيرة.

حرصــت هذه العاملة الاجتماعية على زيارة كل من تعرف، استمعت إليهن وواستهن. أمّــا الــثلاث عشــرة قصة التي جمعتها وكتبتها بخط يدها، كما ورد سابقاً، فقد سلمتني نسخة مصورة عنها، وفي عينها دمعة.

كان لقاؤنا في منزل سيدة أجنبية أُخرى صديقة، هي التي جمعتنا سنة ١٩٨٥.

الرواية الثامنة والعشرون

عائلة أم وليد

كانت أم وليد وأفراد أسرتها يختبئون في إحدى غرف بيتهم في شاتيلا، على حدود المخــيم بالقرب من حي فرحات، وهم يظنون أن الاختباء يحميهم من القصف الإسرائيلي الشــديد. وهم ما كانوا بمخطئين، إذ من المستغرب جداً أن يتعرضوا لأي هجوم كان مع مثل هذا القصف الذي قد يصيب المهاجمين أنفسهم أيضاً.

فجأة، سمعوا طرقاً عنيفاً على الباب فالتصقت العائلة بعضها ببعض، وقالت أم وليد لــزوجها: "مين عالباب؟ أكيد جايين يقتلونا. دخيلك ما تفتح الباب. يمكن إذا تصوروا ما في حدا في البيت بروحوا."

ورد عليها زوجها بتعقل:

> مــا تخافي. أنا ما عمري في كل حياتي عملت شي واحد يؤذي الناس. وأنا ما كنت مقاتل.. أنا شغلي تاجر، وكل اوراقي واوراق البنك اللّي بتثبت كلامي، معي. ما تخافي. أنا رح فرجيهم كل اوراقي وما ممكن يؤذونا.(١١٥)

لكن طرق الباب اشتد، وسمعت أم وليد صوتاً يصرخ: "افتحوا الباب والاّ منكسره." وما أعطاهم المهاجمون فرصة كي يفتحوا الباب. خُلع الباب، وهجم خمسة مسلحين معهم رشاشات وبلطات وسكاكين. كانوا كلهم مديدي القامة ومن أصحاب البنية القوية، وأمروا أهل البيت بأن يمشوا أمامهم إلى المدينة الرياضية.

تتذكر أم وليد تفصيلات اقتحامهم البيت:

> جوزي قالهم إنّو هوّ ما إلو أي علاقة بالمقاتلين، وإنّو هوّ تاجر، وراح مقدملهم

---

(١١٥) Ibid., Testimony no. 5.

اوراقــه كلها. وبسرعة ما بتتصور خزّقوا الاوراق كلها ورموها على الأرض. تركوا حســاب التوفير تاعو بس، وأمروه يمضي عليه حتى يرجعوا يسحبوا المصاري كلها. وســألوا عن المصاري اللّي معنا بالبيت، وسألوا عن الدهبات، وراحوا ماخدينها كلها، حــتى في كان سلسلة دهب على رقبة إبني، إبن تلات سنين، وكانوا رح يخنقوه وهنّي عــم يشدوا السلسلة لياخدوها. رحت ترجيتهم يتركوه وأنا بفك السلسلة وبعطيهم اياها. وأعطيتهم اياها.

لمّا ما عاد في شي بيحرز للسرقة، صاحوا فينا: "يلاّ على المدينة".

نحنا اللّي رحنا على المدينة كنا أنا والصغار وإمي وأختي. لكنهم أمروا الرجال يبقوا بالبيت. واللّي بقيوا جوزي وإبني الكبير وجوز أختي وإخوتي تلات شباب.

على الطريق للمدينة شفنا ميّات الجتت. وكانوا يأمرونا نمشي عليها ولاّ بيقتلونا وبــيرمونا مــتلها. وكتــير مــن الجتت كانت بحالة لا توصف. منها محروق، منها مضروب برصاص قريب كتير. وكنت متأكدة إنّو نحنا رح ننقتل. وفكرت بكل الأحبا اللّي تركتهم في البيت. قتلوهم؟ شو صار؟

وصــلنا على المدينة. شفناهم كلهم عن قريب. وشفنا بعضهم متباهين بالشارات علــى اكــتافهم. تأكدت إنهم قوات لبنانية. ولمّا وصلنا كان في منهم عم ياكلوا، كانوا يــاكلوا ويضحكوا ويشربوا مشروبات روحية. القناني كانت قدّامهم. وكتار منهم كانوا سكرانين.

قــال واحــد: "هــاي كمان عيلة فلسطينية. شو منعمل فيها؟" وقال واحد: "هاي دورها في الحفرة الكبيرة، هيّ واللّي جايين وراها، منحطهم ومنرمي الرمل فوقهم."

اتطلّعت لفوق وحواليّ، لقيت إنّو نحنا كنا من أول الواصلين على المدينة. لقيت مــيّات الناس عم تمشي وواصلة لعنّا. وحاولت أشوف أهلي لكن ما كان ممكن أتعرف على حدا. كانوا الناس بعاد، وكانوا كتار.

وطلــع انفجــار حدنــا. أنا تصورتها قنبلة. لكن مَرَه واقفة حدّي قالت انفجار. وشــفت ناس وقعت وماتت قدّام عيوني، وسمعت الحشاشين فقعوا من الضحك والناس عــم تقلــب وتمــوت. وكــان ممكن يطلع انفجار تاني، ممكن لغم تاني، هيّ المدينة الرياضية كانت ملغمة طول الحرب. وكانت فرصة نهرب.

أنا هربت.

أنــا بــنفس الــيوم رجعت على بيتي، وأنا عم فكّر إنّو يمكن حدا مجروح بدّو مساعدة. ويمكن ما أشوف حدا ويكونوا كلهم أخدوهم أسرى.

وصلت عاالبيت، وما لقيت غير جتت مرمية على الأرض. كلهم قتلوهم. كلهم.

ومـــا بحياتي، ولا بفيلم على التلفزيون، ولا بغابات مهجورة منسية، كان ممكن أتصور بشاعة أكتر من اللّي شفتها.

كان جوزي بلا راس. قطعوا راسه ورموه بين رجلين إبنه.

وقطعوا إيد إبني ورموها على كتف خاله المقتول حدُّه.

وكان واحد من إخوتي مضروب ١٥ رصاصة، ووجهه مجروح بالسكاكين.

وكان أخوي التاني راسه مفتوح نصين بضربة بلطة قوية.

وأنـــا مـــا عاد فيّ أتحمل. وقعت على الأرض بلا وعي. لكن كانت إمي أقوى مني. هيّ اللّي جمعت الجتت وجابت مين يحملهم تاني يوم ليدفنوهم بالمقبرة الجماعية.

صحيح دفنوهم..

لكن ما في إلهم أسامي. ما في قبر نبكي عليه.(١١٦)

الرواية التاسعة والعشرون

عائلات بلا أسماء

لمّـــا سُـــئِلَتْ عـــن اســـمها كي يكتب اسمها مع حكايتها، هزت رأسها كمن يرفض الإجابة، ولسان حالها يقول:

وماذا لو أخبرتكم؟ وماذا لو لم أخبركم؟ أليس الفلسطينيون أرقاماً في الأونروا؟

ولمّـــا سُئِلَتْ كم فقدت من عائلتها أجابت بدمعة من عينها، وبهزة من يدها تعني أن العدد كثير، ولسان حالها يقول:

فقدت معظم عائلتي. ما من حرب إلاّ فقدنا فيها؛ فالمأساة مأساة شعب.

ولمّـــا سُئِلَتْ هذه المرأة الصابرة عما شاهدته في الأيام الثلاثة الدامية تغير صوتها، وعدلـــت من جلستها موحية بأن الحديث يطول، وأخذت تروي بروية حكايتها في الملجأ، في حي الحرش، وكيف نجت مصادفة من موت محقق جابهه كل من كان معها في الليلة الأولى، في ذلك الملجأ:

كـــنا في الملجأ ليلة الخميس، ما في معنا أكل ولا في مي للشرب. وخطر على بالي أروح أجيب أكل لأنّو الليل كان زي النهار بسبب قنابل التنوير على المخيم، لكني ما استرجيت روح، بقيت قاعدة على باب الملجأ حتى صارت الدنيا الجمعة الصبح.

شـــعرت مع طلوع النهار بشجاعة أكتر، رحت قريب من الجامع لأشتري أكل.

هـــناك شـــفت رجّـــال مجروح عم يترجى مساعدة لأنّو هوّ ما رح يقدر يوصل على

---

(١١٦) Ibid.

مستشفى غزة. وهو خبّرني إنّو الطريق الأساسية مسكرة. ورحت من الزواريب أفتش علـى إبني في المستشفى. على الطريق خبّرني واحد التقيت فيه إنهم قتلوا ناس كتير. ومـا كان خاطر ببالي في قتل. رأساً فكرت بأهلي اللّي تركتهم في الملجأ، وقلت إبني رح يكون بخير مع كل المحتميين في المستشفى، ما ممكن حدا يقتحم مستشفى، رحت ركضـت راجعة على الملجأ. وأنا عم أركض شافني تلاتة من القوات اللبنانية مسلحين مع بواريدهم ووقّفوني وأمروني أمشي على المدينة الرياضية.

فـي آخـر الطريق شفت سيارة جيب للقوات وناقلة للعسكر. ولمّا تلفتّ حواليّ شـفت رجّـال كبـير على آخر نفس. وما عرفت كيف انفجرت قنبلة علينا. نحنا كنا واقفيـن في صف طويل، كتار منا ماتوا، وكتار منا انجرحوا. وأنا ما صار فيّ شي. قمـت راجعة رأساً على الملجأ حتى أسأل على أهلي، لكني ما شفت حدا على الطريق غير بنت صغيرة عم تبكي وتنادي على إمها.

وصلت على الملجأ. كان الملجأ مليان بالجثث. وما شفت ولا حدا من أهلي.

في عز النهار كانوا قاتلينهم كلهم.

رحـت بعـد يوميـن على شاتيلا محل ما كان الصليب الأحمر حاطين القتلى ليدفـنوهم جماعـات. شفت قتلى كتير مغطاية بحرامات. بلّشت أرفع الحرامات. شفت جـثة مَرَه كبيرة لابسة أسود، ممكن تكون إمي، ما كان مبين شي من وجها. وفكرت كـم واحدة كانت لابسة أسود في الملجأ؟ كم واحدة كانت حادة على اللّي خسرتهم في الحرب؟ ما كان ممكن أتذكرهم كلهم.

ما حدا أعطاني شهادة وفاة لأي واحد من أهلي.

الصليب الأحمر ما شاف تذاكرهم. ما سجّل أساميهم.

وأنا كانت آخر مرة شفتهم، كانت بالملجأ.(١١٧)

هل كانت الراوية على حق حين رفضت إعطاء اسمها لأن الفلسطينيين مجرد أرقام في الأونروا؟

هي لم تتعجب قط من عدم حصولها على شهادات وفاة لأهلها، فالصليب الأحمر ما شـاهد "تذاكـرهم"، وهـو بالتالـي لم يعرف حتى أرقامهم، وهو لو شاهد تذاكرهم وقرأ أرقـامهم، لكان عرف أسماءهم، لو أراد؛ ذلك بأن الأسماء مكتوبة أيضاً على البطاقة مع الأرقام.

كان لسان حال الناجية الباقية من أهلها يقول:

---

(١١٧) Ibid., Testimony no. 10.

عندما كنا أحياء كنا أرقاماً، فهل ترجع أسماؤنا ونحن أموات؟
هل هناك من يخبرني كم عائلة فلسطينية كانت في هذا الملجأ؟
هل هناك من يخبرني كم عائلة لبنانية كانت في هذا الملجأ؟
هل هناك من يخبرني عن الفارق بين من كان رقم الأونروا على بطاقته فمزقوها، وبين من كانت أرزة لبنان على هويته فأنكروها؟
هؤلاء الذين ماتوا.. كلهم أرقام.

الرواية الثلاثون
عائلة أبو محمود

أبو محمود من سكان أطراف شاتيلا، على حدود صبرا.
كان محبوباً من سكان صبرا وشاتيلا، ومن الصغار خاصة، فهو صاحب محل لبيع الدراجات الهوائية، وغيرها.
عندما توفيت زوجته الأولى تزوج مريم، وقد أحبت مريم أولاده من زوجته الأولى وأحسنت تربيتهم، حتى إنها كانت تُعرف بأم محمود. ولمّا أنجبت ابنها الأول حسن، استمر البعض يناديها أم محمود، والبعض الآخر أم حسن.
أنشأ الزوجان معاً عائلة متماسكة محبة بعضها لبعض.
كانت ربة البيت أول من شعر منذ مساء الخميس بالخطر. ومع أنها لم تستطع أن تعرف أبعاد هذا الخطر، فقد قررت منذ صباح الجمعة الباكر أن تهرب مع زوجها وأولادها. لكنها عندما نظرت من النافذة في الساعة السادسة ووجدت الشارع يعج بالميليشيات المسلحة، ما عادت تجرؤ على التفكير في الهرب.
لم يطل بهذه العائلة الانتظار حتى قُرع عليها الباب بشدة. تقول مريم:

> دخل علينا أربع مسلحين عساكر، كان على صدورهم علناً مكتوب "القوات اللبنانية"، وكان في خمسة غيرهم واقفين ناطرينهم على مدخل البيت في الشارع، وأخدونا كلنا لبرّا البيت. أخدوا جوزي وإبني الكبير لجهة، وأخدوني أنا والاولاد الصغار والبنات لجهة تانية.
>
> كانت بنتي تحمل شنطة منسميها "شنطة الحرب"، فيها تياب لإبني الصغير إبن ست اشهر، وكنت هاي المرة حطّيت فيها كل ما منملك من مال ودهب واوراق خاصة بالبيت وهويات وشيكات وسندات وبوالص تأمين. وما طوّل واحد منهم حتى أخد الشنطة من البنت وبدأ يرمي التياب في الشارع، وأخد المال والدهب وقسّمه بينه وبين

رفـيقه قدّامي.. وساعتها شاف خاتمي وساعتي، وقلّي: "هاتيهم. نحنا منموت بالدهب"، وواحـد تانـي شـد الحلـق من إدن بنتي الصغيرة. وبس تْطَمَّن إنّو ما عاد معنا شي للسرقة، قال: "يلاّ امشوا. يلاّ قدّامنا."

على الطريق للمدينة الرياضية ونحنا رايحين كان فيه تقريباً شي أربعميّة جندي كتايبي قاعدين محل ما صار مقبرة جماعية. كانوا قاعدين على فرشات ومنهم ممددين كـإنهم فـي بيوتهم. لكن نحنا مشّونا من جهة اليمين وطلّعونا من حي عرسال للمدينة الرياضـية. علـى الطريق شفت مَرَهْ مقتولة وهيّ بعدها حاضنة اولادها التلاتة، كلهم مقتوليـن. وشفنا شباب مدبوحين بالسكاكين. وشفنا جتت مقطّعة. كانوا يحطّوا الجتت فوق بعضها البعض وتيجي الجرافة وتغطّيها بالتراب.

بنتي الصبية سمر عمرها ١٧ سنة. ما شفت إلاّ واحد منهم جرب ياخدها مني. صـرت أترجاه يتركها، ما قبل. صرت أنا أشد بإيدها وهو يشد بإيدها التانية، وأنا عم أتخـانق معـه وقلـتلّو: "أوعى تفكر بترْك بنتي. اقتلنا كلنا مع بعض. بهاللحظة اقتلنا كلـنا." وراح يتمسخر على كلامي: "وكمان بتعرفي تتمردي". وعملنا ضجة حتى أجا مسـؤول عـنّو سألني: "شو مالك؟" قلتلّو: "هادا الجندي بدّو ياخد بنتي." راح المسؤول صـرخ فـيه: "اتـركها". لكنا ما لحقنا نمشي مسافة قصيرة حتى رجع يلحقنا ويحاول ياخدها مرة تانية.

لكـن هـاي المرة أجا واحد من رفقاته وخلّصها منه. قام انتقم مني وضربني بـرجله، لكنـي ابتعدت عنه بسرعة، أنا أمشي بسرعة، ومعي بنتي الصبية والصغار، وهو يعفر التراب علينا ويطلق النار بين رجلينا.

وصلنا على المدينة الرياضية، ابتدأوا يسبّونا ويضحكوا علينا وقالولنا: "روحوا مـن هون". ورحنا محل ما قالوا، لقينا جورة مجرور مليانة بالقتلى والروس المقطعة والإيدين والرجلين.

ركضـت بعـد هاالمشـهد نحو المدينة الرياضية من فوق، ركضت نحو دبابة إسـرائيلية ملـيانة بالجـنود الإسرائيلية، وخبّرتهم عن القتلى وعن الكتايب وكيف عم بدبحوا الناس. قالولي: "إبعدوا من هون. إبعدوا عنا. نحنا ما إلنا دخل بشي."

رجعـنا ومـا عارفيـن وين نروح. شو نعمل. سمعنا واحد إسرائيلي بيصرخ علينا: "ارجعوا للخلف. ارجعوا".

رحنا هربنا على جسر الكولا.(١١٨)

---

(١١٨) POH. S/SH. No. 67 (231/T.12). Mariam Abu Harb. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 24, 1983.

كانـــت مريم واحدة من مجموعة النساء اللواتي ذهبن بعد ظهر يوم الجمعة لإعلام المســؤولين اللبنانييــن الكــبار بما يجري، لكنهن لم يستطعن مقابلة أحد. قال لهن رئيس الحكومــة، شــفيق الــوزان، أنه لا يأتي إلى المنطقة ما دام فيها إسرائيليون. أمّا رئيس الحكومــة السابق، صائب سلام، فلم يتمكنّ من رؤيته، إذ منعهن الحرس من ذلك، وقالوا لهن إنه نائم.(١١٩)

صــباح الــيوم التالــي التقــت مريم عند جسر الكولا مجموعات من الشباب كانوا يــتحادثون، وهم لا يعلمون شيئاً عما يجري. أخبرتهم بكل ما رأت، أخبرتهم عن الكتائب الذيــن يذبحون الناس، وقالت لهم: "ما تروحوا على المخيم." سمع الشباب ما قالت، لكن بعضهم أجاب: "وكيف نهرب وما نساعد أهلنا في المخيم؟" وانقسموا فيما بينهم. من هؤلاء الشباب من عمل بما قالت ورجع، ومنهم من أصر على الذهاب إلى المخيم.

لمّــا عادت مريم إلى بيتها، لم تكتشف مأساة أسرتها الصغيرة بمقتل زوجها وابنها الشاب حسن، فحسب، بل لتعلم أيضاً بمأساة أسرتها؛ فهي شقيقة "الإخوة الأربعة الضحايا" في الرواية التالية.

الرواية الحادية والثلاثون
الإخوة الأربعة الضحايا

جرى الحوار مع أم محمد في بيتها في حي فرحات، وشارك في الحوار أبو جمال، وهو جار للأسرة وصديق لزوجها الراحل. لولا أبو جمال ما كان ممكناً أن أعرف كل ما جرى، فصاحبة البيت لا تزال في مرحلة الذهول، على الرغم من قوة شخصيتها وصلابة عودها واعتزازها بأنها كانت فتاة واعية منذ أيام الثورة الكبرى في فلسطين.

صور الأبناء الذين اغتالتهم يد الظلم والموت معلقة على جدران الصالون الصغير. والجــدران كلها صور. ويندر أن تتكلم أم محمد من دون أن تشير إلى صورة، أو تنظر إلى صورة.

أم محمــد من الجيل الذي يذكر فلسطين جيداً. تزوجت سنة ١٩٣٧ وعمرها ثلاثة عشر عاماً. هي من شفا عمرو في قضاء حيفا، وزوجها من لوبيا في قضاء طبرية، لكنه نشــأ وتــربى في حيفا؛ وكم تعني الانتماءات والنشأة لأبناء الجيل الذي عرف فلسطين، فمعــرفة الواحد منهم بهذه المدينة أو تلك، بهذه القرية أو تلك، بكل شبر في القرية، وكل شجرة، تحدد له ذكرياته. وهل هناك أغلى من الذكريات لمن ضاع منه الوطن؟

---

(١١٩) Ibid.

هاجــرت أم محمد وعائلتها إلى الجنوب اللبناني. وسكنوا في بلدة الغازية، وهي لا تذكر السنة التي جاؤوا فيها من الغازية إلى شاتيلا واستأجروا بيتاً في حي فرحات، لكنها تذكر أنهم جاؤوا في الستينات.

أبــناؤها يعملون في شتى المهن، وأبو محمد نفسه كان حجّار باطون، إلى أن تعب في كبره، فتوقف عن العمل.

عن عدد أبنائها تقول أم محمد ببساطة مذهلة: "كان عندي سبع صبيان وأربع بنات، هلّق صفي عندي ٣ بنات و٣ صبيان." ولكن أهل شاتيلا لا يتكلمون عن مصيبة أم محمد ببساطة، فهي قد اشتهرت بأنها أم الشهداء الأربعة.

هناك حالات لم تتكلم عنها أم محمد ببساطة قط، منها عندما تكلمت عن مهن أبنائها، من الموظف، إلى العامل في المصبغة، إلى الحداد الإفرنجي، إلى التلميذ، إلى المقاتل. هنا تحمســت وهي تتحدث عن أبنائها مشيرة إلى صورة كل منهم على الحائط، من دون ذكر للأسماء ومكتفية بالإشارات، فقالت وهي تشير إلى أحدهم:

> هــادا انتظم باللجنة الشعبية، بعدين انفصل عن اللجنة الشعبية، لا معو بارودة ولا معو شـــي. بــس هادا [وتشير إلى صورته]، كان معو بدل القطعة تلات قطع. يعني لو كل الشباب كان معهم سلاح ما قدر حدا يدخل المخيم. مصيبتنا إنّو ما كان في سلاح.[١٢٠]

عرفــت أم محمد بما جرى يوم الجمعة. إذ لم تكن شاهدة، وهذا ما يؤلمها؛ فهي من اللواتــي هربــن إلـــى مستشفى غزة مع ثلاثة عشر آخرين من أسرتها وأقربائها. ولو لم يهــربوا، لكان الجميع لاقى المصير نفسه. قالت أنها لولا قذائف المدفعية التي هدمت في الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر الخميس بيتاً من طبقتين لا يبعد عنهم كثيراً، لما حزمت أمرها بضرورة الهرب.

رفضت أم محمد التمييز بين ما جرى يوم الخميس وبين ما جرى يوم الجمعة، فهي تعتــبر أحــداث المجزرة كلها حدثاً واحداً، وربما كانت على حق. وتلبية لرغبتها، نروي حكايتها، كما أرادت.

راحــت أم محمــد تســرد تفصــيلات ما جرى لأبنائها ولزوجها، وكأنها "الشاهدة الوحيدة"، وراح الجار الصديق يؤكد كلامها ويضيف ما يمكن أن تكون سهت عنه. وحتى لــو تدخلــت كنــتها بجملة أو جملتين كي تشارك في الحديث عما جرى لزوجها، وهي الشاهدة الأولى للحدث، فالكلام الأخير يبقى لأم محمد:

---

(١٢٠) POH. S/SH. No. 48 (231/T.49). "Um Muhammad" 'Aidi. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, April 1, 1983.

يــوم الخميس الساعة ستة كان إبني سعيد على عتبة البيت، قام صرخ فيه واحد رجّــال قصـــير: "إطلع يا عرص". قام سعيد قلّو: "أنا بأمرك". وتلفت وهو رافع إيديه. والله العظيم هو إبني سعيد بيغلب عشرة قدّو، لكن فكّرُه إسرائيلي بدّو يحقق معو، وما خطـــر علـــى بالـــه الغدر. أنا هيك شايفة. وراح القصير راشُه رش. وقع إبني تحت عربية الخضرة، لقيناه ميت وهو رافع واحدة من إيديه، والتانية تحت راسه. هو سعيد مـــن يوم طلعوا المقاتلين اشترى العرباية وصار يبيع خضرة. ومَرْتُه كانت شايفة كل شي. تخبّت هي والاولاد.

إبني موسى كان بالملجأ، وصاروا يقولوا: "اطلعوا سلموا"، طلع هوّ بدّو يهرب مـــن الزاروبة اللّي قدّام البيت، واللّي كان أخوه مقتول فيها، قاموا شافوه، راحوا لافين علـــيه من ناحيتين، كان موسى حامل بنته طفلة بنت سنة وشهر، لمّا شافهم عم يقتلوا العالم عرف رح يموت، تلفّت شاف إم حسين وهيّ مَرَةْ بيعرفها وبتعرفه، قلّها: "خدي بنت إبنك". وراح بدّو يرميلها بنته. هيّ إم حسين ما فهمت عليه، افتكرت على العكس إنّو إذا بقيت البنت معو ما رح يقتلوه منشان البنت. هو كان متأكد إنهم بيقتلوه وبيقتلوا بنـــتو. راحت قالت: "هادي مش بنت إبني. يا ناس أنا لبنانية وهو فلسطيني." قلْها: "أنا قلتلك خديها.. خديها يا حاجة." لكنها ما قبلت أبداً تاخدها، وكل فكرها يا حرام يتركوه منشان بنتو.

مـــا تـــركوه دقيقة. رشوه رش، وهو حامل قناني الحليب وعلبة الحليب لبناته، كـــان عـــنده تـــوم بنات أطفال، وأخدوا كل مصرياتو. كان ماخد من إم صالح أجار تصليح البيت لإبنها. وبعد ما قوّصوه وشلّحوه رجعوا دبحوه وهبّطوا البرندة عليه.

يـــا جماعـــة، شـــو نحكـــي، كل واحد قتلوه بطريقة. عديل إبني رشّوه تلاتين رصاصة.

أنـــا بنتي كانت أول واحدة شافت إخوتها سعيد وموسى كل واحد مقتول بقرنة. وغميـــت فوقهـــم، وبنتي هاي كانت مصيبتها كبيرة لأنّو جوزها كمان قتلوه، قاسم أبو حـــرب، ومعـــروف بكنيـــته أبـــو محمود. كان يبيع بسكليتات، وحالتو منيحة، راحوا شـــلّحوها لبنتـــي كل الدهب والمصاري، وهيّ تقولهم: "دخيلكم خدوا كل شي، بس ما تقتلوا جوزي." لكنهم قتلوه، وقتلوا إبنها. أخدوهم وقتلوهم.

نحـــنا هون بالبيت كان في جوزي واولادي التانيين، هدول ضلّوا للصبح. كانوا في الطابق الأول في بيت أخوهم سعيد.

يـــوم الجمعـــة ما طلع النهار إلاّ هنّي جايين، ولمّا خلعوا عليهم الباب ودخلوا، كاينيـــن يـــنادوا عليهم بالأسماء لاولادي وجوزي. "يا ابراهيم، ويا ابو محمد اطلعوا."

ولمّـا طلعـوا راحوا قالولهم: "وبعد في حسين وينو؟" وطلع حسين، وراحوا أخدوهم الساعة ستة ونص الصبح.(١٢١)

راحت أم محمد في نهاية حديثها تعد ضحاياها في يومي الخميس والجمعة. فقدت هذه الأم الصابرة ما بين غروب يوم وصباح يوم أربعة من أبنائها، وزوجها، وزوج ابنـتها، وحفـيدها، وصهرين من أنسبائها. فقدتهم جميعاً. ولو نامت في البيت مع الآخرين من الأولاد، لما بقيت هي نفسها حية كي تفتقدهم.

انتهى الحديث ولم تذكر الجدة حفيدتها الطفلة بين الضحايا، ابنة موسى، ولمّا سألتها عنها قالت وشبه ابتسامة على وجهها:

عايشـة ويا محلاها زي القمر. سبحان الخالق. هادي لمّا أبوها رماها للحاجة، ومـا قبلت تاخدها، قام واحد من المسلحين ضربها بكعب البارودة على ضهرها، وهي بتقولّـي: "أنـا يا إم محمد وقعت على الأرض، راح إبنك وتطلّع فيّ وقلّي: (خديها يا حاجـة). أنا أخدتها وزميتها لواحدة فلسطينية بتعرفكم، رميتها لإم غانم، راحت قالتلي: (دخيلك حلّي عني).

وشـو بـدّي أحكي كانت هاي التانية إم غانم مقتول إبنها وحالتها حالة. راحت أخـدت البنت ورمتها في الجامع. عرفوها الناس وجابوها إلنا. إجتنا ملوّتة دم. كانت، يا على ستها، عم ترميها النسوان من إيد لإيد وأبوها عم ينقتل.

ولو تشوفوها هلّق، يا محلاها زي القمر.(١٢٢)

الرواية الثانية والثلاثون
الإخوة الأربعة المخطوفون

صور الفتيات والشباب المخطوفين لا تتغير إلاّ من حيث المكان، أمّا المضمون فواحد. أمهـات وزوجات وأخوات يتظاهرن بالمئات وهن يحملن صور الأحبة المخطوفين والمفقودين، في هذه العاصمة أو تلك.

حـتى صور المتظاهرات لا تختلف كثيراً بعضها عن بعض، وكأن الآلام توحد من لـباس الناس. إنه عادة من اللون الأسود. وحتى لو كان من القماش الملون وعليه نقوش وأشـكال، فالحـزن لا يـترك مساحة للتفنن في اللباس. الحزن الحقيقي لا يوحد القلوب وحدهـا، بـل يوحـد أيضـاً أشياء كثيرة، منها عدم الاكتراث للباس، فتخرج النساء في

---

(١٢١) Ibid.

(١٢٢) Ibid.

مسـيرات متشـابهة فـي أشكالها وفي نداءاتها، مع إيشاربات مشدودة على الرؤوس، أو حاسرات الرؤوس، في صفوف تلو الصفوف، وهن يحملن صور الأبناء والبنات والأحبة المخطوفين.

نحـن المشاهدين، نشاهد التلفزيون، نتصفح الصحف، فنشاهد الصور بين الصور. نشـاهد هؤلاء الأحبة مرفوعين بالأيدي، أو ملتصقين على الصدور، في صور ذات أطر جميلة متينة كي لا تضيع الصور. ألا يكفي ضياع أصحاب الصور؟

هل خطر يوماً ببالنا ـ نحن المشاهدين ـ أن نعد العواصم والمدن التي سارت فيها تظاهرات تنادي بعودة المخطوفين والمفقودين إلى بيوتهم؟

ليس لدينا غير الصور، أقصد صور اللواتي يحملن الصور.

لم أستطع مرة أن أفرق بين صورتين لتظاهرتين، واحدة التقطت في بيونس أيرس، وواحدة في بيروت، إلاّ بعد قراءة التعليق على الصور.

الإخـوة الأربعـة المخطوفون من عائلة الديراوي اشتهرت قصتهم كثيراً. لم تترك أمهـم تظاهـرة أو تجمعاً إلاّ وكانت في المقدمة، وهي تحمل على صدرها أربع صور، لأبنائها المخطوفين الأربعة.

آمال، زوجة أحد هؤلاء المخطوفين الأربعة، منصور الديراوي، حدثتنا بما جرى.

كانت آمال تسكن موقتاً في منطقة بئر حسن بالقرب من السفارة الكويتية، وكانت في تلك الأيام العصيبة مسؤولة عن أبناء الأخ الأكبر لزوجها، ذلك بأن زوجته كانت مريضة فـي المستشفى، وأمّا آمال فلم يكن لديها سوى طفلة صغيرة رضيعة. ولا تنسى وهي تعد الإخوة الأربعة المتجاورين سكناً في شقق للمهجرين، أن تعد أيضاً جارتهم التي جاءت من المخـيم لتـنام معهـم لأنهـا كانت خائفة. وقد استغربت الخوف الذي دفع بجارتهم إلى المجيء، لكنها في صباح تلك الجمعة شعرت بدورها بخوف لم تتمكن من وصفه. تقول:

> مـا سمعناهم إلاّ بنادوا علينا وبيقولولنا نطلع كلنا مع الشباب لبرّا. ما حسّيت على حالـي إلاّ وأنا عم إرجف رجف. نسيت جوزي، وتذكرت بنتي. هاي هيّ الحقيقة. بنتي بترضـع قنينة، قلتلهم: "دخيلكم أنا بنتي بترضع، وإذا رح تاخدوني بدون ما إطلع وجيب القنيـنة يعنـي بتموت بنتي بين إيديّ." صرت أترجاهم وأقولهم: "كرمال الله، خلّوني بس أطلـع جيب قنينة للبنت." للدغري بتذكر قلّي واحد: "طولي بالك". وراحوا أخدوا جوزي وإخوته كلهم، وطلعت أنا جبت القنينة لبنتي ونزلت. وكل الوقت بنتي حاملاها على إيدي ومتعبطة فيها، ميتة من الخوف حدا ياخد بنتي. عمرها كان ٨ اشهر بس.
>
> للصـراحة.. أنـا خفت على بنتي أكتر من جوزي، لأنّو رجّال وبيقدر يخلص حاله، بس بنتي بيبي صغيرة.

وطلّعونـــا نحنا النسوان لبرّا. طلّعونا مع الشباب فوق. ما شفت إلاّ واحد لبناني جارنـــا أجـــا وحكى معهم: "يا عمي كرمال الله إنتوا أخدتوا الشباب شو بدكم بالنسوان والاولاد ومعهـــم اطفال." راحوا سألوه: "وإنت من وين؟" قَلْهم: "أنا لبناني". وبس قلهم أنـــا لبنانـــي، قام لزقه واحد بالكف على وجهه. لكن راجع نفسه بعد لحظة وقلّو: "يلاّ خـــود النســـوان لجوّا، بس إذا بتطلع لبرّا حتى لو كنت لبناني مناخدك معنا. يلاّ خود النسوان وروح."

والله أنقذنـــا هاالجار الطيب. لكن ما لحقنا نزلنا على البناية حتى قلّي:"إسمعي يا بنتـــي، هلّـــق بتحملوا جالكم وبتحملوا اولادكم وأواعيكم وبتفلّوا من هون. أنا ما فيني إحميكم إذا فات حدا ليعمل فيكم شي، بقوصوني قبل ما يقوصوكم."

وحملـــنا حالـــنا وطلعنا كلنا. جارتنا اللّي احتمت فينا معها أربع اولاد، وأختي سلفتي معها ولدين.. حتى إبن الناطور أخدناه معنا، ما كان في حدا من أهله.[١٢٣]

أكثر من مرة توقفت آمال عند التاريخ، لتتذكر لحظة، ثم لتؤكد أنه كان نهار الجمعة في ١٧/٩، وكانت الساعة الثامنة صباحاً، وقد تطابق هذا التوقيت مع شهادات أُخرى:

... ومـــن الســـاعة ٨ للســـاعة ٢ الضهر وهنّي يشحشطوا فينا. ومرّينا على الكميون وشفناهم في الكميون، الأربعة شفناهم. جوزي واسلافي التلاتة. كان الكميون واقـــف فـــي النزلة من السفارة الكويتية على السان سيمون والسان ميشيل على البحر، هـــناك في مركز للأمم المتحدة، لتحت شويّ . وشفناهم عم يخبْطوا فيهم. سلفي الكبير نزّلوه على الأرض وبلّشوا يضربوا فيه، بس جوزي ضربوه بالكميون، ونحنا شايفين.

قلولـــنا: "ويـــن رايحين؟" قلنالهم: "رايحين على البرج على بيت عمي." سألونا: "بعد في رجال بالبيت؟" قلنالهم: "لأ ما في. إنتوا أخدتوهم كلهم."

رحنا قلنا خلّينا نتشكى للإسرائيلية يمكن يساعدونا.

رحنا على مركز للإسرائيلية عند سفارة البحرين، هاي السفارة على الشمال من عـــند مقر الأمم المتحدة، في لجوّا بنايات وفيلاّت وهناك فيه السفارة الليبية والبحرينية. رحنا تشكّينا للضابط وترجّيناه وصرنا نبكي، كان معنا كل هاالاولاد ومش عارفين شو نعمل، لكنه قال: "إحنا ما منقدر نعمل شي. هدول سعد حداد." ما قال كتايب. وكان هوّ بـــيعرف عربي لكن كان في مترجم برضه بترجم. وآخر شي قَلْنا: "إنتو مخربين، إنتو مخربين".

---

(١٢٣) POH. S/SH. No. 60 (234/T.57). Amaal Dirawi. Interview with author. Beirut: Author's house, May 4, 1983.

طلعـــنا مـــن عـــنده لقيـــنا برّا في سيارة ما بعرف شو جنسها لكن فيها اتنين مســـلحين. ونحـــنا كنا فاقدين الأمل. صرنا نتشكّالهم ونبكي. سألونا: "إنتو من وين؟" قلـــنالهم: "إحـــنا فلسطينية". ولمّا سمعوا كلمة فلسطينية يا لطيف شو عاد صار. سحب عليـــنا واحد منهم إم سيكستين مدري كلاشين ما بعرف وقال للإسرائيلية: "قوصوهم، هيدول مخربين".

صـــدّقوني يا عالم ما عرفنا كيف ركضنا.. كيف دخلنا بناية وطلعنا من بناية.. صـــرنا خايفين نتلفت يكونوا لاحقينا.. مشينا كتير وبعدين الله دبّرنا لوصلنا على مخيم البرج لعند بيت عمي.

هلّق صار مارق ١٨ شهر ما في خبر، ولا منعرف عنهم أي شي.

أكتر من مرة ناس ضحكت علينا ودفعنا مصاري، لكن.. ما في خبر.[١٢٤]

تروي آمال عن الآخرين الذين اختطفوا في "الكميون" نفسه، منهم وكيل البناية (أبو فايـــز زغلـــول) وابنه (أحمد زغلول)، وآخرون. وهي تتذكر شكل "الكميون" فتصفه مثل "كميونات" الجيش الكبيرة، مكشوف وليس له "شادر"، وله ثلاثة قضبان حديد من كل جهة، كمـــا كانـــت هـــناك حديدة يوقفون المخطوف عليها ويرفسونه. وكان واضحاً من وجوه المخطوفين، وكانوا عدة عشرات، أنهم تعرضوا جميعاً للضرب.

عندما تحدثت مع آمال عن مأساتها، وقالت مستنكرة بألم إنه مر ثمانية عشر شهراً ولم يعودوا بعد، لم تكن أي منا تقدّر أنه سيمر ثمانية عشر عاماً وأكثر، سوف يدخل العالم القـــرن الحادي والعشرين، من دون أن يعرف شيء عن مصير زوجها منصور ولا عن مصـــير إخوته عزيز وإبراهيم وأحمد، أبناء فيصل الديراوي، ولا عن مصير مخطوفين ومفقودين آخرين بالمئات، في تلك الأيام الثلاثة.

ب ــ شهادات عن عائلات أنقذها إسرائيليون

ورد معـــنا فـــي الروايات أعلاه أكثر من مرة عن فلسطينيين ذهبوا يشكون للإسرائيليين لكنهم رفضوا الإصغاء واعتبروا الأمر لا يعنيهم، وقالوا للمشتكين بجلافة أن يذهبوا وشأنهم.

مـــن شـــهادة مـــريم التي قالوا لها: "إبعدوا من هون. إبعدوا عنا. نحنا ما إلنا دخل بشـــي"، إلـــى شهادة آمال التي قالوا لها ولمن معها من نساء وأطفال: "إنتو مخربين، إنتو مخربين"، إلى شهادة أم علي التي كانت على العكس من ذلك، فالجندي الإسرائيلي جاءها مـــن تلقـــاء نفســـه لمّا رآها تقع أرضاً، وراح يسقيها الماء ويهون عليها ويعدها أنهم "إذا

---

(١٢٤) Ibid.

بكونوا أسرى إحنا بننزل وبنجيبهم. حاجة، بكرة بترجعي؟"

الروايتان أدناه تتحدثان عن ضباط وجنود إسرائيليين لم يحتملوا مشاهدة رجال الميليشيات وهم على وشك ارتكاب عمليات قتل جماعي في الحفر، فقاموا بالمبادرة، وأوقفوا تلك العمليات، أو تلك الجرائم الجماعية.

الرواية الثالثة والثلاثون

قرب السفارة الكويتية

أم كمال، لبنانية، أم لاثني عشر ولداً، تسكن منطقة الحرش، والمسافة بين بيتها الصغير ومستشفى عكا تقطع في أقل من خمس دقائق سيراً على الأقدام، فبينهما شارع السفارة وبضعة زواريب في أول الحرش.

أوصلت أولادها إلى مستشفى عكا يوم الخميس، وفي المساء ذهبت إلى بيتها بمفردها لتعود إليهم بالطعام، فقالت لها إحدى الجارات أنها سمعت تمشيط بواريد، وقالت لها إن هؤلاء من المقاومة لا ريب. لكن أم كمال خالفتها الرأي وقالت لها هذا الرش كما تصفيه ليس من المقاومة بل من إسرائيل والكتائب، وأكدت لها أن حدسها لا يخيب.

في أثناء عودتها مسرعة إلى المستشفى صادفت جارة أخرى، أم يوسف، على الطريق، فشكت لها أن الإسرائيليين أصابوا زوجها، وكانت المرأة نفسها تقطر دماً، فأسعفتها أم كمال بما تيسر، وأكملت طريقها إلى المستشفى وأخبرتهم بما رأت، ثم قادت بعض الشباب الفلسطينيين من الذين صدقوها إلى تحت جسر المطار. أمّا أولادها فأبقتهم في المستشفى لإيمانها بأن أحداً لا يمكن أن يؤذي اللبنانيين.

استفاقت أم كمال في الرابعة والدقيقة الثلاثين صباحاً، وعادت تشجع الشباب على الهروب مؤكدة للجميع أن النساء والصغار لا خوف عليهم. وغادر أولادها الشباب مع الذين غادروا. وتوكلت أم كمال على الله ومشت نحو بيتها لتعود بالطعام، وكلها ثقة بأن لا أحد يعترض أمّاً تسعى لإطعام صغارها. وهي تعذر المستشفى لكثرة الناس الذين كانوا فيه، فلا أحد كان في استطاعته إطعام أحد. تقول:

> والله الصبح الساعة يمكن خمسة ونص، جيت من المدخل من قدّام مستشفى عكا. ولمّا فت ما شفت حدا في أول كوع. صرت إمشي. أجلكم شحاطة بلاستيك برجلي صارت تطرطق بالمشي، سمعوا الشحاطة، صاروا يقولوا بين بعضهم: "إجت". وهلّق هنّي مش ناطريني أنا، أكيد ناطرين مين ما كان، على وش الصبح. ورحت أتلفت إلاّ لقيتهم واقفين صفين على الميلتين بالزواريب، يعني بتعدّي التراب ولا

بتعِبّيهم من كتر ما في زلم موجودة مقاتلين وواقفين مع سلاحهم.

قلتلهم: "شو بتقولوا إجت، يا إمي الله يرضى عليكم، أنا لبنانية، الله يوفقكم يا شباب." وصاح فيّ واحد: "لأ. إنت كلبة مخرّبة. قربي، قربي لهون. لَحَقْها يا جورج بالتانيين."

أنا بعدني مش كاينة استوعب. قرّبت لعنده وقلتلّو: "شو بدكم تلحقوني يا ابني بمين؟ شو شايفين المدفعية على كتفي وسلاحي بإيدي؟ لأ حبيبي الله يرضى عليك. أنا مش مخربة. بس وين بدنا نطير إحنا مهجرين، إحنا قاعدين بمطارح غيرنا، إحنا كل ساعة كل دقيقة إلنا موتة. خافوا الله يا شباب أنا إم ١٢ ولد."(١٢٥)

سألها المسلحون أسئلة كثيرة، وحاولوا معرفة كل من يوجد هناك في ملجأ مستشفى عكا، وإن كان هناك شباب "مخرّبون" مسلحون. وانتهت "المساومة" بينهم وبينها على أن تعود إلى المستشفى لتأتي بأولادها دليلاً على صدقها، وإلاّ لحقوا بها وقتلوهم. وراح اثنان منهم يتبعانها حتى مدخل مستشفى عكا. لم يكن في استطاعتها سوى الامتثال لرغبتهم. لكن أم كمال كانت امرأة محبة تريد الخير للآخرين كما تريده لأولادها، فهي على الرغم من السرعة المطلوبة، كان لديها الوقت الكافي لتحذر المختبئين في المستشفى ولتنصح لهم أن يغادروه حالاً. ثم سرعان ما عادت بالأولاد، ووقفت وإياهم حيث كان الحوار الأول بينها وبين المسلحين. كان مع أم كمال عشرة من أولادها، فالاثنان الشابان كانا هربا، كما كان معها امرأة مصرية وأربعة أولاد. والمجموع ستة عشر ولداً، كما لا تنسى أن تؤكد أم كمال.

لم تكن الساعة قد أصبحت السادسة بعد لمّا أمر المسلحون هذه القافلة البشرية الصغيرة بأن ترمي على الأرض ما في أيديها. وسرعان ما صدر الأمر الثاني كي يرفعوا جميعاً الأيدي إلى أعلى. ولم يهن على أم كمال أن تهان أمام صغارها والمصرية التي جاءت محتمية بها، فقالت لهم: "ليش هيك يا إمي، نحنا مش مخربين." وصاح فيها ناهياً: "ما تقوليش يا إمي!." فقالت له وقد أدركت أخيراً ما يجري: "بأمرك، بأمرك". ورفعت يديها إلى الأعلى، ومشت كما أشار عليها.

تنبهت أم كمال بعد لحظات إلى أنها لمّا رمت ما بيديها كانت قد رمت الهويات، فطلبت منهم أن تعود إلى الوراء قليلاً لتعود بالهويات، فصاح فيها أحدهم أن تمشي إلى الأمام، بينما طلب منه آخر أن يسمح لها بالعودة. استغلت أم كمال التناقض بينهما، وقالت:

---

(١٢٥) POH. S/SH. No. 47 (251/T.48), as above.

إنت عم بتقول عني مخربة. وإنت ما بتعرفني لا مخربة ولا أنا مين. وهلّق إذا قوصــتني ما رح تعرف أنا مين. بتضوع حياتي وإنت ما رح تعرف شي. لكن أصلاً إذا مات الواحد وهويته بإيده بينعرف هو مين، وبييجوا أهله ياخدوه ليدفنوه..

وراح يقاطعني بنرفزة: "روحي يلاّ قوام".

ومــا جبــت الهويات إلاّ لقيتهم مقطعين الاولاد وصايرين قبلي بمسافة، صرت أســتعجل ورا اولادي، وهمّي المسلحين وراي. لحقت بالاولاد عند أول حي عرسال. مــا شــفت شـــي على الطريق، لكن من خط عرسال وبالطالع يا ويلي، شفت المقتلين كومـــات كومـــات. كانت القتلى على الميلتين وأنا ماشية بالنص. أنا بس شفت القتلى حسيت بالخوف. هيدا ملقحين عليه زينكو. هيداً ملقحين عليه بطانية. هيدا ملقحين عليه زبالـــة. وكـــل الأرض دم. كنـــت إدعس بالدم كإنّي عم إدعس على المي. وواحد من اولادي الصـــغار صـــرخ مـــن فـــزعه لمّا شاف قتيل قدّامه بعده عم يتطلّع لفوق، قام المســـلح ســـحب الأقسام عليه، راح إبني يقولّو: "دخيلك". وما بعرف كيف انقضت بلا ضـــرب نـــار. الله كبير. كمّلنا المشي. أنا حاملة ولد على إيدي واولادي الباقيين كلهم قدّامي. مشينا حتى وصلنا على باب السفارة الكويتية.

هـــناك كـــان فـــيه طاولـــة لونها غامق ووراها قاعد واحد على كرسي بيؤمُر وبينهـــي. كانت الطاولة برّا في الخلا تحت بيت مليان قتلى وتحت البيت قتلى. وعلى جنب الطاولة قتلى. وعلى الطاولة فيه أكل وفيه شرب، شي ما بيتصدق. وهيدا القاعد زي الطاووس كان بيحكي لهجة مصرية، وما قدرت أعرف عنه شي أكتر. ولما نحنا وقفـــنا قدّامـــه تلفت على الاولاد: "هو اللّي يقول الحقيقة.. كويس كويس"، وراح وهو فقعان بالضحكة. وراح مع اللّي معه يؤشروا على البنات الحلوين.

وجـــابوا معـــنا واحـــدة فلسطينية ومعاها ٣ اولاد. وشي اتنين أو تلاتة تانيين، وبعرف نحنا كنا صرنا ٢٣ نسمة لمّا وقّفونا تحت تلة الرمل، تحت عند الجورة. وكان حـــد منـــنا الجرافة. كانت جرافة كبيرة. ووقفوا الشباب المسلّحين الاتنين اللّي جابونا معهـــم حـــد شوفير الجرافة، ومدري شو حكيوا معو.. نحنا كنا واقفين محل ما كانوا يدملـــوا القـــتلى يعنـــي بدهم يدملونا مش يطلعونا ليرحمونا. وكنا نحنا واقفين بطلعة صغيرة لمّا قلولنا: "صفوا". صفينا. ووقف المسلح قدّامنا وبدو يبلش فينا رش.

أنا كنت ضلّيتني آخر واحدة بالصف يعني مقابلة للطريق، وما شفت غير واحد هـــبط علينا وكإنّو هابـــط من السما، وما سمعته غير يصرخ عليه ويقولّو: "No..No" ويعملّـــو بإصـــبعو للعالي إنّو: "لأ.. لأ". وقرّبت مني بنتي الصغيرة قلتلها: "ما تفزعي يا بنتي يمكن الله ما مقدرلنا نموت."

خلّوني إحكي الحقيقة يا ناس. خلّوني إحكي الحقيقة. هيدا اللّي خلّصنا إسرائيلي. ولو إنّو إسرائيلي أنا بدعي الله يحميه من الموت ويحمي اولاده متل ما حمانا وحمى اولادنا، ولو إنّو إسرائيلي.

وما رجع الإسرائيلي حتى تأكد إنهم تركونا. وهمّي حتى يخلصوا منا زاحوا صرخوا فينا: "ما في رجعة. يلاّ على البحر. اركضوا على البحر."

أنا فزعت إنهم يرجعوا يضربونا رصاص من ضهرنا. وقلت لحالي إنهم إسّى رح يقتلونا. لكن لمّا قربت ومشيت مع اولادي ما حسيت بالفزع، وما بقول هيدي شجاعة. هيدي لا شجاعة ولا شي. هيك الله بيحكم على الإنسان وبحط فيه الصبر وقوة الاحتمال حتى ما يموت قبل ما تيجي ساعة الموت.(١٢٦)

اعترفت أم كمال بأنها أمضت عدة أشهر طويلة بعد الأيام الدامية الثلاثة وهي لا تنام من الخوف. الصورة العالقة في بالها كانت صورة ذلك المسلح الواقف أمامهم وقد لَقّم سلاحه وهو على وشك إطلاق النهار عليهم!!

أم كمال امرأة مؤمنة، تخاف الله، والدعاء يلازمها مع كل مقطع من حديثها. لمّا انتهت المقابلة وودعتها، وقامت هي تودعني، لا أنسى دعاءها عند باب بيتها وهي تقول من أعماقها:

"هلّقني رح تخبري الناس شو صار؟ الله يكون معيكي. الله وعلي معيكي. الله وعلي معيكي."

الرواية الرابعة والثلاثون

في المدينة الرياضية

أم غازي ماضي، فخورة بأنها كانت في الثامنة من عمرها لمّا غادر أهلها فلسطين. أم غازي تعرف فلسطين.

بيتها في شاتيلا قرب دار الدوخي التي أصبحت معلماً من معالم المجزرة على شارع شاتيلا الرئيسي.

كانت أم غازي تستضيف ابنتها المتزوجة والمقيمة بصور، وقد جاءت الابنة مع طفليها لزيارة أهلها بمناسبة مرور أربعين يوماً على مقتل شقيقتها التي كانت إحدى ضحايا انفجار مبنى عكر في منطقة الصنائع؛ ذلك المبنى الذي نسفه الإسرائيليون بقنبلة فراغية، محرمة في القوانين الدولية!!

---

(١٢٦) Ibid.

كانت الأم دائمة الحزن على ابنتها؛ فهي لا تنساها لحظة واحدة، وتذكرها في حديثها مرات ومرات، حتى في عز حديثها عن المجزرة. تقول إنه يقال إن الرئيس أبو عمار كان هناك في الطبقة الأرضية من ذلك المبنى يترأس اجتماعاً مهماً. يقال. لكنه لم يكن هناك. وربما كان هناك وخرج قبل الانفجار بدقائق. ربما. غير أن نتيجة الانفجار كانت انهيار المبنى كاملاً ومقتل مئتين وخمسين من سكان المبنى، كانت ابنتها واحدة منهم.

أمّا عندما تبدأ أم غازي الحديث عما جرى مساء الخميس، فهي تقول جازمة: "نهار الخميس الساعة بين الخمسة ونص والستة فاتت إسرائيل." وإذا ناقشها أحدهم: "لكن إنت بتعرفي يا إم غازي إنها ما كانت إسرائيل"، ترد بحزم:

> لولا إسرائيل ما فاتوا. مين بيكون الأساس؟ مش إسرائيل؟ أنا عارفة إنهم لبنانية. وكانوا لابسين تياب متل الجيش المنظم، ومكتوب عليها قوات الكتايب اللبنانية. أنا ما بعرف إقرا. بس بنتي بتعرف تقرا. أنا كنت عم حضّر العشا. في اولاد صغار بدهم ياكلوا، واللاّ بسمع بنتي بتقول: "كتايب.. كتايب". قمت تطلّعت من الشباك لاقيتهم مطاردين أبو ابراهيم، من حد دار الدوخي من فوق وعم يصرخوا عليه: "وْلا.. وْلا.. عكروت.. استنى.. رح نموتك."
>
> شو هاالمصيبة اللّي جاي. أنا جوزي رجّال مريض بالأعصاب ما بيمشي، ونحنا كلّنا في السهرة قاعدين حواليه. أول شي قام إبني وصهري حملوه وفوتوه لينام على التخت جوّا في أوضة النوم. ونحنا كمان فتنا على أوضة النوم وسكّرنا الباب وضلّينا قاعدين للصبح.
>
> مين فينا قدر ينام؟ كل الليل نقول شو رح نعمل. أنا فكّرت مش ممكن يقدر جوزي يطلع معنا وهوّ على الكرسي. شو رح نعمل؟ ورجعت فكرت إنّو هوّ رجّال عاجز مش ممكن يعملوا معو إشي. وقلت لحالي أنا رح خبّي معو المصاري اللّي حوّشناهم وأتركهم معو، لأنّو هيك أمان أكتر من ترك المصاري معنا. ونحنا مش عارفين شو رح يصير فينا..
>
> تاني يوم الصبح منسمعهم عم بنادوا. بنادوا على أسامينا. أنا افتكرت بالأول ممكن ناس نحنا منعرفهم. أنا رحت عم بطلّ من شق الباب لأشوف مين فيه برّا، بلاقي رجّال أسمراني أصلع حاطط عوينات كبار ولابس قميص أبيض بنص كم، وواقف على الشباك مع أربعة من الكتايب. وكانوا هنّي برّا شايفين الصالون والصور على الحيطان، وسمعتهم عم يحكوا. سمعت واحد من الكتايب بيسأله وهوّ بأشر على الصور: "هيدا بيت مين؟" وقلّو الأصلع: "بيت يونس ماضي". وسأله: "وشو بيشتغلوا اولاده؟" قلّو: "بيشتغلوا بفتح". وراح سأله: "والأب شو بيشتغل؟" قلّو: "كان يشتغل بفتح

ولكن إسّا مريض ونايم جوّا."

وشــفتهم حاملين صورة إبن أختي معهم، وشفتها بالمقلوب، وسألوه عن الصورة:

"وصالح الطيطي شو بكونلهم؟" قلّو: "بكون إبن أخوها لإم غازي صاحبة البيت."

خلّصوا أسئلة، ورجعوا ينادوا: "يونس ماضي إطلع، صالح الطيطي إطلع."(١٢٧)

مــا كــان الجاسوس المخبر الأصلع مخطئاً، كان صالح ابن أخت أم غازي فعلاً، وكان في زيارة لخالته. وكان عريساً يستعد لزفافه بعد العيد.

وشاءت الأقدار أن يمر رجل بالطريق، فصرخوا عليه كي يقف، ولم يقف. رأته أم غازي من النافذة وهو يركض، ورأتهم يلحقون به، حتى بدا أنهم نسوا عائلة ماضي. وهي سمعت صوت الرجل يجعر من الألم ويصيح: "يا إمي". ثم اختفى الصوت.

ظنــت أم غازي لبساطتها أن الرجل حبسوه أو أقفلوا عليه "الغرفة"، وما مر ببالها أنهم ذبحوه! وخطر لها أنهم انشغلوا، وأنهم لن يعودوا إليهم، وهو الأهم.

لــم تفكــر أم غازي كثيراً ولا قليلاً في مصير الرجل الذي كانت آخر كلماته: "يا إمــي". عادت لتهيىء الطعام من جديد للعائلة، فقد انتصف النهار، وأولاد ابنتها الصغار جــاعوا، وعليها أن تهيىء الطعام للصغار وللكبار. كانت "طنجرة الطبيخ" ما زالت على النار، لمّا قررت العائلة الاستجابة لنداءات التسليم:

كانــت المــيكروفونات تنادي: "سلِّم تسلم". والدنيا صارت الضهر. قال جوزي وكمان جوز بنتي: "إطلعوا إنتو النسوان سلّموا. إنتوا بتطلعوا قدّامنا وإحنا وراكم."

والله طلعــنا وسلّمنا، ما لقيناهم إلاّ بيسألونا متعجبين: "وين كنتو إنتو"؟ قلنالهم: "كــنا في البيت. وين بدنا نروح." قالوا: "لأ. يمكن في سرداب تحت الأرض." قلنالهم: "والله مــا في سرداب. في زلمة مريض نايم بالأوضة الجوانية وإحنا قاعدين حواليه." قــالوا: "إنتو النسوان خلّيكم برّا. إنتو حسابكم برّا. والرجال كلكم فوتوا جوّا." وراحوا مدخْليــن مع الرجال إبن بنتي الصغير. رحت قلتلهم: "هادا مش ولد هادا بنت وإسمها حمدة." وكان الولد شعره طويل وما كانت أمه تقصلّو شعره متل الاولاد. واختلفوا بين بعض. بعدين واحد قال للتاني: "خلّيها تاخدها معها". وتلفت عليّ وقلّي: "اطلعي اطلعي وخديها معك."

بنتــي يمكــن لمّا شافت هيك راحت تقول لواحد منهم: "دخلك بعرضك، دخلك زوجــي منشان الله وإخوتي، من شان النبي." راح قلّها: "اطلعي ولْي. اطلعي ولْي ...

---

(١٢٧) POH. S/SH. No. 70 (243/T.64). “Um Ghazi” Madi. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator’s house, May 30, 1983.

أنـــو نبـــي؟ اطلعي برّا." وراح ضاربها. ركضت أنا خلصتها منّو وهوّ صار مشغول همّو إنّو يفوت على البيت.

ومـــا فينـــي عـــد كـــم واحد كانوا داخلين.. الأوضة كلها جوّا صارت مليانة، والكوريدور مليان، والبيت كله حواليه مليان.(١٢٨)

تمكنـــت أم غـــازي فـــي خضم زوبعة دخولهم البيت من أن تدخل عند أبو غازي، زوجهـــا المقعـــد، لـــتودعه، ولتعطـــيه "تحويشـــة" العمر، مبلغ ثمانية آلاف ليرة لبنانية، وقالت له: "إنت مريض ومش رايحين يحكو معك. لكن نحنا رايحين للموت. بخاطرك أبو غازي.. إحنا ميتين."

لم تكن أم غازي تستدر عطف زوجها الذي كان أكثر الجميع حاجة إلى العطف، بل كانـــت تقول له إنهم "رايحين للموت"، عن يقين أنهم فعلاً ذاهبون إلى الموت منذ سمعتهم يقولـــون "إنتو حسابكم برّا". لكن الزوج المقعد العاقل رفض أن يأخذ كل المبلغ. قال لها: "خدي منهم ألف ليرة خلّيها معاك بلكي رحت على مطرح." وراح أبو غازي يذرف الدمع علـــى الرغم منه. أكان يبكي على أسرته، أم على نفسه؟ وتركته زوجته بعد أن وضعت الثمانية آلاف ليرة في جيب "البيجاما" التي كان يرتديها. كانت "بيجاما" زرقاء مقلمة.

مشت قافلة عائلة أم غازي من النساء والصغار بحراسة أربعة من المسلحين، اثنين أمام القافلـــة واثنيـــن وراءها. لكن هيبة المسيرة لم تجعل عين أم غازي تغفل عن بيوت القريبات والصديقات. فقد شاهدت جثة أم الفهد على الطريق، وكذلك جثة سلفة ابنتها. وكانت ابنتها هذه خرجت مع زوجها مع الفدائيين إلى دمشق، فجاءت سلفتها وسكنت البيت.

أصـــعب مـــا مر بهذه العائلة في الطريق كان تعرضها لفقدان الصغير محمود (أو حمـــدة)، فكـــان على هذا الفتى ابن الحادية عشرة أن يحمل ابنة شقيقته، لكنه وقع أرضاً، فاكتشـــفوا أنه صبي، وهجموا عليه وصفوه عند الحائط ليقضوا عليه، لكنهم عادوا فعدلوا عن ذلك بعد أن أخذوا من المال ما استطاعوا.

وصلت القافلة الصغيرة مع حراسها الأربعة إلى المدينة الرياضية. وهناك في ساحة المدينة، شاهدت أم غازي حفارة تقوم بحفر حفرة كبيرة. وقال لهم المسلحون: "كلكم بدكم تنزلوا بهالجورة." وراحت أم غازي تتذكر:

كنـــت أنـــا وبناتـــي وإم محمود، عمة صهري جوز بنتي، والاولاد. وكان في بالمدينة قبالنا أعداد كبيرة من النسوان والاولاد. بس إحنا لجوّا كنا مش شايفين. ورجع قـــال: "كلّكم بدكم تنزلوا هون." وراح اللّي بسوق الحفارة رفع الجاروفة وعباها تراب،

Ibid. (١٢٨)

ودخلوا المسلحين بدهم ينزلونا. رحت قلتلهم أنا: "دخلك بعرضك شربة مي بس." بنتي صارت تصرخ. واحد منهم قام بلّش فيها ضرب. وكان معها بجزدانها تلات آلاف ليرة قام مد إيده وخطف الجزدان وقلّها: "قدّيه هيدا فيُه؟" قالتلو: تلات آلاف بس بالله عليك تاخدهم كلهم وما تقتل جوزي وإخوتي." قلّها: "إنت خايفة حدا يقتلهم؟ ما بدنا نقتلهم، ولا بدنا نحاكيهم." والتهى بالمصاري، وما كان معه وقت يرمينا بالحفرة، وفي اللحظة ذاتها بتوصل سيارة محملة مي للّي في المدينة الرياضية.

الله رحمنا. كان المسؤول في السيارة إسرائيلي. وشاف وهوّ في السيارة جاي هادا الكتايبي عم يضرب بنتي وهو يشلّحها الجزدان والمصاري، وكان إبنها الصغير على حضنها. وراح الإسرائيلي بالصوت العالي وهوّ يأشّر على الحفرة، راح قلّو: "No.. No"، وأشّرله على المدينة الرياضية، ورجع قلّو إنّو كلهم على هناك.

صار المسلح الحرامي يسبنا ويلعن دينّا. لكن غصبن عنّو رد على الإسرائيلي. ورحنا على المدينة وبقينا فيها من الساعة ٢ الضهر لحد الساعة ٧ المغرب.

عند المغرب تحمسوا رجعوا صفّونا من جديد. نحنا فكرنا صفّونا بدهم يعني يطلعونا. لكنهم وقفوا اتنين من برّا واتنين من جوّا ورفعوا علينا السلاح. ومرة تانية بينقذونا الإسرائيلية. وصلت سبع سيارات إسرائيلية، وكانوا كتار. نحنا شفناهم كيف أخدوهم الإسرائيلية لغاد وصاروا يتحدثوا معهم ويتوشوشوا هنّي واياهم. شوي أجا واحد يهودي إسرائيلي.لسانه تقيل وبيحكي عربي تلطيش، وقلنا: "يا بنات، إنتو تعرفوا فاكهاني؟ يلاّ، يلاّ. رجوع على بيوتكم ما في. إذا بترجعوا.. بتموتوا. روخوا على فاكهاني."

وركضنا على الفاكهاني. كنا مجبورين نركض. كانوا المجرمين ورانا ورانا. خافوا من الإسرائيلي، لكن لمّا ابتعدنا شوي صار الرصاص ينزل علينا زي زخ المطر. ما هان عليهم أبداً الله ينقذنا من إيديهم.

المصيبة إنّو إم محمود ناصحة كتير وما فيها تمشي بسرعة، وصارت تترجاني: "دخيلك يا إم غازي ما تتركيني." وصارت بنتي ترجع لعنا لتضل تحمينا، وهيّ بدها مين يحميها ويحمي اولادها. قلتلها: "دخيلك يا بنتي أركضي إنت والصغار. رح منلحقكم." وفضل الرصاص علينا وورانا زي الشتا. وكنت قول لحالي أكيد رح نموت، مش رح ننفد.

ما لحقنا وصلنا الشارع إلاّ سيارة إسرائيلية لحقتنا، وقال: "ليش بعدكم ماشيين إسّا بتموتو." قلتلّو: "دخلك يا خواجا ركّب هاالختيارة بس، ركّبها للجسر." قلّي: "يا مدام هيك كتايب، هيك إسرائيل. أنا هيك ما بقدر أروح." ودشرت المَرَهْ على الطريق،

وركضــت أصــرخ بالبنات: "يا بنات استنوا استنوا. وقّفوا. وين رايحات يا مشحرات علــى الكتايــب." قــالوا: "عَــزَه؟ ميــن قال على الكتايب؟" قلتلهم إنّو هلّق قال هيك الإسرائيلي. ووقفنا محتارين شو بدنا نعمل.

والله.. توزعــت النسوان. وأنا صفنت أفكر وين بدنا نروح، وكنا بعدنا واقفين تحــت جســر الكولا. كنا يمكن عشرين ست لسّانا واقفين تحت الجسر. وطخ ساعتها نــازل عليــنا، مــن هون طخ، ومن هون طخ. ما إحنا عارفين كيف بدنا نخلص من هاالمصــيبة. والله تطلّعــت لفوق شوي، لقيت زلمة قاعد قريب من الجامعة العربية. رحــت أســأله، والبنات يصرخوا عليّ خايفين يكون هادا كتايب، أنا حسّيت إنّو مش ممكــن يكــون كتايــب، وقلت لبنتي: "إذا كنت بدّي أموت بدّي أموت، وإذا كنت بدّي أعيش بدّي أعيش." واتفقنا على إشارات حتى فهِّمهم شو الوضع.

مشــيت حــتى وصــلت للشــاب القــاعد. كان مبيّن عليه عربي وما كان لابس عسكري، قلتلّو: "مرحبا يا أخ". قلّي: "أهلاً يا أختي". قلتلّو: "يا أخ بدّي أسألك، في كتايب هــون؟" ضحك الشاب وقلّي: "لا يا أختي ما في كتايب. أنا سوري. ولو في كتايب هون ما بتشوفيني هون. أنا قاعد هون. بس من ٣ ايام فاتت إسرائيل لهون، وراحت."(١٢٩)

نامــت مجوعـــة النساء والأولاد تلك الليلة في أروقة جامعة بيروت العربية، وهي المجموعـــة الهاربـــة من موت شبه محقق مرتين: أول مرة من حفرة الموت في المدينة الرياضـــية ظهـــراً، وثاني مرة من الرصاص الذي لاحقها من المدينة حتى الجسر، عند المغيب. وأمّا الذين تركتهم أم غازي في البيت فما وجدوا من ينقذهم من موت محقق.

طوال الليل كانت أم غازي تنتظر الصباح لترجع إلى البيت وترى ما جرى لزوجها وأولادها الكبار وضيوفها وجيرانها. ولمّا عادت فعلاً صباح الأحد، ورأت ما رأت، علمت كـــم كانت يد الإجرام رحيمة بمقتل ابنتها في بناية عكر، إذ مات الناس خلال ثوان؛ فتلك القنبلة "الفراغية" لم يكن لها صوت يخيف، ولم تعذب ضحاياها.

سابعاً: وانتهى اليوم الثاني

- يـــوم الجمعـــة هو أطول الأيام الثلاثة بالساعات، فقد امتد العذاب في هذا اليوم طوال أربـــع وعشـــرين ساعة كاملة، بينما امتد في اليوم الأول، الخميس، من الغروب حتى نهايـــة الـــيوم، أي عـــند منتصف الليل، نحو ست ساعات. وفي اليوم الثالث امتد من ســـاعات السبت الأولى حتى ظهر ذلك اليوم، أي من منتصف الليل حتى الواحدة بعد

(١٢٩) Ibid.

الظهر، نحو ثلاث عشرة ساعة.

- انتهى اليوم الثاني من دون أن يتمكن المسلحون من دخول مخيم شاتيلا، ومن دون أن يصلوا إلى داخل منطقة صبرا أيضاً. لكنهم تمكنوا من التقدم أكثر قليلاً في شارع شاتيلا الرئيسي حتى حدود صبرا، كما دخلوا بعض البيوت القائمة في حي فرحات إلى اليمين من هذا الشارع.
- كان إمكان الهروب من المخيم بالذات متوفراً من ناحية الشمال، وخصوصاً من ناحية مستشفى غزة الذي لم يصلوا إليه قبل يوم السبت.
- تمكن بعض الناس الذين اقتيدوا إلى المدينة الرياضية من الهرب، إذ لم تكن عملية سهلة مراقبة هؤلاء الناس المحتجزين جميعاً.
- بقي عدد من العائلات في البيوت ولم يغادرها. وقد اتضح أن المهاجمين كانوا يعتقدون أن هذه البيوت فارغة من السكان أساساً.
- على صعيد ما أطلق عليه تقرير كاهان اسم "المعركة"، يشهد هذا اليوم الثاني والأطول أنه كان يوم الانسحاب لا يوم القتال، فلم يحدث سوى اشتباكين محدودين لدقائق بين المدافعين والمهاجمين، كان أولهما في حي الحرش، وثانيهما في حي الدوخي.
- تواصلت عمليات القتل الفردي والجماعي، وبصورة رئيسية في البيوت، وفي بعض الأزقة، وعلى مقربة من السفارة الكويتية، وداخل المدينة الرياضية.
- استمرت الجرافات تعمل وبشكل مكثف أكثر، وكان عملها هدم البيوت على ما فيها من جثث، وطمر ما أمكن من الجثث في حفر أعدت لذلك.
- حاولت عدة نساء في بداية النهار، بصورة إفرادية، البحث عن الضحايا لكن من دون التوصل إلى معرفة شيء عن الذين يبحثن عنهم. غير أن شهاداتهن أظهرت مدى ما كانت المجزرة قد وصلت إليه.
- تواصلت يوم الجمعة عملية قتل العائلات، فأكثر من عائلة أبيدت، وفي وضح النهار. ما عادوا هم أنفسهم مرتبكين، كل عمليات القتل الجماعي يوم الجمعة قد تمت، وهم يعرفون تماماً ماذا يفعلون.
- لم تتم عمليات القتل الجماعي فقط في طوابير في الأزقة أو الملاجئ كما تمت مساء الخميس، وإنما تميزت بعمليات قتل في الحفر التي أحدثها الطيران الإسرائيلي خلال الاجتياح، أو في الحفر التي أعدت لذلك. وكان هناك عدة أماكن لمثل هذا النوع من القتل، إمّا بالرصاص، وإمّا بدفن الضحايا بالرمل أحياء.
- تواصلت يوم الجمعة عمليات الاغتصاب، وكانت عمليات تنتهي عادة بالقتل، وخصوصاً للفلسطينيات.

- نجـــا الكثـــيرون في هذا اليوم مصادفة. لكن الكثيرين نجوا أيضاً لأن الناس ساعدت بعضها بعضاً.
- فصـــل المهـــاجمون المســـلحون بيـــن طوابير الفلسطينيين واللبنانيين، لكن يظهر من الشـــهادات ومـــن أسماء الضحايا وجنسيات أصحابها ـ فيما بعد ـ أن هذا الفصل ما كان إلاّ فصلاً ظاهرياً.
- تمـــيزت معاملة المهاجمين للأجانب بنوع من الاحترام، فلم يحاولوا إيذاءهم، بل سهلوا لهم مغادرة المنطقة.
- حفل يوم الجمعة بتجاهل تام من قبل ضباط وجنود إسرائيليين لشكاوى السكان، وكان النزق والغضب باديين عليهم حين الاستماع إلى الشكاوى. لكن هذه التصرفات لا تنفي حـــدوث عـــدة مواقـــف إنســـانية من قبل جنود وضباط إسرائيليين آخرين. وفي هذه المواقـــف الإنســـانية بـــادر بعض الحراس الإسرائيليين إلى منع حدوث عمليات قتل جماعي؛ كان التفاوت في تصرف عناصر الجيش الإسرائيلي ظاهراً.
- سواء بالنسبة إلى الإسرائيليين الذين شاهدوا الإجرام فحالوا دونه، أو بالنسبة إلى الذين رفضـــوا حتى تصديق ما يسمعونه من أقوال أهل الضحايا الهاربين وكانوا بلا رحمة فـــي موقفهم، فالحالتان المتناقضتان، إنسانياً وسياسياً، تشيران إلى معرفة الإسرائيليين. الاحتمال الأقوى أن أولئك وهؤلاء قد أخبروا الذين هم أعلى منهم رتبة.
- لا دلـــيل علـــى أن كـــل ضابط أو جندي إسرائيلي شاهد بعينيه إقدام المهاجمين على ارتكـــاب عملـــيات قتل جماعي في الحفر، وقام فعلاً بإيقافها، كما جرى قرب السفارة الكويتـــية، أو داخل المدينة الرياضية، قد بلّغ رؤساءه. غير أن هناك دليلاً على معرفة الإســـرائيليين بما كان يجري من خلال شهادة من منطقة الحرش على سماع صاحبها للغـــة العـــبرية في صفوف المهاجمين. كما أن هناك دليلاً آخر عبر شهادة مقاتل من النمور الأحرار أنه جاء لمساعدتهم اثنا عشر إسرائيلياً يرتدون زي القوات اللبنانية منذ الأربعاء، وقد قيل إنهم جاؤوا لمعاونتهم، لكن من دون علم رؤسائهم.
- بـــرز دور المخبرين بوضوح أكثر من اليوم الأول. وتمكن بعض السكان من إعطاء أوصاف دقيقة لهم.
- تميز يوم الجمعة بأنه كان يوم المستشفيات، فقد أخلى الصليب الأحمر الدولي مستشفى غزة من المرضى، كما أخلى مستشفى عكا، لكن بعد أن كانت الميليشيات قد دخلته.
- تمـــيز اقتحام مستشفى عكا بتفاوت مذهل بين التعامل مع الأجانب، والتعامل مع اللبنانيين، والـــتعامل مـــع الفلسطينيين؛ وقد قتل عدد من الأطباء والممرضات والمرضى الفلسطينيين بشراسة.

الفَصْلُ الخامِسُ

السَّبت ١٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٢

كــان يفترض أن ينسحب المهاجمون صباح يوم السبت ــ هكذا صرّح المسؤولون الإسرائيليون فيما بعد؛ إذ قالوا أنهم كانوا أصدروا أوامرهم بالانسحاب. لكن الانسحاب لم يتم من داخل صبرا وشاتيلا إلاّ عند الظهر، ومن المنطقة بكاملها بعد الظهر. وقد شهدت ســاعات هــذا اليوم الثالث جميع الممارسات العدوانية التي مورست في اليومين الأولين بحــق السكان. لا بل تفوق اليوم الثالث في عمليات الخطف وفي عمليات القتل الجماعي، نوعيةً وهمجية، كما تفوق في إذلال السكان ومهانتهم على امتداد الطريق الطويل، في ذلك "المارش الأخير" الذي قاد المسلحون فيه السكان كالأغنام.

ابــتدأ تجميع السكان منذ فجر السبت، من زواريب صبرا وشوارعها الفرعية، ومن شــوارع شــاتيلا الفرعــية أيضاً، باستثناء المخيم نفسه وزواريبه التي لم يدخلها أحد من المهاجميــن، لكنهم لو دخلوا فعلاً "مخيم شاتيلا" في هذا اليوم الثالث، لوجدوه فارغاً تماماً مــن السكان. أمّا أهم مراكز التجمع منذ ساعات الفجر فكان في ساحة صبرا، وأمام مقر الهــلال الأحمر الفلسطيني. وبعيد الساعة السابعة صباحاً ابتدأ ذلك "المارش الأخير" من ساحة صبرا، مروراً بشارع صبرا نحو الجنوب، فشارع شاتيلا الرئيسي المتواصل معه، ثم يميناً نحو السفارة الكويتية، ومن مستديرة السفارة يميناً نحو المدينة الرياضية.

كــان للإســرائيليين دور بــارز فــي هذا اليوم، تمثل في زعيق مكبرات الصوت المتواصل بالتوجه نحو ملعب كرة القدم، وفي التحقيق مع المئات من سكان المنطقة. وقد عاد كثيرون من السكان إلى بيوتهم، لكن ليس الجميع.

كان الحدث الأبرز في مستهل النهار اقتحام مستشفى غزة. غير أن هذا الاقتحام لم يكــن مشابهاً لما جرى في مستشفى عكا، إذ لم يجد المسلحون أمامهم سوى الطاقم الطبي الأجنبــي الــذي أمروه بالسير أيضاً على طريق "المارش" الطويل نفسه، لكن نحو "مقر" قيادة القوات اللبنانية للتحقيق معه، ثم نحو مقر القيادة الإسرائيلية المجاور.

أولاً: صبرا وشاتيلا

ما بين الرابعة والسابعة صباحاً

لم يكن سكان صبرا على علم بما يجري، حتى هؤلاء الذين يسكنون على مقربة من شاتيلا أو على تماس به. وليس هذا بمستغرب ما دامت الأنباء لم تكن أُعلنت، وما دام القصف الإسرائيلي المتواصل المدروس والمتقدم على تقدم الميليشيات قد أجبر الناس على البقاء في منازلهم، وما دام المهاجمون أنفسهم لم يصلوا إلى نهاية شاتيلا وإلى ساحة صبرا إلاّ في هذا اليوم الثالث.

وفيما يلي ثلاث شهادات للسكان الذين فوجئوا بما يجري، وكأن صبرا تقع في جزيرة نائية لا في جوار مخيم شاتيلا وعلى تماس به.

الشهادة الأولى من أم فلسطينية جريئة تسكن في شارع صبرا الرئيسي، وعلى مقربة من الخط الوهمي الذي يفصل بين صبرا وشاتيلا. خرجت من بيتها في السادسة صباحاً ومعها كنتها، ولم يكن هناك ما يلفت النظر في الشارع العام، وأنّى لها أن تعلم أن هناك مسلحين في زواريب صبرا بدأوا بتجميع الناس، وأنّى لها أن تعلم بالمجزرة أساساً. تقول الأم:

> الساعة ٦ نزلت على المخيم أشوفَ إذا في خبز، كانوا اولاد إبني عندي والاولاد بدها تاكل، فقلت لكنتي: تعالي نروح نفتش على خبز. كنا كل الأيام التلاتة الماضية نقلي العجين قلي. والله رحنا على المخيم ما لقينا في حدا، فش حدا أبداً، صار المخيم كلّو منطقة أشباح.
>
> رحت أتطلّع بالطلعة قمت ألاقيها فيها أكتر من دوشكا وآر. بي. جي. مرمية على الطرقات، قلت بقلبي: شو صاير يا ربي، هدول الشباب أكيد خايفين من شي ورامبين سلاحهم. لكن مين بيرمي سلاحو؟ شو اولاد صغار حاملين السلاح؟ وأنا عليم الله ولا عارفة شي، ولا سامعة أي خبر عن مجزرة، ولا كان ممكن حدا يتصور إنّ مخيم شاتيلا يفضى من كل البني آدمين.
>
> يا ساتر يا رب. مين كان قدّامي مرمي على الأرض؛ كانت فضة بنت إبن نافذ، ما شفتها إلاّ قدّامي، كاينين ساحبينها ودابحينها. ومشيت بعد شوي ألاقي إبن الشرقاوي عم يركض، قلتلّو: "ولك مالك عم تركض؟" قلّي: "في يهود هون". قلنا أنا وكنتي لبعض هنّي اليهود مش رح ياكلونا، مش رح ياكلوا النسوان، لنوصل الكورنيش ونعبّي غالونين مي. وعبّينا مي ورجعنا.
>
> لكن أنا ما طلعت على البيت بقيت واقفة على الزاوية وقلت لكنتي: "ما دمنا

صــرنا بــرّا، روحي وَصلّي المي على البيت وهاتي كمان غالون فاضي نعبّيه بلكي ضلّت المي مقطوعة." وراحت وما رجعت. تْأخَّرَت وأنا ناطرتها، قَدَّمت لحتى صرت على باب القهوة [قهوة همدر]، إلاّ بلاقي الجيش على الصفين.

مــا حكــيوا معي، لكن عرفت في شي. طلعت على البيت، نحنا ساكنين طابق عالي، رحت لقيت الأبواب مفتّحة وما لقيت لا كنتي ولا بنتي ولا الاولاد، ولا في حدا بالبيت. ناديتهم بأساميهم، فش جواب. كيف كلهم تاركين البيت والابواب مفتحة؟(١)

كانــت الساعة قاربت السابعة صباحاً، وكان يوم العمل الثالث من أيام المجزرة قد ابتدأ، ولم يكن في استطاعة حتى مثل هذه الأم الفلسطينية الجريئة أن تستوعب ما يجري. وهــي مــا إن خرجــت ثاني مرة من بيتها وسألت المسلحين الذين ظنتهم أول وهلة من الجـيش اللبناني: "إيش فيه يا خالتي؟" حتى سخروا منها، وتحرك أحدهم ليضربها بكعب الكلاشــينكوف، فأبعده عنها زميله بيده، وأشار إليها حيث يجب أن تمشي. مشت قليلاً إلى أن وصــلت حيــث مقر الهلال الأحمر، ويا لهول ما رأت!! هل انشقت الأرض عن كل سكان صبرا وشاتيلا؟ كيف تجمعوا في تلك البقعة؟

هــناك.. وجدت بين الناس المتجمعين ابنتها وكنتها والأحفاد. وقفت مع الواقفين، ثم جلست مع الجالسين، في انتظار المجهول.(٢)

الشــهادة الثانية من شاب عامل، مهنته إصلاح الغسالات، يسكن في زاروب الديك من زواريب صبرا حيث كان المسلحون وصلوا باكراً جداً وراحوا يصرخون على السكان كــي يخــرجوا من بيوتهم حالاً. كان هذا الشاب العامل من الذين يستيقظون باكراً، لكنه اســتغرب الصــراخ فــي مثل هذه الساعة المبكرة، فنظر إلى ساعته ووجدها تشير إلى الرابعة فجراً. لكن لم يكن هناك بد من الامتثال للأوامر. وهذا ما رواه لصديق له فيما بعد يسكن قريباً منه، لكن صديقه كان من الذين نودي عليهم في السابعة صباحاً.(٣)

أمّــا الحــوار بين الصديقين فقد جرى في ساحة صبرا حيث اجتمعا مع المئات من الجــيران والسكان، وحيث الأسئلة المتلاحقة لا تجد أحياناً من يجرؤ على تقديم الإجابات عنها، وخصوصاً عندما تكون أنظار المسلحين أو بنادقهم مصوبة نحو هؤلاء المتهامسين.

---

(١) POH. S/SH. No. 62 (232/T.59). “Um Majed” Balqis. Interview with author. Beirut: Friend’s house, May 5, 1983.

(٢) Ibid.

(٣) POH. S/SH. No. 54 (230/T.53). Anonymous. Interview with author. Beirut: Friend’s house, April 28, 1983.

وتمـــر الدقائق كالساعات، ويتضاعف التجمع العشوائي، ويتحوّل الهمس إلى ضجيج، لكن من دون أن يقال كلام يستحق أن يقال.

الشـــهادة الثالـــثة من موظف في قسم الأشعة في مستشفى عكا؛ فهو يسكن صبرا، لكنه لم يسمع النداء كما سمعه غيره، ربما لاستغراقه في النوم بعد ليلة طويلة من الأرق، وربما لأنهم لم يكونوا وصلوا فعلاً إلى شارعه وأمام بيته قبل السابعة صباحاً.

اســـتيقظ الموظف قبيل السابعة وأطل من الشرفة ففوجئ بخالة له جاءت من منطقة البربـــير ووقفت تناديه من الشارع: "أنا جيت لآخدك معي يا خالتي. الأخبار كتيرة. وإنت شـــاب ما لازم تبقى هون." وكان يعلم أن خالته امرأة عاقلة وليست من اللواتي تجرفهن الشـــائعات، فصـــدقها حالاً وأشار لها بيده أنه نازل حالاً. وبينما كان مسرعاً على الدرج التقى صديقاً له جاء ليأخذه بسيارته، ولم يكن هناك وقت كثير للكلام، فقال لصاحبه: "أكيد بـــروح معك، لكن خالتي عم تنتظرني تحت مناخدها معنا كمان." وبينما هما ينزلان بقية الدرجـــات مسرعين، قال له الصديق بصوت منخفض: "إنت ما عرفت إنهم وصلوا على مستشفى غزة؟"

وصـــلا إلـــى الشارع، لكن الخالة التي كانت تقف هناك منذ لحظات لم تعد هناك. كانت اختفت. وما وجدا أنفسهما إلاّ وجهاً لوجه أمام رجل مسلح يقول لهما بنزق: "وقاف عـــندك وْلا. لوين رايح إنت واياه؟" وأجاب موظف المختبر بلا تفكير: "نحنا نازلين نعبّى مـــي." وتبسّـــم المسلح بلؤم وقال بلهجة لبنانية تنفي عنه أية هوية إسرائيلية: "طيّب وَيْن الغالونيت؟ رايحين تعبّوا مي بلا غالونيت؟" ورد الموظف: "الغالونات على مدخل البناية." وصـــاح المسلّح: "وْلا، رايح تعبّي مي ومش لابس صرماية برجلك، ومش لابس مشّاية، امشوا وْلا إنت واياه اتنيناتكم بلا جعدنة، بلا حكي فاضي. يلاّ امشوا على شاتيلا."[٤]

وإذ راح الصديقان يسيران معاً شبه متلاصقين، تنبها إلى أن الشوارع أصبحت تعج بالســـكان وبالمســـلحين، وســـمعا صوت مسلح آخر يدعو النساء والأطفال والرجال إلى الخروج من بيوتهم وتركها مفتوحة، فهم لا يؤذون أحداً!!

قال أحدهما للآخر: "هل تصدق؟" وفي اللحظة نفسها كانا أصبحا أمام مستشفى غزة حيـــث كان الطبيب بول موريس واقفاً بين الأطباء يتحدث مع جماعة من المسلحين. كان موظـــف قسم الأشعة يعرف الطبيب موريس جيداً منذ عملا معاً في المستشفى المستحدث خـــلال الاجتـــياح في مركز اللاهوت، في منطقة الحمراء. وكان هناك أيضاً ممرضات يعرفهن، لكنه لم يجرؤ على التباطؤ، ولم يجرؤ في تلك اللحظات على التفكير في الهرب

(٤) Ibid.

مــن المفــرق الــذي يؤدي إلى أرض جلول، وهو المفرق الذي هرب منه العشرات في اليومين الماضيين، لكنه اليوم يعج بمسلحين وقفوا يمنعون أياً كان من الهرب. مر بخاطره أنه قد يتمكن من الهرب عند سوق الخضروات حيث توجد عدة زواريب، لكن سرعان ما اكتشف أن عند مدخل كل زاروب يقف مسلحان أو ثلاثة؛ وهذا معناه أن لا مجال للهرب في أي حال.

وبيــنما كانــا يســيران بــبطء متعمد، مرت بالقرب منهما سيارة جيب فيها شباب مســلحون علـــى أكمامهم حرفا .M.P. تحدث المسلحون بعضهم مع بعض، ثم قال سائق الجيب: "يلاّ اطلعوا معنا حاج ماشيين عاالدقة ونص."

لم تكن المسافة تستحق الركوب، إذ سرعان ما وصلت السيارة بهما إلى مقر الهلال الأحمــر، فاكتشف الصديقان أن كل من يعرفون من سكان صبرا وشاتيلا قد سبقوهم إلى المكان. هناك التجمع، لكن لا أحد يدري لماذا؟ وإلى أين؟

ســمع الصــديقان من عدد من الناس أنه جيء بهم منذ الخامسة صباحاً، وحتى قبل ذلــك، ومــا زالــوا ينتظرون؛ كان صاحب الشهادة الثانية أعلاه الذي يعمل في إصلاح الغســالات، مــن هــؤلاء الذين جيء بهم باكراً جداً، وكان صديقاً منذ الطفولة لموظف الأشــعة، لكــنه على الرغم من المحبة والصداقة بينهما رجاه أن يقف بعيداً عنه، لكونه موظفــاً فــي مستشــفى عكــا، أي أنه موظف في مؤسسة الهلال الأحمر التابعة لمنظمة الــتحرير الفلســطينية؛ فهي تبقى ــ كما قال ــ مؤسسة فلسطينية على الرغم من كونها مؤسسة إنسانية، ثم أعرب له عن خوفه من انتقامهم منهم جميعاً. وختم كلامه بقوله:

> مــا تزعل مني. شوف عم يأشْروا عليك!! يمكن صاروا عارفين إنك في المنظمة. الله يوفقك روح للجهة التانية. ما تزعل مني الله يخلّيك. الروح عزيزة.(٥)

حقاً، كان يوم السبت أشبه بيوم الحشر.

ثانياً: اقتحام مستشفى غزة

تم اقتحام مستشفى غزة في الساعة السابعة تقريباً من صباح يوم السبت. غير أن الأنباء عمــا جرى في مستشفى عكا يوم الجمعة السابق، كانت وصلت في اليوم نفسه، وكذلك الأنباء عــن بعض ما جرى وما زال يجري في شاتيلا. فما إن انتهى نهار الجمعة حتى كان قد غادر المستشــفى وما حولــه جميع السكان الذين كانوا التجــأوا إليه، وكذلك أعضـــاء الجسم الطبي الفلســطيني واللبناني ومعظم المرضى، سواء مع ذويهم أو مع الصليب الأحمر الدولي. وهكذا

---

(٥) .Ibid

لم يكن في المستشفى حين اقتحامه سوى عدد محدود من المرضى، ومجموعة الأطباء والممرضين الأجانب الذين رفضوا الخروج، مفضلين البقاء لحماية المرضى والمستشفى.

أ ـ أهمية مستشفى غزة

كان مستشفى غزة يعتبر المستشفى الأول حجماً وبناء وأهمية بين مجموعة المستشفيات التي أقامها الهلال الأحمر الفلسطيني في بيروت، والتي كان أبرزها ثلاثة: مستشفى غزة في صبرا الذي تميز بأنه صُمم خصيصاً ليكون مستشفى متطوراً، يليه مستشفى عكا الذي أقيم في مبنى كبير من مباني منطقة بئر حسن، ثم مستشفى الصمود في حارة حريك. ولم يكن هذا الأخير أساساً غير مرأب تحت الأرض، وما حماه غير العناية الإلهية في الأيام الصعبة. وقد سميت هذه المستشفيات الثلاثة بالمثلث. ولم يكن مستشفى غزة بمثابة المستشفى المركزي بينها فحسب، بل كان أيضاً صلة الوصل بعدد من المستشفيات اللبنانية، وخصوصاً مستشفى مأوى دار العجزة الأقرب إليه، والواقع على الطريق الواصل بين المدينة الرياضية وساحة صبرا، والمعروف بشارع غانا.(٦)

تغير موقع مستشفى غزة أكثر من مرة قبل أن يستقر بصبرا. وقد زامن في نشأته حادث اغتيال الزعيم الوطني الصيداوي معروف سعد. والعاملون القدماء في المستشفى لا يقولون إن إنشاءه تم سنة ١٩٧٥، وإنما يقولون سنة اغتيال معروف سعد، الذي كان من أكثر الزعماء اللبنانيين شعبية لدى جماهير اللاجئين في صيدا وفي لبنان كله.(٧) أمّا الموقع الأول للمستشفى فكان عند مستديرة المطار، والثاني في الحازمية حيث كان يعرف بمستشفى القدس، ثم كان الموقع الثالث والأخير في صبرا. وفي حال اشتداد القصف، كانت خدمات المستشفى تحول إلى جامعة بيروت العربية الواقعة في حي الفاكهاني.(٨)

انطلقت ورشة العمل لتشييد البناء الخاص بمستشفى غزة في أواسط السبعينات، وقام المهندس جبران عبد الله جبران بتشييده في مبنيين منفصلين متقابلين، يتألف المبنى الرئيسي منهما من عشر طبقات. وراعى المهندس أن تكون الحيطان من الأسمنت المسلح

---

(٦) POH. S/SH. No. 34 (241/T.33). ‘Aziza Khalidi. Interview with author. Beirut: Author’s house, March 4, 1983.

(٧) جرت عملية اغتيال الزعيم اللبناني معروف سعد في أثناء تظاهرة صيادي السمك في صيدا في شباط/فبراير ١٩٧٥، ولم يتمكن الأطباء من إنقاذ حياته. وجرت له جنازة كبرى في ٦ آذار/مارس، وقد لف أهالي صيدا والفلسطينيون جثمانه بالعلم الفلسطيني.

(٨) POH. S/SH. No. 42 (238/T.41). Nawal H. Interview with author. Beirut: Author’s house, March 15, 1983.

تحسباً للحروب والطوارئ. أمّا الجناح الثاني للمستشفى فتم افتتاحه في ذكرى تأسيس الهلال الأحمر، في ٢٦ كانون الثاني/يناير ١٩٨٢ قبل اكتمال البناء. وقد ضاعف البناء الجديد طاقة استيعاب المستشفى حتى أصبحت نحو مئة سرير.(٩)

يقول أبو علي، أحد المسؤولين عن الإنشاءات في مستشفى غزة، إنه عند بدء القصف الإسرائيلي على المدينة الرياضية في ٤ حزيران/يونيو ١٩٨٢، كان يقف داخل المستشفى مع مجموعة من العمال يدفع لهم مخصصاتهم، فشعروا بأن المبنى على متانته وضخامته يهتز بهم، الأمر الذي دفعه إلى الطلب منهم الإسراع في النزول إلى الملجأ؛ إذ من مميزات المستشفى ملاجئه الضخمة. لكن هل يمكن لأي بناء مهما تبلغ متانته، ومهما تتسع ملاجئه، أن يحمي من مجازر؟ هذا كان تساؤل ذلك المسؤول عن مراقبة الإنشاءات، واليد اليمنى للمهندس جبران، وهو يستعيد بألم أيام المجزرة.(١٠)

لم يقتصر طموح المشرفين على الهلال الأحمر الفلسطيني على إنشاء الأبنية المتينة للمستشفيات، أو على إقامة المستوصفات التي بلغ عددها ثلاثة عشر مستوصفاً وعيادة موزعة في أنحاء "بيروت الغربية" ومرتبطة بمستشفى غزة، بل تعدى ذلك إلى الإسراع في عملية تطوير الخدمات في المستشفيات، وخصوصاً في مستشفى غزة. لكن لم يكد يمر شهران على البدء بخطة التطوير حتى كان الاجتياح الإسرائيلي، فاضطر المسؤولون في الهلال الأحمر إلى تقليص العمل في مستشفى غزة بالذات نظراً إلى موقعه في قلب منطقة صبرا، وإلى إقامة مستشفيات ميدانية وأُخرى موقتة في أماكن أكثر أمناً في رأس بيروت، كما مر معنا سابقاً.

لم يتوقف العمل نهائياً في مستشفى غزة خلال الاجتياح، إذ بقي فيه طاقم طبي قوي، أكثر مما يحتاج إليه المرضى، وخصوصاً أن المرضى تم نقلهم في معظمهم إلى المستشفيات المستحدثة والموقتة الأُخرى. أمّا من تبقى منهم فلم يكن ليتجاوز عددهم عشرين بين مريض وجريح، وقد استحدث لحمايتهم عنبر تحت الأرض.

لم تكن قلة عدد المرضى تعني قلة مماثلة في عدد المهجرين الملتجئين إلى ملاجئ المستشفى؛ فهؤلاء بلغ عددهم نحو ثلاثمئة مهجر، كان المستشفى يؤمن لهم المكان والطعام طوال أيام الاجتياح. وكان من الممكن رؤية المستشفى مضاء بالمولدات الكهربائية كنجمة في عتمة الليل، بينما في الخارج الطرقات الوعرة والظلام الدامس.(١١)

---

(٩) POH. S/SH. No. 34 (241/T. 33), as above.

(١٠) POH. S/SH. No. 110 (231/T.86). Hasan A. (Abu 'Ali). Interview with author. Beirut: Narrator's office, May 11, 1984.

(١١) POH. S/SH. No. 34 (241/T. 33), as above; POH. S/SH. No. 42 (238/T. 41), as above.

مع مطلع أيلول/سبتمبر عادت الحياة إلى المستشفى، لكنه كان بحاجة إلى طاقم طبي جديد. ولبت أكثر من مؤسسة إنسانية عالمية طلب الهلال الأحمر الفلسطيني، فأرسلت أطباء كانوا يعملون في مراكز متعددة في "بيروت الغربية". وكان لمساعدة الهيئات الأجنبية أثر قوي في إعادة عجلة العمل في المستشفى، حتى بلغ عدد العاملين الأجانب من أطباء وممرضين نحو عشرين من الرجال والنساء، من جنسيات متعددة؛ فكانوا من إنكلترا وإيرلندا وفرنسا وألمانيا وهولندا والنرويج والسويد والدانمارك وفنلندا وسنغافورة والولايات المتحدة.(١٢)

قبل حدوث المجزرة بيوم واحد صور فريق تلفزيوني دانماركي مستشفى غزة من الداخل وكيفية العمل فيه. ويشهد شريط الفيديو كم كان هذا المستشفى يضج بالحياة.

ويذكر الطبيب بول موريس أن فريقاً تلفزيونياً من الفيزنيوز (Visnews) جاء في الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين صباح الجمعة، أو ربما في الحادية عشرة، ثم عاد ثاني مرة بعد بضع ساعات بناء على طلب من السفارة النرويجية. وهو يروي أيضاً عن مجيء مسؤول من السفارة النرويجية. أمّا الشريط نفسه فهو الشاهد على التجاء أعداد هائلة من البشر إلى مستشفى غزة، والشاهد على الجرحى والعمليات المتواصلة، وهذا بينما في الخارج كانت المجزرة مستمرة في شاتيلا وما حوله، وأنى لهؤلاء المصورين أنفسهم أن يتصوروا أنهم لو عادوا ثالث مرة مع الغروب لكانوا وجدوا معظم من كان في المستشفى قد رحل عنه.(١٣)

ب ـ المستشفى/الملجأ

بدأ الناس يلجأون إلى مستشفى غزة منذ يوم الأربعاء، أي بمجرد حصار القوات الإسرائيلية لمنطقة صبرا وشاتيلا. وقد احتمى به في ذلك اليوم ما بين مئتين وثلاثمئة من سكان الجوار.

لكن منذ يوم الخميس، لجأ إلى المستشفى عدد كثير من العائلات والأفراد، وخصوصاً من الشباب؛ منهم من هرب تحسباً للخطر، ومنهم من رأى الخطر بعينيه ومكنته العناية الإلهية من الهرب.

قام أكثر من رجل وامرأة مساء الخميس ويوم الجمعة بإقناع العشرات من رواد

---

(١٢) Amnon Kapeliouk, *Enquête sur un massacre: Sabra et Chatila* (Paris: Seuil, 1982), p. 82.

(١٣) POH. S/SH. No. 64 (243/T.62). Paul Maurice. Interview with author. Beirut: Friend's house, May 17, 1983.

الملاجـئ بالمغادرة حالاً للاحتماء بمستشفى غزة. وقد شاهدنا في الرواية السابعة عشرة، "من الملجأ إلى مستشفى غزة"، كيف راحت ممرضة في مستشفى عكا تنقذ مجموعة كبيرة مـن أحد الملاجئ، وكيف راح مقاتل ينقذ مجموعة أُخرى من ملجأ آخر؛ لقد اعتبر ذلك المقـاتل أن حمايـة أرواح السـكان هي العمل الأسمى في تلك اللحظات الصعبة. وكان مستشفى غزة هو "الملجأ".

نـام فـي ملاجـئ مستشفى غزة وعلى الأدراج، وحتى على الرمال المحيطة به، المئات من سكان الجوار طوال ليلة الخميس الدامية. كثيرون منهم ما ناموا إلاّ لماماً، غير أن الخوف من القصف لم يصاحبه "خوف" من مجزرة ما. حتى أن الذين جاؤوا يشهدون ويحـذرون ويصرخون بأعلى صوتهم: "الكتايب في المخيمات، سعد حداد في المخيمات، عم يقتلوا ويدبحوا"، اتهموا بأنهم مصابون بهستيريا، لا أكثر ولا أقل.

تواصـل قـدوم الناشدين للحماية بالمستشفى يومي الخميس والجمعة حتى تضاعف العدد مرات، وما كان هناك من يحصي العدد بدقة أصلاً، فالجهود الرئيسية كانت منصبة علـى خدمـة الجرحى والمصابين.(١٤) لكن هناك أرقاماً تقديرية أعطاها عدد من أفراد الطـاقم الطبي الأجنبي. فقد قالت الممرضة النرويجية فيرا تالسيث في شهادتها في أوسلو إن عددهـم بلـغ ما بين ألف وخمسمئة وألفين، معظمهم من النساء والأطفال والمسنين، وكـانوا خائفيـن حتى الموت، وهم مما رووه عن مشاهداتهم، لم يكن في إمكان المستمع إليهم إلاّ أن يجد لهم كل العذر في مشاعر الخوف التي انتابتهم.(١٥)

أمّـا الممرضة الأميركية إلين سيغل فكان تقديرها للعدد مضاعفاً، وهي من الذين شهدوا أمـام لجـنة كاهان، إذ قالت إن الذين احتموا ليلة الخميس بالمستشفى بلغوا نحو أربعة آلاف، نصفهم داخل المستشفى، ونصفهم خارجه حيث أمضى معظم هؤلاء الليل في ساحة كبيرة أمام المستشـفى.(١٦) ولعـل الفـارق بين الشهادتين أن فيرا تالسيث لم تحدد مكان وجود السكان الهاربيـن إلى المستشفى، وربما كانت تتكلم على الذين كانوا داخله. ومما لا ريب فيه أن الرقم كـان يخـتلف مـن ساعة إلى أُخرى. فالرقم الذي أعطته مديرة المستشفى، عزيزة الخالدي،

---

(١٤) POH. S/SH. No. 34 (241/T.33), as above.

(١٥) David Henly et al., eds., *Witness of War Crimes in Lebanon: Testimony given to the Nordic Commission, Oslo, October 1982* (London: The International Organization for the Elimination of all Forms of Racial Discrimination (EAFORD), Ithaca Press, 1983), p. 120.

(١٦) Ellen Siegel, "Inside and Outside the Hospital, People were Screaming: 'Haddad, Kataeb, Israel-Massacre'," *Journal of Palestine Studies*, vol. XII, no. 2, Winter 1983, p. 62.

للصليب الأحمر ظهر يوم الجمعة كان ألفين، وهي نفسها عادت في اليوم نفسه وطالبتهم بمغادرة المستشفى حرصاً على حياتهم، حتى لم يبق واحد منهم، كما سيمر معنا.

بدأ قدوم الجرحى يوم الخميس منذ الثانية ظهراً، ولم يهدأ العمل في غرفة العمليات منذ تلك الساعة حتى مساء الجمعة. كان وصول الجرحى متواصلاً في الليل كما كان في النهار. وكان واضحاً أن معظم جرحى نهار الخميس أصيب بالرصاص. وقد ساهم شباب من المنطقة مع مسعفي الهلال في البحث عن الجرحى، فكانوا يجوبون الطرقات القريبة وينقلونهم إلى المستشفى، وآخر نقطة وصل إليها المسعفون هي معسكر الأشبال. علم المسؤولون في المستشفى من هؤلاء المسعفين أن أقرب نقطة إسرائيلية هي بالقرب من قصر صبري حمادة، لكن لم يتكلم أحد منهم عن وجود ميليشيات لبنانية إذ إن أحداً لم ير بعينيه؛ وهذا أمر طبيعي لأن "المهاجمين" لم يكونوا وصلوا بعد إلى عمق شاتيلا ولا إلى حدود صبرا. وتقول مديرة المستشفى، عزيزة الخالدي، إن السجلات تشير إلى أنه دخل المستشفى نحو خمسين جريحاً، ما بين الثانية من ظهر يوم الخميس والخامسة من صباح يوم الجمعة.[١٧] أمّا الرقم الذي يعطيه الطبيب بول موريس فهو نحو مئة جريح. وواضح أنه يتكلم عن مشاهدة وتقدير لا عن سجلات رسمية؛ فكثيرون من الجرحى لا يسجلون في حالة خروجهم بعد المعالجة، في مثل تلك الظروف.[١٨]

جاء في شهادة الطبيب بير ماشلومشاغن، أمام لجنة ماكبرايد، ما يؤكد أهم ما جاء في كل من شهادتي الخالدي والطبيب موريس وما يضيف إليهما:

> منذ الخامس عشر من أيلول/سبتمبر... استقبلنا مدنيين جرحى بلا انقطاع تقريباً حتى بعد ظهر يوم الجمعة. يوم الخميس في ١٦ أيلول/ سبتمبر استقبلنا نحو مئة مدني جريح، كان نحو ٨٠ ٪ منهم من الأطفال والنساء. كان معظمهم تقريباً أصيب بالرصاص. وكانت قلة منهم أصيبت بشظايا. لم تتمكن سيارات الإسعاف من التحرك بسبب إطلاق الرصاص، والناس الذين تمكنوا من الوصول إلى المستشفى كانوا فقط هم أولئك الذين جلبهم آخرون. هكذا استنتجنا أن هؤلاء الجرحى هم فقط من الناس الموجوين في منطقة المستشفى.[١٩]

قالت الطبيبة السنغافورية سوي شاي آنج، في شهادتها أمام لجنة ماكبرايد، إن الجرحى الذين جاؤوا يوم الأربعاء كانوا في معظمهم مصابين بشظايا، وقد أوصلهم

---

(١٧) POH. S/SH. No. 34 (241/T. 33), as above.

(١٨) POH. S/SH. No. 64 (243/T. 62), as above.

(١٩) Henly et al., eds., op. cit., p. 125.

ذووهم، لكن يوم الخميس ابتدأت تصل الحالات الصعبة الناجمة عن طلقات نارية سريعة، إذ كان بعض الجرحى قد أصيب في الحنك، أو الدماغ، أو البطن، وارتفع عدد الأسرّة من خمســة وأربعين إلى اثنين وثمانين سريراً في اليوم نفسه، الأمر الذي اضطر المسؤولين إلى نقل ثلاثين مريضاً إلى مستشفى المقاصد، كما أن مستودع الجثث امتلأ. وأضافت أن لديها صوراً للجثث. ثم أردفت الطبيبة، التي كانت تعتقد حتى قبيل وصولها إلى لبنان أن الفلسطينيين كلهم إرهابيون، قائلة أنها كادت تصاب بالذعر من أن تقتل قبل أن تتمكن من إعطــاء هذه الشهادة. وكان من أبرز ما احتوته شهادتها قولها إنه كان واضحاً لديها، من الإصابات، أن المسلحين دخلوا بيوت سكان صبرا وشاتيلا وأطلقوا النار داخلها.(٢٠)

أيد الطبيب البريطاني بول موريس، في شهادته أمام لجنة كاهان، ما جاء على لسان الطبيــبة ســوي أعــلاه، فقال أنه أيقن يوم الجمعة أن المصابين أُطلقت النار عليهم من مسافات قريبة. وكان المصابون أنفسهم يروون ما جرى لهم. وقد كان عددهم كثيراً، حتى أنــه كــان يصل إلى عشرة مصابين كل نصف ساعة، وكانت المشكلة الأولى التي تجابه الأطــباء هي مَنْ يعالجون أولاً. ورداً على سؤال للقاضي كاهان عما جرى يوم الجمعة، أجاب الطبيب موريس إنه في الحقيقة لم يكن هناك خميس ولا جمعة بالنسبة إليهم، إذ إنهم لــم يــتوقفوا عن إجراء العمليات منذ الخميس بعد الظهر، واستمروا بلا انقطاع حتى قبل ظهر الجمعة، في نحو الساعة العاشرة أو الحادية عشرة (لكن سيمر معنا لاحقاً أن أطباء آخرين استمروا في إجراء عمليات حتى مساء يوم الجمعة)، وأردف قائلاً إن هذا لا يعني انقطاعاً كلياً في مجيء المصابين، فقد جاء عدد محدود منهم ظهر الجمعة، ومساء ما بين الساعة الخامسة والساعة السابعة.(٢١)

كــان مــن أكــثر المشاهد انطباعاً في ذاكرة المستشفى مأساة الفتى الجريح ميلاد فــاروق، الــذي أخــبرهم أنهــم قــتلوا أمه وأباه وإخوته، وهو يبكي من شدة الألم، وقد أُجريت له العملية وهو يصيح: "ما تقطعوا رجلي... "(٢٢) وكانت حادثة ميلاد فاروق أول

---

(٢٠) *Israel in Lebanon: The Report of the International Commission to Enquire into Reported Violations of International Law by Israel during its Invasion of the Lebanon.* Chairman Sean MacBride, London, 28 August 1982 – 29 November 1983 (London: Ithaca Press, 1983), p. 269.

(٢١) Franklin P. Lamb, ed., *Israel's War in Lebanon: Eyewitness Chronicles of the Invasion and Occupation* (Boston: South End Press & Spokesman, 2nd printing 1984), pp. 579-580.

(٢٢) Danish television group, THE FILM; Danish cameraman et al., The Massacre Video.

إشـــارة الـــتقطها الأطـــباء إلى وجود ما هو غير عادي في المخيم، فذلك ما قاله لتوماس فـــريدمان اثـــنان مـــن الأطباء هما ماشلومشاغن ووتسو، وقد ذكرا أن الفتى قال لهما إن عناصر من ميليشيات مسيحية لبنانية اقتحمت منزلهم وقتلت أُسرته، وحتى شقيقه الرضيع قتلوه.(٢٣)

كذلـــك كـــان مشهد قدوم أم أحمد وابنتها، وكلتاهما جريحة (راجع الرواية الخامسة والعشـــرين: "عائلـــة أم أحمد"). وقد أخبرت أم أحمد الجميع بالمصير الذي لاقته أُسرتها. غير أن أم أحمد لم تلطم على خديها ولم تبك بكاء هستيرياً، وإنما كانت تتكلم بألم من دون بكاء، فصدقها العاقلون واستنتجوا أن هناك مجزرة، بينما لم يصدقها الآخرون!(٢٤)

أمّا المرأة التي أنقذت جريحاً في الرواية الرابعة عشرة، "أربع عشرة رصاصة في جســمه"، فقد أوصلت الجريح، مصطفى هبرات، وراحت تعاود البحث عن ابنتها زينب، وتوقعت أن يتكلم. وقد تكلم.(٢٥)

لــم يشــهد يوم الجمعة قدوم جرحى فقط، بل شهد أيضاً خروج جرحى ومرضى؛ فالأهل الذين كان لهم أقرباء مرضى سارعوا بأنفسهم إلى إخراجهم من المستشفى.

يوم الجمعة ظهراً كان الكثيرون من الذين التجأوا إلى المستشفى قد غادروه شمالاً. لكــن كــان ما زال هناك بضع مئات شاهدتهم الأم الجنوبية التي كانت هائمة تبحث عمن فقدت من عائلتها، فهي لمّا وصلت إلى المستشفى في الساعة الواحدة ظهراً، راحت تصيح بالشباب كي يهربوا: "يا ويلكم يا فلسطينية شو عم تعملوا، هلّق بييجوا بيقتلوكم مطرح ما إنتو..."(٢٦) (راجع الرواية السادسة والعشرين: "عائلة أم علي")، وآخرون غيرها وصلوا إلى المستشفى وحذروا مما حذرت منه، حتى خلا المستشفى من الملتجئين إليه، ومن العدد الأكبر من المرضى الذين ذهبوا مع ذويهم.

شـــارك كثـــيرون مـــن الذين غادروا مستشفى غزة في تظاهرة كبيرة بالقرب من كورنـــيش المـــزرعة، وحاولوا إفهام الإسرائيليين أن الكتائب اللبنانية وجماعة سعد حداد

---

(٢٣) Thomas Friedman, "The Beirut Massacre: The Four Days," *New York Times*, September 26, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile: September 1982* (New York: Claremont Research and Publications, 1982), p. 68.

(٢٤) POH. S/SH. No. 103 (234/N.21). Q. D. Interview with author. Beirut: Author's house, March 1, 1984.

(٢٥) POH. S/SH. No. 111 (243/T.87). As'ad M. Interview with author. Beirut: Narrator's office, May 11, 1984.

(٢٦) POH. S/SH. No. 18 (238/T.20). D. M. H. (Um 'Ali). Interview with author. Beirut: Author's house, February 22, 1983.

يقتلون الناس في صبرا وشاتيلا، وأن لا هدف لهم من قطع الكورنيش سوى الوصول إلى مكان آمن. لكن عبثاً، فقد صدرت الأوامر إليهم بعنف بالعودة من حيث أتوا.(٢٧)

ويضيف آخرون في شهاداتهم أن دبابة إسرائيلية صوّبت مدافعها نحو المتظاهرين وأجبرتهم على الرجوع.(٢٨)

ج ـ قرار إخلاء المستشفى

ذهبت عزيزة الخالدي، مديرة مستشفى غزة، إلى مقر الصليب الأحمر الدولي بسيارة إسعاف، في نحو الساعة العاشرة من صباح الجمعة، وطلبت مساعدات طبية. وفي الوقت نفسه أعلمت المسؤولين بوجود فريق طبي أجنبي في المستشفى، يضم اثنين وعشرين من الأطباء والممرضين من عدة دول أوروبية ومن الولايات المتحدة، وأعطتهم لائحة بأسماء الفريق كي يعطوها بدورهم إلى الإسرائيليين ليقوموا بمسؤوليتهم في حماية الأطباء والممرضين الأجانب. وقالت لهم أيضاً إنه يوجد في المستشفى نحو ألفي لاجئ يحتمون به، ثم عادت إلى المستشفى في نحو الساعة الثانية عشرة ظهراً.(٢٩)

في الوقت الذي غادرت مديرة المستشفى كي تطلب الحماية والرعاية من الصليب الأحمر الدولي، قامت الطبيبة سوي شاي آنج بجولة في المستشفى، وهي تصف الأوضاع قبل ظهر الجمعة بأنها كانت متدهورة، وتقول أنها قامت بجولة في قسم العناية الفائقة لمعاينة الجرحى الذين أجريت لهم عمليات في اليومين الأخيرين، فوجدته غاصاً بحالات صعبة جداً، ولمّا سألت الطبيب موريس أن يعطيها تقريراً موجزاً على الأقل، أخذها إلى مستودع الجثث فوجدته مملوءاً بالجثث. كان عدد كثير من الجرحى قد مات قبل التمكن من إجراء عمليات له. وكانت الجثث لرجال كبار ولأطفال ونساء، وما كان ممكناً سوى وضعها فوق بعضها البعض لضيق المكان.

أمّا الطبقة الأرضية من المستشفى فكانت مزدحمة بالبشر، منهم من كان جريحاً ينتظر العلاج، ومنهم من كان يرتجف خوفاً، حتى أنهم لشدة خوفهم ما كانوا يتكلمون. وكانت الطبيبة سوي شاي آنج حتى تلك اللحظات لا تدرك أن مجزرة تجري في الخارج، فكانت بالتالي لا تدرك سبب كل ذلك الخوف. تشبث بها الصغار ونادوها بالطبيبة

(٢٧) POH. S/SH. No. 26 (241/T. 28). Ahmad Khatib. Interview with author. Beirut: Author's house, March 1, 1983.

(٢٨) Kapeliouk, op. cit., p. 63.

(٢٩) Swee Chai Ang, *From Beirut to Jerusalem* (London: Grafton Books, 1989), p. 59; POH. S/SH. No. 34 (241/T. 34), as above.

الشجاعة. وتعلّق هي نفسها على هذا اللقب: "أنا لم أكن شجاعة قط. كنت ببساطة لا أعلم. على كل حال كنت أعمل بمثابرة لا تعرف الكلل، وإلى حد لم يكن لديّ وقت لأشعر بالخوف."(٣٠)

شعرت عزيزة الخالدي، بعد عودتها من مقر الصليب الأحمر الدولي ظهراً، بتفاقم الوضع، فجمعت أفراد الطاقم الطبي العربي من أطباء وممرضين في غرفة الجراحة، وطلبت منهم مغادرة المستشفى، وليتدبر كل منهم أمره لأنها لا تستطيع تحمل مسؤولية أحد: "روحوا حالاً، ما بدّي شوف حدا منكم بالمستشفى." قالوا لها: "لكن وين بدنا نروح؟" فقالت: "روحوا على أي منطقة لكن ما تبقوا في المستشفى." وطمأنتهم بقولها إن فريقاً طبياً أجنبياً كاملاً سيبقى للعمل في المستشفى، وأنها ستبقى بحكم مسؤوليتها حتى قدوم الصليب الأحمر الدولي.(٣١) كذلك وصلت الرسالة إلى جموع المحتمين داخل المستشفى وخارجه، فابتدأوا يغادرون، وكانت المعلومات تسربت إليهم من أكثر من مصدر عن وجود مذبحة في شاتيلا.

بعد أن اطمأنت آن سوندي إلى إيصال الأطفال الأربعة المعوقين من مستشفى عكا إلى مستشفى الجامعة الأميركية بالسيارة الدبلوماسية النرويجية ـ كما مر معنا في الفصل السابق ـ عادت من طريق آخر، من جهة اليونسكو ـ الفاكهاني ـ جامعة بيروت العربية إلى مستشفى غزة لتحذرهم ولتطّلع عما يريدون. وكانت آن برفقة السكرتير الأول في السفارة النرويجية، أي أنها لولا مميزات توفر سيارة دبلوماسية أجنبية لما كان لها أن تصل. وقد قالت إن أحداً من الإسرائيليين لم يوقفهم على الطرقات، وأنهم لم يشعروا بأي أمر غير عادي.(٣٢) والحقيقة أن هذه الطرقات لم تصل إليها المجزرة قط، وسيتضح أن مكان المجزرة كان بمثابة شبه الجزيرة، فليس في استطاعة القارب المار بالقرب من الشواطئ أن يعرف ما يوجد على أرض شبه الجزيرة.

قابلت آن سوندي المديرة عزيزة الخالدي وأطلعتها على ما جرى في مستشفى عكا. وصادف وجود صحافيين في مستشفى غزة، فأطلعهم السكرتير الأول أيضاً على ما جرى، وبين هؤلاء كان مراسلو التلفزة والإذاعة النرويجيون. وقد طالب الأطباء النرويجيون آن بالاتصال بالصليب الأحمر الدولي لتزويدهم قائمة بالضروريات.(٣٣)

---

(٣٠) Ibid., p. 59.

(٣١) POH. S/SH. No. 34 (241/T. 34), as above; POH. S/SH. No. 42 (238/T. 42), as above.

(٣٢) POH. S/SH. No. 52 (249/T.51). Ann Sunde. Interview with author. Beirut: Author's house, April 6, 1983.

(٣٣) Ibid.

تقول الخالدي أنها علمت من آن سوندي بكل ما جرى في مستشفى عكا؛ علمت بأن الكتائب هم الذين دخلوه وقتلوا واعتدوا، لكنها لم تعلم شيئاً عن المذابح في الخارج. فما علمته منها هو أن الاعتداء جرى على مستشفى عكا لا على شاتيلا أو صبرا.(٣٤)

كلتاهما صادقة. آن سوندي لم تخف شيئاً، وهي لم تخبر عزيزة الخالدي بما يجري خارج مستشفى عكا لسبب بسيط هو أنها هي نفسها كانت حتى تلك اللحظات لا تعلم بوجود مذابح. فهي لم تمر بشارع واحد من شوارع المجزرة.

توجهت آن من مستشفى غزة فوراً إلى مقر الصليب الأحمر الدولي وقدمت طلبات الأطباء النرويجيين، ثم توجهت إلى السفارة النرويجية، واستمعت من السكرتير الأول ومن صحافي نرويجي عما شاهداه لتوهما في القسم الجنوبي من المخيم، حيث اضطرا إلى التوقف بسبب القصف الشديد، وإلى البقاء في السيارة، فشاهدا داخل المخيم وعلى بعد نحو مئة وخمسين متراً جرافة فيها ثماني أو عشر جثث وأطراف بشرية مقطعة، ومنها ما كان عالقاً بالجاروف الأمامي. وحال وصول السكرتير الأول إلى السفارة أرسل تليكس إلى وزير خارجية بلده لإعلامه.(٣٥)

مرة أُخرى، عاد الرجلان معاً إلى مستشفى غزة وبرفقتهما آن سوندي، التي نقلت عن عزيزة الخالدي طلبها مجدداً بقدوم بعثة من الصليب الأحمر للإشراف على إخلاء المستشفى من الحالات الصعبة، ومن الأطفال.(٣٦)

لم يهدأ القصف المدفعي طوال نهار الجمعة؛ فقد كان يعنف أحياناً ويهدأ نسبياً أحياناً أُخرى، ثم اشتد بعد الظهر إلى حد تصدعت معه النوافذ، واصطفقت الأبواب. ولمّا آخذ الدخان يتسرب إلى المستشفى من الخارج، اضطر المسؤولون العاملون إلى نقل جميع الجرحى والمرضى من الطبقة الرابعة إلى الطبقة الأولى، لكنهم حتى هناك لم يشعروا بالأمان، فاحتموا بالجدران وكأن المستشفى قد يُقصف في أية لحظة.(٣٧)

في نحو الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين من بعد الظهر، عقدت الخالدي مع أفراد الفريق الطبي الأجنبي اجتماعاً في غرفة العناية الفائقة، وبلّغتهم أسفها لاضطرارها إلى المغادرة، وأنها ستترك المستشفى عهدة في أيديهم، وأنها ستعلم الصليب الأحمر الدولي بوجودهم في المستشفى. وفعلاً، وصلت فرقة الصليب الأحمر الدولي في الساعة السادسة مساء، تحمل معها معدات طبية وأدوية وطعاماً، كما جلبت معها خمسة عاملين أجانب في

---

(٣٤) POH. S/SH. No. 34 (241/T. 34), as above.

(٣٥) POH. S/SH. No. 52 (249/T. 51), as above.

(٣٦) Ibid.; POH. S/SH. No. 34 (241/T. 34), as above.

(٣٧) Siegel, op. cit., p. 63.

الحقل الصحي.[٣٨]

كانــت الخالدي بلّغت الصليب الأحمر ظهراً أنه يوجد في المستشفى اثنان وثمانون مريضـــاً وألفـــا ملـــتجيء. لكـــن ما إن حلّت الساعة السادسة مساء حتى كان الملتجئون والمحتمون تركوا جميعاً، كذلك كان القسم الأكبر من المرضى قد ترك مع الأقرباء، فقام الصـــليب الأحمر بإجلاء بعض المرضى وسبعة أطفال، ما بين الساعة السادسة والدقيقة الثلاثيـــن والســـاعة الســـابعة مساء. وغادرت الخالدي معهم بصفتها مسعفة من الصليب الأحمر لمرافقة المرضى والأطفال. وبقي من بقي من المرضى في رعاية الفريق الطبي الأجنبي.[٣٩]

فـــيرا تالســـيث كانـــت إحدى الممرضات اللواتي بقين في المستشفى، وقد قالت في شـــهادتها في أوسلو أنه بقي في المستشفى أربعون مريضاً، وأربعة وعشرون من الأطباء والمرضى، وعدد قليل من اللبنانيين.[٤٠]

أمّـــا عن شهادةِ تالسيث بأن العدد القليل الذي بقي من العرب في المستشفى هو من اللبنانييـــن، فـــلا نعلم كيف تأكدت من كونهم لبنانيين لا فلسطينيين، إلاّ إذا كانوا هم الذين قـــالوا لها أنهم لبنانيون، أي أنهم لم يرغبوا في الاعتراف أمامها بأنهم فلسطينيون كي لا يضـــعوا مسؤولية حمايتهم كفلسطينيين على أكتاف الفريق الطبي الأجنبي الذي بات وحده المسؤول عن حماية المستشفى ومن فيه؛ هم كفلسطينيين كان عليهم أن يغادروا المستشفى كمـــا طلب منهم رسمياً وعلناً، لكنهم ربما لم يجدوا مكاناً يذهبون إليه لأكثر من سبب في تلـــك الساعات العصيبة، وربما كان لأحدهم أو لبعضهم أقرباء بين المرضى فأراد البقاء بجانـــبهم. مـــن يعلـــم الحقيقة؟ لكن ما أصبح معلوماً من خلال شهادات الأطباء والسكان الواقفيـــن علـــى طريق صبرا ــ شاتيلا هو أن هؤلاء العاملين العرب الذين خرجوا من مستشفى غزة ومشوا مع الفريق الطبي الأجنبي قُتلوا على الطريق، وقد كانوا فلسطينيين، وهذا ما سيرد في الرواية الخامسة والثلاثين، "من القاتل؟"

كـــان مـــن أبرز المشاهد الأخيرة، التي شهدها المستشفى يوم الجمعة، مشهد رفض الأطـــباء النرويجييـــن مرافقة السكرتير الأول في سفارتهم للنجاة بأنفسهم، حين جاء ثاني مرة مع بعثة الصليب الأحمر الدولي لإخلاء المستشفى، إذ فضلوا البقاء مع زملائهم ومع المرضى.[٤١]

---

(٣٨) Ibid., p. 64.

(٣٩) POH. S/SH. No. 34 (241/T. 34), as above.

(٤٠) Henly et al., eds., op. cit., p. 120.

(٤١) Swee Chai Ang, op. cit., p. 60.

د ـ الليلة الأخيرة في المستشفى

في تلك الليلة الأخيرة في مستشفى غزة، لم يكن أي من الفريق الطبي الأجنبي العامل المسؤول يدرك أنها الليلة الأخيرة، لكن الجميع كان يدرك خطورة الموقف. كانوا يشعرون بأنهم منسيون في جزيرة نائية، لا أحد يسأل عنهم. حتى إنهم لمّا حاولوا الاستماع إلى الراديو لم يتمكنوا من معرفة حقيقة ما يجري في الخارج، على بعد أمتار منهم، ولم يستطيعوا أن يعرفوا من الذي يقصف في الخارج. وحين سئلت الممرضة الأميركية إلين سيغل عما وصل إليهم من الإذاعات المتعددة، قالت:

> كل ما علمناه من الراديو أن غريس كيلي توفيت، وأن موناكو كلها كانت في حداد، وأن بشير الجميل اغتيل، وأن إسرائيل أصبحت في "بيروت الغربية"، وأنها تحتل السفارة السوفياتية. لكنني أدركت أن شيئاً ما كان يجري في المخيم، وأن ما من أحد يشاطرنا الشعور بالقلق. أين كان الصليب الأحمر الدولي؟ أين كان السفير الأميركي؟ أين كانت الأمم المتحدة؟ أين كانت وسائل الإعلام؟ ماذا كان يجري حقاً هنا؟[٤٢]

مساء تلك الجمعة، وبينما كانت إلين سيغل في غرفة العناية الفائقة، وصل شابان يرتدي كل منهما ثوباً أنيقاً وقميصاً نظيفاً ذا ياقة منشاة، الأمر الذي يدل على عدم خوضه أية مواجهة، وقد سرّح شعره بعناية وحلق ذقنه جيداً. تكلم أحدهما معها، وكان ذا جفنين ناعسين بشكل يستدل منه على تعاطيه الحشيش، كما تصورت. ولمّا لم يكن يتكلم الإنكليزية جيداً، وهي لغة سيغل، فقد سأل إن كان هناك من يتكلم الألمانية، لكنها سألته بإصرار عما يريد، فأجابها بإنكليزيته المحدودة أنه يريد أن يعرف إن يكن عناصر الكتائب آتين في التاسعة من صباح اليوم التالي ليجزّوا حلوق الأطفال الفلسطينيين. سألته ثانية السؤال نفسه، وتلقت الجواب نفسه. أكدت له الممرضة أن لا فلسطينيين في المستشفى، فالعاملون كلهم من الأجانب، كما قالت له إنه توجد سيدة عاملة ألمانية، ولمّا استدعتها راح يسألها الأسئلة نفسها. وتلقى الأجوبة نفسها. كان تعليق العاملة الألمانية أنه يتكلم لغة ألمانية جيدة، لكنها تلك التي تدرس في المدارس، فهو لا يتكلم بأية لهجة ألمانية محلية.[٤٣]

لف الهدوء النسبي المستشفى ليلاً على الرغم من أصوات الرشاشات ودوي المدافع في الخارج. غير أن دوي المدافع كان كافياً ليجعل الزجاج في قسم العناية الفائقة يتطاير، فغادر بعض المرضى من تلقاء أنفسهم مفضلين مغامرة الخروج على البقاء.

---

(٤٢) Siegel, op. cit., p. 63.

(٤٣) Ibid., pp. 63-64.

أجـــرت الطبيبة سوي آخر ثلاث عمليات جراحية تلك الليلة، إحداها لفتى في الثانية عشرة كان أصيب بثلاث رصاصات فظنوه ميتاً، وبقي مع سبع وعشرين جثة طوال الليل، وفي صباح الجمعة تمكن بعناية إلهية من الوصول إلى المستشفى، وكان أصيب بذراعه وقدمه وســـبابته، وعـــندما تكلم قليلاً قال: "كانوا إسرائيليين وكتائب وسعد حداد"، ثم أصيب بصدمة. وعاش هذا الفتى الجريح كما روت سوي شاي آنج.[٤٤] وهو الفتى منير، كما روى الطبيب موريس[٤٥] (راجع الرواية الثانية عشرة: "شهادة فتى في الثانية عشرة").

أمّـــا الفـــتى منـــير نفســـه، فيروي فيما بعد، وهو في الثلاثين من عمره، عن تلك اللحظـــات العصيبة التي أمضاها في مستشفى غزة. قال أنه راح يركض ما استطاع مع جـــروحه وآلامـــه هرباً من الموت والرصاص، إلى أن التقى رجلاً فلسطينياً عرفه حالاً وحملـــه على كتفيه وأوصله إلى مستشفى غزة. ولا يذكر شيئاً بعد ذلك. لا يتذكر إن كان تحدث وقال من أطلق النار عليه؛ فقد غاب عن الوعي بسرعة، لكنه يتذكر غرفة العمليات ووجوهاً يرتدي أصحابها ثياباً بيضاً.[٤٦]

وأمّا العمليتان الجراحيتان الأخيرتان فكانتا لأم وابنها الصغير الذي أصيب بينما كان يلعب مع رفاقه. كانت حالة الأم أكثر صعوبة، وكان كلاهما بحاجة إلى دم، وكانا من فئة دم واحدة، لكن لم يكنْ هناك في المستشفى غير أنبوبة دم واحدة تناسبهما. اختارت الطبيبة سوي أن يعطى الدم للأم نظراً إلى حالتها الأصعب. وبينما الحوار كان جارياً بين الطبيبة والممرضة بشأن المسألة، سمعت الأم الحديث، وأدركته بحس الأم أكثر من فهمها لمعاني الكلمـــات، فرجتهم أن يعطى الدم المتوفر لابنها بدلاً منها، ثم كان طلبها الأخير أن تعطى مهدئاً للألم. أعطيت الأم المهدئ، وأعطي الولد الدم. ماتت الأم تلك الليلة، وأنقذ الابن.[٤٧]

كانـــت تلـــك هي العملية الأخيرة التي تجريها الطبيبة سوي في مستشفى غزة، وقد كانت واحدة من مجموعة الجراحين الذين عملوا بتواصل في الأيام الأخيرة. وهي تتذكر أنهـــا منذ الخامس عشر من أيلول/سبتمبر حتى الثامن عشر منه، أمضت اثنتين وسبعين ســـاعة بلا انقطاع يُذْكَر تجري العمليات للجرحى الوافدين. كان أهم عمل لها حين تغادر غرفة العمليات في الطبقة السفلية في كل مرة، هو المعاينة السريعة لجرحى جدد أولاً، ثم اتخاذ القرار السريع بالنسبة إلى من تجرى العملية، ثانياً.[٤٨]

(٤٤) Swee Chai Ang, op. cit., pp. 60-61.

(٤٥) POH. S/SH. No. 64 (243/T. 62), as above.

(٤٦) POH. S/SH. No. 134 (243/T.105). Munir Muhammad. Interview with author. Beirut: Narrator's house, September 2000.

(٤٧) Swee Chai Ang, op. cit., p. 61.

(٤٨) Ibid., p. 62.

عـــندما قمـــت بمقابلة الطبيب بول موريس مطولاً في منزل أستاذ أميركي في حرم الجامعة الأميركية، كان الطبيب البريطاني قد أصبح ملاحقاً من الأجهزة الأمنية باعتباره مـــن الذين لم يعد من المرغوب في بقائهم، فلم تجدد له الإقامة، وبالتالي أصبح يعتبر من المقيميـــن على الأراضي اللبنانية إقامة غير شرعية، ولم يعد في إمكانه التجول؛ وهذا ما حدانــــي على البحث طويلاً عنه حتى وجدته. وقد استضافتنا زوجة الأستاذ في بيتها ليلاً كــــي لا يلفت قدومه الأنظار. فسألته عن تلك الليلة الأخيرة في المستشفى، لكنه لم يحدثني عـــنها إلاّ باقتضــــاب، وهو الذي تحدث بإسهاب عن كل ما جرى في المستشفى، حتى إن حديـــثه امتد وتشعب إلى مستقبل الأطفال الفلسطينيين. تلك كانت قضيته الكبرى، مستقبل هـــؤلاء الأطفـــال. أمّا عما جرى في تلك الليلة فقد اكتفى بالقول أنه لم ينم تلك الليلة إلاّ لماماً، وأنه تفقد المرضى عدة مرات، وأنه فكر طويلاً فيما قد يأتي به الغد، وفي العمليات التي يفترض أن تجرى صباح الغد. لكنه لم يتكلم عن أهم ما مر به تلك الليلة.

الطبيبة سوي هي التي تكلمت عن هواجس زميلها الطبيب موريس، وهو الذي كانت تعتبره مثلاً لهم جميعاً في الصبر والجلد والتحمل والعمل المتواصل. كانت حياته كلها هي مهنته الإنسانية، وكانت مهنته هي حياته. لكنه تلك الليلة كان إنساناً كأي إنسان.

روت سوي في مذكراتها أنه في تلك الليلة كتب رسالة إلى زوجته ماري، ثم طلب منها أن ترسل الرسالة إن حدث له مكروه. هنا أدركت سوي عمق مخاوفه، لكنها أرادت أن تسري عـــنه فقالـــت لـــه: "هاي، بول. أنت تتكلم كأنك ستموت. أنت تمزح. ألست كذلك؟" لكن بول موريس كان جاداً جداً. أخذت منه الرسالة بصمت، ووعدت أن تفعل ما طلب.(٤٩)

فـــي ذلك المساء، وقبل أن ينام الأطباء والممرضات الذين جاؤوا من عدة دول من العالم لخدمة الإنسان، عقدوا اجتماعاً تداولوا فيه إمكان قدوم الإسرائيليين أو جماعة حداد أو الكتائـــب إلى المستشفى، وماذا عليهم أن يفعلوا. تناقشوا في الأمر، وقرروا أن تعطى الأفضلية للتفاوض من أجل سلامة المرضى وحياتهم.(٥٠)

هـــ ــــ الأطباء يساقون للتحقيق

تختلف شهادات الأطباء والممرضات في تحديد ساعة قدوم المسلحين إلى المستشفى. فـــثمة مـــن شـــاهدهم في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين صباحاً يقفون أمام المستشفى، وهناك من قال إنهم وصلوا في السابعة، أو في السابعة والدقيقة الثلاثين. هناك

---

(٤٩) Ibid.

(٥٠) Ibid., p. 61.

من شاهد خمسة مسلحين يتقدمون المجموعة، وهناك من تحدث عن عشرة. لكن ما اتفقت عليه الشهادات كان أن المسلحين الذين بقوا في الخارج كانوا أكثر عدداً من الطليعة التي تقدمت نحو باب المستشفى.

راح الأطــباء في تلك الساعة المبكرة يلبون النداء بالخروج من المستشفى والتجمع أمام المبنى.

جـــاء في شهادة الطبيب جوهاني باجولا في أوسلو أنه في الساعة السابعة والدقيقة الثلاثيـــن من صباح يوم السبت، وصل خمسة مسلحين لبنانيين إلى مستشفى غزة، وقدموا أنفســـهم علـــى أنهم من القوات اللبنانية. كانوا يرتدون الخوذ ويحملون الرشاشات وجهاز راديـــو. قـــال قائد المجموعة إن على كل أجنبي عامل في الجهاز الصحي أن يخرج من المستشفى. أمّا عن سبب استدعائهم فقال ذلك المسؤول: "إنه مجرد تحقيق روتيني." وكان لا يـــزال فـــي المستشـــفى ستة مرضى في حالة سيئة جداً في قسم العناية الفائقة، واثنان وثلاثـــون مريضـــاً، وقـــد طلـــب الأطباء من المسلحين بقاء اثنين من الممرضين للعناية بالمرضى، فوافقوا على ذلك.[٥١]

قالـــت الممرضـــة إلين سيغل إن إحدى العاملات في المستشفى أيقظتها في الساعة السابعة صباحاً، بعد وصول المسلحين، وهي ما إن نظرت من النافذة حتى رأت جيشاً من العساكر. وعندما نزلت شاهدت في أسفل الدرج نحو عشرة جنود يرتدون ثياباً في منتهى الأناقة والنظافة، وقد كتب عليها "القوات اللبنانية". وأكدت سيغل ما قاله أكثر من زميل لها مـــن أن المسلحين سمحوا ببقاء اثنين من الممرضين في المستشفى. وقالت أنها اضطرت مرتين إلى أن تؤكد لهم أنها ليست لبنانية.[٥٢]

ما عدد الذين ساقوهم من الأجانب للتحقيق؟

جـــاء في بعض الشهادات أن عددهم كان ثمانية عشر من الأطباء والممرضين، من الجنســـين، وفـــي شهادات أُخرى أنهم كانوا عشرين أو اثنين وعشرين. وقد يكون سبب الاخـــتلاف هـــو فـــي إضافة عدد العاملين الذين جاء بهم الصليب الأحمر الدولي مساء الجمعة، أو في عدم إضافته، وكذلك التنبه إلى أن اثنين من أعضاء الفريق الطبي بقيا في المستشـــفى، أو عدم التنبه، والأهم هو أنه كثيراً ما يقدم في مثل هذه الحالات والظروف عدد تقريبي على أنه عدد نهائي، ولا مرجع لهذا العدد غير الذاكرة.

مشـــى أفـــراد الفريق الطبي من مستشفى غزة إلى الشارع الرئيسي، المعروف في عهـــد التنظيمات الفلسطينية بشارع أبو حسن سلامة. مشوا في اتجاه الجنوب حتى ملتقى

---

(٥١) Henly et al., eds., op. cit., pp. 120-121.

(٥٢) Siegel, op. cit., p. 64.

شـــارع صـــبرا ــ شاتيلا بشارع السفارة الكويتية، ومن هناك اقتادهم المسلحون يميناً في اتجـــاه السفارة الكويتية، نزولاً نحو البحر، حيث كان المقر الموقت لقيادة القوات اللبنانية، إلى اليسار.

على امتداد هذا الطريق كانت شهادات الأجانب متشابهة ومكملة بعضها لبعض.

قال الطبيب جوهاني باجولا إن انطباعه الأول عن مخيم شاتيلا وهم يمرون بشارعه الرئيســـي أن الخـــراب زاد كثـــيراً على ما كان في السابق. كانت هناك بيوت محروقة ومفجّـــرة بالقـــنابل، وحفر في الشارع بفعل المتفجرات، وكثير من "الخرطوش" ملقى هنا وهناك، وثلاث جثث إلى جانب الطريق، وجرافة كبيرة قامت بجمع الأنقاض فوق بعضها البعض حتى تحولت إلى أكوام مرتفعة.[٥٣]

قالت الممرضة إلين سيغل أنهم في أثناء مرورهم بالطريق، كان هناك على الجانبين إطـــلاق نار، الأمر الذي جعلها تمشي حانية جسمها خوفاً من أية إصابة. وهي تعتقد أن عملـــيات القـــتل كانت لا تزال مستمرة وهم على ذلك الطريق. وفي نقطة ما تلفتت إلى اليمين فرأت ثلاث جثث: جثة رجل مصاب بطلقات في رأسه، وجثة امرأة محجبة، وجثة ثالـــثة مغطـــاة. كمـــا شاهدت المئات من الفلسطينيين من أهل المخيم، ومن العاملين في الـــرعاية الصـــحية، يجلسون على جانبي الطريق. قام بعضهم وحيا الفريق الطبي برفع شـــارة النصـــر. وكـــان وراءهم أناس يعملون في المستشفى وعلى معرفة جيدة بالأطباء والممرضين، فراحوا يشيرون إلى الفريق الطبي بمحبة ويحاولون التقدم، لكن الذين أطلقت عليهم اسم "الجنود" منعوهم من الاقتراب.

قالت سيغل أيضاً أنهم كلما تقدموا في الطريق ظهر أمامهم "جنود" جدد. لكن هؤلاء الجـــدد كـــان مظهرهم أشعث وثيابهم تبدو رخيصة الصنع ومبتذلة، كما أنه لم يكن عليها شـــارات. كان أحد هؤلاء "الجنود" يلبس "بيريه"، وإلى جانبه امرأة "جندية"، جميلة، وذات عينين زرقاوين باردتين وشعر مجعد طويل، وصرخ كلاهما على الفريق الطبي الأجنبي بالإنكليزية:

> أنـــتم قـــذرون. أنـــتم لستم مسيحيين. المسيحيون لا يعالجون الإرهابيين الذين يقتلون مسيحيين آخرين. أنتم بادر ــ ماينهوف، شيوعيون، اشتراكيون، أناس قذرون.[٥٤]

لفـــت انتباه إلين سيغل أمران بارزان: أولهما كثرة أجهزة "توكي ووكي" التي حملها هـــؤلاء المســـلحون؛ وثانـــيهما الجرافات في نهاية الشارع الرئيسي. وقد كانت الأولوية

---

(٥٣) Henly et al., eds., op. cit., pp. 121-122.

(٥٤) Siegel, op. cit., pp. 64-65.

للجـرافة لا للمـرور، فكـان عليهم الانتظار في عدة نقاط إلى أن تمر الجرافات. وكان واضحاً جرف الكثير من البيوت حتى بات الشارع أكثر اتساعاً مما كان عليه سابقاً.(٥٥)

أمّـا الطبيبـة سوي، فأكثر ما لفت انتباهها أن الحراس الذين رافقوهم تبدلوا أربع مرات على طول الطريق، وقد شاهدت مجموعات من رجال الميليشيات لا يرتدي أفرادها أيـة شارات تميزهم. كانوا يرتدون فقط "اليونيفورم" الأخضر وقبعات "البيسبول". أمّا عن مشاهداتها على طول الطريق، فقد شهدت أمام لجنة ماكبرايد أنها رأت إلى جانب الطريق خمـس جثث أو ست جثث يبدو أنها قتلت منذ مدة طويلة، وثلاث جرافات ضخمة تمزق بـيوت المخـيم وتدمرها وتحولها إلى دبش وركام. وأردفت قائلة أنها لا تدري إن كانت وهي تتكلم تتصور بعض الأشياء، لكنها استطاعت أن ترى أنه كان هناك جثث في بعض ذلك الركام.(٥٦) وكتبت فيما بعد، في مذكراتها، ما يكمل هذه الصورة:

> جرافات ضخمة كانت لا تزال تعمل وتمزق البيوت وتهدمها، وتدفن الجثث في الخراب. وبصعوبة تمكنتُ من التعرف على المخيمات. البيوت أصبحت الآن تلالاً من الدبـش والـركام. وفي وسط الركام استطعتُ أن أرى ستائر حديثة التعليق، وأن أرى صـوراً. أمّـا البـيوت التي كانت فُجِّرت ولم تهدّ الجرافات غير أجزاء منها، فكانت الحيطان الباقية منها تدل على أنها حديثة الدهان.
>
> ... فكـرت فـي كل هؤلاء الذين ماتوا، وفي هؤلاء الذين يحيط بهم المسلحون علـى جانبـي الطريق. ومن خلال الرعب الذي ارتسم على وجوههم، كان يبدو أنهم يعرفون أنهم سيُقتلون حالما نتركهم. فجأة وجدت نفسي أتمنى لو لم يكن مقاتلو منظمة الـتحرير الفلسـطينية اضـطروا إلى المغادرة. كان في إمكانهم حماية شعبهم! وكان غضـبي يتضـاعف بينما كنا نساق على الطريق. الطبيب هو طبيب، لكن الطبيب هو أيضاً إنسان.(٥٧)

ماذا جرى قبيل بدء التحقيق؟ هذا ما تصفه إلين سيغل:

> فـي نهايـة شـارع صبرا [تقصد شارع صبرا ـ شاتيلا]، سرنا إلى اليمين، وطلـبوا منا أن ننزع معاطف المختبر البيض. ثم أوقفونا في خط واحد عند حائط من الآجـر مـلآن بثقوب الرصاص. وقف أمامنا وحولنا أربعون أو خمسون "جندياً"، مع

---

(٥٥) Ibid., p. 65.

(٥٦) *Israel in Lebanon*... (The MacBride Commission), op. cit., evidence of Dr. Swee Chai Ang, p. 270.

(٥٧) Swee Chai Ang, op. cit., pp. 63-64.

> مسدساتهم المصوبة نحونا. وقفوا أمامنا، الواحد إلى جانب الآخر، وكل شيء كان هادئاً جداً. هؤلاء "الجنود" كانوا يرتدون زي القوات اللبنانية. كان منظرهم مخيفاً. نظراتهم تبعث على الهلع. اعتقدت حقاً أن هذه هي النهاية. قلت للمرأة الواقفة إلى جانبي: "هل تظنين أننا سنموت؟" فقالت: "نعم، أعتقد أننا قد نموت." وأعتقد أننا جميعاً شعرنا بأن هذه يمكن أن تكون النهاية. في تلك اللحظات من الممتع جداً معرفة ماذا يمكن للمرء أن يفكر. هل تفكر في قصص الحب الكبرى في حياتك، أم تفكر في أنك تريد أن تصرخ وتقول لا تقتلوني؟ هل تريد أن تبكي؟ لكنك لا تفعل شيئاً، أنت فقط تقف هناك. ويخطر ببالك أن "لا أحد سيعلم أنني مت، كل ما في الأمر أنني سأموت على هذا الركام، في مخيم اللاجئين الفلسطينيين هذا، حتى الفلسطينيون لن يعلموا أنني مت." أنت تفكر في أن لا أحد سيعلم أنك ميت.
>
> استمر هذا المشهد عدة دقائق. ثم عاد معظم "الجنود" إلى المخيم، واحداً تلو الآخر، مع بنادقهم المصلية، وتقدم الباقي بانتظام على الطريق إلى ما بعد السفارة الكويتية حتى المستديرة. ومباشرة بعد السفارة الكويتية كان هناك جندي إسرائيلي يرى بوضوح، كان بلباسه العسكري، مع ثلاثة أحرف بالعبرية على طيات أعلى الصدر. لم أقترب منه لأنني كنت مرعوبة. وفكرت في أنه لكوني يهودية فأنا لا يجوز أن أقترب كثيراً من الإسرائيليين. تحدث الجندي الإسرائيلي إلى عدد من أعضاء مجموعتنا ــ لا أعلم ما قاله ــ ثم اختفى. وتابعنا سيرنا مع "الجنود" أنفسهم...[٥٨]

سئلت إلين سيغل هل كانت تعتقد أن الإسرائيليين كانوا يرونهم وهم يقفون عند الحائط، فأجابت:

> بالتأكيد رأونا. من الواضح أننا لسنا من سكان المخيم. نحن كنا نرتدي الأخضر والأبيض، كان شعرنا أشقر، وبشرتنا فاتحة اللون. أنا أعتقد أن الإسرائيليين أنقذوا حياتنا. أعتقد أن الفالانج ورجال حداد (إن كانوا أيضاً هناك) كان يمكن أن يقتلونا لأنهم مجانين. وأنا أعتقد، بكل صدق، أن الإسرائيليين أنقذوا حياتنا.[٥٩]

الطبيبة فيل ماكينون الإيرلندية تمكنت من أن تسمع ما قاله الجندي الإسرائيلي لأنها كانت أقرب إليه، وقد شهدت على أنه برز فجأة أمامهم ولم تعرف من أين، وسألهم: "إلى أين يأخذونكم؟" فأجابوه بأنهم يأخذونهم إلى المبنى المتقدم، وطلبوا منه أن يأتي مسؤول

---

(٥٨) Siegel, op. cit., pp. 65-66.

(٥٩) Ibid., p. 67.

إسرائيلي على الفور.[٦٠]

أمّا عن مشهد قيام المسلحين بتصويب البنادق نحو الأطباء وإيهامهم بأنهم سيقتلونهم، فتقول الطبيبة سوي أنها كانت في تلك اللحظات منهمكة في جدل غاضب إلى حد أنها لم تلاحظ حقاً ما كان يجري. كان كل تفكيرها منصباً على أن هؤلاء المسلحين أخرجوهم من المستشفى كي يتسنى لهم قتل المرضى. لكنها علمت فيما بعد من رفاق لها بأن المسلحين طلبوا منهم أن يسلموا كل ما في حيازتهم، وأن يخلعوا الرداء الأبيض عنهم ويقفوا إلى جانب الحائط.

كان هناك جرافتان على استعداد لهدم الحائط عليهم. وكان هناك جماعة من الجنود تقف أمامهم وبأيديها الرشاشات كأنها تستعد لإطلاق النار عليهم جميعاً. وهي عندما سمعت هذا من زملائها تذكرت أنها كانت هي أيضاً تخلع رداءها الأبيض وتمشي نحو الحائط. كان همها أن تنظر وراء الحائط القليل الارتفاع لترى إن كانت الجرافات تحاول طمس الجثث المرمية خلفه. لكن الغضب أعمى بصيرتها. كانت، كما تصف نفسها، في منتهى الغضب. وحللت عدم تنبّهها لإرهابهم بتصويب البنادق نحوهم وإمكان إعدامهم، بأن مثل هذه العمليات يهدف إلى بعث الخوف، وهي كانت في ذلك الصباح تشعر بغضب شديد يبعد عنها أي خوف.[٦١]

و ـ التحقيق مع الأطباء والممرضات الأجانب

جمعوهم في الساحة خلف مبنى الأمم المتحدة. وهناك بدأ التحقيق. وقد تلقى أعضاء الفريق الطبي من أطباء وممرضين أمراً بالجلوس على الأرض، وأُخذت منهم جوازات السفر.

شرع المسلحون في ابتزازهم. بدأوا بالتعريف عن أنفسهم بقولهم أنهم مسيحيون، وأنهم لم يقتلوا أحداً. وأبدوا اهتماماً كبيراً بخلفية الأطباء وعلاقاتهم. تكررت الاستجوابات بعد هذا، وكانت الأسئلة نفسها تتكرر. في أثناء ذلك جلبوا إلى الساحة ولداً فلسطينياً كان جُرح في صدره ورقبته، وقاموا بمعالجة جروحه في محاولة منهم لإظهار حسن معاملتهم حتى للفلسطينيين. وكان تعليق الطبيب جوهاني باجولا أنه كان واضحاً أن الولد حين أخذوه بعيداً كان يرتجف من الخوف.[٦٢]

---

(٦٠) *Israel in Lebanon*... (The MacBride Commission), op. cit., evidence of Dr. Phil MacKennon, p. 271.

(٦١) Swee Chai Ang, op. cit., pp. 64-65.

(٦٢) Henly et al., eds., op. cit., p. 122.

أمّا الطبيب بول موريس فاقترب من الفتى ليراقب عمل الطبيبة التي كانت تعالجه، لكنهم أبعدوه. كل ما استطاع أن يلاحظه أن هناك أربعة جروح صغيرة متباعدة تنزّ دماً؛ وقد استغرب جداً ذلك، إذ لا معنى له سوى أن يكون هناك من قام بنخز الفتى في أربعة أماكن متباعدة من جسمه قبيل إدخاله.(٦٣)

قالت الطبيبة فيل ماكينون إنه تم استجواب البعض باللغة الألمانية، والبعض الآخر باللغة الإنكليزية. وجاءت مجنّدة تبدي تعجبها الشديد من كونهم مسيحيين يعملون كلهم، أو معظمهم، مع مجلس كنائس الشرق الأوسط (The Middle East Council of Churches)، وفي الوقت نفسه يعملون مع الفلسطينيين في مستشفى غزة. كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ وسألت إن كانوا تبرعوا بالعمل من تلقاء أنفسهم، أو أنهم أُرسلوا من قبل آخرين؟ وسألت لماذا لم يعملوا في "بيروت الشرقية"؟ في بيت الأم تيريزا للأطفال (Mother Theresa's home for children) مثلاً؟(٦٤)

وصفت الطبيبة سوي مجنّدة في القوات بأنها جميلة الشكل، ذات شعر أسود مجعد وعينين زرقاوين باردتين، وهي الأوصاف نفسها التي أعطتها إلين سيغل لمجنّدة اعترضتهم وهم على الطريق مساقين للتحقيق، كما أن الصفات الخلقية الشائنة هي نفسها أيضاً، فقد استبد الغضب بهذه المجنّدة عندما علمت أن الطبيبة السنغافورية سوي مسيحية، إذ صاحت فيها: "أنت مسيحية وتتجرئين على مساعدة الفلسطينيين! أنت قذرة!"(٦٥)

في تلك الساحة، أي ساحة المقر الرئيسي للقوات اللبنانية، كانت الدلائل كلها تشير إلى الوجود الإسرائيلي، من صحف عبرية، ومعلبات طعام، وعلب جعة، وزجاجات مشروبات روحية، وكلها من صناعة إسرائيلية. أمّا تواريخ الصحف العبرية الملقاة هناك فكانت من ١٥ أيلول/سبتمبر إلى ١٧ أيلول/سبتمبر. والأهم من تلك الدلائل الحسية أن أفراد القوات اللبنانية لم يفعلوا شيئاً من دون استشارة ضابط إسرائيلي، إمّا بصورة مباشرة وإمّا عبر جهاز "توكي ووكي".(٦٦)

بعد ساعة وثلاثين دقيقة من الاستجوابات، أعادوا جوازات السفر إلى أعضاء الفريق قائلين أنهم سينقلونهم إلى مقر القيادة الإسرائيلية. وكان مقر القيادة هذا يقع في مبنى آخر يبعد نحو مئة وخمسين متراً عن مبنى الأمم المتحدة، أي عن ذلك المقر الموقت

---

(٦٣) Lamb, ed., op. cit., p. 582.

(٦٤) *Israel in Lebanon*... (The MacBride Commission), op. cit., evidence of Dr. Phil MacKennon, p. 271.

(٦٥) Swee Chai Ang, op. cit., p. 64.

(٦٦) Ibid.; Siegel, op. cit., p. 66.

لقيادة القوات اللبنانية، حيث تم استجوابهم.(٦٧)

بعد عشر دقائق من وصولهم إلى مقر القيادة الإسرائيلية وصل فريق من التلفزيون الإسرائيلي، وبعده جاء جنود إسرائيليون بعلب كرتون فيها زجاجات ماء وإجاص وخبز، وقـــام الفـــريق التلفزيونـــي بتصـــوير أعضـــاء الفـــريق الطبي وهم يأكلون. ولم يظهر الإسرائيليون أي اهتمام تجاه الأطباء، فلم يسألوهم عما يفعلون في مقر القيادة.

كان ذلك السبت بالنسبة إلى اليهود يوم عيد "روش هَشاناه"، أي رأس السنة العبرية، فكـــثرت أعـــداد الجـــنود الشـــباب وهم يخرجون من المقر ويدخلون إليه واضعين على رؤوسهم "اليرمُلْك".(٦٨) وتعلّق إلين سيغل على هذا المشهد بقولها أنها كيهودية لم تستطع أن تتحمل كيف يفعلون ذلك في يوم كهذا.(٦٩)

تـــتكامل شهادة الطبيبة سوي شاي آنج مع شهادة إلين سيغل، إذ كتبت في مذكراتها أنهـــم التقوا في مقر القيادة ضابطاً إسرائيلياً، فقال لهم ألاّ يخافوا، وأنه سيفعل كل ما في وســـعه ليساعدهم ويساعد مرضاهم. وأمام عدسات التلفزيون الإسرائيلي أعطوهم طعاماً وماء. كان المبنى يتألف من ست طبقات، وحتماً تسهل مراقبة كل ما في المخيم من مبنى كهذا، كما استنتجت. أمّا ما سمعته منهم فكان أنهم "يريدون حمايتنا من سعد حداد." وهي تـــروي أيضاً أن عدداً من هؤلاء المسلحين كان في ذلك الوقت في الخارج يتحرش بفتاة من أعضاء الفريق الطبي تعمل في العلاج الفيزيائي، محاولاً أخذها معه عنوة. ولمّا شكا الأطـــباء للإســـرائيليين ذلـــك، خرج ضابط إسرائيلي وأوقف حالاً الشباب الماجنين عن الـــتحرش بالفـــتاة. وتعلق الطبيبة سوي بأنهم سواء أكانوا من ميليشيا حداد أم من ميليشيا الكتائب، فقد كان واضحاً أنهم كانوا يتلقون الأوامر مباشرة من الإسرائيليين.(٧٠)

طلـــب الفريق الطبي من الإسرائيليين أن يعود بعض أفراده إلى مستشفى غزة للاهتمام بالمرضـــى، فســـمحوا لثلاثة منهم فقط، وكانوا ثلاثة رجال، طبيبين وممرضاً. وعندما تحدثت معهـــم الطبيبة سوي، فيما بعد، علمت بأن كولونيلاً أخذهم إلى المدينة الرياضية وكتب لهم إذن مـــرور بالعـــبرية بعد أن طالب الأطباء بضمان لحمايتهم، قائلين إن أي شيء يمكن أن يحدث لهـــم، فأعطاهم الكولونيل الإذن الذي كتبه بالعبرية قائلاً لهم: "إن هذا الإذن يسمح لكم بالمرور فـــي كل المخيم. لا تخشوا شيئاً." لكنه أمام إصرار الأطباء عاد فنادى مَنْ كتبه بالعربية، ومن

---

(٦٧) Henly et al., eds., op. cit., p. 123.

(٦٨) "اليرمُلْك" قلنسوة يعتمرها اليهود المتدينون.

(٦٩) Siegel, op. cit., pp. 66-67.

(٧٠) *Israel in Lebanon*... (MacBride Commission), op. cit., evidence of Dr. Swee Chai Ang, p. 271.

هناك وصلوا إلى المستشفى وهم يحملون ذلك الإذن.(٧١) أمّا عن كيفية انتقالهم، فقد أوصلتهم سيارة تابعة للأمم المتحدة مباشرة إلى المستشفى.(٧٢)

أكدت الطبيبة فيل ماكينون، في شهادتها في أوسلو، كيفية عودة هؤلاء إلى المستشفى كما وردت أعلاه، وقالت إن المسؤول الإسرائيلي حين قال لهم أنه على استعداد لإيصال ثلاثة منهم إلى المدينة الرياضية فقط، أضاف أن لا سلطة لهم أبعد من ذلك، لأن المنطقة ليست خاضعة لسيطرتهم.(٧٣)

أضافت الطبيبة فيل ماكينون، في شهادتها أيضاً، أنها قالت للضابط الإسرائيلي حين سلّم الثلاثة الإذن باللغة العبرية: "لا أحد سيفهم هذا، يجب أن تكتبوه باللغة العربية." ورد الضابط المسؤول بقوله: "لا، هذا أوكي، وهو مفهوم." لكنها أصرت، وأصر غيرها، على كتابة الإذن بالعربية. وانتظروا خمس دقائق حتى جاء من يعرف العربية منهم فكتبه.(٧٤)

وقال الطبيب بول موريس فيما يتعلق بالإذن الذي كتب بداية بالعبرية، إنه كان مكتوباً أيضاً بالإنكليزية، لكن الأطباء أصروا على كتابته بالعربية، وخصوصاً أنهم سمعوا في مقر القيادة الإسرائيلية ثلاث مرات أن رجال حداد هم الذين دخلوا المخيمات، وهؤلاء يقرأون اللغة العربية بطبيعة الحال.(٧٥)

بقي نحو ستة عشر أو سبعة عشر من الأطباء والممرضين في المقر الإسرائيلي، فطلبوا أن يؤخذوا إلى المدينة، غير أن الإسرائيليين رفضوا إيصالهم إلى منطقة الحمراء قائلين إنها مخاطرة، لكنهم قالوا أنهم على استعداد لإيصالهم إلى كورنيش البحر. ركبت إلين سيغل أول سيارة جيب لكونها تعرف بيروت أكثر من الآخرين، وركب البقية سيارتي جيب أصغر، وأوصلوهم قرب السفارة الأميركية. وهناك علموا بأن الصليب الأحمر الدولي عاد إلى مستشفى غزة ونقل المرضى إلى مستشفيات أُخرى، فذهب الأطباء بعد الظهر، وتفقدوهم في المستشفيات التي نقلوا إليها.(٧٦)

ثالثاً: "المارش الأخير" نحو المدينة الرياضية

كما سيق سكان شاتيلا صباح يوم الجمعة في "مارش" طويل كالأغنام نحو المدينة

---

(٧١) Ibid., p. 272.

(٧٢) Siegel, op. cit., pp. 66-67.

(٧٣) Henly et al., eds., op. cit., p. 124.

(٧٤) Ibid.

(٧٥) Lamb, op. cit., p. 583.

(٧٦) Siegel, op. cit., pp. 67-68.

الرياضية، سيقوا كذلك مع سكان صبرا يوم السبت، لكن مع بعض الفوارق، أولها أن المسلحين كانوا مع وصولهم إلى صبرا وساحتها قادرين على جمع عدد أكثر جداً من اليوم السابق؛ وثانيها أنهم كانوا يعلمون بأن السبت يومهم الأخير، فحاولوا استغلال ما لديهم من ساعات معدودة في مضاعفة عمليات الخطف والقتل؛ وثالثها أن الجرافات عملت في هذا اليوم بشكل مضاعف، إذ ازداد عددها ازدياداً ملحوظاً، وكانت مهماتها قد انكشفت بصورة ملحوظة أيضاً.

أ ـ المرحلة الأولى من "المارش الأخير"

ابتدأ "المارش الأخير" ما بين الساعة السابعة والساعة السابعة والدقيقة الثلاثين صباحاً. وكل واحد يروي التوقيت بحسب مكانه من المسيرة، وبحسب ذاكرته. غير أن ما من أحد كان يدرك ما سيحدث.

كانت مكبرات الصوت تدعو إلى تسليم السلاح والذهاب إلى المدينة الرياضية كما دعت في اليوم السابق. وقد سيق العشرات إلى المدينة الرياضية كذلك. لكن يوم الجمعة لم يشهد مثل هذه المسيرة الضخمة، حتى أنه تهيأ للبعض أن لا أحد بقي في بيته. وما ضاعف تعجب الناس رؤيتهم لمجموعة الأطباء والممرضات الأجانب وهم يسيرون مثلهم على الطريق نفسه، لكن لم يسمح لهم بالاقتراب منهم.

كان الحاج محمود واحداً من هؤلاء المساقين إلى حيث لا يعلمون. وهو من سكان صبرا، ومن المؤمنين الصالحين. لم يحلق ذقنه منذ أيام، فطالت لحيته حتى بدا بالدشداشة البيضاء، وبالقلنسوة على رأسه، أشبه برجل دين لا بدهّان محترف. لم يمانع الحاج محمود قط حين ناداه أحدهم بالشيخ؛ فهذا لقب دين محترم، ولعل هؤلاء المسلحين الذين لم يعرف الحاج مقاصدهم بعد، يحترمونه لذلك. أمن المعقول ألاّ يُحترم رجال الدين؟

في الصباح الباكر سمع الحاج طرقاً عنيفاً على الباب، وما إن فتحه حتى وجدهم أمامه يصيحون عليه لعدم خروجه إلى الشارع. توجه إلى الشارع، وشكر ربه لأنه تمكن من أن يختطف المسبحة كي يستعين بها، ولأنه تمكن أيضاً من أن يحمل علبة السجائر. يقول الحاج محمود:

> والله العظيم، كان الواحد منا يتطلّع على طول الشارع يلاقي الناس زي الغنم سايقينها، والكتايب ماشين على الصفين بأسلحتهم الرشاشة وبمخازن الرصاص. مشهد ما بشوفه الواحد ولا في الخيال. لكن نحنا عشناه. وبقول الحق إني خفت من شو ممكن يصير لمّا شفتهم سايقين الدكاترة الأجانب. هنّي كانوا محترمينهم، لكن كانوا

برضه سايقينهم غصبين عنهم.

ونحـــنا ماشين بطريقنا على شارع صبرا ــ شاتيلا الرئيسي اللّي بنفّد على بير حســن ومستشــفى عكـــا، لمّــا وصلنا لعند قهوة علي همدر، ما فيش ٢٥ متر بلّشت الزواريــب، وبلّشــنا نشوف فيها مناظر ما بتخطر على بال. شفنا وإحنا ماشين على راس زاروبــة حاطيــن رجّال كبير ومَرَه كبيرة نازعين غطا راسها عنها، ومقتّلينهم إشي ببلطات وإشي قواص، والمَرَه نخاعها طالع من ورا، شفناه لأنهم مكشْفين راسها، ومفخخين الجتتين.

أنـــا أول مـــا شـــفت هاالمنظر قلت: "يا الله! يا الله!!" قام صرخ فيّ: "ما تقرّب وْلا". لــيش أنا بسترجي أقرّب؟ ما أنا وعم أتطلّع مبين طرف القنبلة من تحت الجتة. حاطيــن قنـــبلة هيك مبيْنة، وشايلين حلقة الأمان، والرجّال كمان متل المَرَه في تحته قنبلة، وراسها على راسه. هادا المشهد على طرف أول المخيم. وقلت: "أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله." طبعاً، قلتها في سري، صراحة. وفْضِلت لحالي وفي سري أقول: "الله أكبر. ما فيش ولا واحد يقاومهم؟ وين الحركة الوطنية؟ شو إحنا غــنم؟ والله وكيلكم، لهلّق مش عارفين إنّو في مجزرة. سمعنا عم يدبحوا بالمخيم، هادا يــوم الخميس والجمعة، ما صدّقنا. قلنا مش معقول تيجي إسرائيل وتدبّح بالناس. قالوا مش إسرائيل، سعد حداد. ما صدّقناهم...

ونحـــنا على الطريق كان في بيت واحد لقوا فيه واحد وعشرين جتة من نسوان واطفـــال وشيوخ وشباب. يعني واضح إنهم كلهم أهل. والله ما فيني أحكي أكتر. أبشع طريق مشيتها في حياتي.

وقالوا فجأة: "وقفوا محلكم". وقفنا.

وصـــاروا يــنادوا الناس وكل واحد يروح وين في نصيبه. أنا طلع نصيبي في آخر الشارع، يعني قبل شي خمس وعشرين متر من تقاطع شارع صبرا ــ شاتيلا مع شـــارع مستشـــفى عكا. وقفنا. قلْنا واحد: "أنا عم قولكم وقفوا هيك." وما عرفنا كيف نوقف هيك. رجع صاح: "وْلا.. اقعدوا هون على الرصيف." قعدنا. وبعد ما جمع ناس كتار، رجع صاح هو ذاته: "وقفوا وْلا.. كلكم وقفوا." رجعنا وقفنا. وكنا مجمّعين على الرصيفين.(٧٧)

موظـــف قســـم الأشعة الذي كان أول من شاهد الآليات الإسرائيلية فجر الأربعاء،

---

(٧٧) POH. S/SH. No. 16 (248/T.16). Hajj Mahmoud R. Interview with author. Beirut: Author's house, February 16, 1983.

والــذي لــم يجــد وقتاً ليلتقط "شحّاطته" في صباح هذا اليوم الطويل، وجد وقتاً لمراقبة الطــريق، ومراقــبة مـــا يحدث حواليه، مع أنه كان يمشي مع كل هؤلاء حافي القدمين، أشــعث الشعر، غير حليق الذقن، ولا يرتدي غير سروال عتيق يسمونه بالدارج "بنطلون عــري"، أي أنه للعمل والورشات. ومر عليه وقت قبل أن يعثر من أحدهم على "شحّاطة" بلاستك، ربما كانت لضحية ما.

اســتبدت الهواجــس بموظف الأشعة، فلا بد من أنهم سيحتقرونه بسبب شكله الرث فيجــندلونه بالرصـــاص. كيف يمكن أن يقتنع هؤلاء بأنه شاب متعلم وموظف في الهلال الأحمــر؟ وفي قسم الأشعة؟ لكنْ.. هل من الضروري أن يعرفوا؟ وهم حتى لو عرفوا، ألــيس مــن الممكن أن يغضبوا عليه أكثر لكونه يعمل مع الهلال الأحمر الفلسطيني كما قــال لـــه صاحبه في ساحة صبرا؟ كلها احتمالات. لكن الخوف على الذات لم يمنعه من ملاحظة من مر بهم من قتلى، فقد كان إنساناً قبل كل شيء. فهو قد تحدث في منتهى الألم عــن اثني عشر قتيلاً أحصاهم ورأى جثثهم بعينيه حتى وصلوا بهم إلى ساحة أبو حسن سلامة، وكان واضحاً أن تلك الجثث هي فقط تلك القريبة من مداخل الزواريب.

هــناك طلــبوا منهم بعد وصولهم بقليل أن تقف النساء في جهة، والرجال في جهة أُخرى. وهو يتذكر:

> وقفــنا جنــب تمثال أبو حسن سلامة. وبعد ربع ساعة، بعد شوي، بييجي لاند للقوات اللبنانية، وبينزل واحد لابس عسكري أخضر، ما كان لا ناصح ولا ضعيف، كان نص علــى نص، إلو لحية، ولابس على راسه، وحاطط عوينات سود، وواضح إنّو برتبة. قالوا بالميكروفون: "زقفوا للزعيم وْلا". زقّفنا للزعيم. لكن من كتر ما كانت الجرافات عم تشتغل ما كنت أسمع شو عم يحكي... لكن في شاب صاحبي ممرض في مستشفى غــزة جــرّبوا يــاخدوه لكــن الدكتور بول موريس قلْهم إنّو هادا الشاب معنا، فعادوا رجّعــوه. هـــادا كـــان سامع شو بيقول الزعيم، وفهمت منّو إنّو كان يسبّ أبو عمار، ويســبّ علـــى الفلســطينية، علـــى القــيادة كلها، ويحيّي ريغن وبيغن وبشير الجميل وجماعتهم. لكن ما عرفنا شو إسمه.(٧٨)

المكـــان نفســه والوقت نفسه وصفتهما سهام، وهي فتاة من صبرا، مشت في ذلك "المــارش الأخــير" كما مشى الحاج محمود وموظف الهلال أعلاه، والمئات من السكان. وهي، بعد ثمانية أشهر من ذلك اليوم، أخذتني معها، ومشينا معاً بمفردنا من ساحة صبرا إلـــى قلب المدينة الرياضية، وحدثتني عن ذكريات ذلك اليوم الأليم بصوت خافت، كي لا

---

(٧٨) POH. S/SH. No. 54 (230/T. 53), as above.

يســمعنا أحد. ولم يكن من الصعب معرفة الفوارق الأربعة بين "المارش الأخير" وجولتنا الثنائية، على الطريق نفسه.

الفــارق الأول أن المسافة بالنسبة إلينا استغرقت نحو ثلاثين دقيقة من الزمن، بينما اســتغرق "المــارش الأخير" في ذلك السبت الأحمر الصباح كله حتى الظهر. كان لا بد لعملــيات الإذلال والاســتجوابات وعمليات القتل الجماعي والخطف العلني على رؤوس الأشهاد من أن تستغرق كل ذلك الوقت.

الفــارق الثانـــي في الهدوء الشامل الذي كان يلف المنطقة يوم مشينا بمفردنا، على النقيض من الصراخ والجلبة اللذين كانا قبل ثمانية أشهر.

الفارق الثالث هو الفارق بين حرية البكاء والصراخ مع الألم في عز المجزرة، وبين الحــرمان حتى من حرية البكاء والصراخ مع كل ما تبعثه ذكريات تلك الأيام الثلاثة من الألــم. نحــن مشينا على الطريق نفسه، لكن في زمن أضحى فيه ذكر كلمة المجزرة من المحرمات.

أمّــا الفارق الرابع، فهو الفارق بين الوضوح والخفاء. هؤلاء المهاجمون المسلحون القــتلة كتــب على أكتافهم "القوات اللبنانية" و"سعد حداد"، وهم راحوا يصولون ويجولون بالمــئات على امتداد الساعات الثلاث والأربعين. أمّا يوم مشينا بعد ثمانية أشهر، فلم يكن هــناك ســوى حاجز للجيش اللبناني في منتصف شارع شاتيلا الرئيسي، لكن عوضاً عن الشــعور بالأمان كان كثير من الخوف ما زال يسيطر على السكان. فبينما كنت أسير مع ســهام التقيناَ امرأة فلسطينية من اللواتي كنت أجريت معهن مقابلة منذ أشهر، فانتحت بي جانباً وقالت لي بهمس وهي تشير إلى واحد من هؤلاء الجنود قائلة: "شايفه العسكري اللّي واقــف على جنب السيارة، هادا كان من اللّي شاركوا بالمجزرة، لكن الاتنين التانيين اللّي معو كتير أوادم."

المشــهد لا يحـــتاج إلى تعليق. "هادا" الذي يشار إليه بعد ثمانية أشهر وهو يحتمي بالزي العسكري الرسمي، كان في الأمس يرتدي زي الميليشيا التي ينتمي إليها علناً. كان فـــي الأمـــس هو القاتل، واليوم هو حارس الأمن باسم الدولة. ومهمته الأولى تنفيذ أوامر تنظيمه الخفية بدفن أخبار المجزرة ودفن آلامها، كما دفنت ضحاياها.

سألْت سهام بعد أن عدنا للسير: "سْمعتِ شو قالت أم علي؟ صحيح اللّي قالتو؟" وأجابت بصوت منخفض:

> صحيح. وهاي مش أول مرة منشوف فيها عناصر من الجيش من اللّي كانوا بالمجزرة بقلــب شــاتيلا. أساســاً كتــير بصادفوهم نسوان وبنات من عنا على حواجز خارج المنطقة، في الحمرا واللاّ عالروشة. كتير مرات كانت ترجع بنت بتشتغل هناك وهيّ

عم تبكي بحرقة وتخبرنا إنها شافت في هداك اليوم واحد منهم على حاجز.(٧٩)

تابعنا سيرنا بهدوء عادي، بينما المسجل في حقيبتي التي تركتها مفتوحة إلى حد ما يقـوم بمهمـته، ومـررنا بالحاجز من دون سؤال وجواب. اقتربنا من المقبرة الجماعية، وأشارت سهام بيدها إلى مقر الهلال الأحمر قائلة:

... والله علـى بـاب الهـلال كانت العالم على بعضها، جابوا شي ألف بني آدم نسـوان واولاد وبـنات، وبعدين وصّلونا لهون، لعند تمثال أبو حسن سلامة، على يمينًا تمـام، وهـون قلولـنا: النسـوان لحال، والزلام لحال. صاروا يحطوا النسوان صف، والـرجال صف. وإلاّ بقول واحد: "بتتطوعوا معنا؟ طبعاً لأ. مع الفدائية بيتطوعوا. معنا لأ." صـار كـإنّو بيحكي لخالو. ويرجع يصيح: "يلاّ زقفوا، زقفوا". قام رجع واحد تاني قـال: "قولوا فليسقط أبو عمار." ما حدا رد، ما حدا رد. "قولوا فليسقط أبو عمار." ما حدا رد. ورجـع يقـول: "تطوعوا معنا. طبعاً لأ." ورجع كإنّو عم يحاكي حاله. وفي غيري بيقول إنّو في بعض الناس رددت معهم متل ما بدهم، لكن الله بيشهد أنا ما سمعت.

وفي مشهد ما خبّرتك لسّا عنه. أبشع منظر لسّا ما خبّرتك عنه. في واحدة ست ختيارة كانت تشتغل عاملة تنضيفات بالهلال، وكانت تحب أبو عمار كتير، وفكّرَتْ لمّا شـافت المسـلحين إنّـو الفدائية رجعوا، نزلت تغني لأبو عمار وما عارفة ربها وين حاطـطهـا، قاموا مسكوها وشرطولها تمها بالسكين من هون لهون لعند دانها [أذنها]، وبعدين قتلوها.(٨٠)

ب ـ عمليات خطف وقتل

لا تـتوقف فتاة صبرا عند الشعارات والتصفيق، فهي لاحظت حينها بسرعة أن كل تلـك "الحفلـة الدمويـة الصاخبة" لم تكن إلاّ تغطية للهدف الأهم، وهو خطف أكبر عدد يمكنهم خطفه في تلك الساعات الأخيرة. تقول:

وهوّ التزقيف داير وعم يلهونا بالتزقيف، كانوا عم يسحبوا بني آدمين من بيناتنا. كانوا يسحبوا اللّي بدهم ياه. ما نشوف إلاّ فلان كان واقف، وما نشوف إلاّ اختفى. نشّفوا دم العالم...(٨١)

---

(٧٩) POH. S/SH. No. 63 (232/T. 60). Siham Balqis. Interview with author. Massacre area: May 9, 1983.

(٨٠) Ibid.

(٨١) Ibid.

كذلك يشهد الحاج محمود فيما يتعلق بالسيارات المملوءة بالمخطوفين، فيقول:

ونحـنا بعدنا واقفين عند التمثال [تمثال أبو حسن سلامة]، وجدنا سيارات جيب محمَّلة بالشـباب اللّـي تركـناهم على مداخل الزاروب. كان في لاندات كبيرة محمَّلة، متل اللانـدات اللّـي كان يستعملها الجيش البريطاني زمان، وأكبر، هدول الشباب أخدوهم وما حدا رجع منهم.(٨٢)

قالـت فـتاة صبرا ونحن نمشي على الطريق نفسها التي مشاها أهل صبرا وشاتيلا مساقين كالأغنام:

الجـرافات كانـت معهم يروحوا وييجوا. وهنّي بقولّك على فكرة كانوا ناوين يرشّوا الـناس كلها بالرصاص، والجرافة جاهزة... يعني الجرافة كانت تحفر أمامهم وتحفر وتشـيل، إحنا شو فكرناها بالأول عم تنضّف الشارع، تشيل الرمل... لكن بعدين شفنا شـو نتيجة عمل الجرافات... وسمعنا إنّو لمّا مرقوا الدكاترة الأجانب، واحد منهم خبَّر الإسرائيلية وراح قلهم شو عم يصير، حتى إجوا الإسرائيلية وقّفوهم. سمعنا بعدين.(٨٣)

يقول الحاج محمود في شهادة مشابهة لكنها أكثر تفصيلاً عن الجرافات، وعن إمكان إيقاف الإسرائيليين للعملية:

قعّدونـا علـى الأرض ونحـن سامعين البولدوزرات عم تحفر، وبقينا قاعدين وكـإنهم ناطرين البولدوزرات تخلّص حفر، وفعلاً هيّ خلّصت، وشفناهم. وصار عنا شـعور إنهم عم يحضرولنا الحفر لآخر المجزرة، لأنهم مهما قتلونا واحد واحد ما رح يخلصوا علينا. والله كان في فوق العشرين التلاتين الله بيعلم صاروا قاتلينهم كل واحد لوحـده. وشـفناهم، أنـا شفتهم كيف قتلوا التمرجي المسكين، والمَرَه الختيارة، وزوج المَرَه الحبلى، وشو نعد لنعد.

وكـل الوقت وهنّي عم بقتلوا الشباب واحد واحد، يقولولنا: "قولوا يعيش.. يعيش.. تعـيش الكتايـب اللبنانـية..." نقـول. ويرجع واحد يقول: "زقفوا يا عكاريت". نزقّف. "ارقصوا". نرقص. نحنا رقصنا، ورقصوا هاالعالم، والله العظيم هادا الإشي صار.

هلّق هنّي ما لحقوا خلصوا الحفريات، وما لحقوا قتلوا جوز المَرَه الحبلى، حتى راح بولـدوزر وقـف عـند قهوة علي همدر ودار وجهه علينا، والشفرة تاعته اللّي بـيجرف فـيها عـرض الشارع تماماً، هاي عريضة وكبيرة كتير ما شفت أنا منها،

---

(٨٢) POH. S/SH. No. 16 (248/T.16), as above.

(٨٣) POH. S/SH. No. 63 (232/T.60), as above.

وكمـــان واحـــد تانـــي وقف قباله عند الدويرة اللّي فيها ناس، وقف ودار وجهه علينا، وجـــابوا كمـــان دوشكتين على لاندات تويوتا ورشاشات. بين الواحد والتاني في ٢٥ مـــتر، ودار وجهـــه عليـــنا، وكل المسلحين إجوا اندارو على الرصيف هداك، ونقلوا الـــناس مـــن الرصـــيف الشـــرقي وأجوا كلهم عنا، وداروا وجوههم علينا وخرطشوا ووقفوا. واضح، في إشارة ناطرينها.

لكـــن ربـــنا كبير. بلحظة من اللحظات ما لقينا غير هاالسيارة جاي، وتطلّعْت لجـــوّا السيارة وشفت فيها عسكرية مسؤولين واضح منْ لبسهم. وواحد من اللّي بقلب السيارة أشّر بإيده إنكم وقفوا، ستوب.

مـــا رمونـــا بالدوشـــكات صـــحيح. لكني شفتهم أخدوا سبعة تمانية بعد ما وقّفهم "الجـــنرال" عـــن قتلنا، أخدوهم لعند الجرافة ووقفوهم وما بعرف شو صار فيهم. كان في مـــنهم هادا الأسمر اللّي كان عند أبو الهول، كان رجّال تقي، وبالحقيقة من الأتقيا، وبعتوه بعثتيـــن علـــى الحـــج مرتين. وأنا ما عدت عرفت قتلوهم ولاّ لأ. وهنّي في هادا الوقت فرزوا الرجال عن النسوان، حتى الولد إبن عشر سنين كانوا يرموه مع الرجال.

وراحـــوا جابوا كم لاند من هدول فورد الكبار متل اللّي كانوا يستعملوه الجيش البريطانـــي، وصاروا يسحبوا الشباب ويحطوا باللاندات. وبهديك الساعة صارت أكبر عملـــية خطف في المجزرة. هو الخطف ما وقف، لكن كانت أكبر عملية خطف بهديك الســـاعة. أنا قدّام عيوني شفتهم عم بطلْعوا من أربعين لخمسين شخص بتلات لاندات، مـــن هـــدول اللّـــي أخدوهم من ورا التلال اللّي جنب السفارة. وما فيني أعرف قدّيش أخدوا غيرهم. أنا بحكي اللّي شفته.

فيه ناس عرفتها من جماعة اللاندات، وعرفت أهلها. فيه أبو ياسين اللّي بجامع الدنـــا خادم المسجد رجّال كبير، كان واقف على الشباك، قلولو: "إنت من وين؟" قلهم: "أنـــا سوري". قلولو: "انزيل وْلا. انزيل". وهادا من الجماعة اللّي راحوا باللاندات. ما سمعناهم رشّوه.

وفـــي واحـــد تاني كنت أحترمه كتير راح كمان. كان هادا لابس طقم وكرافه وحامل البطاقة [الهوية] بإيده. إجو سألوه، وأنا سامع. سأله واحد: "من وين إنت؟" قلّو: "فلســـطيني". سأله: "من وين؟" قلّو: "من مصر". سأله: "من جيش التحرير؟" قلّو: "إيه نعم". سأله: "من قوات عين جالوت، ما هيك؟" قلّو: " آ ... ". وهون ما عاد في كلام، صار في أوامر. قلّو: "طلاع بالسيارة". وأخدوه. راح، ما بيّن أبداً.

من كل اللّي ماشين ما في حدا غيره يمكن من قوات عين جالوت، لكن نصيبه. ما بنساه كيف كان قبضاي.

نحـــنا كـــان صاروا عم يمشّونا كل تمانية مع بعض، وصفوف صفوف. ولمّا وصلنا على الكورنيش شفنا كميونات كلها مكتوب عليها "القوات اللبنانية".

وكتـــير مـــن اصـــحابنا عرفـــنا بعدين إنهم كاينين ماخدين ناس كتير بلاندات وتركّات تانية من محلات تانية.(٨٤)

قالت فتاة صبرا بينما كنا نسير معاً في اتجاه السفارة الكويتية، وعلى مقربة من التلة القائمة يومذاك:

وهـــون قريـــب مـــن التلة، وراها، كان ييجي واحد ينقّي اللّي بدّو اياه، ويقلّو: "ازحاف على الأرض قدّامنا." واللّي ما يعرف يزحف يرشّوه على راسه. ومرات اللّي يعـــرف يزحف يرشّوه. في تلاتة رشّوهم، وصارت النسوان تصرخ وتدبّ الصوت... وأجـــوا الإســـرائيلية كـــانوا عند الشجرات هدول لفوق شوي على راس الطلعة مقابل السفارة الكويتية.

هلّق وصلنا لمركز إنعاش المخيم الفلسطيني، هادا على يمينّا، ورا المركز كان فـــي ملجـــأ في شي خمسمية واحد، في هادا الملجأ لوحده. راحوا. هدول في أول يوم كلهم كانوا راحوا.(٨٥)

عمليات الخطف لم تتوقف في الواقع. غير أن الحديث عن عمليات القتل طغى عليها لكَون هذه العمليات ظاهرة للعيان أكثر مهما حاول القتلة إخفاء معالمها بالهدم والردم. أمّا المخطوفـــون فالغايـــة أساساً نقلهم إلى خارج المنطقة، ولا دليل هناك على مصيرهم، لا جثة، ولا حذاء، ولا زنار، ولا هوية لصاحب الجثة.

ولكن، تبقى ذاكرة الإنسان هي نقطة الانطلاق للبحث حتى النهاية عن المخطوفين، وعـــن المفقوديـــن. فبالإضافة إلى الشهادات أعلاه عن عمليات الخطف، قالت الممرضة حـــربه، وهـــي من سكان شارع الثكنة، ومن الذين التجأوا أيام المجزرة إلى ثكنة هنري شـــهاب طـــوال أسبوعين، قالت أنها شاهدت يوم السبت ست شاحنات كبيرة الحجم مرت بشارع الثكنة، وفي كل منها ما بين ثلاثين وأربعين شاباً. وأضافت أن ثلاثاً منها مرت، ثم مر بعد ثلاث ساعات ثلاث شاحنات كانت معبأة بالشباب، مثل الشاحنات الأولى.(٨٦)

هـــناك شاحنات أُخرى عُبئت بالنساء والفتيات لا بالشباب وحدهم. وقد مر معنا في

---

(٨٤) POH. S/SH. No. 16 (248/T.16), as above.

(٨٥) POH. S/SH. No. 63 (232/T.60), as above.

(٨٦) POH. S/SH. No. 45 (231/T.46). Harbeh A. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, ~~March 22, 1983~~.

الفصل الثالث ما جرى مساء يوم الخميس من خطف للنساء. أمّا بالنسبة إلى الشاحنة التي تظهر في شريط الفيديو الذي التقطه المصور الدانماركي، فيقول محمد عواد ـ وهو مصور تلفزيوني يعمل في الفيزنيوز (Visnews) ـ إن هذه الشاحنة قد تمكن الدانماركي من تصويرها في عز النهار سراً يوم الجمعة.(٨٧) وأمّا المشهد نفسه الذي لا ينساه من يشاهد هذا الشريط، فهو مشهد شاحنة متوقفة بالقرب من أحد مداخل شاتيلا لجهة السفارة الكويتية، وفيها فتاة تنادي على عنصر ميليشيوي ترجوه وهي تشير إلى شاحنة أُخرى: "خلّينا مع اولاد عمنا."(٨٨)

أين هذه الفتاة اليوم؟ أين أبناء عمها؟ أين المئات من المخطوفين والمفقودين؟

ج ـ حقول الألغام

عندما اقتربت الجموع من المدينة الرياضية، توالت عليها الأوامر بالتوجه إلى داخل المدينة، إلى ملعب كرة القدم، وكان صوت ضابط إسرائيلي يرتفع بمكبرات الصوت، ولم يكن يدري أن هناك عدسة كاميرا خفية تلتقط له الصورة والصوت:

"كل واحد يحمل سلاحاً أو متفجرات، ليأخذ السلاح وعلماً أبيض، ويذهب إلى ملعب كرة القدم في المدينة الرياضية."

ثم يرتفع الصوت:

"إسمعوا، لا تخافوا، نحن لن نقتل... سلّموا السلاح والمتفجرات، ومع السلامة. نحن حذرناكم ... أحضروا السلاح وتعالوا إلى ملعب كرة القدم في المدينة الرياضية، واحملوا قماشاً أبيض ولن تتعرضوا لأي خطر."

ثم يعود الصوت:

"آخر شنص أقول لك... أول وآخر شنص. إذا لم تنظفوا البلاد الآن لن تنظف إلى الأبد..."(٨٩)

وتتلاحق أصوات ندب النساء وصراخهن ويشتد العويل.

وبينما كان الإسرائيليون يدعون إلى تسليم السلاح والمغادرة، وبينما عويل النساء يرتفع، كان الحراس من القوات يدفعون الناس ويضربونهم بأعقاب البنادق، ويصرخون عليهم:

"يلاّ يا عكاريت. امشوا وْلا، امشوا وْلا، إنت واياه يلاّ."

---

(٨٧) POH. S/SH. No. 58 (231/N.9). Muhammad ‘Awwad. Interview with author. Beirut: Author’s house, May 2, 1983.

(٨٨) Danish cameraman et al., The Massacre Video.

(٨٩) Ibid.

ويصف المشهد الحاج محمود بقوله:

> كل الطريق طول ما إحنا ماشين خبيط ودفش ولبط. أبداً ما راعوا المشلول. كان معنا أبو غازي عكيلي مشلول من الغطس بالبحر، كان معه شلل نصفي، وما خلّونا نحمله اولاد الأبالسة. ما في أثر للضمير.
>
> وصار في جدل بينّا وبينهم. نحنا نقولهم إنّو الضابط الإسرائيلي بقول نروح على ملعب كرة القدم، وهنّي أبداً بدهم يْمَرّقونا من حقل ألغام. أنا كان صار قدّامي في اتناعشر صف. لكنهم ما قبلوا أبداً، وما خلّوا فينا بهدلة، ما خلّوا فينا، وصاحوا: "قلنالكم فوتوا من هون."
>
> وطلع اللغم.
>
> وراح باللغم ست قتلى وست مجاريح. واحد من المجاريح بكيوا عليه كل الصغار. كان حاج رجل تقي وكل العالم بتعرفه وْبِكْيِت عليه. كان مع شغله يبيع جوز هند أبيض مبروش قطع صغيرة، وكان يتنقل من زاروب لزاروب وينادي على الصغار: "طيبة.. طيبة". وكان زمان يبيع القطعة للولد بفرنك. يروح الولد يحطها بتمّه ويتحلى. هادا كان بأول الصف يا حرام. راحت رجله معلقة تعليق، وإجته شظية من اللغم على رقبته دبحته دبح.
>
> وصرخت الناس: "يا جماعة.. كلّو هون حقل ألغام."(٩٠)

ما أُطلق عليه حقل ألغام هو الفسحة التي تقع بين المدينة الرياضية والمسبح، وكان تراكم فيها ردم كثير من بنايات نسفت في الحرب، فأصبح الردم تلالاً. وكان في هذا المكان أساساً ألغام من السابق، وأضيفت إليها ألغام أُخرى. ورفض السكان ولوج حقل الألغام هذا وتحدوا المسلحين أن يقتلوهم في مكانهم. وتكلم الحاج باسم الناس فقال:

> قَلّك القائد الإسرائيلي إنكم تدخلونا على ملعب كرة القدم، ما قلّك تدخلنا هون." قال: "شو في هون وْلا؟" قلتلو: "زي ما شفت. إنتو حاطين ألغام بدكم تموتوا العالم بالألغام مش ممكن نفوت." قال: "ما بدكم تفوتوا ناموا يا عكاريت بالأرض. ناموا يا عكاريت. بدنا نجركم يا عكاريت."
>
> أنا أخدت نص كوع ورا واحد مجروح من الجرحى. وسمعت واحد بيصرخ فيه من جهة السفارة الكويتية: "أنطون. شو في؟ شو في؟" قلّو: "ما في شي. إخوات ... بس اتناعشر واحد منهم. في ست قتلى وست مجاريح." قلّو: "... إختهم،

(٩٠) POH. S/SH. No. 16 (248/T.16), as above.

الله لا يردهم. فوِّت الباقين." ورد عليه: "ما راضيين. شافونا الإسرائيلية."(٩١)

وعاد صوت مكبر الصوت يطغى على كل صوت آخر، ويدعو الجميع إلى النهوض والـــتوجه إلى قبالة ملعب كرة القدم، أي إلى مبنى اليونسكو حيث يوجد مقر للإسرائيليين. ومشى الناس فعلاً. ويصف الحاج الشاهد تلك اللحظات:

> وقفــنا مش قادرين نمشي. رُكَبنا توجعنا. الحقيقة الخطوة الواحدة كأنك مربّطنا برصـــاص عاالركـــب، رصاص على إجرينا مش قادرين نمشي. اللّي صكوا إجريه، اللّــي رح يصير معه شلل.. وصرنا نمشي وخايف الواحد يكونوا حاطينلنا ألغام على الطـــريق. وسبحان الله. الله أعطاني قوة من عنده، نسيت كل الضرب اللّي كنت أكلته [راجـــع الـــرواية التاسعة والثلاثين: "حفرة الموت"]. صرت أمشي بين الصفوف وعلِّم الناس كيف لازم يمشوا. أقولهم: "يا إخوان ما تدعسوا على شي محل مطموم رمل، ما تدعســوا محل مش مدعوس عليه من قبل. ادعسوا على الأرض اليابسة، وين في أثر أقــدام، ويـــن في جنزير دبابات، وين في دواليب سيارات، ادعسوا. أي حفرة صغيرة نطّوا فوقها ما تدعسوا عليها."
>
> وفْضِـــلْت قدّامهم، والله يعطيني القوة حتى وصلنا على مقر اليونسكو. وتطلّعت على ساعتي كانت صارت خْدَش ونص.(٩٢)

د ــ نهاية "المارش الأخير"

طلب الإسرائيليون من الواقفين الآتين من حقل الألغام أن يتكلم واحد باسمهم، وطلب أبـــو زهـــير عكيلي من الحاج محمود أن يتكلم، فقال له الإسرائيلي: "تفضل حجّي، إنت انتدبوك تحكي بالنيابة عن الكل."

تـــردد الحاج قليلاً، ثم تكلم، لكنه ما إن قال في مطلع كلامه "وْدَخْلوا الكتايب وسعد حدّاد"، حتى قال الإسرائيلي: "No..No مسيو. مش حداد. مش سعد حداد. هادي كتـــايب. سعد حداد ما بيجي لهون. بعدين ما بيعمل هيك. سعد حداد متل إسرائيل."

قامـــت ضـــجة. وانتهز بعض الناس الفرصة للهرب، فقال الإسرائيلي: "نرجو الترتيب والهدوء. نرجو الترتيب والهدوء. أنتم الآن تحت سيطرة جيش الدفاع الإسرائيلي. أنتم الآن في أمان. ونرجو منكم الترتيب والهدوء. وجيش الدفاع الإسرائيلي سيقوم على راحتكم. سيقدم لكم الماء والطعام. لكن نطلب منكم أن تهدّوا أعصابكم. وبعدين منشوف شو منعمل."

---

(٩١) Ibid.

(٩٢) Ibid.

كرر الإسرائيلي "بعدين منشوف شو منعمل" ثلاث مرات. وتقدمت دبابات وملالات إلى المتراس كي لا يهرب الناس. لكن مع ذلك لم يكن ممكناً حصر كل هؤلاء الناس، فالفوضى كانت ضاربة أطنابها، وكأن يوم القيامة حل، وقد هرب منهم أكثر من ألف إنسان، والبعض يقول ألف وخمسمئة. والذين هربوا عادوا إلى صبرا.

قدم الإسرائيليون للموجودين خبزاً وماء وتفاحاً.(٩٣)

لكن هذا لا يعني أن أولئك الذين بقوا منهم لم يتعرضوا للتحقيق.

رابعاً: من شهادات اليوم الثالث

كان اليوم الثالث اليومَ الأخير، واليومَ الذي راجت عنه الشائعات أن العمليات توقفت عند الساعة العاشرة صباحاً؛ وعليه فالمجزرة الدامية تكون استمرت أربعين ساعة، أي منذ غروب شمس الخميس حتى قبل الظهر من يوم السبت. أمّا بناء على الشهادات التي حصلنا عليها فإن عمليات القتل والخطف استمرت من دون أدنى ريب إلى ما بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً، لكننا لا نمتلك شهادات تؤكد متى توقفت العمليات نهائياً، لذلك نعتبر شهادات السكان الذين شاهدوا ما كان يجري حتى الساعة الواحدة ظهراً هي الحد الذي نتوقف عنده، الأمر الذي يجعل ساعات المجزرة ترتفع إلى ثلاث وأربعين ساعة.

كان الأهم من العامل الزمني العامل النفسي. فالروايات عن يوم السبت، وحتى في عز الظهيرة، تثبت أن كثيرين من المعتدين كانوا يتصرفون كأنهم باقون. كانت عمليات القتل والخطف مستمرة بشكل لا يوحي للحظة أنهم سيخرجون بعد ساعة. مثلاً، كانوا يتصرفون كأنهم داخلون إلى أرض المجزرة، لا خارجين منها.

في هذا اليوم الثالث لم يتمكن سكان صبرا وشاتيلا من العودة لتفقد ما جرى، ولم يكن في وسع أصحاب المآسي سوى الانتظار كي يتمكنوا من الدخول مع الداخلين للبحث عن ضحاياهم. وهذا ما يجعل الروايات الباحثة عن نهاياتها من الفصلين السابقين تنتظر حتى الفصل الأخير، فصل "القاتل والضحية".

نوعان من المشاهد كانا أساساً لشهادات اليوم الثالث: الأول مشاهد القتل التي استمرت بشكل أكثر همجية وعدواناً من الأيام السابقة، وهو ما تتحدث عنه خمس روايات؛ الثاني مشاهد الخطف التي تفوقت بشكل ملحوظ على اليومين السابقين، ومنها اخترنا روايتين.

---

(٩٣) Ibid.

على امتداد الطريق التي سار عليها السكان مجبرين في "المارش الأخير" لم تتوقف عمليات القتل، أفراداً وجماعات؛ فلا فارق يذكر بين اليومين اللذين استمرت فيهما العمليات في عز النهار، وتحت أشعة الشمس الحارقة. غير أن الظاهرة التي تستلفت الانتباه هي في مواقف القوات الإسرائيلية التي ما عاد في إمكانها التستر بكونها "لا تعلم" أو بأنها "لم تسمع" و"لم تشاهد"، وبالتالي فلا شيء لديها "كي تشهد".

الرواية الخامسة والثلاثون

من القاتل؟

التقى سكان صبرا وشاتيلا الأطباء والممرضات الأجانب على طريق صبرا ــ شاتيلا في ذلك "المارش الأخير"، لكن شتان ما بين التجربتين.

تجربة الأجانب كان ظاهرها الاحترام. وهم حتى لو تعرضوا لخطر ما، فذاك هو الاستثنائي العارض، والدليل أنهم جميعاً خرجوا سالمين. أمّا تجربة السكان فكانت تعني الخطر الحقيقي في مواجهة الموت، وخصوصاً منهم هؤلاء الفلسطينيين.

كان هناك بين أعضاء الفريق الطبي الأجنبي عدد محدود جداً من العاملين العرب، اثنان منهم خرجا مع الفريق من المستشفى، وغيرهما انضم إلى الفريق منذ بداية الطريق احتماء بـ "الأجانب". لا أحد يعرف بالتحديد عدد هؤلاء، لكنهم في أقصى الحالات أربعة أو خمسة. قتل منهم من قتل، واندس بين الجموع المحتشدة مَنْ سرعان ما اكتشف أن في البقاء مع الفريق الطبي الموت المحتم.

أمّا بين السكان المنتشرين على جانبي الطريق، وعلى امتداد الطريق، فالموت والحياة فرسا رهان.

هناك سبعة شهود رأى كل منهم جانباً من مشهد مقتل فلسطيني كان يسير مع الأطباء. من هؤلاء الشهود خمسة من الأجانب، واثنان من سكان صبرا.

على الرغم من أن المشهد لم يتعد الدقائق، فلكل من الشهود رواية. تتطابق الروايات في بعض الأجزاء، وتختلف في البعض الآخر، وهو ما يشير إلى أن الروايات قد تكون عن أكثر من حادثة، أي عن أكثر من ضحية. لكنها كلها عن عملية قتل لإنسان ما، جريمته هي هويته؛ هي انتماؤه إلى وطن يدعى فلسطين.

الشاهدة الأولى هي الطبيبة فيل ماكينون، وهي إيرلندية تطوعت للعمل في مستشفى غزة، من تموز/ يوليو إلى تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٢. وهذا ما ورد في شهادتها أمام

> ما إن جاء مساء الجمعة وصباح السبت حتى كان الفلسطينيون العاملون في المستشفى قد غادروه كلهم بناء على طلبنا وبموافقتنا. كلهم باستثناء اثنين من الفتيان المراهقين. وعندما تجمع طاقم العاملين في المستشفى على الدرج أمام القوات اللبنانية، كان هذان الفتيان بيننا. عرّف كل منهما عن نفسه، وأبرز هويته، ولاقيا ترحيباً بهما باللغة العربية. ومشينا كلنا على طريق شاتيلا حيث كان المدنيون يقفون في تجمعات إلى جانبي الطريق. بعد ذلك بنحو ثلاثمئة أو أربعمئة ياردة أُخذ واحد من الفلسطينيين الاثنين من مجموعتنا واقتيد إلى مكان خلفنا. نظرت إلى الخلف أنا وفتاة ألمانية، وسألتهم: "إلى أين تأخذونه؟" فأجابوني: "اهتمي بشؤونك الخاصة. نحن نقوم بواجبنا، تماماً كما تقومون أنتم بواجبكم." وبعد نحو عشر ثوان سمعنا طلقات نارية. هذا الفتى هو اليوم في عداد الأموات.(٩٤)

الشاهدة الثانية الطبيبة سوي شاي آنج من سنغافورة، وهي التي تركت زوجها البريطاني في لندن وجاءت في أوائل أيلول/سبتمبر متطوعة للعمل الإنساني، وهي التي كانت تعتقد حتى قبيل وصولها إلى لبنان أن الفلسطينيين إرهابيون، كما ذكرنا عنها سابقاً. لكنها بعيد وصولها إلى بيروت اختارت العمل في مستشفى غزة بالذات بعد أن اكتشفت أنه مستشفى للجميع بلا استثناء، وأنه مستشفى مجاني. وقد كتبت في مذكراتها:

> موظف شاب فلسطيني يعمل مع الهلال الأحمر الفلسطيني جاء معنا من مستشفى غزة، لكن أمره اكتُشف حالاً فأخذوه وقتلوه. وكأن الأوامر المعطاة لهم قتل الفلسطينيين، لكن لا الأجانب؛ وقد نفذوا الأوامر.(٩٥)

الشاهد الثالث جوهاني باجولا، من فنلندا، وكان يعمل في المستشفى خلال آب/أغسطس وأيلول/سبتمبر، وقد شهد في أوسلو:

> في نحو الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين، مشينا، وكنا ثمانية عشر أجنبياً نعمل في الرعاية الصحية، ومعنا سوري واحد وفلسطيني واحد متطوع ناما تلك الليلة في المستشفى.
>
> ... كان الرجال مجمّعين، كما يبدو، في جماعات صغيرة. وكان في إمكاني أن أتعرف بين الناس على بعض العاملين في المستشفى، كالطباخ مثلاً. كنا نمشي وسط

---

(٩٤) *Israel in Lebanon*... (The MacBride Commission), op. cit., evidence of Dr. Phil MacKennon, October 4, 1982, pp. 270-271.

(٩٥) Swee Chai Ang, op. cit., p. 63.

هذا الحشد من الناس، فجاء المتطوع السوري وانضم إلى الفريق.

بعد أن تجاوزنا الحشد، حاول كلاهما اللحاق بنا، لكن الجنود منعوهما من ذلك. لاحظ الجنود المتطوع الفلسطيني الذي كان لا يزال معنا، وطلبوا منه أن يبرز هويته. بعد ذلك مزقوا رداءه الأبيض، وصفعوه على وجهه ثم أخذوه إلى شارع جانبي. بعد عشر ثوان سمعنا صوت إطلاق رصاص.(٩٦)

الشاهد الرابع فلسطيني من سكان صبرا، وقد جاء في شهادته المسجلة في "تاريخ فلسطين الشفهي: صبرا وشاتيلا":

ونحنا ماشين على الطريق، جابوا دكاترة أجانب من مستشفى غزة واحد معهم إسمه خليل، تمرجي ملبسينه لباس دكتور جراح، ومرت معهم كمان واحدة ست دكتورة يمكن سويدية هاي للولادة في مستشفى غزة، بعرفها أنا، ماشية طبيعية، يعني تمام، وقّفوهم جنبي تمام.

أجا واحد من المسلحين جسيم ومش لابس عسكري، مدني وحامل كلاشن بإيدُه قلّو: "تعا وْلا، شو إنت؟" قلّو: "دكتور". ويمكن قال هيك متل ما قايلينلو الأجانب، حتى يزمطوه يا حرام.

وقّفونا عشان نتفرج كيف رح يقتلوه. لمّا قلهم إنّو هوّ دكتور، قلولو: "شفت في هون كم طفل واقع عليهم البيت من القصف في الليل روح شوفهم." والله العظيم، هادا الحكي على سمع إدني لأنّو كان قريب، هيك قلّو بالحرف الواحد. وراح مشي، قلبه حاسُه يمكن وهوّ ماشي رح يْخَلْصوا عليه، وبنص الشارع رفع أصبعه [ليتشهد]، وصل على بيت مدمر تحت سقفه مليان جتت ... مبيّن منهم طفلين مقتولين، وعرف حاله رايح، الله ألهمه رفع أصبعه مرة تانية، راحوا هنّي طق طق تسع طلقات درزوه من راسه لإجريه. وقع بالأول على وجهه بعدين على ضهره، وكان بعده عامل أصبعه هيك [علامة الشهادة].

هادا التمرجي إسمه خليل وأخوه إسمه أبو عصمت، وأربعة اولاده من المخيم راحوا، كلهم راحوا. هو ساكن بالمخيم. وأبو عصمت كان ساكن مقابل جامع الدنا أول زاروب بصبرا، هادا أخدوه كمان، كان عنا.

الله يرحمك يا خليل.

أنا تعرفت على جثته، لمّا نادوني بعدين لأتعرف على الجثة. رحت للواجب. هوّ انقتل قدّامنا.

---

(٩٦) Henly et al., eds., op. cit., pp.121-122.

الله يرحمك يا خليل.[٩٧]

الشـــاهدة الخامســـة الممرضة الأميركية إلين سيغل، التي عادت فروت في حديث صحافي ما شهدت به أمام لجنة كاهان:

> رأيت مئات الفلسطينيين من المخيم، ورأيت عاملين في الرعاية الصحية، يجلسون إلى جانبي الطريق تحت الحراسة. وقد تعرفت على بعضهم، ووقف بعضهم وحيّانا بإشارة النصـــر. وكان هناك شاب قد انضم إلينا بعد أن تمكن، بطريقة ما، من الحصول على رداء المختـــبر الأبـــيض، لكنهم استوقفوه. وقد قالت لي ممرضة ألمانية ما جرى: فقد رأت جـــندياً [مسلحاً] يأخذ منه هويته، ويخلع عنه رداءه الأبيض ويصفعه، ويأخذه إلى الـــزاوية، ثم سمعت صوت إطلاق رصاص صادراً من ذلك المكان. خلفنا رأينا أناساً كانوا يعملون معنا في المستشفى، ورأيناهم يشيرون إلينا، لكن الجنود [المسلحين] لم يسمحوا لهم بالمجيء إلينا.[٩٨]

الشـــاهدة السادسة فتاة فلسطينية من سكان صبرا، وتدعى سهام بلقيس، وقد جاء في شهادتها المسجلة في "تاريخ فلسطين الشفهي: صبرا وشاتيلا":

> هنّي جمعونا صباح السبت، وكنا متل ما نكون في يوم الحشر. كل السكان. كل البشـــر اللّي منعرفهم. وهنّي لمّا راحوا القوات من قدّامنا-على مستشفى غزة، مَرْ أقل مـــن نص ساعة كانوا بعدها جايبين الدكاترة الأجانب والممرضات والممرضين، كلهم مشـــيوا ومـــروا من حدنا تمام. وكان في بين الدكاترة واحد فلسطيني طويل وجسيم، بعـــرفش بالضبط إيش شغلته، بس مش دكتور، وكان هادا لابس مريول أبيض وماشي مع الدكاترة أكيد حتى يفكروه دكتور.
>
> هلّـــق مـــا منعرف إذا واحد دازز عليه ومخبّر عنه، أو ممكن من شكله عرفوه إنّو مش أجنبي. راحوا وهنّي ماخدينه على جنب وراشينه رش. هادا رشوه قدّام عيونّا بحدود الساعة سبعة ونص.[٩٩]

أمّـــا الشاهد السابع فهو الطبيب ماشلومشاغن ، وتتميز شهادته بأنه جزم أنه كان هناك ممرضان فلسطينيان التحقا بالفريق للحمأية، وذكر أن أولهما اقتادوه من بين الأطباء. سألوه عـــن هويـــته، وانـــتحوا به جانباً، ثم قتلوه. وقد سمع الطبيب صوت إطلاق الرصاص. أمّا

---

(٩٧) POH. S/SH. No. 16 (248/T.16), as above.

(٩٨) Siegel, op. cit., pp. 64-65.

(٩٩) POH. S/SH. No. 63 (232/T.60), as above.

الممرض الثاني فقال نقلاً عن شهود إنهم اقتادوه بعد قليل، لكن مصيره مجهول.(١٠٠)

نلاحظ أن الروايات كلها تتفق على علاقة الضحية بمستشفى غزة، وعلى هوية صاحبها الفلسطينية، لكنها تختلف في أمرين: العمر والمهنة.

بالنسبة إلى العمر، فالفارق في الشكل بين فتى شاب وأب لأبناء شباب فارق كبير، الأمر الذي يدل على أنه كان هناك ضحيتان على الأقل، انتزعتا من فريق الأطباء والممرضات، ولو حدد العمر الطبيب ماشلومشاغن لكل من الممرضين اللذين تحدث عنهما، لحسم الجدل.

بالنسبة إلى مهنة الرجل، قيل بثقة على لسان أحد الشهود إنه ممرض، وقيل بثقة أيضاً في شهادة أُخرى إنه طباخ.

وقيل عن الفتى الشاب أو عن الشابين إنهما متطوعان، وقيل عن أحدهما إنه يعمل في الهلال الأحمر الفلسطيني. أمّا عندما أبرز كل منهما هويته عند مدخل المستشفى، ورحب بهما المسلحون كما روت الطبيبة فيل ماكينون، فذلك الترحيب ينسجم مع شهادات أُخرى لعدد من الأطباء جاء فيها أن أفراد المجموعة التي جاءت إلى المستشفى تكلموا بهدوء ورصانة، ولم يزعجوا أحداً، وبدا بوضوح أنهم كانوا يحرصون على المحافظة على سمعة جيدة. لكن الحراسة تبدلت أربع مرات خلال الطريق، وكانت معاملة الحراس تسوء مع كل تبديل. وهذا بالإضافة إلى أن منطق الرصاص كان هو السائد على الطريق، لا منطق "السمعة الجيدة".

وإذا كان الشاهد الرابع والساكن في صبرا قد تعرف على الممرض خليل، وهو الذي أعلمنا باسمه، وهو الذي رآه يقتل، وهو الذي تعرف على جثته، فليس هناك مَنْ ذكر لنا الاسم الأول على الأقل لذلك الفتى العامل في الهلال الأحمر.

لكن.. لماذا الحديث عن مقتل فلسطيني واحد، وحتى عن اثنين أو ثلاثة، في حين قُتل المئات من فلسطينيين ولبنانيين ومن جنسيات أُخرى ولم تعرف أسماؤهم، أي أن أحداً لم يشهد على أنه رأى مقتلهم.

ربما الحديث لسبب واحد فقط هو أن كلاً من حكاية ذلك الممرض الذي ارتدى الرداء الأبيض ومشى مع الأطباء، وحكاية ذلك الفتى الفلسطيني الذي احتمى بالأجانب، تؤكد أن أهداف المجزرة لم تكن البحث عن الفلسطيني المقاتل، وإنما عن الفلسطيني، كل فلسطيني، حتى الطبيب أو الممرض أو المسعف، كلهم مطلوبون، كلهم، ما داموا فلسطينيين.

ربما لو كان الممرض خليل سمع بمقتل الطبيب علي عثمان أو الطبيب سامي

---

(١٠٠) Friedman, op. cit.

الخطيب في مستشفى عكا، لما احتمى بالأجانب، ولكان أدرك أن القضية ليست مجرد رداء طبيب أبيض، وإنما القضية في كونه جاء من بلد اسمه فلسطين.

وربما لو كان لدى الممرض خليل وقت ليفكر أكثر قليلاً لتأكد أن لا حماية لأمثاله ما دام الذين استولوا على بلده فلسطين هم، في تلك الساعة، كانوا يحاصرونه حتى في منفاه الصغير في صبرا وشاتيلا بدباباتهم. فأين المفر؟

هل من ضرورة لطرح السؤال: من القاتل؟

الرواية السادسة والثلاثون
أطفال بلا أسماء

لم يكن ممكناً أن تُعرف أسماء هؤلاء الأطفال، إذ إنهم لم يقتلوا في حادثة معينة وإنما في عدة حوادث وعدة أماكن. وقد اخترنا من حكايات الأطفال الذين قتلوا ولم تُعرف أسماؤهم ثلاث حكايات، تتنوع من حيث المكان، ومن حيث التجربة.

الحكاية الأولى ترويها كل من الممرضة إلين سيغل والطبيبة سوي شاي آنج والمعلمة الفلسطينية هدى ح.

تقول إلين سيغل إنه بينما كانوا يأخذونهم للتحقيق، وبينما كانوا على طريق صبرا يمشون بين المئات من أهل المنطقة، جاءت امرأة من هذه الجموع المحتشدة تحمل طفلاً على ذراعيها، وأعطته للطبيبة سوي، فأخذته هذه وحملته، لكن لدقائق معدودة، إذ جاء أحد "الجنود" وطلب منها إعادة الطفل إلى المرأة. وهنا تعلق إلين:

> غريب فعلاً كيف يستجيب الناس في حالات كهذه. أنا لم أفعل شيئاً. ولا أحد غيري أيضاً فعل. إنها ثانية واحدة في حياتك، كل واحد أراد أن يفعل شيئاً، لكننا حقاً لم نفعل. كانت مراقبة ما يجري تبعث على الألم الشديد.(١٠١)

تصف المشهد نفسه الطبيبة سوي شاي آنج نفسها، فتروي أنها لا تنسى كيف جاءتها أم يائسة لتعطيها طفلها الرضيع، فلم تتمكن من حمله بين ذراعيها أكثر من دقيقة، إذ جاء أحد المسلحين فشده منها بقسوة.

وهي تروي أنها عندما عادت مرة ثانية إلى لبنان، ذرعت المخيمات طولاً وعرضاً بحثاً عن الأم وطفلها، فلم تجد أياً منهما.(١٠٢)

---

(١٠١) Siegel, op. cit., p. 65.

(١٠٢) Swee Chai Ang, op. cit., p. 63.

شاءت الأقدار أن تكون المعلمة هدى ح. من اللواتي مشين مع الماشين في ذلك اليوم الحزين، وهي لمّا قرأت مذكرات "الدكتورة الصينية"، كما يشيرون إليها في المخيم، شعرت بأن من واجبها معرفة مصير الأم والطفل. سألت الكثيرين من السكان، من الجيران والأصحاب، لكنها لم تجد جواباً. ثم عرفت مصادفة ما جرى للأم وطفلها من رجل لبناني صديق، من سكان صبرا.

أخبرها أنه كان شاهد عيان، وأنه كان يمشي مع الطابور، وأنه شاهد كيف أجبر المسلحون الطبيبة على إعادة الطفل إلى أمه. قال هذا الشاهد أنه تباطأ عمداً ليعرف مصير الاثنين، وخصوصاً أن الطفل بدا له كأنه ابن أخيه الصغير، بدا له أنه يشبهه كثيراً.

قال إنهم أخذوهما نحو زاوية لم يستطع أن يرى فيها ما حدث، وما إن ابتعد الأطباء الأجانب حتى قتلوهما. لم يشاهد بأم عينيه، لكنه عرف من صراخ الأم، كانت تصرخ أن يقتلوها قبله، وأن يتركوه فهو طفل، والله يحميه. ثم عرف من بكاء الطفل الذي سكت فجأة أنهم قتلوه أولاً، كما عرف من صيحة الأم الملتاعة، ثم من سكوتها فجأة بعد ثوان، أنهم قتلوها من بعده.(١٠٣)

مات الطفل وأمه.

لا أحد يعرف اسمه أو اسمها.

وكأن الحكاية كلها ليست سوى بداية.

الحكاية الثانية يرويها رجل من شاتيلا.

كان هذا الراوي بين الذين اقتادوهم صباح ذلك السبت. يروي أنهم حين اقتربوا من المدينة الرياضية ومن حقل الألغام، انفجر لغم غير بعيد عنه فشعر، كما شعر كل هؤلاء المنقادين كالأغنام، بالخطر الشديد.

واستمرت الجموع تمشي.

ويروي أنه كان بينهم شاب يحمل قنبلة صوتية عرف كيف يخفيها للوقت المناسب، فلمّا أصبح بينهم وبين "القوات" مسافة رمى القنبلة أمام المسلحين، فكان لصوتها دوي هائل، وكانت ضجة وفوضى بين الجموع، نجم عنها هروب رجال "القوات" المسلحين أنفسهم متراجعين، وهروب عدد كثير من الناس أيضاً. كل من تمكن من الهروب هرب.

لكن، يصمت الراوي قليلاً ليعترف قائلاً بهدوء إن الكل يعلم أن القنابل الصوتية لا

---

(١٠٣) POH. S/SH. No.123 (235/N.26). Huda H. Interview with author. Beirut: Narrator’s house, December 2, 1998.

تقتل. غير أنه كان هناك بين الجموع طفل صغير يمشي مع أبيه وقد استبد الذعر بكليهما. خـــاف الطفـــل كثيراً من صوت القنبلة القريب المرعب، فتمسك بقميص أبيه، وفجأة بعد دقائق وقع أرضاً، ربما ارتطم بشيء أو بأحد، وربما كان ارتطامه بجدار الخوف المريع كافـــياً. لـــم يكن الراوي متأكداً من السبب، لكنه كان متأكداً من أن هذا الطفل الصغير قد مات. كيف ينسى مشهد أبيه وهو يحمله ميتاً، بعد أن كان يمسك بيده، والصغير يمشي إلى جانبه، ملتصقاً به.

لم يتمكن أحد من تعزية أهل الطفل، لأن أحداً لم يعرف حتى اسم الأب، أو العنوان.

كـــل مـــا يذكره الراوي عن والد الطفل أنه كان عاملاً مصرياً، وأنه كان يلتقيه في ســـوق صـــبرا، فيتبادلان السلام. كذلك يتذكر الراوي أن تجار الخضروات كانوا يحبونه ويتكلمون معه باللهجة المصرية: "إزيّك النهارده؟ نحنا متفقين مع بعض، كامبي ديفيد مش عايزين..."

ســـأل الراوي عن العامل المصري بعد أن عادت الناس إلى بيوتها، سأل عنه باعة الخضروات في سوق صبرا، فقيل له إنه رحل إلى مصر، ولم يعد.(١٠٤)

الحكاية الثالثة ترويها المعلمة هدى ح. التي أكدت، في الحكاية الأولى أعلاه، مقتل الطفل وأمه، وهي التي أصبحت بحكم عملها في الحقل الاجتماعي كما في الحقل التربوي مجمـــع الأســـرار والأخبار للكثيرين من أهل المخيم. وهي لم تفقد أحداً من أقربائها في المجـــزرة، لكنها كانت فقدت أخوين لها في تل الزعتر. ولا أنسى يوم قابلتها حين أجابت عـــن ســـؤالي: ما أصعب اللحظات التي مرت بك في ذلك "المارش الأخير"، أو ما أقسى المشاهد؟ بما يلي:

> هـــوّ مشـــهد واحد ما ممكن أنساه. يمكن قرأت كتير وسمعت كتير عن مشاهد أكـــتر همجـــية، لكـــن سؤالك حول اللّي أنا شاهدته. أنا متلاً سمعت إنهم قتلوا أطفال بالسكاكين، وقطّعوهم تقطيع، لكن اللّي شُفته كان أكتر بشاعة.
>
> نحـــنا لمّا كنا ماشين، يعني رايحين على المدينة الرياضية، كان هناك جرافات تجـــرف البـــيوت وتدمـــل الجثث، وشفت إيدين ورجلين على الجرافات، كانت مناظر مؤلمـــة كتير، لكن أشد المناظر ألم كان بالنسبة إلي لمّا شفت أشلاء طفل صغير على دولاب دبابـــة أو جرافة. صدقيني، كان بيبي صغير. ما ممكن أنسى هاالمنظر؛ دبابة تدعس طفل!

---

(١٠٤) POH. S/SH. No. 116 (239/T.90). "Ibrahim". Interview by Q. Massacre area: Narrator's house, August 1984.

بالتأكـيد طفل بيرضع بهالعمر ما ممكن يكون مرمي بالشارع، هادا قاتلين أمه وقاتليـنه. أو ممكن مقتول برصاص، والدبابة مشيت عليه. أنا بعرف إني بقيت شهور ما نام الليل وأنا أتخيل جبروت الإنسان.

ما ممكن.. ما ممكن يتحمل الشعب الفلسطيني اللّي صار. والله لو شفت المنظر بعيونـي كـيف صـار، لو شفت الدبابة عم تدعس على البيبي الصغير لهجمت عليها لحالي، لأنّو اللّي بيسكت عن الظلم هو شريك للظالم.(١٠٥)

الرواية السابعة والثلاثون
شهادة عن الضحية رقم ٣٦

كـل من شارك مرغماً في "المارش الأخير" تحدث عن عمليات قتل لم يحاول القتلة إخفاءها، بل على العكس من ذلك، راحوا يتقصدون جلب أنظار الناس إليها.

أمّا عن عدد هؤلاء الضحايا، فكل شاهد يشهد على ما رأى.

يقول رجل من سكان صبرا أنه لم يكن في ساعات "المارش الأخير" خائفاً على أحد من أهله، فأولاده الشباب الثلاثة يعملون في الكويت، ولا أحد منهم في بيروت كي يخاف عليه. كان خوفه على جيرانه وأبناء بلده، وكان يشعر بأن من واجبه أن يفتح عينيه جيداً ليعرف كل ما يجري حوله.

روى عـن حفـر الموت، وقال أنه انتبه لحفرتين منها، واحدة أكبر من الثانية. كما روى عـن مقتل الشباب والرجال الذين كان شاهداً على قتلهم، واحداً واحداً، وعن مقتل نساء أيضاً، لكنه يتوقف عند مقتل الضحية الأخيرة من هؤلاء، فيقول:

محـل مـا كنت أنا واقف، قريب من تمثال أبو حسن سلامة، كانت الناس كلها على بعضها البعض، كل الشارع كان لحم على بعضه. وفي واحدة مَرَه حبلى بشهرها التاسـع، بطـنها لحلقها، ومعها جوزها وطفلين صغار وبنت صغيرة. وقام واحد منهم اختارها من دون البشر، قَلْها: "تعي وليه إنت لهون. يلاّ كلكم زقفوا يا عكاريت يا ..." وراحت المسكينة تقولّو: "يا خيّي شو بيطلع مني. مش شايفني حبلى."

راح وهو يشتمها أكتر ونادى جوزها وقلّو: "تعا يا أخو ... وقِّف هون وزقِّف. يلاّ إنتِ ارقصي."

وصـاروا يرقْصـوها، ويضحكوا عليها، وبعد ما هلكوها وقعت على الأرض وعـرقها يكب كب. راح جاب جوزها وقلّو: "وطّي وْلا، وطّي وْلا. اركاع." ووطّى،

---

(١٠٥) POH. S/SH. No. 123 (235/N. 26), as above.

وركــع، حــتى صار راسه على إجريه. وهاي شوف عيني، ويشهد الله على كل كلمة منحكيها. هادا جوز المَرَه الحبلى انقتل قدّام عيونّا. في عشرين تلاتين شاهد. كلنا اللّي كنا محاوطين المَرَه شفنا هادا المشهد.

كنــت أنا عم أحسب عدد القتلى. هدول اللّي معظمهم قتلوهم بالرصاص، وفي مــنهم قتلوهم بالسكين زي ما قتلوا المسكينة اللّي راحت تغنّي لأبو عمار. أنا كنت عد كل اللّي قتلوهم قدّامنا أو اللّي شفتهم أخدوهم على جنب الطريق.

كــان فــيه خمســة وتلاتين واحدْ قتلوهم قبل جوز المَرَه الحبلى. كان هادا هوّ صاحب الرقم ٣٦.[١٠٦]

الرواية الثامنة والثلاثون

عاش أياماً ليروي ما حدث

الحــاج أبــو ســليمان، مــن سكان مخيم نهر البارد في طرابلس، كان آتياً لزيارة أقــرباء لــه في برج البراجنة وشاتيلا، وقد ألقى القبض عليه عناصر إحدى مجموعات الميليشــيات التي أقامت حاجزاً على طريق المطار، فاعتبروه "كنزاً ثميناً"؛ ضحية جاءت تسعى إليهم، فوفرت عليهم عناء البحث عنها.

عــند ذلك الحاجز الميليشِيوي، الذي لم يتمكن الحاج من معرفة هوية أصحابه، لكنه تمكن من أن يعرف بسهولة أنهم لبنانيون، قال الحاج لهم بصدق وسذاجة أنه كان متوجهاً إلى شاتيلا لزيارة أقرباء له!

يا للجريمة النكراء.. فلسطيني ذاهب إلى شاتيلا! المطلوب أن يرحل الفلسطيني عن شاتيلا إلى أي جهنم.

تــبرعوا بأخذه معهم إلى شاتيلا، فيا للتعاطف مع هذا الكهل الذي التقطوه وهو لا يدري مــاذا يجــري، ولا يتذكر فيما بعد أي يوم كان بالتحديد، غير أنه رجع لزوجته بعد أن استرد وعيه ونطقه، أنه كان يوم سبت؛ وما رواه من تفصيلات يثبت أنه كان ــ حقاً ــ ذلك السبت.

الحقــيقة أن هــؤلاء الشــباب المســلحين كذبوا عليه؛ لم يأخذوه إلى شاتيلا لزيارة أقربائه، وإنما إلى المدينة الرياضية. وكانوا كرماء فلم يحرموه المشاركة في ذلك "المارش الكبير". أنزلوه من السيارة بالقرب من مدخل شاتيلا، وأمروه بجلافة بأن يسير مع جموع الرجال والنساء والأطفال، فنفذ أوامرهم ومشى.

رأى أكواماً من الجثث، هنا وهناك، على امتداد الطريق حتى المدينة الرياضية.

---

(١٠٦) POH. S/SH. No. 16 (248/T.16), as above.

أمّا هم، فإمعاناً في إذلاله رموا كوفيته على الأرض بالقرب منه، فبقي أربع ساعات تحت أشعة الشمس الحارقة، ولا مطلب له غير أن يردوا له الكوفية كي ترد عن رأسه لهب الشمس، لكنهم ما استجابوا له.

هذا الكهل البسيط لم يكن قد استوعب بعد ما يجري تماماً. فلمّا ألح مرة أُخرى في استرداد كوفيته كان لا بد لهم من قتله، للخلاص منه. جاءته مجموعة من المسلحين، بينها مسلح يحمل سكيناً، وقد عاونه رفاقه فأمسكوا بالكهل وهم يضحكون، بينما قام صاحب السكين بمهمة ذبحه.

هكذا، في منتهى البساطة، ذبحوه. ثم رموه في حفرة قريبة، كي يموت ببطء، فيما لو كان فيه رمق من الحياة بعد.

وكان فيه رمق، وكان فيه بقية من وعي يسمحان له بأن يستوعب أخيراً ما يجري.

كلما مر مسلح بجانب الحفرة تظاهر بالموت.

لمّا تأكد من أنهم ابتعدوا قليلاً، خرج من الحفرة وركض لاشعورياً حتى وجد نفسه على مقربة من ملالة إسرائيلية، فرآه ضابط وهو ينزف، وناداه قائلاً: "إطلع يا حاج معنا، نحنا منعالجك في إسرائيل، إطلع."

في هذه اللحظات استعاد الحاج الكهل كامل وعيه، فنظر إلى الإسرائيلي، وقال: "لا.. لا". وعاد يمشي حتى هوى على الأرض من دون حراك.

لم يشعر إلاّ وهو في مستشفى أوتيل ديو، لكنه كان ممنوعاً من الكلام.

أنقذه الصليب الأحمر وأرسله مع مسعفين إلى المستشفى، مشدداً عليهم أن يبلّغوا المستشفى أن هذا الجريح الفلسطيني يخص الصليب الأحمر الدولي.

افتقده ذووه، وبحثوا عنه كثيراً، لكن لم يعثروا له على أثر، فظنوه "راح في المجزرة".

كان الحاج محبوباً ومحترماً من أقربائه جميعاً، وقد كانوا منتشرين في أكثر من مخيم في لبنان. وكان لا بد من إقامة مجلس عزاء له يليق بمقامه، غير أن أقرباءه في مخيم برج البراجنة لم ينتظروا إقامة العزاء له في طرابلس، فهم أولى بالقيام بالواجب ما دام الحاج فُقد في بيروت.

بعد عشرة أيام على ذلك السبت، أقيم له العزاء في مخيم البرج. وبينما كانت زوجته وذووه يستقبلون المعزين، جاء ساعي البريد في المخيم يسأل عن الحاجة، ويلح عليها في القدوم معه لأن هناك فتاة تنتظرها في منزله ومعها رسالة إليها. لم يكن أمام الحاجة سوى الذهاب على الرغم من صعوبة ذلك، إذ كيف تترك في ساعة كهذه زوجة الفقيد؟

هناك وجدت في انتظارها فتاة لبنانية قالت لها أنها شقيقة حنا ذياب صاحب محلات

الأدوات الصحية في برج البراجنة. وقد بادرت الفتاة إلى تعريف نفسها عن طريق أخيها كي تبعث الطمأنينة في نفس الحاجة، التي لا بد من أن تعرف هذه المحلات المشهورة في البرج، ثم طمأنتها على زوجها، فقالت لها إنه لا يزال حياً في مستشفى أوتيل ديو، لكن حالته خطرة؛ فهو يعيش على التنفس الاصطناعي.

فجر اليوم التالي، ذهبت الحاجة وابنتها لزيارة الحاج.

وتكررت زيارات العائلة لمستشفى أوتيل ديو.

مر أسبوعان، فذهبت ابنته إلى مقر الصليب الأحمر الدولي، وطلبت منهم نقله إلى مستشفى غزة الذي كان قد عاد إلى العمل، فلبى المسؤولون طلبها.

عاش الحاج نحو أربعة أشهر من دون أن يتمكن من الكلام، لكنه استطاع أن يروي كل ما جرى له بالإشارات.

وفجأة، تمكن الحاج من الكلام.

قال بوضوح ما كان ذكره بالإشارات، وقال أيضاً ما لم يكن في استطاعته قوله بالإشارات. قال إن الشاب الذي قام بذبحه كان يدعى أحمد، وأن أحد الذين أمسكوا به ورموه في الحفرة كان يدعى حسين. هكذا نادى كل منهما الآخر.

أعاد الحاج ما جرى له مرات ومرات، وزوجته تطلب منه ألاّ يتكلم كثيراً كي لا يتعب.

غير أن الحاج كان قد تعب من جور الحياة بما فيه الكفاية.

تكلم ثلاثة أيام فقط، ثم مات.(١٠٧)

الرواية التاسعة والثلاثون

حفرة الموت

المكان: قبالة السفارة الكويتية.

الزمان: الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر يوم السبت، في الثامن عشر من أيلول/سبتمبر ١٩٨٢.

المشهد العام أشبه بيوم الحشر.

جموع بالمئات تنتظر دورها للتحقيق، أو للرمي بها في حفر الموت من دون تحقيق، أو لاستكمال سيرها في "المارش الأخير" نحو المدينة الرياضية.

بالقرب من القتلة، أو المحققين كما حاولوا أن يظهروا، كان يقف الجواسيس.

---

(١٠٧) POH. S/SH. No. 96 (251/N.18). "Um Sulaiman". Interview with authour. Massacre area: Friend's house, August 3, 1983.

كان هؤلاء الجواسيس من سكان صبرا وشاتيلا.

وكـــان هناك لاندات تقف بعيدة نسبياً، على أهبة الاستعداد لنقل "المغضوب عليهم" بعد التحقيق الذي ما كان ليتعدى دقيقة، أو دقيقتين، أو ليتجاوز هزة رأس من جاسوس أو اثنين، إلى المجهول.

وكان هناك ليس بعيداً عن التحقيق، وغير بعيد عن مرمى نظر الإسرائيليين بالعين المجردة، أكثر من حفرة أطلق عليها الشهود حفر الموت.

هـــناك، في المكان نفسه، في الصباح الباكر من يوم الجمعة، شاهد جندي أو ضابط إسرائيلي القتلة يأمرون أمهات وأطفالاً بالنزول إلى إحدى تلك الحفر (راجع الرواية الثالثة والثلاثيـــن: "قرب السفارة الكويتية")، فسارع يصرخ عليهم كي يتوقفوا عن ذلك، فتوقفوا. أمّا يوم السبت، فلا يبدو أنه كان هناك أحد كي يوقف عمليات قتل جماعي مماثلة للشباب والرجال.

كـــان هـــناك في ذلك المكان حفرتان متوسطتان، وحفرة كبيرة لتستوعب الكثير من "المغضوب عليهم"، ولكن .. إلى المصير المعلوم لا المجهول.

الموت على لائحة المعلوم.

والخطف على لائحة المجهول.

هـــناك خلاف في أن تكون كبرى الحفر الثلاث تلك قد تكونت بفعل قصف الطيران في حرب الاجتياح، أو بفعل الجرافات، وهي في الحالة الثانية تكتسب أهمية كونها صُنعت خصيصـــاً للهـــدف المعلوم، لكن بعض الشهود المحللين يفضل الجمع بين السببين، فيقول إنهـــا كانـــت بفعل قصف الطيران أولاً، ثم بفعل الجرافة ثانياً. أي أن الجرافة قد أضافت إليها، أو بالأحرى أنقصت منها.ولم تضف، فقامت بمهمة توسيعها كي تتمكن من استيعاب أكثر عدد ممكن من "المغضوب عليهم"، نحو المصير المعلوم.

هناك حفر كثيرة متشابهة روت عنها نساء ورجال، في أكثر من مكان. لكن روايات جميع الرواة الذين أنقذتهم العناية الإلهية، فلم ينزلوا إلى تلك الحفر، لسبب أو لآخر، كانت عـــن عدم النزول لا عن النزول. أمّا غيرهم من الذين نزلوا فعلاً، فما عاد في إمكان أي منهم أن يتحدث.

من أعماق تلك الحفرة الكبرى، تكتسب رواية الحاج محمود أهميتها؛ فهو الوحيد ــ بحسب ما نعلم ــ الذي نزل إلى "حفرة الموت" وخرج منها. ولذلك تكلم.

اعتقد الحاج قبل أن ينزل أنه بدشداشته البيضاء، وبأعوامه الخمسين، وبذقنه الطويلة، وبالكوفية على رأسه، وبالسبحة في يده، أنه معصوم عن تهمة "مقاتل" في صفوف فتح أو الجبهة الشعبية أو أية جبهة أُخرى. لكنه كان مخطئاً في اعتقاده. وجل من لا يخطئ.

بيـــنما الحاج يعدّ حبات سبحته، وبينما كان على وشك ترداد آيات كريمة في سره، سمع القاتل أو المحقق يقول:

"تعال.. إنت تعال.. وْلا يا حاج. شو بتشتغل وْلا حاج؟"

كـــان الحاج قد حج بيت الله الحرام مرتين، وعلى حسابه الخاص. وكان امتهن في حـــياته مهـــناً متعددة، من العمل في مرفأ بيروت، إلى الدهانة، إضافة إلى انخراطه في الجيش المصري سنة ١٩٤٨ دفاعاً عن فلسطين؛ فبماذا يجيب؟

لا يتذكر الحاج سوى أنه قال بعفوية:

"خادم بيوت الله".

وسأل هذا المحقق زميلاً له: "شو هاالشغلة هاي؟ شو يعني خادم بيوت الله؟"

فرد عليه الزميل الآخر، أو المحقق الآخر: "يعني خادم الكنيسة والمسجد."

لـــم يـــتكلم المحقق الأول، وإنما قام بحركة معيبة في يده، وكان الطابور قد أصبح قريباً من الحفرة الكبرى أو الحفرة الرئيسية كما يردد الحاج، ثم "تكرم" ودفع بنفسه الحاج إلى تلك الحفرة.

يروي الحاج:

كـــان في ١٧ واحد قبلي بالجورة، وأنا كنت ١٨. ما تسألوني كيف عدّيتهم. أنا بـــالعد سريع. وأنا نازل كنت عرفت إنهم ١٧ واحد. كانت الجورة بشكل دائري، بكسم صحن. كيف شكل جاط الشوربة الغميق على السفرة؟ كانوا طامينها رمل، والرمل ما مبيـــن رمـــل، كـــان صاير متل العجين الجامد قد ما قاتلين في الجورة ناس. والوحل بـــأرض الجورة يا ريته ناشف، كان طري من كتر الدم. وكان قريب من الجورة أربع ملالات من نوع الملالات العسكرية مش المجنزرة، لكن نص المجنزرة، متل الملالات اللّـــي مـــع الجيش الإسرائيلي. فيه مِنْ قدّام دولابين ومن ورا جنزير ملزقينهم بضهر بعض، بضهر بعض..

شـــوب يومـــتها، نار حريق جهنم يومتها، والعرق يكدنا كد. كنا من الصبح عم نمشـــي، وهلّـــق كانـــت الســـاعة صارت تقريباً ١١. كان الطابور عم يمشي للمدينة الرياضـــية، وأنـــا وحـــدي أخدنـــي هاالزلمة على الجورة وصار يدعس على راسي، ويقولّي: "يا ويلك يا أخو هيك وهيك البعيد إذا بترفع راسك سنتمتر واحد، لحتى خلّيك مـــتل المـــنخل." معو كلاشن ومخزنين. شو بدّي أحكي. أنا خلص تشهدت. من آخر المخـــيم مـــن حد ما طلّعوني وعم إقرأ أوراد في سري. أخلص من ورد أستلم ورد، ومسلِّم أمري لربنا سبحانه وتعالى، ما في مهرب خلص.

أصعب شي شفته، بقْصد أصعب شي مر عليِّ إني كنت رح أختنق من الريحة،

مـن ريحة التراب المجبول بالدم. ريحة دم بني آدم زنخة بشكل لا يوصف. كيف بدّي أوصـفها، مـتل ريحة الغاز لمّا تكون القنينية منفسة، أقوى منها. يعني الريحة تفوت علـى المعـدة تحـس كل شي فيك عم يقلب. وما قادر أتحرك هيك وهيك، كان فوق راسـي، كانـت رجلـه بالـبوط عم تكسرلي راسي. الله لا يوفقه بجاه النبي محمد. الدشداشة بعدها كلها دم من الأرض. بعدني تاركها.

وكان يرجع يصيح فيّ: "خلّي بيت الله ييجي يفيدك يا أخو هيك وهيك." ويرجع يسـألني تانـي: "قلتلّي شو بتشتغل؟ خادم بيوت الله؟ طيب و'لا.. شو إسمك؟" وراحت منـي عفوية، قلتلّو: "إسمي محمود حسن". ما قلتلّو إسمي الحقيقي. وما بعرف ليش ما قلت إسمي، وأنا على حفة الموت.

آه.. في شي كتير مهم لازم خبّره. أنا وعم أنزل بالجورة ضَرَبْت عيني بواحد أنا بعرفو وهو ولد صغير. إسمه الياس. وكنت أنا شاغل مع أبوه، وهنّي في الزمانات جايين على بيتي، وأنا رايح عندهم على بيتهم، وآكل وشارب، وأبوه بعزّني كتير. لكن مـع ذلك كان أبوه مع الكتايب، فلمّا تغيرت الدنيا ما عدت شفته. ومرت سنين. وكبر الـياس. وهلّـق كـان واقف مع شباب كتار من القوات مع شي عشرين مجنزرة، لأ، المظبوط نص مجنزرة، وكلها مصفوفة على الشارع.

طـبعاً أنـا عرفـته بـس عيني ضَرَبْت على عينه. لكن كنت أداري حالي منه. وحسيت أنا إنّو هوّ كان يتطلّع فيّ مظبوط، ويمكن يسأل حاله إذا كنت أنا ولاّ مش أنا.

وما سمعت غير صوت الياس عم بقلّو: "دخلك يا روبير، ببوس إجريك، دخيل إختك، يستر على خيّاتك، دخيل رجليك." راح قلّو: "ولك شو بيك يا لِلّو؟" أنا لمّا قلّو يا للّو، فهمت إنّو هوّ بذاته الياس، بس صاير شكله شاب جسيم. صاير كبران كتير. قلو: "هاالخدمـة يا روبير." قلّو: "شو بيك؟" قلّو: "هَيْدا الحاج، آخر واحد، دخيل إختك هَيْدا مربينـي، وحـياة عرضـي وعرضك رايحين على بيتهم أنا وبيّي وإمي وآكلين خبز وملح. ما بنسالك ياه هاالجميل. دخيل عرضك يا روبير."

يـا روبـير! هَيْدا الاسم ما بنساه طول حياتي. الله لا يوفقه. راح قلّي: "قوم يا أخـو الهـيك والهـيك، أخـو الشرموطة." نكشني وخلعني من كتفي، رحت ارتميت بـالأرض. قلّي الياس قوم خلّصني اركض ما في حدا هلّق. ومشينا. كان هداك، الله لا يوفقـه، صرلو شي تلت ساعة عم يدعس على راسي ورقبتي ويذلني. وكان الطابور قدّامنا كله ماشي على المدينة الرياضية. ومشينا أنا والياس حتى نلحق بالطابور.

ومـا مشيت أول خطوة والتانية والتالتة حتى سمعت صوت القواص "تو تو تو تو تو ...". درت وجهي على الجورة، ورحت أنا واقف ومتجمد. كانوا عم يقوصوهم

كلهــم. جمدت خلاص. قلت هلّق رح يرجع ويكمِّل عليّ وأنا ماشي. أنا شفتهم بعيوني كيف قتلوا التمرجي وهو داير ضهره. وكيف ممكن أقدر أمشي؟ وما شفت غير الياس عم بشدني وبِقلّي: "ما تتلفت وراك، يلاّ امشي."

أنــا كنــت عــم أمشــي غصبن عني. كنت حاسس كإنّو ضهري مكسور من ضــربات بوطــو لروبــير اللعين. الله لا يوفقه. وقلّي الياس على الطريق وهو ماسك إيدي: "هلّق بيستلموكم الإسرائيلية ما حدا بقرّب صوب منكم."

وتركني الياس.

وصــرت عكّــز حالي شوي لوصلت للطابور. ولقيتهم واقفين ودايرين وجوهم لجهة بيوت الضباط مقابل المدينة.

وشو طابور؟

من عند الردم جنب السفارة لعند المدينة كان الطابور.(١٠٨)

ب ـ هؤلاء.. خطفوهم

في هذا اليوم الأخير لم يعد سراً أن الخطف كان عملية متواصلة طوال اليوم، وأن ســيارات الشــحن العسكرية والجيبات تنتظر على جوانب الطرقات المحيطة، لحمل كل هؤلاء المخطوفين، إلى المجهول.

لــم يكــن هــناك أي قاعدة للخطف: بعضهم خُطف بعد وقوفه دقائق أمام "محكمة شــكلية"؛ وبعضهم أُجبر على الزحف أو القفز كي يقرر المحقق المراقب مِنْ كيفية زحفه وقفزه كم هو مخرب!!؛ وبعضهم لم يوجه إليه سوى سؤال أو اثنين في خضم المجزرة ثم طُلــب منه التوجه إلى هناك؛ وبعضهم كانت هزة رأس من مخبر كافية لجره إلى إحدى الشــاحنات؛ وبعضــهم خُطف حتى من دون أي سؤال، أمام أعين ذويه وجيرانه. وهكذا خُطــف سامي شاكر نطط يوم السبت. فقد كان مجبراً على السير مع أبيه وذويه وجيرانه فــي "المــارش الأخير"، ولمّا اقتربت المسيرة من محطة الرحاب، كان واضحاً أن وجهة القــتلة هي السفارة الكويتية، غير أنه لمّا مرت سيارات للقتلة بالطريق توقفت فجأة، ودفع من فيها الشبان فقط من الجموع وحشرهم في السيارات. لم يستطع أحد أن يسأل إلى أين أخذوهم؟ ولماذا؟

كان شاكر نطط واحداً من الجموع المنساقة على ذاك الطريق، وكان إلى جانبه ابنه الشــاب سامي. وهكذا.. استمر الأب الراوي، شاكر، يجر قدميه في المسيرة نحو السفارة

---

(١٠٨) POH. S/SH. No. 16 (248/T.16), as above.

الكويتية، بينما أُخذ ابنه سامي إلى المجهول الذي ما زال مجهولاً.(١٠٩)

الروايتان أدناه، جرت كلتاهما يوم السبت: الأولى جرت صباحاً، والثانية عند الظهر.

الرواية الأربعون

كان معروفاً باسم "عثمان"

لم يكن "عثمان" اسمه الحقيقي ولم تكن جنسيته فلسطينية، ولم يكن مقاتلاً. ومع ذلك خطفوه في ذلك السبت، وبالقرب من مستشفى غزة.

كان "عثمان" محبوباً من كل العاملين في المستشفى، لأنه كان مهذباً لطيفاً مع الجميع، ولأنه كان من بلد "كونتا كونتي"؛ كان إفريقياً أسود اللون.

للأسباب نفسها التي أحبه الفلسطينيون من أجلها، قام الآخرون بخطفه.

ربما كانت جريمة "عثمان" الكبرى أنه ظن أن جنسيته البريطانية تحميه من القتلة. سامحه الله على جهله. لم يكن صاحب تجربة. لم يكن يعلم أن لا قيمة للجنسيات وجوازات السفر على أرض المجازر، حيث الجنسيات لا يحددها غير المكان.

اعتبره القتلة "إرهابياً" كـ "الإرهابيين" الذين جاء ليسكن بينهم وليعمل معهم.

لم يكن "عثمان" إرهابياً، وإنما كان مسلماً مؤمناً بالله ورسوله، ولذلك أطلق عليه رفاقه في مستشفى غزة وفي شاتيلا اسم "عثمان". ولم يكن اسم "عثمان" مطبوعاً على جواز سفره البريطاني، لأنه ليس اسمه الحقيقي. وبالتأكيد لم يكن هناك أي ذكر لانتمائه الديني على جواز سفره. فماذا جرى له حقيقة؟

لا أحد يعلم. ربما قال "عثمان" عن غير قصد: "باسم الله الرحمن الرحيم"، أو ربما قال كعادته: "الله أكبر"، ربما.

قال صديق له عمل معه في مستشفى غزة:

> كان عثمان بيشتغل معنا بالإنشاءات. كان قبضاي. كان متفائل وضحوك. وكان يحكي عربي منيح. وأنا بتذكّر قلتلّو إنّو يطلع مع خروج المقاتلين، وسألته إذا كان معقول مش خايف يبقى بالبلد. وحاولت إقنعو إنّو بعد ما يخرج مع المقاتلين بيقدر يروح على أي بلد ما دامت جنسيته بريطانية. لكن كان دايماً جوابه إنّو بيقدر يسافر

---

(١٠٩) Shibli Mallat, Luc Walleyn and Michael Verhaeghe, "The Lawsuit made by a number of the Sabra and Shatila massacre survivors against Sharon and other parties responsible for the Sabra and Shatila massacre of 1982 to the Belgian judiciary" (Brussels, June 18, 2001).

وقت ما بريد. وعيب يتركنا ونحنا في عز ورشة التعمير، ويسافر.

يوم السبت، لمّا إجو ولمّوا الناس من الشارع من صبرا أخدوه معهم، قلْهم: "أنا بريطاني". قلولو: "يلاّ امشي قوام بلا كلام."

راح عـــثمان. ركّبوه بالسيارة وراحوا. وكل اللّي كانوا مركبينهم معه بالسيارة ذاتها راحوا وما رجعوش. وعثمان ما رجع.(١١٠)

شـــاب آخر يعمل في الهلال الأحمر الفلسطيني كان يعرف "عثمان"، وكان بين الجموع يستمع إليهم، بالقرب من تمثال أبو حسن سلامة:

ســـمعتهم ســـألوه: "إنت شو بتشتغل؟ كهربجي؟ وفي مستشفى غزة؟ نحنا لازم نفحـــص دمّك ونعرف دمّك من أي نوع. إنت واحد من المرتزقة. لازم نفحص دمّك. يلاّ اطلاع وْلا، اطلاع."

كـــان قريـــب مـــنهم سيارات جيب عسكرية حمّلوا فيها العشرات وخطفوهم. وعثمان راح وما رجع.(١١١)

كـــان "عثمان" يعتقد أن ما من أحد يقبض عليه، لكونه من الذين توجد لهم سفارات تسأل عنهم. وقد قال هذا الكلام لأصدقائه مراراً.

خطأ "عثمان" الجسيم، والأخطاء الجسيمة لا يفصل بينها وبين الأخطاء العادية سوى شعرة أحياناً، أنه ما خطر على باله أنه قد يقتل أو يخطف قبل أن تعلم سفارته.

لا أحد من أصدقائه يعلم إن كانت السفارة البريطانية علمت، حتى فيما بعد، بخطف "عثمان". وحين سألت هؤلاء الأصدقاء لماذا لم يقوموا هم بإعلام السفارة، أجابوني: "نحنا ما عمرنا عرفنا اسمه. كنا كلنا نناديه يا عثمان."

الرواية الحادية والأربعون

محكمة المجازر

الرواية عن خطف شاب في ذلك السبت الأحمر.

والـــراوي شـــاب كان يقف في الطابور، بالقرب من تمثال أبو حسن سلامة، وكان جاراً للشاب المخطوف.

يقـــول الـــراوي إنهم كانوا ينادون على الناس، على الشباب، يصرخون على واحد

(١١٠) POH. S/SH. No. 111 (243/T. 87), as above.

(١١١) POH. S/SH. No. 54 (230/T. 53), as above.

منهم، فيتوجه نحوهم، ويختفي وراء التلة. يشاهده الأقربون في الطابور وهو يُحَمَّل في أحد اللاندات، وما إن يمتلئ اللاند، أو الشاحنة، ويدور المحرك، حتى يغيب الشباب ذلك الغياب الذي يضاهي الموت وحشة واغتراباً.

كان أعضاء الفريق الأول، أي فريق الخاطفين، يرتدون ثياباً عسكرية ويضعون شارة M.P. على أكتافهم، وكانوا بسلاحهم الكامل. الواحد منهم يحمل بندقية M 16، وهناك أيضاً دوشكتان، وبلطات. وقدر الراوي أن ربع المسلحين الذين رآهم كان يحمل بلطات.

يقول:

هناك.. عند تمثال أبو حسن سلامة، كانوا عم يكمشوا الناس.

وقّفونا واحد واحد بالصف. وأنا قدّرت إنّو نمرتي بالصف شي ١٠٠، لأنّو قدّرت بحدود مية شخص قبل مني. وكان واقف أمامي إبن جيرانّا بصبرا، من الطوال، وشعراته مكزبرين، وأسمراني. وكل الناس قبلنا اللّي واقفين بالصف كانوا معظمهم شباب، وفي شوية رجال أكبر بالعمر.

ولمّا تطلّعت للخلف، يمكن قدّرت في أكتر من شي ألف واحد واقفين. وكانوا بعدهم ما فرّقوا فلسطيني عن لبناني. وأنا قلت إذا هلّق فرّقوا، قبل ما يجي دوري، يعني الموت دغري. وكان وراي شباب لبنانية مش مهتمين. قال واحد منهم لصاحبه: "أكيد نحنا لبنانية ما رح يعملولنا شي."

وصل دور إبن جيرانّا. ووقف هوّ. وكانوا هنّي قدّامنا واقفين شي تلاتين شي أربعين واحد. كانوا كلهم واقفين، بس في واحد كان قاعد على كرسي. قاعد على مصطبة عالية. وكان أي واحد من التلاتين أربعين بيخطر على باله يقول للواقف قدّامهم: "تعا لهون وْلا"، كان على هذا المطلوب إنّو يلبي الأوامر ويطلع لفوق التلة.

وكانوا على مزاجهم. يعني كانوا يْعَيْطوا للواحد بشكل مزاجي. ما يعرف الواحد إذا بِعَيْطولو ولاّ لأ. إبن جيرانّا راحوا نادوه، فقرّب منهم.

لكن أنا لمّا راح نادى على إبن الجيران، وقلّو: "تعا وْلا"، أنا فكّرت عم يْعَيِّطلي. قرّبت وصار قلبي يدق من الرعبة. راح قلّي: "شو دَخْلك وْلا إنت؟ مين عم يحكيك؟ أنا عم عَيِّط للتاني هيداك ضَرّيب الـ B7 ." وتلفت لزميله وقلّو: "هيدا ضرّيب من الدرجة الأولى. جيبوه."[١١٢]

يقول الراوي إن ابن جيرانه لم يكن "ضَرِّيب" B7 قط؛ كان يعمل في حدادة السيارات، وكان المعيل الرئيسي لأسرته. كان له سبعة إخوة أصغر منه، فكان يشتغل

---

(١١٢) Ibid.

ليساعد أباه الذي كان قد هدّه العمل. كان عمره في الثامنة عشرة، وكان فلسطينياً من عائلة ناصر.

ويكمل الراوي الرواية:

> أنا لاحظت في اتنين عم يعطوه أوامر. واحد منهم قلّو: "انزيل وْلا هون".
>
> في جورة كانوا حافرينها، وكان فيها ناس مرميين. فيها هدول اللّي كانوا ميتين. وفي تلة فوقها، يعني هاي التلة وهاي الجورة، كانت الجورة تحت التلة تمام.
>
> لكن بعد ما واحد قلّو ينزل على الجورة، راح التاني قلّو: "روح لهونيك. يلاّ لهونيك." يعني بيقصد على راس التلة.
>
> أنا تطلّعت على الجورة لقيت كتير شباب نايمين. وفي شباب كانت لسّا عم بتلعبط بقلب الجورة. وكان كمان ناس نايمين على الأرض على راس التلة. وكانوا اللّي نايمين على التلة يمكن ما قوصوهم بعد، ويمكن قوصوهم وفي منهم ميتين، أنا كنت سامع أصواتهم: "دخيلك بديش أموت. دخيل الله. دخيل محمد."
>
> إبن جيرانّا صار يلعبط كمان. رجع واحد منهم قال للتاني: "لأ.. لأ.. جيبوه هيدا. ليه نيمتوه هيك. جيبوه. تعا إنت لهون تعا."
>
> ساعتها تطلّعت فيه أنا وما عارف هاي آخر تطليعة رح شوفو فيها. تطلّعت لشوف وين أخدوه، شفتهم وقّفوه على مصطبة ووجهه صوب المطار. كان فيني شوفو منيح لأنّو ما كان أكتر من اتناعشر متر بيني وبينه. لكن ما عرفت شو عاد صار فيه.(١١٣)

عندما جاء دور الراوي بعد لحظات وسألوه السؤال التقليدي: "لبناني ولاّ فلسطيني؟" قال لهم وهو يخفي رجفته: "لبناني".

ولمّا سألوه عن الهوية، ادعى أنه نسيها في البيت.

الواقع أن البطاقة كانت في جيبه، لكنهم لم يلحظوها حين ضربوه للتفتيش عما لديه. سرواله سميك القماش للعمل، وقد عرف كيف يخبئ البطاقة في أعماق الجيب. وهو عندما طلبوا منه الاقتراب، اكتشف شيئاً جديداً وهو يقترب، لم يكن قد تنبه له وهو يراقب ابن جيرانه؛ فقد اكتشف وجود ثلاثة جواسيس لم يعبأ أي منهم بإخفاء هويته. كانوا ثلاثتهم مكشوفي الوجوه، وكان كل منهم يعطي رأيه في المعروض على التحقيق. وقد عرف أهل المنطقة هؤلاء الثلاثة، وهم فلسطيني ولبنانيان. وشاءت أقدار الراوي أن يقول كل من الثلاثة بهزة من رأسه أنه لا يعرفه، وكان في هذا خلاصه.

غير أن خلاصه من الحفرة التي رأى فيها شباباً يصارعون الموت، وخلاصه من

---

(١١٣) Ibid.

الخطــف كمـــا كان مصير ابن جيرانه، لم يكن يعنيان خلاصه النهائي. فقد كان عليه أن يجتاز امتحان الركض والزحف، وقد رحب به أحدهم وهو يربت على كتفه بعنف: "أهلاً بالبَندورة.. أهلاً." وأسقط في يده، وعرف أنه هالك لا محالة. لكنه سرعان ما سمع مسلحاً آخــر يقــول للأول: "لا يا طوني، اتركه هيدا مش من جماعة البَندورة، لكن بدنا نطعميه قتلة مظبوطة لأنو قاعد بين جماعة البَندورة."

و"أكل القتلة المظبوطة".

لكنهم لمّا قالوا له أن "ينقلع" ويرجع إلى الطابور، "انقلع" بسرعة وعاد إلى الطابور. ومشى مع الماشين إلى المدينة الرياضية.(١١٤)

نجــا الــراوي مــن المــوت، ونجا من الخطف، لكنه لم ينجُ من طيف عذاب في الضمير.

لمّا سألوه: "لبناني ولاّ فلسطيني؟" أنكر أنه فلسطيني.

ذاك كان عذابه الأول.

أمّـــا عذابـــه الثاني فهو أنه لم يتمكن من أن يسمع ما قالوا لابن جيرانه. كان وجود فاصـــل من اثني عشر متراً كافياً ليسمح له برؤية ما يجري، لكنه لم يسمع الحوار تماماً. يقول أنه سمع بغض الأشياء، أو هكذا تهيأ له، وغابت عنه أشياء.

غاب عنه أن يعرف كيف تأكدوا أنه "ضَرِّيب" B7. لكن المعضلة حلت حين قال له صـــديق آخــر فــيما بعد: " لكن صاحبك أنا بعرفو ما بيعرف كيف يحمل B7، يا ريتهم امتحنوه..."

كانت الإدانة حكماً مسبقاً مبرماً حتى قبل أن ينادوا عليه، ألم يكن كما وصفه الراوي "من الطوال، وشعراته مكزبرين، وأسمراني"، يعني بكل صراحة "فلسطيني".

كثـــيراً مـــا نـــام الــراوي بعد تلك الأيام التي لا تنسى، كي يستفيق مبللاً بالعرق وصائحاً: "أخدوه قدّام عيوني.. أخدوه."

لـــم يكن ابن جيرانه المعيل لأسرته وحده من أخذوه أمام عينيه، لكنه لم يكن يعرف الآخريـــن. ابن الجيران كان يعرفه ويحبه، وما كان سهلاً عليه أن ينسى لحظة غاب عن عينـــيه. ربما سألوه: "لبناني ولاّ فلسطيني؟" كما سألوه هو، لكنهم لو سألوه لأجابهم حتماً بأنه "فلسطيني". وربما لم يسألوه. إذاً لماذا خطفوه؟

ولا يعـــود الـــنوم إلى جفون الراوي المعذب. يستغرق في تفكيره. حتى لو ثبت أنه "ضَـــرِّيب" B7، فهـــذه ليست تهمة لمن كانت أرضه قد سرقها منه الأعداء وأقاموا عليها دولة. نقول حتى لو ثبت ذلك، وهو ما لم يثبت، وفي الحالتين، ثبت أم لم يثبت، من أعطى

---

(١١٤) Ibid.

ذلـــك الجالس على المصطبة الحق ليحاكم العباد؟ من نصّبه رئيس "محكمة ميدانية"؟ وأية محكمـــة تلك التي تقام وإلى جانبها على بعد أمتار حفر القتل والموت؟ ومن ورائها على بعـــد أمـــتار تلـــة التعذيـــب والخطف؟ وأية أحكام تكفيها دقائق عشوائية وهزة رأس من جاسوس لإصدارها؟

ويبقى السؤال:

لماذا اعتقلوه؟ ابن عائلة ناصر؟

وبلغة المجازر، لماذا خطفوه؟

ويبقى السؤال بلا جواب.

وتبقى الرواية بلا نهاية.

هـــناك لائحـــة بأســـماء الضحايا والمفقودين، صادرة عن دار الفتوى اللبنانية سنة ١٩٨٣، وفيها اسمان لشابين مخطوفين من آل ناصر، هما حمزة وتيسير.[١١٥]

وهـــناك ضمن لائحة لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين الصادرة في السنة نفسها، اسم "جمال إبراهيم ناصر"، وقد ورد الاسم في خانة "من جنسيات مختلفة".[١١٦]

وقد نشرت جريدة "السفير" لائحة لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين.[١١٧]

في التحقيق الذي أجريته خلال ١٩٩٨ ــ ١٩٩٩، عن مصير المخطوفين، زار أحد أعضاء فريق العمل منزل إبراهيم ناصر. وكان سؤال، وكان جواب:

جمال إبراهيم ناصر لم يعد بعد.[١١٨]

خامساً: في المدينة الرياضية

كانـــت المديـــنة الرياضـــية موقعـــاً شـــبه مشترك بين عناصر الميليشيات والجيش الإســـرائيلي. ففي اليومين الأولين كانت مراقبة ما يجري في ساحات المدينة وملاعبها من أيســـر الأمـــور بالنسبة إلى الجانب الإسرائيلي. وقد مر عبر الصفحات السابقة ما جرى من قـــتل وتعذيب في هذه المدينة، وكم كان فيها من حفر للموت، ومن حقول للألغام لم يتورع الميليشيويون عن دفع الناس للمشي فوقها. أمّا في هذا البند فنبتدئ بما جرى في ملاعب هذه

---

(١١٥) دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية، "أسماء المخطوفين والمفقودين من اللبنانيين ــ الفلسطينيين ــ جنسيات غير مسجلة"، ١٩٨٢ - ١٩٨٣.

(١١٦) لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان، "لائحة بأسماء المخطوفين والمفقودين في لبنان"، ١٩٨٢ - ١٩٨٣.

(١١٧) جريدة "السفير"، ١٩٨٢/١٢/٢٩.

(١١٨) سجل الدراسة الميدانية لصبرا وشاتيلا (ملحق)، "مصير المخطوفين"، ١٩٩٨ - ١٩٩٩.

المديـــنة منذ ظهر يوم السبت، أي منذ شروع الإسرائيليين فيها في تحقيقاتهم واستجواباتهم. فمســـاحة المديـــنة الرياضـــية كانت وحدها قادرة على استيعاب المئات من السكان، والذين وصلوا إلى الآلاف قبل انفجار لغم أدى إلى تمكن الكثيرين من الهرب، كما ذكرنا سابقاً.

كانـــت تجـــرى في المدينة الرياضية التحقيقات الأولية من قبل الإسرائيليين؛ فهناك تـــوزع محققون وجواسيس بين السكان. أمّا قبالة المدينة، على الجانب الآخر من بولفار مديـــنة كميل شمعون الرياضية، فكانت تجرى التحقيقات المركزة من الدرجة الأعلى. فقد كانـــت القيادة الإسرائيلية اتخذت من مبنى اليونسكو مقراً للاستخبارات وللتحقيقات، فكان الذين يشك في أمرهم يساقون إلى هناك، حيث يحقّق معهم في العراء، تحت أشعة الشمس الحارقـــة، وفـــي جوف حفر كبيرة كان قصف الطيران الإسرائيلي قد أوجدها في الباحة الواسعة الملاصقة للمبنى من الجهة الشمالية.

يـــتحدث الحاج محمود عما جرى معه يوم السبت ظهراً، وبعد أن كان الإسرائيليون قد أطعموهم خبزاً وتفاحاً وأسقوهم ماء:

> لكن مين إلو نفس ياكل. أنا أخدت شقفة خبز لأني على الريق، حلقي كان راح وكنـــت حاســـس شراييني نشفوا على قد الشوفات اللّي شفتها. وأنا كنت أشرب دخان، ومـــن نعمة الله إنّو كان معي علبة. كان الخبز حاف معجون بحليب، قعدت أمضغ فيه وأشرب مي حتى انبلعت اللقمة معي...
>
> بعـــد نـــص ســـاعة ما لقينا إلاّ أجو دبابتين وسيارات عسكرية وسيارات مدنية إسرائيلية. أنا تطلّعت على ساعتي كانت ١٢ أو ١٢ وربع، مش أكتر.
>
> مـــش هادا هو شارون القصير وراسه كبير وكرشه قدّامه؟ أنا شفت واحد أبداً شكله شارون أجا، والدبابات وقفوا بكل انتباه، لكن أنا ما عدت اتلفتّ بعد ما شفت إبن حمدان، إبن رجب حمدان.
>
> هـــادا الشـــاب كـــان أبـــوه تطوّع معنا مع قوات الجامعة العربية، في الجيش المصري، لكن بعدين هرب وراح على إسرائيل، وصار ضابط مخابرات كبير، وهلّق مشلول في يافا.
>
> إبن رجب كمان ضابط مخابرات وكان حاطط نضّارات سود، وأنا بعرفو منيح لأنّـــو أنـــا قـــبل الاجتياح بسنتين رحت بزيارة على الضفة، عند بيت أخوي، وشفناه. عـــندهم مكتب تاكسي على الطريقة الحديثة. كان الأب من قبلو مخابرات، وهلّق إبنه. أنـــا ما بذكر إسم الإبن، لكن بعرف إنّو مولود بيافا. وما كان لحالو إبن رجب حمدان، كـــان فـــي غـــيره جواســـيس، كان واحد أشوح، وواحد بيضلّو يضحك، وواحد دهان صبابيط.

طـبعاً مـا كان في كراسي نقعد عليها. كنا متفرقين بكل المطارح، واحد قاعد علـى كيس فاضي، وواحد على كيس في تموين، وواحد على حجر، لكن لمّا وصلوا المخابـرات قلولـنا كلنا نتجمع في محل واحد، ورحنا وتجمعنا. هلّق صرنا بس واحد مـن أصحاب النضارات السود يأشّر بإصبعه لواحد منا، عليه يتقدم. أول واحد أخدوه شاب إبن عمي وأخو مرتي.

قلّـو: "شـو إسمك؟" قلّو: "محمد المصري". قلّو: "شو إسم أبوك؟" قلّو: "توفيق المصـري. وأبـوي متوفـي." قلّو: "قديش عمرك؟" قلّو: "١٩ سنة". سأله: "أبوك من وين؟" قلّو: "من يافا". راح بِقلّو وهو عم يتبسّملو: "وأنا كمان من يافا."

كان اللّي عم يسأل هو إبن رجب حمدان. رجع قلّو: "ما تخاف حبيبي. إنتو وين ساكنين؟" قلّو: "بشارع صبرا". قلّو: "صُوب وين؟" جاوب: "صُوب جامع الدنا زاروب الديك." وكان آخر سؤال: "إنت شو بتشتغل؟" قلّو: "عندي كاراج".

كاراج؟

شو هاالمهنة التهمة؟ ما لحق قال عندي كاراج، صاح فيه: "برّا. اطلاع برّا".(١١٩)

بيـنما كانت التحقيقات مستمرة، كانت أعداد كثيرة تصل إلى المدينة الرياضية من اللبنانيين الذين أوقفوهم في الملعب البلدي، وقد وصلوا نحو الساعة الواحدة، وكان عددهم ما بين سبعمئة وثمانمئة، وبينهم فلسطينيون. وكان العدد في تصاعد مستمر.

كـان يُطلـب مـنهم المجيء إلى المدينة الرياضية كي تختم هوياتهم. لكنهم حالما يصلون تُطرح عليهم الأسئلة. أمّا حين كان يُطلب أحد الواقفين للتحقيق، فكانت إشارة من إصـبع المخـبر كافية لجلبه. وكانت النتيجة أن طلب من بضع عشرات فقط من هؤلاء الـتوجه نحو مركز التحقيق المقابل في مبنى اليونسكو. أمّا الآخرون، فطُلب من معظمهم فـي نحو الساعة الثالثة من بعد الظهر أن يذهبوا إلى بيوتهم وأن يعودوا في اليوم التالي كي تختم لهم هوياتهم.(١٢٠)

وبيـنما كانت الناس كيوم الحشر، كان ثمة ضابط إسرائيلي يمسك بمكبر صوت في يده ويصرخ على كل من كان لديه سلاح ومتفجرات كي يتوجه نحو ملعب كرة القدم، ثم يحثهم على السرعة مؤكداً: "ما تخافوا. ما رح نعملكم شي. ما رح تتعرضوا لأي خطر." ثم ختم بقوله: "أول وآخر شنص. إذا ما بتنظف البلد، ما بتنظف للأبد."(١٢١)

---

(١١٩) POH. S/SH. No.16 (248/T.17), as above.

(١٢٠) Ibid.

(١٢١) Danish cameraman et al., The Massacre Video.

سهام بلقيس، من اللواتي مشين يوم السبت حتى المدينة الرياضية، روت كيف أخذ عناصر من جماعة سعد حداد، بعد انفجار اللغم وهروب من هرب وقيام الفوضى، يصيحون على النساء كي يذهبن إلى بيوتهن؛ فالتحقيق مع الرجال وحدهم. غير أنها لمّا رأت أخاها الشاب، صلاح، مع الواقفين للتحقيق، لم تذهب وبقيت لتراقب ما سيجري لأخيها والشباب. وعادت تسمع أوامرهم الموجَّهة إلى الشباب بالتجمع في ملعب كرة القدم، كانوا وكأنهم فريق في الجيش الإسرائيلي. تمكنت سهام من العودة إلى البيت لتأتي بهوية أخيها. لكن عملية تسليم الهوية له لم تكن سهلة قط، إذ اضطرت إلى التكلم مع أكثر من عنصر وضابط إسرائيلي حتى تأكدت أن الهوية وصلته. وهي نفسها لمّا وصلت إلى نقطة مكنتها من رؤية الشباب، كان تقديرها لعدد المحتجزين ظهر السبت في ملعب كرة القدم يفوق تقدير الحاج محمود، إذ قالت إنهم كانوا لا يقلون عن خمسين من الشباب والرجال.

أوقفت سهام بعد الظهر ضابطاً إسرائيلياً كان يمر في سيارته بالبولفار، وأخبرته أنهم يحتجزون أخاها منذ ساعات بلا سبب، بينما أخوها يعمل "ميكانيست" في إصلاح السيارات، وأنه ما كان مقاتلاً، وإلاّ كان خرج مع المقاتلين. قال لها الضابط أنها تكذب في أقوالها، فأخوها قد اعترف. ردت عليه أن هذا نتيجة التعذيب الذي لاقاه، فأراد الخلاص، بينما أنتم في استطاعتكم التأكد من صدق كلامي. ولمّا سألها: كيف؟ أجابته: "أعطوه سيارة معطلة وشوفوا إذا ما بيعرف العطل قوام، وبصلحها."

عند الغروب، كانت التحقيقات ما زالت مستمرة، غير أن البقاء هناك لم يعد ممكناً، فعادت سهام وأمها إلى البيت في صبرا. لكن بعد وصولهما بقليل وصل أخوها مرهقاً، وأخبرهما أن الإسرائيليين احتفظوا بالهوية معهم، وطلبوا منه ومن غيره العودة في اليوم التالي لاسترداد الهويات بعد ختمها.

وأخبرهما بما جرى. قال إنهم كانوا ينادون الناس ويأمروهم بالزحف، وبالنزول إلى الحفر، وكل من كانوا يشكّون في أمره، ربما لأن زحفه لم يعجبهم، كانوا ينهالون عليه ضرباً بأرجلهم على رأسه وعلى كل جسمه.

بالنسبة إلى ما جرى معه، قال إن هناك مخبراً يتكلم العربية جيداً اتهمه بأنه ينتمي إلى الجبهة الديمقراطية، وأشبعوه ضرباً، غير أنه كان يصر على عدم الاعتراف بعد كل مرة، وكانوا بدورهم يهددونه بتسليمه للكتائب؛ فهؤلاء يسحبون الاعتراف منه، وأخيراً لم يعد في قدرته الاحتمال. كل ما قاله لهم هو أنه ميكانيكي ويعمل في كاراج تابع لجبهة التحرير؛ فاستغلوا هذا الاعتراف لاتهامه بأنه كان يصلح سيارات "المخربين"، فهو يعرفهم، وبالتالي يستطيع أن يدلهم على أماكن الأسلحة، وأخذ بدوره يؤكد لهم أن لا علم له بأي مكان.

عـــادت سهام وأخوها صلاح في اليوم التالي (الأحد) إلى المدينة الرياضية، وابتدأ الحجــز الثانـــي مــن أجل استرداد الهوية. وكانت الشائعات بعودة رجال سعد حداد تملأ المــنطقة عندما كان الجيش اللبناني يقترب من المنطقة، وتتمركز طلائع منه قرب المدينة الرياضية. أسرعت سهام نحو ضابط لبناني وأخبرته أن لها أخاً ما زال محتجزاً من دون أي ذنــب أو تهمــة، فنصـــح لهـــا أن تخـــبر الصليب الأحمر بسرعة قبل أن ينتهوا من انســحابهم، وإلاّ ربما أخذوه معهم إلى الجنوب، وهناك يصعب التكهن بما سيجري لـــه، وربمـــا يأخذونـــه إلى معتقل أنصار. ثم طمأنها الضابط إلى أنهم سيتمركزون في المدينة الرياضية، وسينسحب الإسرائيليون.

لــم تكن سهام قد أعلمت الصليب الأحمر بعد عندما عاد أخوها ظهراً، وهو يحمل هويته وعليها الختم الإسرائيلي.[١٢٢]

محمــد صـــاحب الكـــاراج، والذي كان محتجزاً أيضاً، عاد فحدّث ابن عمه الحاج محمـــود عمـــا جـــرى لـــه ولغـــيره من تعذيب واحتقار في الساحة المقابلة لمدخل مبنى اليونسكو. قال إنهم استمروا يحققون معه يوم السبت حتى الساعة العاشرة ليلاً، وأنه تمكن من إقناعهم "ببراءته" لمّا دعاهم بإلحاح كي يشاهدوا أن الكاراج الذي أنشأه منذ ستة أشهر فقــط، هو مجرد كاراج لا أكثر ولا أقل. وروى أنهم أبقوهم تحت أشعة الشمس الحارقة طـــوال النهار، وكان يتبادل الأسئلة والاتهامات أكثر من عشرة من الضباط والمخبرين، وما إن يشكّوا في أحدهم حتى يساق إلى الامتحان الأصعب، فيقذفون به في حفرة واسعة، من حفر الطيران، وفيها قنابل متعددة الأشكال، وما إن صاح شاب أن هناك قنبلة عنقودية فـــي حفرته حتى سحبوه منها إلى تعذيب أعظم؛ فمن يعرف العنقودية من غيرها لا يمكن إلاّ أن يكون مقاتلاً. لا بد من أن ينتهي به الأمر إلى السجن.[١٢٣]

كان عدد الشباب المحتجزين وفقاً لتقدير الحاج محمود ظهر السبت نحو ثلاثين شاباً، وكان وفقاً لتقدير سهام نقلاً عن أخيها نحو خمسين شاباً عند غروب شمس يوم السبت.

لـــم يعـــد من هؤلاء جميعاً سوى ثلاثة أو أربعة، وكان بينهم صلاح ومحمد. فماذا جرى للباقين؟

قـــيل إن هؤلاء انتهى بهم الأمر في معتقل أنصار. كلهم أصبحوا وراء القضبان من دون توجيه أية تهمة، وخلافاً لكل القوانين الدولية التي تحتم على الجيش المحتل أن يحافظ على أرواح السكان وحرياتهم.

لكـــن.. هـــل اعترف شارون، أو أي حاكم إسرائيلي بأن هناك معتقلين سحبوا من

---

(١٢٢) POH. S/SH. No. 63 (232/T. 61), as above.

(١٢٣) Ibid.

المدينة الرياضية علناً، وانتهى بهم الأمر في أحد السجون الإسرائيلية؟

نشرت الصحف المحلية حال انتهاء المجزرة أن القوات الإسرائيلية قامت باعتقالات واسعة بين "سكان المخيمين" والجوار. واستناداً إلى مراسلين أجانب، بلغ عدد المعتقلين ما بين ألف وألف وخمسمئة شخص، أطلق الإسرائيليون بعضهم واحتفظوا ببعضهم الآخر.(١٢٤)

لا أحد تمكن من معرفة العدد بدقة، وخصوصاً أن العدد يشتمل عادة على المخطوفين على يد الميليشيات المسلحة. هؤلاء الذين ساقوهم بالشاحنات والسيارات العسكرية في عز النهار، والحجة الدامغة لديهم أنهم "مخربون".

هل تسلمت إسرائيل هؤلاء الذين سمحت للميليشيات المسلحة بخطفهم؟

إن تكن قد تسلمتهم، فأين هم؟

وإن تكن قد تركتهم في عهدة تلك الميليشيات، فالسؤال نفسه يتكرر:

أين هم؟

الرواية الثانية والأربعون

حوار بين إسرائيلي وفلسطيني

الأول ضابط في الجيش الإسرائيلي، وذو رتبة لم تعرف بالتحديد، وإن كان الراوي يجزم أنه كان ذا رتبة "محترمة"، والدليل كلمته المسموعة بين الجنود الإسرائيليين الذين امتلأت بهم الساحة بين دار المعلمين ومبنى اليونسكو قبالة المدينة الرياضية، ظهر ذلك السبت، في الوقت الذي يفترض أن تكون الميليشيات اللبنانية أخذت تستعد للرحيل، بينما القوات الإسرائيلية ما زالت تدعو السكان إلى التجمع في المدينة الرياضية، وتقوم باستكمال التحقيقات وختم الهويات وغير ذلك.

والثاني حاج فلسطيني من سكان صبرا، يوحي مرآه بأنه في الستين من عمره. كان هذا الحاج المؤمن قد انتهى لتوه من عذابات "المارش الأخير"، فلاقى من الضرب والإهانة ما لاقاه، وهو نفسه الذي كان نجا من حفرة الموت قبل ساعة من الزمن، وهو نفسه الذي حدثنا عن طبيعة التحقيقات، وها هو نفسه يحدثنا عما جرى له وهو واقف في الطابور، منتظراً دوره كي يحقق الإسرائيليون معه، هذه المرة.

قبل أن يتم التحقيق معه، جرى حوار بينه وبين الضابط الإسرائيلي؛ والحوار ليس تحقيقاً أو استجواباً.

جرى الحوار بينهما باللغة العربية التي يتحدث بها الراوي لكونها لغته، والتي

---

(١٢٤) جريدة "النهار"، ١٩٨٢/٩/١٩.

يتحدث بها الآخر لكونه من اليهود الذين ولدوا على أرض فلسطين.

جـــاء الضابط الإسرائيلي رامي وانتحى بالحاج "على جنب" كي لا يسمع الآخرون، قائلاً له: "تفضل حجي بدّي أحكي معك."

يا الله؟ لماذا انتقاه من بين الجموع المحتشدة؟ ما هذه المصيبة التي حلت على رأس الحاج؟ أيكون الضابط رامي هذا من جهاز الاستخبارات الإسرائيلية؟ وكيف لا يكون؟ ولِم لا يكـــون؟ أم أنـــه ضابط يقوم بواجبه؟ ولعله انتقى الحاج لسبب بسيط هو أن الحاج كان تكلم باسم تلك الجموع أكثر من مرة، وبمعنى آخر، ظن الضابط أنه لا بد من أن يعرف، ربما. أو هل انتقاه لأن الدم الأحمر على دشداشته البيضاء يوحي ببعض ما جرى، ربما.

لكن الضابط الإسرائيلي لم يترك للحاج وقتاً طويلاً كي يفكر. راح يقول له: "حجي، صحيح إيش فيه؟ إيش فيه؟ بحياة الله تحكي. وحياة الله، وحياة ديني أنا ما بيحكي، كل شي إنت بِتْقُلّي اياه حجي أنا ما بيحكي لحد إنك خبّرتني. وحياة الله احكيلي."

وراح الحاج يحكي:

ـ إجـــو كتايب وهجموا على المخيمات وأخدوا ناس من قدّام عيونّا بالسيارات، مـــا عرفـــناهم وينهم، وما عرفنا وين أخدوهم. وقتلوا ناس قدّام عيونّا. أنا قدّام عيوني قـــتلوا نســـوان ورجـــال مـــا حدا إلو ذنب، قتلوا مَرَه حبلى في شهرها التاسع، قتلوا الأطفـــال، أنـــا اللّي شفتهم بعيوني ماتوا قدّام عيوني ست وتلاتين نفر، واللّي تركتهم قـــتلوهم بـــالجورة سبعتعشر نفر. شو بدّي أحكي لأحكي. صدّقني حطوا الناس بالحفر وقـــتلوهم فـــوق بعضـــهم الـــبعض. روح لحد السفارة الكويتية، لقدّام السفارة بالضبط وشوف القتلى فوق بعضها البعض.

ـ طيب يا حجي قُلّي قديش أخدوا بالسيارات؟

ـ أربـــع ســـيارات كـــبار بتســـاع كل سيارة من عشرين لخمس وعشرين واحد وراحوا فيهم من ورا تلال الرمل. هادا اللّي شفته أنا. وما بعرف شو أخدوا غيرهم.[١٢٥]

أخـــذ الضـــابط رامي يتكلم باللاسلكي مع رفاق له، وطلب منهم اللحاق به. وجاءته أربـــع سيارات جيب عسكرية وسيارة فولسفاكن كبيرة، وراح معهم الضابط وغاب فترة، ثم رجع ليكمل الحوار مع الحاج:

ـ كمّل حجي كمّل. خلّي يكون فيه ثقة.

ـ إن شاء الله. وأنا بحب أعرف إنت من أي بلد في فلسطين؟

---

(١٢٥) POH. S/SH. No.16 (248/T.17), as above.

ـ أنـا من إسرائيل حاج، أنا من مواليد يافو، وأنا ساكن في مستعمرة حد رام الله. وإنت بتعرف يافو؟

ـ أنا بعرف يافو هيّ يافا، وبعرفها بالإنكليزي جافا.

ـ وين كنت عم بتخبرني؟ قلتلّي في مَرَه حبلى قتلوها؟

ـ يا ريت بس قتلوها.. يا ريت..

وراح الحـاج يخـبر الضابط رامي عن أكثر من حادثة رآها بعينيه.. راح الأول يتكلم، والثاني يسأل، ويستمع، ويبكي.. ويعقب الراوي بقوله:

> والله العظـيم، والله العظـيم، والله العظـيم.. صار يبكي ودموعه نزلت على الأرض. ودار وجهه ليخفي دموعه. مسحها ورجع تلفّت وقلّي:
>
> "حاج ما تخاف. إنت ما تخاف. وأنا مش ممكن أتكلم."(١٢٦)

هل كان المطلوب أن يتكلم الضابط رامي؟ أن يروي لرؤسائه ما سمعه من الحاج؟ أم كان المطلوب منه ألاّ يتكلم؟

كان المطلوب أن يتكلم.

لكن.. هل تكلم؟

والسـؤال المعضلة هو: كيف مر يوم الخميس، وكيف مر يوم الجمعة، من دون أن يكون الضابط المطاع المسؤول، كما وصفه الحاج محمود، قد عرف شيئاً بعد؟

هـذا التسـاؤل يجد له الحاج محمود جواباً سريعاً بقوله أنه شعر من أسئلة الضابط الإسرائيلي بأنه كان وصل حديثاً إلى بيروت، أو بالأحرى إلى المدينة الرياضية. لكن هذا مجرد استنتاج منه، وهو لم يكن واثقاً باستنتاجه.

لكـن حيـن سألت الحاج محمود إن كان يمانع في نشر حواره مع الضابط رامي، أجابني واثقاً: "بالتأكيد بوافق. أنا واثق من كل كلمة قلتها."

سادساً: وانتهى اليوم الثالث

- كـان السـكان مـنذ يوم الأربعاء يتوافدون على مستشفى غزة طلباً للحماية، وقد بلغ عددهـم بضـعة آلاف. وبدأ وصول الجرحى بكثرة منذ منتصف يوم الخميس، حتى أصبح المستشفى خلية نحل لا تهدأ.
- مـع غروب شمس يوم الجمعة شهد المستشفى هدوءاً عجيباً؛ ذلك بأن جميع الملتجئين

---

(١٢٦) Ibid.

إلــيه كـــانوا قــد غادروا، كذلك غادره عدد كثير من الجرحى والمرضى مع ذويهم، وساهم الصليب الأحمر الدولي في إخلاء عدد من الجرحى، حتى لم يبق في المستشفى ســوى عدد محدود من المرضى والفريق الطبي الأجنبي بكامله، إذ إن أفراده رفضوا جميعهم المغادرة.

- وصـــل المســلحون فـــي الــيوم الثالـــث إلى ساحة صبرا وزواريب صبرا، وراحوا يصــرخون على الناس كي تخرج من بيوتها. وما بين الفجر والساعة السابعة صباحاً، تـــم تجمــيع سكان صبرا وشاتيلا في ساحة صبرا الرئيسية وأمام مقر الهلال الأحمر الفلسطيني. وابتدأ النهار.
- نحــو الساعة السابعة صباحاً وصل المسلحون المهاجمون إلى مستشفى غزة، لكنه لم يشـــهد اقتحاماً شبيهاً بما حدث لمستشفى عكا؛ إذ خرج الأطباء والممرضون الأجانب كما طلب المسلحون منهم، وتمكنوا من إقناعهم بأنه لا يوجد في المستشفى سوى بعض المرضى، كما تمكنوا من إقناعهم بإبقاء عدد محدود من الفريق الطبي للإشراف على هؤلاء المرضى.
- اقـــتاد المسلحون الفريق الطبي على الطريق نفسه الذي كان يعج على الجانبين بسكان صـــبرا وشـــاتيلا، ومـــا إن وصلوا إلى مبنى "مقر" قيادة القوات اللبنانية حتى أخذوا يحققون معهم، ثم أوصلوهم إلى مبنى "مقر" القيادة الإسرائيلية، حيث تمكنوا من العودة إلى أماكن سكناهم، ومنهم من تمكن منِ العودة إلى المستشفى.
- علـــى امـــتداد الطـــريق الطويل، المعروف بشارع شاتيلا الرئيسي، وإلى قلب المدينة الرياضـــية كـــان "المارش الأخير" الذي أُجبر فيه السكان بالمئات على المشاركة فيه. وفـــي أكـــثر مـــن مكان كانوا يُجبرون على التوقف، حيث يتعرضون للمهانة، وحيث يصـــبح فـــي إمكـــانهم أن يشـــاهدوا عمليات القتل والخطف؛ وقد كانت كلها عمليات عشوائية.
- مـــن شـــهادات يوم السبت يُستنتج أن كثيرين من المهاجمين ما كانوا يتصرفون بشكل يوحـــي بـــأن ذاك هو اليوم الأخير، وإنما كانوا يتصرفون كأنهم باقون. ويُستنتج من عمليات قتل جماعي في حفر الموت، حدثت عند الظهر، أنهم ما كانوا ليتصرفوا حتى فـــي تلك الساعة كأنها ساعتهم الأخيرة، فهم كانوا ما زالوا حتى تلك الساعة مستمرين في عمليات التعذيب والقتل والخطف.
- على الرغم من عمليات القتل العلنية التي قام بها الميليشيويون في اليوم الأخير، وعلى الـــرغم مـــن حفر الموت التي ما حاولوا إخفاءها، والتي كانت خارج صبرا وشاتيلا، علـــى مقـــربة من السفارة الكويتية، وعلى مرأى من الإسرائيليين بالعين المجردة، فقد

كان لعمليات الخطف الأولوية، حيث وُضع المخطوفون في الشاحنات وسيارات الجيب العسكرية ورحلوا إلى مصير مجهول. وما زال المصير مجهولاً.

- الإسرائيليون بدورهم لم يقفوا متفرجين فقط، بل قاموا أيضاً بدور بارز يوم السبت في استجواب الشباب المجمَّعين قبالة المدينة الرياضية، وكانوا يقومون بختم الهويات. كما كـــانوا يســـتكملون الاستجواب، بالنسبة إلى البعض، في باحة مبنى اليونسكو المقابل. ومن هؤلاء الشباب من عاد إلى بيتِه بعد استجوابه، في الليلة نفسها، ومنهم من لم يعد بعد.

الفصل السادس

القاتل والضحية

من صفات المجازر الوضوح والغموض.

القاتل يترك وراءه من الأدلة والمشاهد المروعة في صورة واحدة ما يكفي للصراخ: يا لهولها من مجزرة! والقاتل يخفي من الأدلة ومن جثث الضحايا ما يجعل الباحثين يمعنون في البحث والتنقيب، من أجل التوصل إلى أجزاء مبعثرة من الحقيقة.

جاء في تقرير جرمانوس أنها كانت معركة ولم تكن مجزرة!

غير أن طبيعة المعارك شيء، وطبيعة المجازر شيء آخر مختلف تماماً، والفصل بينهما لا يحتمل التأويل.

لعل أبرز فارق بين الطبيعتين هو الفارق بين العلانية والسر. فطبيعة المعارك تفرض على كل من الجانبين، المنتصر والمنهزم، إعلان ما يتوفر لديه من أنباء ووثائق وصور؛ ذلك بأن الجانب الأول يعتز بانتصاره، بينما الثاني يسعى لتبرير هزيمته.

قام المؤرخون الأوائل في التاريخ البعيد هم أنفسهم بدور الشاهد والمؤرخ معاً؛ فكانوا يرافقون الجيوش والقادة، ويراقبون المعارك ويصفونها عن كثب. غير أنه في عصرنا، وبعد توفر وسائل الإعلام الحديثة التي نقلت الدنيا إلى القرن الحادي والعشرين عبر الأقمار الصناعية، تدخل أنباء المعارك البيوت في أصقاع الأرض عبر شاشة التلفاز أو بواسطة الإنترنت.

أمّا المجازر، فهي حتى لو استُعملت الأقمار الصناعية في إبان حدوثها، فالكثير من تفصيلاتها يبقى حكراً على المشرفين عليها وعلى المسؤولين عنها؛ فهؤلاء من مهماتهم الأولى إضفاء الطابع السري، لا العلني.

من المتوقع أن يكون الإسرائيليون استخدموا أقماراً صناعية في صبرا وشاتيلا. لكن هذه الأقمار لم تكن في خدمة رجال الإعلام كما كانت مهمة الأقمار الأميركية في إبان حرب الخليج، مثلاً، وإنما كانت للقيام بمهمات "سرية" لم يكشف عن مضمونها بعد؛ كذلك لم يكشف بعد عن أهداف الإضاءة المتواصلة ونتائجها، تلك الإضاءة التي أطلق قنابلها الإسرائيليون بالمدفعية من مواقعهم على الحدود الجنوبية للمخيمات، كما أطلقوها من

الطائـــرات مباشـــرة فـــوق المـــنطقة؛ هناك هدف وحيد أعلنوه، وهو مساعدة المسلحين المهاجميـــن كـــي يـــروا ما حولهم جيداً، وكي يميزوا "بلحظات" بين "المخربين" والسكان المدنيين!!

لا أحد ناقش حتى اليوم السؤال التالي: هل التقط الجيش الإسرائيلي صوراً للمجزرة؟

من المنطقي أن يكون فعل.

إذا كان فعل، فأين الصور؟

وإذا لم يفعل، فلماذا؟

أمّا بالنسبة إلى هؤلاء المسلحين المهاجمين، فما كانوا بمقاتلين، وإنما قتلة.

القاتل ليس مقاتلاً. والفارق بينهما كبير. المقاتل يعتز بمبادئه وشجاعته وأعماله. أمّا قاتل المدنيين العزّل من السلاح، نساء وأطفالاً وشيوخاً وشباباً، فليس من مصلحته إظهار وجهه، وهو حتى لو فعل ذلك تبجحاً، فإظهاره رهن بالزمان والمكان، واعترافاته قد يتغير مضمونها من يوم إلى آخر. ما يقوله القاتل اليوم قد ينفيه غداً.

صـــبرا وشاتيلا بالذات نموذج للمجازر التي جمعت بين النقيضين. فما تبجح بفعله القـــتلة على أرض المجزرة أمام السكان، وما تباهى به الكثيرون منهم في سهراتهم وبين أقرانهم في المرحلة التي أعقبت الحدث المأساوي، عاد الكثيرون منهم فأنكروه.

أمّا المقولة التي رددتها مصادر لبنانية متهمة بالمجزرة، والتي وردت أيضاً في عدة مصـــادر إسرائيلية، من أن ما جرى كان معركة ولم يكن مجزرة، فهي "مقولة" لم تبرهن علـــيها العلانية التي هي من طبيعة المعارك؛ أي أنها ما زالت "مقولة" بحاجة إلى خرائط المعـــارك ووثائقهـــا وصورها، وبحاجة إلى أسماء المقاتلين من الجانبين، أو على الأقل، أسماء القادة في كل منهما، وهي كذلك بحاجة إلى أسماء من سقطوا من الجانبين.

هل يعقل أن تكون الأغلبية العظمى من القتلى في المعارك من جانب واحد؟

الهدف الرئيسي من هذا الفصل السادس والأخير من قسم التاريخ الشفهي، إثبات أن ما جرى على أرض صبرا وشاتيلا ما بين السادس عشر والثامن عشر من أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ كان مجزرة لا معركة؛ وهذا فحواه أنه لم يكن هناك فريقان، وإنما قاتل وضحية.

تـــتوزع الشـــهادات بصورة عامة في هذا الفصل بين ثلاث مجموعات: المجموعة الأولـــى تضم شهادات وكتابات أول من تمكنوا من دخول أرض المجزرة من الإعلاميين والكـــتّاب والمصورين، فكانوا بالتالي أول من كتب عن الضحية؛ والمجموعة الثانية تضم شـــهادات المســـعفين والعامليـــن في مختلف المؤسسات الإنسانية، هؤلاء الذين استمروا أسبوعين كاملين وهم يرفعون الأنقاض ويبحثون عن الضحايا؛ أمّا المجموعة الثالثة فتضم شـــهادات أهالي الضحايا أنفسهم، هؤلاء الذين تمكنوا من أن يشاهدوا القاتل، وأن يشاهدوا

عمليات القتل والخطف والتعذيب، وأن يشاهدوا آثارها داخل بيوتهم، وعلى جدرانها، وفي ملامح ضحاياهم.

أهالـــي الضـــحايا تكلمـــوا، وشهدوا. من شهاداتهم في هذا الفصل تتمات لمآسي الناس ورواياتهم عن الأيام الدامية الثلاثة، مع إضافة أربع روايات لأربع باحثات عن ضحاياهن.

في شهادات هذا الفصل ما يعطي أوصافاً واضحة للقاتل، وما يشير إلى هويته.

أولاً: أول الداخلين

بـــناء علـــى المصادر الإسرائيلية، كانت التعليمات الأخيرة الصادرة إلى المهاجمين تقضـــي بالانســـحاب فـــي الساعة العاشرة من صباح يوم السبت، لكن اتضح من الفصل الســـابق أنها استمرت حتى بعيد الظهر. فالمهاجمون غادروا صبرا وشاتيلا ظهراً، لكنهم كـــانوا لا يـــزالون عـــند أطراف شاتيلا من الجهة الجنوبية الغربية، بالقرب من السفارة الكويتـــية، حيـــث كانوا مستمرين في عمليات قتل وخطف. وليس لدينا شهادة تذكر بدقة الســـاعة التـــي توقفت فيها "محكمة المجازر"؛ تلك "المحكمة" التي نصبوها عشوائياً قبالة السفارة. إنما هناك من شهد على أنها كانت ما زالت قائمة في الثانية عشرة ظهراً، وعلى أن الطـــابور الذي ينتظر دوره كان لا يزال طويلاً. كما أن آخرين شهدوا على أنهم رأوا فـــي الســـاعة الثانـــية بعد الظهر العشرات من الميليشيويين مع آلياتهم عند حدود شاتيلا الجنوبية الغربية.

كانـــت أنباء مقتضبة عن المجزرة قد تسربت إلى وسائل الإعلام. لكن ما إن هرع المراسلون الأجانب لإرسال ما تسرب إليهم من معلومات حتى اكتشفوا أن خطوط الهاتف والـــتلكس مقطوعة، الأمر الذي اضطر بعضهم إلى الذهاب إلى دمشق من أجل الاتصال بصحفهم ووكالاتهم، أو إلى الذهاب إلى مقر للصحافة الإسرائيلية بالقرب من بعبدا، ومن هناك وزعوا أخبار المجزرة "بحرية"، كما قال الكاتب الأميركي ديفيد لامب.[1]

أمّـــا حيـــن غادر المهاجمون، فإن الجيش الإسرائيلي كان لا يزال يحاصر المنطقة ويقـــوم في محيط المدينة الرياضية بتحقيقاته مع السكان. غير أن هذا لم يحل دون دخول رجال الإعلام والمصورين الأجانب الذين كانوا أول من دخل "المنطقة المحرمة".

لـــم ينـــتظر ريوشـــي هيروكاوا، المصور والصحافي الياباني، خروج الميليشيات المســـلحة، بل كان أول من حاول الدخول منذ الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين من صباح

---

(١) David Lamb, "Survivors raise Doubts on Israel Troops' Actions," *Los Angeles Times,* September 20, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile, September 1982* (New York: Claremont Research and Publications, 1982), p. 18.

السبت. لم ينجح من جهة الشمال بسبب وجود دبابتين إسرائيليتين كانتا تمنعان أياً كان من دخول المخيمات، وهذا بينما كانت تسمع أصوات الجرافات والرصاص بكل وضوح. قال للإسرائيليين أنه صحافي ياباني، لكنهم رفضوا السماح له بالدخول وأجبروه على التراجع. عـاد فحـاول الدخول من الجهة الشرقية، لكنه اكتشف أنها أُغلقت أيضاً. ولم يكن أمامه سـوى المحاولـة من جهة الجنوب حيث كانت النيران لا تزال مشتعلة، ولم يجد في تلك الجهة من يمنعه، كما لم يجد أحداً على أرض المجزرة (من الواضح أنه دخل من حرش ثابـت قـبالة مستشفى عكا، وكان الحرش من أول الأماكن التي تعرضت للمجزرة مساء الخميس، وكان قد هجر تماماً).

سـرعان مـا ناداه فتى يافع من بعيد وأخبره بأن جماعة سعد حداد قامت بمجزرة، لكـن الفتى رفض مرافقته؛ كان الخوف بادياً عليه، إذ ما إن قال له ذلك حتى هرب. فما كان أمام هيروكاوا سوى الدخول بمفرده. وقد كتب يصف قتل العائلات ومحاولات إخفاء الجريمة:

> ولجـتُ مـرأباً فشاهدت عشرات الناس مكومين أمواتاً بعضهم فوق بعض. ثم صـعدت تلة صغيرة واستدرت أنظر من هناك، فرأيت في زقاق ضيق سبع أو ثماني جثث لنساء وأطفال مطروحين على الأرض.
>
> بعـد أن هبطت من تلك التلة وصلت إلى حديقة منزل حيث وجدت جميع أفراد العائلة مذبوحين. بدا المشهد كأن جرافة حاولت إخفاء هذه الجثث. وكان بقرب الركام جـثة طفـل في نحو الثانية من عمره. تخيلت أن الطفل بقي حياً حتى اللحظة الأخيرة كون القتلة أغفلوا إخفاء الجثة تحت الركام المجروف.
>
> فـي الزقاق المجاور عثرت على جسدَيْ طفلين آخرين، بنت وصبي، وكلاهما في الخامسة من العمر تقريباً.
>
> كان بقربهما جسد امرأة، والدتهما على الأرجح، يغطيها ركام أحدثته جرافة. لم يكن الردم يغطيها تماماً، إذ كان بعض أجزاء من جسمها ظاهراً للعيان. كان في أذني البنـت قـرطان زائفان، وحول عنق الصبي ما يشبه السلسلة، بدا أنه خنق بها إذ كان عنقه منتفخاً بفعل احتباس الدم.(٢)

مـن ذلـك المشهد الأول الذي نقله كاتب ياباني، إلى الكثير من المشاهد التي نقلها

---

(٢) Ryuichi Hirokawa, ed., *Beirut 1982: From the Israeli Invasion to the Massacre of Sabra and Chatila Camps* (Damascus: PLO Central Council's Adhoc Committee on Sabra and Chatila, 1982), p. 74.

كـــتّاب ومصـــورون من مختلف الدول الأوروبية والأميركية، بأقلامهم أو عدساتهم، على مدى الأيام اللاحقة، كانت المشاهد كلها تتشابه بقدر ما كان بعضها يختلف عن بعض. أمّا مـــن كتـــب مقارناً الصورة الفوتوغرافية بعين الإنسان الشاهد، فهو الكاتب الفرنسي جان جينيه الذي مشى على أطلال صبرا وشاتيلا يوم الأحد، ثم كتب عن مشاهداته وأحاسيسه فيما يخص تلك الجولة في مقال بعنوان "أربع ساعات في شاتيلا":

> هـــناك بُعـــدان للصورة الفوتوغرافية، وكذلك لشاشة التلفاز، لا يمكن المرور عبر أي مـــنهما. مـــن جـــدار الشارع إلى الجدار الثاني، وفي وضع انحنائي أو مقوس، بينما أقدامهـــم تلتصق بأحد الجدارين، ورؤوسهم منضغطة على الجدار الآخر، كانت الجثث المـــتفحمة المنتفخة التي اضطررت إلى السير فوقها، كلها جثث فلسطينيين ولبنانيين. بـــدا لـــي، وبالنسبة إلى من تبقى من السكان، أن السير عبر شاتيلا وصبرا كان أشبه بلعـــبة الحجلـــة.[٣] أحياناً كان طفل ميت واحد يسد الطريق؛ فالأزقة كانت في غاية الصغر والضيق، بينما عدد الأموات كان هائلاً.[٤]

توقف جان جينيه في زيارته تلك أمام أربعين ضحية. أمّا أول ضحية رآها، فقد قال في وصفها:

> أول جـــثة وقع نظري عليها كانت لرجل في الخمسين أو الستين... بدا لي أن ضربة فأس قد فجـــت جمجمته. قسم من الدماغ الذي صار أسود اللون كان على الأرض في جوار رأسه. جســـمه بكامله كان راقداً في بركة من الدم الأسود المتجمد. كان حزامه مفكوكاً، والسروال مقفـــلاً بـــزر واحد لا غير. وكانت قدماه وساقاه عارية وداكنة، وبلون بنفسجي وأزرق؛ قد يكـــون أُخـــذ على حين غرة في الليل أو عند الفجر. هل كان يفر هارباً؟ كان ملقياً في زقاق ضيق إلى اليمين مباشرة من مدخل مخيم شاتيلا المواجه للسفارة الكويتية.[٥]

تتوالى المشاهد بأقلام متعددة، ويظهر من خلالها كيف أُخذ الضحايا على حين غرة، وكـــيف قتلوا جميعهم من دون أي تمييز. وكان من أوائل الذين سجلوا مشاهداتهم الكاتب البريطاني روبرت فيسك:

---

(٣) لعبة الحجلة هي القفز على قدم واحدة فوق مربعات مرسومة على الأرض من دون أن تمس القدم أضلاع المربعات.

(٤) Jean Genet, "Four Hours in Shatila," *Journal of Palestine Studies*, vol. XII, no. 3, Spring 1983, p. 4. (A translation of the French original: "Quatre Heures à Chatila," *Revue d'études palestiniennes*, no. 6, hiver 1983).

(٥) Ibid., p. 5.

كان هناك جثث داخل كل زقاق؛ جثث نساء، وشبان، وأطفال، وجدود، وجدّات.

... كل ممر عبر الركام كشف عن مزيد من الأجساد... كان هناك دلائل على مقابر جماعية تم حفرها بسرعة...

وكــان هناك المزيد من الأجساد على الطريق العام. "ذلك الرجل كان جاري السيد نوري" ــ قالت لي امرأة وهي تصرخ ــ "كان في التسعين". وهناك، فوق كومة نفايات، وعلــى الرصــيف بقــربها، كــان رجل هرم ذو لحية خفيفة رمادية مطروحاً، وما زال معــتمراً قــبعة صوف صغيرة. كما كان ثمة رجل مسن آخر ممدداً عند باب بيته مرتدياً بيجامته، وقد ذبح قبل ساعات معدودة حين ركض مذعوراً ينشد الأمان.(٦)

وقال لورين جنكينز، مراسل جريدة "واشنطن بوست"، في حديث إذاعي:

يــبدو ما جرى كأنه مشهد من أسوأ حلم يتراءى لامرئ ما. أبنية مهدمة، أجساد ملقاة فــي الشــارع، أنــاس في أزقة قد تهاووا في أكوام هائلة. جدران حيث كان ثمانية أو تســعة أشــخاص قد أوقفوا إلى جانبها ثم أُطلق الرصاص عليهم، فتهاووا. وفي مشهد لعائلــة كانــت صُرعت بالرصاص قرب باحة الدار، بدا واضحاً أن الرجل كان يتقدم لــيرد علــى طَــرْق البوابة، وقد أردي حيث وقف بالضبط، بينما المرأة التي جندلها الرصــاص بقــربه كانــت لا تزال تحمل صحون الطعام. أطفال "بالحفاضات" سقطوا بقــربها ورؤوسهم مثقوبة بالرصاص... أجساد مفخخة وضعت قنابل تحتها بهدف قتل من يهرع من الناس لانتشالها. إنه رعب، ولا شيء إلاّ رعب يصعب جداً تخيله.(٧)

أمّــا إيان غلوفر ــ جيمس في جريدة "الدايلي تلغراف"، فكان معنياً بوصف طلقات الرصاص التي يستحيل معها تصور أية معركة، بل عملية قتل من مسافة قريبة:

كان هناك "لوحات" موت في كل مكان.

عائلــة برمتها ــ والدان وولدان وطفل رضيع ــ كان أفرادها ممددين في أحد البيوت الصغيرة وقد رُشوا بالرصاص من خلال الباب الأمامي...

ثمانــية قتلى من الرجال أجسامهم مرصوفة بعضها فوق بعض قبالة حائط من

---

(٦) Robert Fisk, “Down every alleyway.. Women, Young Men, Babies – Lying where they had been Knifed or Machine Gunned to Death,” *The Times*, September 20, 1982, as cited in *The Beirut Massacre, Press Profile...*, op. cit., p. 7.

(٧) Loren Jenkins, *Washington Post* Beirut Correspondent (Interview), Excerpts from Transcript of “All Things Considered,” National Public Radio, September 20, 1982, as cited in *The Beirut Massacre, Press Profile...*, op. cit., p. 13.

الأسمنت. لقد صُفّوا هناك وأُطلق الرصاص عليهم. كانت ثقوب الرصاص في الأسمنت حديثة العهد، وبمستوى علو الصدر. أمّا أعمارهم فتراوحت بين فتيان مراهقين ورجال في منتصف العمر.

وعلى مقربة، تكومت عائلة أُخرى مغدورة. طفلان في نحو الثامنة من العمر، كانا على ظهريهما، ممددي السيقان والأذرع وقد ثُقب رأساهما بالرصاص. كذلك صُرع الأبوان وخرا بقربهما فوق الركام.

عائلة أُخرى في البيت المجاور كانت خرجت راكضة عبر باب المنزل في تلك اللحظات الأخيرة المرعبة من حياتها.

كان هناك جثة لطفل في عامه الأول إلى جانب جثة إمرأة وخمس جثث أُخرى، بعضها كان معلقاً رأساً على عقب فوق حائط مهدم حيث أمسك بهم القتلة وهم يحاولون الفرار.[٨]

المصورة الفوتوغرافية الأميركية مايا شون، مع زوجها الكاتب رالف شونمان، من أوائل الذين دخلوا. قالت تشرح لي ولعدد من الأصدقاء تجمعوا في بيتي الصور (slides) التي التقطتها، وهي تتنقل بها من صورة إلى أُخرى على طول الجدار. وباستثناء ما نشر في الجرائد، فتلك كانت أول مجموعة كبيرة من الصور أشاهدها، التُقطت على مستوى عال من التقنية والوضوح:

أُنظروا إلى هؤلاء.

لقد رُبطت أذرع الضحايا وأقدامهم بحبال قبل أن يُجَرّوا على الأرض.

كان الرجال يساقون إلى ما وراء الزوايا بالسكاكين والفؤوس.

كانت الجرافات تستعمل للمرور على أجسادهم...

أُنظروا.

كذلك لم يسلم المسنون. هذان الرجلان تم قتلهما خلال المسيرة الإجبارية صباح يوم السبت.[٩]

تحدث الجميع عن الروائح التي انبعثت من الموت. فللموت رائحة، ويا لها من رائحة. تحدثت عنها المقالات. ونشرتها الصور وأفلام الفيديو عبر مشاهد الناس وهم

---

(٨) Ian Glover-James, "New Panic in Camp," *The Daily Telegraph*, September 20, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 16.

(٩) POH. S/SH. No. 8 (249/T. 4). Mya Shone. Interview with author. Beirut: Author's house, January 27, 1983.

يضعون مناديل أو قطعاً من أقمشة يسدون بها أنوفهم. من الذين تحدثوا عن رائحة الموت كان مارك فاينمان، في جريدة "فيلادلفيا إنكوايرر":

> كانت الرائحة واضحة؛ كانت رائحة الموت.
>
> لقد ارتفعت أمس مع غيوم الذباب السود ونتانة النفايات المتراكمة منذ شهر على امتداد الطريق العام المدمر عبر مخيم اللاجئين الفلسطينيين المسمى مخيم شاتيلا.
>
> تلك الرائحة ملأت رئات ومسامات المراسلين والمصورين والعاملين في الصليب الأحمر الذين توافدوا على المخيم القريب المهجور، في أعقاب ذبح المئات من الرجال الفلسطينيين العزّل، والنساء، والأطفال.
>
> كانت نتانة الرائحة مقيتة إلى حد جعل النساء اللواتي كن يشقّن طريقهن إلى خارج المخيم، حاملات في صرر صغيرة كل ما يملكن من متاع الدنيا، يقمن بربط أقمشة حول أنوفهن وأفواههن.[١٠]

كتب جان جينيه عن الرائحة في أرض القهر والعذاب، كما كتب عن الحرية في الأرض نفسها؛ وهو يقصد حرية الذباب لا حرية الإنسان كمآ قد يتبادر إلى الذهن، فلو كان للشعوب المقهورة حرية لما كان هناك مجازر. كتب:

> من المرجح أن الرائحة شيء مألوف لدى كبار السن. تلك الرائحة لم تضايقني. لكن الذباب كان موجوداً بكثرة. فإذا أزحتُ المنديل أو الجريدة العربية الملقاة على رأس جثة ما، أكون بذلك أزعج الذباب. كانت حركتي تثير غضبه وتجعله بالتالي يهاجم ظاهر يدي ويحاول أن يقتات منها.[١١]

دخل الكاتب الشاهد بيتاً مدمراً كان مؤلفاً من ثلاث غرف. وكلما دخل غرفة كان يجد جثثاً مكدسة بعضها فوق بعض. كتب عن الغرفة الثالثة التي وجد فيها أربع جثث وضعت فوق بعضها البعض على سرير واحد، وكأن كل واحد من القتلى المغدورين اهتم بحماية من كان تحته، حتى باتت الأجساد أشبه بالدروع: "رائحة قوية انبعثت من كومة الدروع هذه، إلاّ إنها لم تكن كريهة. بدا لي أن الرائحة والذباب اعتادا عليّ. لقد توقفت عن إزاحة أي شيء في هذا الدمار، في هذا السكون."[١٢] أمّا بعد خروجه من البيت

(١٠) Mark Fineman, "In Shatila, the Stench of Death," *Philadelphia Inquirer*," September 20, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile…*, op. cit., p. 14.

(١١) Genet, op. cit., p. 4.

(١٢) Ibid., p. 9.

فيــتحدث عن الشباب الذين كانوا يرافقونه، وعن الرائحة: "الشباب الثلاثة كانوا ينتظرون على بعد مسافة من البيت، بالمناديل على أنوفهم."(١٣) وأمّا بعد انتهائه من التجوال، الذي استغرق أربع ساعات، فقد عاد يكتب عن الرائحة:

> ... تلــك هي الأجساد التي كانت آخر ما رأيت يوم الأحد، في نحو الساعة الثانية بعد الظهــر، عندما دخل الصليب الأحمر الدولي مع جرافاته. رائحة الموت لم تكن تنبعث من بيت أو من ضحية. بدا أن جسدي، وكياني، هما اللذان يبعثانها.(١٤)

ثانياً: البحث عن الضحايا

كان من المتوقع أن تبدأ عمليات البحث عن الضحايا حال انتهاء المجزرة. لكن ذلك لم يحدث، فالمهاجمون القتلة كانوا لا يزالون في المنطقة حتى بعيد الظهر من يوم السبت، والجيش الإسرائيلي كان ما زال يطوق المكان ويقوم بتفتيش السيارات الداخلة، واستجواب السكان، وختم الهويات.

مــع ذلك، كان هناك محاولة للدخول في اليوم الثاني من المجزرة، يوم الجمعة، من قبل شباب كشافة الرسالة الإسلامية، الذين جاؤوا مع سيارتي إسعاف بمجرد سماعهم النبأ، لكــنهم فوجــئوا بدبابــة إسرائيلية كانت لا تزال تقف أمام مستشفى عكا بعرض الشارع، فاضطروا إلى العودة على أعقابهم.(١٥)

يوم السبت، كان للصليب الأحمر الدولي أيضاً عدة محاولات للدخول، لكنه اصطدم بعــرقلة من قبل المهاجمين أنفسهم الذين لم يكونوا قد أخلوا المنطقة المنكوبة تماماً. ففي الســاعة الحاديــة عشــرة من قبل الظهر شاهد "إبراهيم"، وهو من سكان شاتيلا، السفير الفرنســي بــرفقة جماعة من الصليب الأحمر، فبادر هو وآخرون إلى السير مع السفير ومندوبــي الصــليب الأحمــر في جولتهم، حيث وصلوا إلى بئر حسن وتمكنوا من إنقاذ مصــاب ونقله بسيارة الإسعاف، ثم عادوا مشياً على الأقدام إلى داخل المخيم؛ وهذا بينما كــان سكان المخيم في حال من الفوضى وهم عائدون لتفقد ذويهم وبيوتهم. وفجأة، عمت الفوضى أكثر، وأخذ الناس يتراكضون ويصرخون بالمسعفين: "ارجعوا ارجعوا". واتضح أن مجموعة من القوات اللبنانية كانت بدورها آتية من بعيد، الأمر الذي اضطر الناس إلى

---

(١٣) Ibid.

(١٤) Ibid., p. 18.

(١٥) POH. S/SH. No. 126 (243/T. 96). Hajj Maysam. Interview with author. Beirut: Author's house, August 17, 1999.

الهرب، كما اضطر السفير نفسه إلى الهرب، وسيارات الإسعاف إلى المغادرة فوراً.(١٦)

تـتوافق مـع شـهادة "إبراهيم" أعلاه شهادتان لشابين مسعفين من الصليب الأحمر اللبنانـي، قال كل منهما أنه حاول هو ورفاقه الدخول يوم السبت أيضاً لكنهم لم يستطيعوا أن يفعلـوا شيئاً. أمّا عن عمليات البحث عن الضحايا، فقد قالا أيضاً إنها لم تبدأ قبل يوم الأحد.(١٧)

تأكـيداً لكـل ما ورد أعلاه، جاء في جريدة "النهار" أن مجموعة إنقاذ من الصليب الأحمـر حاولـت دخـول صبرا وشاتيلا قبل ظهر يوم السبت، لكنها لم تتمكن من البقاء والعمل، وأن الحكومة اللبنانية قررت إرسال الجيش إلى المنطقة صباح الأحد كي يحافظ على الأمن، ويسهل عمليات الإنقاذ والبحث عن الضحايا.(١٨)

مأمون، من شباب الدفاع المدني اللبناني، تحدث عن كيفية دخولهم قبل ظهر الأحد، فقـال أنهم أوقفوا سياراتهم بالقرب من مستشفى عكا، ولاحظوا أن المنطقة "فاضية"، وأن الجـيش الإسـرائيلي بدأ يخرج من المنطقة، وقد اضطروا إلى الانتظار أكثر من نصف ساعة حتى غادرت كل دباباته، فباشر المسعفون الأوائل من مختلف المؤسسات الإنسانية الدخـول مـع طلائـع الجـيش اللبنانـي.(١٩) من المنطقي أن يقصد المتحدث خروج الإسـرائيليين من جوار المداخل الجنوبية؛ ذلك بأن الجيش الإسرائيلي كان لا يزال طوال يوم الأحد في محيط المدينة الرياضية يقوم بعمليات استجواب، وبختم الهويات.

عـند الظهـر، كـان قد انتشر ألف وخمسمئة جندي لبناني داخل المنطقة المنكوبة وحولهـا، وكـان حي صبرا ومنطقة شاتيلا قد أصبحا في حماية الجيش، بإشراف العقيد الطبيـب مارسـيل برنس، الذي سرعان ما شرع في التعاون مع فرق الإسعاف الميداني المـتعددة وتسـهيل مهماتهـا. وكـان من أولى المهمات العمل على إعداد لوائح بأسماء الناجيـن، والاسـتماع إلى إفاداتهم لتنظيم لوائح بأسماء المفقودين. وقد باشر القيام بذلك مندوبو الصليب الأحمر الدولي مع عناصر من الجيش.(٢٠)

هـذا ما كان من المخطط له أن يحدث. لكن، ماذا جرى فعلاً على أرض المجزرة؟

---

(١٦) POH. S/SH. No. 116 (239/T.90). "Ibrahim". Interview by Q. Massacre area: Narrator's house, August 1984.

(١٧) POH. S/SH. No. 38 (240/T.37). Ussama J. Interview with author. Beirut: Narrator's house, March 10, 1983.

(١٨) جريدة "النهار"، ١٩٨٢/٩/٢٠.

(١٩) POH. S/SH. No. 125 (243/T.95). Ma'moun Mukahhal. Interview with author. Beirut: Author's house, April 19, 1999.

(٢٠) جريدة "النهار"، ١٩٨٢/٩/٢٠.

أيـن تمكنـت فـرق الإسعاف من العمل، وأين لم تتمكن؟ وهل نظمت بدقة لوائح بأسماء المفقودين والضحايا؟

أ ــ المؤسسات الإنسانية

خـلال أشـهر الصـيف التي شهدت الاجتياح الإسرائيلي للبنان وحصار بيروت، وانقطـاع الماء والتيار الكهربائي، وإقدام الجيش الإسرائيلي على قصف العاصمة قصفاً جهنمـياً، بـراً وبحـراً وجواً، في الساعة الواحدة، وعلى استعمال أسلحة محرمة دولياً، كالقـنابل العـنقودية والفراغية والفوسفورية،[٢١] قام المئات من شباب بيروت وشاباتها بالـتطوع للعمـل مع المؤسسات الإنسانية؛ منهم من كان سبق له العمل، ومنهم من كانت تجـربة الاجتياح تجربته الأولى، فبادر إلى تلقي دورات مكثفة في الإسعاف وسرعان ما الـتحق بإحدى تلك المؤسسات. وفي أي حال، فإن هؤلاء الشباب والشابات ما إن يُطرح علـيهم السـؤال عـن تجاربهم في الإسعاف الميداني حتى يدلي الواحد منهم، أو الواحدة منهـن، بحديث مطول. أمّا أكثر تلك التجارب في الذاكرة بلا منازع، فكانت تجربة صبرا وشاتيلا.

المؤسسـات الإنسانية التي كانت تعمل على رفع الأنقاض والبحث عن الضحايا لا يقل تعدادها عن إحدى عشرة مؤسسة، وهي وفقاً للتسلسل الهجائي:

اتحـاد الشبيبة الإسلامية؛ الجبهة الموحدة لرأس بيروت؛ الدفاع المدني لحركة أمل؛ الدفاع المدني لكشافة الرسالة الإسلامية؛ الدفاع المدني اللبناني؛ الدفاع المدني المقاصدي؛ الصليب الأحمر الدولي؛ الصليب الأحمر اللبناني؛ كشاف التربية الوطنية؛ كشاف العروبة؛ هيئة الإسعاف الشعبي.

بالإضـافة إلـى الصليب الأحمر الدولي الذي يتمتع بصفة دولية، والصليب الأحمر اللبناني الذي يعتبر من فروعه، والدفاع المدني اللبناني الذي يتمتع بصفة رسمية باعتباره من مؤسسات الدولة اللبنانية، فقد كانت المؤسسات الإنسانية العاملة الأُخرى كلها مؤسسات

---

(٢١) راجع الجريدتين اليوميتين "السفير" و"النهار" خلال حزيران/يونيو ــ آب/أغسطس ١٩٨٢؛ *Israel in Lebanon: The Report of the International Commission to Enquire into Reported Violations of International Law by Israel during its Invasion of the Lebanon.* Chairman Sean MacBride, London, 28 August 1982-29 November 1983 (London: Ithaca Press, 1983), p. 188; Franklin Lamb, ed., *Israel's War in Lebanon: Eyewitness Chronicles of the Invasion and Occupation* (Boston: South End Press & Spokesman, 2nd printing 1984), pp. 419-536.

أهلية. غير أن عدداً منها كان سبق أن نسق جهوده في إطار "جهاز متطوعي الدفاع المدني"؛ وهو ما كان يعرف شعبياً باسم "لجنة المتطوعين". وكانت هذه اللجنة برعاية الدفاع المدني اللبناني وبرئاسة فؤاد رستم، وهو من بات مكلفاً القيام بعمليات البحث عن الضحايا، فبادر إلى دعوة جميع المؤسسات العاملة معه في "لجنة المتطوعين" إلى الالتحاق حالاً للعمل على أرض المجزرة. كذلك بادر إلى إعطاء إذن مهمة لكل من المؤسسات الأهلية الخاصة الأُخرى التي سارعت إلى العمل الإنساني؛ ذلك بأن المنطقة كانت أصبحت بحكم الأمر الواقع "منطقة عسكرية"، ويجب الحصول على إذن رسمي لدخولها.

وابتدأ العمل.

امتد عمل المؤسسات الإنسانية أسبوعين كاملين، وعملت في الكثير من الأيام نهاراً وليلاً. وقد نصبت أكثر من مؤسسة خياماً ميدانية كمراكز لها. أمّا عدد المسعفين والمسعفات فكان يقدر بالمئات، كما كان يوجد في الأيام الصعبة الأولى من المؤسسة الواحدة ما بين خمسين ومئة عنصر وأكثر، وما كان عمل الفتيات المسعفات ليقل عن عمل زملائهن. أمّا الأمر اللافت للنظر بين الشباب والفتيات، على حد سواء، فكان صغر العمر نسبياً، إذ إن كثيرين منهم كانوا دون العشرين من العمر، وبعضهم دون الثامنة عشرة.

يشهد الفيلم التوثيقي الدانماركي عبر مشاهد رفع الأنقاض وعمليات الدفن، كم عملت الفرق المتعددة بتعاون كبير فيما بينها، وكم عملت بتواصل لا يعرف الكلل.[٢٢]

ب ــ من شهادات المسعفين المتطوعين

يحتوي مشروع التاريخ الشفهي لصبرا وشاتيلا على شهادات أربعة وعشرين مسعفاً ومسعفة، ينتمون إلى مختلف المؤسسات الإنسانية التي عملت في مرحلة البحث عن الضحايا. وقد تحدث هؤلاء عن أصعب اللحظات، وأقسى التجارب التي مروا بها.

كان هناك إجماع بينهم على همجية لم يشاهدوا مثيلاً لها سابقاً، من أبرز معالمها قتل الأطفال والعائلات، وطمر الجثث بواسطة الجرافات، ووضع المتفجرات تحت الجثث المطروحة على الأرض كي تنفجر بأيدي من سيرفعها، وتشويه وجوه الضحايا بسوائل حارقة كي يصعب التعرف عليها، أو حتى كي يصبح مستحيلاً.

كذلك تناولت شهاداتهم منع المصورين والمراسلين اللبنانيين من الدخول، وخصوصاً في اليوم الأول، الأحد؛ وهذا بينما كان المصورون والمراسلون الأجانب

---

(٢٢) Danish cameraman et al., The Massacre Video.

يتجولون بحرية عبّــرت عنها مقالاتهم وصورهم. غير أن الأيام التالية شهدت "تسامحاً نســبياً" مع المصورين اللبنانيين، الأمر الذي سمح بنشر الكثير من الصور في الجرائد المحلية.

ننتقــي، بدايـــةً، ما ورد في شهادات المسعفين والمسعفات عن الساعات الأولى من المهمة الصعبة، وعن المشاهد التي انطبعت في ذاكرتهم.

قـــال المســـعف عمـــاد، من هيئة الإسعاف الشعبي، مقارناً بشاعة المجزرة ببشاعة الحرب الأهلية:

> مجـــرد ما أُعلن الخبر توجهت مع بعض عناصر الدفاع المدني الشعبي باتجاه صــبرا وشـــاتيلا. مـــا في شك إنّو لأول مرة إنسان منا بشوف هيك مناظر برغم كل بشاعة الحرب الأهلية اللبنانية. لأول مرة بشوف الواحد منا طرقات مزروعة بالجثث، مكدسة للأسف فوق بعضها...
>
> كان واضح أثر التشويه عند البعض، وأثر الإعدامات عند البعض الآخر. الدبح أو القتل بواسطة رمايات مباشرة...
>
> الحقيقة أكتر شي بيشمئز منه الإنسان وبيشعر بالأسى والحزن، لمّا يشوف طفل مـــا بيتعدى عمره الشهرين، مش مصاب بحادث انفجار أو قذيفة أو قصف طيران أو غيره، إنما مدبوح من الوريد للوريد...[٢٣]

قـــال الحاج ميسم، من كشافة الرسالة الإسلامية، عن مقتل عائلة-بكاملها وعن منع المصورين اللبنانيين:

> أول مـــا دخلـــنا شـــفنا كـــل الـــناس عم يتجمعوا بالساحة، نحنا طحشنا باتجاه الزواريـــب، وكـــان الجـــيش اللبنانـــي معمم ممنوعات كتيرة، كان ممنوع الصحافيين يفوتـــوا، وكـــان ممنوع التصوير، أنا مراسل "السفير" هرّبته بقلب سيارة الإسعاف، أنا فوّته معي...
>
> فتـــنا على بيت... أنا هيدا المشهد ما بينتسى عندي. قاعدين عيلة فلسطينية متل الدوّيـــرة، قاعديـــن يتعشـــوا، الظاهر إنّو ما معهم خبر إنّو في مجزرة، هنّي بيتهم في الزواريب الفرعية بقلب الحرش، قريب من المفرق على مستشفى عكا. اللّي بتذكر إنّو فـــي بَـــيْ، فـــي بَيْ قاعد، وحد منه قاعدة إم ناصحة كتير، وفي خمس اطفال قاعدين مقابـــيلهم!! أنـــا أول مـــرة بشوف مجزره هيك. مش معقول!! الرصاص واضح إنّو

(٢٣) POH. S/SH. No. 82 (244/T.71). ‘Imad T. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator’s office, June 1983.

مرشوش رش عليهم كلهم، ما حدا قايم منهم، ما حدا باقي، ما حدا.

اللّــي أثّــر فيّ مشهد ولد حامل شوكة، كانت بعدها الشوكة بإيدو، يعني الولد مات، والشاهد بعدها الشوكة.

قلتلّو للمراسل اللّي معنا: "دخيلك صوِّر، صوِّر".

رحــنا علــى مشهد تاني، كان فيه مجموعة من ١٣ واحد كاينين موقفين على الحــيطة ومعدومين رش، مبيِّن رصاص فيهم والدم على الحيطان وقاشطين بأرضهم. هيدا معناتو إنهم انرشّوا وهنّي واقفين، مبينة الطلقات على الحيطان. هيدا المشهد شفناه على جنب المخيم... هول الجماعة التلاتعشر واحد أنا نقلتهم بإيدي.

فجــأة سمعنا واحدة أجنبية من الصليب الأحمر صرخت للجيش اللبناني إنّو نحنا عم نصــوِّر، فإجــا الجيش وصادر الفيلم اللّي كان في الكاميرا. نحنا كنا كل فيلم بيخلص حالاً نخبّيه بسيارة الإسعاف. وقدرنا نخبّي خمس أفلام وزّعناها على الوكالات بنفس النهار.

سألوه للمصور: "كيف دخلت؟ مين فوّتك؟" قلهم: "لحالي".

صورة المجموعة اللّي انقتلت على الحيط كانت في الفيلم الأخير اللّي تْصادَر.[٢٤]

قال وفيق، من الدفاع المدني المقاصدي، عن قتل النساء والأطفال وعن الجثث المفخخة:

أنــا كنــت مــن أول الداخلين لهناك... كانَ معنا إرشادات من القيادة إنّو شو ما بنشــوف ما بنلمس، وما بنسطع أي شي غير بأوامر. والحمد لله كانت الإرشادات بمحلها لأنّــو الجتــت كانت مفخخة، غير عناصر من فرق تانية من الدفاع المدني حاولت ترفع بعض الجتت دون ما تنتبه إنّو في منها جتت مفخخة، وطلعت فيهم المتفجرة...

شــفنا شي ما شايفينه بحياتنا، بصراحة، جتت مزتوتة بالميات منفخة ومفخخة بحــد ذاتها كل جتة فيها متل قنبلة أو شي. هيدي شفناها على طول طريق مخيم صبرا لحدود بير حسن/مستشفى عكا.

وشفنا شوفات كتير رهيبة للغاية. أطفال، أطفال بشكل رهيب كانوا. والله أطفال ونســاء كانوا أكتر شي. وكان في كبار عجّز، لكن منظر الأطفال والنساء هو المنظر الطاغــي... أكــتر شي بعيلة واحدة كنا نشوف فيها مَرَه واولادها، وكنا نشوف الجدة واولادها وأحفادها، نشوف الشيوخ والشباب. الشباب قليل، كتير شفنا شيوخ، بس أكتر شي من الضحايا كان طاغي منظر النسوان والاولاد...[٢٥]

---

(٢٤) POH. S/SH. No. 126 (243/T. 96), as above.

(٢٥) POH. S/SH. No. 76 (238/T. 68). Wafiq H. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983.

مأمون، من "لجنة المتطوعين"، تحدث بتفصيل أكثر عن نجاة رفاق له من لغم تحت إحدى الجثث:

> نحـــنا بالنهار كنا تعبانين وبدنا نفل، فإجوا الشباب وكان من حظهم إنهم تعبانين، كانوا أربع شباب كل واحد حمل هاالجثة من ميل بدهم يرفعوها، وهنّي عم يرفعوها كان في قنــبلة تحــتها شايلين الحلقة صارت تبرم القنبلة، فلمحتها أنا، قلتلهم اتركوها، عيّطت عليهم تركوها... خفت تنفجر، وحالاً بعتنا نخبّر الجيش.(٢٦)

نهاد، المسؤول في الدفاع المدني المقاصدي، تحدث أيضاً عن الأطفال وعن الجثث المفخخة وقارن بين صبرا وشاتيلا ودير ياسين:

> إحـــنا كدفاع مدني وكقادة وعناصر شاركنا بأعمال إنقاذ كتيرة، وشفنا كتير من الفظــائع. لمّـــا كنا نشوف رجل كبير بالسن أو مَرَهْ كبيرة أو شاب أو شابة، حتى اللّي كانـــت جثــتهم مشوهة بمجزرة صبرا وشاتيلا، كانت عملية رفع الأنقاض ولم الجثت بالنسبة إلنا عمل وواجب إنساني عم نْأديه.
>
> لكـــن هـــيدا ما بيمنع قدّيه كان تأثرنا ودمعتنا لمّا كنا نشوف الأطفال الصغار، وهـــيدا الشـــي اللّي حز بقلبنا كتير، حتى البعض منا توقف عن العمل لفترة... ما قدر يكفّي، غاب عنا أيام وبعدين رجع.
>
> ما في شك إنّو صبرا وشاتيلا غطت وطويت صفحة تاريخ مجزرة دير ياسين، بصراحة...
>
> نحنا أول ما وصلنا كان في جثت في أول المخيم ظاهرة ومرمية على الأرض. قرّبنا حتى نتفحصها، لاحظنا إنهم ملغمينها بقنابل يدوية، مربوطة القنبلة اليدوية بشكل إذا بدنـــا نقلـــب الجثة تنشال دغري الحلقة تبعيت القنبلة اليدوية، وتنفجر بعد خمس أو ســـت ثوانـــي. فطلبـــت من الكولونيل مارسيل، وكان مفروز من قبل الجيش اللبناني للمهمـــة الإنســـانية هـــيدي، إنّو يبعت الجيش فرقة من سلاح الهندسة متخصصة لفك الألغـــام، لأنّو ما ممكن نشتغل لا إحنا كدفاع مدني مقاصدي ولا أي دفاع مدني آخر، ما لم تتفكك القنابل.
>
> انتظرنا شي أربع ساعات لحين ما إجت هاالفرقة وكشفت على الجثت، وعطّلت أنواع كتيرة من القنابل.(٢٧)

---

(٢٦) POH. S/SH. No. 125 (243/T. 95), as above.

(٢٧) POH. S/SH. No. 75 (242/T. 67). Nuhad L. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983.

حســن، مــن كشاف التربية الوطنية، تحدث عن أنواع القتل المتعددة وعن الجثث المفخخة:

> أول مــا دخلــنا شفنا عدة أنواع من القتل، أول شي إطلاق الرصاص الجماعي هيدا لاحظناه بأول المخيم. كاينين دايرين وجوههم على الحيطان طارقينهم بضهورهم كلهم، مطلقين الرصاص عليهم، ونايمين كلهم هول على بعض...
>
> بتروي واحدة من الشهود، هاي جنّت، بترويَ كيف صاروا ينطنطوا ويفرفروا بدمهــم الشهداء، شافتهم كيف جمعوهم أول مجموعة وقتلوهم على مدخل المخيم. نحنا شــفنا في ناس طارقينهم بالبلطات على روسهم، قاصّينلو راسه للواحد ما مبيّن منّو لا عــيونه ولا مــنخاره. وفي واحد مفجّرينلو أحشاؤه من جوّا، حاطين قنابل ومفجّرينو، وهــيدا أكــتر شــي بعدنا بنسأل كيف صار. نحنا ما عرفناها شو هيّ قضية الحرق، بتلاقي جثة متل ما هيّ سليمة بس محروق بطنها. وما كنا نعرف شو هيّ. ناس بتقول إنّو قناني غاز فيها شليمون بيحرق البطن، لكن ما حدا عرفان شو هنّي.
>
> كنا ندخل على بيت نشوف مَرَه شايلين منها الجنين وزاتينو بالأرض... نشوف جثــت رابطينلنا فيها قنابل متفجرة. وهيدي لو ما ننتبه إلها كان راح عنا إصابات. كنا كتــير واعين ونحنا عم نشتغل بالمجزرة، وإحنا بمجموعتنا لقينا ست جثت مربَّط فيها قنابل موقوتة، يعني أول ما تسحبي الجثة تنفجر المدقة...
>
> كــنا كتير واعين، كنا نحاول نفك القنبلة على أساس إلها شريط، بس تنفك عن الجثة نسحب الجثة، وشلنا نحنا وغيرنا منهم كتير.(٢٨)

شوقي، من الجبهة الموحدة لرأس بيروت، تحدث عن الألغام وبشاعة قتل الأطفال، وهو نفسه تلميذ في المرحلة الثانوية:

> كــان قــتل الأطفال أبشع شي ممكن يتصوره الإنسان. كان في بيت مهبَّط كله على اولاد صغار. وأنا بقدر حدّد وين بالضبط كان البيت. في منطقة بعد ساحة صبرا بشي ١٠٠ متر لقدّام، هناك في شارع طلعنا فيه ووصلنا على البيت على جهة اليمين، هناك كان البيت مهبَّط على الصغار. وين كانوا الحصانين اللّي كانوا ميتين بصبرا ما فــي غيرهم، مشهورة صورتهم، بالوِجْه، كان مهبَّط كله، كانوا كل اللّي شفناهم هناك اولاد صغار. وأنا بتذكّر لمّا شلنا ولد كان راسه خمس شقف. أكتر شي ما ممكن إنساه لمّا شلنا اولاد كتير من هيداك البيت، لوحده.

---

(٢٨) POH. S/SH. No. 73 (238/T. 66). Hasan H. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983.

كمـــان أصـــعب دقـــايق مريت فيها لمّا كنت رايح فتش في قلب بستان، كنت لوحـــدي، لكن ما لحقت إمشي أربع خطوات ولاّ في مَرَه بتعيِّط عليّ: "وقف بأرضك. إنـــت هلّق داعس بحقل ألغام. بدّك تمشي على مهلك." رجعت فعلاً مشيت على هوى دعساتي لمّا دخلت.

المَرَه كان معها حق، لإنّو إجو الفرنسوية بعدين وفجّروا اللغم.

كتـــير طرقات لعند المدينة الرياضية كانت ملغومة، ولا حتى الصليب الأحمر كـــان يســـترجي يدخـــل، نحنا كنا عارفين في جثت بقلب البيسين في المدينة وخايفين نوصلها، لكن بعد ما إجو الفرنسوية، كتير ساعدوا بتفجير الألغام.(٢٩)

زيـــاد، من اتحاد الشبيبة الإسلامية، تحدث عن طبيعة العمل وصعوباته، وعن منع المصورين:

عرِفْـــت الـــناس إنّـــو الجـــيش دخـــل، فصاروا ييجوا يشوفوا بيوتهم وأهاليهم وجـــيرانهم، لقوهـــم كلهـــم مرميين، شي ميت برصاص، شي ميت بفاسة، شي ميت بسكين، وبعد في عنا سكين موجودة من اللّي استعملوها بالمجزرة.

أول يوم كان كل شغلنا نرفع المقتولين المبينة جثتهم على الطرقات.

ما كنا عارفين بعد قدّيه ناطرنا شغل، قدّيه في ناس مقتولة تحت الأنقاض، وما مبينة جثتها.

عملـــنا بقلب المخيم مخيم ميدان. كنا ننام هناك بقلب صبرا. نمنا أسبوعين في مخـــيم دائم للجمعيات على أساس نشتغل مجموعات وما يتوقف العمل. كانت مجموعة تـــروح قـــبل الضـــهر، ومجموعـــة بعـــد الضـــهر، حتى في أيام اضطرينا نضوّي بروجوكـــتورات ونشـــتغل بالليل حتى نلحّق نشيل كل الجثت، لأنّو كل ما طوّلت عم تطلِّع ريحة، وأوبئة، وجراثيم أكتر. وكنا نستخدم مضادات للروائح بكل صبرا.

... أنـــا فـــي إلي تعليق صغير إنّو منعوا الصحافية تصور هاالجثت، هيدا إحنا بنعتـــبره كان غلط، المفروض الجثت كانت تتصور حتى الرأي العام العالمي يعرف، وخصوصـــاً إنّو في بينهم مدنيين لبنانيين... وكنا نحنا نساعد الصحافيين حتى يقدروا يصوروا لمجلاتهم.(٣٠)

---

(٢٩) POH. S/SH. No. 55 (249/T. 54). Shawqi Sh. Interview with author. Beirut: Author's house, April 30, 1983.

(٣٠) POH. S/SH. No. 81 (244/T. 70). Ziad N. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983.

ج ـ الشائعات عن عودة سعد حداد

قال الذين تحدثوا عن مشاهداتهم وانطباعاتهم على أرض المجزرة، خلال عمليات البحث عن الضحايا، إن الشائعات المتكررة عن عودة سعد حداد كانت من أسوأ التجارب التي مروا بها. وقد اتضح، بعد أن انتهت عمليات البحث، أنها كانت حقاً مجرد شائعات. لكن الناس في حينه كانوا يصدقونها، فينتشر الرعب ويهرب الأهالي، حتى أن المسعفين أنفسهم كانوا يهربون، ولا يبقى غير الضحايا.

شوقي، أحد المسعفين الشباب الذين لاذوا بالفرار قبل أن يبدأوا العمل، تحدث عن تجربته هو ورفاقه في الجبهة الموحدة لرأس بيروت:

> إحنا يوم الأحد لمّا عرفنا إنّو في صليب أحمر دخل بقلب صبرا وشاتيلا طَمَّنا بالنا فينا نروح. ومع ذلك رحنا وإيدنا على قلبنا، ولابسين تياب خضر.
>
> نحنا دخلنا من جهة الفاكهاني والجامعة العربية. وصلنا الأحد الساعة عشرة الصبح. ونحنا كنا بعدنا عم نفُوت كانوا كل الناس عم يركضوا ضاهرين ويصرخوا: "إجا سعد حداد، إجا سعد حداد."
>
> ونحنا كمان قَبَّعنا نركض.
>
> لمّا رجعنا على مستديرة الكولا، كان في جيش حد الكولا. ضلّينا بداخل السيارات قريب منّو.
>
> عند الضهر طلعت إشاعة تانية...
>
> نحنا انتظرنا لبعد الضهر حتى قدرنا رجعنا، واشتغلنا طول الوقت لصار الليل...(٣١)

أوضح الحاج ميسم في شهادته أن شائعتين انطلقتا يوم الأحد لا شائعة واحدة؛ وهو الذي كان على رأس المسعفين في كشافة الرسالة الإسلامية:

> إشاعتين كانوا يوم الأحد، واحدة الصبح، وواحدة اتنين ونص تلاتة بعد الضهر.
>
> بعد الشائعات بكل صراحة ما ضل في حدا، قلال الناس اللّي ضلّوا، حتى الصليب الأحمر ترك. لكن بعد ما لقانا عم بنشتغل عاد رجع.
>
> مرة تالتة طلعت الإشاعة يوم الاتنين إنّو سعد حداد نزل، ما ضل في حدا. شي مرعب يلّي صار، متل يوم القيامة، كيف الواحد بيتصور منظر يوم القيامة، وكيف كل الناس هربانة كل واحد باتجاه، كانت الناس يوميتها راكضة بحالة ذعر، حتى وصلت بالركض على طريق برج أبو حيدر، ووصلت للغبيري، ولمناطق تانية بعيدة عن

---

(٣١) POH. S/SH. No. 55 (249/T. 54), as above.

المخيم، وصار الذعر يعم كل المناطق مش بس المخيمات.(٣٢)

الحاج محمود كان من القليلين الذين لم يصدقوا الشائعات، كان من سكان صبرا وفي الخمسين من عمره، وهو لم يفقد أحداً من ذويه، لكنه أخذ بدافع إنساني يساهم في عمليات الإنقاذ والبحث عن الضحايا، والتعرف على من يعرفه منهم. وقد تحدث عن الشائعات بما يؤكد أقوال الحاج ميسم أعلاه:

> أنا الأحد شفت سيارة تويوتا لونها كمّوني واقف عليها واحد صار يقول: "ارجعوا ارجعوا، سعد حداد. ارجعوا، سعد حداد."
>
> ما كان في ناس كتير في المخيم، كان في ناس قلال رايحة جاية، وفي ناس عم تفتش بين الجثت على اللّي راحولها، والطرقات كلها بعدها روس وإيدين ورجلين وشعر وبقايا جثت، وكانوا بلّشوا بدهم يطمّوهم...
>
> أنا كنت واقف على التلة... أنا بالأول ما تحركت. لكن لمّا لقيت الناس هاربين على الجنبين من هون ومن هون، قلت العسا يكونوا فايتين من غير مطرح. أنا لعب بعبّي الشيطان.
>
> هربت أنا كمان...
>
> رجعت نزلت يوم الاتنين، كانوا طامين ناس كتير... وكانوا بلّشوا يحطوا الجثت على الأرض، كان في حوالي ٣٠٠ جثة، وما طلعت إشاعة سعد حداد كمان مرة حتى صاروا الناس يركضوا ويهربوا. لكن أنا كنت شايف مجموعة من سلاح الهندسة في الجيش اللبناني، بعرفهم من لبسهم، جيش لبناني رسمي، كانوا عم يدخلوا ليفككوا الألغام ويفجّروها، كانوا شي عشر عناصر...(٣٣)

أكدت الجرائد الصادرة صباح الثلاثاء أن مصدر الشائعات دخول فرقة الهندسة في الجيش اللبناني للبحث عن الألغام، ترافقها قوة من الأغرار، كما ذكرت أن الإشاعة كبرت حتى شملت "بيروت الغربية".(٣٤)

غير أن الشائعات لم تتوقف حتى بعد الانتهاء من مرحلة البحث عن الضحايا. فقد عاش السكان بعد أن عادوا إلى بيوتهم في خوف دائم، لكثرة ما كانوا يسمعون عن عودة سعد حداد.(٣٥)

---

(٣٢) POH. S/SH. No. 126 (243/T. 96), as above.

(٣٣) POH. S/SH. No. 16 (248/T.18). Hajj Mahmoud R. Interview with author. Beirut: Author's house, February 16, 1983.

(٣٤) جريدة "النهار"، ١٩٨٢/٩/٢١.

(٣٥) POH. S/SH. No. 65 (241/N.10). 'Aisha K. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 24, 1983.

كانــت الشــائعة التي غطت على كل ما سبقها، تلك التي انطلقت عند غروب يوم ذكــرى الأربعيــن لضحايا المجزرة، وقد شملت صبرا وشاتيلا وكل الأحياء المجاورة، فهــرب الناس وهم في ذعر شديد، حتى قال شاهد عيان من سكان مبنى القضاء الثوري خلــف المدينة الرياضية، إن الناس في الشارع كانوا بأعداد هائلة، وكلهم ينشدون الهرب. حاول الجنود الفرنسيون والإيطاليون من القوة المتعددة الجنسيات جهدهم لطمأنة الأهالي. وهــنا يقول الشاهد: "أنا شفت أب فلسطيني ملوَّع راح من دون تفكير ماسك جندي لبناني مــن قميصــه، وعم يصرخ فيه: ‹إنت من الجيش اللبناني ولاّ سعد حداد؟› وراح الجندي الشاب يهدئ من روعه ويقولّو: ‹والله يا عم أنا جيش لبناني›."[٣٦]

بعــد أسبوع كامل من يوم ذكرى الأربعين سمعت أم فلسطينية أن سعد حداد سوف يعود، فحذرت جيرانها ودخلت بيتها لتحمل أولادها وترحل، وعلم جنديان لبنانيان مولجان بالحراسة بأمرها، فدخلا بيتها. وتروي المرأة الحوار مع أحدهما:

> قلّــي: "شــو حاجّة، مين اللّي قلّك بدها تصير مجزرة؟" قلتلّو: "والله في شباب اتنين إسّــى لقيــتهم بالطريق وبيحكوا..." قلّي: "إنت حاجّة بس قوليلي مين هنّي، وإحنا بدنا نقص لسانه اللّي بطلّع إشاعات. ما في مجزرة، ولا في شّي. ناموا ببيوتكم يا إختي وما تخافوا."
>
> ومــن يومها تطمّنا، وصار الجيش يضل رايح جاي في المنطقة اللّي إحنا إسّى فيها. وكل يوم من عشية بيعملوا دورية.[٣٧]

مــن الممكن رد كل شائعة إلى سبب ما، كما قيل بعد شائعة يوم الأحد في التاسع عشر من أيلول/سبتمبر، من أن الناس رأوا مجموعة من المهندسين أو المغاوير، وظنوهم خطأ جماعة من الميليشيات قد عادت، وهكذا اختلطت الأمور. لكن يبقى هناك نقطتان يجدر التوقف عندهما:

الــنقطة الأولى أن الشائعات دائماً كانت تردد اسم "قوات سعد حداد"، ولا مرة كانت هناك شائعة تقول: "القوات اللبنانية"، وهذا على الرغم من أن عناصر القوات اللبنانية في المجــزرة كــانوا أضــعاف عناصر سعد حداد عدداً، فضلاً عن أن القيادة كانت لهم، لا لجماعة سعد حداد، وهذا ما يعرفه السكان جيداً؛ وفحواه أن مصدر الشائعة لو كان مجرد التــباس فــي التميــيز بيــن عناصــر الجيش وعناصر الميليشيات، لكان أولى بالسكان المذعوريــن أن يصــرخوا: "القــوات اللبنانية". أمّا وأن الشائعات كانت دوماً تردد "سعد

---

(٣٦) POH. S/SH. No. 14 (243/T.13). A. M. Interview with author. Beirut: Author's house, February 14, 1983.

(٣٧) POH. S/SH. No. 19 (249/T.22). H. Sh. (Um Akram). Interview with author. Beirut: Author's house, February 24, 1983.

حداد"، فهذا ما يثبت أنه كان هناك من يطلق الشائعات متعمداً إلصاقها بسعد حداد، وهادفاً في الوقت نفسه إلى بث الرعب بين السكان كي يبادروا إلى مغادرة المنطقة فوراً.

النقطة الثانية أن نتائج هذه الشائعات لم تقتصر على هروب السكان وهروب الكثير من المسعفين، فأهم النتائج كانت تتضح في اليوم التالي عندما يعود ذوو الضحايا ليكتشفوا أن ضحاياهم سُحبت ودُفنت، الأمر الذي كان يفقدهم أي دليل عليها، وبالتالي على إمكان تسجيل أسمائها.

كان من مصلحة القوات اللبنانية إلصاق مسؤولية المجزرة كاملة بغيرها، وكان من مصلحتها تقليل عدد الضحايا المدنيين كي تثبت أنها كانت "معركة" لا مجزرة.

مع ذلك، ما زالت تلك الشائعات حتى اليوم لغزاً من ألغاز صبرا وشاتيلا!

د ـ الجرافات والمهمات المتناقضة

كان للجرافات مهمات رئيسية في مجزرة صبرا وشاتيلا، لكن هذه المهمات كانت خلال المجزرة مختلفة تماماً عما كانت بعدها، بل متناقضة كلياً معها.

استُعملت الجرافات في الأيام الثلاثة الدامية لإخفاء الضحايا تحت الركام، ثم للبحث عن الضحايا فيما بعد.

كان عددها في أثناء المجزرة كثيراً، وكانت في معظمها جرافات إسرائيلية. أمّا عددها في المرحلة اللاحقة فكان قليلاً جداً، وكانت تابعة للمؤسسات الإنسانية، وكان أكثرها عملاً وتنقلاً جرافة تابعة للمقاصد الإسلامية.

كان أهم المصادر التي تحدثت عن الجرافات: تقرير كاهان؛ مقالات الكتّاب والإعلاميين الأجانب؛ شهادات ذوي الضحايا والمسعفين.

ورد في تقرير كاهان أن اجتماعاً عقد بين الإسرائيليين والقوات اللبنانية في مقر القوات اللبنانية في بيروت، في نحو الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة (اليوم الثاني من أيام المجزرة). وقد طلب ممثلو القوات من الجيش الإسرائيلي أن يزودهم بـ "تراكتور" من أجل إزالة المباني غير القانونية، فرأى قائد العمليات الإسرائيلي (Chief of Staff) أن هذا مطلب إيجابي، وخصوصاً أنه كان سمع منذ زمن بعيد بوجود أحياء فلسطينية غير قانونية، فوافق على طلبهم الحصول على "تراكتورات"[٣٨] (مع الملاحظة بناء على النص أن الطلب كان

---

(٣٨) *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report.* Introduction by Abba Eban (New York: Karz-Cohl Publishing, 1983). (An authorized translation of: “The Commission of Inquiry into the Events at the Refugee Camps in Beirut, 1983, Final Report”), p. 37.

بصيغة المفرد، بينما كانت تلبية الطلب بصيغة الجمع).

من المنطقي جداً أن يطلب ممثلو القوات من حلفائهم والمشرفين على عملياتهم "تراكتوراً"، وأن يحصلوا على "تراكتورات"؛ وهذا ما حدث فعلاً. لكن المستغرب أن يأتي هذا المطلب متأخراً، نحو الساعة الرابعة من اليوم التالي للمجزرة، في حين كان الجانب الإسرائيلي قد طلب منهم في الاجتماع نفسه الخروج نهائياً في الساعة الخامسة من صباح السبت بسبب الضغط الأميركي. فأي منطق يقبل أن تكون عمليات "إزالة المباني غير القانونية" ــ كما أطلق عليها الفريقان ــ قد تُركت لليلة الأخيرة؟ هل كان لا يزال أمام القواتيين وقت كي يميزوا بين المبنى القانوني والمبنى غير القانوني؟ هل كانت لديهم خرائط؟ أمّا إن كان هدفهم إزالة المباني والمنطقة من دون أي تمييز، فما كان عليهم سوى أن يفعلوا ذلك منذ الساعات الأولى من غروب شمس الخميس. وهذا ما كانوا شرعوا فيه فعلاً منذ البداية، لكنهم تستروا على ذلك، وتقدموا بطلب الحصول على "تراكتور" وكأنهم سيبدأون عمليات الهدم بمجرد الحصول عليه!!

لم يبحث تقرير كاهان في مسألة التأخر ــ رسمياً ــ في مطلب رئيسي كهذا.

أمّا واقع الأمر فهو أن الجرافات كانت متوفرة منذ الساعات الأولى وبكثرة، كما أنها لم تستعمل في إزالة البيوت والمحلات فقط، بل استُعملت أيضاً في هدم البيوت على أصحابها، وفي استحداث الحفر، وفي نقل الجثث وطمرها، وفي إخفاء معالم المجزرة ما أمكن.

لو توقف تقرير كاهان أمام شهادة الطبيب بول موريس، الذي تقدم بها أمام لجنة كاهان نفسها، لكان حرياً به أن يحتوي على مقارنة ــ على الأقل ــ بين شهادة الطبيب موريس عن رؤيته صباح السبت لعشر جرافات، وبين مطلب القواتيين للحصول على "تراكتور" واحد في اجتماع الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة، فهل يعقل أن تصل عشر جرافات فجأة في الليلة الأخيرة؟

ورد في شهادة الطبيب موريس أمام لجنة كاهان عما رآه وهو يسير مع زملائه من أعضاء الفريق الطبي الأجنبي في مستشفى غزة للتحقيق على امتداد طريق صبرا ــ شاتيلا صباح السبت، ما يلي:

> جنرال إفرات: على الطريق عبر المخيمات هل رأيت "بولدوزرات"؟
>
> دكتور موريس: نعم.
>
> جنرال إفرات: كم كان عددها؟
>
> دكتور موريس: عشرة أو أكثر.

جنرال إفرات: عشرة أو أكثر؟

دكتور موريس: عشرة أو أكثر. أنا لاحظت على الأقل عشرة. وأقصد أنه كان من الممكن أن يكون هناك أكثر. كان هناك "بولدوزرات" تعمل في القسم الأكثر انخفاضاً، في نصف الشارع الأقل انخفاضاً. كذلك في نهاية الشارع، عند مفترق الطرق ... عند مخرج المخيمات حيث يوجد حنفية ماء. أنا لاحظت وجود "بولدوزر" هناك بصورة خاصة لأن الناس كانوا يحصلون على الماء في ذلك المكان. وقد سويت تلك المساحة من الأرض تماماً. كان "البولدوزر" ما زال يعمل هناك. كان هناك عدة "بولدوزرات" خلفه. وكان هناك عدد آخر على كل جانب من جانبي الطريق.

جنرال إفرات: ماذا كانت تعمل؟

دكتور موريس: بعضها كان ينقل ركاماً من التراب، وبعضها الآخر كان ببساطة يهدم البيوت وينزلها أرضاً.[٣٩]

يتضح من تكرار الجنرال إفرات للسؤال عن العدد أنه استغرب وجود عشر جرافات. وهو محق في استغرابه، وخصوصاً أنه كعضو في لجنة التحقيق لا بد من أن يكون اطلع على تفصيلات اجتماع يوم الجمعة بين القواتيين والإسرائيليين. وكان ممكناً للجنرال إفرات وزميليه في لجنة التحقيق التأكد من أهمية الجرافات ومن عملها من الشاهدتين أمامهم الطبيبة سوي شاي آنج والممرضة إلين سيغل؛ فكل منهما كان لديها ما تقوله في هذا الشأن، وهو ما ورد فيما صدر عنهما من كتابات. غير أن تقرير اللجنة جاء في النهاية خالياً من أية إشارة إلى دور الجرافات الفعلي في المجزرة.

الحقيقة أن عملية هدم البيوت لم تكن "غاية قانونية" بحد ذاتها كما ادعى ممثلو القوات اللبنانية، وإنما كانت وسيلة لاقانونية ولاإنسانية لدفن الضحايا تحت الأنقاض.

أذاع المراسل الإسرائيلي بن ـ يشاي عن الاجتماع الذي عقد بعد ظهر يوم الجمعة بين الإسرائيليين بقيادة الجنرال إيتان وبين القواتيين، لكن ما أذاعه لا يتطابق بتفصيلاته مع تقرير كاهان الذي صدر فيما بعد. فهو قال، نقلاً عن ضباط إسرائيليين، إن القواتيين طلبوا جرافتين لإزالة "العوائق والسدود" في المخيمات. غير أن الجنرال رفض طلبهم (هذا مناقض لتقرير كاهان الذي ذكر أنه رحب بذلك من أجل هدم البيوت غير القانونية). ثم ذكر أن "الفالانج" تسلموا بعد الاجتماع جرافة إسرائيلية من دون أن يعرف من الذي سمح بذلك. غير أن الجرافة خرجت عما كان يجب القيام به، الأمر الذي أجبر "الفالانج" على تغطية الجثث وإزالة البيوت

---

(٣٩) F. Lamb, ed., op. cit., pp. 583-584.

بواسطة جرافة أُخرى تمكنوا من الحصول عليها مساء الجمعة أيضاً!![٤٠]

باســتثناء بــن ــ يشاي، لم يهتم المراسلون الأجانب بكيفية حصول "الفالانج" على الجــرافات، وإنما اهتموا بفعلها. قال توماس فريدمان، في مقاله المعنون "مذبحة بيروت: الأيــام الأربعــة"، إنــه قياساً بعدد المباني التي أزيلت، أو تهدمت أجزاء كبيرة منها، من الممكــن للمرء أن يحكم أن الهدف كان جعل المنطقة غير قابلة للسكن بعد عودة الناجين من السكان إليها. وقال عن عمل الجرافات:

> أبنــية كثــيرة جرفها "البولدوزر" والجثث في داخلها. بعض الجثث جُرف ووُضع في أكــوام رملــية ضخمة، مع أذرع وسيقان تشرئب خارجها من عدة أماكن. في بعض الأماكن عمل الميليشيويون أكواماً متقنة من الركام والحديد المثني لإخفاء الجثث.[٤١]

أمّــا روبــرت فيسك، وهو من أكثر الكتّاب متابعة لقضية صبرا وشاتيلا، فقال عن الجرافات:

> كان هناك علامات تدل على قبور حفرت بسرعة.
>
> كان الدم ما زال رطباً على الأرض.
>
> كــان هــناك طريق محفور حتى داخل المخيم، وقد ترك "البولدوزر" آثاره في الطيــن. لقد تتبعنا هذه الآثار حتى وصلنا إلى مكان يبعد مئة ياردة عن أرض حرثت حديثاً. الذباب غطى الأرض، وكان هناك رائحة مألوفة، عبقة، وزكية في الهواء.
>
> نظــرنا إلى هذا المكان، وحامت شكوكنا جميعاً حول ما كان مستحيلاً على أي منا أن يكتشفه، وهو أن هذا المكان كان قبراً جماعياً.
>
> هــناك رجــل دبلوماســي رأى وهــو على الطريق خارج المخيم قبل ساعات "بولدوزراً" في جاروفه دزينة من الجثث. مَنْ حفر هذه الأرض بتلك المهارة؟ من ساق "البولدوزر"؟ لم نتمكن من أن نعرف.[٤٢]

أكــد مقال مجلة "نيوزويك"، الذي أعده عدد من مراسليها، شهادة الدبلوماسي أعلاه

---

(٤٠) Ron Ben-Yishay, "Ben-Yishay reconstructs Beirut Massacre," *Jerusalem Domestic Television Service*, September 24, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile…*, op. cit., pp. 60-62.

(٤١) Thomas Friedman, "The Beirut Massacre: The Four Days," *New York Times*, September 26, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile…*, op. cit., p. 73.

(٤٢) Fisk, op. cit., pp. 6-7.

عن جرافات خارجة من المخيم وهي محملة بالجثث، فجاء فيه:

> قال شهود أنهم رأوا بعد ظهر يوم الجمعة "بولدوزرات" وهي تقرقع خارجة من صبرا، كانت مجارفها ملآنة بالجثث. في مكان ما خارج الحائط الغربي لصبرا، على بعد نحو مئتي خطوة من موقع القيادة الإسرائيلية، حفرت "البولدوزرات" قبراً جماعياً. عندما وجد ويلكنسون [أحد مراسلي مجلة "نيوزويك"] القبر لاحقاً، كانت أطراف ثلاث جثث على الأقل تظهر بارزة.(٤٣)

أمّا شهادات ذوي الضحايا عن الجرافات، فقد سبقت زمنياً كلاً من تقرير كاهان والصحافة الأجنبية؛ ذلك بأنها تبدأ مع الساعات الأولى من المجزرة. وقد ورد معنا عبر الصفحات السابقة الكثير منها، وسأكتفي بالعودة والتوقف عند بعضها فقط، وقد اخترته من شهادات تحدثت عن مساء الخميس وصباح الجمعة، أي قبل اجتماع الجنرال إيتان بالمسؤولين القواتيين في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر الجمعة. فما ورد في تقرير كاهان عن هذا الاجتماع أظهر أن القواتيين كانوا، عندما طلبوا جرافة لهدم المباني غير القانونية، كمن لم تكن لديهم جرافات من قبل، وكأنهم لم يكونوا استعملوا جرافات بعد.

أتوقف عند شهادة هند، المرأة التي تسكن خلف المدينة الرياضية تماماً، وهي التي شاهدت مساء الخميس أربع جرافات تعمل معاً في الحي الغربي، بالقرب من بيتها، وهي التي قالت أنها رأت الكتابة العبرية على الجرافات الأقرب إليها والتي استطاعت رؤيتها جيداً (راجع الرواية الثالثة: "شاهدة على دخولهم الحي الغربي"). شرحت لي هند بعد سبعة أشهر من المجزرة، بينما كنا نمشي معاً في الشارع الترابي بين بيتها الصغير والمدينة الرياضية، كيف كانت الجرافات تعمل في تلك الليلة الأولى، وكيف كانت تطمر الجثث، وتشق الطرقات:

> الحفر الكبيرة اللّي عبّوها قتلى هنّي حفروها... كانوا عم يحفروا بالجرافة ويدملوا الجثث بنفس الوقت. لو بتشوفي كل اللّي عملوه وحفروه هون بس، ما بتصدقي بليلة واحدة كله صار، بتقولي يمكن في إلهم شهر بيشتغلوا...
>
> كانوا يدبحوا الناس ويطمروها بالجورة. أنا كنت على سطح بيتي بشوفهم من ورا بطانيات معلقة. هنّي ما قاشعيني أنا قاشعتهم.
>
> ... كل البيوت هون راحت بالجرافات من أول ليلة... بعد في جثث تحتها.

---

(٤٣) Mark Whitaker & Ray Wilkinson (in Beirut), Scott Sullivan (in Jerusalem), "The Making of a Massacre," *Newsweek*, October 4, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile*..., op. cit., p. 86.

كمـــان في جرافات شقت طريق جديدة. شايفة، هاي هيّ الطريق، هاي مكانها كـــان فــي تلـــة رمل هون، هنّي شالوا الرمل وشقوا الطريق وفتحوها. ولمّا بتوصلي لآخر الطريق هاي، بتروحي على اليمين وبتوصلي على المقبرة الجماعية.

هنّـــي دخلـــوا من مداخل كتيرة، ومع ذلك شقوا أكتر من طريق، هلّق منمشي وبفرجيكي طريق تانية...

شـــوفي هـــاالجورة هـــون، كانت كلها جتت. كلهم جابوهم بالجرافة ورموهم. عشـــرات الجتـــت. اللّـــي كانوا بهاي الجورة كلهم طلّعهم بعدين الدفاع المدني ولفّوهم باكياس نايلون.(٤٤)

فـــي شـــهادة أم أكـــرم عن فجر الجمعة، كما وردت في الفصل الرابع، البند الأول "شـــاتيلا مـــا بين الخامسة والسابعة صباحاً"، مر معنا أن أم أكرم شاهدت في تلك الساعة المبكرة آثار عمل الجرافات واضحة على طرقات حي عرسال، كذلك كان واضحاً اختفاء الكثـــير مـــن البـــيوت التـــي كانت تعرفها، لكنها لم تجدها، وقد علقت بأن عمليات القتل والجرف كانت تسير مع بعضها البعض.

تحـــتوي الشـــهادات فـــي أكـــثر من مكان على أن عملية هدم البيوت كانت عملية مستمرة، ومنها ما أوردناه في نهاية البند المذكور على لسان امرأة كانت بين الجموع التي ساقوها صباح الجمعة نحو المدينة الرياضية؛ فقد شهدت أنها رأت على الطريق من شارع شاتيلا إلى حي عرسال إلى المدينة الرياضية، كيف كانت الجرافة تقوم أمام عيون الجميع بهدم البيوت، وبتغطية القتلى بالتراب.

أمّـــا عن أنواع الجرافات فيقول شاهد عيان رآها صباح السبت، وكان بين الجموع التي ساقوها للتحقيق:

فـــي تلات أنواع جرافات أنا شفتهم. واحدة اللّي بتهدم البيوت، هاي كاسحة بتهد البيت كلـــه، والتانية بتسهمد الطريق يعني بتفتح الطريق، وواحدة قلاّبة بتجرف جرف. يعني الـــتلاتة كـــل واحـــدة نوع ومشغلينهم مع بعض، وكان لونهم أصفر. وكان فيه جُوَر واضـــح إنهم حافرينها قبل يوم السبت. لكن ما كانت كل الجرافات إسرائيلية، أنا شفت جرافات هنّي جايبينها، وكانت على عيونّا كلنا عم تطم التراب على القتلى.(٤٥)

---

(٤٤) POH. S/SH. No. 59 (234/T. 56). Hind D. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, May 3, 1983.

(٤٥) POH. S/SH. No. 54 (230/T.53). Anonymous. Interview with author. Beirut: Friend's house, April 28, 1983.

أم ماجد، الأم الفلسطينية، شاهدت عمليات هدم البيوت، وشاهدت كيف كانت المهمة الرئيســية للجــرافات طمر الناس ودفنها أمام أعين الجميع بلا أي خجل، وقد كانت من اللواتــي مشــين مرغميــن يوم السبت. قالت تصف ما رأته في أثناء وقوفها مع الباقين بالقرب من السفارة الكويتية:

> أنا شفتهم كيف رشّوهم في الحفرة قبل السفارة الكويتية من جهة بير حسن. كان فــي هــناك تلــة رمل عالْيه، والجورة صايرة ورا التلة، يعني المنطقة بطبيعتها هناك كإنهــا جورة أوطى من التلة، نحنا كنا شايفين كيف رشّوهم حوالي ١٥ واحد. حطوهم مــع بعض ورشوهم. وبعدين تركوهم وجابوا الجرافة تكب عليهم تراب. أنا اللّي شفته بعيني رشّوهم والجرافة تشيل تراب وتكب عليهم.
>
> أنــا هــادا اللّــي شفته. لكن بعد ما نحنا مشينا في عدة أشخاص من اللّي كانوا بعدهم باقين، في تلاتة أربعة قلولي إنهم أخدوهم صوب خلدة.[٤٦]

شــاهد مــن ســكان المنطقة ربط بين الحفر التي أحدثها الطيران الإسرائيلي خلال الاجتياح، وبين الحفر التي استحدثتها الجرافات خلال المجزرة. قال:

> أنا الجورة اللّي بحكي عنها كانت في قلب المدينة الرياضية، كانوا اللّي يطلعوا ليســلموا يــاخدوهم ويسحبوا عليهم السلاح ويقتلوهم، واللّي بيتحرك يقتلوه مرة تانية، ومرات يدملوهم وهنّي طيبين.
>
> الجــورة هــاي بوجــه المدينة الرياضية، حد جمعية "الإنعاش"، كانت من فعل صاروخ طيران.
>
> لكن في جُوَر هنّي حفروها وشفناهم عم بحضروها، كانت جرافات تحفر جُوَر غميقة بشكل غريب جداً، وبعدين يحطّوا فيها كل هاالقتلى.
>
> كمــان، أنا شفت بعيني الجرافة وهيّ تحفر الطريق وتهدم البيوت... والدكاكين كمان هبّطتها على العالم. فوّتوهم على الدكاكين ورجعوا هبّطوها عليهم.[٤٧]

أمّــا أبو جمال، صاحب الكاراج على طريق شاتيلا، فقال أنه شاهد يوم السبت عند مدخــل شــاتيلا جرافة إسرائيلية ضخمة جداً وغريبة الشكل، لونها زيتي، وقد بدت جبلاً قائمــاً. ثم عقب هذا الرجل، الذي أمضى عمره مع السيارات والآليات، بسخرية ومرارة،

---

(٤٦) POH. S/SH. No. 62 (232/T. 59). "Um Majed" Balqis. Interview with author. Beirut: Friend's house, May 5, 1983.

(٤٧) POH. S/SH. No. 89 (231/T. 75). Sadeq A. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, June 1983.

أن فـــي إمكان جرافة كهذه أن تجرف بيروت، لا مخيم شاتيلا فحسب. وقد مر معنا، في الفصل الأول، كيف أخذ أبو جمال يصف شارع شاتيلا الرئيسي وهو ينبض بالحياة ويعج بالـــناس، قبل الاجتياح. كما مر معنا، عبر عدة شهادات، كيف أن الاجتياح لم يهدم بيوتاً وأماكن كما توقع السكان عندما عادوا إلى صبرا وشاتيلا في أعقاب خروج المقاتلين. غير أن ورشـــة التعمـــير مـــا كادت تبدأ حتى وقعت المجزرة. وقد مشى معي أبو جمال على امتداد شارع شاتيلا بعد خمسة أشهر وهو يشير بيده إلى البيوت التي تهدمت ولم يبق منها أثر. ابتدأنا السير من الجهة الجنوبية شمالاً نحو صبرا، وأبو جمال مسترسلاً يتحدث عن البشر والحجر:

هـــادا البيت هون راحوا كل أهله. هداك البيت اللّي بالوجه راحوا كل أهله، ما ضل منهم حدا. هادا بيت أبو ياسر، هادا بيت أبو علي، كل اللّي في قلبه راحوا كمان، هاي سيارته يا حرام، بعدها واقفة. رحمة الله تنزل عليه. هادا بيت يوسف، أبوه وستو وإمـــه وأخـــوه كلهم راحوا. وأبو صابر وإم صابر ما لاقوهم، وما لاقوا اولادهم، الله يـــرحمهم. هـــدول ما بيّنت جثتهم أبداً. انطمّوا مع اللّي انطمّوا. الله يرحمهم. والبيوت اللّي جوّا أكترها راح... هناك حي عرسال في أول الشارع، يا ويلي على اللّي راحوا منّو. الله يرحمهم...

كـــل هاي البيوت راحت وقت المجزرة، كانت الجرافة وراهم تمشي بالشارع، هنّـــي يشـــتغلوا شغلهم... والجرافة تعمل شغلها. خبّرتك كيف كانت هاي المنطقة فيها أحلى عمار وبيوت، كتير منعرفهم ما حدا قدر يشيلهم من تحت الردم.

فـــي قســـم كامل على اليمين هناك جرفوه كله. ومحلات كتيرة من ست امتار وســـبع امـــتار شـــالوها كلها. أنا المحل عندي طوله ٢٥ متر، شالوا منّو عشر امتار، وجـــرّبوا يضربوه لجوّا، ويهدّوه كله على عشرات الناس اللّي قوّصوهم أول ليلة على بـــاب الكاراج. أنا في رجّال كان طالع على شجرة الكاوتشوك الكبيرة المشهورة، وما قدر ينزل من هناك، بقي طول الليل يراقبهم شو عم يعملوا، هو خبّرني، وخبّرني إنهم ما هدّوا الكاراج بالأول، لكن رجعوا هدّوه تاني يوم...(٤٨)

في أثناء عمليات البحث عن الضحايا تمكن رجال الإسعاف من مشاهدة نتائج عمل الجرافات، فقال نهاد:

لاحظـــنا إنّـــو في قسم كبير من الجتت، وخاصة جتت الأطفال، كانت مطمومة مسبقاً،

(٤٨) POH. S/SH. No. 44 (231/T. 44). "Abu Jamal". Interview with author. Beirut: Outside talk all through Shatila main street, March 19, 1983.

يعنـــي أولاً كـــان فـــي جـــرافات تعمل هناك، لأنّو إحنا لاحظنا أثار دواليب الجرافة، والجـــنزير تَبَعْ الجرافة موجود، لأنّو إحنا أول ناس كنا هونيك وما كان حدا بعد دخل قبلـــنا. إذاً، كـــان فـــي هونيك جرافات والجرافات حفرت ونزّلت جثث كتيرة، وبعدين رجعت طمّتهم، وإحنا عم نشتغل كنا نلاقي هاالجثث.(٤٩)

أمّـــا المهمة المطلوبة من الجرافة بعد المجزرة، فكانت على النقيض مما كانت عليه فـــي أثـــنائها، إذ أصبحت المهمة هي البحث عن الضحايا ورفع الردم والتراب عنها، من أجل التعرف عليها ودفنها دفناً مشرفاً كما كان يردد الشباب المسعفون، لا إخفاؤها عميقاً فـــي الـــتراب مـــن غير شواهد ولا أسماء، من أجل تغييب ذكراها إلى الأبد. وقد تحدث المسعف فايز، من الجبهة الموحدة لرأس بيروت، عن كيفية استعمالهم الجرافات:

أنـــا كنت إشتغل أنا والكابتن غسان حدّ المدينة الرياضية، من فوق، عم نشوف إذا فـــي جُـــوَر بالمديـــنة فـــيها جثث، هوّ عمّ يشتغل على جرافة وأنا عم اشتغل على جـــرافة. نزلت الجرافة أول مرة قلنا ما في شي، نزلت تاني مرة طلع معلّق فيها ٢٥ جثة كلهم شقف. صرخت أنا صوت، تفاجأت، كنت رح إختنق...

كـــان فـــي مَرَه واولادها، كان في عيلة وجيرانهم من شي ٢٧ شخص، شفتهم بالجورة.

رجعنا لقينا جورة تانية...

اللّـــي بعّتقده إنّو في بعد جُوَر لهلّق ما حدا نبشها، لأن الجورة اللّي شفناها كان صار إلها شي جمعتين، يعني حرام يشيلوها مثلاً، فتركناهم.

بعديـــن إجـــا أمر إنّو وقّفوا الشغل، اتركوا كل شي خلص، لأنّو الجثث صارت مهتريّة كتير...(٥٠)

حـــتى عملـــية إنقـــاذ الجثث وحملها بالجرافة من أجل دفنها لم تكن عملية يقوم بها المســـعفون بارتياح، على الرغم من قناعتهم بضرورتها. وقد روى المسعف مأمون كيف كانوا يجمعون الجثث بالجرافات:

فـــي شوارع ضيقة كان فيها عشرات الجثث، صرنا نشيل بجرافة المقاصد. تصوّري جـــرافة بتشـــيل تراب وحجار وردميات صرنا نشيل فيها جثث، لأنّو العدد كان كبير،

(٤٩) POH. S/SH. No. 75 (242/T. 67), as above.

(٥٠) POH. S/SH. No. 78 (231/T. 69). Fayez A. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983.

والجثث كانت منتفخة.(٥١)

التقط المصور الدانماركي (الذي لم أتمكن من معرفة اسمه) مشاهد رفع الجثث بالجرافة. كانت الجرافة تقوم بعملها في منتهى الحذر، وكان هناك من يرشدها من الشباب المسعفين، لتتوقف حالاً خوفاً من تمزيق جثة، أو قطع يد أو قدم.(٥٢)

هـ ـ دفن الضحايا

طوال أسبوعين كاملين كانت عمليات دفن الضحايا تتزامن مع عمليات البحث عنهم. لكن هذا لا يعني أن كل ضحية حظيت بدفن "مشرف" وفق تعبير الشباب المسعفين، أو حتى بدفن "ممكن" في ضوء الظروف، وذلك على الرغم من كل الجهود التي كانت تبذل على أرض المجزرة من قبل الجميع. أمّا السؤال لماذا؟ فالإجابة عنه متشعبة:

أولاً، ما كان ممكناً التوصل إلى المئات الذين دفنوا تحت أنقاض بيوتهم، أو الذين حُفرت لهم في أثناء المجزرة قبور جماعية لم يتمكن رجال الدفاع المدني من التوصل إليها، أو الذين نُقلت جثثهم مكدسة في الجرافات في أثناء المجزرة إلى خارج المكان كله، كما شهد دبلوماسي وآخرون أعلاه.

ثانياً، كان للشائعات المغرضة عن عودة "سعد حداد" و"رجال سعد حداد" أثر كبير في خوف الأهالي وهروبهم، الأمر الذي سمح بدفن الكثيرين بشكل جماعي، وخصوصاً بعد شائعة يوم الأحد، من دون معرفة الأسماء أو العدد. فكثيرون من الأهالي الذين عادوا صباح الاثنين اكتشفوا أن ضحاياهم لم تعد موجودة. قيل لهم، فيما بعد، إن الجميع في المقبرة الجماعية. لكن المقبرة الجماعية لم تكن قد حُفرت بعد، وهذا ما يشير إلى دفن الكثيرين مساء الأحد من دون أي مراسم دينية، ومن دون معرفة الأسماء، أو معرفة المكان.

ثالثاً، توقف عمليات البحث بعد أسبوعين كاملين، لأسباب متعددة: منها التخوف من اهتراء الجثث بحيث يصعب التعرف عليها، ومنها الرغبة في إقفال صفحة صبرا وشاتيلا بأسرع وقت ممكن.

مع ذلك كله، تمكن الكثيرون من الأهالي من نقل ضحاياهم ودفنهم في المقابر المتعددة في مدينة بيروت: روضة الشهيدين؛ مقبرة الشهداء؛ الباشورة. كذلك تم نقل العشرات من الضحايا إلى مدنهم وقراهم، وخصوصاً في بعلبك وصور ومجدل زون وبرعشيت.

---

(٥١) POH. S/SH. No. 125 (243/T. 95), as above.

(٥٢) Danish cameraman et al., The Massacre Video.

روى عدد من الفلسطينيين أن الكثيرين لم يتمكنوا من نقل ضحاياهم لدفنها، إمّا لأنه لـم يتبق أحد من الأسرة، وإمّا لأن من تبقى كان لا يملك القدرة أو المال لذلك، وإمّا لأن من هرب بسبب الشائعات ثم عاد بعدها لم يجد ضحاياه حيث كانت، ليدفنها.

الفـيديو "الدانماركـي" عن أيام البحث عن الضحايا ينقل صوراً تبعث على الحزن والأسـى؛ ينقل صور الجثث المصفوفة بعضها إلى جانب بعض، والنساء اللواتي يرفعن هـذا الغطاء أو ذاك للتعرف على ضحاياهن. كان هناك أكثر من ثمانين جثة في مشاهد يوم الاثنين تنتظر من يتعرف عليها، وانتهى اليوم ودفنت الجثث من دون أن يتعرف أحد على العدد الأكبر منها؛ فهناك عائلات بكاملها أبيدت. ويسمع المشاهد عبر الشريط صوت امرأة تصيح: "يا ويلي، يا ويلي على البني آدمين، وحقهم بالحياة، وين حقهم بالحياة؟"[٥٣]

دُفـن كـل من لم يتعرف عليه أحد، وكل من لم يمتلك ذووه مالاً لنقله ودفنه خارج المـنطقة، فيما أصبح يعرف بالمقبرة الجماعية، وهي تقع في أول شاتيلا إلى يمين الداخل من الجهة الجنوبية. لكن استحداث هذه المقبرة في تلك الظروف الصعبة كان مسألة دقيقة وبحاجـة إلـى غطاء ديني، وخصوصاً أن الرأي الآخر كان يقضي بدفن الضحايا تحت الأرض من دون صلاة ومن دون مراسم؛ وذلك اختصاراً للوقت، ومنعاً لانتشار الأوبئة. ويشرح الحاج ميسم، المسؤول عن الدفاع المدني لكشافة الرسالة الإسلامية، كيفية التوصل إلى قرار حفر المقبرة الجماعية بقوله:

> نحـنا اختلفنا مع الجيش اللبناني على طريقة الدفن، واختلفنا مع جهات تانية من الدفاعات المدنية. نحنا في عنّا شرع عام، ولازم المسلم يندفن حسب الطرق الشرعية.
>
> نحـنا لقيـنا إنّو الجيش اللبناني مع الصليب الأحمر معتمدين يجيبوا الجرافات وتـتم عملـيات الدفـن محلها، دون أي صلى، ونحنا متل غيرنا طول يوم الأحد كنا منشـتغل حـتى رجعـت طلعت إشاعة سعد حداد، وما بيضل بالآخر دومري واحد، منضل نحنا لحالنا. وكان النهار قرب يخلص.
>
> إجانـا الأستاذ فؤاد رستم، قَلْنا: "الوضع خطير جداً، الشباب بدهم يفلّوا." قلتلّو: "نحنا مش قادرين نفل." قلّي: "بتحملوا مسؤولية حالكم؟" قلتلّو: "نحنا مستعدين".
>
> رحـنا لعـند الجـيش اللبنانـي، وقَلْـنا ضابط إنّو ما في حل غير نقيم الجتت بالجـرافات. قلتلّو: "أنا معي بهاللحظة سبعين من شباب الرسالة، لو كلّنا بدنا نموت، نحـنا مسـتعدين. هيدول الضحايا كلهم لازم يندفنوا بطريقة مشرفة." رجع قلّي: "وين بدّك تروح بهالناس؟"

---

(٥٣) Ibid.

أنا بعد في بمخيلتي من مشاهد النهار كله مناظر ألف وأربعمية جثة، وهو بعدو عـم يحاكيني، وأنا بتطلّع عليه وبتخيّل كيف ممكن حقيقة ندفنهم كلهم. أنا بعرف كان عـدد كبير أخدوهم أهاليهم بالنهار، من بيت المقداد ومن غيرهم. رحت قلتلّو: "بنجيب جـرافات بتحفر في الأرض على عمق منيح، في أرض فاضية، ومنجيب شيخ يصلّي قبل الدفن."(٥٤)

اتصـل شباب الرسالة الإسلامية سريعاً بالجهات الدينية العليا: بالعلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وبالعلامة السيد محمد حسـين فضل الله، المرجع الإسلامي الكبير. وكان رأي كل منهما أنه يجب إقامة المراسم الدينية لكل الضحايا بلا إبطاء. وسرعان ما تجاوب معهم فؤاد رستم، رئيس جهاز الدفاع المدني، فطلب الشيخ سلمان الخليل للصلاة على الضحايا، ووصل الشيخ في نحو الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاثنين.

عـادت ورشـة العمـل بعد أن كانت توقفت بسبب الشائعات. وكان أفراد الصليب الأحمـر على وشك المغادرة، لكن ما إن رأوا شباب الرسالة يعملون حتى عادوا بدورهم للمساعدة. وتحول الليل إلى نهار.

شرح الحاج ميسم كيف كانوا يعملون:

كـان عليـنا ندفن مش أقل من ٨٠٠ ضحية، ومعظمهم اللّي اندفنوا في المقبرة الجماعية كانوا فلسطينية...

مـا كـان الشـيخ سلمان يسمح بدفن الرجال والنسوان مع بعض إلاّ مايكون في فاصـل بيـناتهم، وهيدي مسائل دينية محضة. منشان هيك صرنا نعمل طبقات، وصرنا نحـط كلـس علـى الجثث المهترية، ونمد كل ١٠ أو ١٢ واحد حد بعض. وكان الشيخ سـلمان يصلّي جماعة على العشرة، كل فوج بفوجه، كل فوج مش أقل من خمس دقايق، وكان خيّو الشيخ جعفر الخليل يساعده بالصلاة، يعني مداورة، شي متعب كتير.

ما كان في مجال للكفن، كنا نلف الضحايا بحرامات، ونحط كلس وندفن. حطّينا كلـس حـتى مـا يصـير مضاعفات نتيجة تراكم الجثث فوق بعضها البعض. الكلس بيمتص الميكروبات.

وهيك بلّشنا عملية الدفن مع غروب شمس يوم الاثنين.

هلّق في بالمقبرة الجماعية لوحدها من ٧٠٠ لـ ٨٠٠ جثة.(٥٥)

---

(٥٤) POH. S/SH. No. 126 (243/T. 96), as above.

(٥٥) Ibid.

كتب الشيخ سلمان الخليل يوميات موجزة عن أيام الاجتياح والمجزرة، وقد جاء فيها بشأن الدفن:

> نهـار السبت دفنت القتلى بمجزرة صبرا وشاتيلا أنا وأخي الحاج جعفر في روضة الشهيدين وعددهم تقريباً أول يوم ٢٠.
>
> نهـار الأحد دفنا منهم عدداً كبيراً، ونهار الاثنين في ٢٠ أيلول ١٩٨٢ دفنا في روضـة الشـهيدين وصـلّيت على ٢٧ جثة من آل المقداد... وبعد الظهر من اليوم المذكـور، في الساعة ٤:١٥ ذهبت إلى مخيم صبرا وشاتيلا بطلب من الدفاع المدني وكشـافة الرسالة وصلّيت على مئة جثة تقريباً بين طفل وامرأة وشيخ، صلّيت مرتين علـى الرجال ومرة على النساء، ورجعت يومها على البيت في الساعة الخامسة مساء في حالة يرثى لها.
>
> ويوم الثلاثاء أيضاً طلبني الدفاع المدني إلى مخيم صبرا وشاتيلا وصلّيت على ٧٥ جـثة بينهم رجال ونساء وأطفال. وكان يومها السفير الفرنسي هناك وتحدثت معه ورجعـنا إلى روضة الشهيدين ودفنا عدداً من الضحايا، وسفّرنا عدداً من الضحايا إلى الجنوب وبعلبك بالسيارات...
>
> ... صلّيت على خمسمئة ضحية خلال خمسة أيام من ٢٠ أيلول إلى ٢٥ أيلول ١٩٨٢.[٥٦]

وتحدث المسؤول في الدفاع المدني المقاصدي عن المقبرة الجماعية:

> عملنا مقبرة جماعية، لأنّو بعض الصعوبات تبيح المحظورات.
>
> لقّيـنا جميع الجثث واعتبرنا إنّو هاالجثث كلها لشهداء لذلك ما غسّلناهم، دفناهم بدمهـم، بحالـتهم، لكـن غلّفناهم كلهم ونزّلناهم بالمقبرة الجماعية، وسيّجنا المكان... ووضعنا أكاليل...[٥٧]

ثالثاً: تكملة الروايات السابقة

مر معنا فيما يتعلق بالأيام الثلاثة الدامية اثنتان وأربعون رواية، لم تكتمل كلها. كل من فقد أقرباء له كان يأمل بأن يجدهم بعد انتهاء المجزرة.

---

(٥٦) "يوميات الشيخ سلمان الخليل، ١٩٨٢" (مخطوطة تتناول الاجتياح الإسرائيلي للبنان ومجزرة صبرا وشاتيلا)، ص ١٣.

(٥٧) POH. S/SH. No. 75 (242/T. 67), as above.

مـنهم من وجد أحباءه ضحايا أو أشلاء، ومنهم من لم يجد أحداً، ومنهم من لم يجد شيئاً؛ لم يجد أي دليل.

وهكذا، لم تكتمل روايات الأيام الثلاثة حتى بعد انتهاء عمليات البحث عن الضحايا.

وهكذا، كانت المأساة تتضاعف بعدم قدرة ذوي الضحايا على إثبات مقتل ذويهم.

البيـت الذي هدمته الجرافة على من فيه، ثم راحت تبتلع البقايا لتقذف بها في مكان آخر، فمن أين يأتي أقرباء هؤلاء بالهويات، أو بأي إثبات يقنع المسؤولين؟

* * *

الرواية الأولى، وهي بعنوان "شهود على دخولهم منطقة بئر حسن"، تحدث شهودها عن دخول المسلحين المنطقة، مع غروب شمس يوم الخميس. وتعتبر هذه الرواية مستثناة في بدايتها كما في نهايتها.

بدايـتها مستثناة لأن أحداً من رواتها وشهودها لم يُقتل، أو يُخطف، أو يُعذب، وذلك علـى الـرغم من أن أحد المحتجزين داخل بناية بعجور تحدى المسلحين، لمّا سألوه عن هويـته، بقوله معتزاً: "... بدّك تطخ طخ... أنا فلسطيني من ٤٨. أنا من نص فلسطين"، وكذلـك علـى الرغم من حماسة أحد المسلحين الذي هب طالباً من زميل له مسؤول أن يرش هؤلاء الفلسطينيين كي يخلصوا منهم؛ غير أن ذلك الزميل رفض إطلاق النار على هؤلاء السكان المحتجزين متذرعاً بأن ليس لديه أوامر.

حارس بناية بعجور، الجد الشجاع، والذي نجا من الموت مع أحفاده وكنتيه أم وسيم وأم أيمـن، مسـاء ذلـك الخميس، طالما جلس مع أفراد عائلته يتساءلون: لماذا قال ذلك المسلح أن ليس لديه أوامر؟ لماذا عفا عنهم؟

ومرت أشهر بعد الأيام الثلاثة الدامية.

جاءهم بعدها بالخبر أبو محمد، جارهم، الذي كان بين المحتجزين معهم. وتروي أم أيمن ماذا قال الجار لهم:

> قال أبو محمد إنّو كان بمدينة صيدا واقف على جنب الطريق، ما شعر إلاّ واحد أجـا مـن ورا ضهره وراح يطبطب على كتفه. تلفت أبو محمد ما عرفُه، راح هداك سـأله: "ما عرفتني؟" رد أبو محمد: "عرفتك... وما عرفتك." قلّو: "أنا صاحبك... من جل الديب، تذكّرتني؟" هون فعلاً تذكّرُه أبو محمد، وقلّو: "هلّق تذكّرتك، لكن هاالسنين والأيام فرّقت الناس."
>
> رجـع الرجّال سألُه: "إنت ما كنت ببناية بعجور في أول يوم؟" واستغرب كتير أبـو محمـد، قلّو: "صحيح. لكن كيف عرفت؟" هون رد عليه: "لأني أنا كنت مسؤول

الفــرقة، ومــا ممكن أطلق النار عليك، وبيناتنا خبز وملح، لكن ما حبيت إنك تشوف وجهي، ضلّيت داير وجهي وقلت إنّو ما عندي أوامر."(٥٨)

رواية مستثناة حقاً، في نهايتها كما في بدايتها.

يــبقى التساؤل: هل لا بد من خبز وملح بين الإنسان والآخر، كي يجمع بينهما ذلك الحس بالإنسانية، الذي وحده يميز الإنسان من كل مخلوقات الله الأُخرى؟

* * *

هند في الرواية الثالثة، "شاهدة على دخولهم الحي الغربي"، والتي أصيبت في قدمها أمام بيتها، والتي تمكنت من أن تعيد أولادها إلى البيت موهمة المهاجمين بأنهم هربوا من الجانــب الآخــر، بقيت طوال الأيام الثلاثة تأمل بعودة زوجها سالماً من زيارته لأمه في الجنوب.

عــندما تــأكدت هند أن الناس بدأت تخرج من بيوتها، خرجت لتبحث عن زوجها، يوماً ويومين، حتى وجدته هناك، ممدداً مع العشرات، على مقربة من المقبرة الجماعية:

> كان منفوخ وحالته كئيبة كتير. حتى أنا ما عْرِفْتُه من أواعيه، التياب كلها كانت معفــرة وما فيكي تعرفي حدا من حدا. نحنا عرفناه من طلوع كان طالعلو براسُه، كان طلــوع مــتل حبة البلح، لمّا أنا قرّبت عليه، ما كان فيني شوف وجهه، ما كان مبين، كانوا سالخين وجهه ما مبين يعني، أو كانوا كابين مَيِّة نار عليهم، ما منعرف، لكن أنا عْرِفْتُه على طول من الطلوع اللّي براسُه... شو بتسألوني شو صار؟
>
> أنا صرت صرّخ بلا وعي. وإجوا اولادي يصرخوا على بَيْهم، وكنت بعدني ما صــحيت من الصدمة بلاقي قريب من جوزي اولاد خالتي التلاتة، تلات شباب، تلات جتت مرميّة...

بعد أن هدأت هند قليلاً، قالت إن خالتها لبنانية متزوجة بفلسطيني، وأولاد خالتها هم وليد ومحمود ومحمد حرب.

لمّا سألتها إن تكن قد علمت متى عاد زوجها من الجنوب، قالت إنه عاد مساء أول ليلة، "وصل هو والمجزرة سوا...". وقد علمت فيما بعد، من والدة زوجها، أنها خبزت لها وللأولاد خــبز "بقعــات على الصاج، على الطابون"، فالحماة كانت تعلم أن كنتها تحب خبز الطابون، وتعلــم أيضاً أن الخبز مفقود في بيروت، فأصرت على أن يحمل ابنها كل الخبز ووعاء كبيراً

---

(٥٨) POH. S/SH. No. 41 (249/T.40). Munira M. Sayyed. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, March 14, 1983.

من اللبن، وأصر هو على العودة في الليلة نفسها ليؤمن الخبز واللبن للأولاد.(٥٩)

* * *

انتصار محمد خليل في الرواية الرابعة، "شهادة مؤجلة من حي عرسال"، أم الأطفال الثلاثة التي بقيت تنتظر زوجها مع أطفالها في منزل خالتها منذ غروب شمس يوم الخميس، بينما عاد هو إلى بيتهم في حي عرسال ليجلب الحليب للرضيع، لم تسمح لها خالتها ولا أمها بالذهاب لتتفقد زوجها أبو نبيل، وكانت هي خائفة جداً من أن يكون أصابه مكروه. كانت تردد لخالتها: "مش معقول يكون بخير وما يطلّش علينا كل هالمدة. مش معقول." لكنها لمّا علمت ببعض ما جرى، وتأكدت أنه أصبح في إمكانها الذهاب إلى بيتها، ذهبت من جهة صبرا من الشمال من دون أن تستمع لنصائح خالتها، ويا لهول ما رأت:

ما بحياتي تصوّرت شوف اللّي شفتُه. الرجال مرميّة، اللّي مضروب بالبلطة، اللّي مضروب بالرصاص. وكنت شوفهم بعيني كيف عم يرفعوا الألغام من تحت منهم، من تحت روسهم، قبل محل الدوخي بِشْوَي.

رحت بدّي أقطع الشارع لروح على بيتنا في عرسال، لكن ما كان فيّ أستهدي على مدخل الحي، ما عدت أقدر، مكومين الناس على بعضها، بعدين ضلّيت ماشية حتى استهديت على المدخل الرئيسي، وين بيتنا يا الله؟ كل البيوت اللّي حوالينا تقريباً صالحة، لكن كاينين جايبين الردم وحاطينه كله تقريباً عندي بقلب البيت، قايمين الحيطان كلها، قايمين السقف، وما في من البيت غير العمدان. لمّا تطلّعت على الزاوية شفت التلفزيون، تأكدت إنّو بيتنا من التلفزيون، وصرت صرّخ: يا أبو نبيل!!

ما كان في حدا بالحي كله لمّا كنت صرّخ لوحدي، ما كان في دومري... سحبت حالي ورحت أسأل في مستشفى عكا، ما في حدا، حد السفارة الكويتية كان مسلحين كتير، ما استرجيت قرّب. وين أسأل؟

إبني عمره شهر ونص وبدّو يشرب حليب، عدت رجعت على البيت لقيت القناني والحليب بعدهم محلهم، أخدتهم ورجعت عند خالتي.

لاقوني صحفية أجانب على الطريق وصلّوني على بيت خالتي، خبّرتهم شو صار، واحد منهم أعطاني مية ليرة للصغار، وأنا مش واعية...

رجعت تاني يوم، إلاّ في مَرَه كبيرة سألتني: "شو مالك يا خالتي؟" قُلْتِلْها: "جوزي ما عارفة عنّو شي، وما ملاقيتلو أتر." راحت قلتلي: "في واحد هناك روحي شوفيه."

---

(٥٩) POH. S/SH. No. 59 (234/T. 56), as above.

ورحـت. بلاقـي رجّال مرمي من دون راس. ومن دون تياب. ما عليه غير مـايوه. وشو عاملين فيه الله لا يوفّقهم، مع الجرف جارفينه، راسه ما شفته، ما لقيته، رجلـيه ما شفتهم، إيديه ما شفتهم. ما شفت غير جسم مقطع، ما عليه غير المايوه. الله لا يوفّقهم.

كـان الله يـرحمه فـات يوم الخميس تحمم، وقلّي: "أعطيني المايوه برتاح فيه أكثر..."[٦٠]

مـا انـتهى عذاب الزوجة. كان لا بد من جرافة كي ترفع الحجر الكبير الذي وقع علـى زوجها، وكان على شباب الدفاع المدني أن يبعدوها، لكنهم بعد أن تمكنوا من رفع الحجر اقتربوا منها وأكدوا لها أنهم بحثوا جيداً ولم يجدوا شيئاً آخر.

راحت انتصار في اليوم الثالث تفتش لوحدها، حتى وجدت قطعة من رأسه وشعره، وعرفته من شعره. هكذا وجدت أخيراً دليلاً قاطعاً بالنسبة إليها، وغابت عن الوعي.

لـم تعـرف انتصار لماذا كان بيتها مهدماً بينما بيوت الجيران بقيت على حالها. لم تعرف. غير أن جارتها التي أَجريت الحديث مع انتصار في بيتها، هزت رأسها قائلة: "يا إم نبيل بدّك تعرفي ليش انتقموا من جوزك وقطّعوه؟ منقولّك ما بتصدقي." وتتلفت الجارة نحوي لتقول بكل ثقة:

أبـو نبيل قاوم. الوحيد اللّي حمل كلاشين وقاوم. قاوم بهاالخرطوشات اللّي كانوا معه. وكمان قاوم بالفرد الـ ١٤ اللّي كان معه.

انتصار لا تعرف إن كان زوجها قد قاوم حقاً، لم تتأكد.

قالـت إنه كان يحتفظ بالكلاشين والمسدس، لكن البيت جُرف تماماً، والمكان حيث كان يضع السلاح جُرف تماماً؛ فهي لذلك لا تعرف.

هل ضاع السلاح بالجرف؟ هل ضاع مصادفة؟

أم أنهم جرفوا البيت لأن زوجها حمل ذلك السلاح وقاوم؟

إنها لشهادة مؤجلة من حي عرسال.

* * *

أحمـد فـي الـرواية الخامسـة، "الجيران الشهود في أول شاتيلا"، والذي كان مع رفـاق لـه عـندما أخذت القذائف الإسرائيلية تنهال على شاتيلا، بعد ظهر يوم الخميس،

---

(٦٠) POH. S/SH. No. 112 (241/T. 88). Intissar Khalil (Um Nabil). Interview with author. Massacre area: Narrator’s house, June 3, 1984.

والذي بادر إلى حمل أحد رفاقه إلى مستشفى غزة بعد أن أصابته شظية، قال أنه لمّا ترك البيت مع رفاقه لإنقاذ المصاب، كان أهله لا يزالون في البيت، وهو حين عاد والتقى في المستشفى مساء جارة لهم، أخبرته أنهم جميعاً ذهبوا إلى الملجأ عندما اشتد القصف، وكانت هي مع أهله في الملجأ نفسه، لكنها لمّا جاء القتلة وأخرجوا الرجال وصفّوهم "على جنب"، وكذلك صفّوا النساء والأطفال "على جنب" آخر، تمكنت من الهرب إلى مستشفى غزة من دون أن يروها.

كان أحمد، الشاب الناجي الوحيد من أسرته، يتحدث بمسؤولية وهدوء، وكانت إجاباته في معظمها مقتضبة. لم ينطلق في الكلام إلاّ حين سألته عن أفراد أسرته الذين قضوا، وهل تمكن من العثور على الجثث؟ فأجاب بأنه لم يجد أحداً منهم. أمّا عن عددهم، فهم والداه وجدته وسبعة من الإخوة والأخوات، كلهم قتلوا. وهنا ما اكتفى أحمد بذلك، بل راح يسترسل في سرد أسمائهم الكاملة من دون توقف، ابتدأ بوالده وأمه وجدته، ولمّا وصل إلى إخوته وأخواته، ارتفع صوته، وأخذ يردد الأسماء الثلاثية كأنه أمام محكمة: "صابر علي الخطيب، حسين علي الخطيب، نادر علي الخطيب، منذر علي الخطيب، مريم علي الخطيب، آمنة علي الخطيب، امتثال علي الخطيب." ثم راح ينظر إلى البعيد بينما صوته يزداد خفوتاً، وهو يقول بهدوء كمن يحدث نفسه، ولا أحد معه في الغرفة:

> أختي الصغيرة كان عمرها سبع سنين بس. كلهم راحوا. ولا جثة واحدة ما لقينا من أهلي. وضلّوا يسألوني عن إثبات. ما في جثة، ما في هوية بالجيبة، ما في إثبات. ما قدرت أسجلهم في الصليب الأحمر. ما لقيت إثبات.(٦١)

الجثة الوحيدة التي اكتُشفت كانت جثة الجدة، وقد عرفتها ابنتها خديجة، خالة أحمد، من صورة للضحايا على الصفحة الأولى من جريدة يوم الأحد، عرفتها من فستانها، فالوجه لم يكن ظاهراً أساساً في الصورة، كذلك عرفت جثتها ابنة ثانية لها على أرض المجزرة، من الفستان أيضاً.(٦٢)

* * *

حمزة في الرواية الخامسة عشرة، "قتلونا مرتين"، والذي نجا مع أبيه من جدار الموت، كان يعلم أن أخاه عباس قتل عند ذلك الجدار، وأن أمه وأخواته لا بد من أنهن

---

(٦١) POH. S/SH. No. 26 (241/T. 28). Ahmad Khatib. Interview with author. Beirut: Author's house, March 1, 1983.

(٦٢) POH. S/SH. No. 21 (241/T. 23). Khadijah Khatib. Interview with author. Beirut: Friend's office, February 25, 1983.

قتلن أيضاً، لكن.. من يعلم الحقيقة، كل الحقيقة، في أتون مجزرة؟

نام حمزة وأبوه تلك الليلة في مستشفى عكا، وكانا من شهود اقتحام المستشفى صباح الجمعة، ثم كانا مع الذين نقلهم الصليب الأحمر الدولي إلى مستشفى نجار.

جـــاءهم عم له من ضيعتهم البعيدة مجدل زون حالما سمع النبأ، وما إن وصل إلى الحـــرش حتى وجد جثمان عباس ابن أخيه مطروحاً على التراب بالقرب من البيت ومن ذاك الجـــدار. بكى الرجل. حمل ابن أخيه الشاب، ابن الثمانية عشر عاماً، إلى ضيعتهم. هناك قام بدفنه ومن حوله أهل الضيعة.

يوم أخذ العم جثمان عباس، كانت الشائعات عن عودة سعد حداد التي لم ترحم أحداً منتشـــرة، فلـــم يتمكـــن من معرفة مصير الآخرين. ولمّا تمكن الأهل من العودة ثانية لم يعرفوا تماماً ماذا جرى للأختين الصبيتين نجاح ونهى وأمهما.(٦٣)

غير أن فاطمة، جارة نجاح ونهى، وابنة قلعة الشقيف، قالت أنها سمعت من شهود مـــن الحـــي بعد انتهاء المجزرة أنهم شاهدوا جثثهن بالقرب من محطة فتح، كما وجدوا الهويات بأيديهن على الأرض.

لكن.. أين الجثث؟ أين الهويات؟

لم يشاهد أفراد الصليب الأحمر، ولا عناصر الدفاع المدني، ما شاهده الشهود.

هم ربما وجدوا الجثث لكنهم لم يجدوا أحداً من الأهل ليعرّف عن أصحابها. لم تكن شهادة أي كان تُقبل.

لكن.. أين كان الأهل؟

أمـــا كان رب العائلة وابنه حمزة جريحين في مستشفى نجار؟ أما طاردت شائعات "سعد حداد" العم الذي جاء ليتفقد أسرة أخيه، فاكتفى بحمل عباس لدفنه في مجدل زون؟

لم يرد اسما نجاح الفقيه ونهى الفقيه في اللوائح الرسمية.

حقاً، إن ما جرى بعد المجزرة لم يكن أقل هولاً منها.

أنكرت المجزرة على هؤلاء الناس الحق في الحياة.

وأنكرت أحداث ما بعدها على هؤلاء الضحايا الحق في الموت.

* * *

أم ربـــيع في الرواية السابعة عشرة، "من الملجأ إلى مستشفى غزة"، هذه الممرضة التي أنقـــذت العشرات، والتي وقفت صباح الجمعة على درج المستشفى تسأل جارتها أم أكرم عن

(٦٣) POH. S/SH. No. 36 (236/T. 36). Hamzah F. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 9, 1983.

مصير أمها وأخيها، عرفت من جارتها أن كل الذين كانوا في ملجأ أبو ياسر قتلوا.

حاولت الدخول يوم السبت فلم تتمكن كغيرها، وكررت المحاولة صباح الأحد. دخلت من جهة جامع الدنا حتى وصلت إلى القهوة عند مفرق سينما الشرق. تقول:

> كان الجيش اللبناني في كل مكان لمّا دخلت. وكانت الجتت مكوّمة على الجنبين تحت الرمل والردم. في منها مطموم، ومنها مبيّن، ومنها مش مبيّن مغطّينه على الجنبين. ضلّيتني نازلة بس الريحة ما حدا بيقدر يتحملها. وما شفت غير اطفال فوق بعضهم البعض، اللّي عمره ٣ أو ٤ أو ٥ سنين، اللّي مش مبيّن راسُه، اللّي إجريه لحالهم بعاد عنّو...
>
> شافني جندي سألني لوين رايحة، قلتلّو إني رايحة على بيتي وأشّرتلّو على مدخل الزاروبة. قلّي أن أدخل من زاروبة تانية لأنّو في غيرُه من الجنود ما رح يسمحولي. قمت لفّيت من الزاروبة التانية متل ما قال، حتى وصلت لحد بيتنا، قريب من ملجأ أبو ياسر. أول شي شفته خمس جتت حد الملجأ.
>
> كانت الساعة ما صارت تسعة، كان في هدوء، ما في ولا صوت، وكان المخيم فاضي، تشجّعت وتطلّعت على الجتت، كاينين رابطينهم بمرسة [حبل].
>
> مرقْ رجّال من حدّي، ووقّف سألني: "يا أختي وين ملجأ أبو ياسر؟" قلتلّو: "هادا هو الملجأ قدّامك، وهادا أبو ياسر نفسه." كان بعدُه أبو ياسر متل الباقين ملقّح جثمانه على الأرض. وخدمني الرجّال لمّا طلبت منّو إنّو يشوفلي في حدا بقلب الملجأ. غاب خمس دقايق ورجع قلّي إنّو ما في حدا.(٦٤)

وصلت أم ربيع إلى ساحة أبو حسن سلامة حيث كُوِّمت أكثر من مئتي جثة كما قدرت. لم تستطع معرفة أمها، ولا أخيها، ولا امرأة عمها، ولا واحدة من النسوة جاراتها. ومن هناك ذهبت إلى كاراج درويش حيث كانت أم أكرم قد قالت لها إنهم أخذوهم إلى هناك، وحيث ارتكبت هناك عملية قتل جماعي، لكنها اكتشفت استحالة التوصل إلى معرفة أحد، كان "الكاراج" نفسه هدّموه فوق الضحايا.

* * *

أم أكرم في الرواية التاسعة عشرة، التي كانت "أولى الباحثات عن الضحايا"، منذ فجر الجمعة، كانت آخر من تمكن من معرفة شيء عن ضحاياها.

---

(٦٤) POH. S/SH. No. 24 (240/T. 26). Harbeh J. (Um Rabi‘). Interview by A. M. Massacre area: Narrator’s house, February 28, 1983.

لمّا اطمأنت أم أكرم إلى مأوى لأسرتها في مدرسة الظريف، كانت تذهب يومياً إلى ساحات القتلى وزواريب القتلى لتبحث عن المفقودين من عائلتها. وهناك بالتحديد، حيث هدموا كاراج درويش على من قتلوهم، كانت أم أكرم تمر كل يوم، إلى أن تمكن الصليب الأحمر في اليوم الرابع لعمليات البحث من إزالة الردم، وانتشال جثث الضحايا.

بين تلك الجثث كان هناك أربع جثث تبحث عنها أم أكرم، كان لها حفيدان وأبوهما وجدتهما. أمّا وقد كُوّمت بقايا الجثث فوق بعضها البعض أشلاء، فقد وقفت المرأة المعروفة بشجاعتها وصمودها مدهوشة حقاً. هذه أشلاء لا ضحايا.

يا الله.. عفوك يا الله.. بعد كل هذا العناء هل أصابت أم أكرم بإصرارها على البحث عن ضحاياها، أم أخطأت؟

أما كان الأفضل أن تبقى صورة الأطفال حية ضاحكة في ذكريات الجدة؟

ها أن هذه الصورة تتحول إلى أشلاء.

شكرت أم أكرم ربها الذي أنقذ الحفيد الأصغر وأمه (ابنتها) التي رفضت أن تبقى في الملجأ.(٦٥)

المجازر ليست حروباً يشعلها القصف، فيحتمي الناس بالملاجئ.

في المجازر لا تُبعد الملاجئ الموت عن الخائفين الأبرياء، وإنما هي التي تقودهم إلى حتفهم؛ إنها المكان الأول على خرائط القتلة.

* * *

في الرواية العشرين، "في انتظار الموت"، لم تكتمل فصول مأساة عائلة أبو ردينة مساء الخميس، ولا حتى يوم الجمعة. إذ لمّا أجبروا شهيرة وصغارها على السير نحو المدينة الرياضية، رأت شقيقتها عايدة مقتولة، ورآها الصغار، فصاحوا: "يا ماما شوفي خالتي عايدة"!

أمّا عن أبيها، فلم تعرف شهيرة شيئاً. لم تعرف إلاّ بعد أن عادت إلى البيت، وهي التي قالت: "ويا ريتنا.. يا ريتنا ما رجعنا."

اكتشفت شهيرة بعد عودتها أن أختها الحبيبة عايدة لم تكن وحدها التي قتلت، فقد قتلوا زوجها محمود أبو الديب، ووالدها محمد أبو ردينة، وأخاها طالب، وابن عمها شوكت.

شيء واحد فقط استطاعت شهيرة أن تحققه، في حين لم يتمكن العشرات غيرها من تحقيقه؛ فقد تمكنت من دفن ضحاياها في مقبرة الشهداء، حيث توجد لهم قبور تبكي عندها.

---

(٦٥) POH. S/SH. No. 19 (249/T. 22), as above.

كلهم تمكنت من دفنهم، باستثناء أختها عايدة التي كان الدفاع المدني قد نقل جثمانها إلى المقبرة الجماعية.

إلـــى هناك، إلى المقبرة الجماعية، تذهب شهيرة دائماً، تترحم على أختها وعلى كل الضحايا الجيران من حولها، الراقدين تحت التراب.(٦٦)

* * *

زوجة محمد محمود سعد في الرواية الحادية والعشرين، "أب وابنته"، كانت مأساتها مضاعفة عندما عادت إلى البيت لترى كيف قتلوا ابنتها الجميلة عفاف، لكنها لم تجد أثراً لـــزوجها. أمضـــت أربعة أيام كاملة تبحث عنه حتى وجدته مرمياً في الشارع، جثماناً قد تأكل.

ابتدأت معركة سحب الجثمان لدفنه.

رفـــض المسؤولون في مستشفى غزة رجاء الزوجة لهم لأخذ حمالة والذهاب معها مـــن أجل رفع الجثمان. كانت حجتهم أن الجثث كلها ملغومة، أو مفخخة، لكن اتضح فيما بعد أن هذه الجثة ليست كذلك.

لجأت إلى الصليب الأحمر فساعدها، ونقل الجثمان، وتمكنت من دفنه، ومن الصلاة عليه.(٦٧)

غيرها من الجارات والصديقات لم يتمكنّ من دفن ضحاياهن.

وكثـــيراً مـــا حسدنها على ذلك. أما قالت لها جارتها: "اشكري ربك إنّو في إلو قبر تزوريه."

* * *

أم أحمـــد في الرواية الخامسة والعشرين، "عائلة أم أحمد"، كانت لا تزال تختبئ مع ابنتها نهاد في انتظار الساعة التي تعود فيها إلى بيتها، وكانت كلتاهما جريحة.

ابنـــتها ســـعاد، التـــي لم تتمكن من القيام للهرب مع أمها وأختها، بقيت ملقاة على الأرض بين القتلى من عائلتها. بقيت حتى كان يوم الأحد، حين دخل البيت جنود لبنانيون فأنقذوها.

كانـــت سعاد أصيبت بأربع رصاصات شلتها عن الحركة؛ كانت لا تزال وحدها في

---

(٦٦) POH. S/SH. No. 69 (231/T.63). Shahira Abu Rudaineh. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 30, 1983.

(٦٧) POH. S/SH. No. 13 (238/T.9). Salim Hout. Interview with author. Beirut: Narrator's office, February 11, 1983.

قيد الحياة مع كل الأحباء الذين قتلوا من عائلتها؛ فكان إلى جانبها والدها، وأختها الطفلة، وإخوتها الذين جندلهم الرصاص.(٦٨)

لكل فرد من أهل صبرا وشاتيلا حكاية؛ أمّا سعاد سرور فلها أكثر من حكاية.

حكايـــة هــذه الفتاة لم تنته بإنقاذها من قبل الجنود وحملها إلى المستشفى، بل هناك ابتدأت الحكاية، وأخذ مسرحها يتنقل بين لبنان والخارج، حيث كانت تجرى لسعاد عملية جراحية في إثر أُخرى.

وبعد كل العمليات التي أجرتها سعاد أصبحت تستطيع السير على عكازين.

غير أن علاج جروح الجسد كان أسهل من علاج جروح الروح.

* * *

أم علي من قرية شبعا الجنوبية الصامدة، في الرواية السادسة والعشرين، "عائلة أم علـــي"، كانـــت الوحيدة التي راحت يوم السبت تبحث عن أحبائها المفقودين؛ تبحث عن زوجها وابنها ربيع وابنتها إكرام، وعن أحفادها وصهرها، لكنها لم تجد أحداً.

عــادت يــوم الأحــد مع ابنة لها. وهي كلّما سمعت أن هناك مجموعة من القتلى وُضــعت فــي هذه البقعة أو تلك راحت لتبحث، حتى سمعت ابنتها تصرخ: يا إمي هاي بيّــي، يـــا إمي هاي صهري، يا إمي هاي ربيع تحت البيك آب"، ولحقت بها أمها. وهي تصف هول ما رأت:

> كـــان أبو علي كامش تذكرته بإيده، بعده الدم على تذكرته. وكانت علبة الدخان بـــإيده كمان. قاتلينه ومقوصينه وضاربينه بالفراعة على راسه، وراح طابب كإنّو عم يصــلّي. قد ما كان مؤمن وبيحب الصلى، كان ما ينام الليل حتى ما تروح عليه صلاة الصبح.
>
> وربـــيع؟ كيف شفت إبني ربيع؟ كاينين لاحقينه من أول البيك آب لآخره. كان ربـــيع بقميصــــه الأبيض، وبصباطه الأبيض، وكاين كامش إخراج القيد بإيده، وكامش بإيده ٧٥ ليرة، وبطاقة من المطبعة اللّي كان يشتغل فيها...

أمّـــا إكـــرام، الابنة الحنون، فلم تجد لها أثراً إلاّ بعد ثلاثة أيام، كانت خلالها تذهب يومياً للبحث عن أي أثر. وتعود أم علي فتقول:

> إكـــرام لقيناها عند كاراج أبو جمال بوجه كازية فتح بالضبط. كانت هيّ وشي

---

(٦٨) POH. S/SH. No. 17 (231/T. 21). Y. A. (Um Ahmad). Interview with author. Beirut: Author's house, February 22, 1983.

خمسـين مَـرَه معها. كان منهم إم كارم، وهاي كان معها تمان اولاد، وكان منهم إم ياسـر صـاحبة الملجـأ ومعها تلات اولاد، وجزدانها وتذكرتها وتذكرة جوزها كانوا بعدهم معها...

الـيوم صـار مارق خمسة اشهر، بعدها دماغ الناس على حيطان الكاراج متل السمنة. ما راحت.

بنتـي إكرام كان عندها بنتها فادية البقاعي عمرها ١٥ سنة، ومعها إبنها عماد أشـقر أبـيض عمره ١٠ سنين، وكان معها ولدها شادي عمره ٨ سنين، وكان معها وسام عمره ٦ سنين.

... في ولد لبنتي لقيته بلا راس، بلا إيدين وبلا رجلين، عرفته من القشاط اللّي كنـت عاطيـتو ايـاه، ومـن بـنطلونه المخمل. وبنتي أنا عرفتها من فستانها، جاي الرصـاص براسـها، ووجهها متّاكل ما عرفتهاش، وابنها التاني ما عرفتوش، وكل اولادها كانوا مشوّهين بشكل غريب.

راحت إكرام إم فادي هيّ وزوجها، الله يرحمه شو كان طيّب صالح. الله يرحمه. سمحولنا إنا ندفنهم بمقبرة الشهدا.(٦٩)

تستمر أم علي في حديثها بهدوء مفاجئ، وبصوت أقرب إلى الهمس: "أنا بشكر ربي إنّو تركلي كمال وفادي اولاد إكرام الصغار. بعدهم معي. عم ربّيهم."

* * *

مـريم أبو حرب في الرواية الثلاثين، "عائلة أبو محمود"، كانت امرأة قديرة أخذت الكثير من صلابة أمها أم محمد، والدة الأبناء الأربعة الشهداء. وكانت مريم فقدت زوجها وابـنها، غير أنها لم تفقد توازنها ولا حسها الإنساني مع الآخرين؛ فقد روت مأساتها في عدم قدرتها حتى على دفن ابنها، وفي اللحظة نفسها توقفت عند مآسي غيرها. قالت:

دفـنّا جـوزي في مقبرة الشهدا يوم الأحد. وما كان فينا ناخد إبني معه، لأنّو ما كان فيـنا نحمـل أكتر من واحد في السيارة. لكن إبني ما قدرت أدفنه بعدين أبداً، لأنّو لمّا جينا لناخد جثته كانوا الناس عم يهربوا ويصرخوا: "سعد حداد. إجا سعد حداد. إجا سعد حداد." هربنا مع الناس. ورجعنا تاني يوم لقينا الدفاع المدني دفنه في المقبرة الجماعية.(٧٠)

---

(٦٩) POH. S/SH. No. 18 (238/T. 20). D. M. H. (Um ‘Ali). Interview with author. Beirut: Author’s house, February 22, 1983.

(٧٠) POH. S/SH. No. 67 (231/N.12). Mariam Abu Harb. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator’s house, May 24, 1983.

مريم، وهي في غمرة مأساتها، لا تنسى كيف وقفت تبكي وتترحم على فضة، إحدى جاراتها في شاتيلا. كم تألمت وهي ترى فضة ملقاة على الأرض أمام بيتها:

> لمّــا رجعــت على البيت أول شي شفته كانت فضة يا حرام مدبوحة قدّام بيتنا تمام، وكان جنب منها ربطة خبز كانت حاملتها لاولادها.
>
> كانت بعدها إيدها ممدودة كإنها بدها ترجع تحمل الخبز وتاخده لاولادها.(٧١)

* * *

أم محمد العايدي، والدة مريم، في الرواية الثلاثين أعلاه، ووالدة الأربعة الذين قُتلوا من دون سؤالهم: "من هم؟"

أم محمــد، التــي روت مأســاتها فــي الرواية الحادية والثلاثين، "الإخوة الأربعة الضــحايا"، منعها عناصر الجيش من أن تدخل يوم الأحد، لكنها تمكنت مع ابنتها الكبرى مــن الدخــول عــبر بستان الصبير القريب من الاستديو، من دون أن يراهما أحد، ولمّا اقتربتا من البيت صاحت ابنتها: "هادا موسى يمّا لقيته..."

اقتربت الأم لتجد رأس ابنها تضاعف حجمه، وأصبح لونه أسود. ثم تلفتت حواليها تبحث عن إخوته، فلم تجد إلاّ أخاه سعيد غير بعيد عنه، وكذلك وجدت حفيدها بالقرب من خاله سعيد. أمّا ابناها الآخران وزوجها فلم تجد لهم أثراً.(٧٢)

أم محمد لم يبق لها غير صور على الحيطان.

هــي الأم التي كلمتني في بيتها عن كل أبنائها أصحاب الصور، من دون ذكر اسم أي منهم.

كانت تتحدث بكبرياء، من دون بكاء، وهي تشير إلى الصور.

* * *

أم غــازي في الرواية الرابعة والثلاثين، "في المدينة الرياضية"، والتي نجت مع ابنتها والأحفاد من الموت مرتين ــ نجت من حفرة الموت في قلب المدينة، ونجت من الرصاص الــذي لاحقهم حتى مستديرة الكولا ــ كانت يوم الأحد في مستشفى الجامعة الأميركية، حين سمعت أنهم باتوا يسمحون بدخول المنطقة المحرمة، فأخذت تستعد للعودة.

صــادفتها منــيرة إحــدى جاراتها، وأخبرتها من دون مقدمات أن أولادها وزوجها

---

(٧١) Ibid.

(٧٢) POH. S/SH. No. 48 (231/T. 49). "Um Muhammad" 'Aidi. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, April 1, 1983.

قـــتلوا، فراحت تشد شعرها وتولول، ثم خرجت إلى الشارع تبحث عن سيارة، وساعدها دركـــي فـــي العثور على سيارة. لكن السائق رفض بمال الدنيا أن يدخل شاتيلا، وطلب خمس وسبعين ليرة كي يوصلها إلى تربة الشهداء. رضيت أم غازي وذهبت، وهي تعتقد أنها ستعطيه أكثر. فالمال ما زال في جيب البيجاما الزرقاء المقلمة، التي كان يرتديها أبو غازي عندما ودعته صباح الجمعة.

كـــان هـــناك مـــنع تجول في المنطقة بعد الظهر، وقد صدر أمر منع التجول بعد شائعات عودة سعد حداد. غير أن أم غازي تمكنت من الوصول إلى بيتها.

ويا ليتها لم تصل.

ابناها الشابان اللذان قُتلا، أحمد ماضي ومحمد ماضي، كان كبيرهما في التاسعة عشرة، وصـــغيرهما فـــي الخامسة عشرة، وزوجها يونس ماضي لم يرحموه لكونه رجلاً مقعداً، ومع هـــؤلاء قـــتلوا زوج ابنتها حسين العلي الذي تترحم عليه كأولادها، وتقول: "يا ضيعان شبابه، كان عمره تلاتة وعشرين سنة." ثم تعود فتذكر ابن أخيها الحبيب صالح طيطي.

وتتوقف أم غازي عن الكلام، عاجزة عن وصف ما رأت.

وفجأة، تعود فتكرر مرات ومرات كيف حرقوا ابنها الفتى، وقطّعوه، وحرصوا على أن يرموا أقدامه أمامه. هذا المشهد لا تنساه أم غازي.

ولا تنســـى عـــندما زار رئـــيس الحكومة، شفيق الوزان، شاتيلا يوم الاثنين، كيف ضربت صدرها وصاحت: "تعال شوف بعينيك.. إنت اللّي دقّيت على صدرك لأبو عمار وقلتلّو أنا بحمايتي الفلسطينيين وما تخاف عليهم. إنت حميتنا يا وزان.." وتقول إن جنوداً هجمـــوا ليضربوها فردعهم الرئيس الوزان. واستمرت أم غازي مع ذكرياتها: "والله هوّ الرئيس صار يبكي، ومصور ياباني كان يصور، وعيونه متل الجمر."(٧٣)

قـــبل أن تفقد أم غازي كل هؤلاء، كانت فقدت ابنها البكر غازي، الذي استشهد في الأردن. كذلـــك فقدت في أيام الاجتياح ابنتها الصبية، التي استشهدت في بناية عكر؛ تلك البـــناية التـــي قصفها الجيش الإسرائيلي بقنبلة فراغية، أتت عليها كلها وحولتها إلى ركام خلال دقائق.

غـــير أن مأساة أم غازي لم تكن في موت أبنائها فقط، بل أيضاً في عدم وجود قبر لواحد منهم تبكي عنده. راحت تقول:

أنـــا مكتوب عليّ ما اعرفش وين قبورهم. غازي استشهد في الأردن ما عرفنا

---

(٧٣) POH. S/SH. No. 70 (243/T. 64). "Um Ghazi" Madi. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 30, 1983.

إلــو قــبر. وعايشة راحت في عكر ما في إلها قبر. وهدول كلهم كمان ما بعرف وين قبورهم؟ لكن مين يساعدني؟ ما عاد في رجال في البيت.

كــان الدفـــاع المدنـــي مـــا يقبل ياخد واحد ليدفنه إلاّ لتقوليلو في قبر بحشناه وحضرناه... إجت بنت عمي قَلْتلي تعالي نحنا نبحش قبر بإيدينا.

أنـــا كـــان إبني اللّي عمره ١٧ سنة وبنتها خلقانين بجمعة واحدة، قلنا مندفنهم الاتنيــن. علالقليلة بيكون في قبر لواحد من الاولاد. وقلتلهم: "يا إمي كنت بدّي أزفكم وإنــتو طيبيــن، هلّق بدنا نزفكم وإنتو ميتين." وصرت أغني وأزغرد لوصّلتهم على التربة.

دفــناهم حد بعض. بنتها حطّوها فوق أخت إلها ميتة من زمان. وأنا دفنت إبني وأبوه مع بعض حد منهم. لكن الاولاد الباقين دفنوهم في المقبرة الجماعية.[٧٤]

لم تعد أم غازي لتنام في بيتها.

ما عاد في البيت من أحد سوى الأشباح.

رابعاً: من شهادات أهل الضحايا بين الأنقاض

كثيرون كانت لهم حكايات بين الأنقاض، وقد رفعت الأنقاض، لكن الحكايات ما انتهت.

كانت مشاهد النساء وهن يبحثن عن الأحبة تتوالى كل يوم.

مــن شــهادات هؤلاء اخترت أربعاً فقط، كلها لنساء راحت كل واحدة منهن تبحث عمن فقدت؛ عن أخ، أو زوج، أو أم، أو ابنة.

الرواية الثالثة والأربعون

باحثة عن أخيها

أم إســماعيل جاءت لتبحث عن أخيها. وهي ليست من سكان شاتيلا، لذلك لم تسمع بالنبأ إلاّ بعد انتهاء الحدث. وما إن علمت بالنبأ المروع حتى هرعت.

كان مقر عمل أخيها في أول شاتيلا قبالة مستشفى عكا.

فتشــت أم إســماعيل بين أكوام الضحايا، بين أكوام من الرجال والنساء والأطفال. وقفت أمام أكثر من أربعين جثة، لكن لم تجد أخاها. فعادت إلى بيتها في آخر النهار.

ما إن طلع صباح الاثنين، أو الثلاثاء، إذ لم تعد تذكر، حتى عادت إلى شاتيلا حيث

---

(٧٤) Ibid.

صادفت امرأة تعرفها من الحي:

> رحت أسألها: "دخيلك شفتي أخوي أبو ماجد؟" قَلَتْلي: "والله كان معنا جارنا أبو ماجد. كنا كلنا قاعدين جماعة مع بعضنا البعض، كنا هون، وهربنا كلنا مع بعض، نحنا هربنا صوب الشرق، وهوّ هرب صوب الشمال، روحي شوفي لقدّام."
>
> مشيت لعند زاروبة فيها شجرة، هناك عند الشجرة كاينين دابحينو، وشاكّينو ببطنه، شاقّينو بالسنغة، بشو ما بعرف. وفي معو تلات زلام مقتولين معو. صرت أصرخ: "يا حبيبي يا خيّي.. يا حبيبي يا خيّي."
>
> إجو المصورين صاروا يصوروا فيّ وصاروا يسجلولي صوتي. وما صدّقت لمّا سحبت حالي وضلّيت رايحة...
>
> أنا مش بس على خيّي ببكي، أنا ببكي على المناظر اللّي شفتها.
>
> كان في بيت بأول الزاروبة إلو درج، كاينين أهل البيت لاطين عند الدرج حاميين حالهم، رايحين راشينهم رش، بعدهم بأرضهم، والأرض بعدها كلها حفايات ودم. كمان كان في باب حديد العالم متخبيين عنده، رايحين مقوصينهم كلهم، كلهم على بعضهم.
>
> ما حدا كان بعده شايل حدا من هاالزواريب.(٧٥)

كانت أم إسماعيل سجلت أخاها علي بلقيس لدى الصليب الأحمر على أنه مفقود، وأخبرها المسؤولون أنهم سيبحثون عنه، ثم أخبروها أنهم لم يجدوه.

لكنها عادت لتخبرهم أنها وجدت أخاها؛ وجدت جثته. فسألوها عن الهوية، وكانت هويته بحسب ما قال الجيران موجودة على حجر بالقرب من الجثة، لكنها ضاعت. لم تعرف أخته من أخذها، ربما ليحافظ عليها، لكنها لم تكن لحظة سؤالهم عن الهوية تعرف مكانها، ولا من أخذها.

قيل لها في اليوم التالي إن مندوب الصليب الأحمر سأل عنها، لكنها كانت ذهبت لتبحث عن أي ورقة لإثبات الشخصية. وهكذا عندما سأل المندوب عنها، كي يتأكد من هوية صاحب الجثمان، لم تكن أخت صاحب الجثمان موجودة.

هكذا، ضاع الاسم كاملاً من سجل الضحايا.

ربما الأصح، أنه لم يُسجَّل أساساً بين الضحايا.

سُجّل اسمه في البداية بين المفقودين.

---

(٧٥) POH. S/SH. No. 98 (251/T. 79). "Um Isma'il". Interview with author . Beirut: Friend's house, September 1, 1983.

غير أن سجلات المفقودين بكاملها لم يطالب بها أحد من المسؤولين.
كأنها لم تكن.
لـــم يُعــرف بعد حتى عدد المفقودين الذين سُجّلوا. أمّا الشيخ سلمان الخليل فيعرفه استنتاجاً:

> فـــي اليوم الرابع عندما دخلت مع كشافة الرسالة وحركة أمل والصليب الأحمر اللبناني، كان الصليب الأحمر اللبناني من البداية عم يسجل أسماء.
>
> وقـــع نظـــري على دفتر كان معهم، كان يحتوي ما يزيد على الخمسين ورقة، وفـــي كل صفحة عمودين من الأسماء. فلو افترضنا أن في كل عمود يوجد فقط عشر أسماء، لكان العدد أكثر من ألفين شخص.(٧٦)

الرواية الرابعة والأربعون
باحثة عن زوجها

راحت "أمينة" تتقصى ما جرى لزوجها.
كـــان أبعـــد تصـــوراتها أن يكـــون معتقلاً من قبل جماعة ما؛ فهو شاب فلسطيني معروف. أو أن يكون مصاباً بشظية ما، أو برصاصة قنص. لعلها تسأل أولاً في مستشفى غزة.
- كانت أُمّاً لأربعة أطفال، وكانت لا تزال في الثانية والعشرين من عمرها. كانت من الذين أرهقتهم الحرب طوال الصيف.
لم تكن استقرت ببيتها في شاتيلا بعد، إذ لم تكن انتهت من بعض الإصلاحات حين حاصـــرت القوات الإسرائيلية المنطقة، فخافت على صغارها، ورجت زوجها أن يغادروا المـــنزل. واستجاب لرجائها هذه المرة، وكانوا من القليلين الذين تمكنوا من المغادرة من مدخل صبرا الشمالي.
بقـــوا طوال أيام المجزرة في أحد ملاجئ منطقة حارة حريك، الآمنة نسبياً في تلك الأيام.
تذكـــرت "أميـــنة" أن القصـــف كان شديداً يوم الخميس، لكنه هدأ إلى حد بعيد يوم الجمعـــة، فألحـــت علـــى زوجها في أن يعود إلى المنزل كي يجلب للأولاد بعض الثياب والطعام. ذهب زوجها كما أرادت، لكنه لم يعد بسرعة كما ألحت عليه.

---

(٧٦) POH. S/SH. No. 90 (241/N.14). "Sheikh" Khalil Salman. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's house, June 1983.

يـوم السـبت كانت أخبار المجزرة قد انتشرت. غير أن صديقة "أمينة" لم تشأ أن يخبرها أحد في الملجأ عما جرى؛ إذ كانت تعلم أن زوجها ذهب إلى شاتيلا.

لـم تسـتطع "أميـنة" الانتظار كثيراً، وكانت تستغرب ملازمة صديقتها لها كظلها، ومنعها من الذهاب إلى شاتيلا لتطمئن على زوجها.

بعد يومين، غافلت "أمينة" صديقتها وتركت صغارها في عهدة زوجة ناطور البناية، وذهبت.

تعجبـت وهـي تـرى أعداداً كثيرة من الجنود، لكنها ظنت خيراً في ذلك؛ فهؤلاء يحرسون المخيم ولا ريب، كما حدث في مخيم برج البراجنة. ولم تكن قد اجتازت مسافة تذكر من جهة صبرا حين أوقفتها مجموعة من السيدات يتشحن كلهن بالسواد، وقدمن لها العزاء.

نظرت إليهن مستغربة، العزاء بمن؟ كذلك استغربت اتشاحهن بالسواد، فسألتهن عن حالهن وما إذا كن في عزاء. لماذا الأسود؟ قالت لها إحداهن ما جرى لكل منهن، فكادت تنهار حزناً، ثم تذكرت أنهن قدمن لها العزاء حالما رأوها، فسألتهن لماذا؟ ومرت لحظات صـمت تنذر بالنبأ الرهيب، وما شعرت "أمينة" إلاّ وجارتها "سلوى" تحتضنها وتقبلها، ثم تخبرها أن زوجها أيضاً قتل في المجزرة.

مجزرة؟

كلمة تقال بهدوء؟ كانت كلمة صاعقة. وكانت أول مرة تسمع بها. و"سلوى" أول من قال لها إن زوجها قتل. لكن لماذا؟ وكيف؟

عادت "سلوى" ومن معها يخبرنها ببعض التفصيلات، بينما كانت تستند إلى الحائط. علمت أن زوجها لم يصل إلى البيت، فقد أوقفوه في الطريق. وأشارت إحداهن بيدها إلى حيـث أوقفـوه. وكـان هناك من رأى كيف فتشوه وأخذوا منه ما يملك من مال وأوراق خاصة، ثم أوقفوه إلى جانب الحائط وأطلقوا عليه النار.

هكذا؟ لماذا؟ ما جريمته؟

أخـبرنها أن القـتلة كانوا من القوات اللبنانية. وعندما ألحت في معرفة كل التفصيلات، أخبرنها بتفصيل أكثر.

بعـد أن قتلوه وارتمى أرضاً، عادوا إليه فقلبوه وتأكدوا من موته، ثم وضعوا عليه لوحاً من الزنك.

أيـن هـو الآن؟ ظنت "أمينة" أن الله أرسل لها النساء الجارات هؤلاء ليقدنها إلى جثمان زوجها كي تقوم بدفنه. كانت تشهق بالبكاء وهي ترجوهن بالإشارة كي يأخذنها إليه.

أمسكت بها "سلوى" وقالت بحنان:

مـش شايفه يا "أمينة" إنّو كلنا لابسين أسود؟ أنا ما لقيت إمي. جوزك دفنوه في المقبرة الجماعية. جارتنا إم حسين شافته وقِرْيِتْ الفاتحة عن روحه. وصدقيني في شيخ صلّى عليه وعلى كل اللّي راحوا.(٧٧)

كانت تلك أول مرة في حياتها تسمع بشيء يقال له مقبرة جماعية.

أرادت أن تسـأل أكثر، غير أنه لم يعد هناك وقت للكلام، ولا للبكاء، وربما لم يعد هـناك وقـت حتى للهروب، كانت الصرخات أخذت تعم المنطقة بأن "جماعة سعد حداد رجعوا"، فركضت النساء كلهن، كل واحدة إلى حيث تعتقد الأمان، ولم تصدق "أمينة"، أم الصغار الأربعة، أنها وصلت سالمة إلى حارة حريك.

احتضنت أولادها، وبكت قدر ما شاءت.

كان البكاء ما زال مسموحاً به في الملاجئ.

الرواية الخامسة والأربعون

باحثة عن أمها

حكاية عفيفة عبد الله من الحكايات المألوفة في المجتمع الفلسطيني.

إنهـا حكايـة الأسرة التي تتواصل مآسيها مع كل اجتياح أو حرب، فتحمل الأسرة صغارها وترحل، من هجرة إلى هجرة.

عندما وعت عفيفة على هذه الدنيا لم تكن تعرف سوى أنها من فلسطين، وأن مخيم تـل الزعتر هو المسكن البديل والموقت إلى أن تعود فلسطين. لكن المخيم حوصر طوال شـهرين فـي صيف سنة ١٩٧٦ في حرب أطلق عليها حرب السنتين، ثم سقط المخيم، وكانت ضحاياه نحو ثلاثة آلاف من سكانه، بين شهداء ومفقودين.

بيـن ضـحايا المخـيم كان لأسرة عفيفة نصيب كبير؛ فقد قتل والدها، وثلاثة من إخوتها الأربعة. وما كان على من تبقى من الأسرة سوى البحث عن مأوى جديد.

كان قد تبقى من الأسرة أم وابن وابنتان.

لمّـا قـيل لأمهـا "تعالوا إلى الدامور، فيها بيوت فارغة"، لم يكن لدى هذه الأسرة المقطعـة الجوانـح وقت للتفكير أو للتساؤل: لِمَ الذهاب إلى الدامور؟ ألم يكن فيها سكان رحلـوا ذات يوم كما نرحل نحن اليوم؟ لم تفكر الأسرة كثيراً لأن مجرد التفكير في مثل حالاتهـا ليس حقاً لها كما يفترض. كان المطلوب من ربة هذه الأسرة أن تستمر في هذه الحياة، وأن تقود سفينتها مهما تبلغ الصعوبات.

---

(٧٧) Mary, "Testimonies on Sabra and Shatila Massacre," 1983, Testimony no. 12.

سكنت أسرة عفيفة في الدامور.

تقسم عفيفة أنها كانت تنتظر اليوم الذي تتمكن فيه من استئجار غرفة أو غرفتين في أي مكـــان في بيروت كي تنتهي من مسلسل الهجرة والهوان. ولهذا لم تجد غضاضة في أن تعمل عاملة في البيوت كي تؤمن لها دخلاً يضمن لها بعض التوفير، وكي يبقى لديها الأمل.

مـــع الاجتـــياح الإسرائيلي في حزيران/ يونيو ١٩٨٢ حملت الأسرة ما استطاعت حمله وجاءت إلى بيروت. قيل لها إن هناك في منطقة الروشة مهجَّرين مثلها. ذهبت إلى هـــناك حيـــث بقيـــت طوال أشهر الاجتياح. أمّا بعد خروج المقاتلين، فلم تبق هناك يوماً واحـــداً، إذ عادت تحمل ما لديها وتتوجه نحو المنطقة الأقرب إلى صبرا وشاتيلا، حيث اســـتقرت ــ موقتاً أيضاً ــ في منزل كان يسكنه فدائيون في منطقة الفاكهاني، رحلوا مع الذين رحلوا.

شـــعرت عفيفة لأول مرة بشيء من الطمأنينة، ذلك بأن موقع البيت الجديد كان كما قالت: "قريب من نادي بلدنا، ومش بعيد عن المدينة الرياضية."

لـــم يكن قد مر على الأسرة سوى أسبوعين حين حاصر الجيش الإسرائيلي صبرا وشـــاتيلا. فبقـــي أفرادها كلهم في البيت، وهم يسمعون القصف الإسرائيلي للمنطقة "متل نزول الشتا".

لمّا اشتد القصف أكثر نهار الخميس، وحين انقطع التيار الكهربائي تماماً، وعندما لم يعـــد هـــناك رغيف خبز واحد في البيت، طلبت عفيفة من أمها أن يذهبوا إلى أية منطقة أُخرى أكثر أمناً. لكن الأم هزت رأسها وقالت: "لوين بدنا نروح؟ أساساً ما رح نلاقي حدا يستقبلنا بعد خروج المقاتلين. أنا باقية مع أهلنا. اللّي بصير عليهم بصير علينا كلنا."

احـــتدم الـــنقاش بين أفراد الأسرة، لكن الأم العاقلة عادت فحسمت الموقف بقولها: "ماشـــي الحال، أنا بطلع من البيت متل ما بتقولوا لكن ما بروح غير على شاتيلا، بروح عـــند بنت خالتي، واللّي بدّو يصير يصير، واللّي ما بدّو ييجي معي منكم يروح محل ما بريد."

هكـــذا انقسمت العائلة؛ عفيفة وأخوها رفضا الذهاب إلى شاتيلا، وقادتهما أقدامهما إلـــى شارع حمد حيث بقيا خلال المجزرة مع العشرات من الهاربين في إحدى المدارس. أمّا أختها فاختارت الذهاب مع أمها، كي لا تبقى الأم وحدها.

عـــندما سُمح للأهالي بتفقّد ذويهم كان يوم الأحد، فذهبت عفيفة مع أخيها، وكان طبيعياً أن يحـــاولا الدخول من جهة صبرا المجاورة لشارع حمد. لكنهما لمّا اكتشفا صعوبة المسالك، ولمّا قيل لهما إن الجيش لا يسمح للجميع بالدخول، اتفقا على أن يحاول كل منهما بمفرده.

وصـــلت عفــيفة عــند محطة الوقود التابعة لفتح، وهناك رأت على الطريق أشلاء وهويـــات مبعــثرة، وبيـــنها وجدت هوية أمها وأختها. وما عادت تنوي الذهاب إلى بيت أقربائها في شاتيلا، وإنما راحت تبحث بين أكوام الجثث القريبة. تقول:

أنـــا لمّا شفت الهويات الملقوحة على الطريق عرفت إنّو اصحابها لازم يكونوا الجماعـــة الملقوحين قريب، ويمكن القاتل جمع الهويات ليتعرف على الناس، أو حتى يكســب وقت وهوّ عم يجمعهم في ساحة واحدة، وما فيني أعرف أي يوم انقتلت إمي وانقتلـــت أختـــي، لكنـــي فينـــي أشهد إنّو كان في عدد كبير من الناس المقتولين هنّي أصحاب الهويات القريبة منهم، وأنا وحدي كنت عم فتّش في هديك الساعة.

لمّـــا لقيـــت إمي وأختي، كاينين ضاربينهم رصاص كتير ما بينوصف. كانت الجثـــت مشوهة. رحت سحبتهم لعند شجرة في الحرش، وقلت لازم أخوي يوصل بعد شـــوي، ويمكـــن يوصـــل حدا تاني بعرفو من المخيم، أنا لوحدي ما فيني أدفنهم. أنا تطلّعـــت علـــى ســـاعتي لمّـــا سحبتهم لعند الشجرة، كانت الساعة تلاتة بعد الضهر، وفضلت ناطرة حدا يوصل يساعدني لعند الساعة خمسة ونص، ما وصل حدا.

أكيد بتذكّر كانت الساعة خمسة ونص، لأني تطلّعت على ساعتي وأنا عم أسمع الـــناس بتصـــرخ: "ســـعد حـــداد.. سعد حداد." ما كان ممكن غير أترك إمي وأختي وأركـــض مع الناس اللّي شفتها نبعت من كل محل وصارت تركض. كانت الناس عم تركض بشكل ما شفتو ولا يوم بحياتي، كانوا متل السيل الجارف يركضوا ويصرخوا من الفزع...[٧٨]

لم تتمكن عفيفة من دفن أمها وأختها، إذ لم تكن تعرف شيئاً عن كيفية دفنهما. وهي ترجح أنهما دفنتا في المقبرة الجماعية. هكذا قيل لها عندما راحت تسأل في اليوم التالي.

لـــم تتمكن عفيفة من تسجيل وفاة أمها ولا وفاة أختها؛ ذلك بأن الهوية التي وجدتها على قارعة الطريق لا تكفي، إذ لا شهود هناك، ولا جثة.

ولم تتمكن عفيفة حتى من معاتبة أخيها الذي تأخر كثيراً. فهي لم تره إلاّ بعد مرور عدة أشهر؛ وهي لم تجد أهمية لعدّها تماماً، فاكتفت بالقول عدة أشهر.

مـــا كان أخوها بالهارب، ولا بالمتواري عن الأنظار. فقد كان مثلها في ذلك الأحد يبحـــث عـــن أمـــه وأخته. غير أن عناصر من الجيش اللبناني ألقت القبض عليه وساقته للتحقيق؛ فماذا يفعل فلسطيني بين أكوام الضحايا؟ ماذا يفعل في صبرا وشاتيلا؟

---

(٧٨) POH. S/SH. No. 50 (231/N.7). ‘Afifa A. Interview by A. M. Massacre area: Narrator’s house, April 5, 1983.

هكـذا اقـتادوه بالشـاحنة، كما اقتيد العشرات غيره في تلك الأيام العابقة برائحة الموت، إلى التحقيق.

كان أخو عفيفة شاباً فلسطينياً.

كان متهماً حتى تثبت براءته.

احتاج هذا الشاب إلى عدة أشهر قبل أن يتمكن من إثبات براءته.

الرواية السادسة والأربعون
باحثة عن ابنتها

حيـن حاصـر الإسـرائيليون منطقة صبرا وشاتيلا الكبرى، ذهبت سميحة عباس حجازي إلى منزل ابنتها، الكائن خلف المدينة الرياضية، لتأتي بابنتها العروس الحامل كي تمضـي تلـك الأيام معها في شاتيلا، حيث كان الاعتقاد سائداً أن قلب شاتيلا هو المكان الأفضل أمناً.

رفضت حماة العروس أن تسمح لكنتها بالذهاب. وتروي سميحة (أم علي):

> بيـت بنتي كان أعلى بيت تحت المدينة بالظبط. رحت لجيبها، وهيّ حامل وما بتتحمّل. راحت حماتها قَلَتْلي: "شو إنت عندك رب وإحنا ما عناش رب." رحت قلتلها: "أستغفر الله، هيدا كلام تجبُّر، بس بركي إحنا عنا أمن، إنتو تحت المدينة والإسرائيلية على خطوة منكم، وإحنا بقلب الحرش، إحنا أبعد." راحت قَلَتْلي: "لأ".
>
> رجعـت يوم الخميس تاني، يمكن قلبها يحنّ. ويا ريت كلهم إجوا لعنا. راحت قَلَتْلي: "إسمعي خدي بنتك معك وإبني بضل عندي."(٧٩)

لم تمض أم علي تلك الليلة الأولى مع أولادها في بيتها أول الحرش، وإنما في ملجأ المدرسة القريب.

قبـيل الساعة السادسة من صباح الجمعة، نهضت بحجة الطعام للأولاد، ولم تستمع لنصائح النساء اللواتي امتلأ الملجأ بهن وبأولادهن. وفي لحظات كانت أم علي في الشارع تزمع الركض إلى منزل ابنتها لجلب الطعام. لكن كيف؟ ومن أين؟ فقد فوجئت بالشوارع مملوءة بالجثث.

في الشارع القريب من ملجأ أبو ياسر سمعت أنين رجل يطلب منها المساعدة. كان ذلك الرجل، الذي أمضى ليلته بين الأموات، هو مصطفى هبرات (راجع الرواية الرابعة

---

(٧٩) POH. S/SH. No. 23 (238/T. 25). Samiha H. (Um ‘Ali). Interview with author. Beirut: Author’s house, February 27, 1983.

عشـرة: "أربـع عشرة رصاصة في جسمه"). وقد هب لمساعدة أم علي رجلان آخران فحملاه إلى مستشفى غزة.

تصـورت أم علي أن الله سبحانه وتعالى سيكافئها، وسيجد من ينقذ لها ابنتها، تماماً كمـا أنقذت هي الرجل الجريح. لكن الأيام كانت تمر، ولا أثر لابنتها، ولا لأحد من أهل زوجهـا. هـل ابتلعتهم الأرض؟ ومن الذي دفن ابنتها، وزوجها، وحماتها، وكل الأسرة؟ من؟ كان واضحاً أن كل من كان من الجيران قد قتلوا، لكن أين اختفت الجثث؟

كان عليها أن تبحث ثمانية أيام متواصلة كي تجد ابنتها.

أخيراً، وجدتها.

كانت لا تترك خبراً عن حفرة إلاّ وهرعت إلى الدفاع المدني كي يأتي ويبحث عمن فـيها. وأخـيراً، سمعت عن حفرة بالقرب من المدينة الرياضية، وقد تأخر الوصول إليها حتى أزيلت الألغام.

هناك، وجدتها.

سـميحة عباس حجازي، امرأة لبنانية متزوجة بفلسطيني ومعروفة بكنيتها أم علي. وهـي عندما زارتني في بيتي كانت معها صديقتها أم علي البقاعي، اللبنانية، الأم الهادئة الحزينة التي فقدت سبعة من أسرتها (راجع الرواية السادسة والعشرين: "عائلة أم علي"). وقـد روت أم علي البقاعي كيف أنها بعد أن وجدت جثث الأحباء الذين فقدتهم، لم تتمكن مـن أن تترك صديقتها تفتش وحدها عن ابنتها، وإنما كانت ترافقها وتبحث معها. وكانت سـميحة، أم زينب العروس، تحمل صورة ابنتها على صدرها وهي تتنقل من حفرة إلى حفرة، وتسأل من بيت إلى بيت: "حدا منكم شاف هاالبنت الحلوة؟ دخيلكم خبروني."

أمّـا من قُتل من الضحايا مع ابنتها، فتجيب أم علي بهدوء واهتمام ولا تنسى اسماً واحـداً. وهـي تبدأ بابنتها زينب العروس الحامل في شهرها الرابع، وصهرها فهد علي حـيدر، وأمه كلثوم محمد سليم، وأخيه فؤاد، وأخته سامية من أب آخر مع ولديها محمود وطارق؛ وسامية لم ينج من أولادها سوى ابنتها الطفلة، البالغة من العمر عامين.

وتعـود أم علي لتذكر جيران ابنتها، فتقول إن الجيران كلهم قتلوا. وقد وجدت في الحفرة واحدة وعشرين جثة، كان بينها جثث أم فيصل وابنها فيصل وحفيدها خضر وحفيد مـن ولدهـا الآخـر، وكنتها فاطمة، وكنتها ناهد، وابنها إبراهيم. كما كان هناك جثة أم عصـام، ومـن الجنوب أيضا جثة أم محمد وهي متزوجة بسوري، وكان هناك جثتا أبو نايف وأم نايف.

وتقـول أيضاً إن ناهد سعد كانت حاملاً في شهرها التاسع، لكنهم قتلوها وأخرجوا الجنيـن من أحشائها. وقد سمعت من فتاة كانت شاهدة أن الطفل ما كاد يصرخ صرخته

الأولى في هذه الدنيا، حتى كان القتلة أكثر سرعة من إرادة الحياة، فشطروه شطرين.

لا تكتفي سميحة (أم علي) بسرد الأسماء بأمانة، بل تتوقف عند التفصيلات، وأمكنة وجود الجثث:

> هـيدول اللّـي كـانوا بالجورة ٢١. ولقيت تلاتة بجورة واحدة بقلب المعسكر [مكان التدريـب سابقاً]، ولقيت اتنين عاالشارع جنب المعسكر وجنب الملجأ مقتولين، صاروا خمسـة. ولقيت أبو نايف وبنته لتحت شوي، وصالح الطيطي وإبن عمته فوق بعضهم ورا الدوخـي، والدوخـي كمان قتل. كمان كان في بجنب المعسكر تاع فتح. يعني في أكتر من ١٥ جتة هيك مجمعينهم، هيدول كانوا مقوصينهم بالزواريب...

ثم كان السؤال: أم علي، كيف رأيت زينب؟

بـدا أنها تجاهلت السؤال، وراحت تكمل حديثها كأنها تريد أن تقول أنها تبكي على الجميع لا على ابنتها فقط:

> هـيدي الجـورة جـورة طيران. وعقب ما هنّي قاتلينهم، كاينين مطلْعينهم من الملجأ المعروف إنّو ملجأ فتح، هيدا ملجأ كبير ضخم خلف المدينة. والبيت كان أساساً حـدّ الملجـأ. كاينين حاملينهم بالجرافات على المدينة، وبالمدينة دافنينهم هونيك، بقلب الجورة اللّي حكيت عنها.
>
> فـي ناس حكيولنا بعدين إنّو حماة بنتي كانت طالعة هيّ ونسوان وعلم أبيض، فكرهم إنّو إسرائيلية ما رح يقتلوا نسوان، وكاين فهد صهري طالع مع إمه كمان. من أول الناس اللّي قتلوهم كاين صهري فهد، ضاربينو ومقطعينو تلات شقف لفهد. أنا لمّا قـبرته كـان بلا راس، كانت هويته بعدها بجيبته، وكان لابس ساعة بإيده كانت بنتي عاطيته اياها، وأنا بعرفها منيح.
>
> زينب..
>
> آه.. سألتيني عن زينب.
>
> كاينيـن ضاربينها برصاص حارق بوجها. بنتي كانت مسترة، لابسة بيجاما.. لكـن سـامية، بنت حماها لبنتي، كانت بزلط ربها، مشلحينها كل تيابها، ما في عليها غير شي قصير كتير.
>
> كلهـم كـانوا مضروبين برصاص على روسهم. حماة بنتي كان نخاع راسها طاير. وسلفها لبنتي كمان، الرصاص كله براسه.
>
> هـيدا الحكـي كله كان يوم الجمعة [٢٤ أيلول/سبتمبر]، رحت أنا قول يا ربي خدنـي لعند بنتي. في بنت صغيرة، بنت إبنها لإم فيصل، هيدي الوحيدة اللّي بقيت يا

حرام من عيلتها، عمرها ١٤ سنة، إسمها هناء، هيّ حكتلي إنهم حطّوهم على الدرج، وقلولهم يلّي بيصرخ منقتلو. لمّا قتلوا جوز بنتي فهد راحت بنتي صرخت، قام واحد منهم ضرب بنتي بالرصاص على وجها، وراح اللّي معو مقوصين النسوان كلهم. يمكن صرخة بنتي خلّتهم يقتلوها أول واحدة، لكنها حمتها من رزالاتهم. شي ما بيتصوّرو عقل اللّي عملوه بالنسوان..

زينب بنتي..

آه.. سألتيني عن بنتي.

وجها كله محروق بالرصاص.. أنا عرفت بنتي من بيجامتها ومن شعرها الطويل. وبس طلّعوها على الجرافة راح موديل شعرها، أنا لمّا شفت بنتي غبت عن الوعي..

كانت هَنا تقول إنهم بعد ما قتلوهم حطّوهم وفخّخوهم، لذلك ما كان يقبل الخبير يطلع يدوّر معي، وقلّي ما في شي على المدينة، لكن بعدين اقتنع، إجا الخبير وطلعوا معي على المدينة، وفكّوا اللغم اللّي حاطّينو على الجثث، وبعدين جابوا الجرافة وصاروا يجرفوا، وما لحقوا يجرفوا غير ظهرت الجثث.

آه.. سألتيني عن بنتي..(٨٠)

قالت أم زينب أنها انتشلت ابنتها ودفنتها في ٢٤ أيلول/سبتمبر. وكانت ذاكرتها جيدة. فقد أكدت جريدة "السفير"، الصادرة صباح اليوم التالي، في تقريرها عن أعمال البحث عن الضحايا ما روته أم علي، إذ ذكرت أن فرق الدفاع المدني العاملة على رفع أنقاض "مخيمي صبرا وشاتيلا" قد عثرت على ١٩ جثة جديدة في قبر جماعي حفر في باحة رملية مجاورة للمدينة الرياضية. وأفاد بعض المعلومات أن الجثث لعائلة واحدة تعرضت للإبادة.

وجاء في الجريدة أيضاً أنه تم التعرف على هويات ١٧ من مجموع ١٩، وأدرجتهم على النحو التالي:

ناهد سعد (١٧ سنة ــ لبنانية حامل في الشهر التاسع)، فاطمة أحمد سرية (٢٣ سنة)، وابنها إبراهيم خليل وهبي (٩ أشهر ــ فلسطيني)، نجلاء سعيد طه (٦٧ سنة ــ فلسطينية)، أحمد المغربي (٢٥ سنة ــ سوري)، كلثوم محمد سلامة (٥٥ سنة ــ لبنانية) وأولادها فهد علي حيدر (١٩ سنة) وزوجته زينب حسن إدلبي وأخوه فؤاد (١٣ سنة)، وأخته سامية (٢٥ سنة) وأولادها طارق محمد الطيطي (٥ سنوات)، ومحمود (شهران)، وأم عصام (مجهولة باقي الهوية ــ ٣٠ سنة) وبناتها مريم (٧ سنوات)، سوزان (٥ سنوات)، جنان (٣ سنوات)، وأختهن غير معروفة الاسم

---

(٨٠) Ibid.

وعمرها سنة ونصف، إضافة إلى جثتين لرجل وطفل عمره ٣ سنوات.(٨١)

يبقى السؤال: لو سُمح للصحافة بأن تدخل وتراقب وتنقل الأسماء والأعداد وتنشرها، في الأيـــام الأولى، كما سمح لها في ٢٤ أيلول/سبتمبر، أمام "جورة الطيران" الشهيرة، على مقربة من المدينة الرياضية، أما كانت الصحف اليومية لتصبح مصدراً رئيسياً؟

ما تنشره الصحافة، يبقى للتاريخ.

أمّــا مــا ســجّله عدد من المؤسسات الإنسانية الدولية والرسمية والأهلية من لوائح أسماء، فهذا كله لم يُنشر منه شيء حتى الآن، حتى بعد عشرين عاماً!!

خامساً: القاتل

ماذا عرف الناجون عن القاتل؟

ماذا ترك القاتل وراءه من مخلفات؟

وماذا شاهد الإعلاميون والمسعفون من أدلة على القاتل؟

وهــل كان المهاجمون كلهم قتلة، أم أن البعض تميز من الكل فارتدّت إليه لمحات إنسانية في لحظة، أو لحظات؟

هل يأتي يوم فيتكلم القاتل؟

في تاريخ المجازر يتكلم الموت أولاً، ثم يتكلم القتيل، ثم يتكلم القاتل.

أ ــ القاتل كما رآه الشهود

كيف وصف سكان صبرا وشاتيلا هؤلاء المسلحين المهاجمين؟ كيف وصفوا لباسهم وأسلحتهم؟ وماذا قالوا عن لغاتهم ولهجاتهم؟ ومن هي الميليشيات التي أكدوا وجودها؟

قالــت ممرضـــة مـــن الخالصة تعمل في مستشفى عكا، قتل أبوها في تل الزعتر، وكانت أمها وأخوها من ضحايا المجزرة:

> أنــا اللّــي شــفتهم كــانوا لابسين لبس عسكري أخضر عادي، والواحد حاطط جعبة وكلاشن، وخنجر على خصره.(٨٢)

وقالــت ممرضة أُخرى من الخالصة أيضاً تعمل في مستشفى غزة، فقدت اثنين من إخوتها في معارك تل الزعتر:

---

(٨١) جريدة "السفير"، ١٩٨٢/٩/٢٥.

(٨٢) POH. S/SH. No. 24 (240/T. 26), as above.

اللباس عسكري موحد، "فوتيك" أخضر. كان واضح إنهم جماعة واحدة.(٨٣)

وقالت شاهدة على مقتل ذويها في أول ساعات المجزرة:

كانوا لابسين ملابس متل الجيش، وكانوا حاطين على صدورهم شارات مكتوب عليها "القوات اللبنانية".(٨٤)

وقالت شاهدة أُخرى على "المارش الكبير" يوم السبت، يوم لم تكن قد علمت بعد بمقتل أبيها في اليوم الأول من المجزرة:

ما كانوا لابسين نفس اللون. إشي مموّه مرقّط، وإشي أخضر، وإشي كتير نضيف ومرتّب، وإشي مدعوك من أيام.(٨٥)

قالت أم جنوبية تصف الذين رأتهم يوم الجمعة، قبل أن تكتشف أنها فقدت ثمانية من أفراد أسرتها:

كان لباس قوات لبنانية على صدرهم الأرزة، بس في منهم حاطين شرايط.(٨٦)

وقال شاب من قرية مجدل زون نجا من موت محقق مساء الخميس، اليوم الأول:

كانوا لابسين بدلات خضر مع شعار أصفر، مقيّد عليها الكتايب اللبنانية. [ولمّا سئل الشاهد هل يقصد القوات اللبنانية؟ أجاب:] لا. إني متأكد، الكتايب اللبنانية. [وقال أنه لم ينتبه للأكتاف وإنما قرأ ما كتب على صدورهم، وهو] "الكتايب اللبنانية".(٨٧)

قالت فتاة من الخالصة عاشت متنقلة مع ذويها من مكان إلى آخر بسبب الحروب:

كانوا لابسين بلوزة تحت اللباس العسكري، ومكتوب على البلوزة البيضا القوات اللبنانية، والتانيين كان مكتوب عليهن سعد حداد.(٨٨)

---

(٨٣) POH. S/SH. No. 42 (238/T. 42). Nawal H. Interview with author. Beirut: Author's house, March 15, 1983.

(٨٤) POH. S/SH. No. 69 (231/T. 63), as above.

(٨٥) POH. S/SH. No. 63 (232/T. 61). Siham Balqis. Interview with author. Massacre area: May 9, 1983.

(٨٦) POH. S/SH. No. 18 (238/T. 20), as above.

(٨٧) POH. S/SH. No. 36 (236/T. 36), as above.

(٨٨) POH. S/SH. No. 45 (231/T. 46). Harbeh A. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 22, 1983.

قال عامل بلاط من مهجّري تل الزعتر، حيث فقد أخوين له هناك:

كان مكتوب حزب الكتايب على الطاسات فوق روسهم.(٨٩)

وقد ساهم ثلاثة من فريق الأطباء الأجانب في وصف الذين رأوهم صباح السبت ساعة وصولهم إلى مستشفى غزة. فمن شهادة الممرضة الأميركية إلين سيغل أمام لجنة كاهان:

كانوا نحو عشرة جنود يرتدون لباساً نظامياً (uniform) شديد الترتيب والأناقة، كتب على ثنية صدر السترة "القوات اللبنانية".(٩٠)

ومن شهادة الطبيبة السنغافورية سوي شاي آنج أمام لجنة ماكبرايد:

كان هناك كلمتان بالعربية وباللون الأصفر على لباسهم النظامي (uniform)، وكانت الشارة اللبنانية على الذراع، وبعضهم كان عليها أيضاً مثلث أزرق. آخرون كانوا يضعون شارة صفراء على جيوبهم.(٩١)

ومن شهادة الطبيب البريطاني بول موريس أمام القاضي كاهان، رداً على سؤال القاضي: "هل في إمكانك أن تصف لنا الجنود؟":

كان أحدهم يحمل "راديو"... وكان يرتدي خوذة رمادية فاتحة، أقرب إلى البياض، وشكلها مشابه تماماً لما يرتديه الجيش الإسرائيلي. كانت ثيابه في منتهى الترتيب والنظافة، يرتدي لباساً نظامياً (uniform) من اللون الأخضر الفاتح، وكان السروال متناسقاً مع القميص. وكان هناك خمسة من هؤلاء "الجنود". وكانوا أيضاً يرتدون أحزمة من الكانفاس، وحمالة من الكانفاس وضعوا عليها "الراديو" وأشياء أُخرى. وكانوا ينتعلون أحذية سوداً لكن من دون لفافة الساق. وكان ساقا السروال أرفع من الأسفل كي يسهل إدخاله في الحذاء... وبالتأكيد كان هناك كلمات بالعربية منقوشة على اللباس النظامي لهؤلاء الخمسة...(٩٢)

تميزت شهادة امرأة سورية متزوجة بفلسطيني لا بسبب دقتها فقط، بل أيضاً لكونها

---

(٨٩) POH. S/SH. No. 89 (231/T. 75), as above.

(٩٠) Ellen Siegel, "Inside and Outside the Hospital, People were Screaming: 'Haddad, Kataeb, Israel-Massacre'," *Journal of Palestine Studies*, vol. XII, no. 2, Winter 1983, p. 64.

(٩١) Dr. Ang's testimony, "Selected Testimony and Reports," as cited in *Israel in Lebanon*..., op. cit., p. 270.

(٩٢) F. Lamb, ed., op. cit., pp. 580-581.

شهادة في وصف الأفواج الأولى التي دخلت في الساعة الأولى منطقة بئر حسن:

> كـانوا كلهم عساكر مسلحين، كلهم كانوا لابسين بدلات خضرا ودون إشارات. وكانـت بـدلات جديـدة جداً ونضيفة كتير وما في عليها ذرة من الغبار المعتاد على بـدلات العساكر. وكانت أحذيتهم نضيفة وتلمع. كان عددهم شي ٢٠٠ عنصر قبل ما يتفرّقوا، قسم يروح على شاتيلا وقسم يضل في بير حسن.
>
> لكن في شي مهم بحب كمان سجله، في جماعة من اللّي وقفوا رافعين سلاحهم بوجهنا مـا فتحوا تمهم بكلمة. ما كانوا يتكلموا معنا أبداً متل الباقين. يعني أنا ميّزت شـي ٥ أو ٦ أبـداً مـا حكيوا. كانوا اللّي ما حكيوا أبداً لابسين عسكري أخضر متل الباقيـن تمـام، لكـن فـي فرق إنّو كان منهم مربّين لحى، وفي منهم عيونهم ملونة، ومعظهمم طوال، وفي بيناتهم فتيان مش كبار بالعمر.
>
> أنـا شـكّيت إنّـو مانْهم لبنانية لأنّو ما كانوا يحكوا أبداً. ما سمعنا صوتهم ولا لغاتهم ولا لهجاتهم. وأكيد هاد سبب مش كافي لنحكم إنّو مانْهم عرب، لكن أنا لاحظت فـرق تانـي بين الفريقين يمكن يكون إلو أهمية، يمكن، لاحظت الفرق بالقبعات اللّي حاطّيـنها فـوق روسهم. كانوا اللّي حكيوا معنا لابسين على روسهم قبعات عسكرية عاديـة، كانت قبعاتهم سَحْب ومدورة في إلها ردّة لقدّام، وكانت رفيعة وطويلة، يعني نـوع مـن الكاسكيت، ولونها أخضر من لون البدلة. لكن اللّي ما حكيوا أبداً ما كانت قـبعاتهم متل الباقين، كانت مختلفة عنهم. كانت من القماش ولكن أعرض من الأولى، مستديرة أكتر وأقصر، وما في هاالبيريه الزايدة.(٩٣)

تناولـت أكـثر من ثلاثين شهادة في مشروع التاريخ الشفهي لصبرا وشاتيلا لباس المسلحين المهاجمين، وتتلخص شهادات السكان الذين شاهدوا بأعينهم المسلحين المهاجمين بالنقاط التالية:

- كان اللباس لباساً عسكرياً من اللون الأخضر، كلباس القوات اللبنانية، لكن البعض منهم كان يرتدي اللباس المرقط.
- كان هناك شارات على صدور البعض، أو على الأكتاف، أو في أعلى الأكمام. وقد كتب علـى بعض الشارات "القوات اللبنانية"، وعلى البعض الآخر "الكتائب اللبنانية"، كما كتب على أكتاف البعض "قوات سعد حداد"، كما رسمت الأرزة على بعض اللباس.
- كان هناك عدد ارتدى الزي العسكري الأخضر نفسه، لكن من دون أية شارات.

---

(٩٣) POH. S/SH. No. 41 (249/T. 40), as above.

- بالنسبة إلى غطاء الرأس، اعتمر بعضهم "البيريهات" الحمر، والبعض الآخر "بيريهات" من اللون الأسود. ولم يكن شكل "البيريه" موحداً. وبقي البعض حاسر الرأس.
- قسم كبير منهم انتعل أحذية عسكرية.
- كانت ثياب البعض نظيفة مكوية وكأن أصحابها يرتدونها أول مرة، بينما دلت ثياب الآخرين على أن أصحابها مستنفرون منذ أيام.

تطابقت شهادة عنصر من الميليشيات المسلحة المهاجمة نشرتها مجلة "دير شبيغل" الألمانية مع الشهادات أعلاه، إذ قال في حديثه إن لباس الأغلبية منهم كان اللباس الرسمي الكتائبي. لكنه أضاف ما لم يكن في وسع سائر الشهود معرفته، وهو أن اللباس الموحد لمعظمهم لم يكن يعني أنهم ينتمون حقاً إلى ميليشيا الكتائب، أي القوات اللبنانية. فالمتحدث نفسه اعترف مزهواً بأنه ينتمي إلى النمور الأحرار، كما قال إنه كان هناك غيره من النمور الأحرار، لكنهم كانوا الأقل عدداً بين المهاجمين، وقد ارتدوا زي ميليشيا الكتائب كما طُلب منهم.(٩٤)

تطابقت مع الشهادات أعلاه المقابلات التي أجراها المراسل الألماني كارل بوخالا مع شهود عيان من سكان المنطقة، في الأسبوع التالي للمجزرة. فقد نقل عن بسام حجاب، الفلسطيني المقيم ببرلين الغربية، والذي شاءت أقداره أن يشهد المجزرة بسبب قدومه إلى بيروت قبل أسابيع فقط لزيارة أهله والاطمئنان عليهم، وصفاً يتطابق مع المشهد الذي وصفته المرأة السورية أعلاه. قال بسام أنه رأى بنفسه كيفية اصطفاف نحو ٢٠٠ رجل بالملابس العسكرية الكاملة في منطقة بئر حسن المواجهة للمخيمين، وقال إن هؤلاء دخلوا شارع شاتيلا الرئيسي في نحو الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين من مساء الخميس. لكنه يضيف إلى شهادته تأكيده وجود رجال سعد حداد، الذين شاهدهم يرتدون اللباس العسكري الإسرائيلي، مع فارق وحيد هو أن رجال حداد كانوا يضعون على صدورهم عقدة شريط تمثل الأرزة اللبنانية.(٩٥)

تمكن أحد المصورين يوم الجمعة من التقاط مشهد لمسلحين من ميليشيا سعد حداد في أثناء مغادرتهم المخيم، وقد ظهرت الشارة على أكتافهم. وبثت محطة ABC التلفزية الأميركية هذا الفيلم على شاشتها،(٩٦) وانتشرت الصور نفسها في أكثر من فيديو عن

---

(٩٤) "Jeder von euch ist ein Racher: Win Libanesicher Millizionar uber seine Taten beim Massaker von Beirut," *Der Spiegel*, February 14, 1983, p. 112.

(٩٥) Carl E. Buchalla, "Beirut: Lokaltermin an der Statte des Massenmords: Ein Horrorfilm aus der Wirklichkeit," *Suddeutche Zeitung*, September 23, 1982.

(٩٦) ABC News, "Oh tell the World what Happened," presented by Bill Redeker.

المجـــزرة نقـــلاً عـــن المشهد الأول، وهذا في الوقت الذي كان سعد حداد نفسه ينفي نفياً قاطعاً أن يكون له أو لرجاله أي ضلع في المجزرة، حتى أنه توعد مهدداً مراسلي ABC بالانتقام إن تجرأوا وعادوا إلى لبنان.

ب ــ سلاح القاتل

تناول معظم الشهادات، التي تحدثت عن لباس المسلحين، السلاح الذي حملوه أيضاً. وكثـــيرون من الذين شاهدوا المجزرة في إبانها، أو شاهدوا آثارها في مرحلة البحث عن الضحايا، تمكنوا من معرفة الكثير عن الأسلحة التي استعملت.

قال شاب فلسطيني تدرب في معسكرات في الجنوب على استعمال السلاح:

> السلاح المستخدم في المجزرة هو بندقية M 16 وبلطات مع حربات وسكاكين.(٩٧)

وقالـــت فـــتاة "الخالصة"، التي لم تعرف الاستقرار مع أسرتها بعد بسبب الحروب المتلاحقة:

> أنا شفتهم. كانوا حاملين بلطات، وحاملين سكاكين ومسدسات.(٩٨)

وقالت الممرضة في مستشفى غزة، ابنة "الخالصة" أيضاً:

> لـــيلة الخمـــيس، أول ليلة، كلهم قُتلوا بكواتم الصوت، وكمان استخدموا البلطات. هناك أهالي كانوا متخبين، كانوا يسمعوا الصراخ، لكن ما يسمعوا الرصاص.(٩٩)

قالت أم فلسطينية قتل زوجها وعدد من أولادها في صبرا وشاتيلا:

> أكـــيد يا عمّي كانوا حاملين بلطات. كانوا حاطّينهم على وسطهم، بلطات بيض وإيدها بـــس هالطول، هاي كبس على قد مسكة اليد. وكتار منهم اللّي حاملين كلاشينات. شو بتقـــولوا M 16؟ يا ويلي على حالي، لو شفتوني يومها، أنـــا بعـــرف كانـــوا حاملين بواريد.(١٠٠)

وقالـــت امـــرأة جنوبية كانت من أول من شاهدهم ليلة الخميس، وقد راقبتهم طوال

---

(٩٧) POH. S/SH. No. 103 (234/N. 21). Q. D. Interview with author. Beirut: Author's house, March 1, 1984.

(٩٨) POH. S/SH. No. 45 (231/T. 46), as above.

(٩٩) POH. S/SH. No. 42 (238/T. 42), as above.

(١٠٠) POH. S/SH. No. 70 (243/T. 64), as above.

الليل من سطح بيتها:

> والله كــانوا يضــربوا بالبلطات وأنا أسمع جعير الناس وهيّ عم تترجاهم. بس كمان اســتعملوا رصاص كتير. مش كل الرصاص كان مع كاتم صوت، كان في رصاص كتير صوته عم يلعلع. ليش هنّي كان فارقة معهم حدا؟(١٠١)

قــال عامل البلاط المهجَّر من تل الزعتر يصف بلطة لم يستطع القاتل انتزاعها من رأس القتيل:

> شفت واحد مدبوح كاينين ضاربينه بالبلطة على راسه، كنا نجرب نفتح الباب ما ينفتح. كان المقتول طارقينه بالبلطة والبلطة واصلة على الباب، وتاركين البلطة بعدها علقانة براسه. أنا شفت البلطة هادي في صبرا.(١٠٢)

وقالــت الأم الجنوبــية، التي فقدت ثمانية من أفراد أسرتها، تصف الذين رأتهم يوم الجمعــة وهم يسوقونهم نساء وصغاراً في اتجاه المدينة الرياضية، بينما يسوقون رجالهن وأبناءهن في اتجاهات أُخرى:

> لمّــا كانوا سايقينا زي الغنم يوم الجمعة شفناهم على الطريق حاملين M16، وحاملين كلاشينات وبلطات وخناجر. لكن صدقوني يا ناس، لمّا رحنا بعد المدبحة نبرم ونفتش بين القتلى على أهالينا شفنا شوفات ما بتتصدق. شفنا ناس خانقينها خنق بالحبال. شفنا ناس حارقينها بالنار. كيف بدنا نعرف إذا حرقوهم قبل ما قتلوهم ولاّ بعد. وبعدين ليه بتســألونا أي ســلاح كان معهم؟ في سكينة بتقتل بضربة واحدة. لكن في سكينة بتقطّع الولــد الصغير أربع خمس شقف، وهيدا شوف عيوننا. هلّق هاي سكينة وهاي سكينة؟ أستغفرك يا رب.(١٠٣)

نتوقف في الشهادات عن السلاح أخيراً عند شهادة تتحدث عن سلاح المهاجمين عند ظهــر نهــار السبت، أي في الوقت الذي كان يفترض أن يكون القتلة غادروا المكان منذ ســاعات كمــا ورد في تقرير كاهان. فالراوي كان بين الذين أوقفوا للتحقيق أمام السفارة الكويتــية، فشاهد رفاقاً له يساقون إلى الشاحنات، أو يختفون في الحفر، أو يختفون وراء الــتلة إلــى حيــث لــم يكن في استطاعة أحد أن يرى أو يعلم ماذا حل بهم. قال الشاهد الراوي:

---

(١٠١) POH. S/SH. No. 59 (234/T. 55), as above.

(١٠٢) POH. S/SH. No. 89 (231/T. 75), as above.

(١٠٣) POH. S/SH. No. 18 (238/T. 20), as above.

فـي ناس ما كانوا لابسين جاكتات. كانوا حاطّين حبال وبلطات، حاطّينهم على الزلط، والله أنا شفتهم على الزلط. وكانوا حاطّين الحبال على رقبتهم. وكانت البلطات لوحدها، والحبال لوحدها. يعني مش رابطين الحبلة بالبلطة. يعني اللّي منهم مش لابسين قمصان من فوق حاطّين نوع من القفص حبال على صدرهم.

والأكترية مربّين دقونهم، وكتار منهم كانوا ضخام الجتة.

في منهم حاملين سلاحهم بإيدهم. يعني حاملين M 16، وكان في دوشكتين معهم.

وفي منهم لابسين أواعي عسكرية وحاطّين شارة القوات اللبنانية .M.P. كيف لكان عرفناهم!(١٠٤)

يستخلص من مجموع الشهادات أن هناك توافقاً على أن أبرز الأسلحة الفردية التي استخدمت كان المسدسات الكاتمة للصوت، والمسدسات العادية، وبنادق M16، ورشاشات الكلاشينكوف، والبلطات، والسكاكين، والخناجر، والحراب، والحبال. وهذا بالإضافة إلى القذائف التي أُطلقت على البيوت لإرغام السكان على الخروج، والمتفجرات التي استُخدمت لنسف البيوت بعد قتل أصحابها، والألغام التي زُرعت إلى جانب الضحايا كي تستمر المجزرة حتى بعد أن تنتهي.

ج ـ لغة القاتل

اللغة السائدة بين المهاجمين كانت اللغة العربية، كما كان بينهم من تكلم بلغات أجنبية. فسُمعت أحياناً اللغات الفرنسية والإنكليزية والألمانية، كذلك سُمعت اللغة العبرية. وهناك بينهم من لم يتكلم قط. لكن مجموع هؤلاء المتكلمين باللغات الأجنبية وهؤلاء الصامتين، لا يشكل أكثر من أقلية ضئيلة بين المهاجمين.

اللغة الأجنبية ذات المدلول الخاص بين اللغات التي سُمعت، ولو قليلاً، كانت اللغة العبرية، لكونها تشير إلى وجود إسرائيليين. وقد لا تكون هذه الإشارة كافية حتماً، لكنها إشارة بارزة.

أمّا اللغات الأجنبية الأُخرى فلاستعمالها تفسيرات متعددة: منها أن بعض المهاجمين تكلم بها بحكم العادة؛ فلبنان بلد يعتز الكثيرون من مواطنيه بإتقانهم اللغة الفرنسية أو الإنكليزية أو الألمانية أو الإسبانية ـ على سبيل المثال ـ أكثر من إتقانهم للغتهم العربية؛ ومنها اعتياد الناس على اللغة الأجنبية في حياتهم عبر التلفزة، وعبر الأحاديث اليومية. وأي سائح إلى لبنان سرعان ما يكتشف أن عدداً كثيراً من التجار يكتفي بتعليق لافتات

---

(١٠٤) POH. S/SH. No. 54 (230/T. 53), as above.

علــى متجره باللغة الفرنسية أو الإنكليزية؛ ومنها ضرورة التحدث مع الإسرائيليين ــ إن وُجــدوا فعــلاً ــ بلغة مشتركة فيما بين الفريقين. فالإسرائيلي بدوره يتقن أيضاً أكثر من لغــة، لكن لأسباب تختلف عن اللبناني. فتلك اللغة الأجنبية، الألمانية أو الفرنسية مثلاً، قد تكون لغته الأم قبل مجيئه أو مجيء ذويه إلى إسرائيل.

أمّــا بالنســبة إلـــى اللغة العربية السائدة، فقد كانت كلها بمختلف اللهجات اللبنانية المحلية، الأمر الذي جعل معرفة المنطقة والطائفة اللتين ينتمي إليهما هذا المهاجم أو ذاك مسألة ممكنة.

قـــال الســـكان عندما سئلوا عن لغة المهاجم ولهجته إنها كانت "لهجة لبنانية"، لكنهم حيـــن طُلب منهم التحديد أكثر، ذكروا لهجات مناطق معينة، كان منها لهجة أهل "بيروت الشرقية"، وأهل الجنوب، وأهل الدامور، وأهل مارون الراس، وأهل الخيام، وأهل بعلبك. ومـــع الـــتحدث عن مصدر اللهجة كان الرواة يحددون "طائفة" اللهجة أحياناً، فيتضح من خـــلال اللهجات، ومن خلال الانتماء الجغرافي معاً، أن الأغلبية من المهاجمين كانت من مســـيحيين موارنة، والأقلية من مسيحيين آخرين ومن مسلمين شيعة موجودين في مناطق سعد حداد.[(١٠٥)]

أمّـــا مـــن خـــلال الأسماء، فالانتماءات الطائفية كان لها وجود أكثر وضوحاً. وقد توزعـــت أيضـــاً بيـــن أكثرية مسيحية وأقلية مسلمة؛ فكانت مناداة المسلحين المهاجمين لبعضـــهم البعض بالأسماء الأولى تنتقل من طوني إلى حنا، إلى الياس، إلى عباس، إلى محمد، إلى حسن، إلى مارون، إلى جورج...

بعض الناس صدق الأسماء، لكن البعض الآخر لم يصدق. قال الذين لم يصدقوا إن أسماء عباس أو حسن أو محمد استُعملت للتمويه ليس أكثر؛ أي للإيحاء بأن هناك مسلمين بين المهاجمين المسلحين القتلة.

مـــن الممكن أن يكون مثل هذه الأسماء قد استُعمل للتمويه، أحياناً، لكن هذا لا ينفي أن بعضـــها كـــان حقيقياً. ويظهر هذا من خلال شهادات معينة لم يكتف أصحابها بترداد الأسماء التي سمعوها، بل أكدوا معرفتهم الشخصية المسبقة بصاحب الاسم، كما جرى مع أكثر من شاهدة وفي أكثر من تجربة.

---

(١٠٥) تشتمل المصادر، فيما يتعلق باللغة واللهجة، على معظم الشهادات. وما اخترناه أدناه هو الأكثر دقة، مشيرين إليه بأرقام المقابلات:

POH. S/SH. No. 16 (248/T.18); No. 18 (238/T.20); No. 20 (249/T.22); No. 30 (249/T.30); No. 35 (238/T.35); No. 42 (238/T.42); No. 69 (231/T.63).

د ــ مخلفات القاتل

لم تكن مجزرة صبرا وشاتيلا "جريمة كاملة" من حيث إخفاء البراهين والأدلة.

والسؤال الرئيسي: هل أراد المسلحون القتلة حقاً لجريمتهم أن تكون "جريمة كاملة"؟ هل حاولوا فعلاً إخفاء معالم المجزرة؟

هم بالتأكيد حاولوا شيئاً من ذلك، وعلى وجه أكثر دقة حاول "المفكر والمخطط" منهم ذلك كي لا تبدو المجزرة مجزرة، وإنما معركة بين فريقين. لذلك كان أكثر ما حاول القتلة إخفاءه هو الكم الهائل من جثث الضحايا. فالمنطق يقول إنه يستحيل قتل كل هؤلاء في معركة يوجد على جانب منها ألفا مقاتل، "مخرب" كما يقولون، وعلى الجانب الآخر بضع مئات من المهاجمين!! لكنهم، أي هؤلاء المهاجمين القتلة، ما استطاعوا إخفاء غير جزء فقط من الكم الهائل من الضحايا. فكل ما تبقى على أرض المجزرة من ضحايا، وما تبقى من مخلفات وأدلة، يشير إلى أن ما كان.. كان حقاً مجزرة.

أبرز المخلفات التي تركوها: أسلحة؛ "بيريهات" للرأس؛ هويات؛ معلبات إسرائيلية؛ زجاجات ويسكي؛ علب بيرة؛ علب بسكويت. أمّا الإسرائيليون الذين أكدوا أنه لم يدخل أحد منهم "أرض المجزرة"، فكان هناك أيضاً مخلفات تدل عليهم.

ونترك شهادات ذوي الضحايا وأفراد المؤسسات الإنسانية تحدثنا عن تلك المخلفات.

قال شاب فلسطيني:

> وجدنا بيريه حمرا عليها الأرزة اللبنانية، مع جعب وأسلحة صناعة إسرائيلية يستخدمها حزب الكتايب. ويمكن أنا فيني قول إنّو من أهم مخلفاتهم كانت الشعارات اللّي تركوها على الحيطان، على جدران شوارع شاتيلا: "قوات فرن الشباك مرت من هنا. القوات اللبنانية مرت من هنا."(١٠٦)

قال شابان من كشاف التربية في الدفاع المدني:

> نحنا كنا من أول من دخل المنطقة من الدفاع المدني. شفنا على أرض مخيم صبرا معلبات عسكرية خضرا فيها جبنة ولحمة وعدة أنواع من الأكل، وهيدي كلها أخدنا نماذج منها واحتفظنا بقسم منها، وهيّ موجودة عنا. هيدي كان يستخدمها المسلحين، لكن ما كانت المعلبات مكتوب عليها شي. نحنا اللّي شفناها ما قدرنا نعرف مصدرها،

---

(١٠٦) POH. S/SH. No. 103 (234/N. 21), as above.

وبعدنا محتفظين بنماذج منها.(١٠٧)

مــن أفراد المؤسسات الإنسانية من وجد سلاح الجريمة. فقد فقال شاب من عناصر اتحاد الشبيبة الإسلامية:

نحـــنا شفنا كتار مقتولين بسكاكين. حتى العلامة إنّو إحنا وجدنا سكين من اللّي استعملوها في المجزرة. هيدي موجودة عنا. وشلناها أول يوم مع اللّي كانوا مقتولين على الطرقات.(١٠٨)

وقال شاب فلسطيني عاد إلى بيته فوجده فارغاً من كل أهله، إلاّ من آثار القتلة:

نحنا لقينا في بيتنا علب السردين عليها كتابة بالعبري. والمسؤولين في الصليب الأحمر شافوها. وكمان كاينين المسلحين المهاجمين مرتاحين كتير وقاصّين بطيخة وماكلينها، وبقايا البطيخ بقلب البيت.(١٠٩)

مــن شهادة أم عادت إلى بيتها في حي عرسال فوجدته مهدماً. أمّا أمام بيتها وبيوت الجيران فكان لديها ما تقول في شأنه:

قــدّام البيـــت كـــان كلّـــو فراش، كانوا الكتايب يطلْعوا الفرشات من البيوت يحطّوها بـــالأرض ويقعـــدوا علـــيها. كـــانوا يتسطّحوا ويناموا. وكل الحرامات طلّعوها. شو هاالأعصاب الباردة.(١١٠)

وقالت ممرضة شاهدة على دخولهم يوم الخميس، تصف ما شاهدته في بيتها وبيوت الجيران بعد أن عادت:

نحـــنا لمّـــا هربنا من المجزرة قعدنا في بناية قريبة من ثكنة الحلو. لكن كانت بناية ما في إلها ابواب ولا شبابيك. وما كان معنا بالتأكيد ولا شي من التياب والفراش والحـــرامات والشراشـــف للنوم، وكانوا الاطفال معنا بعدهم بنفس التياب اللّي حملناهم فيها. كمان ما كان في معنا أكل، وكل الوقت اللّي هربنا فيه بقينا تقريباً بلا أكل.

عـــند الساعة أربعة ونص بعد ضهر يوم السبت، قلت لإمي: "خلّيني روح لعند محطة الدنا وشوف إذا طلعوا من المخيمات واللاّ ما طلعوا. نحنا كنا سمعنا إنّو الجيش اللبنانـــي دخـــل مـــنطقة المخـــيمات. لمّا وصلت لعند منطقة الجامعة العربية، وجدت

---

(١٠٧) POH. S/SH. No. 73 (238/T. 66), as above; POH. S/SH. No. 74 (231/T. 66). Hasan A. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983.

(١٠٨) POH. S/SH. No. 81 (244/T. 70), as above.

(١٠٩) POH. S/SH. No. 26 (241/T. 28), as above.

(١١٠) POH. S/SH. No. 112 (241/T. 88), as above.

عناصــر مــن الجيش عم يدخلوا المنطقة ويتمركزوا فيها. كنت برفقة جارتي مريم، وهيّ كانت تريد انتشال جثث زوجها واولادها وأهلها. وقّفونا عناصر الجيش، وقلولنا: "لوين رايحين؟" قلنالهم: "على صبرا وشاتيلا". وصرنا نبكي من حرقة قلب. ما عادوا ســألونا ولا ســؤال، لكن قرّبوا علينا وقلولنا: "روحوا. لكن ما تقولوا إنكم فلسطينية، قولوا إنكم لبنانية من الجنوب."

ومشينا. ما وصلنا لداخل المنطقة حتى شفنا الجثث منتشرة على الأرض. على الشارع الرئيسي وفي البيوت وفي الزواريب. شي مش معقول، ما بيتصدّق.

فتــنا بيوتــنا وجدناها انسرقت. أجهزة التلفزيون والمسجلات والمصاري كلها انســرقت، وكــل الأغــراض فوق بعضها على الأرض، كل التموين من سكر ورز وبرغل وبهارات مرمية فوق بعضها على الأرض.

وأنــا كــان عندي بالبيت شنط مليانة جْهاز ولوازم عروس، وكلها جديدة، نحنا عــنا تقليد وعادة من أيام فلسطين إنّو البنت المخطوبة وعلى وشك الزواج إنها تحضّر حالهــا. نحنا لقينا كل هادي الشنط مفتّحة ومرمية التياب بعد ما ماسحين فيها أصابعهم من الدم وماسحين السكاكين. كل التياب كانت ملطخة بالدم.

وقدّام البيت، كاينين مطلْعين فرشات وكراسي وشاربين قهوة، أنا شفت ركاوي القهــوة بعدها قدّام البيت، ماخدينها من المطبخ وعاملين قهوة بكل رواق.. بكل برودة أعصاب. شي واضح.

لكــن هنّــي كاينيــن جايبين معهم أكل وشرب. نحنا وجدنا علب بسكوت على الأرض مكتوب عليها بالعبري. ووجدنا علب بيرة مكتوب عليها أيضاً بالعبري.

وفــي شــي غريب. لاحظنا إنّو علب البسكوت المكتوب عليها بالعبري خفيفة جداً، متل قشة كبريت، فطبعاً هذه بتخفف عليهم الحمل.

وقــبل مــا نرجع شفت سكينة كبيرة على باب بيت جيرانّا، سكينة سودا، سألت جارتنا: "دخلك هاي السكينة إلكم؟" قلتلي: "لأ ".[١١١]

أمّــا "الآثار" في المنطقة الملاصقة لمخيم شاتيلا إلى جهة الحرش، فلم تقتصر على الاستلقاء أو الراحة، بل دلت على شرب الكحول أيضاً. وقد تحدث عنها شاهد راح يتفقد سكان المنطقة وما حل بها:

قــدّام بيت على طرف المخيم من جهة الحرش، كان في سيارة وجدنا فيها صندوقين ويسكي وبزورات. يعني اللّي جاي يقتل بفرح وعم بشرب ويسكي ماكانش فارقة معو، ما كان هَمّو

---

(١١١) POH. S/SH. No. 42 (238/T. 42), as above.

> يقـوّص ويخفي جريمته.. لذلك في طرف المخيم هون ما حاولوا يخبّوا القتلى. لقينا ست أو ســبع جثــت طالع عليهم كميون، وجايبين شي مثل جرافة، كاينين بدهم يحطوا تراب عليهم متل اللّي بدهم يدفنوهم. كانت هاي الجثت خارج حدود شارع المخيم بشوي.(١١٢)

أمّــا أم علي، فلم تذكر آثار الموائد والشرب فحسب، بل أخذت أيضاً تصف "موائد" شربهم صباح الجمعة وهي تسير مع قطيع من جيرانها نحو المجهول:

> يــا نــاس، يــا أمّة محمد، في شي ما بيتصدّق، هنّي ما كاينين يشربوا بس في الليل، كاينيــن حاطّيــن الويسكي علناً على وش الصبح يوم الجمعة، مين بيشرب هيك شرب علــى وش الصــبح والجثت حد منّو عاملها متراس؟ والله هيدا اللّي شفناه. كانوا كتير حاطّيــن هاالويسـكي وحاطّيــن الأكــل والمشروبات. أنا شفت هاالشوفات لمّا رحت راكضـــة أترجى واحد منهم: "دخيلك لوين آخد إبني؟ دخيلك لوين؟" ما حدا رد عليّ. ضــحكوا عليّ. وأنا راجعة للطابور بشوف هاالشوفات. قلت يا ريتني ما ترجّيت حدا. هيك حدا بيعرف شي إسمه إنسانية؟(١١٣)

روى الحاج محمود عن مسيرة السبت مشهداً مماثلاً لما روته أم علي عن مسيرة الجمعة:

> فــي مشــهد ما كان في أبشع منّو. أنا شفت أربع جثت، وعلى جنب منها حاطّين كاسات العــرق والويســكي. أنــا شــفتهم بعيونــي. كاينين دابحينهم وممثّلين فيهم، أربع جثت، وحاطينهم وعم يشربوا عرق وويسكي حد الجثت. لعنة الله عليهم، والله أكبر عليهم.(١١٤)

ما شاهده السكان من مخلفات طعام شاهده صحافيون حضروا في الأيام الأولى التي تلت المجزرة، إضافة إلى مخلفات سلاح. فقد كتب توماس فريدمان، في جريدة "نيويورك تايمــز"، أن المراسلين وجدوا علباً تحتوي على طلقات M 16 وعليها كتابة بالعبرية، كذلك وجــدوا غُلُف بسكويت مع الشوكولا من الصنع الإسرائيلي، وبقايا حصص طعام للجنود من الصنع الأميركي.(١١٥)

وكتــب رون بن ــ يشاي أنه شاهد بعينيه معلبات طعام وأسلحة إسرائيلية الصنع، وعلّق على هذا بأن هدفهم كان إعطاء الانطباع بأنهم كانوا رجال سعد حداد، ذلك بأنه من

---

(١١٢) POH. S/SH. No. 110 (231/T.86). Hasan A. (Abu 'Ali). Interview with author. Beirut: Narrator's office, May 11, 1984.

(١١٣) POH. S/SH. No. 18 (238/T. 19), as above.

(١١٤) POH. S/SH. No. 16 (248/T. 17), as above.

(١١٥) Friedman, op. cit., p. 69.

المعروف أن جماعة حداد تعتمد في سلاحها ومعداتها على الجيش الإسرائيلي.(١١٦)

أمّــا الدلــيل القاطع على هوية القتلة، فهو "هوياتهم" التي حملها بعضهم في جيوبه، لكــنه أضاعها في غمرة الانهماك في اقتحام المخيم، أو المخيمات كما يقال، فسقط بعض الهويات من ذلك البعض. هناك عدة شهادات تؤكد وجود هويات لبنانية وإسرائيلية.

قال الشاب الذي شهد أعلاه على وجود بقايا علب السردين والبطيخ في بيته:

> أنــا بعد المجزرة تاني يوم دخلت البيت فلقيت هوية إخراج قيد سلّمتها للجيش وللدفاع المدني. كانوا واقفين مع بعض. وكان إخراج قيد لبناني.(١١٧)

وقال آخر من سكان أرض المجزرة:

> في شخص إسمه "... " من بنت جبيل، وإخراج قيده وجدوه. أكيد وقع منه.(١١٨)

وقالت مديرة مستشفى غزة، عزيزة الخالدي:

> في اتنين صحفية أجانب أميركان ما بتذكّر أساميهم إجو بعد المجزرة، فَرْجوني قلادة مكتوب عليها بالعبري، ومن الوجه التاني كان مكتوب عليها بالعبري كمان دعاء للســفر. هاي القلادة لقاها طفل فلسطيني بالمخيم وأعطاها للصحفي الأميركاني. وكان هادا الصحفي معه واحد رفيق تاني، كانوا دايماً مع بعض...
>
> كمــان فــي صديقة إلي حصلت على هوية إسرائيلية من واحد رجّال في مخيم شاتيلا. كان هادا الرجّال شاف الهوية مرميّة على الشارع جنب المخيم، بلزق المخيم، وهــيّ اشــترتها مــنّو، واحتفظت فيها كوثيقة. أنا ما شفتها بعيني، لكن هيّ صديقتي موثوقة كتير، وبحياتها ما حكيت غير الصحيح.(١١٩)

فــي أول عيد بعد المجزرة، وبينما أهل الضحايا في المقابر يبكون أحباءهم، وقفت فــتاة مــن آل المقــداد علــى مرأى من الجميع، وهي تحمل بيديها خوذتين عسكريتين إســرائيليتين، علــى كــل منهما نجمة داود، وقد رآها كل من كان واقفاً، وسمعها تقول للصحافيين، بنوع من هستيريا الغضب والألم:

> هــيدول من وين؟ قولولي من وين؟ هيدول لقيناهم في البيوت. صوّروني وأنا حاملة

---

(١١٦) Ben-Yishay, op. cit., p. 61.

(١١٧) POH. S/SH. No. 26 (241/T. 28), as above.

(١١٨) POH. S/SH. No. 116 (230/T. 90), as above.

(١١٩) POH. S/SH. No. 34 (241/T. 34). ‘Aziza Khalidi. Interview with author. Beirut: Author’s house, March 4, 1983.

كـل طاسـة بإيد. أنا مش خايفة من حد. أنا من بيت المقداد. هيدي الطاسات التقت بالبيوت.
هيدا علم فلسطين، تطلّعوا، شايفينو مرفوع؟ وأنا بقولكم إحنا لبنانية وما منتخلى عنّو.
إسرائيل بتقول يا ناس ما إلها إيد. من وين لكان إجو الطاسات؟ من وين إجو؟ (١٢٠)

هـ ــ هوية القاتل ونوازعه

هل تمكن السكان من الجزم بهوية القتلة؟

دخلـت الميليشـيات المهاجمـة مـنطقة صبرا وشاتيلا وهي تحمل على صدورها وأكـتافها الشـارات، والسـكان يقـرأون ويعرفون الشارات. فقالوا إن هؤلاء المسلحين المهاجمين هم من الكتائب اللبنانية والقوات اللبنانية وقوات سعد حداد. وفي غمرة الإنكار التام بعد المجزرة من قبل الفاعلين، كثرت الأقوال إن الشارات قد لا تعني الانتماء الفعلي، وهذا قد يكون صحيحاً، غير أنه ليس بالشارات وحدها عُرفت هوية القتلة.

كـان هـناك اعـترافات مباشرة من قبل المهاجمين المسلحين بالانتماء إلى القوات اللبنانـية، أو إلى سعد حداد؛ فهذا ما سمعه الكثير من أهل المنطقة، وما احتواه الكثير من الشـهادات، إذ كـان قاتل في نشوة مهمته يعتز بذلك، وكان آخر يلجأ إلى إعلان هويته الميليشيوية إمعاناً في إرهاب السكان، أو اعتزازاً بالرغبة في الثأر من الفلسطينيين.

سـألت الطبيبة سوي شاي آنج المسلحين صباح السبت، وأمام مستشفى غزة: "من أنتم؟" وسجلت في مذكراتها جوابهم:

> قالوا أنهم من الجيش، فسألتهم: "أي جيش؟" فأجابوا: "القوات اللبنانية". أنا كنت ما زلت حديثة العهد بالبلد فلم أعرف ما هي القوات اللبنانية، وماذا تعني. لكنني بالتأكيد علمت فيما بعد أن القوات اللبنانية تعني الكتائب.(١٢١)

ذكـر المهـاجمون أجوبة مماثلة للكثير من الأطباء الأجانب، كما مر معنا؛ فهم لم ينكروا هويتهم وهم يأخذون الأطباء للتحقيق.

هناك شهود من السكان كانوا يعلمون من القاتل، إذ رأوه وهو يرتكب الجريمة. وقد تكلم بعض هؤلاء. وفي الصفحات السابقة شهادات متعددة لهذا البعض.

بعـض السـكان كان يعرف لكنه كان خائفاً من قول ما يعرف؛ من هؤلاء الخائفين كان شاهد في نحو الأربعين من عمره واقفاً بالقرب من أحد الضحايا، يوم الأحد في ١٩ أيلـول/سبتمبر، لمّا رآه جان جينيه وسأله عن القاتل، ودار بينهما حوار باللغة الفرنسية.

---

(١٢٠) POH. S/SH. No. 63 (232/T. 61), as above.

(١٢١) Dr. Ang's testimony, op. cit., pp. 269-270.

غير أن جان جينيه، قبل أن يسرد الحوار، راح يصف الحب والموت، من وحي اللحظات التي وقف فيها أمام تلك الضحية الملقاة على الطريق:

الحب والموت. هاتان الكلمتان سرعان ما تقرن الواحدة بالأخرى كلما كُتبت إحداهما. كان عليّ أن أذهب إلى شاتيلا لأدرك فحش الحب وفحش الموت. في الحالتين ليس لدى الجسد شيء أكثر ليخبئه؛ الأوضاع، التعرجات، الإيماءات، العلامات، حتى الصمت يخص هذا العالم وذاك. كان جسد رجل ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين من العمر ممدداً ووجهه إلى أسفل، كأن الجسد كله لم يكن شيئاً غير مثانة على شكل رجل، انتفخت هكذا من الشمس ومن التحلل الكيماوي، حتى التصق السروال به بشكل محكم وكأنه سيتشقق عند الردفين والفخذين. الجزء الوحيد من الوجه الذي تمكنت من أن أراه كان بنفسجياً وأسود. وقليلاً فوق الركبة تستطيع أن ترى جرحاً في الفخذ تحت القماش الممزق. سبب الجرح: حربة، أو مدية، أو خنجر؟ الذباب متجمع على الجرح ومن حوله. رأسه كان أكبر من بطيخة، بطيخة سوداء. سألت عن اسمه؛ كان مسلماً.

من هو؟

"فلسطيني"، أجابني رجل في نحو الأربعين من عمره بالفرنسية. "أنظر ماذا فعلوا".

رفع الحرام الذي كان يغطي قدميه وجزءاً من ساقيه. الركبتان عاريتان، سوداوان ومنتفختان. القدمان في جزمة عسكرية محلولة الرباط، وكاحلا القدمين شدا أحدهما إلى الآخر بعقدة حبل متين ــ كانت مثانته ظاهرة ــ يبلغ طوله نحو تسعة أقدام... سألت الرجل ذا الأربعين عاماً إن كنت أستطيع أن أرى الوجه.

ــ إن كنت تريد ذلك، لكن أنظر إليه أنت بنفسك.

ــ هل تساعدني على قلب رأسه؟

ــ لا.

ــ هل جرّوه بين الشوارع بهذا الحبل؟

ــ لا أعلم، سيدي.

ــ من الذي ربطه؟

ــ لا أعلم، سيدي.

ــ هل كانوا رجال حداد؟

ــ لا أعلم.

ــ الإسرائيليون؟

ــ لا أعلم.

ــ الكتائب؟

ـ لا أعلم.

ـ هل كنت تعرفه؟

ـ نعم.

ـ هل رأيته وهو يموت؟

ـ نعم.

ـ من قتله؟

ـ لا أعلم.

مشى بسرعة بعيداً عن الرجل الميت وعني. ثم عاد ينظر إليّ، قبل أن يتوارى في شارع جانبي.(١٢٢)

لـم يكن ذلك الشاهد وحده من خاف من قول الحقيقة، فعشرات غيره خافوا في تلك الأيام العصيبة.

لكن .. ماذا عن نوازع القاتل ونفسيته؟ هل كانت متشابهة، أم متناقضة؟

هناك قول شائع إن القتلة جاؤوا جميعاً من الدامور وانتقاماً لما جرى في الدامور، كما ورد على لسان بعض القتلة بتشف وغل: "هذه بلطة الدامور"، أو أنهم جاؤوا للانتقام لمقتل بشير الجميل، كما ردد بعض الشهود ما قاله الكثيرون من المهاجمين: "إنتوا قتلتوا بشير الجميل، جينا نقتلكم."

وصفت امرأة كيفية اقتحامهم الملجأ الذي كانت فيه مساء الخميس:

> أنا تطلّعت هيك من باب الملجأ ولاّ شي ١٦ واحد طلعوا بوجهنا: "ولا، إنت واياه، تعوا كلكم لهون... إنتوا انبسَطوا كلكم بموتة بشير الجميل. تعوا لنفرجيكم."(١٢٣)

غير أن مثل هذه الأقوال في مجموعها لا ينبئ بأن المجزرة كانت من أجل الثأر لما جرى في الدامور، أو من أجل الثأر لمقتل بشير الجميل؛ فالأسباب أكثر بعداً، وأبعد تاريخاً، كما أنها أبعد أثراً، وليس من أي داع للتوقف عندها، لسبب وحيد هو أن المجازر لا تبرير لها.

اختلفت الشهادات بشأن الحالة النفسية للمسلحين المهاجمين. وهذا أمر طبيعي نظراً إلى طبيعة الحدث الخارجة عن طبيعة الحياة، ونظراً إلى دخولهم على دفعات طوال ثلاثة أيام متتالية، فلم تكن البداية كالنهاية؛ كانوا أول دخولهم في بئر حسن مرتبكين مترددين لا يعرفون أين هم، بينما سرعان ما تأقلموا مع طبيعة المجزرة، فراح من كان يشعر بوخز ضمير، أو رعشة خوف، يقلد أصحاب الخبرة والسوابق من المسؤولين بينهم، حتى بات

---

(١٢٢) Genet, op. cit., pp. 5-6.

(١٢٣) POH. S/SH. No. 20 (249/T.22). Dalal Sh. Interview with author. Beirut: Author's house, February 24, 1983.

عــدد كثــير منهم قادراً على قتل السكان الأبرياء، نساء وأطفالاً وشيوخاً ورجالاً، أفراداً وجماعــات، بأعصــاب في منتهى البرودة. ولا ينفي هذا وجود قليلين جرى لهم العكس تماماً، فكانوا شرسين في البداية، ثم توقفوا فجأة ليتساءلوا: ماذا نحن فاعلون؟

شــهد الكثــيرون أن القتلة الذين رأوهم لم يكونوا في حالة طبيعية، وأنه كان لديهم الوقت لشرب الكحول وتعاطي الحشيش وغيره. ومنهم من جاء "مسطولاً" منذ البداية، كما قال البعض.

لخــص الوضع آمر سرية في الجيش اللبناني كان قريباً من أرض المجزرة وشاهد نتائجها، بقوله: "أعتقد أنهم حتما كانوا... بوضع غير طبيعي."[١٢٤]

غــير أن كثيريــن شــهدوا على العكس من الشهادات أعلاه، فقالوا إن القتلة كانوا يعرفون جيداً ما يقومون به بدم بارد. وللمثال، ما ورد في شهادة فلسطينية كان ذووها من أوائــل الضــحايا مساء الخميس، إذ قالت أنها تعتقد أنهم كانوا بكامل قواهم العقلية، وأنهم كانوا يتصرفون معهم بحقد ولؤم.[١٢٥]

لا يوجــد أي تناقض حقيقي في الشهادات أعلاه بشأن نفسية المهاجمين، وإنما هناك اخــتلافات وتعدديــة تعكــس اخــتلاف النفسيات. ذلك بأن الشهادات تتناول المئات من المســلحين المهاجميــن، هــؤلاء الذين ما كانوا أساساً جيشاً موحداً كي تكون لهم تربية عسكرية واحدة. وهم حتى لو كانوا كذلك لما كان يمكن أن تكون حالاتهم النفسية واحدة. ورُب شــهادتين عــن مجموعــة واحدة، أو حتى عن مسلح واحد، تتناقضان؛ ذلك بأنهما تتحدثان عن وضعين مختلفين، وفي لحظتين مختلفتين.

المجازر لا تقاس حقيقة بالأيام أو بالساعات، وإنما باللحظات.

ولــم تكن أيام المجزرة وحدها كافية لمعرفة نوازع القتلة المهاجمين. فالبعض منهم راح بعــد المجــزرة يبحث عن أماكن وجود الفلسطينيين، وكان هؤلاء بدورهم أصبحوا خــارج صــبرا وشاتيلا في عدد من الأماكن التي تصوروا أنها أكثر أمناً، وكانت حديقة الصــنائع إحــدى هــذه المناطق. هناك أخذ شابان في هيئة مريبة يترددان على الحديقة. وتروي أم ماجد حكاية أحدهما:

> بعــد المجــزرة بيومين رحنا على جنينة الصنايع. وين بدنا نروح؟ نحنا وكل الجيران اللّي بعرفهم كنا ننام في الصنايع.
>
> فــي اتنين شباب صاروا جايين أكتر من مرة، في سيارة حمرا، وكانوا يقولوا

---

(١٢٤) POH. S/SH. No. 120 (247/N. 25). I. Q. Interview with author. Beirut: Author's house, August 1986.

(١٢٥) POH. S/SH. No. 69 (231/T. 63), as above.

للـناس إنهـم كتايب، لكن في واحد استغش فيهم وراح خبّر الجيش، فقلّو الضابط في المخفر إنّو بس يرجعوا مرة تانية أعطونا خبر.

فعلاً رجعوا. واحد منهم قرّب علينا وصار يحكي معنا. أنا سألته: "إنت من وين؟" قـال إنّو من زحلة. أنا كنت واقفة وواقفين معي نسوان تانيين. ما لقيناه غير صار يحكي الكلمـة وهـو خايف. صار يقول: "أنا لقيت القرآن وخبّيته معي. أنا مسيحي من زحلة. لقيـت شـقفة من القرآن كانت على الأرض، لكن أنا ما كان ممكن إدعس عليها، رفعتها وحطّيتها بجيبتي." وراح مد إيدو وطال فعلاً اوراق ممزعة من القرآن كانت معه...

أنـا شكّيت بأمره، وين ممكن لاقى القرآن ممزع على الأرض؟ وكمان شكّيت فـيه لأنّـو واحد بدخّن سجاير أجنبية، لشو حامل معه ورق دفتر السيجارة منشان لف السـجاير. وتصـوّرت إنّو هادا الزلمي بحشّش. كانت عيونه حمر. سألته: "طيب ليش عـيونك حمـر؟" قلّـي: "من السهر. ما إحنا ما عمّ ننام الليل، عم نسهر على حماية الناس!!" وهو ـ على فكرة ـ كان لابس تياب جيش.

لمّـا سألني نحنا من وين وقلتلّو إنّو نحنا من صبرا، راح بلع ريقه وقال: "طيب ليه قاعدين هون؟ ليه هوّ الجيش بيقدر يحميكم في الصنايع؟"

وصْـلت عناصر من الجيش وهوّ بعده عم يحكي، رفعوا عليه السلاح وأخدوه. لو كان هوّ صحيح من الجيش كان فرجاهم بطاقته.

عرفـنا شـو صار معه في المخفر بعدين من ست منعرفها كانت معنا في الصنايع، وهـيّ قريبة جندي لبناني من المخفر. خبّرتني إنهم حققوا معه، ضربوه، ولمّا شافوا قميصه التحتانـي (البروتـيل) بَعْـدُه كله مليان دم، والدم صار متجمد وهو ما كان شالحه أبداً، من يومهـا، انهار واعترف إنّو كان من اللّي اشتركوا بصبرا وشاتيلا. وتبيّن إنّو كان معه عدة هويات مختلفة، منها هوية الكتايب. واعترف هوّ نفسه في الآخر إنّو من الكتايب.

والشخص التاني اللّي كان معه، كان متلُه.[١٢٦]

يـبدو أن عملية التجول بالقرب من مكان الضحية، أو بالقرب من "ذوي" الضحية، كانـت تـتكرر فـي بيروت؛ وهي تأكيد للنظرية القائلة إن القاتل يعود تلقائياً إلى مكان الجريمة بعد ارتكابها.

بعد انتهاء المجزرة مباشرة ألقى رجال الدرك القبض على ثلاثة شبان مسلحين من قرية جنوبـية، كانوا يتجولون بالقرب من مستديرة المطار. وعندما اطلعوا على أوراقهم اتضح أنها أوراق قديمـة، وأنكـر هؤلاء الثلاثة بدورهم في البداية هويتهم، لكنهم بعد إخضاعهم للتحقيق

(١٢٦) POH. S/SH. No. 62 (232/T. 59), as above.

اعترفوا بأنهم من جماعة سعد حداد، وبأنهم كانوا هناك.. في صبرا وشاتيلا.[١٢٧]

هناك آخرون كانوا في صبرا وشاتيلا فعلاً، لكنهم لم يشاركوا في عمليات قتل أو تعذيب، وكان عددهم محدوداً. وقد عرفت حكاياتهم من السكان الذين ربطتهم بهم معرفة مسبقة، فكانت تلك المعرفة سبباً في رحمة المسلحين بهم، وفي الوقت نفسه سبباً في معرفة هوية المسلحين.

هذا ما حدث مع إحدى النساء الجنوبيات في مسيرة يوم الجمعة. إذ عرفت منهم شاباً مسلماً شيعياً من الخيام. فحدثته وروت له مأساتها، وتحدث هو معها ولم ينكر شخصيته، بل أخذ يساعدها. ولمّا دلته على مكان فتاة فلسطينية جريحة وقعت بين براثن مغتصبين، ذهب وخلّصها منهم. وكان هذا الشاب من "جماعة سعد حداد".

كذلك تحدث فلسطيني حاج، في شهادته، عن معرفته القديمة برجل كتائبي وبابنه الصغير الذي كبر وأصبح شاباً وانتمى إلى القوات اللبنانية. كان هذا الشاب يقف بالقرب من الآليات قبيل ظهر السبت، وقد سارع إلى إنقاذه من حفرة الموت نظراً إلى تلك المعرفة القديمة. وما يشبه هذه الحالة حدث أيضاً ساعة دخول المهاجمين القتلة في اليوم الأول. فالمسلح المهاجم الذي جاء للقتل لم يقتل لكونه كان يعرف أحد هؤلاء الفلسطينيين المحتجزين في بئر حسن، وكما قال لأنه "يتذكر العيش والملح".

وردت في الصفحات السابقة أحداث أُخرى معدودة، لكن مثل هذه الحالات النابعة من صداقة ومعرفة لا يتعدى عددها أصابع اليد الواحدة بين مئات الحالات. وهناك حالات أُخرى معدودة مرت معنا لم تنبع من معرفة سابقة، ومع ذلك تصرف فيها من يفترض فيهم أن يكونوا "القتلة" بوحي من إنسانيتهم، فلم يتعرضوا للنساء والأطفال، بل حاولوا تقديم المساعدة، كما فعل "المسيو نديم" مع النساء المتعبات اللواتي ساقوهن بالشاحنة مساء الخميس، ثم أعادوهن. لكن هذا لم ينجم عنه احترام الشباب الآخرين لكلمة "المسيو نديم"، بل هم على العكس من ذلك، راحوا يمعنون في التشفي من هؤلاء النساء.

حقاً، لكل حالة شواذ. وحتى للمجازر شواذ يتمثل بالنادر من تلك الحكايات الإنسانية.

خلاصة

- كان أولَ الداخلين أرض المجزرة الإعلاميون والمصورون الأجانب.
- لأسباب لم توضَّح، مُنع المصورون اللبنانيون من التقاط الصور في الأيام الأولى، ثم سمح لهم بذلك.

---

(١٢٧) POH. S/SH. No. 101 (256/N. 20). M. Z. Interview with author. Beirut: Author's house, December 2, 1983.

- لم تبدأ عمليات البحث عن الضحايا إلاّ بعد دخول الجيش اللبناني وسيطرته على المنطقة حفظاً للأمن. وكان ذلك قبل ظهر يوم الأحد في ١٩ أيلول/سبتمبر.
- كان في طليعة المؤسسات الإنسانية العاملة الصليب الأحمر الدولي والصليب الأحمر اللبناني والدفاع المدني اللبناني، وأكثر من ثماني مؤسسات أهلية. وقد عملت هذه كلها أسبوعين كاملين في رفع الأنقاض، والبحث عن الضحايا ودفنها.
- قال عدد من الشهود أنه رأى جرافات تغادر صبرا وشاتيلا محملة بالجثث، قبل خروج الميليشيات المهاجمة من صبرا وشاتيلا.
- شهد الكثير من المسعفين والصحافيين أن بيوتاً بكاملها هدمت على من فيها. وقد تمكن رجال الإسعاف من رفع الكثير من الأنقاض وانتشال الجثث، غير أنهم لم يتمكنوا من رفعها في كل الأماكن.
- في أثناء البحث عن الضحايا اتضح وجود عدد من المقابر الجماعية، بعضها كان حفراً أوجدها قصف الطيران الإسرائيلي خلال الاجتياح، وبعضها الآخر حفرته الميليشيات بالجرافات. وفي الحالتين، كان الهدف إخفاء الكم الهائل من جثث الضحايا.
- تمكن الكثيرون من السكان اللبنانيين والفلسطينيين من حمل جثث ضحاياهم ودفنها في المقابر العامة في بيروت، أو في مقابر المدن والقرى التي ينتمي إليها الضحايا.
- عمّت المنطقة مرات متعددة، وخلال أيام متوالية، شائعات أن قوات سعد حداد عادت لتقوم بمجزرة جديدة. وكانت نتيجة هذه الشائعات في اليومين الأولين هروب الأهالي، وحتى هروب المسعفين. أمّا عندما كان الأهالي يعودون صباح اليوم التالي، فكانوا في معظمهم لا يجدون أثراً لضحاياهم، وكان يقال لهم إنهم دفنوا في مدافن جماعية، منعاً لانتشار الأوبئة.
- المدافن التي كان الحديث عنها يومي السبت والأحد لم تعرف أماكنها. أمّا المقبرة الجماعية المعروفة في صبرا وشاتيلا، فلم يكن قد بدأ العمل بها بعد.
- انتشرت يوم الاثنين شائعتان لا واحدة، وكان ممكناً أن تدفن مئات أُخرى من الضحايا من دون معرفة أماكن دفنهم، كما جرى في اليومين السابقين. غير أن شباب الدفاع المدني لكشافة الرسالة الإسلامية أصروا على البقاء في صبرا وشاتيلا للقيام بمراسم الدفن الجماعي وفقاً للأصول الدينية الإسلامية. وهم كانوا اتصلوا بالجهات الدينية الإسلامية العليا، وهي التي طلبت منهم الشروع فوراً في إجراء المراسم الدينية والصلاة على الضحايا قبل دفنها.
- ابتدأت الحفريات للمقبرة الجماعية، على يمين الداخل إلى شاتيلا من الجهة الجنوبية، بعد الساعة الرابعة من بعد ظهر الاثنين في ٢٠ أيلول/سبتمبر. وقد استمرت عمليات الصلاة والدفن أياماً.

- دُفن في المقبرة الجماعية وحدها ما بين ٧٠٠ و ٨٠٠ ضحية.
- قام الصليب الأحمر الدولي والدفاع المدني اللبناني بتسجيل أسماء الضحايا والمفقودين والمخطوفين.
- كان إقناع المسؤولين بتسجيل اسم ضحية ما يتطلب توفر هوية الضحية وتقديمها للمسؤولين أولاً؛ ثم وجود الجثة ومعاينتها ثانياً؛ ثم توفر شهود من الأهل أو المقربين للتعريف بالضحية، ثالثاً. ولم يكن من السهل توفر هذه الشروط الثلاثة معاً.
- وضع كل من الصليب الأحمر الدولي والصليب الأحمر اللبناني والدفاع المدني اللبناني لائحة بأسماء الضحايا، غير أن مجموع ما ورد فيها لا يشمل أسماء الضحايا كافة. أمّا أبرز الضحايا الذين لم تسجل أسماؤهم، فهم: الضحايا الذين حملهم أهاليهم لدفنهم خارج المنطقة؛ الضحايا الذين اختفت جثثهم أو أشلاؤهم تحت الردم والأنقاض؛ الضحايا الذين اختفوا في مقابر لم تُكتشف؛ الضحايا الذين سحبت جثثهم إلى خارج المنطقة؛ الضحايا الذين دُفنوا في اليومين الأولين في أعقاب الشائعات، من دون أية مراسم؛ الضحايا الذين وُضعت جثثهم في العراء لكن أحداً لم يتعرف عليهم، وذلك قد يكون عائداً إلى كون أفراد العائلة كلهم ماتوا، أو إلى استحالة التعرف على بعض الضحايا، حتى من قبل ذويهم.
- وضع الصليب الأحمر الدولي، كما وضعت مؤسسات إنسانية أُخرى، لوائح بأسماء المفقودين. وقد ثبت مع الأيام أن أحداً من هؤلاء المسجلين بالمئات لم يُعرف مصيره. غير أن لوائح أسماء المفقودين أيضاً لم يعرف مصيرها.
- شهادات السكان عن المسلحين المهاجمين، عن أوصافهم، عن لهجاتهم، عن لباسهم، عن أسلحتهم، عن أفعالهم، عن أقوالهم، عن أسمائهم، عن تبجحاتهم، عن شعاراتهم، مضافاً إليها شهادات الكتّاب والصحافيين الأجانب، تشير كلها إلى أن هؤلاء هم من الكتائب اللبنانية والقوات اللبنانية وقوات سعد حداد.
- عوداً إلى بدء.. إلى السؤال: أكانت معركة أم مجزرة؟ لا أجد جواباً أفضل من سؤال آخر: أي نوع من المجازر النادرة في التاريخ كانت مجزرة صبرا وشاتيلا؟

القسم الثاني

إحصاءات ومقارنات

صبرا - تقاطُعُ شارعيْنِ على جَسَدْ
صبرا - نزولُ الروحِ في حَجَرٍ
وصبرا - لا أحدْ
صبرا - هُوِيّةُ عَصرِنا حتى الأبدْ ...

محمود درويش
« مديح الظل العالي »

الفصل الأول

دراسة ميدانية
ربيع سنة ١٩٨٤

ما كان ممكناً القيام بدراسة ميدانية في قلب صبرا وشاتيلا في أوضاع أمنية لم تكن لتسمح بذكر كلمة "المجزرة" علناً، فكيف بدخول المنطقة التي وقعت فيها، وتوزيع الاستمارات، والتحدث إلى ذوي الضحايا؟ ولذلك.. كان لا بد من الانتظار.

وكما يحدث في الدول التي تسمى دول "العالم الثالث"، أو "الدول النامية" ـ هذا المصطلح الأكثر تهذيباً من المصطلح الذي سبقه وهو "الدول المتخلفة" ـ حيث الأوضاع الأمنية قد تنقلب ما بين ليلة وضحاها، فقد حدث هذا فعلاً في مدينة بيروت بعد السادس من شباط/فبراير ١٩٨٤، إذ أصبح شبه المستحيل ممكناً، بل مرحباً به من قبل الشباب اللبنانيين الذين باتوا يحرسون منطقة صبرا وشاتيلا وجوارها.

والسؤال: لماذا الدراسة الميدانية؟

كان لا بد من عمل توثيقي يسعى إلى جمع كل ما يمكن جمعه من معلومات عن الضحايا والمخطوفين، وفي الوقت نفسه يسعى إلى جمع ما يمكن جمعه من أسماء؛ وهما الهدفان الرئيسيان من القيام بالدراسة الميدانية في ربيع سنة ١٩٨٤.

من المعروف ـ نظرياً وعملياً ـ أنه من خلال الدراسات الميدانية يصعب الوصول إلى أعداد "نهائية" أو "شبه نهائية"، وبالتالي تصعب مقارنة الدراسات الميدانية بالإحصاءات الرسمية التي تقوم بها الحكومات، أو اللجان الدولية، أو الهيئات الرسمية. وليس ذلك فقط لإمكان عدم توفر الحماية القانونية لهذه الدراسة الميدانية أو تلك، أو لعدم توفر القدرات البشرية والمادية للباحثين الأفراد كما يمكن توفرها للحكومات والهيئات الدولية والرسمية، لكن لما هو أهم من ذلك: للاختلاف بين المنهجين في نقطتين رئيسيتين:

- النقطة الأولى تتلخص في طبيعة الأهداف ما بين الأعمال الإحصائية والدراسات الميدانية؛ ذلك بأن أهداف الأولى هي الإحصاءات بحد ذاتها، والتي لا بد من أجل الحصول عليها من المسح الشامل لمنطقة ما أو لبلد ما أو لجماعة ما، بينما أهداف الثانية

تكتفـــي من العملية الإحصائية بأعداد محدودة من السكان، أو من الفئات المطلوب تحليل أوضاعها.

- النقطة الثانية هي في اتساع أبعاد الدراسة الميدانية قياساً بالمسح الإحصائي؛ ذلك بأن الدراسة الميدانية تتطلب القيام بجمع معلومات متعددة عن كل فرد من الأفراد، وربما يـتجاوز جمـــع المعلومات عن الأفراد كلاً على حدة، إلى جمع المعلومات أيضاً عن كل مجموعـــة أو حـــزب أو طائفـــة أو عائلة، وذلك وفقاً لمقتضيات الدراسة، وانسجاماً مع الأسئلة الرئيسية التي يطرحها الباحثون منذ البداية.

وبتعبـــير أكـــثر وضـــوحاً بيـــن المنهجين، فإن أهمية المنهج الإحصائي تكمن في الحصـــول علـــى الأعداد بأكثر ما يمكن من الدقة والشمولية. أمّا أهمية المنهج الميداني فتكمـــن فـــي الاستفادة من إحصاءات محدودة لنماذج أو قطاعات أو جماعات معينة، من أجـــل التوصـــل إلى تحديد النسب في الانتماءات المتعددة، وفي الموضوعات ذات الصلة بأهداف الدراسة، ثم في التوصل أخيراً إلى تحليل شامل.

على الرغم من الوعي التام فيما يتعلق بهذه الفوارق، فإنه يجدر الاعتراف بأن القيام بدراســـة ميدانية في ربيع سنة ١٩٨٤ كان الوسيلة الوحيدة المتاحة أمامي للحصول على العدد الأكبر الممكن التوصل إليه من الأسماء؛ ذلك بأن المؤشرات كلها كانت تدل على أن مـــا مـــن جهـــة رسمية مسؤولة قامت بجمعها كما هو مطلوب إنسانياً وتوثيقياً، بل على العكـــس من ذلك، كانت الجهود الرسمية تُبذل من أجل إخفاء معالم هذه المجزرة والتعتيم الكلي عليها.

أولاً: دوافع الدراسة الميدانية

ليســـت دوافع الدراسة الميدانية هذه مجرد تحقيق إنجاز علمي في موضوع مجزرة أحيطـــت بالكتمان الشديد حين وقوعها، كما أحيطت بسيل من الممنوعات بعد انتهائها، أو بالأحرى بعد أسابيع قليلة من انتهائها، أي بعد انحسار المد الإعلامي العالمي الذي لم يكن فـــي إمكـــان أحد في تلك الأيام العصيبة الحد من ارتفاع أمواجه، أو حتى تجاهل رذاذه؛ كذلـــك ليســـت دوافعها مجرد عطاء للأجيال المقبلة كي تأخذ العبرة مما حدث، فالعقبات والمحاذيـــر مـــن خـــوض الكتابة في حدث كهذا، وفي زمن كهذا، وفي بلد كهذا، تفوق الفضول العلمي للكاتب، وتتحدى الالتزام فيما يتعلق بكتابة التاريخ (راجع المقدمة).

تـــنطلق الدوافع الرئيسية ــ بدايةً ونهايةً ــ من الضمير الإنساني. ولا ينحصر هذا "الضـــمير" فـــي أبـــناء الشـــعب الواحد، وإنما يمتد كي يشمل كل إنسان على وجه الكرة الأرضية لا يمكنه احتمال قتل طفل، أو امرأة حامل، أو شيخ عاجز، ولا قتل رجل غدراً

وعدواناً وهو لا يحمل سلاحاً للدفاع عن نفسه.

أن تكـــون إنسانياً، يكفي أن تشعر بالحزن والأسى لمآسي الآخرين؛ يكفي أن تذرف دمعة لدى سماعك بقتل بريء ما؛ يكفي أن تقول: "مسكين، حرام، هذا لا يجوز."

أمّـــا أن تكون إنساناً بمعنى الكلمة، فذلك يعني أنك مسؤول، مسؤول عن منع الظلم، وعـــن حماية البريء؛ مسؤول كي لا يقتل طفل آخر، في بلدك أنت، أو في أية بقعة من بقاع العالم.

نحـــن، ســـكان بيروت تحديداً، مسؤولون تجاه ما حدث في صبرا وشاتيلا أكثر من غيرنا، أكثر من سكان الأرض كلهم. نحن مسؤولون بحكم الجوار. فكيف حدث ما حدث؟ كـــيف كان كل ذلك التعذيب والقتل الوحشي؟ كيف عاش سكان صبرا وشاتيلا الموت مدة ثلاث وأربعين ساعة متواصلة، ونحن سكان بيروت لا ندري؟ نحن لم نعلم بخبر المجزرة إلاّ ظهـــر يوم السبت عبر إذاعة لندن وإذاعة مونت كارلو.. علما بأن صبرا وشاتيلا في قلب مدينة بيروت!!

والســـؤال: لمـــاذا قُـــتلوا هم وبقينا نحن، وكلنا سكان بيروت؟ ولنترك ذلك الادعاء بوجـــود المســـلحين الفلسطينيين داخل صبرا وشاتيلا جانباً؛ ذاك الادعاء الكاذب الذي لم تتمكن السلطات الإسرائيلية نفسها من إثبات مضمونه، ولا تقرير كاهان نفسه، ولا الفئات اللبنانية المتهمة بارتكاب المجزرة نفسها. وهكذا يبقى السؤال بلا جواب: لماذا قتل سكان صبرا وشاتيلا ولم يقتل سكان مناطق أُخرى من بيروت؟ ولا سكان المخيمات والتجمعات الفلسطينية الأُخرى، لماذا؟

أيـــة فـــوارق رئيسية هناك بين سكان صبرا وشاتيلا وسكان شارع بلس، أو شارع فـــردان، أو منطقة الرملة البيضاء مثلاً؟ هناك حتماً الفوارق المرئية الواضحة، وهي أن هـــؤلاء في صبرا وشاتيلا يسكنون بيوتاً شعبية متراصة، بينما الآخرون يسكنون في شقق تتنافس فيما بينها ارتفاعاً وجمالاً.

إذاً.. هل كانت جريمة الفلسطينيين من الضحايا أنهم ما كانوا "لاجئين أثرياء"؟ أنهم مـــا كانوا ينتمون إلى طبقة تسمح لهم بالسكنى في أحياء راقية، كأحياء بلس أو فردان أو الرملة البيضاء، كما سكن الفلسطينيون الأغنياء الذي ملأوا شارع الحمراء ورأس بيروت بمحلاتهم التجارية؟ هل كانت جريمتهم أنهم جاؤوا من الجليل، من الشمال الفلسطيني الذي مســـحت إســـرائيل الكثير من قراه من خريطة الوجود، فجاؤوا من ترشيحا ودير القاسي وسحماتا وصفورية وغيرها؟

هـــل كانت جريمة اللبنانيين من الضحايا أنهم هم الآخرون جاؤوا من شبعا ومجدل زون والشقيف وبنت جبيل وغيرها من القرى اللبنانية؟

هــل كانت جريمة أصحاب الجنسيات العربية والباكستانية والبنغالية، وغيرها، أنهم مــا جــاؤوا من دول أوروبية أو أميركية، وإنما جاؤوا من بلاد عربية وإسلامية ليكسبوا لقمــة عيش شريف في لبنان؟ هل كانت جريمتهم فقرهم ــ ذلك الفقر الذي حتم عليهم أن يسكنوا إلى جوار هؤلاء الفلسطينيين الذين احتضنوهم بالمحبة؟

واقــع الأمــر أن العمال العرب والمسلمين من خارج لبنان لم يكونوا وحدهم الذين يمكــن وصفهم بأنهم رواد منطقة صبرا وشاتيلا أكثر من وصفهم بأنهم سكانها؛ ذلك بأنه كــان بيــن اللبنانيين والفلسطينيين أيضاً، على مر الزمن، مهاجرون من ضحايا القصف الإسرائيلي المدمر للقرى اللبنانية الجنوبية وللمخيمات الفلسطينية، أو من ضحايا الحروب الأهلــية اللبنانية، الذين هاجروا المرة تلو المرة، من صيدا وصور والنبطية، من الدكوانة وتل الزعتر وبرج حمود والكرنتينا، فهؤلاء لم تكن منطقة صبرا وشاتيلا في خريف سنة ١٩٨٢ بالنسبة إليهم مقراً نهائياً، وإنما محطة للسكنى إلى أن يتحرر الجنوب فيعود أبناؤه إليه، أو تتحرر فلسطين فيعود أبناؤها إليها.

هؤلاء قد قُتلوا.. أمّا نحن فبقينا أحياء.. فلماذا بقينا أحياء؟

هل فقط لأننا نستطيع السكنى خارج حدود المناطق الشعبية؟

أم أن الســبب الرئيسي هو أن قدرات المهاجم القاتل محدودة مهما تكبر؟ وربما لو كانــت قدراتــه أكبر لكان وصل إلى مخيمي برج البراجنة ومار الياس وما حولهما على الأقل، أليس في هذين المخيمين فلسطينيون؟ ألا يُعْقَل أن يختبئ بينهم "مخربون"؟

أنا لا أعرف أجوبة عن هذه الأسئلة كلها. صدقاً لا أعرف. لكنني واثقة بأن أياً منا لو كان من سكان صبرا وشاتيلا لجابه المصير نفسه.

من دير ياسين في نيسان/أبريل ١٩٤٨ إلى جنين في نيسان/أبريل ٢٠٠٢، لم تتوقف المجــازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، ولا اللبناني، ولا العربي. كان هناك مجازر قبية وكفر قاسم والسموع في فلسطين، ومن بعدها بحر البقر في مصر في أواخر ستينات القــرن العشــرين، والخــيام وقانا في تسعينات القرن نفسه في لبنان، وفي منتصف هذه الحلقات الدموية كانت صبرا وشاتيلا.

وهذه أهم المجازر، لا كلها.

وعودة إلى السؤال: لماذا مات الذين ماتوا، ولماذا بقينا نحن أحياء؟

إن كنــت لا أمــتلك أجوبة واضحة عن مثل هذا السؤال، فلا أقل من أن أدفع فدية البقاء. وليست هذه الفدية مالاً، وإنما إرادة في العمل المضني للبحث عن أجوبة عن مثل هذه الأسئلة: ماذا حدث؟ ولماذا؟ وكيف؟

ثانياً: فريق الدراسة الميدانية

يعـود الفضـل الرئيسي في هذه الدراسة لعدد من شباب منطقة صبرا وشاتيلا، من فلسـطينيين ولبنانيين، تطوعوا بكل عفوية وحماسة ووعي ومسؤولية لتوزيع الاستمارات علـى ذوي الضحايا وجيرانهم، ولشرحها لهم، ولتعبئتها أمامهم، مع الحرص على توقيع المتحدث، وعلى تسجيل مدى قرابته للضحية، أو نوعية علاقته بها.

ابـتدأ العمـل بأقل من عشرة عناصر وانتهى بنحو عشرين عنصراً، بينهم أربع فتيات. كـان الواحد من هؤلاء يختار صديقاً له أو قريباً، للمساهمة في العمل في حي آخر. وكثيراً ما قـام السكان أنفسهم بتوجيه الشباب إلى بيت ما أو عائلة ما، إلى الحد الذي يمكن القول معه إن مـنطقة صـبرا وشاتيلا تحولت خلال الأسابيع الستة التي استغرقتها عملية توزيع الاستمارات وتعبئتها، في نيسان/أبريل وأيار/مايو ١٩٨٤، إلى خلية نحل تعاون فيها الجميع كأسرة واحدة.

ساهم معظم أعضاء فريق الدراسة في توزيع الاستمارات، وبعضه في التدقيق فيها. كان الشباب ينطلقون من بيوتهم إلى بيوت الجيران، ثم إلى بيوت الحي الذي يسكنون فيه؛ أي أنهـم كـانوا ينطلقون من الأقرب إلى الأبعد. ولا داعي للقول إن جسر الثقة المتبادل بينهم وبين السكان، كان الأساس.

القاعدة الرئيسية كانت واضحة للجميع؛ فالمطلوب تسجيل المعلومات بأكثر ما يمكن من الدقة. لم يكن لدى أحد قناعات مسبقة، بل كان هناك قناعة ثابتة بأننا لسنا بحاجة إلى المـبالغات. وهكذا، انطلق الجميع من واجب الوفاء تجاه كل ضحية وكل مخطوف، سواء كان عربياً أو أجنبياً، كبيراً أو صغيراً، رجلاً أو امرأة.

أمّـا عملـية الـتأكد من صدقية المعلومات المدونة في الاستمارات، والتي تتم في الدراسات المماثلة بإرسال أعضاء من فريق العمل إلى أشخاص كان تم التحدث إليهم من قـبل أعضـاء آخريـن في الفريق نفسه، فهذه العملية لم يكن من ضرورة لها؛ ذلك بأن المشروع الشفهي الذي كنت ابتدأته قبل انتهاء سنة ١٩٨٢، بإجراء المقابلات مع عشرات العـائلات كان قد وصل إلى مرحلته النهائية. وبمعنى آخر، يمكن القول إن عملية "التأكد" كانت سبقت الدراسة الميدانية ولم تتبعها، وقد تعدت نسبة العشرة في المئة المطلوبة عادة في الدراسات المماثلة إلى أكثر من ثلاثين في المئة.[١] وفي حال اكتشاف التباس ما، أو

---

(١) أنظر ملحق لوائح الأسماء: في لائحتي الأسماء الثالثة والرابعة، حيث أسماء الضحايا في الثالثة، وأسماء المخطوفين والمفقودين في الرابعة، تظهر إلى جانب كل اسم المصادر التي ورد الاسم في لوائحها؛ وهكذا يمكن المقارنة بين أسماء لائحة الدراسة الميدانية، المشار إليها بالرمز(أ)، وبين مشروع التاريخ الشفهي المشار إليه بالرمز (س).

عدم تطابق في المعلومات، كان يجري التصحيح بعد التأكد مجدداً من ذوي العلاقة.

أمّا المعلومات المطلوبة والمدونة عناوينها على الاستمارات، فكانت تتوزع على نوعين:

النوع الأول من المعلومات يتعلق بالفرد، ضحية كان أو مخطوفاً، وقد تناول: الاسم؛ مكان السكن؛ الجنسية؛ الجنس؛ العمر؛ المذهب؛ التحصيل العلمي؛ المهنة؛ المسؤولية الاقتصادية؛ المصير.

بالنسبة إلى الضحية تناولت المعلومات: تاريخ الاستشهاد؛ مكان الاستشهاد؛ التعرف على الجثة؛ تسجيل الوفاة.

وبالنسبة إلى المخطوف فقد تناولت المعلومات: تاريخ الخطف؛ مكان الخطف؛ توفر الشهود؛ الجهة الخاطفة.

أمّا **النوع الثاني** من المعلومات المتعلقة بالعائلات، فقد كان أبرز ما تناوله: مكان الإقامة قبل سنة ١٩٤٨؛ الانتقال بالسكن أو الهجرات المتلاحقة بعد سنة ١٩٤٨؛ عدد الشهداء والمخطوفين من الأسرة الواحدة؛ الهجرة الجماعية في أعقاب المجزرة.

في المرحلة النهائية، وبعد حذف بعض الاستمارات المتكررة التي يصعب تلافي حدوثها في المراحل الأولى، بلغ عدد الاستمارات ٤٣٠ استمارة للضحايا، و١٠٠ استمارة للمخطوفين.

بالنسبة إلى المخطوفين، كان من الممكن الاستمرار في تدوين أسمائهم والمعلومات عنهم، لولا الوضع الإنساني الذي جابهنا والذي لم نكن نحسب له الحساب، وذلك لضخامة أعداد المخطوفين في مختلف أنحاء لبنان، نتيجة تعرضه لسلسلة حروب أهلية، فكانت الأم المنكوبة بخطف زوجها أو ابن لها أو ابنة، يشرق وجهها بمسحة خفيفة من الأمل، ولسان حالها يقول: لعل هؤلاء يصلون إلى مكان زوجي أو ابني أو ابنتي... وهكذا، كانت تذهب سدى، في الأسابيع الأولى، محاولات أعضاء الفريق في إقناع الأم أو الأب بأن المشروع الذي نبحث عن ضحاياه ومخطوفيه يتعلق بمجزرة صبرا وشاتيلا، لا بغيرها.

وكانت النتيجة أن مئات من الاستمارات عُبّئت بأسماء الذين خُطفوا من أبناء مخيم تل الزعتر، أو على حواجز الميليشيات المسيحية في الحازمية أو على طريق الشام أو على طرقات الجبال. وهكذا خشينا أن ينقلب الدافع الإنساني لدينا إلى نتائج لاإنسانية؛ فهؤلاء الأهل المعذبون باتوا يعتقدون أن هذا هو مشروع إحصاء جديد قد يرشدهم إلى مكان أحبائهم الضائعين، وهكذا أصبحوا يتعلقون بحبال الوهم. إزاء وضع كهذا، كان الحل الذي ارتأيته هو التوقف عند رقم المخطوف الـ ١٠٠ في مجزرة صبرا وشاتيلا، والاكتفاء بهذا الرقم للتحليل.

حرص أعضاء الفريق على تسجيل علاقة المتحدث، الذي يدلي بالمعلومات،

بالضحية أو بالمخطوف. فكان الرمز (أ ــ ١) يعطى للقريب داخل الأسرة الواحدة، كالأب أو الأم أو الأخت أو الزوجة، إلخ؛ والرمز (أ ــ ٢) يعطى للقريب خارج الأسرة الواحدة، كالعم أو ابن العم أو الخال، إلخ؛ والرمز (أ ــ ٣) يعطى للصديق؛ والرمز (أ ــ ٤) يعطى للجار؛ والرمز (أ ــ ٥) يعطى للشاهد. ولا تعني هذه الرموز أنه يوجد فوارق فيما بينها لمصلحة هذا الرمز أو ذاك، فليست شهادة الأب أو الابن خيراً من شهادة الصديق أو الشاهد. وقد تم التأكد من صدقية المعلومات كلها، لكن هذا التمييز كان لصدقية الدراسة الميدانية ككل، ولتأكيد أن المتحدثين جميعاً كانوا على صلة بالضحية أو المخطوف: إمّا أقرباء له، وإمّا أصدقاء، وإمّا جيراناً، وإمّا شهوداً.

بين استمارات الضحايا الـ ٤٣٠، بلغ عدد الاستمارات من الرمز (أ ــ ١) ٢٣١ استمارة، بنسبة ٥٣,٧٢٪؛ وبلغ عددها من الرمز (أ ــ ٢) ٦٩ استمارة، بنسبة ١٦,٠٥٪؛ وبلغ عددها من الرمز (أ ــ ٣) ٥٢ استمارة، بنسبة ١٢,٠٩٪؛ وبلغ عددها من الرمز (أ ــ ٤) ٣٥ استمارة، بنسبة ٨,١٤٪؛ وبلغ عددها من الرمز (أ ــ ٥) ٤٣ استمارة، بنسبة ١٠,٠٠٪.

أمّا الاستمارات الـ ١٠٠ للمخطوفين، فبلغ عددها من الرمز (أ ــ ١) ٨٣ استمارة، بنسبة ٨٣٪؛ وبلغ عددها من الرمز (أ ــ ٢) ٣ استمارات، بنسبة ٣٪؛ وبلغ عددها من الرمز (أ ــ ٣) استمارتين، بنسبة ٢٪؛ وبلغ عددها من الرمز (أ ــ ٤) ٨ استمارات، بنسبة ٨٪؛ وبلغ عددها من الرمز (أ ــ ٥) ٤ استمارات، بنسبة ٤٪ (أنظر أدناه الجدول رقم ١ ــ مصادر الاستمارات).

بعد الانتهاء من مرحلتي توزيع الاستمارات والتدقيق فيها، كان عليّ المزيد من الانتظار للقيام بتحليلها؛ ذلك بأن جهاز الكومبيوتر كان متوفراً في بيروت آنذاك، لكن في القليل من المؤسسات، كما أنه لم يكن قد تحول إلى ضرورة منزلية بعد. وفي السنة التالية نفّذت خبيرة المهمة، فتحولت الاستمارات إلى جداول وأرقام، وإلى لوائح أسماء، في شتاء سنة ١٩٨٥.

وهكذا، تمكنتُ أخيراً من تقديم قسم من النتائج والإحصاءات إلى ندوة "الجرائم الإسرائيلية المرتكبة ضد الشعبين اللبناني والفلسطيني"، التي دعت إليها اللجنة الدولية للتضامن مع الشعب العربي في مدينة بون بألمانيا، في نهاية آذار/مارس ١٩٨٥.

في الذكرى الرابعة لمجزرة صبرا وشاتيلا كتب الروائي الياس خوري في جريدة "السفير" عن الحدث المأساة، وخصص الصفحات الثقافية التي كان مشرفاً عليها آنذاك للمجزرة، فكان من أوائل الكتّاب اللبنانيين الذين تكلموا بعد صمت أربعة أعوام، إذ أعلن أن المجزرة حدث تاريخي يجدر التوقف عنده في الجوهر والتفصيلات. وربما فوجئت عندما طلب مني أن أساهم في الكتابة عن المجزرة في ذلك العدد. ثم كان أن نشرتُ فعلاً

النتائج التي كنت أعلنتها في مؤتمر بون، وذلك في مقال بعنوان: "أما آن لتلك الضحايا أن تتكلم" ("السفير"، ١٩٨٦/٩/١٧).

ثم كان أن غرقت أنا بدوري في الصمت.. كالآخرين.. ثم عدت إلى صبرا وشاتيلا قبل نهاية القرن العشرين، لإنجاز هذه الدراسة، ومخطوطة هذا الكتاب.

ثالثاً: الأرشيف والسجل

يتألف أرشيف الدراسة الميدانية من الاستمارات التي وزعت على سكان صبرا وشاتيلا، والتي بلغ عددها بعد عملية التدقيق والفرز، كما ذكرنا أعلاه، ٤٣٠ استمارة للضحايا، و١٠٠ استمارة للمخطوفين. وقد رقمت كل استمارة بحسب ورودها في المرحلة الأولى، فأعطيت استمارات الضحايا أرقاماً متسلسلة من ١ إلى ٤٣٠، كما أعطيت استمارات المخطوفين الأرقام من ٥٠١ إلى ٦٠٠، وذلك كي تسهل معرفة صاحب الاسم إن كان ضحية أو مخطوفاً من مجرد معرفة الرقم.

إن استمارات هذا الأرشيف وملفاته ما زالت محفوظة في إحدى المؤسسات العلمية العربية.

لكن قبل إرسال الأرشيف للاحتفاظ به، تمت عملية نقل مادته كاملة إلى سجل خاص مطبوع تحت عنوان "سجل الدراسة الميدانية لصبرا وشاتيلا"، وهو يحتوي على المعلومات المتعلقة بكل ضحية أو مخطوف كما وردت في الاستمارات الأصلية، مع الاحتفاظ بالأرقام المتسلسلة نفسها.

هذا السجل هو المصدر الرئيسي لجداول التحليل في هذا الفصل من جهة، ومن جهة أُخرى للائحة الأسماء الأولى في ملحق لوائح الأسماء التي تتضمن أسماء الضحايا، وكذلك لائحة الأسماء الثانية التي تتضمن أسماء المخطوفين.

رابعاً: الضحايا والمخطوفون

بطاقات هوية ناقصة

نتوقف، بدايةً، عند هؤلاء الذين كانوا ضحايا هذا الحدث المأساوي التاريخي.

معظم من كتب عن صبرا وشاتيلا، أو تحدث عبر شاشة التلفاز أو عبر المذياع، كان لهؤلاء الضحايا المكان الأول في مقاله أو حديثه، مع الإجماع على أنهم كانوا ضحايا مجزرة من أبشع مجازر القرن العشرين.

غير أن الخطاب الإسرائيلي الرسمي لم يتكلم عن ضحايا، ولم يتوقف لحظة عند

مصير مخطوفين. ولقد انفرد هذا الخطاب الرسمي بمفردات لم يستعملها حتى الكثيرون من الكتّاب والصحافيين الإسرائيليين الذين كانوا من أول من وصل إلى أرض المجزرة، ومن أكثر من كتب عنها، ونشر، وأذاع. فهؤلاء، على العكس من الخطاب الرسمي لبلدهم، تكلموا عن ضحايا، وعن مخطوفين، وعن مفقودين، وعن مجزرة. أمّا ذلك الخطاب الإسرائيلي الرسمي فقد تكلم عن "مخربين"، أو عن "إرهابيين". وكانت الكلمة بالعربية "مخربون" هي الأكثر شيوعاً يومذاك، وهي التي كانت تتردد بأصوات الضباط عبر مكبرات الصوت الزاعقة، بالقرب من المدينة الرياضية.

والسؤال:

هل كان هؤلاء الذين قال عنهم أعداؤهم إنهم "مخربون" أو "إرهابيون" بشراً ككل البشر؟ هل كان لديهم مجتمع ككل المجتمعات؟ هل كانت لهم عائلات؟ أطفال؟ مدارس؟ أعمال؟ أسواق؟ دكاكين؟ شوارع، ولو كانت أزقة يقل عرضها بين البيوت عن عرض الممرات داخل المباني الفخمة؟ هل كانت لديهم أوراق ريحان وزهرات ياسمين على الشبابيك الضيقة كما اعتادوا أن يكون لهم في فلسطين؟ هل كانت لديهم أحلام؟ كيف كانت حياتهم؟

ليست الدراسة الميدانية وصفاً روائياً، فهي أرقام ونسب. ولا بد من دخول عالم الأرقام والنسب للتعرف على الضحايا والمخطوفين، ولاكتشاف حقيقتهم، أكانوا مخربين حقاً أم بشراً ككل البشر، ولهم مجتمعهم ككل المجتمعات، كما كانت لهم حياتهم.

يوم أعددنا هذه الدراسة سنة ١٩٨٤، كانت حصيلتها ٤٣٠ استمارة للضحايا و١٠٠ استمارة للمخطوفين، كما ذكرنا أعلاه. أمّا بعد عشرين عاماً من المجزرة المروعة، فما عاد هناك من أمل حقيقي لدى الكثيرين من الأهل بعودة المخطوف حياً، إلاّ إذا حدثت معجزة إلهية. فهؤلاء المخطوفون أصبحوا، في التاريخ اللبناني الحديث، "ضحايا".

قبل انتهاء القرن العشرين تألفت لجنة لبنانية رسمية، بتكليف من مجلس الوزراء، مهمتها تسجيل أسماء جميع المخطوفين على الأراضي اللبنانية منذ منتصف السبعينات حتى التسعينات، مع بند خاص يتعلق بالجهة الخاطفة إذا كانت معروفة لدى الأهل، وبند آخر يتعلق بمكان وجود المخطوف إذا كان معروفاً لديهم أيضاً. وكانت تلك أول وآخر محاولة رسمية جادة من أجل التوصل إلى معرفة مصير المخطوفين والمفقودين؛ وقد كان بين الأسماء المسجلة مخطوفون ومفقودون في مجزرة صبرا وشاتيلا.

أعلن رئيس الحكومة اللبنانية الدكتور سليم الحص، في ٢٥ تموز/يوليو ٢٠٠٠، انتهاء أعمال "لجنة التحقيق للاستقصاء عن مصير جميع المخطوفين والمفقودين"، كما نعى بشكل رسمي ونهائي جميع المخطوفين والمفقودين الذين سجلت أسماؤهم. وبهذا تكون الحكومة قد

طوت ملفاً من أكثر الملفات تعقيداً في لبنان منذ منتصف السبعينات؛ وأمّا بناء على تقرير سابق من اللجنة، فقد جاء أن عدد المخطوفين والمفقودين بلغ وفقاً لإحصاء اللجنة ٢٠٤٦ شخصاً في كل الأراضي اللبنانية، كما اعتبرتهم اللجنة بحكم المفقودين، وأوصت بالإيعاز إلى ذويهم بمراجعة القضاء المختص لإثبات الوفاة بصورة قانونية.[٢]

قبل إعلان الرئيس الحص موقف الحكومة اللبنانية الرسمي بنحو عامين، توجه ثلاثة شبان إلى صبرا وشاتيلا، منتدبين من قبل مشروع الدراسة الميدانية، وهم يحملون أسماء المخطوفين المئة الذين كانت أسماؤهم جمعت سنة ١٩٨٤، وكانت هناك زيارة لعائلة كل مخطوف. وامتدت هذه الزيارات عدة أشهر، كان أبرز الأسئلة التي وجهت خلالها: هل عاد؟ هل هناك أمل بعودته؟ هل هناك أخبار عنه؟

كانت الأجوبة عن السؤال الأول واحدة بالنسبة إلى الجميع: "لا .. لم يعد".

أمّا بالنسبة إلى الأمل بالعودة، فكانت الأجوبة متعددة.

بعض الأهالي اعتبر أن ابنهم المخطوف هو بحكم الفقيد الشهيد، ورددوها كثيراً: "نحنا منعتبر إبنّا شهيد." وبعضهم الآخر بقي متمسكاً بالأمل: "إبنّا لازم يرجع. بحياتنا ما منفقد الأمل."[٣]

من هؤلاء المتمسكين بالأمل، والذين سجلوا أسماء أبنائهم من المخطوفين سنة ١٩٨٤، ثم عادوا فكرروا قبل انتهاء القرن العشرين أن أبناءهم ما زالوا مخطوفين، من هؤلاء من عادوا فسلموا بالمصير المحتوم، بالوفاة، وخصوصاً بعد موقف الدولة الرسمي بإعلان وفاة المخطوفين والمفقودين جميعاً. وهذا ما دعاهم إلى تسجيل أبنائهم ضحايا لا مخطوفين في الدعوى التي رفعوها ضد شارون أمام القضاء البلجيكي، سنة ٢٠٠١، بواسطة المحامين الثلاثة، شبلي الملاط المحامي اللبناني، ولوك والين وميشيل فيرهيغي المحاميين البلجيكيين.[٤]

وفحوى هذا أن هناك على لائحة المخطوفين المئة من بات ذووهم يعتبرونهم من الضحايا.

مع ذلك، فالأهالي لم يجمعوا كلهم على اعتبار أبنائهم المخطوفين ضحايا.

---

(٢) جريدة "السفير"، ٢٦/٧/٢٠٠٠.

(٣) سجل الدراسة الميدانية لصبرا وشاتيلا (ملحق)، "مصير المخطوفين"، ١٩٩٨-١٩٩٩.

(٤) Shibli Mallat, Luc Walleyn and Michael Verhaeghe, “The Lawsuit made by a number of the Sabra and Shatila massacre survivors against Sharon and other parties responsible for the Sabra and Shatila massacre of 1982 to the Belgian judiciary,” Brussels: June 18, 2001.

والواقع أنهم حتى لو أجمعوا كلهم على ذلك، فهؤلاء المخطوفون المئة قد اختطفوا خلال المجزرة، ونحن في تحليلنا لتفصيلاتها نتناولها كحدث تاريخي جرى في أيلول/سبتمبر ١٩٨٢؛ ففي تلك السنة وما تلاها كان الحديث الأوحد هو عن مصير المخطوفين والمفقودين.

كذلك هناك أهمية خاصة لتحليل الجداول المتعلقة بالمخطوفين بشكل مستقل عن جداول الضحايا، وذلك لمعرفة الفوارق بين الفئتين، بين الضحايا والمخطوفين سنة ١٩٨٢. فهل كان هناك بالنسبة إلى المهاجم القاتل أو الخاطف تمييز ما بين الفئتين من ناحية الجنسية، أو الجنس، أو العمر، مثلاً؟ وماذا عن المسألة التي تشبث بها الإسرائيليون المحاصِرون، كما تشبث بها المهاجمون القتلة، وهي البحث عن "مخربين"، فهل كان هؤلاء المئة الذين اختطفوا بعد التعرف على أسمائهم وهوياتهم، من جماعة "المخربين" كما ادعى هؤلاء وأولئك؟

الاستمارات بالنسبة إلى كل من الضحايا والمخطوفين كانت موحدة، لكن مع بعض الفوارق التي فرضتها طبيعة اختلاف المصير. وقد حددنا الاختلافات أعلاه. أمّا أدناه فنتعرف على هؤلاء الضحايا والمخطوفين من حيث الجنسية، والجنس، والعمر، والمهنة، والأوضاع المعيشية.

أ ــ الجنسية

في أتون هذه المجزرة التي استهدفت الفلسطينيين، لا يخطر على البال أن الذين قتلوا فيها ينتمون إلى اثنتي عشرة جنسية، كان للفلسطينيين منهم النصيب الأعلى، لكنهم مع ذلك لم يكونوا وحدهم.

من مجموع ٤٣٠ ضحية قتل ٢٠٩ من الفلسطينيين، بنسبة ٤٨,٦٠٪؛ يليهم اللبنانيون الذين بلغ عددهم ١٢٠ ضحية، بنسبة ٢٧,٩١٪؛ يليهم المقيمون على الأرض اللبنانية الذين لم يحصلوا بعد على الجنسية اللبنانية على الرغم من كونهم يستحقونها، وهؤلاء يشار إلى جنسيتهم في الدوائر الرسمية بتعبير "جنسية قيد الدرس" (أي لا جنسية لهم)، وبلغ عددهم ٣١ ضحية، بنسبة ٧,٢١٪؛ يليهم السوريون الذين بلغ عددهم ٢٣ ضحية، بنسبة ٥,٣٥٪؛ ثم المصريون الذين بلغ عددهم ١٨ ضحية، بنسبة ٤,١٩٪؛ ثم البنغلادشيون الذين بلغ عددهم ٦ ضحايا، بنسبة ١,٤٠٪؛ ثم ٣ ضحايا أردنيين وكذلك ٣ ضحايا أتراك، بنسبة ٠,٧٠٪ لكل من الفئتين؛ يليهم ضحيتان من كل من السودانيين والباكستانيين والجزائريين، بنسبة ٠,٤٧٪ لكل من الفئات الثلاث، ثم ضحية واحدة من كل من الإيرانيين والتونسيين، بنسبة ٠,٢٣٪ لكل من الفئتين.

يضاف إلى هؤلاء ٩ ضحايا، بنسبة ٢,٠٩٪، ما كان ممكناً التعرف على جنسياتهم لكونهم من الأطفال الرضع المرضى، أو من الأطفال الذين ولدوا قبل الأوان ووضعوا داخل الأجهزة الحاضنة، وقد وجدت جثث هؤلاء جميعاً محروقة أو مرمية خلف فناء مستشفى عكا أو في أماكن دفن جماعية. ويصعب تأكيد أن هؤلاء كانوا كلهم أطفالاً فلسطينيين، ذلك بأن المستشفيات التابعة للهلال الأحمر كانت تستقبل اللبنانيين أيضاً وكل الجنسيات (أنظر الجدول رقم ٢/أ ــ جنسيات الضحايا).

أمّا بالنسبة إلى المخطوفين المئة، فالجنسيات كانت أقل عدداً، إذ بلغت ست جنسيات، ارتفعت فيها نسبة أصحاب الجنسية الفلسطينية من المخطوفين المئة إلى ٦٦ مخطوفاً، بنسبة ٦٦٪؛ يليهم أصحاب الجنسية السورية الذين بلغ عددهم ١٣ مخطوفاً، بنسبة ١٣٪؛ ثم أصحاب الجنسية اللبنانية الذين بلغ عددهم ١١ مخطوفاً، بنسبة ١١٪؛ ثم أصحاب بطاقات "جنسية قيد الدرس" (أي لا جنسية لهم) الذين بلغ عددهم ٦ مخطوفين، بنسبة ٦٪؛ ثم أصحاب الجنسية المصرية الذين بلغ عددهم ٣ مخطوفين، بنسبة ٣٪؛ وآخر هؤلاء جميعاً "عثمان" صاحب الجنسية البريطانية الذي وردت حكايته في القسم الأول (راجع الرواية الأربعين: "كان معروفاً باسم 'عثمان'"). (أنظر الجدول رقم ٢/ب ــ جنسيات المخطوفين).

ليس هناك من شك في أن ارتفاع نسبة الفلسطينيين بين المخطوفين عنها بين الضحايا، لدليل على وعي كامل من قِبل الخاطفين على جنسيات الذين أقدموا على خطفهم، ودليل أيضاً على تفضيلهم اختطاف الفلسطيني على اختطاف غيره.

لكن ماذا عن هؤلاء الآخرين من لبنانيين ومن سائر الجنسيات، فهل كانوا مطلوبين حقاً لـ "العدالة الميليشيوية"؟ وماذا كانت التهمة؟ هل كانوا كلهم "مخربين"؟ وما هي الأدلة؟ وماذا عن الفلسطينيين أنفسهم، هل كان هؤلاء الستة والستون فلسطينياً كلهم "مخربين" بلغة الخاطف؟ أم كانوا كلهم "فدائيين" أو "مقاتلين" بلغة صبرا وشاتيلا، لغة المجتمع الفلسطيني؟ أم كانوا عمالاً وموظفين ومهنيين؟ هذا ما سيتضح أدناه.

ب ــ الجنس

لو كانت المجزرة حقاً مجرد معركة بين فريقين لكان القتلى، في جلهم، أو في معظمهم، من الذكور المقاتلين؛ فنسبة المقاتلات من النساء أساساً محدودة جداً. غير أن الضحايا في أغلبيتهم الساحقة لم يكونوا من الذكور المقاتلين، وإنما من الجنسين معاً، من الذكور والإناث، ومن المدنيين العزل من السلاح.

أمّا من حيث توزيع الجنس بين الضحايا، فقد وصلت نسبة الإناث إلى الذكور إلى

أكـثر مـن ربـع العدد. وفي هذا إشارة واضحة إلى جرائم قتل من دون تمييز بين ذكر وأنثى. وحين يقترن الجنس بمختلف مراحل العمر، يتضح أن سلاح المهاجم لم يميز بين جد وجدة، أو بين فتى وفتاة، أو بين طفل وطفلة، أو بين رجل وامرأة.

بلغ عدد الضحايا الذكور من مجموع ٤٣٠ ضحية ٣٠٣ ضحايا، بنسبة ٧٠,٤٧٪، بينما بلغ عدد الإناث ١١٢ ضحية، بنسبة ٢٦,٠٥٪. أمّا الذين لم يعرف أحد إن كان ذكراً أو أنـثى، فهم هؤلاء الأطفال الذين قتلوا أو أحرقوا، وقد بلغ عددهم ٩ كما علمنا أعلاه، يضاف إليهم تلك الأجنة التي قتلت مع أمهاتها عمداً؛ فكان الجنين يسحب ويقتل أحياناً قبل أمه، وتحت ذريعة التسلية لمعرفة جنس الجنين أكان ذكراً أم أنثى. لكن أحداً لم يخبرنا بما علمـه هؤلاء القتلة وهم يضحكون، غير أننا نعلم أن عدد الأجنة التي وصلتنا أخبار عنها هو ٦ أجنة؛ وهكذا يبلغ عدد الذين لم يعرف جنسهم ١٥ طفلاً وجنيناً، أي بنسبة ٣,٤٩٪.

ولـو احتسـبنا نسبة الإناث إلى الذكور بين الذين عرف جنسهم، أي بعد انتقاص هؤلاء الأطفـال الـ ١٥ "المجهولي الجنس" من مجموع الضحايا، لأصبح لدينا ٤١٥ ضحية، تتوزع بينها نسبة الذكور إلى الإناث من ٧٣,٠١٪ للذكور إلى ٢٦,٩٩٪ للإناث. وهذه النسبة تصبح، بعد دمج الكسور، ٢٧٪ من الإناث الضحايا، و٧٣٪ من الذكور الضحايا.

وبـالاطلاع علـى أعمـار الضـحايا يتضح أن الإناث، كالذكور، كن من مختلف الأعمار. ونكتفي في هذا البند بالإشارة إلى أن عدد الأمهات بين الإناث الـ ١١٢ بلغ ٤٢ أمـاً، بينهن من قد أصبحن جدات (أنظر ملحق الأسماء: اللائحة رقم ١ ــ ضحايا صبرا وشاتيلا، استناداً إلى الدراسة الميدانية/١٩٨٤. وانظر الجدول رقم ٣ ــ جنس الضحايا).

أمّا المخطوفون الـ ١٠٠ فكانوا كلهم من الذكور، وهذا مع التشديد على أن عدداً لا يسـتهان بـه من الإناث قد خطفن، وهذا ما اتضح معنا في التاريخ الشفهي، سابقاً، وما سيتضح أيضاً في لائحة المخطوفين والمفقودين من المصادر المتعددة، لاحقاً.

ج ــ العمر

لـم يكن القتلى الـ ٤٣٠ كلهم رجالاً وشباباً، أي في فئة العمر التي ينتمي إليها من يحملون السلاح في الجيوش الحديثة وفي الكوادر الثورية؛ فعمر الضحايا امتد من الجنين الـذي لـم يولـد بعـد، إلـى الأطفال في مختلف مراحل الطفولة، مروراً بعمر الشباب والنضوج، وصولاً إلى سن الكهولة والشيخوخة. وفي أرقام الأعمار والنسب أدناه ما يغني عن كل شرح، مع الإشارة إلى أن الأرقام تشمل الذكور والإناث معاً:

عدد الضحايا الأجنة التي لم تولد بعد: ٦، بنسبة ١,٤٠٪.

عدد الضحايا الأطفال الرضع في عامهم الأول: ١٨، بنسبة ٤,١٩٪.
عدد الضحايا الأطفال في عامهم الثاني والثالث: ١٢، بنسبة ٢,٧٩٪.
عدد الضحايا الأطفال ما بين الرابعة والثانية عشرة: ٥٨، بنسبة ١٣,٤٩٪.
عدد الضحايا ما بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة: ٦٧، بنسبة ١٥,٥٨٪.
عدد الضحايا ما بين التاسعة عشرة والثلاثين: ١٠٥، بنسبة ٢٤,٤٢٪.
عدد الضحايا ما بين الحادية والثلاثين والأربعين: ٤٧، بنسبة ١٠,٩٣٪.
عدد الضحايا ما بين الحادية والأربعين والخمسين: ٤٧، بنسبة ١٠,٩٣٪.
عدد الضحايا ما بين الحادية والخمسين والستين: ٢٩، بنسبة ٦,٧٤٪.
عدد الضحايا ما بين الحادية والستين والسبعين: ١٩، بنسبة ٤,٤٢٪.
عدد الضحايا ما فوق الحادية والسبعين: ٢٢، بنسبة ٥,١٢٪.
(أنظر الجدول رقم ٤/أ ــ الضحايا: فئات العمر).

ولو جمعنا أعداد الضحايا من عمر الأجنة التي لم تولد بعد حتى عمر الثانية عشرة، أي لو جمعنا الأطفال والأحداث، لكان المجموع ٩٤ ضحية، بنسبة ٢١,٨٦٪.

ولو اطلعنا على جنسيات هؤلاء الأطفال والأحداث الـ ٩٤ لعرفنا أنهم كانوا ينتمون إلى خمس جنسيات، لا إلى جنسية واحدة هي الجنسية الفلسطينية كما أشيع. فقد كان بين هؤلاء الضحايا الصغار، في مختلف مراحل العمر التي حددناها أعلاه ما بين الأجنة والثانية عشرة، ٤٦ فلسطينياً، و٣٢ لبنانياً، و٤ سوريين، واثنان لا جنسية لهما، ومصري واحد، وهذا بالإضافة إلى الأطفال التسعة الذين لم تعرف جنسياتهم (أنظر الجدول رقم ٤/ب ــ الأطفال الضحايا: العمر/الجنسية).

أمّا الضحايا ما بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة، والذين كانوا في معظمهم طلاب مدارس أو مراهقين دخلوا ميدان العمل كي يساعدوا عائلاتهم، أو كانوا فتيات على مقاعد الدراسة أو يساعدن أمهاتهن في المنازل، والذين بلغ عددهم ٦٧، كما ورد معنا أعلاه، فقد كان بينهم، ذكوراً وإناثاً: ٣٥ فلسطينياً؛ ٢١ لبنانياً؛ ٥ لا جنسية لهم؛ ٤ سوريين؛ مصري واحد؛ أردني واحد (أنظر الجدول رقم ٤/ج ــ الضحايا من ١٣ إلى ١٨ سنة: العمر/الجنسية).

وأمّا ضحايا فئات الأعمار الثلاث ما بين التاسعة عشرة والخمسين (ذكوراً وإناثاً)، فبلغ مجموعهم ١٩٩ ضحية، وعدد جنسياتهم ١٢ جنسية، بينهم ٩١ فلسطينياً، و٤٨ لبنانياً، و١٧ لا جنسية لهم، و١٦ مصرياً، و١١ سورياً، و٨ بنغلادشيين، ويتوزع الـ ٨ الباقون ما بين الجنسيات التركية والأردنية والجزائرية والإيرانية والباكستانية والسودانية (أنظر الجدول رقم ٤/د ــ الضحايا من ١٩ إلى ٥٠ سنة: العمر/الجنسية).

وأمّا الضحايا من الكهول ما بين الحادية والخمسين والسبعين، فقد بلغ عددهم ذكوراً

وإناثاً ٤٨ ضحية، وبلغ عدد الضحايا الشيوخ ما فوق الحادية والسبعين، وصولاً إلى عمر الثمانين أو إلى عمر التسعين بالنسبة إلى بعضهم، ٢٢ ضحية؛ وهكذا يبلغ مجموع الكهول والشيوخ، ذكوراً وإناثاً، ٧٠ ضحية من مجموع ٤٣٠ ضحية، بنسبة ١٦,٢٨٪.

مـرة أُخـرى، تتوزع جنسيات هؤلاء الكهول والشيوخ بين سبع جنسيات. فقد كان بينهم ٣٧ فلسطينياً، و١٩ لبنانياً، و٧ لا جنسية لهم، و٤ سوريين، أمّا الـ ٣ الباقون فكانوا جزائـرياً وسودانياً وتونسياً (أنظر الجدول رقم ٤/هـ ــ الضحايا من ٥١ سنة فما فوق: العمر/الجنسية).

وبالنسـبة إلـى توزيع العمر على لائحة المخطوفين فإنه يختلف بوضوح عنه بين الضحايا أعلاه، إذ هناك ثلاثة فوارق:

الفـارق الأول يتجسـد في غياب الإناث عن لائحة المخطوفين. وقد أكدنا أعلاه أن لائحة الـ ١٠٠ مخطوف، التي جمعناها، هي وحدها تخلو من الإناث. أمّا التاريخ الشفهي فيشهد على خطف الإناث وفق ما ورد معنا في القسم الأول، كما تشهد على ذلك اللائحة الرابعة في ملحق لوائح الأسماء: "المخطوفون والمفقودون في صبرا وشاتيلا، استناداً إلى المصادر المتعددة".

الفـارق الثاني يتجسد في غياب الأطفال والأحداث. فالعمر بالنسبة إلى المخطوفين فـي لائحة الـ ١٠٠ يبدأ مع المراهقين؛ أي من عمر الثالثة عشرة فما فوق. إنها لشهادة حق على أن الأطفال الرضع أو الصغار لم يُخطفوا في صبرا وشاتيلا!!

الفارق الثالث يتجسد في غياب الشيوخ ما فوق الحادية والسبعين، لكن اللائحة تشهد على خطف رجل واحد كان عمره ما بين الستين والسبعين.

عدد المخطوفين ما بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة: ٣٠، بنسبة ٣٠٪.

عدد المخطوفين ما بين التاسعة عشرة والثلاثين: ٤١، بنسبة ٤١٪.

عدد المخطوفين ما بين الحادية والثلاثين والأربعين: ١٤، بنسبة ١٤٪.

عدد المخطوفين ما بين الحادية والأربعين والخمسين: ٨، بنسبة ٨٪.

عدد المخطوفين ما بين الحادية والخمسين والستين: ٦، بنسبة ٦٪.

عدد المخطوفين ما بين الحادية والستين والسبعين: ١، بنسبة ١٪.

(أنظر الجدول رقم ٥/أ ــ المخطوفون: فئات العمر).

يلاحـظ من أعمار المخطوفين أن الفئات الأقل عدداً هي ما بين الحادية والخمسين والسبعين؛ فهاتان الفئتان يبلغ مجموعهما ٧ مخطوفين، ويأتي في الدرجة الثانية المراهقون الذين بلغ عددهم ٣٠ مخطوفاً. أمّا الفئات الأكثر عدداً فهي الأعمار ما بين التاسعة عشرة

والخمسين، إذ يبلغ عدد المخطوفين من هذه الأعمار ٦٣ مخطوفاً، وفي هذا دليل على أن عمليات الخطف لم تكن عشوائية كما كانت عمليات القتل؛ فالقتل كان يتناول الجميع من دون استثناء.

بالنسبة إلى توزيع الجنسيات في مختلف فئات الأعمار بين المخطوفين، استمر ارتفاع عدد الفلسطينيين إلى نحو الثلثين، في كل مجموعة من فئات الأعمار، كما كانت النسبة بين المخطوفين المئة بصورة عامة، كما يلي:

في فئة عمر المراهقة ما بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة، التي مر معنا أنه كان منها ٣٠ مخطوفاً، كان بين هؤلاء الثلاثين: ٢٠ فلسطينياً؛ ٤ لبنانيين؛ ٣ سوريين؛ ٣ لا جنسية لهم (أنظر الجدول رقم ٥/ب ــ المخطوفون من ١٣ إلى ١٨ سنة: العمر/الجنسية).

أمّا فئات الأعمار ما بين التاسعة عشرة والخمسين، فبلغ عدد أفرادها ٦٣ مخطوفاً، كان بينهم: ٤١ فلسطينياً؛ ٧ لبنانيين؛ ٨ سوريين؛ ٣ من كل من حاملي بطاقات "قيد الدرس" (لا جنسية لهم) والمصريين؛ بريطاني واحد (أنظر الجدول رقم ٥/ج ــ المخطوفون من ١٩ إلى ٥٠ سنة: العمر/ الجنسية).

ويبقى المخطوفون من كهول وشيوخ، فهؤلاء كان عددهم ٧، منهم ٥ فلسطينيين، و٢ سوريين (أنظر الجدول رقم ٥/د ــ المخطوفون من ٥١ سنة فما فوق: العمر/الجنسية).

إن توزيع العمر بين الضحايا، من الجنين الذي لم يولد بعد إلى الشيخ في الثمانين، لهو الدليل الأكثر وضوحاً على حدوث مجزرة رهيبة.

كذلك فإن عدم التمييز بأي شكل بين مختلف الجنسيات في مختلف الأعمار، يدل على أن قتل العائلات كان الهدف كما كان قتل الأفراد، وعلى أن محو الحياة من على هذه البقعة من الأرض كان الهدف.

د ــ المهنة

كانت معرفة مهن الضحايا والمخطوفين من السكان جميعاً، لا من الأهل فقط، أمراً يسيراً؛ فالكل يعرف الكل عندما يكون السؤال عن المهنة، وللمثال: فالفلسطيني مالك البيت الصغير في منطقة الحرش على أطراف شاتيلا، والذي كان أجر إحدى غرف منزله لشبان ستة جاؤوا من بنغلادش لكسب لقمة العيش، لم يعرف عمرهم تماماً حين سئل عن العمر، لكنه شهد أنهم كانوا كلهم شباباً دون الثلاثين. كما أنه لم يتذكر أسماءهم، لكنه كان يعرف أنهم من بنغلادش، وكان يعرف جيداً مهنهم؛ فهم كلهم كانوا عمالاً مياومين. وشيء آخر بدا أنه كان متأكداً منه، هو إيمانهم وصدقهم؛ فهم كانوا دائماً يقولون "الله أكبر" في مواعيد الصلاة وكلما سمعوا صوت قذيفة، وكانوا يدفعون له بدل الإيجار في مطلع كل

شهر من دون أي تأخير. كذلك شهد مالك الغرفة أنه رآهم مقتولين على فراشهم، وقد كان واضحاً أنهم كانوا نائمين أو يستعدون للنوم.

كان السؤال عن المهنة سؤالاً حراً؛ فلم يكن هناك أنواع محددة من المهن على الاستمارات. وقد طُلب من أعضاء الفريق أن يسجلوا المهنة كما تقال لهم بدقة، وهكذا كان في النهاية سيل من المهن التي بلغ عددها ٣٤ مهنة للضحايا، و٢٨ مهنة للمخطوفين. غير أن مهن المخطوفين كانت متكررة مع مهن الضحايا، باستثناء مهنتين؛ وبهذا يكون عدد المهن للجميع، من ضحايا ومخطوفين، ٣٦ مهنة.

حين تصنيف جدول المهن اختصرتُ أسماء المدارس والمستشفيات والمصارف التي يعمل فيها الأطباء أو الممرضون أو الموظفون. وقد اكتُفي بالقول إن فلاناً يعمل ممرضاً، أو موظفاً. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الوظائف كانت كلها وظائف عادية ومتواضعة.

سجلت المهن المتقاربة معاً، وقد تراوح عددها في الخانة الواحدة ما بين المهنتين والأربع مهن. غير أن المهن التي لم يوجد ما يماثلها أو ما يقاربها نوعية، تركت في خانات مستقلة.

من الضحايا الـ ٤٣٠ بلغ مجموع الذين كانوا يعملون ٢١٧ من الذكور والإناث. أمّا الباقون، وعددهم ٢١٣ ضحية، فكانوا جميعاً لا يعملون لأسباب متعددة، منها على سبيل المثال صغر السن أو كبره؛ وقد كان بين هؤلاء: الأجنة والأطفال من السنة الأولى حتى الثانية عشرة، والكبار في سن الشيخوخة. أمّا سائر الذين كانوا لا يعملون فهم طلاب المدارس، وربات البيوت، والمرضى، أو أصحاب الأمراض المزمنة. وهكذا بلغت نسبة الذين لم يكونوا يعملون من الضحايا ٤٩,٥٤٪، أي ما يقارب ٥٠٪، أي نصف مجموع الضحايا.

أمّا من المخطوفين الـ ١٠٠ فقد تفوقت نسبة الذين يعملون بصورة بارزة على نسبة الذين لا يعملون. فكان مجموع الذين يعملون ٨٠ مخطوفاً، بنسبة ٨٠٪، أمّا الـ ٢٠ الباقون فكانوا لا يعملون لسببين فقط من الأسباب الواردة أعلاه؛ فقد كان واحد منهم كبيراً في السن، بينما الـ ١٩ الباقون كانوا من طلاب المدارس، وأعمارهم من الثالثة عشرة فما فوق. ومن الواضح أن الأسباب الرئيسية وراء هذا الفارق هو غياب الأطفال والنساء على لائحة المخطوفين.

توزيع المهن على جدول المهن لا يتبع نوعية المهنة، وإنما عدد العاملين في هذه المهنة أو تلك، من الأصغر عدداً إلى الأعلى، وتشمل المهن ــ أدناه ــ الضحايا ذكوراً وإناثاً.

تراوح العدد من الرقم ١ إلى الرقم ٤ في كل من مجموعات المهن التالية:

معلم مدرسة؛ فنان / موسيقي؛ خياط / حائك / منجد؛ رسام خرائط/ مصمم ديكور.

وتراوح العدد من الرقم ٦ إلى الرقم ١٠ في كل من مجموعات المهن التالية:

بـواب / حـارس/ جوكي؛ بائع كاز؛ تاجر يمتلك متجراً صغيراً؛ كهربائي/ مصلح تليفونات؛ بائع: خضار / سمك / متجول؛ حلاق / خباز/ طباخ / لحام.

الرقم ١٣ كان مجموع العاملين في مجموعتين مختلفتين من المهن التالية:

مجموعـة تضـم العاملين في الهلال الأحمر الفلسطيني، وهم: طبيب / ممرض / عامل في مستشفى؛ ومجموعة ثانية فيها: سائق / ميكانيكي.

أمّا الرقم ١٦، فينفرد فيه كل الذين سجلهم ذووهم بكل اعتزاز أنهم "مقاتلون" أو "فدائيون".

وأمّا الأرقام المرتفعة، فهي لفئات الموظفين والعمال على اختلاف نوعية العمالة، كالتالي:

٢٧ موظفاً.

٣٥ عاملاً في مجموعة ورشات البناء وصناعة الأثاث: معماري / دهان / نجار / حداد.

ويـبقى العـدد الأكبر على الإطلاق، وهو الرقم ٥١، للذين سُجِّل في خانة مهنتهم: "عامل حر".

يضاف إلى هؤلاء جميعاً ١٠ ضحايا لم تُعرف لهم مهنة محددة (أنظر الجدول رقم ٦/أ ــ مهن الضحايا).

بالنسـبة إلى المخطوفين، وكلهم من الذكور، هناك ٧ مخطوفين كل منهم كان يعمل في مهنة مختلفة عن الآخر، في مجموعات المهن التالية:

بـواب / حارس / جوكي؛ مقاتل؛ عامل في الهلال الأحمر الفلسطيني؛ تاجر يمتلك متجراً صغيراً؛ خياط / حائك / منجد؛ معلم مدرسة؛ صاحب مهنة غير محددة.

وتراوح العدد من الرقم ٢ إلى الرقم ٤ في كل من المهن التالية:

صانع أحذية؛ موظف؛ عامل في الأدوات الصحية؛ بائع: خضار / سمك / متجول؛ كهربائي/ مصلح تليفونات.

أمّا الرقم ٧ فهو لمجموعة واحدة من المهن: سائق / ميكانيكي.

يقفز الرقم إلى ١٧ في مجموعة المهن التالية:

معماري / دهان / نجار / حداد.

أمّـا الـرقم الأعلـى الذي بلغ ٣٤، فهو أيضاً ــ كما في لائحة الضحايا ــ للذين يقومون بمهنة "عامل حر" (أنظر الجدول رقم ٦/ ب ــ مهن المخطوفين).

لا غرابة في أن تكون الأرقام الأعلى بين المهن، في منطقة شعبية كصبرا وشاتيلا، للعمـال أو "للصنايعية" كما يقال في الدارج، وكذلك للباعة المتجولين أو على البسطات، وأن يكون أقلها للأطباء والفنانين والموسيقيين. ولعل نتائج كهذه لا تحتاج أساساً إلى أسئلة

وأجوبة وتحليل، لكن تبقى أهميتها في هذا الكم من المهن المتعددة، والذي يشير بحد ذاته إلى وجود مجتمع متكامل ينبض بالحياة والتنوع والصخب.

وهل من داع للتذكير، في هذا المجال، بأن هذه الدراسة ليست دراسة اجتماعية/اقتصادية في أهدافها؟ غير أن مثل هذه النتائج الاجتماعية التي توصلنا إليها هو ما يشهد على حدوث مجزرة في أبشع الصور؛ ذلك بأنه لم يكن ممكناً أن يكون هذا التنوع في المهن، الذي امتد وتشعب إلى ست وثلاثين مهنة، لو كان المطلوب مهنة واحدة هي مهنة "القتال". لذلك سوف نناقش لاحقاً أوضاع أصحاب هذه "المهنة" في البند السادس، "المقاتلون الضحايا ــ من هم؟ وكيف قتلوا؟"

هـ ــ الأوضاع المعيشية والتعليمية و"المذهبية"

ينعكس الوضع المهني على الوضع الاقتصادي؛ فليس هناك مهنة من المهن المذكورة أعلاه كانت تؤمن دخلاً جيداً أو مقبولاً. وحتى الأوضاع الاقتصادية لأطباء الهلال الأحمر الفلسطيني، الذين كانوا يتمتعون بلقب "الدكتور" أو "الحكيم"، لم تكن لتتميز كثيراً من أوضاع سواهم من الموظفين، إذ كانت رواتبهم لا تكاد تكفي عائلاتهم. وهذا مع الإشارة العابرة إلى أن الطبيب الفلسطيني لم يكن يحق له أصلاً أن يعمل في لبنان، وفقاً لقوانين العمل بالنسبة إلى اللاجئ الفلسطيني؛ وهي القوانين التي حرمته مزاولة أكثر من خمسين مهنة. وما كان وجود مؤسسات الهلال الأحمر في أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ إلاّ امتداداً لوجودها الذي تجذر وتشعب مع وجود فصائل الثورة الفلسطينية وقياداتها في لبنان، بدءاً من مطلع السبعينات.

أمّا الموظفون من سكان صبرا وشاتيلا، والذين كان اللبنانيون منهم يعملون في مؤسسات الدولة أو في مؤسسات خاصة، كما كان الفلسطينيون منهم يعملون في المكاتب أو المستشفيات الفلسطينية وفي بعض المؤسسات اللبنانية الخاصة، فهؤلاء ــ بلا استثناء ــ كانت وظائفهم من مستوى الوظائف العادية أو البسيطة.

وأمّا أصحاب الدكاكين الذين كانوا يعتزون بحريتهم كأصحاب رؤوس أموال مهما تكن صغيرة، فقد كانت دكاكينهم كلها في قلب صبرا وشاتيلا، ولسكان المنطقة بصورة رئيسية. وحدها سوق الخضار في صبرا كانت تستقطب سيدات بيروت الأنيقات لشراء الخضار والفاكهة. لكن وجود تلك السوق حتى في أوج عزها في السبعينات، لهو الدليل على انتشار مهنة بيع الخضار والفاكهة أو اللحوم أو الدجاج والبيض يومذاك؛ فهؤلاء الباعة كانوا جميعاً من سكان صبرا ومخيم شاتيلا، أي من سكان تلك البيوت المتراصة.

وهل من داع للتوقف عند العمال و"الصنايعية"، وهم الشريحة الكبرى من السكان،

للخوض في أوضاعهم الاقتصادية؟

لـم يكن هناك سؤال محدد على الاستمارة يتناول الأوضاع الاقتصادية. كان سؤال كهذا محرجاً لأعضاء فريق الدراسة قبل أن يكون محرجاً للذين يتوجهون بالأسئلة إليهم. ولـو افترضـنا وجود سؤال كهذا لكان قوبل، من دون شك، بالاستهجان؛ فمن يسأل عن الأوضاع الاقتصادية في صبرا وشاتيلا؟

ومـن دون الدخول في التفصيلات، يجدر القول إن البيوت في منطقة صبرا كانت أكـثر رحابـة قلـيلاً مـن البيوت المعلبة في شاتيلا؛ كذلك من المعروف في تاريخ نمو المنطقتين أن سكان صبرا كانوا يشمخون قليلاً على سكان شاتيلا؛ فهم من سكان المنطقة الأكثر تقدماً، ولو بدرجات معدودة، في سلم المعيشة.

غـير أن السـؤال الذي كان يهم فريق الدراسة للتوصل إليه هو بشأن العلاقة بين الضـحايا وعـائلاتهم من الناحية الاقتصادية/المعيشية، فكم كان بين تلك الضحايا من هم معيلون لأسرهم؟ وكم كان بينهم من هم معتمدون على غيرهم من أفراد الأسرة؟

كـان بيـن الضحايا ٢٠٠ ضحية تعيل أسرها، أي أن ٢٠٠ من الذين قتلوا ذكوراً وإناثاً كان كل منهم إمّا المعيل الوحيد لأسرته، وإمّا أحد المعيلين الرئيسيين، ونسبة هؤلاء ٤٦,٥١٪. ذلك بأننا لم نأخذ بعين الاعتبار الطلاب الذين كانوا يعملون في فترات متقطعة لمسـاعدة ذويهم وأنفسهم، ولا اللواتي والذين كانوا يتحملون مسؤولية جزئية. أمّا الباقون فكانوا يعتمدون على غيرهم في الأسرة، إمّا بسبب الكبر في السن أو الصغر، وإمّا بسبب تفـرغ معظـم ربات البيوت لتربية الأطفال والاهتمام بشؤون البيت، وكذلك تفرغ معظم الطلاب للدراسة (أنظر الجدول رقم ٧/أ ــ الضحايا: مسؤولية الفرد المالية تجاه عائلته).

أمّا بين المخطوفين الـ ١٠٠ فترتفع نسبة المعيلين لأسرهم، وكلهم من الذكور، إلى ٧٠٪. وفي هذا الارتفاع دليل آخر على اهتمام الخاطفين بعمر المخطوفين، شباباً ورجالاً (أنظر الجدول رقم ٧/ب ــ المخطوفون: مسؤولية الفرد المالية تجاه عائلته).

بالنسـبة إلـى التحصيل العلمي لكل من الفئتين، ثمة بعض الفوارق على الرغم من الـتقارب فـي أرقامه ونسبه بينهما، أي بين الضحايا والمخطوفين، من حيث التنوع في المستويات المتعددة، ومن حيث معظم النسب العامة.

فـي كـل من الفئتين يحتل أصحاب التحصيل العلمي حتى الابتدائي النسبة الأعلى، وتليها انخفاضاً نسبة أصحاب التحصيل الثانوي، حتى نصل إلى النسبة الأدنى، وهي نسبة التحصيل الجامعي التي لم تتعد ١٪ لدى كل من الفئتين.

أمّا الاختلاف البيّن فهو في نسبة التحصيل المهني. إذ بينما تبلغ نسبته بين الضحايا ١,١٦٪ فقط، ترتفع بين المخطوفين إلى ١٢٪. وفي هذا الارتفاع الملحوظ دلالة واضحة

علـى أن عـدداً لا يسـتهان بـه من العمال المخطوفين لم يكن من العمال ذوي المران والتجربة فحسب، بل أيضاً درس في معاهد مهنية.

ونشير كذلك إلى نسبة أُخرى فيها اختلاف بيّن، وهي نسبة الأميين. فبينما تبلغ هذه النسبة ١٧,٤٤٪ من عدد الضحايا، تنخفض انخفاضاً ملحوظاً إلى نسبة ٥٪ فقط من عدد المخطوفين. أمّا السبب وراء ذلك فهو أن نسبتهم في فئة الضحايا تشمل الجميع من نساء وشيوخ ورجال، بينما فئات المخطوفين هي إجمالاً من الرجال والشباب والمراهقين (أنظر الجدول رقم ٨/أ ــ الضحايا والمخطوفون / مستوى التحصيل العلمي).

يجب عدم اعتبار نسب التحصيل العلمي بين الضحايا والمخطوفين، بصورة عامة، نسباً معبرة عن طبيعة المجتمع الفلسطيني أو اللبناني في صبرا وشاتيلا؛ ذلك بأن المنطقة ليست منطقة سكنية فحسب، بل منطقة عمالية أيضاً. فهذه النسب إنما تعبر عن الأوضاع التعليمية لكل من السكان الفلسطينيين واللبنانيين، وكذلك للعمال العرب والأجانب؛ فهؤلاء: مـنهم مـن جاء مع عائلته، كمعظم السوريين؛ ومنهم من جاء بمفرده، كمعظم المصريين والباكستانيين والبنغلادشيين وسواهم.

لذلـك، فالمقارنـة بيـن جدول التحصيل العلمي للضحايا والمخطوفين وبين جدول خـاص بالفلسـطينيين، فـي الموضـوع نفسه، تظهر فوارق أساسية، منها ارتفاع نسبة التحصـيل الـثانوي بيـن الضحايا الفلسطينيين ارتفاعاً ملحوظاً، إذ كانت النسبة العامة ١٤,٦٥٪، بينما النسبة بين الفلسطينيين هي ٢٣,٩٢٪. أمّا نسبة التحصيل الجامعي فتبلغ بيـن الضـحايا (المتخرجيـن والطلاب الجامعيين) ١,٤٠٪، بينما تتضاعف تقريباً بين الفلسطينيين لتصل إلى ٢,٨٧٪. وكذلك الأمر بالنسبة إلى المخطوفين الجامعيين، فالنسبة العامة ١٪، بينما هي بين الفلسطينيين ١,٥٢٪.

أمّـا النسـبة العامة للأميين بين الضحايا، ذكوراً وإناثاً، فتبلغ ١٧,٤٤٪، في حين تـنخفض بيـن الفلسـطينيين، ذكوراً وإناثاً، إلى ٩,٠٩٪. وهناك انخفاض مضاعف بين المخطوفيـن، فبينما تبلغ النسبة العامة ٥٪، تنخفض بين الفلسطينيين لتصل إلى ١,٥٢٪ (أنظـر الجدول رقم ٨/أ المشار إليه أعلاه، والجدول رقم ٨/ب ــ الفلسطينيون: الضحايا والمخطوفون/ مستوى التحصيل العلمي).

يجـب أن نشير إلى أن ذوي الضحايا والمخطوفين استغربوا السؤال عن التحصيل العلمي، لكنهم فيما بعد اقتنعوا ــ بسهولة ــ بأننا نسعى إلى معرفة كل ما يتعلق بالضحايا والمخطوفين، فاقتنعوا، واستجابوا، وأجابوا.

غـير أن السـؤال الذي لم يستجيبوا له قط كان السؤال عن المذهب. أمّا لماذا كان السـؤال عن المذهب أساساً، فلا تعليل مقنع لدينا سوى القول إن الأجواء اللبنانية المذهبية

قـد طغت حتى علينا ونحن نعد الدراسة الميدانية لصبرا وشاتيلا؛ ذلك بأنه يندر أن تكون هـناك دراسة اجتماعية إلاّ ويكون للمذهب بند خاص مستقل. ولم تشذ استمارات مجزرة صـبرا وشـاتيلا عن هذه القاعدة. غير أن أجوبة ذوي الضحايا والسكان عامة هي التي قدمت البرهان على أن السؤال كان في غير محله.

نحـن لـم نشعر، بدايةً، كم تجاهل ذوو الضحايا والمخطوفين هذا السؤال، إلاّ حين ابتدأنا بمراجعة أكوام الاستمارات وهي ترد تباعاً. كان القسم الأكبر من الأهالي إمّا يترك بـند المذهـب فارغـاً، وإمّا يضع مكانه "مسلم"؛ وفي هذا الجواب رفض قاطع لتسجيل المذهب.

ونحن، بدورنا، لم نكن بحاجة إلى أي سؤال لنعرف أن كل الذين قتلوا أو خطفوا هم مسلمون، وكنا نعرف من روايات الناس أن هناك مارونياً واحداً قتلوه، وكانت جريمته أنه كان بواب بناية خارج صبرا وشاتيلا؛ كانت البناية قريبة من السفارة الكويتية، فلم يرحموا هذا اللبناني الماروني الوحيد، بل قتلوه.

كانت حصيلة هذا البند الذي وضعناه ـ كما اعترفنا أعلاه ـ بحكم العادة، أو بحكم السـير على التقليد المتبع، ثلاثة أنماط من الإجابات: قسم من الإجابات بقي فارغاً، وقسم آخر منها سجل عوضاً عن المذهب الانتماء الديني بكتابة "الإسلام" أو "مسلم" أو "مسلمة". أمّا القسم الثالث فقد حدد المذهب؛ وكان طبيعياً ومتوقعاً أن تُدْرَج المذاهب الثلاثة، وهي: السني؛ الشيعي؛ الدرزي.

ولـن تكون هناك نسب معتمدة لأي من هذه المذاهب، ليس فقط لعدم دقتها كونها لا تمـثل إلاّ عدداً من الضحايا والمخطوفين، لكن احتراماً لإرادة سكان صبرا وشاتيلا، من لبنانييـن وفلسـطينيين وعرب وأجانب. فمثل هذه المناطق الشعبية هو عبارة عن مناطق محبة وأخوّة وانعدام التعصب الديني أو المذهبي، بمختلف أشكاله.

خامساً: الضحايا والمخطوفون

شهادات وفاة ناقصة

مـن الأبيات الشعرية الفلسفية التي يتعلمها الطالب العربي على مقاعد الدراسة، في العواصـم العربـية، كمـا في الأرياف والقرى، قول الشاعر: "تعددت الأسباب والموت واحد."

غـير أن الموت في المجازر ليس كالموت في أي مكان آخر، وهو من دون ريب ليس موتاً واحداً كأي موت آخر.

إن للموت في المجازر أكثر من صورة، وأكثر من نهاية، وإن تكن له بداية واحدة،

وفي ساعة معلومة.

كانت البداية في الساعة السادسة مع غروب شمس يوم الخميس، في السادس عشر من أيلول/سبتمبر ١٩٨٢. أمّا النهاية التي أذيع أنها مع صباح يوم السبت، صباح اليوم الثالث، والتي استمرت واقعياً إلى الساعة الواحدة ظهراً، فلم يثبت قط أنها كانت نهاية ككل النهايات المرتقبة لحوادث الموت المفجعة، التي يفترض أن تأتي بعدها مرحلة التأكد من مصير الضحايا.

ضحايا صبرا وشاتيلا ما كانوا ضحايا زلزال أرضي، أو ضحايا بركان جبل من نار.

هؤلاء هم ضحايا مجزرة.

وكأن الموت في المجازر موتان لا موت واحد. فالموت الأول هو الموت، والموت الثاني هو في إنكار حدوث ذلك الموت؛ هو في البحث عن ضحية ضائعة، وفي محاولة إثبات أكثر من حق ضائع لها، حتى حقها في الموت، ثم في استخلاص شهادة لها بذلك الموت! وكم من الذين قتلوا في صبرا وشاتيلا لم يجد لهم ذووهم بقايا، ولم يمنحهم أحد شهادات تثبت حتى موتهم.

ما أسرع ما أخذت معالم المجزرة في التلاشي، على الرغم من كل الصور الصارخة بالعذاب ساعة غادر المكان هؤلاء المهاجمون القتلة.

ولنبدأ بالضحايا.

كانت مأساة الأهالي أنه لم تكن لديهم الوسائل للتأكد أولاً من موت أحبائهم.

بعضهم وجد الجثث، وبعضهم وجد بعض الجثث أو أشلاء، وبعضهم لم يجد شيئاً.

بعضهم تمكن من دفن ضحاياه، وبعضهم لم يعرف إن كان ضحاياه دفنوا في المقابر الجماعية كما قيل لهم، أو في أمكنة أُخرى لا تزال مجهولة حتى هذه الساعة.

بعضهم تمكن من تسجيل ضحاياه لدى الصليب الأحمر الدولي، أو لدى الدفاع المدني اللبناني، أو لدى مؤسسة إنسانية أُخرى، وبعضهم لم يتمكن من إقناع أية جهة إنسانية أو رسمية بموت ضحاياه، فاقتنع بتسجيلهم لدى بعض تلك الجهات أنهم "مفقودون".

لكن.. مر عشرون عاماً على المجزرة وما زال المفقودون مفقودين. بل أكثر من ذلك، فاللوائح التي حملت أسماءهم أصبحت هي الأُخرى في غياهب النسيان والضياع.

أ ـ المصير المعلوم للضحايا والمخطوفين

كان لسؤال سكان صبرا وشاتيلا عن مصير أحبائهم المكان الأول لديهم؛ كان ذاك هو الموضوع الذي رغبوا في التحدث عنه بلا مقدمات من أعضاء الفريق.

لدى السؤال عن إمكان التعرف على الجثة، سواء من قبل الأهل، أو من قبل

أصدقاء أو جيران آخرين، كان الجواب أن هناك ٢٩٤ ضحية من مجموع الـ ٤٣٠ ضحية تم التعرف عليها، بينما هناك ١٣٣ ضحية لم يتمكن أحد من معرفة مكانها ولا التعرف عليها، وهناك ثلاثة أصيبوا في أثناء المجزرة ثم توفوا فيما بعد بسبب إصاباتهم (أنظر الجدول رقم ٩ ــ التعرف على جثث الضحايا).

بالنسبة إلى المخطوفين كان هناك ثلاثة أسئلة عن شهود العيان: هل هناك شهود من الأهل أو من سكان صبرا وشاتيلا على عملية الخطف؟ هل هناك شهود آخرون؟ أم أنه لا يوجد شهود؟

كانت الإجابة عن السؤال الأول هي الأعلى نسبة؛ فقد كان هناك ٧٨ حالة خطف من مجموع الـ ١٠٠ وجد من يشهد على حدوثها من الأهل أو الجيران، بينما وجدت ١٢ حالة خطف نقلت عن شهود آخرين، وهذا في مقابل ١٠ حالات خطف لم يشهد على حدوثها أحد. لكن منطق الأحداث، واستدعاء هؤلاء الشباب من بيوتهم للسير في مسيرة "الجمعة" أو مسيرة "السبت"، ثم اختفاءهم مع آخرين تم خطفهم بشكل مؤكد، كل هذا جعل الأهالي يدركون أنهم حتماً مخطوفون (أنظر الجدول رقم ١٠/أ ــ الشهود على عملية الخطف).

هناك أسئلة أُخرى كانت خاصة بالمخطوفين تناولت الجهة الخاطفة، وكانت الأسئلة تحديداً: هل تعلمون من هي الجهة التي قامت بالخطف؟ هل تشكون في جهة ما قامت بالخطف؟ هل تجهلون الجهة التي قامت بالخطف؟

أجاب ٢٩ عن السؤال الأول بأنهم واثقون بأن الجهة الخاطفة هي "القوات اللبنانية"، ونسبة هؤلاء ٢٩٪.

وأجاب ١٩ بأنهم يشكون في أن "القوات اللبنانية" هي الجهة الخاطفة، ونسبة هؤلاء ١٩٪.

أمّا الباقون، وهم ذوو وأصدقاء ٥٢ مخطوفاً، فأجابوا بأنهم لا يعلمون من هي الجهة الخاطفة، وأنهم أيضاً لا يتوجهون بشكوكهم إلى أحد، ونسبة هؤلاء ٥٢٪ (أنظر الجدول رقم ١٠/ب ــ هوية الخاطف).

قد يستغرب المرء وجود نسبة ٥٢٪ من ذوي المخطوفين وجيرانهم الذين لم يستطيعوا معرفة الجهة الخاطفة على الرغم من رؤية الكثيرين منهم لهؤلاء الخاطفين. غير أن العودة إلى الأحداث والروايات التي تحدثت عن عمليات الخطف في القسم الأول، قسم التاريخ الشفهي، تساهم في انبعاث الصورة الحية لما كان يجري على أرض الواقع، وهي صورة تؤكد صدقية هؤلاء جميعاً: الذين يعرفون، والذين يشكون، والذين لا يعرفون. فالقتلة، أو الخاطفون، بالقدر الذي كان بعضهم يعلن هويته الميليشيوية بالصوت العالي، ولا يكتفي بالشارات على الزي الذي يرتديه، وذلك إمّا تبجحاً وإمّا إرهاباً،

وخصوصاً في يوم السبت، اليوم الثالث والأخير، كان البعض الآخر لا يعلن هويته ويؤثر إخفاءها، أو أنه كان يرتدي ملابس لا شارات عليها، أو واقع الأمر أن الكثيرين كانوا منصرفين إلى مسائل أُخرى ولا يعنيهم إن عُرفوا أو لم يُعرفوا؛ أمّا بالنسبة إلى الشهود أنفسهم فهؤلاء كانوا منهمكين في خضم المأساة الكبرى، فلم يلحظوا ما يستطيعون تأكيده بشأن هوية الخاطف سوى القول إنهم كانوا كلهم "ميليشيات لبنانية"، أو "ميليشيات مسيحية".

ب ــ معدل الضحايا والمخطوفين في العائلة

كان معروفاً لدى جميع العاملين في فريق الدراسة، منذ البداية، أن هناك عائلات قتل كل أفرادها، أو معظمهم. فالصور التي نشرت للعائلات الضحايا وقد قتل أفرادها وهم يتناولون طعامهم، أو وهم يحاولون الهروب من منازلهم، كانت أكثر من كافية للبرهان على ذلك؛ كذلك مقالات الصحافيين الأوائل الذين دخلوا المنطقة منذ يوم الأحد، إذ ركز الكثيرون منهم على مآسي العائلات. غير أن من الطبيعي ألاّ يكون معروفاً منذ البداية عدد العائلات التي قتل من كل منها أكثر من فرد واحد، ولا مجموع الذين قتلوا مع عائلاتهم.

أنا كنت أعتقد في المرحلة الأولى أن الصور الفوتوغرافية، التي كان عددها كثيراً، وكذلك أشرطة الفيديو الوثائقية، وعلى الرغم من أن عددها كان قليلاً، تعبر كلها بصدق لا يمكن محاكاته عن مآسي العائلات التي قتلت.

قالت الصور إن المجزرة كانت ضد العائلات، وضد أبسط أنواع الحياة التي يحياها هؤلاء السكان المنسيون في بقعة أطلق عليها صبرا وشاتيلا؛ كانت ضد الطفولة، ضد الأمومة، ضد الحياة نفسها التي يمنحها الله لأمثال هؤلاء كما يمنحها لسائر العباد، فكم من جنين قُتل قبل أن يولد.

إن قتل الإنسان الفرد جريمة، مثل قتل مئة فرد أو ألف فرد. أنا كنت أعتقد أن قتل العائلة أو العائلات جريمة تماماً كقتل الفرد أو الأفراد. فمن يَقتل مرة بغير حق، كمن يَقتل مرات. غير أنني، ولأول مرة، تعلمت أن للأرقام في مسألة قتل العائلات معنى آخر.

ولأقارن بين تجربة التاريخ الشفهي وتجربة الدراسة الميدانية.

في مرحلة التاريخ الشفهي كان تصوري أن مآسي مقتل العائلات كما رواها الناجون منها، هي من أكثر ما استمعت إليه مدعاة للألم. وكلما أعدت قراءة نص مقابلة معينة، أو أعدت الاستماع إلى شريط معين، بدا لي في كل مرة صورة مأساوية جديدة، أو لحظة مأساوية لم أكن أدركها في المرات السابقة. وطالما انتظرت الانتهاء من مرحلة

التاريخ الشفهي، تصوراً ووهماً مني بأن مرحلة الدراسة الميدانية، أي مرحلة التعامل مع الأرقام، أخف وطأة على النفس من التعامل مع أقوال المعذبين وأصواتهم. غير أنني كنت مخطئة.

شعرت بأنني مخطئة حين أصبح الرقم مدعاة للألم والأرق أضعاف الرواية والحديث.

وشـــعرت بأننـــي كنت مخطئة حين شاهدت الأرقام توحي بأكثر مما كانت الصور توحي به إليّ.

ثبت لديّ، بعد إعداد لائحة أسماء الضحايا مع إفراد خانة خاصة بعلاقة القربى بين أفـــراد الأسرة الواحدة، أن عدد العائلات التي قتل في كل منها أكثر من ضحية واحدة هو أكـــثر مـــن كل التصورات (أنظر ملحق لوائح الأسماء: اللائحة رقم ١ ــ ضحايا صبرا وشاتيلا، استناداً إلى الدراسة الميدانية/١٩٨٤).

يظهـــر فـــي اللائحة أن العائلة الواحدة التي تجاوز عدد ضحاياها الرقم المفرد، قد تراوح مجموع ضحاياها بين ضحيتين وإحدى عشرة ضحية.

هـــناك عشـــرون عائلة خسرت كل منها ضحيتين؛ وثلاث عشرة عائلة خسرت كل مـــنها ثـــلاث ضحايا؛ وثلاث عشرة عائلة أُخرى خسرت كل منها أربع ضحايا؛ وعشر عائلات خسرت كل منها خمس ضحايا؛ ثم يتناقص عدد العائلات ليزيد عدد الضحايا في كـــل منها، وإن لم يكن هذان التناقص والتزايد مطردين؛ فهناك عائلتان خسرت كل منهما ست ضحايا؛ وثلاث عائلات خسرت كل منها سبع ضحايا؛ وثلاث عائلات أُخرى خسرت كـــل منها تسع ضحايا؛ وأخيراً هناك ثلاث عائلات خسرت الأولى ثماني ضحايا، والثانية عشر ضحايا، والثالثة إحدى عشرة ضحية.

إن مجموع العائلات التي فقدت كل منها ما بين ضحيتين وإحدى عشرة ضحية يبلغ ٦٧ عائلـــة. أمّا مجموع الضحايا الذين قتلوا مع عائلاتهم فيبلغ ٢٧٠ ضحية من مجموع ٤٣٠ ضحية؛ وبذلك يكون المعدل الوسطي للضحايا في العائلة الواحدة أربع ضحايا، وهو يبلغ تحديداً ٤,٠٣ (أنظر الجدول رقم ١١/أ ــ عائلات خسرت كل منها أكثر من ضحية).

أكـــثر مـــن مـــرة أعدنا الحسابات للتأكد من الأرقام. تلك كانت أول مرة أرى فيها الأرقام أدق وضوحاً من الصورة، وأكثر التصاقاً بالذاكرة، وأبعد مدى في الخيال.

تلك هي المجزرة، مجزرة العائلات.

ومـــن الضـــحايا ننـــتقل إلى المخطوفين، ونجري على لائحة أسماء المخطوفين ما أجريـــناه على لائحة أسماء الضحايا، مع تصور مسبق لدى الجميع بأن عمليات الخطف طالت الأفراد لا العائلات، لكن يبدو أن للأسماء والأرقام دلالات أُخرى مختلفة تماماً.

أعددنـــا لائحة أسماء المخطوفين بالنمط نفسه الذي أعددنا به لائحة أسماء الضحايا؛

فأفــردنا خانـــة خاصـــة بعلاقة القربى بين أفراد الأسرة الواحدة، لنفاجأ بأن أعداد الذين خطفــوا مـــن العائلات أكثر من كل التصورات (أنظر ملحق لوائح الأسماء: اللائحة رقم ٢ ــ المخطوفون في صبرا وشاتيلا، استناداً إلى الدراسة الميدانية/١٩٨٤).

يظهــر في اللائحة أن العائلة الواحدة التي تجاوز عدد المخطوفين من أفرادها الرقم المفرد، قد تراوح مجموع المخطوفين من أفرادها بين اثنين وأربعة أفراد.

فـــي لائحـــة الأسماء هناك عشر عائلات خطف من كل منها فردان؛ وهناك ثلاث عائلات خطف من كل منها ثلاثة أفراد؛ وهناك ثلاث عائلات أُخرى خطف من كل منها أربعة أفراد.

إن مجموع العائلات التي خطف من كل منها ما بين فردين وأربعة أفراد، يبلغ ست عشـــرة عائلة. أمّا مجموع الذين خطفوا مع عائلاتهم، كالأب والابن أو الأبناء، أو الإخوة معـــاً، فهؤلاء يبلغ عددهم ٤١ مخطوفاً من مجموع ١٠٠ مخطوف؛ وبذلك يكون المعدل الوســـطي للمخطوفيـــن في الأسرة الواحدة ٢,٥٦ (أنظر الجدول رقم ١١/ب ــ عائلات خُطف من كل منها أكثر من فرد).

تمت عمليات الخطف في معظمها يومي الجمعة والسبت، وهما اليومان اللذان شهد كـــل مـــنهما عمليات متفوقة في الخطف عن اليوم الأول. كان واضحاً أن الخاطفين على اطـــلاع تـــام على هويات المخطوفين؛ فقد كان لديهم الوقت للسؤال عن الهوية، ولقراءة الهوية، ولسؤال صاحب الهوية ما يشاؤون، والتاريخ الشفهي يشهد بذلك، ومن هنا لم تكن عمليات خطف الأب وابنه، أو الأب واثنين أو ثلاثة من أولاده مجرد مصادفة!!

أمّـــا عن عمليات قتل العائلات، وخصوصاً في اليوم الأول، وهو اليوم الأكثر عدداً فـــي الضحايا، فهي كذلك لم تكن مصادفة قط. من المعروف أن هويات الكثيرين جمعت مـــنهم، ولا ســـيما من الرجال الذين أوقفوا عند جدران الموت، لكنهم قتلوهم بمجرد جمع الهويـــات، وكـــأن جمع الهويات كان عملية لمجرد الجمع، لا لقراءة الأسماء والجنسيات، وحـــتماً ليس لاستجواب أحد، فما من أحد استجوب في اليوم الأول؛ فالجريمة في عرف المهاجميـــن القـــتلة لم تكن في الاسم، ولا في الجنسية، ولا في المهنة، وإنما الجريمة في المكان؛ فكل من كان في ذلك المكان في عرف المجزرة كان يستحق الموت. والدليل أنهم جمعـــوا الهويات، لكنهم قتلوهم على الرغم من جمعها، وحالما انتهوا من جمعها. لم يكن هناك فارق بين جنسية فلسطيني أو لبناني أو سوري أو مصري، إلى آخر الجنسيات التي بلغ عددها اثنتي عشرة جنسية.

لكـــن.. مـــاذا عـــن العائلات التي قتلت على أبواب المنازل؟ وما الفارق في أتون مجزرة بين جمع هويات السكان وبين عدم جمعها على أبواب المنازل؟ هل الطفل بحاجة

إلـــى هوية ليثبت أنه طفل؟ وهل الشيخ ابن الثمانين بحاجة إلى هوية كي يثبت شيخوخته؟ وهل الجدة وهي تحتضن أحفادها متوارية وراء الباب بحاجة إلى هوية؟ وهل المرأة الأم الحامل، وهي داخل منزلها أو خارجه في أي مكان، بحاجة إلى هوية؟

ج ـ الإنسان أمام المكان والزمان والمصير

في مجزرة صبرا وشاتيلا كان للمكان الدور البارز في تقرير مصير هذا الإنسان أو ذاك، أو مصير هذه العائلة أو تلك. غير أن دور الزمان لم يقل خطورة عن دور المكان، وخصوصـــاً مـــع ارتباط عنصر الزمان بعنصر المكان. لم يكن كل يوم كأي من اليومين الآخرين، ولم يكن كل مكان كالأمكنة الأُخرى.

الســؤالان الرئيســيان اللذان مهدا لدراسة العلاقات بين المكان والزمان والمصير، بالنســبة إلى ذوي الضحايا، هما: أين قُتلت الضحية؟ وفي أي يوم قُتلت؟ كذلك السؤالان بالنسبة إلى ذوي المخطوفين: أين تمت عملية الخطف؟ وفي أي يوم؟

شـــهد اليوم الأول، الخميس في ١٦ أيلول/سبتمبر، النسبة الأعلى من عمليات القتل، وهـــي نسبة ٥٦,٥١٪ من العمليات. وواضح أنها نسبة تفوق نسبة اليومين الثاني والثالث معاً. ففي اليوم الثاني، الجمعة في ١٧ أيلول/سبتمبر، انحدرت النسبة إلى ٢٩,٧٧٪، بينما انحــدرت أكــثر فـــي اليوم الثالث، السبت ١٨ أيلول/سبتمبر، إلى ١٣,٧٢٪ من مجموع عمليات القتل.

تتضاعف أهمية نسبة ارتفاع عمليات القتل في اليوم الأول عندما نتذكر أن هذا اليوم هو عبارة عن ساعات معدودة ابتدأت مع المغيب في السادسة مساء. وقد كان واضحاً في الــتاريخ الشفهي أن زخم العمليات هدأ في نحو الساعة العاشرة مساء، وتوقف نهائياً بعد قلــيل. وهكذا فالساعات بحد ذاتها لا تتجاوز أربع ساعات، وفي هذا دلالة كبرى على همجية المجـــزرة بشكل يعجز عنه الوصف حقاً، وربما لذلك لجأنا إلى الأرقام والنسب. فهذا يعني أن هـــناك ٢٤٣ ضحية من مجموع ٤٣٠ ضحية، أي بنسبة ٥٦,٥١٪، قد قتلت في تلك الساعات الأربـــع، فـــي مقـــابل ١٨٧ ضـــحية، أي بنسبة ٤٣,٤٩٪، قتلت على امتداد الساعات التسع والثلاثين الباقية، والممتدة من مساء ليلة الخميس/الجمعة إلى ما بعد ظهر السبت.

المفارقـــة الأولى التي تبرز من خلال المقارنة بين عمليات القتل وعمليات الخطف فـــي مقابل المكان والزمان لكل منهما، أننا نجد نسبة العمليات معكوسة تماماً بالنسبة إلى المخطوفين؛ فالنسبة بين الأيام الثلاثة أخذت في الارتفاع من الأدنى إلى الأعلى يوماً بعد يوم. ففي اليوم الأول بلغت نسبة عمليات الخطف ٨٪ فقط من مجموع عمليات الخطف، ثـــم ارتفعت في اليوم الثاني إلى ٣٣٪. أمّا في اليوم الثالث فقد بلغت ٥٩٪، أي أكثر من

مجموع اليومين السابقين.

تنســجم نســب عمليات القتل والخطف المتعاكسة علواً وانخفاضاً كل الانسجام مع طبــيعة المجزرة؛ فهي بالنسبة إلى عمليات القتل، انتقلت من مرحلة القتل العشوائي للعائلات والأفــراد من دون أي تمييز كما حدث في الليلة الأولى، إلى مرحلة ثانية شهدت عمليات قــتل كانت لا تقل وحشية في الكثير منها عن الليلة الأولى، لكنها كانت تتراجع من حيث الأرقــام والنسب. ويعود سبب هذا التراجع إلى طبيعة تطور الأحداث التي جرت في كل من اليومين الثاني والثالث؛ فهي كانت متشابهة مع الليلة الأولى من ناحية، ومختلفة عنها مــن ناحية أُخرى. من أوجه الشبه أن الكثيرين من السكان قتلوا يوم الجمعة في المنازل مــثلما حــدث في الليلة الأولى، كذلك قتل بعضهم في الملاجئ كما جرى أيضاً في الليلة الأولـــى. لكن يوم الجمعة تميز بما بات يعرف في تاريخ المجزرة بالمسيرة أو بـــ "المارش". فــالعدد الأكبر من سكان شاتيلا والجوار نودي عليهم صباح الجمعة، وأجبروا على السير نحــو المدينة الرياضية. وقد تعرضت هذه الجموع لمختلف عمليات الاستجواب والخطف والقتل، غير أن قسماً كبيراً منها ــ وخصوصاً من النساء ــ تمكن من الهرب من المدينة الرياضية شمالاً.

أمّــا يــوم السبت فلم يشهد اقتحامات للمنازل كاليومين السابقين، لكنه شهد المسيرة الكــبرى أو "المــارش الكبير الأخير" الذي تفوق على مارش اليوم الفائت حجماً، إذ أُجبر علــيه ســكان صــبرا هذه المرة، بالإضافة إلى سكان شاتيلا. وعلى امتداد الطريق نحو المديــنة الرياضية، كانت الجموع تسير، بينما الجرافات تهدم ما تبقى من البيوت، وبينما المهــاجمون يواصــلون القــيام بعمليات الخطف والقتل منذ الصباح الباكر، بدءاً بساحة صبرا، وعلى امتداد الطريق.

تمــيز هذا اليوم ــ السبت ــ بعمليات الموت الجماعي العلنية في حفر الموت التي زاد عددها عن اليوم السابق، وهذا على الرغم من انخفاض عدد الضحايا بصورة عامة. كذلك تميز بنوع من المحاكمات الصورية التي كانت لا تتعدى الواحدة منها الدقائق، حتى يؤمر معظم الذين استجوبوا بالهرولة نحو الشاحنات المتوقفة إلى جانب الطريق. وهذا ما جعل عمليات الخطف تتفوق في اليوم الثالث على كل من اليومين السابقين.

أمّا مجموع عمليات القتل والخطف معاً فقد كانت نسبتها في اليوم الأول ٤٧,٣٦٪، ثم انخفضت النسبة في اليوم التالي إلى ٣٠,٣٨٪، ثم انخفضت أكثر في اليوم الثالث إلى ٢٢,٢٦٪ مــن مجموع العمليات كلها (أنظر الجدول رقم ١٢ ــ الضحايا والمخطوفون: الــزمان/المكــان). ومن الطبيعي أن تتأثر نسب مجموع عمليات القتل والخطف بعمليات القــتل التـــي تفوقــت عددياً على عمليات الخطف، لذلك نجد النسبة العامة تضاهي نسبة

عملـيات القـتل مـن حيـث توفر النسبة الأعلى في اليوم الأول، ثم من حيث استمرار انخفاضها في اليوم الثاني عن الأول، وفي اليوم الثالث عن الثاني.

لو أجرينا مقارنة بين ما ورد لدينا في التاريخ الشفهي وبين الأرقام أعلاه، لاكتشفنا توافقـاً بين زخم الأحداث وارتفاع الأرقام والنسب العامة أو انخفاضها. ففي الليلة الأولى كانت عمليات القتل الجماعي تجري في الملاجئ وأمامها، وعند الجدران. وعن مآسي ليلة الخمـيس الأولـى كان هناك في الفصل الثالث أربع وعشرون رواية تحدث بعضها عن كيفـية اقتحامهم، وتحدث معظمها عن مآسي العائلات، وهذه في مقابل عشر روايات في الفصـل الـرابع عـن يـوم الجمعة/الثاني، وثماني روايات في الفصل الخامس عن يوم السبت/الثالث. ونلاحظ انخفاضاً في عدد الروايات من اليوم الأول حتى الثالث ينسجم مع تناقص الأرقام والنسب.

لكن لا بد من التوقف في هذا المجال لتأكيد أن انخفاض الأرقام يوماً بعد يوم لم يكن يقابلـه أي تراجع في مدى الوحشية والعنف، ذلك بأن هذين الموضوعين كانا في ازدياد حـتى لـو انخفضت نسبة العدد، وهذا ما تجدر العودة إليه في التاريخ الشفهي. وللمثال نـتوقف عـند طبيعة عمليات الخطف، لنقول إن هناك أربع روايات تحدثت عن عمليات الخطـف: واحـدة جرت في الليلة الأولى، وواحدة في اليوم الثاني، والثالثة والرابعة في الـيوم الثالـث. ويظهر من خلال هذه الروايات البرهان على تصاعد الوتيرة في نوعية العمليات (راجع الروايات: السابعة؛ الثانية والثلاثين؛ الأربعين؛ الحادية والأربعين).

وبرهان آخر يتضح من خلال روايات القتل الفردي أو الجماعي؛ فهذه على الرغم مـن ارتفـاع عددها في اليوم الأول، ومن بشاعة تفصيلاتها، فإن النقصان في العدد من اليوم الثاني إلى اليوم الثالث لم يؤثر في نوعية العمليات التي شهدت تزايداً في التفصيلات البشعة، ونوعيات مختلفة من القتل الجماعي. وفي التاريخ الشفهي عن حفر الموت يومي الجمعـة والسـبت مـا يكفي دليلاً على ذلك (راجع الروايات: الثالثة والثلاثين؛ الرابعة والثلاثين؛ الثامنة والثلاثين؛ التاسعة والثلاثين).

ومن الزمان ننتقل إلى المكان.

إن التوقف إزاء مكان عمليات القتل أو الخطف ضرورة لا بد منها، احتراماً لهؤلاء الضحايا الذين سقطوا، ولهؤلاء المخطوفين الذين لم يعودوا.

مـن الواضـح فـي الجدول الثاني عشر، "الضحايا والمخطوفون: الزمان/ المكان"، أن الفقـرة الأولى من الجدول تتناول اليوم الأول، والفقرة الثانية تتناول اليوم الثاني، والفقرة الثالثة تتـناول اليوم الثالث، لكننا ضمن الفقرة الواحدة نلاحظ في العمود الأول أسماء أماكن عمليات القتل أو الخطف؛ غير أن هذه الأماكن لم يجر ترتيبها وفقاً للأبجدية، ولا وفقاً لعدد الضحايا أو

المخطوفين، وإنما وفقاً لقربها من مقر قيادة القوات الإسرائيلية أو بعدها عنه.

في الردود الإسرائيلية على مدى تمكن رؤية الجيش الإسرائيلي لما جرى، كان التصور دائماً يجري كأن عمليات القتل كلها تمت في قلب مخيم شاتيلا؛ وهو المنطقة التي لم يدخلها المهاجمون قط، ولا في أي يوم من الأيام الثلاثة؛ وهو المنطقة الأبعد فعلاً عن مقر القيادة الإسرائيلية. ونحن في هذا المجال لن نتوقف عند الوسائل الأُخرى المتعددة التي كان في الإمكان توفرها، أو تلك التي كانت متوفرة فعلاً للجيش الإسرائيلي، لكن ذكرها لم يرد في تقرير كاهان. وسنعود لمناقشة مثل هذه "الوسائل الأُخرى" في خاتمة الكتاب مع مناقشة "المسؤولية". لكننا نتوقف هنا فقط إزاء نقطة واحدة هي قرب المكان وبعده عن المباني التي اعترفت القيادة الإسرائيلية بأنها اتخذتها مقراً لها، وذلك لأن عمليات القتل لم تكن كلها في القسم الأبعد الذي لا يمكن رؤيته لا بالعين المجردة، ولا حتى بالنواظير الحديثة، كما ورد في تقرير كاهان؛ وهكذا، سنراجع من خلال هذا الجدول عدد العمليات الأقرب ونسبتها.

ورد في تقرير كاهان أن موقع القيادة الإسرائيلية الأمامي كان على سطح مبنى مؤلف من خمس طبقات على بعد مئتي متر إلى الجنوب الغربي من مخيم شاتيلا، كما ورد: "من سطح مقر القيادة الأمامي كان ممكناً رؤية منطقة المخيمات بصورة عامة، لكن ـ كما صرح كل الشهود الذين زاروا سطح مبنى القيادة، وهؤلاء كان عددهم لا يستهان به من الشهود الذين نعتبر أقوالهم ذات صدقية ـ كان من المستحيل رؤية ما كان يجري في أزقة المخيم من سطح مقر القيادة، ولا حتى بمساعدة النواظير المزدوجة (binocular 20 x 120) التي كانت على سطح مبنى القيادة."[٥]

لم يكن مبنى القيادة مؤلفاً من خمس طبقات، وإنما من ست طبقات، وهو المبنى الأول ـ وفقاً لاتجاه السير من مستديرة الكولا حتى مستديرة السفارة الكويتية ـ من ثلاثة مبان تعرف ببيوت الضباط، وهي تقع على الرصيف المقابل للمدينة الرياضية، تماماً قبالة نادي الفروسية سابقاً (المعروف بنادي التورف/Turf Club). أمّا المبنى الثاني الذي تحول إلى نقطة مراقبة، والذي أمر الجنرال يارون بوضع النواظير وأجهزة المراقبة على سطحه،[٦] فهو أيضاً أحد تلك المباني الثلاثة، ويقع في موازاة المبنى الأول (مبنى القيادة)

(٥) *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report.* Introduction by Abba Eban (New York: Karz-Cohl Publishing, 1983). (An authorized translation of: “The Commission of Inquiry into the Events at the Refugee Camps in Beirut, 1983: Final Report”), pp. 14-15.

(٦) Ibid., p. 19.

ويتميز بالارتفاع نفسه (بينما يتراجع المبنى الثالث من بيوت الضباط إلى الداخل، وهو يقع بين المبنيين الآخرين، ويتألف من أربع طبقات فقط).

أمّا بشأن المسافة التي قدرت في تقرير كاهان بمئتي متر ما بين مقر القيادة ومخيم شاتيلا فليست صحيحة، ذلك بأنها في الواقع أكثر من ضعف هذا التقدير. وما كان من داع للتركيز على بعد أزقة المخيم، لأن المهاجمين القتلة لم يدخلوا مخيم شاتيلا أساساً. أمّا المناطق الملاصقة لمخيم شاتيلا، كحي الدوخي وحي حرش ثابت، فقد دخلوها، وتبلغ المسافة ما بين مقر القيادة الإسرائيلية وأطراف حي الدوخي ٤٢٠ متراً، والمسافة بينه وبين ملجأ أبو ياسر في الحرش ٤٧٥ متراً، والمسافة بينه وبين منتصف حرش ثابت ٥٥٠ متراً. وقد يصعب رؤية ما كان يجري في هذه المناطق كما ورد في تقرير كاهان، لأكثر من سبب؛ منها ما يتعلق بطبيعة الأزقة، ومنها ما يتعلق ببعد المسافة.

غير أننا في تقرير كاهان نفسه نكتشف أنه كان في الإمكان رؤية أماكن أُخرى أكثر قرباً لمقر القيادة من كل من حي الحرش وحي الدوخي. فقد ورد في التقرير أن الجنرال دروري كان على سطح مبنى القيادة في نحو السابعة والدقيقة الثلاثين مساء، من الليلة الأولى، وأنه تمكن من مشاهدة القتال وقد تابعه، ثم غادر المبنى في نحو الثامنة مساء.(٧)

لم يحدد تقرير كاهان مكان القتال المذكور، غير أنه ورد معنا في قسم التاريخ الشفهي، أي في القسم الأول المعنون "شهادات وروايات"، أنه جرى فعلاً تبادل إطلاق نار في تلك الليلة، وفي الفترة الزمنية القصيرة نفسها التي حددها الجنرال دروري؛ وذاك هو الاشتباك الذي دار بين مقاتل واحد أطلقنا عليه اسم "إبراهيم" وبين المهاجمين في شارع شاتيلا الرئيسي. استمر "إبراهيم" يطلق النار من الكلاشينكوف نحو ربع ساعة في اتجاه الجنوب حتى نفدت ذخيرته، وكان المهاجمون في الشارع نفسه يسوقون النساء والأطفال الذين جمعوهم من ملجأ أبو ياسر بحجة إيصالهم إلى مستشفى عكا، غير أنهم قتلوهم كما ورد معنا (راجع القسم الأول ــ الفصل الثالث ــ البند السادس ــ الفقرة أ).

نستنتج أن هذا هو حادث "القتال" الذي أشار إليه الجنرال دروري لسبب رئيسي هو أنه لم يجر غير هذا الحادث أي تبادل إطلاق نار في تلك الساعة، ولا حتى فيما بعد (باستثناء قذيفة الآر. بي. جي. التي أطلقت من جهة الدوخي نحو التاسعة في اتجاه الحرش، ففر المهاجمون من الحرش كله في تلك الساعة. راجع القسم الأول ــ الفصل الثالث ــ البند السادس ــ الفقرة د).

إذاً، ما دام الشارع الذي جرى فيه تبادل النار والذي كان يرى بوضوح كما جاء في

---

(٧) Ibid., p. 22.

تقرير كاهان هو شارع شاتيلا الرئيسي، فهذا يعني أن رؤية المناطق التي تقع ما بين هذا الشارع ومبنى القيادة كانت ممكنة أيضاً؛ وقد حاول البعض أن ينفي هذا الإمكان بحجة تضاريس الأرض، لكننا نستشهد بأقوال الكثيرين من الصحافيين الأجانب الذين وقفوا على سطح مبنى القيادة وأكدوا إمكان الرؤية، كما نستشهد بمصادر في الجيش اللبناني أكدت بدورها إمكان الرؤية بوضوح.(٨)

أمّا المناطق الثلاث القريبة من مبنى القيادة الإسرائيلية والتي كان يمكن رؤيتها بوضوح، فهي:

المنطقة الأولى هي منطقة رمال نادي التورف، وهي المنطقة الواقعة تماماً قبالة مباني الضباط التي اتخذ الإسرائيليون منها مراكز قيادة ومراقبة. وقد كانت منطقة الرمال هذه، فيما مضى، نادياً لركوب الخيل وكانت تعرف بنادي التورف (لذلك أشرنا إليها برمال نادي التورف تسهيلاً لتمييزها من غيرها).

أمّا المسافة في خط وهمي مستقيم ما بين رصيف بولفار المدينة الرياضية المحاذي لمنطقة رمال نادي التورف وما بين مقر القيادة، مخترقاً البولفار والساحة قبالة مبنى القيادة، فتبلغ نحو ٧٠ متراً؛ وأمّا المسافة بين منتصف منطقة رمال نادي التورف وبين مبنى القيادة، فهي ١٣٠ متراً، وهذا يعني أن إمكان الرؤية كان متوفراً بوضوح ما بين السبعين متراً والمئة والثلاثين متراً. وحتى عندما نضيف إلى هذه المسافة ما يتبقى من حي عرسال وحتى محاذاة شارع شاتيلا الرئيسي الذي شاهد الجنرال دروري القتال فيه، فالرؤية تبقى ممكنة.

المنطقة الثانية هي حي عرسال الذي يقع تماماً خلف منطقة رمال نادي التورف، نزولاً حتى شارع شاتيلا الرئيسي، وهو من أكثر الأحياء التي جرت فيها عمليات اغتصاب وتعذيب وقتل، وخصوصاً في الليلة الأولى. والمسافة بين منتصف حي عرسال ومقر القيادة تبلغ ١٩٠ متراً، أي أن الرؤية كانت أكثر من ممكنة، وخصوصاً أن أطراف حي عرسال الأقرب إلى منطقة رمال نادي التورف كانت الأشد وضوحاً.

المنطقة الثالثة هي منطقة رمال السفارة الكويتية، والتي تقع تحديداً ما بين السفارة ومحطة الرحاب، إلى الجنوب الشرقي، وتبلغ المسافة ما بين وسط هذه الرمال ومقر القيادة الإسرائيلية ٢٦٠ متراً. وقد شهدت هذه الرمال عمليات قتل جماعي في اليوم الثالث بصورة خاصة. وتكمن أهمية هذه المنطقة الصغيرة في أنها هي نفسها كانت تحتوي على مركز

---

(٨) POH. S/SH. No. 7 (242/T.2). ‘Abdul Rahman Labban. Interview with author. Beirut: Narrator’s house, January 22, 1983.

(كان الدكتور اللبان وزيراً للشؤون الاجتماعية، وقد تحدث نقلاً عن ضباط في الجيش اللبناني).

إسرائيلي للمراقبة، ولا ذكر لهذا المركز في تقرير كاهان. غير أن امرأة لبنانية جنوبية شهدت أنهـــا كادت تقتل مع أولادها الثمانية وأمهات وأولاد صغار بلغ عددهم جميعاً ثلاثة وعشرين، في الصباح الباكر من يوم الجمعة؛ فهذه الأم أمرها الميليشيويون النزقون بأن تنزل هي وباقي النســـاء والأطفال في إحدى حفر الموت في منطقة رمال نادي التورف. لكن القدر أنقذهم عن طـــريق جـــندي إســـرائيلي كان بالقرب من مركز المراقبة في منطقة رمال السفارة الكويتية المقابلة، فأسرع صارخاً بوجه الميليشيوي عن بعد: "No..No" (راجع الرواية الثالثة والثلاثين: "قـــرب السفارة الكويتية")، فهل يعقل أن نقطة المراقبة هذه ولدت فجأة مع الفجر، وأنها لم تكن في الليلة السابقة؟ ربما!! لكن هذه الأم الشاهدة أثبتت لنا على الأقل أنه كان هناك نقطة مراقبة قائمة منذ صباح الجمعة الباكر.

والســـؤال: أما كانت ساعة واحدة أو حتى ثلاث ساعات كافية لمثل هذا الجندي الإسرائيلي الذي رفض قتل النساء والأطفال، أن يرفع صوته بما جرى لرؤسائه وأن يصل صوته إليهم؟ إن شـــهادة مـــثل هـــذا الجـــندي لو وصلت، لكان من الواجب ردع المهاجمين القتلة حالاً، وإيقاف المجزرة، ورفع سيف الموت عن صبرا وشاتيلا ليوم كامل. غير أن هذا لم يحدث.

نكتفـــي من الجدول الثاني عشر، الذي يرد فيه عدد الضحايا وعدد المخطوفين وفقاً للأمكـــنة والمناطق، بهذه المناطق الثلاث أعلاه، فقط، وهي المناطق التي تأكدت استحالة عدم الرؤية فيها بناء على المعلومات التي وردت في تقرير كاهان نفسه، وبناء على قياس المســـافات علـــى أرض الواقع. وهذا مع علِمنا بوجود أكثر من وسيلة كانت متاحة أمام الإسرائيليين كي يعرفوا تماماً ما يجري داخل صبرا وشاتيلا، لكننا نترك الوسائل الأُخرى لدى مناقشتنا أخيراً للمسؤولية.

فـــي الـــيوم الأول، أو فـــي الليلة الأولى، أو في الساعات الأربع الأولى، قتل في المـــنطقة الأولـــى على رمال نادي التورف ٢٧ ضحية، وقتل في المنطقة الثانية في حي عرسال ٦٢ ضحية، وقتل في المنطقة الثالثة على رمال السفارة الكويتية ٤ ضحايا. ويبلغ مجمـــوع هـــؤلاء فـــي المناطق الثلاث من دون غيرها من المناطق الأبعد ٩٣ ضحية، ونسبتهم إلى كل الضحايا الـــ ٤٣٠ على امتداد الأيام الثلاثة تبلغ ٢١,٦٣٪ (أنظر الجدول رقم ١٢ ـــ الضحايا والمخطوفون: الزمان/المكان).

ويجـــدر القول هنا إننا ـــ في هذا البند تحديداً ـــ مع التزامنا بالبعد والقرب من مقر القـــيادة الإســـرائيلية، فـــلا يعني هذا التزاماً بالوقوف على سطح مبنى القيادة أو المبنى المـــوازي والمجاور له من مباني الضباط الثلاثة، حيث كان الضباط الإسرائيليون يقفون، مـــن دون اللجوء إلى العقل؛ ذلك بأن هؤلاء الضباط لم يصلوا بالطوافات إلى سطح مبنى القـــيادة، وإنما جاؤوا بآليات عسكرية كانت لا تزال في الشارع الملاصق على الأقل، أي

فـــي بولفـــار المديـــنة الرياضية، كما أنها كانت تشاهد في عدة أماكن أُخرى، ومن غير المعقـــول أن يكـــون الجنود والسائقون كلهم تركوا هذه الآليات مكانها من دون حراسة؛ فهؤلاء الجنود والحراس هم الأقرب أيضاً إلى تلك المناطق بالعين والأذن، إذ إن أصوات الضـــحايا التي كانت ترتفع من حي عرسال ومن الشارع الترابي المرتفع (آنذاك) ما بين المديـــنة الرياضـــية وحـــي عرسال والحي الغربي كان لا يمكن إلاّ أن تصل إليهم وإلى رؤســـائهم أيضـــاً، هؤلاء الواقفين مع نواظيرهم الحديثة على السطوح، كي يثبتوا أنهم لم يروا ولم يسمعوا.

بالإضافة إلى ذلك، فهؤلاء الجنود هم المهيأون لرؤية عملية خطف النساء والأطفال التي مرت معنا في القسم الأول. أمّا في الجدول الثاني عشر فورد بالنسبة إلى الخطف أن هـــناك ثلاثة خطفوا من حي عرسال في الليلة الأولى، والواقع أن هؤلاء هم ثلاث نساء. وأمّـــا عـــدد النساء والأطفال الذين خطفوا فعلاً وأُجبروا على ركوب الشاحنة التي كانت متوقفة بالقرب من مقر قيادة القوات اللبنانية في مبنى كلية إدارة الأعمال، في نزلة السان ســـيمون، فقـــد كان بالعشرات؛ وهذا ما رويناه سابقاً، وكيف أنهم اقتادوا عدداً كثيراً من النســـاء اللواتي شاركن في التظاهرة النسائية، فأوقفوهن قرب مفرق مبنى جمعية الإنعاش قبالة السفارة الكويتية، ثم اقتادوا عدداً آخر من النساء والأطفال من ملجأ في حي عرسال، وأمروهم بالركض نحو الشاحنة، المتوقفة في أعلى نزلة السان سيمون.

هـــؤلاء النسوة مررن من دون أدنى ريب من جانب هؤلاء الجنود الإسرائيليين. أمّا حيـــن وصـــلن إلى الشاحنة بالقرب من مقر قيادة القوات اللبنانية على بعد أمتار من مقر القيادة الإسرائيلية، فكيف كان ممكناً ألاّ يراهم أحد من الإسرائيليين الذين كانوا في مركز المراقـــبة علـــى سطح مبنى قيادة القوات اللبنانية، وخصوصاً ضابط الارتباط الإسرائيلي الـــذي كُلِّـــف القيام بمهمة مراقبة أعمال الميليشيويين؟ أكان ممكناً لهذا الضابط أن يتفادى بعيـــنه المجـــردة منظر سيارة الشحن المتوقفة في أعلى نزلة السان سيمون، وهو ما كان عليه إلاّ أن يطل بقامته وينظر إلى أسفل؟ فكيف تفادى هذا الضابط عملية خطف النساء؟ هـــل كـــان شكل هؤلاء النساء وشكل أطفالهن يوحيان بأنهم "مخربون" يستحقون القبض علـــيهم، ثم شحنهم؟ (راجع الرواية السابعة: "من الملجأ إلى سيارة الشحن"). لقد كان عدد هؤلاء النساء والأطفال المتوقفين على رصيف الشارع لفترة طويلة حمولة شاحنة كبيرة، كانوا بالعشرات.

ورد فـــي تقرير كاهان وفي الكثير من المقالات الصحافية خبر المكالمة الهاتفية التي جـــرت بين ضابط من القوات اللبنانية من داخل أرض المجزرة مع رئيسه إيلي حبيقة الذي كـــان يقـــف على سطح مبنى القيادة الإسرائيلية، في الساعة السابعة من مساء الخميس. فقد

سأل الضابط رئيسه باللغة العربية ماذا يفعل بخمسين من النساء والأطفال، ورد عليه رئيسه بقوله: "هاي آخر مرة بتسألني هيك سؤال. إنت بتعرف بالضبط شو لازم تعمل."[٩] وسمع هـذا الحـوار عدد من أفراد القوات اللبنانية الذين كانوا يقفون هناك على السطح أيضاً مع رئيسهم، فانفجروا ضاحكين. أمّا الجنرال يارون فاستفسر من اللفتنانت إلول عما سمعه بشأن هـذه المكالمـة عـبر جهـاز الاتصالات، ولمّا أخبره، توجه نحو إيلي حبيقة وتحدث معه بالإنكليزية لمدة خمس دقائق، غير أن اللفتنانت إلول لم يسمع الحوار بينهما.[١٠]

أمّـا شهادة الجنرال يارون أمام لجنة كاهان بشأن هذه المسألة فتتلخص في أنه فهم أنهـا تـتعلق بقتل خمسة وأربعين "مخرباً".[١١] لقد كانت مشكلة تقرير كاهان في كيفية الخـلاص مـن عدد من الشهادات المختلفة حتى التناقض، وفي كيفية تبرير عدم وصول الخبر إلى الجنرالات الكبار.

وأمّـا الحكاية الثانية التي استحقت جهداً مماثلاً في العرض والتبرير، فكانت حادثة دخـول ضابط من القوات اللبنانية في نحو الساعة الثامنة من مساء الخميس غرفة الطعام في مبنى القيادة الإسرائيلية، حيث أخبرهم بأنهم قتلوا حتى الآن نحو ٣٠٠، بينهم مدنيون، ثم غادر هذا الضابط الغرفة ليعود بعد قليل معدلاً الرقم من ٣٠٠ إلى ١٢٠.[١٢] وغرق تقرير كاهان في تفصيلات النبأ وفي رواية كل من سمعه وتقدم بشهادته أمام لجنته، وكان الجـنرال يارون بين هؤلاء. وانتهى التحقيق من دون أن يصل "الخبر" إلى الجنرالات الكبار، وبالتالي إلى رئيس الحكومة؛ و"الخبر" هو أن هناك مدنيين يُقتلون في صبرا وشاتيلا!!

وقد مر معنا في القسم الأول حكاية مماثلة رواها أبراهام رابينوفيتش، مراسل جريدة "جيروزالم بوست"، نقلاً عن جندي إسرائيلي قال له إن ميليشيوياً ذكر أمامه وأمام وحدته مسـاء الخميس أنهم قتلوا ٢٥٠ مخرباً، ولمّا غادرهم هذا ضحك الجنود وهم واثقون بأنه كان يعد المدنيين، ذلك بأن لا أصوات رصاص كانت تسمع.[١٣]

والسؤال: لماذا جرى تضخيم كل من الروايتين أعلاه، في حين لم يكن الإسرائيليون بحاجة إلى من يخبرهم بما يجري آتياً من أرض المجزرة وكأنه آت من بلاد الواق واق،

---

(٩) *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report*, op. cit., p. 22.

(١٠) Ibid.

(١١) Ibid., p. 23.

(١٢) Ibid., pp. 23-24.

(١٣) Abraham Rabinovich, "IDF fired Flares to light Camps for Phalangists," *Jerusalem Post*, September 22, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile, September 1982* (New York: Claremont Research and Publications, 1982), p. 25.

بلاد الأساطير البعيدة؟

لقد توصلنا أعلاه إلى أن عدد الضحايا الذين قتلوا مساء تلك الليلة الأولى، وفقط في أقرب ثلاثة مواقع إلى مقر القيادة الإسرائيلية، كان ٩٣ ضحية. وذكرنا أن نسبة هؤلاء تبلغ ٢١,٦٣٪ من مجموع ٤٣٠ ضحية. غير أن أرقام الدراسة الميدانية ليست الأرقام النهائية؛ فهناك سبعة عشر مصدراً رئيسياً جمعنا منها أسماء الضحايا، وتمكنا عبر هذه اللائحة من أن نتوصل إلى أسماء ٩٠٦ ضحايا قتلوا في صبرا وشاتيلا (راجع ملحق لوائح الأسماء: اللائحة رقم ٣ ــ ضحايا صبرا وشاتيلا، استناداً إلى المصادر المتعددة)، فلو احتسبنا نسبة الذين قتلوا في تلك المناطق الثلاث، من مجموع ضحايا هذه اللائحة، لكان العدد ١٩٦ ضحية.

قد لا تكون الأرقام بناء على النسبة دقيقة في مثل هذه الأوضاع، ذلك بأن من الممكن أن يكون عدد الضحايا الفعلي في مجموع تلك المناطق الثلاث، في رمال نادي التورف وحي عرسال ورمال السفارة الكويتية، أكثر أو أقل من ١٩٦ ضحية، لكنه في الحالتين عدد كثير جداً، ولا يبتعد كثيراً عن رقم الـ ٢٠٠، وخصوصاً مع مقارنة الأرقام بشهادات التاريخ الشفهي التي امتلأت بمآسي ليلة الخميس، ولا سيما عندما نتذكر أن الأرقام التقريبية التي لم نخض البراهين عليها بعد هي أعلى من الأرقام الموثقة.

نخلص من هذا كله إلى القول إنه يصعب جداً أن يقتل نحو ٢٠٠ ضحية، إن لم يكن أكثر، في أقرب الأماكن إلى مقر القيادة الإسرائيلية من دون أن يشعر أحد من أعضاء تلك القيادة، من ضباطها ومن جنودها، بذلك.

سادساً: المقاتلون الضحايا
من هم؟ وكيف قُتلوا؟

ورد معنا في بند المهنة أعلاه أن هناك ست عشرة ضحية سجل ذووهم وأصدقاؤهم أنهم مقاتلون. البعض استعمل تعبير "مقاتل"، والبعض ردد تعبير "فدائي" مع الإصرار.

هل هناك فارق بين التعبيرين في صبرا وشاتيلا؟ وفي المجتمع الفلسطيني؟

كلمة "فدائي" هي الصفة التي رافقت جيل الثورة في فجر انبثاقها، في الأغوار، في عقد الستينات، في العمليات الأولى التي كانت من نوعية "إضرب واهرب". ولمّا تطور العمل الفدائي إلى مرحلة "إضرب واصمد"، أصبح لكلمة "فدائي" رنة أقوى، لا في أوساط الجماهير الفلسطينية وحدها، بل بين الجماهير العربية أيضاً. هكذا انتشرت كوفية الفدائي ــ رمزاً للحرية ــ تلف أعناق الشباب العربي، وأعناق الشباب العطش حقاً إلى الحرية في أرجاء العالم.

مــنذ فجر المنظمة وفجر الثورة المتزامنتين ولادة في منتصف ستينات القرن العشرين، وخــلال المرحلة الأولى، مرحلة الفصائل الفلسطينية المتعددة، كانت كلمة "فدائي" هي الأقوى حضــوراً في الساحة الفلسطينية؛ كانت هي الكلمة الجامعة بين مختلف الفصائل التي توحدت أهدافها من أجل التحرير. وكان "الفدائي" هو الأمل المرتجى لتحقيق ذلك التحرير.

أمّا كلمة "مقاتل"، فلم تنتشر يوماً بقرار رسمي، ولا بولادة رسمية كما ولدت منظمة التحرير، التي كان لها جيشها المعروف بجيش التحرير الفلسطيني، وفيه الجنود والضباط علــى اخــتلاف الرتــب إسوة بجيوش العالم؛ كذلك ما كان ممكناً لها أن تنتشر مع ولادة الثورة التي كان العمل الفدائي شعارها، والفدائيون أبناءها. فمتى ولدت إذاً هذه الكلمة في الأوساط الفلسطينية؟

كلمة "مقاتل" واكبت انتقال منظمة التحرير الفلسطينية نفسها من مؤسسة نشأت بقرار عربي رسمي في منتصف ستينات القرن العشرين، إلى كيان سياسي معترف به دولياً في منتصف السبعينات من القرن نفسه. فكلما انتشرت سفارات المنظمة ومكاتبها في عواصم العالم، وخصوصاً في عقد السبعينات، وكلما صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار جديــد يؤكد الاعتراف بالحقوق الفلسطينية ــ وما كان أكثرها من قرارات ــ تحول دور المــنظمة أكــثر فأكــثر من دور "المؤسسة الأم" إلى دور تمهيدي لـــ "الدولة الفلسطينية القادمـــة". أمّا من الناحية التنظيمية، على صعيد تجمعات الشعب الفلسطيني، فقد أضحت المــنظمة المظلـــة الكــبرى لـــه أينما كان. وهكذا تحولت مكاتبها ومؤسساتها ومدارسها ونقاباتهـــا إلـــى كـــيان تعبوي تنظيمي هو الأكثر شبهاً بـــ "الدولة"، حتى لو لم يكن هناك دولـــة. فـــي أجـــواء هذه التحولات التي حدثت كلها عبر أعوام طويلة قبل اتفاقية أوسلو ومؤتمر مدريد، احتلت كلمة "مقاتل" بالتدريج مكان كلمة "فدائي".

إشـــارة أُخرى لا بد منها، وهي بشأن اتساع آفاق كلمة "مقاتل" في القاموس الفلسطيني الحديـــث، حـــتى باتـــت الكلمة لا تعني "المقاتلين" وحدهم، بل تشمل أيضاً كل العاملين في الأجهزة الرسمية؛ فالمراسل، والسائق، والعامل على جهاز السنترال، والمهندس، والمقاول.. كـــل هـــؤلاء كـــان الواحد منهم يقول باعتزاز: "أنا مقاتل". كان يكفيه أن يرى الضباط أو الفدائييـــن القدامى كل يوم، وأن يخاطبهم بقوله: "يا أخ أبو يوسف"، أو يا "أخ كمال"، وليس بألقابهم العسكرية أو التنظيمية، ليشعر بأنه هو الآخر يستحق لقب "المقاتل".

أليس منطق الثورة هو منطق الأخوة؟

لذلـــك، لـــم أستغرب قط أن أجد بين استمارات الضحايا ست عشرة استمارة سجل فـــيها، في خانة المهنة، كلمة "مقاتل"، أو "فدائي"، أو "مقاتل في سبيل فلسطين"، أو "مقاتل من أجل العودة".

كان من السهل جداً أمامنا التوصل إلى معرفة أي نوع من المقاتلين كان هذا المقاتل أو ذاك من مجموع المقاتلين الستة عشر. هل كان من "المقاتلين في الميدان"، أو من "المقاتلين العاملين في الأجهزة الرسمية"، بدءاً بمكاتب المنظمة نفسها، مروراً بمكاتب التنظيمات، ووصولاً إلى سائقي سيارات الإسعاف؟ لم يكن التوصل إلى مثل هذه التحديدات ممكناً فحسب، بل تم فعلاً في أحد الاجتماعات مع أعضاء فريق الدراسة؛ فهم أنفسهم من أبناء صبرا وشاتيلا ويعرفون هؤلاء الضحايا، وقد سجلت كل ملاحظاتهم.

لكن حين القيام بعملية نقل المعلومات عن الاستمارات إلى سجل خاص بالدراسة الميدانية، توقفتُ في بند "المهنة" عند "المقاتل" تحديداً، وتساءلت: ما الفارق الحقيقي، بالنسبة إلى هؤلاء وذويهم، بين المقاتل في الميدان وبين المراسل أو السائق أو المقاول الذي تدرب كل منهم على حمل السلاح يوماً، وخصوصاً أن مجتمع صبرا وشاتيلا لا يعترف بأي فارق؟ لنفترض أنهم جميعاً كانوا يعرفون استعمال السلاح، بل يتقنون استعماله، ولنفترض أكثر من ذلك، أنهم جميعاً كانوا حقاً مقاتلين بكل ما في الكلمة من معنى، فالأسئلة الرئيسية هي: هل كان لديهم السلاح؟ وإن كان لديهم سلاح فهل تمكنوا من الوصول إليه؟ وهم إن وصلوا إليه فهل تمكنوا من القتال؟ هل كان هؤلاء وقوداً للشائعة في الرواية الإسرائيلية الرسمية بأنه كان هناك "معركة"؟

ولنفترض أن هؤلاء الستة عشر، الذين قال عنهم ذووهم وهم معتزون بهم بأنهم مقاتلون، قاتلوا فعلاً، فلا يمكن أن يؤدي قتال هذا العدد المحدود إلى معركة.

غير أن تحليل الوضع ليس بمثل هذه البساطة، فقد يقول قائل: ألا يعقل أن يكون آخرون غير هؤلاء قاتلوا فعلاً؟

ولنقل بكلمات أكثر وضوحاً: إن أسطورة المعركة ليس مكانها هذه الصفحات فقط؛ فهذا موضوع أجابت عنه فصول القسم الأول القائم على التاريخ الشفهي، وتبين من خلالها أن لا معارك كانت هناك على الإطلاق. أمّا هنا، فسنتوقف إزاء كل فرد من هؤلاء الضحايا الستة عشر الذين سجل في مهنة كل منهم "مقاتل"؛ نتوقف إزاء موقع السكن، وموقع الوفاة، ويوم الوفاة أو يوم القتل. أمّا الدليل فلن يكتمل إلاّ حين مقابلة هذه العناصر كلها معاً، إذ حينئذ يمكن معرفة مصير هؤلاء فرداً فرداً، وإن كان أي منهم قد تمكن من القتال حقاً أم لا.

نحن معنيون باليومين الأول والثاني، فحسب، لكون جميع الذين سجلهم ذووهم أنهم مقاتلون قد قتلوا خلال اليومين الأولين.

استناداً إلى التاريخ الشفهي الذي أثبتنا فيه عدم وجود معركة، كان يمكننا الاكتفاء بالقول إن هؤلاء الستة عشر قتلوا وهم لا يحملون سلاحاً. وهناك شهود. ورُب فتى لم

ينطق بكلمة في ساعة الهول، لكنه رأى بعينيه مقتل جاره "المقاتل" ومقتل كل ذويه، يكون الشاهد الأكبر.

غير أن التاريخ الشفهي، وإن يكن هو المصدر الأول، بل المصدر الأكثر أهمية في موضوع مجزرة، يبقى مصدراً واحداً.

لذلك،

ومن أجل الرد على "أسطورة المعركة" التي رددها كل من التقرير اللبناني الرسمي الشهير بتقرير جرمانوس، والكثير من المصادر الإسرائيلية، سنتوقف عند مقتل كل واحد من هؤلاء المقاتلين الستة عشر، لكون الظروف التي قتل فيها كل منهم تؤكد وفقاً لمنطق القضـــاء العادل ــ حين يتوفر مثل هذا القضاء ــ أنهم جميعاً كانوا ضحايا مجزرة، وما كانوا بمقاتلين على أرض معركة.

مـــن العـــبر التـــي تعلمناها من التاريخ الشفهي أن البطل الرئيسي في المجازر هو المكان لا الإنسان.

الـــناس تُقـــتل حيـــث توجـــد. والناس تُقْتَل غدراً. هذا ما دعاني إلى تسجيل أسماء الضحايا المقاتلين وفقاً لمنطقة السكن، لا وفقاً للأبجدية، ولا للأعمار.

يشـــمل التحلـــيل أدنـــاه الضـــحايا جميعاً المدرجة أسماؤهم في الجدول رقم ١٣، ومجموعهـــم ســـت عشـــرة ضـــحية (أنظـــر الجـــدول رقم ١٣ ــ المقاتلون والموت: الهويـــة/الزمان/المكان). ويضم هذا الجدول تسع خانات تتضمن بالتتابع: الاسم؛ الجنسية؛ العمر؛ مكان السكن؛ يوم الوفاة؛ مكان الوفاة؛ التعرف على الجثة؛ عدد الضحايا في أسرة المقاتل؛ رقم أرشيف الدراسة الميدانية.

فـــي خانـــة الجنســـية يتضـــح أنه كان بين المقاتلين الضحايا ثلاثة عشر فلسطينياً، ولبنانيان، وأردني واحد.

فـــي خانة العمر تتراوح أعمار الضحايا بين السابعة عشرة والثانية والخمسين. وما بيـــن أصـــغرهم وأكـــبرهم كان عشرة منهم ما بين التاسعة عشرة والثلاثين، واثنان في الثلاثيـــنات، وأربعة في الأربعينات. وفي توزيع العمر هذا ما يشير إلى خبرتهم القتالية، فيما لو تمكنوا من استعمالها حقاً.

في خانة السكن تحتل منطقة الحرش المكان الأول. فهناك عشرة مقاتلين من مجموع المقاتليـــن الســـتة عشر كانوا من سكان الحرش، قبالة مستشفى عكا؛ وهي المنطقة التي تعرضت للهجوم الوحشي منذ الساعات الأولى، بل الساعة الأولى؛ هي المنطقة التي كان يصـــدر عـــنها مقاومة ضد الإسرائيليين، في ساعات النهار من يوم الخميس، لكن هؤلاء انسحبوا نهائياً قبل نهاية اليوم، كما مر معنا في قسم التاريخ الشفهي. وشهد الحرش أكثر

من عملية قتل وإبادة في الملاجئ، وخصوصاً في ملجأ أبو ياسر الذي أُخرج كل من كان فيه، ثم أُطلقت النار عليهم، ولم ينج منهم سوى من كتبت له النجاة.

وشهد الحرش أيضاً عمليات القتل الجماعي عند الجدران التي باتت تعرف بجدران المــوت. وبات الجدار الأكثر شهرة بينها ذاك الجدار القريب من ملجأ أبو ياسر. ففي هذه المنطقة نودي على السكان للتجمع خارج بيوتهم، وكانت النيران تطلق عشوائياً. ثم كانت المفاجأة أن انسحب المهاجمون القتلة ــ بشهادة عنصر منهم ــ بسبب قذيفة أُطلقت عليهم مــن جهــة الشــمال. وقــد تمكنا من التوصل سابقاً إلى أن هذه القذيفة أُطلقت غالباً من مجموعة شباب متحمسين كانوا يطلقون النار ويختبئون، وما كانوا بمدركين أن قذيفة آر. بي. جي. واحدة كان من شأنها أن تحمل المهاجمين على الفرار من منطقة الحرش، وإن كانوا عادوا إليها في اليوم التالي ليستمروا في عمليات القتل.

لا بــد مــن المقابلة بين مكان السكن من جهة، وبين زمان الموت ومكانه من جهة أُخرى، ثم التوقف عند عدد الضحايا من الأسرة الواحدة لكل من الضحايا.

من المقاتلين الضحايا العشرة سكان حي الحرش، هناك سبعة قتلوا في الليلة الأولى، بل في الساعات الأولى، أي حين لم يكن هناك أي قتال في الحي وإنما عمليات قتل جماعي.

مــن هؤلاء المقاتلين الضحايا السبعة في الليلة الأولى، أو اليوم الأول، أربعة كانوا مع عائلاتهم يحتمون بملجأ أبو ياسر، وقد قتلوا جميعهم مع عائلاتهم، وهم:

كــارم أحمد جبر حسين: عمره سبعة عشر عاماً. قتل تسعة من أسرته، وكان هو بينهم. قتلــت أمــه صالحة حسين، وعمه الأكبر عبد الله جبر حسين، الذي كان يعاني مرضاً مزمناً. وقتلــت له شقيقتان، نوال وسعاد. وقد كانت سعاد صغرى الإخوة والأخوات في التاسعة، كما قتل له أربعة أشقاء أصغرهم في الحادية عشرة، وهم عماد وفؤاد ومحمد وربيع.

ســهيلة خــالد يوســف محمــد: عمرها تسعة عشر عاماً. كانت تعمل على جهاز للاتصالات في أحد مكاتب الثورة، لكنها في الليلة الأولى من المجزرة قتلت مع كل ذويها. حُرمــت حقها في الدفاع عن شعبها وعن ذويها. وعوضاً عن ذلك باتت تعرف بأنها ابنة الأســرة التــي قتل منها العدد الأكبر من الأفراد في المجزرة؛ قتل من أسرتها أحد عشر فرداً كانوا يحتمون بملجأ أبو ياسر كغيرهم. وكانت سهيلة الابنة الكبرى في هذه الأسرة. قتل والدها خالد يوسف محمد، وأمها فاطمة، وقتل لها شقيقان، هما أكرم وسامر الذي كان فــي عامه الثاني، كما قتل لها ست شقيقات هن سناء وبهاء وليلى وإيمان ومنال وأحلام، وكانت صغراهن أحلام لا تزال طفلة رضيعة.

نــور الديــن ســعود عــوض: عمره خمسة وعشرون عاماً. من الشباب الشجعان المشهود لهم. لكنه لم يكن يدري بما يجري في الحرش، فهرع مع أشقائه الذين كانوا كلهم

أصغر منه، وظن أنه قادر على حمايتهم بملجأ أبو ياسر، لكن الإخوة والأخوات الأربعة قتلوا جميعاً، وهم في تسلسل العمر: نور الدين نفسه، وميسر وفاطمة وحسين الذي كان لا يزال في الثانية عشرة من عمره.

شحاده أحمد شوفاني: عمره ثمانية وعشرون عاماً. بيته بالقرب من ملجأ أبو ياسر. وكان من الطبيعي أن تحتمي العائلة هناك، فلا أحد حذر من مجزرة، ولا أحد نادى على شحاده الشجاع كي يحمل سلاحه. هو الذي حمل أطفاله وذهب إلى الملجأ مع زوجته دلال، لكنها لم تحتمل البقاء، فعادت إلى المنزل مع طفلها الرضيع. وقتل نزلاء الملجأ في أكثر من مكان. وبين هؤلاء قتل ذلك المقاتل شحاده شوفاني؛ قتل ذلك الأب وابنته وفاء التي كانت في الرابعة من عمرها، وابنه أحمد الذي كان في الثانية، كذلك قتلت أمه ثنيا التي هرعت إلى الملجأ لتبقى مع ابنها وأحفادها.

لم تكن عملية التعرف على أصحاب الجثث ممكنة بالنسبة إلى جميع الضحايا، فبعضهم دفن عمداً تحت الأنقاض قبل البدء بالبحث عن الضحايا، وبعضهم دفن قبل وصول الأهل في الأيام الأولى من البحث عن الضحايا، وفي أعقاب كل شائعة عن قدوم جماعة سعد حداد. غير أن هذا لا ينفي أنه تم التعرف على بعض أصحاب الجثث، بينما كان التعرف على الآخرين غير ممكن إمّا بسبب ضياع تلك الجثث، وإمّا بسبب تشوهها إلى الحد الذي بات التعرف على أصحابها أمراً غير ممكن.

أمّا بالنسبة إلى المقاتلين الضحايا الأربعةِ أعلاه، فقد تم التعرف على كل من الضحيتين الأخيرتين، نور الدين عوض وشحاده شوفاني. أمّا كارم حسين وكل أفراد عائلته التسعة فكان من الذين لم يتم التوصل إلى جثة أي منهم. وأمّا بالنسبة إلى الضحية سهيلة محمد، فقد وجدت جثة أبيها، كما وجدت جثة أمها، لكن لم يكن ممكناً التوصل إلى جثث أولادهما التسعة.

هناك ثلاثة آخرون من سكان الحرش قتلوا في الليلة الأولى في أمكنة متعددة من منطقة الحرش، اثنان منهم مع عائلتيهما، وواحد قتل بمفرده.

محمد سليم نزال: عمره ثلاثة وثلاثون عاماً. كان هذا الرجل الشجاع من الذين نودي عليهم كي ينزلوا، ويصطفوا عند الجدار. وحيث قتل محمد كان عدد من الشباب القتلى، في حي الحرش. وقد وجدت جثته، وتم التعرف عليها.

محمد حسين فريجة: عمره أربعون عاماً. كان مشهوداً له بين أقرانه بالجرأة والاتزان، غير أن القدر لم يمنحه شرف الشهادة كما كان يتمنى دائماً ويقول لرفاقه؛ فقد قتل مع ابنه خالد، ابن الثلاثة عشر عاماً. وقد وجدت جثة الأب والابن معاً.

صالح دخيل قاضي: عمره اثنان وخمسون عاماً. أكبر المقاتلين الضحايا عمراً،

ورب عائلـــة، فلــم يقتلوه وحده بل قتلوا معه أيضاً أولاده، الذين كان أكبرهم في الثامنة عشــرة وأصغرهم في العاشرة. كانوا ثلاثة أبناء وابنة واحدة، وهم بسام وابتسام وحسام وعصام. وقد وجدت جثث الضحايا الخمس من هذه العائلة.

في صباح اليوم الثاني، الجمعة، عاد المهاجمون القتلة إلى حي الحرش بعد أن كانوا هــربوا منه في الليلة السابقة، في هذا الصباح قتل ثلاثة من المقاتلين الضحايا من سكان الحي، ومن ضيوف الحي.

صـــالح حسين صالح طيطي: عمره واحد وعشرون عاماً. كان جاء من صور مع ذويـــه في زيارة عائلية لعمته أم غازي ماضي، التي كان بيتها في الحرش على أطراف مخـــيم شـــاتيلا. وكان صالح اسماً معروفاً لدى الجواسيس الذين أخبروا المهاجمين القتلة عنه، فراح هؤلاء ينادون عليه باسمه كي يخرج. وفعلاً خرج من المنزل، وقتلوه، وقتلوا أباه. كما قتلوا ثلاثة من أبناء عمته من عائلة ماضي، وقتلوا أباهم المقعد المريض. وكانت مأساة عائلتي ماضي وطيطي من أكثر المآسي شهرة في شاتيلا. وقد وجدت جثة صالح، كمـــا وجـــدت جثة أبيه. وندبته عمته كما ندبت أولادها، وصاحت: "صالح مقاتل جريء. لكنّو ما راح شهيد متل ما كان يتمنى. راح قتيل."

عماد محمد صادق: عمره ثلاثة وعشرون عاماً. من سكان الحرش اللبنانيين العقلاء والنـــبلاء الذيـــن تقاسموا مع الفلسطينيين الهواء والمكان والرغيف. وقد قتل عماد غدراً كغيره. لكن نهايته كانت أفضل من غيره إذ وجد ذووه جثته ملقاة في الحرش، غير بعيدة عن المنزل.

صـــبحي محمد مغربي: عمره ثلاثة وأربعون عاماً. كان العم الصادق الحنون الذي عجز عن حماية أبناء أخيه، فلمّا قتلوه قتلوا معه خالد وعامر مغربي. وكان أصغرهما لا يزال على مقاعد الدراسة. وقد وجدت جثث الثلاثة في باحة تعج بالضحايا، لكن في أمكنة متقاربة.

ننتقل من حي الحرش إلى حي عرسال المقابل له من جهة الغرب؛ وهو الحي الذي لــم يحدث فيه أي قتال حتى ضد الإسرائيليين قبل المجزرة. فلم يُعرف قط أنه كان مكاناً لإطـــلاق الرصـــاص، حتى في الهواء. كان حي عرسال من الأحياء الأولى التي داهمها المهـــاجمون المســـلحون. وكمـــا اشتهر ملجأ أبو ياسر في حي الحرش، اشتهر في حي عرسال الملجأ الواقع خلف مبنى جمعية الإنعاش الفلسطيني.

هناك اثنان من المقاتلين الضحايا كانا من سكان حي عرسال. وكلاهما قُتل في الليلة الأولى.

حســـين حسن أحمد نجار: عمره خمسة وأربعون عاماً. قُتل في حي عرسال نفسه.

كذلــك قال أكثر من شاهد إنه كان مع مجموعة من سكان الحي الرجال. لكن حين البحث عن الضحايا لم توجد جثة حسين المقاتل الجريء، وسجل اسمه بين المفقودين/الضحايا.

مرعي هولو سكرية: عمره خمسة وأربعون عاماً. من اللبنانيين الذين جاؤوا بيروت مــن بلــدة الفاكهــة فــي البقاع، والذين آثروا السكنى بالقرب من الفلسطينيين، حباً بهم، فكانت له صداقات كثيرة، وبكاه الكثيرون. لم يخبرنا أحد أين كانت نهاية الرجل الشجاع. أخبرنا شاهد أنه يعرفه جيداً، وأنه شاهد جثته ما بين حي عرسال والمدينة الرياضية. لكن ذويه قالوا فيما بعد أنهم لم يجدوا الجثة.

الحــي الواقــع قبالة شاتيلا جنوباً هو حي بئر حسن، ويفصل بينهما شارع السفارة الكويتــية؛ ذلــك الشــارع الحيوي الذي يصل ما بين مستديرة المطار ومستديرة السفارة الكويتية. ويقع في هذا الحي على الطريق العام مستشفى عكا. لم يشهد حي بئر حسن قتالاً قط. فبعض المقاتلين وصل نهار الخميس إلى مستشفى عكا للاستطلاع ولمعرفة مدى تقدم الآلــيات الإســرائيلية. أمّا مع غروب شمس الخميس، فكانت منطقة بئر حسن من أولى المــناطق التي دخلها المسلحون القتلة، فطلبوا من السكان النزول إلى الشوارع، وقد كان ذلــك في الساعة الأولى من ساعات المجزرة. كان المهاجمون أنفسهم ما زالوا مرتبكين ولا يعرفون أين هم تماماً. غير أنهم في اليوم التالي قتلوا من هذا الحي أكثر مما قتلوا في اليوم الأول. وكان هناك مقاتلان بين الضحايا من أبناء هذا الحي.

نــزيه محمــود أحمد: عمره تسعة عشر عاماً. من الشباب المحبوبين، وقد شهد له أصــدقاؤه بالرجولة والاستقامة. كان نزيه من الذين اكتشفهم القتلة صباح الجمعة، وقتلوه ساعة اكتشفوه. لم يُقتل غيره من عائلته. وقد وجدت جثته في بئر حسن.

فهمــي أحمد قاضي: عمره واحد وثلاثون عاماً. من الشباب الذين نودي عليهم، ثم أمــروهم بأن يسيروا في المسيرة الجماعية في ذلك اليوم الجمعة، نحو المدينة الرياضية، قالوا لهم: "يلاّ امشوا قدّامنا للتحقيق." لكنهم قتلوا الكثيرين. بين القتلى كان المقاتل فهمي، الذي لم يتمكن من أي قتال. وقد وجدت جثته بالقرب من المدينة الرياضية.

أمّا بالقرب من المدينة الرياضية، وبالتحديد خلف المدينة، فقد سكنت عائلات كثيرة، كــان يفصــل بينها وبين المدينة شارع ترابي طويل. وهذا الحي الذي يعتبر الأقرب إلى مكــان قــيادة الجيش الإسرائيلي وآلياته، شهد أبشع عمليات التعذيب والقتل الجماعي في الليلة الأولى. وقد كان بين السكان الضحايا أحد المقاتلين.

يحــيى أحمــد محمد: عمره ثلاثون عاماً. كان مع زوجته خولة من أولى الضحايا. وهــناك شهود. وقد وجدت جثتاهما خلف المدينة الرياضية أيضاً، في المكان نفسه، حيث قتلا. فقد جمعهما الموت معاً كما جمعتهما الحياة.

المقاتل الضحية الأخير من سكان ضواحي شاتيلا الملاصقة لها والتي طالتها يد الجلاد.

ريـــاض محمـــود جميلة: عمره تسعة عشر عاماً. من مدينة يافا أصلاً، ومن الذين حملوا الجنسية الأردنية، ومن الذين شهد ذووه بأنه كان مقاتلاً، لكنهم شهدوا أيضاً بأنهم لم يجدوا جثته، ولا جثة شقيقته سمر التي قتلت معه، والتي كانت لا تزال طالبة في الرابعة عشرة من عمرها.

هؤلاء أعلاه هم الضحايا الستة عشر، الذين أصر ذووهم على أن يسجل إلى جانب كل منهم أنه مقاتل، لكن أحداً منهم لم يتمكن من القتال.

أمّــا من كان مقاتلاً من المخطوفين الفلسطينيين الستة والستين، فالذين خطفوهم هم أدرى الناس من أين أخذوهم، وكيف، وما من أحد روى أن هناك اشتباكاً جرى واقتيد من بعــده أســرى، وذلك لسبب بسيط هو أن اشتباكات من هذا النوع لم تحدث. فالاشتباكات المحدودة جداً التي جرت كانت من نوع التصويب عن بعد، واشتباكات كهذه لا يؤخذ فيها أســرى أساساً بحكم طبيعتها، ذلك بأنها تتيح للفتى المقاتل بعد أن يطلق ما في سلاحه من ذخيرة أن يعود حالاً إلى عمق الزاروب الذي وقف في أوله.

مع ذلك، فهناك شاب مخطوف هو **خالد محمد عاصي سعدي**، قالت عنه أخته فهمية باعــتزاز إنه مقاتل؛ فكان هذا هو المقاتل الوحيد من ستة وستين فلسطينياً أُتي إلى ذكرهم فـــي الدراســـة الميدانية!! لكنه ساعة اختطفوه يوم الجمعة لم يكن يقاتل، إذ كان مع والده محمد سعدي الموظف في نادي الغولف، والذي اختطفوه أيضاً، وقد كان كهلاً في الستين من عمره. أمّا ابنه الشاب فكان في ربيعه الحادي والعشرين.

ولا جــواب عــن هذا السؤال: كيف جاء المهاجمون القتلة بحجة القبض على ألفي "مخــرب"، أي مقـــاتل، غير أنهم لم يقبضوا سوى على شاب واحد كان يسير إلى جانب والده وجماهير شاتيلا نساء وأطفالاً وشباباً وشيوخاً؟ كيف؟

غـــير أن هناك جواباً عن هذا السؤال: هل كانوا يعرفون أن هذا الشاب بالذات من دون الجموع كلها شاب مقاتل؟

حتماً لم يعرفوا، ذلك بأن التهمة كانت كونه فلسطينياً أولاً وآخراً.

سابعاً: ماذا عن "بلطة الدامور"؟

ســـرت في أعقاب المجزرة شائعة فحواها أن كتيبة من كتائب الميليشيات المسيحية يطلق عليها "كتيبة الدامور" هي التي قامت بالمجزرة، وكأن أصحاب هذه الأقوال تصوروا أن في هذه التسمية وحدها مبرراً كافياً للقيام بأي عمل انتقامي.

صـــدق البعض هذه الشائعة، وكذبها البعض الآخر متسائلاً: أين هي هذه الكتيبة؟ لمَ

لمْ نسمع بها؟

يشـهد تاريخ الحروب الأهلية في لبنان على مأساة الدامور، البلدة المسيحية الجميلة الهادئـة علـى شاطئ البحر ليس بعيداً عن بيروت؛ فهذه البلدة اضطر أهلها إلى الهجرة مـنها، فكانـت هي وأهلها من ضحايا "الحروب الأهلية" كما يسميها البعض في لبنان، أو كما يسميها البعض الآخر "حروب الآخرين على أرضنا"، وهي الحروب التي اندلعت في منتصف السبعينات من القرن العشرين. ولن ندخل في تفصيلاتها.

كما أننا لن ندخل في تفصيلات مأساة تل الزعتر، المخيم الفلسطيني الذي كان يضج بالحـياة والـذي سقط بعد حصار طويل، فكانت مأساة هذا المخيم واضطرار سكانه إلى الهجرة منه نقطة تحول في حياة اللاجئ الفلسطيني في لبنان. ذلك بأن مأساة تل الزعتر لم تقتصـر علـى سـقوطه أو على الهجرة منه، أو على خسارة من قضى من أبنائه مقاتلاً شهيداً، أو قتيلاً مغدوراً، وإنما استمرت وكبرت بمرور الزمن، وذلك لأن أحداً من شبابه الذين هاموا في الجبال في أعقاب سقوطه، لم يعد يوماً.

حتى هذا اليوم، وبعد أكثر من ربع قرن، ما زال كل هؤلاء من المفقودين.

وقعت مأساة مخيم تل الزعتر في صيف سنة ١٩٧٦، ففتحت جامعات ومدارس في "بـيروت الغربية" كانت مغلقة بسبب العطلة، كما فتحت "شاليهات" على البحر، لاستيعاب اللاجئين من تل الزعتر. أمّا بعد أن داهم الشتاء هؤلاء، فكان لا بد من إيجاد أماكن لهم. وتضـاعفت أحزان الكثيرين منهم لمّا أجبروا على الانتقال للسكنى في الدامور، في بيوت كان أصحابها غادروها. ولسنا هنا في صدد مناقشة منطق ظلم الحروب الأهلية، وهذا إن يكـن هـناك للظلم من منطق، لكنها شهادة حق بأن معظم هؤلاء السكان الجدد في بيوت الدامور كان يشعر بالغصة لا بالفرحة لكونه وجد بيتاً يؤوي أسرته. فهؤلاء الذين عاشوا حياتهم من هجرة إلى هجرة، هم أعلم الناس بما كان يشعر به سكان الدامور الذين ولدوا فيها وبنوها حجراً حجراً، وما زالوا لا يستطيعون العودة إليها (راجع في الرواية الخامسة والأربعيـن، "باحثة عن أمها"، عن تجربة أسرة فلسطينية سكنت ما بين شتاء سنة ١٩٧٦ وصيف سنة ١٩٨٢ في الدامور).

فـي أثـناء المقـابلات مع ذوي الضحايا في القسم الأول، توقعنا أن يكون لقضية الدامور دور أكبر، دور يوازي على الأقل الشائعات التي كانت تتردد على الألسن، ومنها أن المهاجميـن القتلة كانوا يصرخون في وجوه أهل شاتيلا قبل أن يقضوا عليهم: "هيدي بلطة الدامور". فقد اتضح لنا أن بلطة الدامور كانت هناك فعلاً، لكنها لم تكن بالحجم الذي أشـيع عـنها، وفي هذا إشارة إلى أن لمجزرة صبرا وشاتيلا أبعاداً هي أبعد جداً من بعد الدامور عن بيروت.

حين سنحت لي الفرصة للقيام بالدراسة الميدانية بعد عام ونصف عام من وقوع المجزرة، كانت العلاقات المتشابكة ما بين الدامور وتل الزعتر وصبرا وشاتيلا من المسائل التي كنت بحثت عنها مطولاً في أثناء المقابلات، لكنني مع ذلك لم أصل إلى قناعات كافية تجيب عن السؤال المتعلق بمدى هذه العلاقات، ومن هنا كان لا بد من التوجه إلى كل العائلات التي خسرت ضحايا وتلك التي تعرض أفراد منها للخطف، بسؤال عن مسلسل الهجرة الذي عانوا جرّاءه. وقد كانت الإجابات عن هذا السؤال هي الأطول في استمارات الدراسة الميدانية.

ولنبدأ.

لم يكن مخيم تل الزعتر تاريخياً هو سبب المأساة الفلسطينية؛ فقد كان، كما عشرات المخيمات الفلسطينية، هو النتيجة. أمّا السبب الأول والأوحد فكان الخروج من فلسطين.

من هناكِ تبتدئ الحكاية، من فلسطين.

السؤال الأول إذاً: من أين جاءت تلك العائلات المنكوبة التي فقدت كل واحدة منها ضحايا أو مخطوفين في صبرا وشاتيلا؟

يتوزع الضحايا والمخطوفون من الفلسطينيين على ١٤٧ عائلة. غير أننا لم نتمكن من متابعة مسلسل الهجرات منذ سنة ١٩٤٨ إلاّ لـ ١٣٥ عائلة منها؛ ذلك بأن نوعية معلومات كهذه تتطلب وجود فرد كبير في العائلة يعرف تاريخها، بينما المعلومات التي تؤخذ من صديق أو جار ــ في هذا المجال ــ تكون غير دقيقة، كما أنها قد لا تتوفر أساساً. وقد سجلت أسماء العائلات في الجدول الرابع عشر، الذي يحتوي بالنسبة إلى كل عائلة على المكان الأول الذي جاءت منه، ثم على سلسلة الهجرات التي تعرضت لها العائلة. فمنها من هاجرت مرة واحدة، فجاءت من فلسطين إلى شاتيلا منذ البداية ولم تغادر المخيم، ومنها من تعرضت لأكثر من هجرة بلغت ما بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٨٢ أربع هجرات في أقصى الحالات. كذلك تحتوي اللائحة على السنوات التي تمت فيها كل هجرة، وأخيراً على رقم استمارة رب العائلة أو الأكبر عمراً في "سجل الدراسة الميدانية لصبرا وشاتيلا"، ذلك بأن المعلومات التي تتضمن تاريخ العائلة كانت تدون مرة واحدة في استمارة الأكبر عمراً بين أفراد العائلة (أنظر الجدول رقم ١٤ ــ عائلات الضحايا والمخطوفين الفلسطينيين: الهجرات والتنقلات).

هناك ٢٧ عائلة لم تحدد المدينة أو القرية التي جاءت منها، وفضلت أن يبقى اسم فلسطين هو الرمز ومسقط الرأس، فسجلت هذه العائلات أنها جاءت من فلسطين. أمّا بين جميع العائلات الأُخرى فتحتل مدينة يافا الانتماء الأول، إذ هناك ٢١ عائلة منكوبة جاءت منها، وتتبعها مدينة صفد بوجود ١٦ عائلة منها، ثم مدينة حيفا وضواحيها ١٢ عائلة، ثم مدينة عكا التي كان منها ٩ عائلات.

أمّا من كل من قريتي الخالصة والناعمة فكان هناك ٧ عائلات، كما كان هناك ٦ عائلات من ترشيحا، و٥ عائلات من كل من دير القاسي والقرى الشمالية، و٤ عائلات من كل من البقيعة وصفورية وسحماتا، و٣ عائلات من شفا عمرو، وعائلتان من مدينة الخليل، وعائلة واحدة من كل من قرى الكابري ومجد الكروم وسيرين.

هذه العائلات الـ ١٣٥ التي كانت على أرض المجزرة في أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، لم تكن كلها موجودة في المكان نفسه في أعقاب نكبة فلسطين، عام الهجرة الأول، أو عام التهجير، ولا حتى خلال العام التالي. كان منها ٥٣ عائلة فلسطينية استقرت منذ البداية بصبرا وشاتيلا. أمّا العائلات الأُخرى فكانت موزعة في مختلف أنحاء لبنان، فوصلت في الهجرة الأولى ١٧ عائلة إلى مخيمات صور، كما وصلت ٢١ عائلة إلى مختلف أنحاء جنوب لبنان، وخصوصاً صيدا والغازية ومرجعيون والنبطية، وكذلك إلى ميه وميه وعين الحلوة. وإلى البقاع عامة وصلت ١١ عائلة، و٧ عائلات إلى بعلبك. كما وصلت إلى شمال لبنان ٨ عائلات. وأمّا إلى بيروت وضواحيها، فبالإضافة إلى صبرا وشاتيلا، وصلت ١٥ عائلة إلى تل الزعتر، وعائلتان إلى برج حمود، وعائلة واحدة إلى المسلخ.

مع تتبع الهجرات والتنقلات حتى سنة ١٩٨٢ لمعرفة عدد الهجرات لكل من هذه العائلات، يتضح أن هناك ٥٣ منها لم تهاجر غير مرة واحدة، وتلك هي العائلات التي استقرت بصبرا وشاتيلا منذ البداية، وهناك ٤٣ عائلة هاجرت كل منها مرتين، و٢٩ عائلة هاجرت كل منها ثلاث مرات، بينما هناك ١٠ عائلات هاجرت كل منها أربع مرات.

ومن أسماء الأماكن والسنوات يتضح أن هناك عاملين أساسيين وراء كثرة التنقل:

العامل الأول طبيعي وله وجهان: وجه اقتصادي وآخر إنساني. فكثيراً ما كانت عائلة ما تنتقل من مكان إلى مكان آخر حيث يتوفر عمل لأحد أفرادها، وهذا إذا تمكنت من الانتقال. أمّا الوجه الإنساني فهو يتعلق بكثير من العائلات التي فرضت عليها الهجرة أول مرة بشكل باعد بينها وبين أقربائها، لكن حالما تم بعض الاستقرار النسبي، عادت العائلات لتجتمع في مخيم واحد، أو في أمكنة متقاربة.

أمّا العامل الثاني فعامل غير طبيعي وغير إنساني، وناجم عن ظروف الحروب القسرية التي كانت تضطر الناس إلى التنقل، وهذا ما دعا سنوات الاجتياح الإسرائيلي إلى أن تصبح معالم أساسية في هذه التنقلات، كسنة اجتياح الجنوب ١٩٧٨، وكذلك سنة ١٩٨٢.

ننتقل من الصورة العامة أعلاه إلى الصورة الخاصة بتل الزعتر، وما يعنينا هنا في المقام الأول متابعة هجرة عائلاته بعد سقوطه.

ذكرنا أعلاه أن هناك ١٥ عائلة استقرت نسبياً في الهجرة الأولى سنة ١٩٤٨ بمخيم تل الزعتر. أمّا ما أطلقنا عليه الهجرة الثانية، فلا سنة محددة لها، بل هناك أكثر من سنة

وفقـــاً لظروف هذه العائلة أو تلك. ويتضح أن هناك ١٤ عائلة أُخرى عادت فاستقرت كل منها في هجرتها الثانية من مختلف المناطق بتل الزعتر ما بين سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٦٨. وتضـــاف إلـــى هذه العائلات عائلة واحدة كان مخيم تل الزعتر بالنسبة إليها هو الهجرة الثالثة، فهذه جاءت من صفد إلى مرجعيون إلى الدكوانة، ومن ثم إلى تل الزعتر.

يتضح من الفقرة أعلاه أن مجموع العائلات التي خسرت ضحايا ومخطوفين في مجزرة صبرا وشاتيلا من سكان تل الزعتر سنة ١٩٧٦، سنة سقوط المخيم، كان ٢٩ عائلة.

والسؤال: هل حملت كل هذه العائلات أطفالها، واستقرت ببلدة الدامور بمجرد سقوط تل الزعتر، وبغض النظر عن كل العوامل والظروف؟

ولـــنطرح الســـؤال بشـــكل آخر: هل كانت الدامور بالنسبة إلى هذه العائلات هي المستقر بديلاً من فلسطين، أم مجرد ملجأ موقت حتى تنتهي الحروب الأهلية؟

والسؤال أيضاً: كم من هذه العائلات وصل فعلاً إلى الدامور؟

بـــناء علـــى الجدول رقم ١٤، ومع متابعة الهجرة من تل الزعتر سنة ١٩٧٦ إلى الأماكن الأُخرى، تتضح هجرات العائلات التسع والعشرين، سنة ١٩٧٦، كالتالي:

١٥ عائلة هاجرت من تل الزعتر إلى صبرا وشاتيلا.

١٠ عائلات هاجرت من تل الزعتر إلى الدامور.

٤ عائلات هاجرت من تل الزعتر إلى مخيمات صور.

العائلات الخمس عشرة التي استقرت بصبرا وشاتيلا منذ سقوط تل الزعتر بقيت فيهما.

العـــائلات الأربـــع التي ذهبت إلى مخيمات صور، هاجرت ثلاث منها إلى صبرا وشاتيلا سنة ١٩٧٨ بسبب الاجتياح الإسرائيلي للجنوب، بينما عادت الرابعة فهاجرت إلى صبرا وشاتيلا في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي سنة ١٩٨٢.

أمّـــا العـــائلات العشـــر التي ذهبت إلى الدامور، فقد عادت فهاجرت تسع منها إلى صبرا وشاتيلا في صيف سنة ١٩٨٢ بسبب الاجتياح الإسرائيلي للبنان، بينما كانت العائلة العاشرة انتقلت إلى صبرا وشاتيلا قبل ذلك، سنة ١٩٧٩، لتبقى في جوار أقرباء لها.

وهكـــذا، كـــان من سكان تل الزعتر الذين انتقلوا إلى الدامور ١٠ عائلات فقط من مجموع ١٣٥ عائلة نكبت في مجزرة صبرا وشاتيلا.

نسبة هؤلاء ٧,٤١٪ من العائلات المنكوبة.

لكـــن، حـــتى تلك العائلات العشر، هل كانت هي أساساً مسؤولة عن مسلسل جرائم الحروب الأهلية المتعاقبة على الأراضي اللبنانية؟ هل كانت مسؤولة عن مأساة الدامور؟

أي عاقل، أو أي مجنون، على استعداد ليقول: نعم، هي المسؤولة.

العقـــل والجـــنون قـــد يتصارعان في أعماق الإنسان الواحد في مثل هذه الحروب

العبثية اللامسؤولة.

ونحن كنا في هذه الدراسة في غنى عن هذا البند الذي استغرق العمل عليه أكثر من أي بند آخر في الدراسة الميدانية، لكننا أردنا أن نثبت وجهاً آخر من وجوه الظلم الذي اجتاحت غربانه السود سماء صبرا وشاتيلا، وخصوصاً أن الوجه الواضح والبارز كان قتل الجميع، النساء والأطفال والفتيات والفتيان والشباب والشيوخ. كان بكلمة موجزة قتل الشعب. فهل تستحق "بلطة الدامور" هذه الوقفة كلها؟

حقاً إنها ليست حكاية "بلطة الدامور"، وإنما هي حكاية الفتيان من سكان صبرا وشاتيلا الذين شاهدوها، وهم صغار. أمّا اليوم وهم شباب لا يمتلكون غير الذكريات الأليمة، فهذه الصفحات لهم، كي يعلموا أن ما من عدل يستتب فوق رؤوسهم، وهم لاجئون.

ثامناً: ماذا عن "الهجرة من شاتيلا"؟

من الشائعات التي اجتاحت شاتيلا قبل اجتياح المجزرة أن المنطقة ستفرغ من سكانها وسيبنى مكان بيوتهم المنخفضة المتراصة حديقة للحيوانات.

وتحولت الشائعة إلى سؤال عن مصير شاتيلا عندما قال البعض إنها ليست شائعة، وإنما الرئيس المنتخب الشيخ بشير الجميل هو من قال ذلك.

لكن، كما يحدث بعد كل شائعة، أو قول مستهجن، هناك من صدق وهناك من كذب.

الذين كذبوا هذا الكلام قالوا إنه من أقوال الحرب والحرب المضادة ليس إلاّ، فأين يذهب الناس إذاً؟

والذين صدقوه قالوا لعل هناك صفقة ما تؤدي إلى إخراج اللاجئين من شاتيلا ومن غيره من المخيمات الفلسطينية على الأراضي اللبنانية. لكن ما من أحد كان لديه الوقت الكافي في تلك الأيام الحرجة كي يفكر أكثر؛ حتى إن ما من أحد خطر بباله أن هناك عائقاً أساسياً يستحيل معه تطبيق المشروع، وهو أن مساحة شاتيلا كلها لا تكفي لتكون جزءاً صغيراً جداً من مساحة حديقة حيوانات حديثة، تليق ببلد حديث!!

أمّا بعد أن وقعت المجزرة، وبعد أن تبجح الكثيرون من المهاجمين القتلة بما فعلوه، فمن أقوال هؤلاء أنهم ما كانوا يهدفون إلى القضاء على "المخربين" وحدهم، بل على كل من استطاعوا قتله؛ ذلك بأن الهدف الرئيسي الذي أعلنه أمثال هؤلاء كان طرد الفلسطينيين من مخيم شاتيلا وجواره.

بعد عشرة أيام من المجزرة نشرت جريدة "هآرتس" الإسرائيلية تقريراً لمراسلها العسكري زئيف شيف وزميله مناحم هوروفيتس، جاء فيه أن كشفاً قامت به عناصر مختصة ومفوضة في المخيمات بعد المجزرة أظهر أن هذه العملية لم تكن مجرد عملية

انتقام فورية لمقتل بشير الجميل، وإنما كانت عملية أُعد لها سلفاً، وتهدف إلى تهجير جماعي للفلسطينيين من بيروت ولبنان.(١٤)

ثم نشر لورين جنكينز في جريدة "واشنطن بوست" أن أفراد الميليشيا اللبنانية المسيحية دخلوا المخيمات بناء على عملية كان خطط لها وأقرها عدد من كبار المسؤولين العسكريين في ميليشيا القوات اللبنانية التابعة لبشير الجميل، وقد كان الجميل نفسه على رأس هؤلاء الذين أعدوها وأقروها، وذلك قبل اغتياله في الرابع عشر من أيلول/سبتمبر. ولم يكن هناك شيء في تلك الخطة يدعو إلى مجزرة عبثية كتلك التي جرت في مخيمات صبرا وشاتيلا. لكن بناء على مصادر متعددة فالخطة كانت قائمة على الاعتقالات، والاستجوابات، وهدم البيوت، بشكل يبعث الهلع بين الفلسطينيين اللاجئين في لبنان، الأمر الذي يؤدي إلى هجرتهم من البلد.(١٥)

فهل نجحوا حقاً في بث الرعب في قلوب من بقي من السكان الفلسطينيين حتى حملوهم على الهجرة من صبرا وشاتيلا؟

من أجل معرفة مصير العائلات الفلسطينية، كان هناك في الاستمارة أسئلة عن عدد الأفراد الذين غادروا بعد المجزرة بقصد العمل، أو هاجروا نهائياً. ولم نحصل على إجابات سنة ١٩٨٤ تفيد بأن فكرة الهجرة نهائياً راودت الشباب كأفراد؛ فالإجابات كانت مقنعة بأن فلاناً أو فلاناً قد غادر للعملَ في الخارج، وفي الدول الخليجية بصورة خاصة. أمّا عن هجرة العائلات فقد علمنا أن هجرة بعضها تمت فعلاً، لكن كم عددها، وما نسبتها؟

شمل الإحصاء كل العائلات الفلسطينية التي خسرت ضحايا ومخطوفين. بالنسبة إلى عائلات الضحايا كان هناك ٦٢ عائلة خسرت كل منها ضحية واحدة، كما كان هناك ٣٤ عائلة خسرت كل منها ما بين ضحيتين وإحدى عشرة ضحية. وهكذا يبلغ مجموع العائلات التي خسرت ضحايا ٩٦ عائلة (أنظر ملحق لوائح الأسماء: اللائحة رقم ١ ـ ضحايا صبرا وشاتيلا، استناداً إلى الدراسة الميدانية/١٩٨٤).

بالنسبة إلى عائلات المخطوفين، هناك ٤٠ عائلة خطف من كل منها فرد واحد، و١١ عائلة خطف من كل منها فردان أو ثلاثة أو أربعة من أفرادها. وهكذا يبلغ مجموع العائلات التي خسرت مخطوفين ٥١ عائلة (أنظر ملحق لوائح الأسماء: اللائحة رقم ٢ ـ المخطوفون في صبرا وشاتيلا، استناداً إلى الدراسة الميدانية/١٩٨٤).

---

(١٤) Ze'ev Schiff & Menahem Horowitz, "Massacre not Revenge planned Earlier," *Ha'aretz*, September 28, 1982, as cited in ibid., p. 52.

(١٥) Loren Jenkins, "Phalangists implicated in Massacre," *Washington Post*, September 30, 1982, as cited in ibid., p. 55.

وبالتالي يبلغ مجموع العائلات التي خسرت ضحايا ومخطوفين ١٤٧ عائلة.

مــن هذه العائلات هناك ٢٠ عائلة غادر من كل منها فرد واحد، الأب أو الابن أو الابنة، من أجل كسب لقمة العيش. كذلك هناك ٤ عائلات غادر فردان من كل منها بهدف العمــل أيضاً. ومجموع هذه العائلات ٢٤ عائلة، وهي لا تدخل في حسابات الهجرة، ما دامت العائلة بقيت في صبرا وشاتيلا، وما دام هدف هؤلاء الأفراد كان العمل.

بالنسبة إلى السؤال عن الهجرة النهائية، كانت حصيلة الأجوبة أن هناك ٥ عائلات قــتل أفرادها ولم يبق من كل منها سوى فرد واحد في قيد الحياة، وقد هاجر هذا الوحيد الــذي بقي من أسرته؛ كذلك هناك عائلة واحدة بقي منها اثنان فقط، وقد هاجرا معاً؛ أمّا العــائلات التــي هاجــر كل من بقي فيها حياً، فكان عددها ١٢ عائلة. وهكذا يبلغ عدد العائلات التي هاجرت بشكل نهائي ١٨ عائلة.

ولمّــا كان مجموع العائلات الفلسطينية التي خسرت ضحايا ومخطوفين ١٤٧ عائلة كما ذكــرنا أعــلاه، فنسبة العائلات المهاجرة تبلغ إذاً ١٢,٢٤٪ (أنظر الجدول رقم ١٥ ــ مصير العائلات الفلسطينية).

لا منطق يقول إن هجرة نسبتها نحو ١٢٪ تعتبر هجرة كبيرة، أو هجرة بمعنى الكلمة.

هدف التهجير كان هدفاً فاشلاً إذاً.

مجــزرة ديــر ياسين التي استمرت ساعات معدودة في نيسان/أبريل ١٩٤٨ كانت المجــزرة الأولــى فــي تاريخ الشعب الفلسطيني الحديث، وكان الهدف الرئيسي وراءها تهجير الفلسطينيين من كل فلسطين.

ولــم تكــن صبرا وشاتيلا التي استمرت أياماً معدودة هي الأخيرة، ولن تكون حتى جنين في نيسان/أبريل ٢٠٠٢ هي الأخيرة، ما دام المحتل محتلاً.

الفلسطينيون في صبرا وشاتيلا لم يهاجروا، وإنما بقي منهم ما نسبته ٧٨,٧٦٪ على الرغم من كل الآلام، في انتظار العودة إلى الوطن.

خلاصة

كتــب يومــاً المؤرخ الأميركي هوارد زن بسخرية راقية لا يتمتع بها غير قلة من المؤرخيــن العلمــاء، متــناولاً الدراسات التي تغدق عليها الحكومة الأميركية منحاً مالية ضــخمة، فــراح يصف كيف يندفع فريق من العلماء المتخصصين، وهم مسلحون بالمال الوفــير والتخصــص العالي، نحو منطقة "غيتو" معزولة يعيش فيها السود. وبعد قيامهم ببحــث مســتفيض ومــنمق يخرجون باستنتاجات مهمة جداً، تنشرها لهم أرقى المجلات العلمــية، ثــم يتضح أن أهم استنتاجاتهم يتلخص في أن السكان السود الذين يعيشون في

"الغيتو" هم فقراء، وأن لديهم مشكلات عائلية!![١٦]

طــوال مرحلة جمع الاستمارات وتدقيقها ومحاولة تصور النتائج، كنت دائماً أطرح السـؤال ذاتــه علــى نفسي: هل أنا أقوم بدراسة كتلك التي تحدث عنها هوارد زن؟ هل انتظرت طوال تلك الأشهر الطويلة المملوءة باجترار المأساة ما بين أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ وأيــار/مــايو ١٩٨٤، منتظرة الفرصة الأمنية التي تسمح بالتنفس أولاً، وبدخول صبرا وشاتيلا ثانياً، مع عدم الخوف من مصادرة الأوراق، فقط لأقول إن سكان صبرا وشاتيلا هم فقراء، وأن لديهم مشكلات لا تحصى، تتقدمها المشكلات السياسية؟

حقــيقة، هــناك فارقــان رئيســيان بين مَثَل المؤرخ هوارد زن وبين مَثَل الدراسة الميدانية في هذا الفصل. فأعضاء فريق الدراسة لم يكونوا مسلحين بأي مال، وإنما كانوا يقومون بأعمالهم تبرعاً؛ كما أنهم لم يكونوا من العلماء، وإنما كانوا هم أنفسهم من سكان "الغيتو الفلسطيني"، الذي يشبه "الغيتو الأسود" الذي أشار إليه هوارد زن؛ كانوا من سكان صبرا وشاتيلا.

أكثر من ذلك، فهم لم يذهبوا ليقولوا إن السكان فقراء، بل ذهبوا لما هو أكثر بساطة وبداهــة مــن ذلك بكثير، إنهم ذهبوا ليقولوا فقط إن هناك سكاناً، لا أكثر ولا أقل، ثم كي يثبــتوا أن هؤلاء السكان هم بشر يعيشون ككل البشر، لكنهم بشر لم تسلب منهم فقط تلك الحقوق التي اعتاد السكان في كل "غيتو" أينما كان على سلبها منهم؛ فسكان صبرا وشاتيلا قد سلبت منهم أول الحقوق الإنسانية، وهو الحق في الحياة.

هــم ذهــبوا لــيقولوا إن هــؤلاء الضحايا الذين قتلوا في صبرا وشاتيلا لم يكونوا "مخربيــن"، وإنمــا كانوا أمهات وآباء وأطفالاً وفتيات وشباباً وكهولاً وشيوخاً؛ وأنهم ما كانوا فلسطينيين فقط، وإنما كان معهم لبنانيون وسوريون ومن مختلف الجنسيات العربية، وكــان معهم عمال من باكستان وبنغلادش وتركيا وإيران وجدوا في شاتيلا غرفاً تؤويهم، لكنهم ما وجدوا دولة مضيفة تحميهم.

إن الادعاء الكاذب النزق بأن ما حدث كان معركة لا مجزرة، وبأن القتلى كانوا في أغلبيــتهم العظمى من الشباب "المخربين"، لهو ادعاء ينبع مما هو أعمق جداً من الكلمات المعلــنة؛ فهو ادعاء ينبع من جوهر الأيديولوجيا الاستعمارية الاستيطانية التي تنفي وجود الشــعب أساساً. فكما نفى الحكام الأميركيون وجود الهنود الحمر، نفى الصهيونيون وجود الشعب الفلسطيني.

قالــت لــنا هذه الدراسة إن مرتكبي مجزرة صبرا وشاتيلا نجحوا في قتل السكان، لكنهم فشلوا في قتل الإنسان.

---

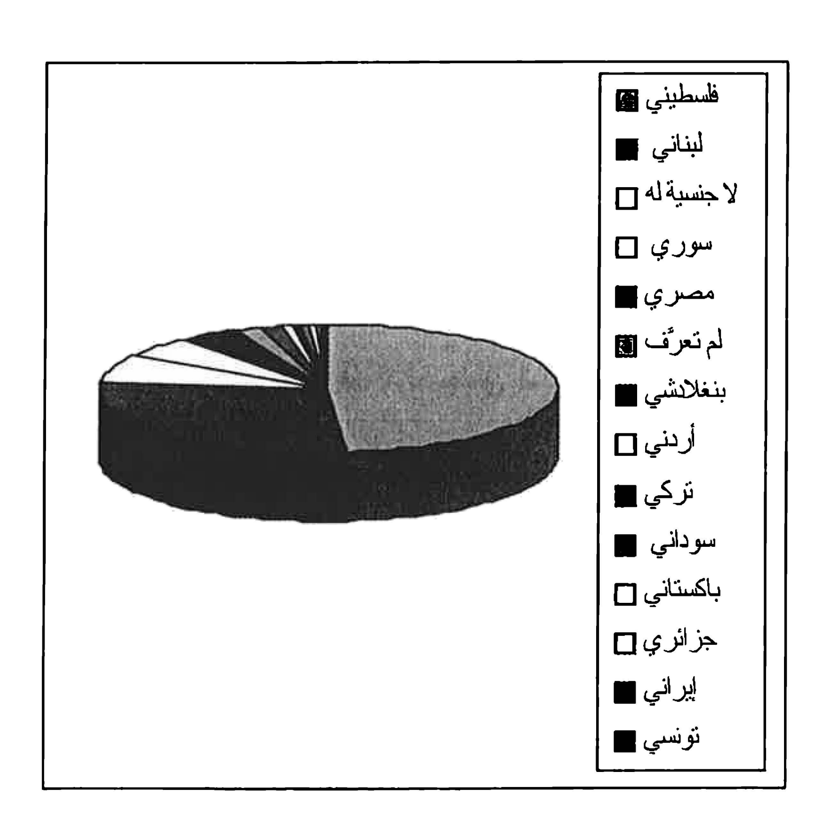
(١٦) Howard Zinn, *The Politics of History* (Boston: Beacon Press, 1970), p. 7.

الجدول رقم ١ ــ مصادر الاستمارات

الضحايا				المخطوفون			
توصيف البند	المصدر	العدد	٪	توصيف البند	المصدر	العدد	٪
قريب داخل الأسرة الواحدة	أ – ١	٢٣١	٥٣,٧٢	قريب داخل الأسرة الواحدة	أ – ١	٨٣	٨٣,٠٠
قريب من العائلة الموسعة	أ – ٢	٦٩	١٦,٠٥	قريب من العائلة الموسعة	أ – ٢	٣	٣,٠٠
صديق	أ – ٣	٥٢	١٢,٠٩	صديق	أ – ٣	٢	٢,٠٠
جار	أ – ٤	٣٥	٨,١٤	جار	أ – ٤	٨	٨,٠٠
شاهد	أ – ٥	٤٣	١٠,٠٠	شاهد	أ – ٥	٤	٤,٠٠
المجموع		٤٣٠	١٠٠,٠٠	المجموع		١٠٠	١٠٠,٠٠

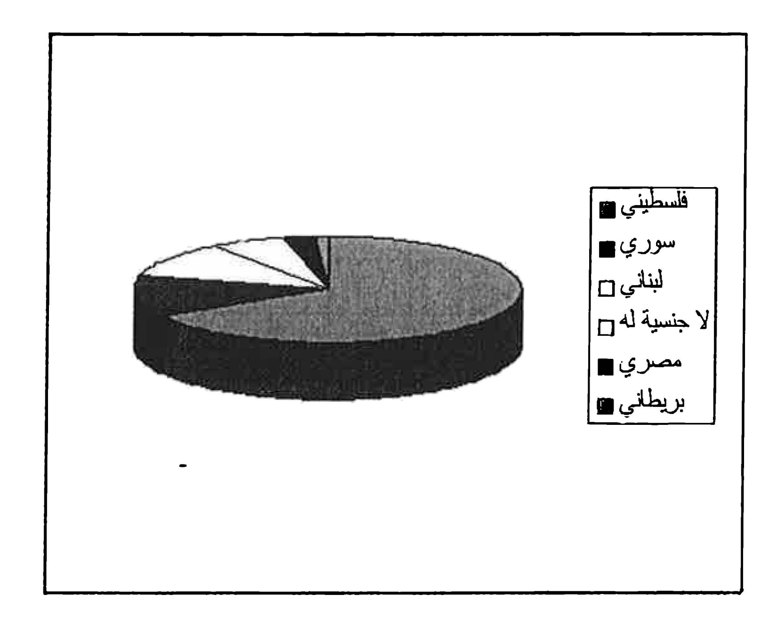
الجدول رقم ٢ / أ ـ جنسيات الضحايا

الجنسية	المجموع	٪
فلسطيني	٢٠٩	٤٨,٦٠
لبناني	١٢٠	٢٧,٩١
لا جنسية له	٣١	٧,٢١
سوري	٢٣	٥,٣٥
مصري	١٨	٤,١٩
لم تعرّف	٩	٢,٠٩
بنغلادشي	٦	١,٤٠
أردني	٣	٠,٧٠
تركي	٣	٠,٧٠
سوداني	٢	٠,٤٧
باكستاني	٢	٠,٤٧
جزائري	٢	٠,٤٧
إيراني	١	٠,٢٣
تونسي	١	٠,٢٣
المجموع	٤٣٠	١٠٠,٠٠



الجدول رقم ٢ / ب ــ جنسيات المخطوفين

الجنسية	المجموع	٪
فلسطيني	٦٦	٦٦,٠٠
سوري	١٣	١٣,٠٠
لبناني	١١	١١,٠٠
لا جنسية له	٦	٦,٠٠
مصري	٣	٣,٠٠
بريطاني	١	١,٠٠
المجموع	١٠٠	١٠٠,٠٠



الجدول رقم ٣ ــ جنس الضحايا

الجنس	المجموع	٪
ذكر	٣٠٣	٧٠,٤٧
أنثى	١١٢	٢٦,٠٥
غير معروف	١٥	٣,٤٩
المجموع	٤٣٠	١٠٠,٠٠

الجدول رقم ٤ / أ ـ الضحايا: فئات العمر

فئة العمر	المجموع	٪
جنين	٦	١,٤٠
رضيع سنة	١٨	٤,١٩
٢–٣	١٢	٢,٧٩
٤–١٢	٥٨	١٣,٤٩
١٣–١٨	٦٧	١٥,٥٨
١٩–٣٠	١٠٥	٢٤,٤٢
٣١–٤٠	٤٧	١٠,٩٣
٤١–٥٠	٤٧	١٠,٩٣
٥١–٦٠	٢٩	٦,٧٤
٦١–٧٠	١٩	٤,٤٢
٧١ فما فوق	٢٢	٥,١٢
المجموع	٤٣٠	١٠٠,٠٠

الجدول رقم ٤ / ب ـ الأطفال الضحايا: العمر / الجنسية

فئة العمر	العدد	٪	فلسطيني	لبناني	لا جنسية له	مصري	سوري	لم يُعرَف
جنين	٦	١,٤٠	١	٥				
رضيع سنة	١٨	٤,١٩	٥	٤				٩
٢ـ٣	١٢	٢,٧٩	٧	٤		١		
٤ـ١٢	٥٨	١٣,٤٩	٣٣	١٩	٢		٤	
المجموع	٩٤	٢١,٨٦	٤٦	٣٢	٢	١	٤	٩

الجدول رقم ٤ / ج ـ الضحايا من ١٣ إلى ١٨ سنة: العمر / الجنسية

فئة العمر	العدد	٪	فلسطيني	لبناني	لا جنسية له	سوري	مصري	أردني
١٣ـ١٨	٦٧	١٥,٥٨	٣٥	٢١	٥	٤	١	١

الجدول رقم ٤ / د ــ الضحايا من ١٩ إلى ٥٠ سنة: العمر / الجنسية

فئة العمر	العدد	٪	فلسطيني	لبناني	لا جنسية له	سوري	مصري	أردني	جزائري	تركي	بنغلادشي	باكستاني	إيراني	سوداني
١٩—٣٠	١٠٥	٢٤,٤٢	٤٥	٢٨	٨	٤	٩	١	١	١	٦	٢		
٣١—٤٠	٤٧	١٠,٩٣	٢٢	٨	٦	٢	٥			٢			١	١
٤١—٥٠	٤٧	١٠,٩٣	٢٤	١٢	٣	٥	٢	١						
المجموع	١٩٩	٤٦,٢٨	٩١	٤٨	١٧	١١	١٦	٢	١	٣	٦	٢	١	١

الجدول رقم ٤ / هـ ــ الضحايا من ٥١ سنة فما فوق: العمر / الجنسية

فئة العمر	العدد	٪	فلسطيني	لبناني	لا جنسية له	سوري	جزائري	سوداني	تونسي
٥١—٦٠	٢٩	٦,٧٤	١٥	٩	٣	١	١		
٦١—٧٠	١٩	٤,٤٢	١١	٦		١			١
٧١ فما فوق	٢٢	٥,١٢	١١	٤	٤	٢		١	
المجموع	٧٠	١٦,٢٨	٣٧	١٩	٧	٤	١	١	١

الجدول رقم ٥ / أ ـ المخطوفون: فئات العمر

فئة العمر	العدد	٪
١٣–١٨	٣٠	٣٠,٠٠
١٩–٣٠	٤١	٤١,٠٠
٣١–٤٠	١٤	١٤,٠٠
٤١–٥٠	٨	٨,٠٠
٥١–٦٠	٦	٦,٠٠
٦١–٧٠	١	١,٠٠
المجموع	١٠٠	١٠٠,٠٠

الجدول رقم ٥ / ب ـ المخطوفون من ١٣ إلى ١٨ سنة: العمر / الجنسية

فئة العمر	العدد	٪	فلسطيني	لبناني	سوري	لا جنسية له
١٣–١٨	٣٠	٣٠,٠٠	٢٠	٤	٣	٣

الجدول رقم ٥ / ج ـ المخطوفون من ١٩ إلى ٥٠ سنة: العمر / الجنسية

فئة العمر	العدد	٪	فلسطيني	لبناني	سوري	لا جنسية له	مصري	بريطاني
١٩–٣٠	٤١	٤١,٠٠	٢٧	٦	٣	٢	٢	١
٣١–٤٠	١٤	١٤,٠٠	٨	١	٣	١	١	
٤١–٥٠	٨	٨,٠٠	٦		٢			
المجموع	٦٣	٦٣,٠٠	٤١	٧	٨	٣	٣	١

الجدول رقم ٥ / د ـ المخطوفون من ٥١ سنة فما فوق: العمر / الجنسية

فئة العمر	العدد	٪	فلسطيني	سوري
٥١–٦٠	٦	٦,٠٠	٤	٢
٦١–٧٠	١	١,٠٠	١	
المجموع	٧	٧,٠٠	٥	٢

الجدول رقم ٦ / أ ــ مهن الضحايا

المهنة	العدد	٪
معلم مدرسة	١	٠,٤٦
فنان / موسيقي	٢	٠,٩٢
خياط / حائك / منجد	٢	٠,٩٢
رسام خرائط / مصمم ديكور	٤	١,٨٤
بواب / حارس / جوكي	٦	٢,٧٦
بائع كاز	٦	٢,٧٦
تاجر يمتلك متجراً صغيراً	٦	٢,٧٦
كهربائي / مصلح تليفونات	٧	٣,٢٣
بائع : خضار/ سمك / متجول	٨	٣,٦٩
حلاق / خباز / طباخ / لحام	١٠	٤,٦١
مهنة غير محددة	١٠	٤,٦١
سائق / ميكانيكي	١٣	٥,٩٩
الهلال الأحمر: طبيب / ممرض / عامل	١٣	٥,٩٩
مقاتل	١٦	٧,٣٧
موظف	٢٧	١٢,٤٤
معماري / دهان / نجار / حداد	٣٥	١٦,١٣
عامل حر	٥١	٢٣,٥٠
المجموع	٢١٧	١٠٠,٠٠

الجدول رقم ٦ / ب ــ مهن المخطوفين

المهنة	العدد	٪
بواب / حارس / جوكي	١	١,٢٥
مقاتل	١	١,٢٥
الهلال الأحمر: طبيب / ممرض / عامل	١	١,٢٥
تاجر يمتلك متجراً صغيراً	١	١,٢٥
خياط / حائك / منجد	١	١,٢٥
معلم مدرسة	١	١,٢٥
مهنة غير محددة	١	١,٢٥
صانع أحذية	٢	٢,٥٠
موظف	٣	٣,٧٥
عامل في الأدوات الصحية	٣	٣,٧٥
بائع : خضار/ سمك / متجول	٣	٣,٧٥
كهربائي / مصلح تليفونات	٤	٥,٠٠
سائق / ميكانيكي	٧	٨,٧٥
معماري / دهان / نجار / حداد	١٧	٢١,٢٥
عامل حر	٣٤	٤٢,٥٠
المجموع	٨٠	١٠٠,٠٠

الجدول رقم ٧ / أ ــ الضحايا: مسؤولية الفرد المالية تجاه عائلته

توصيف البند	العدد	٪
فرد مسؤول (مسؤولية كاملة)	٢٠٠	٤٦,٥١
فتى دون الثانية عشرة (مسؤولية جزئية)	٦	
تلميذ فوق الثانية عشرة (مسؤولية جزئية)	١٤	
ربة منزل (مسؤولية جزئية)	١٢	
كبير في السن (مسؤولية جزئية)	١	
مريض مزمن (مسؤولية جزئية)	١	
المجموع	**٢٣٤**	**٥٤,٤٢**

ملاحظة: النسبة من مجموع ٤٣٠

الجدول رقم ٧ / ب ــ المخطوفون: مسؤولية الفرد المالية تجاه عائلته

توصيف البند	العدد	٪
فرد مسؤول (مسؤولية كاملة)	٧٠	٧٠,٠٠
تلميذ فوق الثانية عشرة (مسؤولية جزئية)	٨	
كبير في السن (مسؤولية جزئية)	١	
مريض مزمن (مسؤولية جزئية)	١	
المجموع	٨٠	٨٠,٠٠

ملاحظة: النسبة من مجموع ١٠٠

الجدول رقم ٨ / أ ــ الضحايا والمخطوفون / مستوى التحصيل العلمي

التحصيل العلمي للضحايا			التحصيل العلمي للمخطوفين		
توصيف البند	العدد	٪	توصيف البند	العدد	٪
أطفال حتى سن الثانية عشرة	٩٤	٢١,٨٦			
مستوى مدرسة ابتدائية	١٦١	٣٧,٤٤	مستوى مدرسة ابتدائية	٥٣	٥٣,٠٠
مستوى مدرسة ثانوية	٦٣	١٤,٦٥	مستوى مدرسة ثانوية	١٧	١٧,٠٠
مستوى معهد مهني	٥	١,١٦	مستوى معهد مهني	١٢	١٢,٠٠
مستوى جامعي	٦	١,٤٠	مستوى جامعي	١	١,٠٠
أمي	٧٥	١٧,٤٤	أمي	٥	٥,٠٠
غير معروف	٢٦	٦,٠٥	غير معروف	١٢	١٢,٠٠
المجموع	٤٣٠	١٠٠,٠٠	**المجموع**	١٠٠	١٠٠,٠٠

الجدول رقم ٨ / ب ــ الفلسطينيون: الضحايا والمخطوفون / مستوى التحصيل العلمي

التحصيل العلمي للضحايا			التحصيل العلمي للمخطوفين		
توصيف البند	العدد	٪	توصيف البند	العدد	٪
أطفال حتى سن الثانية عشرة	٤٦	٢٢,٠١			
مستوى مدرسة ابتدائية	٧٦	٣٦,٣٦	مستوى مدرسة ابتدائية	٣٨	٥٧,٥٨
مستوى مدرسة ثانوية	٥٠	٢٣,٩٢	مستوى مدرسة ثانوية	١٢	١٨,١٨
مستوى معهد مهني	٢	٠,٩٦	مستوى معهد مهني	٩	١٣,٦٤
مستوى جامعي	٦	٢,٨٧	مستوى جامعي	١	١,٥٢
أمي	١٩	٩,٠٩	أمي	١	١,٥٢
غير معروف	١٠	٤,٧٨	غير معروف	٥	٧,٥٨
المجموع	٢٠٩	١٠٠,٠٠	المجموع	٦٦	١٠٠,٠٠

الجدول رقم ٩ ـ التعرف على جثث الضحايا

توصيف البند	العدد	٪
تم التعرف على الجثة	٢٩٤	٦٨,٣٧
لم يتم التعرف على الجثة	١٣٣	٣٠,٩٣
أصيب في المجزرة وتوفي بعد أسابيع بسبب الإصابة	٣	٠,٧٠
المجموع	٤٣٠	١٠٠,٠٠

الجدول رقم ١٠ / أ ـ الشهود على عملية الخطف

توصيف البند	العدد	٪
يوجد شهود (بين الأهل أو الجيران)	٧٨	٧٨,٠٠
علم الأهل من مصادر متعددة	١٢	١٢,٠٠
لا يوجد شهود	١٠	١٠,٠٠
المجموع	١٠٠	١٠٠,٠٠

الجدول رقم ١٠ / ب ـ هوية الخاطف

توصيف البند	العدد	٪
القوات اللبنانية (كان الناس واثقين بقولهم)	٢٩	٢٩,٠٠
القوات اللبنانية (كان الناس مترددين في قولهم)	١٩	١٩,٠٠
لم يتمكن الناس من أن يعرفوا	٥٢	٥٢,٠٠
المجموع	١٠٠	١٠٠,٠٠

الجدول رقم ١١ / أ ـ عائلات خسرت كل منها أكثر من ضحية

عدد الضحايا في العائلة الواحدة	عدد العائلات	عدد الضحايا
٢	٢٠	٤٠
٣	١٣	٣٩
٤	١٣	٥٢
٥	١٠	٥٠
٦	٢	١٢
٧	٣	٢١
٨	١	٨
٩	٣	٢٧
١٠	١	١٠
١١	١	١١
المجموع	٦٧	٢٧٠

متوسط عدد الضحايا في العائلة = ٤,٠٣-

الجدول رقم ١١ / ب ـ عائلات خُطِف من كل منها أكثر من فرد

عدد المخطوفين في العائلة الواحدة	عدد العائلات	عدد المخطوفين
٢	١٠	٢٠
٣	٣	٩
٤	٣	١٢
المجموع	١٦	٤١

متوسط عدد المخطوفين في العائلة = ٢,٥٦

الجدول رقم ١٢ ـ الضحايا والمخطوفون: الزمان / المكان

المكان	الضحايا		المخطوفون		الفئتان معاً	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
اليوم الأول ١٦ أيلول ١٩٨٢						
رمال نادي التورف	٢٧	٦,٢٨			٢٧	٥,٠٩
حي عرسال	٦٢	١٤,٤٢	٣	٣,٠٠	٦٥	١٢,٢٦
رمال السفارة الكويتية	٤	٠,٩٣			٤	٠,٧٥
داخل المدينة الرياضية	٣	٠,٧٠			٣	٠,٥٧
حي بئر حسن	٧	١,٦٣			٧	١,٣٢
مداخل الحرش / مدخل شارع شاتيلا	١٢	٢,٧٩			١٢	٢,٢٦
شارع شاتيلا الرئيسي	١	٠,٢٣			١	٠,١٩
حي حرش ثابت	٧٥	١٧,٤٤			٧٥	١٤,١٥
ملجأ أبو ياسر	٤٤	١٠,٢٣			٤٤	٨,٣٠
على مقربة من صبرا وشاتيلا	٨	١,٨٦	١	١,٠٠	٩	١,٧٠
مكان مجهول			٤	٤,٠٠	٤	٠,٧٥
المجموع	٢٤٣	٥٦,٥١	٨	٨,٠٠	٢٥١	٤٧,٣٦

يتبع

اليوم الثاني ١٧ أيلول ١٩٨٢	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
رمال نادي التورف	٤	٠,٩٣			٤	٠,٧٥
حي عرسال	١٠	٢,٣٣			١٠	١,٨٩
رمال السفارة الكويتية	٣	٠,٧٠	١٧	١٧,٠٠	٢٠	٣,٧٧
داخل المدينة الرياضية	٥	١,١٦			٥	٠,٩٤
حي بئر حسن	٣٠	٦,٩٨	٧	٧,٠٠	٣٧	٦,٩٨
مداخل الحرش / مدخل شارع شاتيلا	٥	١,١٦			٥	٠,٩٤
شارع شاتيلا الرئيسي	٦	١,٤٠			٦	١,١٣
حي حرش ثابت	٤٦	١٠,٧٠			٤٦	٨,٦٨
مداخل مخيم شاتيلا	٦	١,٤٠			٦	١,١٣
على مقربة من صبرا وشاتيلا	١٣	٣,٠٢			١٣	٢,٤٥
مكان مجهول			٩	٩,٠٠	٩	١,٧٠
المجموع	١٢٨	٢٩,٧٧	٣٣	٣٣,٠٠	١٦١	٣٠,٣٨

يتبع

اليوم الثالث ١٧ أيلول ١٩٨٢	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
رمال نادي التورف	١٠	٢,٣٣	١	١,٠٠	١١	٢,٠٨
حي عرسال	٨	١,٨٦	٣	٣,٠٠	١١	٢,٠٨
رمال السفارة الكويتية	٢٠	٤,٦٥	١٩	١٩,٠٠	٣٩	٧,٣٦
داخل المدينة الرياضية	٣	٠,٧٠			٣	٠,٥٧
حي بئر حسن			٤	٤,٠٠	٤	٠,٧٥
شارع شاتيلا الرئيسي	٨	١,٨٦	٩	٩,٠٠	١٧	٣,٢١
حي حرش ثابت	١	٠,٢٣			١	٠,١٩
شارع صبرا الرئيسي	٢	٠,٤٧	١٣	١٣,٠٠	١٥	٢,٨٣
على مقربة من صبرا وشاتيلا	٤	٠,٩٣			٤	٠,٧٥
مكان مجهول	٣	٠,٧٠	١٠	١٠,٠٠	١٣	٢,٤٥
المجموع	٥٩	١٣,٧٢	٥٩	٥٩,٠٠	١١٨	٢٢,٢٦
المجموع العام	٤٣٠	١٠٠,٠٠	١٠٠	١٠٠,٠٠	٥٣٠	١٠٠.٠٠

الجدول رقم ١٣ ـ المقاتلون والموت: الهوية / الزمان / المكان

اسم المقاتل	الجنسية	العمر	مكان السكن	يوم الوفاة	مكان الوفاة	التعرف على الجثة	عدد الضحايا في أسرة المقاتل	رقم أرشيف الدراسة الميدانية
١ كارم أحمد جبر حسين	فلسطيني	١٧	حي حرش ثابت	اليوم الأول	ملجأ أبو ياسر	كلا	٩	٧٤
٢ سهيلة خالد يوسف محمد	فلسطينية	١٩	حي حرش ثابت	اليوم الأول	ملجأ أبو ياسر	كلا	١١	٣٥٠
٣ نور الدين سعود عوض	فلسطيني	٢٥	حي حرش ثابت	اليوم الأول	ملجأ أبو ياسر	نعم	٤	١٩١
٤ شحاده أحمد شوفاني	فلسطيني	٢٨	حي حرش ثابت	اليوم الأول	ملجأ أبو ياسر	نعم	٤	١٥١
٥ محمد سليم نزال	فلسطيني	٣٣	حي حرش ثابت	اليوم الأول	حي حرش ثابت	نعم	١	٢٩٥
٦ محمد حسين فريجة	فلسطيني	٤٠	حي حرش ثابت	اليوم الأول	حي حرش ثابت	نعم	٢	١٩٧
٧ صالح دخيل قاضي	فلسطيني	٥٢	حي حرش ثابت	اليوم الأول	حي حرش ثابت	نعم	٥	٢١٤
٨ صالح حسين صالح طيطي	فلسطيني	٢١	حي حرش ثابت	اليوم الثاني	حي حرش ثابت	نعم	٢	١٦٩
٩ عماد محمد صادق	لبناني	٢٣	حي حرش ثابت	اليوم الثاني	حي حرش ثابت	نعم	١	١٥٦
١٠ صبحي محمد مغربي	فلسطيني	٤٣	حي حرش ثابت	اليوم الثاني	حي حرش ثابت	نعم	٣	٢٧٧
١١ حسين حسن أحمد نجار	فلسطيني	٤٥	حي عرسال	اليوم الأول	حي عرسال	كلا	١	٢٩٦
١٢ مرعي هولو سكرية	لبناني	٤٥	حي عرسال	اليوم الأول	ضواحي المنطقة	كلا	١	١٤٤
١٣ نزيه محمود أحمد	فلسطيني	١٩	حي بئر حسن	اليوم الثاني	حي بئر حسن	نعم	١	٢٤
١٤ فهمي أحمد قاضي	فلسطيني	٣١	حي بئر حسن	اليوم الثاني	قرب المدينة الرياضية	نعم	١	٢٢٠
١٥ يحيى أحمد محمد	فلسطيني	٣٠	قرب المدينة الرياضية	اليوم الأول	قرب المدينة الرياضية	نعم	٢	٢٥٩
١٦ رياض محمود جميلة	أردني	١٩	ضواحي المنطقة	اليوم الثاني	ضواحي المنطقة	كلا	٢	٥٧

الجدول رقم ١٤ ـ عائلات الضحايا والمخطوفين الفلسطينيين: الهجرات والتنقلات

اسم العائلة	مسقط الرأس	الهجرة الأولى	سنة	الهجرة الثانية	سنة	الهجرة الثالثة	سنة	الهجرة الرابعة	سنة	مجموع الهجرات	رقم أرشيف الدراسة الميدانية
أبو حرب	صفورية	الغازية	١٩٦٨	بعلبك	١٩٦٩	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢			٣	٤
أبو خميس	الخالصة	جنوب لبنان	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٥٤	الدامور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢	٤	٩
أبو ردينة	حيفا	بعلبك	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٠					٢	١٤
أبو ردينة	حيفا	بعلبك	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٥٦					٢	١٧
أبو سويد	فلسطين	صبرا وشاتيلا	١٩٥٠							١	١٤١
أبو شليح	يافا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	١٦٠
أبو عدس	سحماتا	صبرا وشاتيلا	??							١	٥٨٨
أحمد	البقيعة	جنوب لبنان	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٦٠					٢	٢٤
أحمد	صفد	تل الزعتر	١٩٤٨	الدامور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢			٣	٥٢٥
إسماعيل	فلسطين	صبرا وشاتيلا	??							١	٣٩٣
أشوح	فلسطين	صبرا وشاتيلا	١٩٥٥							١	١٤٠
أطرش	صفورية	صبرا وشاتيلا	??							١	٣٥
أطير	يافا	شمال لبنان	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٠					٢	٥٢٦
بركة	صفورية	البقاع	١٩٥٥	مخيمات صور	١٩٦٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٢			٣	٤٠

يتبع

بعبوع	فلسطين	صبرا وشاتيلا	١٩٥٥							١	٣٨٣
بلقيس	الكابري	جنوب لبنان	١٩٤٨	مخيمات صور	١٩٥٩	صبرا وشاتيلا	١٩٦٦			٣	٤٠٥
بيبي	يافا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٥٢٩
بيتم	عكا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٥٣٠
بيومي	حيفا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٤١٠
جدعون	الناعمة	مرجعيون	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٥٩	مخيمات صور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢	٤	٥٤
جريدي	فلسطين	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨							١	٣٨٨
جمعة	الناعمة	جنوب لبنان	١٩٤٨	مخيمات صور	١٩٥٥	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢			٣	٥٥
حاج	الخالصة	جنوب لبنان	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٥٤	الدامور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢	٤	٦٠
حاج	صفورية	شمال لبنان	١٩٤٨	الدامور	١٩٧٩	صبرا وشاتيلا	??			٣	٦٣
حايك	حيفا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٥٣٢
حجار	فلسطين	تل الزعتر	١٩٤٨	الدامور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢			٣	٥٣٣
حسن	ترشيحا	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٦٥					٢	٥٣٧
حسين	صفد	تل الزعتر	١٩٤٨	الدامور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢			٣	٥٣٩
حسين	دير القاسي	بعلبك	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٦٥					٢	٧٠
حسين	الناعمة	جنوب لبنان	١٩٤٨	مخيمات صور	١٩٥٠	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨			٣	٣٨٥
حسين	فلسطين	مخيمات طرابلس	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٢					٢	٦٦
حشمة	يافا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٧

يتبع

حمو	يافا	مخيم ميه وميه	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٥٠					٢	٥٤٠
حمود	دير القاسي	مخيمات صور	١٩٤٨	بعلبك	١٩٤٩	مخيمات صور	١٩٦٠	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨	٤	٨٥
حمود	فلسطين	صبرا وشاتيلا	??							١	٤٢٨
خروبي	فلسطين	البقاع	١٩٤٨	الغازية	١٩٧٥	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢			٣	٥٤١
خطيب	الخالصة	النبطية	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٦٧	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦			٣	٩٨
خطيب	صفد	تل الزعتر	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦					٢	١٠٤
خطيب	صفد	مرجعيون	١٩٤٩	الدكوانة	١٩٥٥	تل الزعتر	١٩٧٠	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢	٤	١٠٥
خطيب	دير القاسي	صبرا وشاتيلا	??							١	١٣٤
خطيب	الخالصة	تل الزعتر	١٩٤٨	الدامور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢			٣	٥٤٢
خليفة	يافا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	١٠٦
خليفة	يافا	جنوب لبنان	١٩٤٨	برج حمود	١٩٧٢	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦			٣	١٠٧
دسوقي	فلسطين	صبرا وشاتيلا	??							١	١٣٦
دوخي	عكا	مخيم عين الحلوة	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٥٩					٢	١٢١
راضي	فلسطين	صبرا وشاتيلا	??							١	٥٩٧
رمضان	فلسطين	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨					٢	٣٤٤
زرين	يافا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٥٠١
زمار	يافا	تل الزعتر	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨					٢	٣٤٢
سابق	البقيعة	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٢					٢	٥١٣

يتبع

سالم	صفد	البقاع	١٩٤٨	مخيمات صور	١٩٦٣	صبرا وشاتيلا	١٩٦٤			٣	١٣٠
سالم	صفد	البقاع	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٦٠					٢	٥٠٢
سالم	صفد	البقاع	١٩٤٨	مخيمات صور	١٩٦٣	صبرا وشاتيلا	١٩٦٤			٣	٥٠٥
سرساوي	حيفا	صيدا	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٦٥					٢	٣٣٠
سري	يافا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٥١٤
سري	يافا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٥١٥
سريس	مجد الكروم	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٤١٤
سعد	القرى الشمالية	البقاع	١٩٤٨	مخيمات صور	١٩٥٦	صبرا وشاتيلا	١٩٦٧			٣	٣٢٨
سعد	فلسطين	صبرا وشاتيلا	١٩٥٠							١	٣٦٩
سعدي	ترشيحا	شمال لبنان	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٥٥					٢	٥١١
سعيد	صفد	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٩					٢	٣٢٥
سقا	يافا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٥٠٨
شحاده	فلسطين	بعلبك	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٤٩	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦			٣	١٤٦
شحرور	صفد	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	١٤٧
شوفاني	الناعمة	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨					٢	١٥١
صادق	فلسطين	صبرا وشاتيلا	??							١	٣٦٧
صانع	حيفا	صيدا	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٥٥					٢	٥٧٧
صعيدي	فلسطين	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٥٧٥

يتبع

صغير	الناعمة	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢					٢	١٥٨
صفر	صفد	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٥٧٦
صفوري	صفورية	شمال لبنان	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٦٥					٢	٥٨٦
صوالحة	الخالصة	تل الزعتر	١٩٤٨	الدامور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢			٣	٥٩٠
طه	عكا	صبرا وشاتيلا	??							١	٣٦٦
طيطي	حيفا	البقاع	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٥٥	مخيمات صور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨	٤	١٦٨
عابد	صفورية	صبرا وشاتيلا	??							١	٥٦٩
عايدي	حيفا	جنوب لبنان	١٩٤٨	بعلبك	١٩٦٨	صبرا وشاتيلا	١٩٦٩			٣	١٧٨
عباس	حيفا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	١٣٨
عبد الرحمن	صفد	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٧					٢	٣٤٦
عبد الفتاح	فلسطين	صبرا وشاتيلا	??							١	١٤٢
عبد الله	الخالصة	جنوب لبنان	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٦٠	الدامور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢	٤	٧٧
عبد الله	فلسطين	صبرا وشاتيلا	??							١	٣٩٧
عزام	عكا	صبرا وشاتيلا	١٩٥٠							١	٥٨٣
عزوقة	يافا	صبرا وشاتيلا	??							١	٥٨٩
عطوات	القرى الشمالية	بعلبك	١٩٤٨	جنوب لبنان	١٩٥٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨			٣	١٨٠
عكيلي	فلسطين	صبرا وشاتيلا	??							١	١٨٢
علي	فلسطين	صبرا وشاتيلا	??							١	٤٢٩

يتبع

علي	فلسطين	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨							١	٣٨٧
علي	صفد	تل الزعتر	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦					٢	٥٦٤
علي	عكا	جنوب لبنان	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٥٠					٢	٥٧٢
عوض	الناعمة	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨					٢	١٩١
عيساوي	يافا	مخيمات صور	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٦٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦			٣	٥٦٨
فريجة	الخالصة	شمال لبنان	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٥٥	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦			٣	١٩٧
قاسم	صفورية	صبرا وشاتيلا	؟؟							١	٢١٠
قاسم	عكا	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨					٢	٢١١
قاسم	صفد	تل الزعتر	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦					٢	٥٦٢
قاضي	عكا	شمال لبنان	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٢					٢	٢١٤
قاضي	ترشيحا	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٦٥					٢	٢١٩
قاضي	ترشيحا	جنوب لبنان	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٥٨					٢	٢٢٠
قاضي	البقيعة	مخيمات صور	١٩٤٨	شمال لبنان	١٩٥٥	صبرا وشاتيلا	١٩٥٨			٣	٢٢١
قاضي	البقيعة	جنوب لبنان	١٩٤٨	مخيمات شمال لبنان	١٩٥٥	صبرا وشاتيلا	١٩٥٨			٣	٥٥٨
قطناني	يافا	تل الزعتر	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦					٢	٢١٣
كبارة	يافا	صبرا وشاتيلا	؟؟							١	٥٥٤
كليب	فلسطين	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨					٢	٢٣٢
كيالي	فلسطين	صبرا وشاتيلا	؟؟							١	٥٥٧

يتبع

لداوي	عكا	صبرا وشاتيلا	??							١	٢٣٤
ماضي	حيفا	البقاع	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٥٥	مخيمات صور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨	٤	٢٣٥
مجدوب	عكا	صبرا وشاتيلا	??							١	٢٣٩
محمد	سحماتا	البقاع	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٧٦	الدامور	١٩٧٨	صبرا وشاتيلا	١٩٨٢	٤	٢٤٣
محمد	سحماتا	تل الزعتر	١٩٤٨	مخيمات صور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨			٣	٢٥٣
محمد	سحماتا	صبرا وشاتيلا	??							١	٢٥٩
محمد	حيفا	البقاع	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٥٠					٢	٥٤٧
مرعي	الناعمة	مرجعيون	١٩٤٨	مخيمات صور	١٩٥٥	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨			٣	٢٦٥
مشهراوي	يافا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٥٢١
مصري	فلسطين	صبرا وشاتيلا	??							١	٣٧٧
مصري	يافا	برج حمود	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٥٠					٢	٥٢٢
معروف	دير القاسي	صبرا وشاتيلا	??							١	١٣٥
معروف	دير القاسي	البقاع	١٩٤٨	مخيمات صور	١٩٦٢	صبرا وشاتيلا	١٩٨٧			٣	٥٤٥
مغربي	يافا	بعلبك	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٥٢	الدامور	١٩٧٦	صبرا وشاتيلا	١٩٧٩	٤	٢٧٥
مكية	الخليل	تل الزعتر	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨					٢	٢٧٨
مهاوش	حيفا	تل الزعتر	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦					٢	٥٤٤
موسى	القرى الشمالية	تل الزعتر	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦					٢	٢٨١
موسى	القرى الشمالية	تل الزعتر	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٦					٢	٣٠٢

يتبع

ميناوي	يافا	برج حمود	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٠					٢	٣٠٠
نابلسي	فلسطين	صبرا وشاتيلا	١٩٥٠							١	٢٩٩
ناصيف	ترشيحا	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨					٢	٢٩٧
نجار	فلسطين	صبرا وشاتيلا	١٩٦٢							١	٢٩٦
نزال	القرى الشمالية	بعلبك	١٩٤٨	مخيمات صور	١٩٦٠	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨			٣	٢٩٥
نطط	يافا	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٥١٩
نونو	الخليل	صبرا وشاتيلا	١٩٤٨							١	٢٩٤
هاشم	ترشيحا	مخيمات طرابلس	١٩٤٨	تل الزعتر	١٩٥٥	صبرا وشاتيلا	١٩٧٨			٣	٢٩٣
هبرات	سيرين	المسلخ	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٦٥					٢	٢٨٨
والي	فلسطين	صبرا وشاتيلا	??							١	٣٥٦
وهبة	صفد	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٥٥					٢	١٢٣
يوسف	صفد	مخيمات صور	١٩٤٨	صبرا وشاتيلا	١٩٧٩					٢	٢٨٤
يونس	صفد	صبرا وشاتيلا	??							١	٢٨٢

الجدول رقم ١٥ ـ مصير العائلات الفلسطينية

عدد الضحايا في العائلة الواحدة	**عدد العائلات**
عائلات خسرت كل منها ضحية واحدة	٦٢
عائلات خسرت كل منها ما بين ضحيتين وإحدى عشرة ضحية	٣٤
مجموع عائلات الضحايا	**٩٦**
عدد المخطوفين في العائلة الواحدة	**عدد العائلات**
عائلات خُطف من كل منها فرد واحد	٤٠
عائلات خُطف من كل منها ما بين فردين وأربعة أفراد	١١
مجموع عائلات المخطوفين	**٥١**
عائلات غادر بعض أفرادها المنطقة	**عدد العائلات**
عائلات غادر من كل منها فرد واحد	٢٠
عائلات غادر من كل منها فردان	٤
مجموع العائلات التي غادر من كل منها فرد أو فردان	**٢٤**
عائلات هاجرت من المنطقة	**عدد العائلات**
عائلات بقي في كل منها فرد واحد فهاجر	٥
عائلات بقي في كل منها فردان فهاجرا	١
كل من بقي من العائلة هاجر	١٢
مجموع العائلات التي هاجرت	**١٨**
نسبة العائلات التي غادرت المنطقة	**عدد العائلات**
مجموع العائلات التي خسرت ضحايا أو خُطف منها	١٤٧
مجموع العائلات التي هاجرت من المنطقة	١٨
نسبة الهجرة بين العائلات = ١٢,٢٤٪	

الفصل الثاني

عدد الضحايا

في أعقاب المجازر، كما في أعقاب الكوارث الطبيعية التي لا قدرة على ردها كالزلازل والبراكين، أو في أعقاب الكوارث البشرية التي هي من صنع الإنسان كالحروب، يرد السؤال عن عدد الضحايا ضمن الأسئلة الرئيسية، هذا إن لم يكن هو السؤال الأول. غير أن الإجابة عن سؤال كهذا في حالة المجازر تختلف عنها في الحالات الأُخرى من حيث الصعوبة في الحصول على العدد؛ فالعدد قد يصبح أعداداً تتفاوت فيما بينها إلى حد الضعف، أو إلى حد الأضعاف أحياناً؛ وهو يرتفع من خانة المئات إلى خانة الآلاف، وذلك وفقاً لنوعية المصدر وصدقيته.

مجزرة صبرا وشاتيلا بالذات لا تتميز بكون أعداد ضحاياها تختلف وفقاً للمصادر المتعددة ما بين المئات والآلاف فحسب، بل تتميز أيضاً بكونها لا تتمتع بمرجعية مسؤولة على كل من الصعيدين اللبناني والفلسطيني. فما من مرجعية منهما قامت بإحصاء شامل للضحايا والمخطوفين والمفقودين، وأعلنت نتائج إحصاءاتها أمام الله والتاريخ والإنسان.

المرجعية اللبنانية في هذا الإطار هي الدولة اللبنانية، وذلك لكون المجزرة جرت على أرض لبنانية، وقد ضمت هذه الأرض مخيماً فلسطينياً ومناطق شعبية تعج بسكان لبنانيين وفلسطينيين، وآخرين من جنسيات متعددة. غير أن المقيمين الفلسطينيين من أصحاب "بطاقات وكالة غوث اللاجئين"، وكذلك المقيمين من حاملي الجنسيات المتعددة، يخضعون جميعاً وفقاً للأعراف الدولية لقوانين الدولة اللبنانية، وبالتالي لهم أن يتمتعوا بحقوق حمايتها.

أمّا المرجعية الفلسطينية فهي منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك لكون الهدف المعلن من المجزرة على الأقل هو القضاء على الفلسطينيين، وكذلك كان الفعل. غير أن هذه المرجعية لا تتحمل مسؤولية إحصاء الفلسطينيين وحدهم، بل إحصاء جميع الضحايا، من لبنانيين وأصحاب جنسيات متعددة لاقوا مصير الفلسطينيين بحكم الجوار.

مر عشرون عاماً على مجزرة صبرا وشاتيلا لم يُقدم خلالها الجانب اللبناني الرسمي، ولا الجانب الفلسطيني الرسمي، على إعلان أسماء الضحايا. حتى اللوائح التي جمعت من قبل

بعـض المؤسسـات الإنسـانية في الأيام الأولى ما بعد المجزرة، والتي قُدمت نسخ عنها إلى الدولـة اللبنانـية، لم تنشر من قبل الدولة ولا من قبل المؤسسات الإنسانية نفسها. والحال ذاته ينطبق على الجانب الفلسطيني؛ فهناك بعض المؤسسات الإنسانية وبعض التنظيمات الفلسطينية التـي قامت كل منها على انفراد بتسجيل ما استطاعت تسجيله من أسماء الضحايا، لكن أياً من هذه اللوائح لم ينشر لا من قبل المنظمة الأم، ولا من قبل الجهات التي قامت بجمعها.

أمّـا الجانب الرسمي الذي كان يتحمل بحكم الأمر الواقع مسؤولية أمن السكان في منطقة صبرا وشاتيلا، ما بين السادس عشر والثامن عشر من أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، فهو الجانب الإسرائيلي، وذلك منذ إقدام الجيش الإسرائيلي على احتلال بيروت صباح الخامس عشـر من أيلول/سبتمبر وتطويقه منطقة صبرا وشاتيلا بالذات؛ فهو الجانب الذي يتحمل مسـؤولية أمـن السـكان وفقـاً للقوانين الدولية وللأعراف الإنسانية. وانطلاقاً من هذه المسؤولية تنبع مسؤولية إعلان أعداد الضحايا. غير أن الدولة الإسرائيلية اكتفت بما جاء فـي الـتقرير الشهير بتقرير كاهان في هذا الشأن، وهو التقرير الذي أعدته بتكليف من الحكومة الإسرائيلية لجنة ثلاثية ترأسها القاضي كاهان، وكانت مهمتها تقصي الحقائق في الأحداث التي جرت في مخيمات بيروت. وقد تبنى التقرير الإسرائيلي الصادر في شباط/ فبراير ١٩٨٣ أرقاماً تقديرية، ونقل عن تقرير آخر لم يعلن مصدره أرقاماً أُخرى مختلفة، لكـن هذا لا يعني أن تلك الأرقام التي تبناها أو تلك التي نقلها كانت صحيحة، وستجري مناقشتها لاحقاً في هذه الصفحات.

أولاً: التناقض في الأعداد المعلنة ما بين المصادر

كانت وسائل الإعلام المتعددة هي المصادر الأولى للأعداد الأولية في مرحلة البحث عن الضحايا، وذلك بناء على تصريحات المسؤولين، أو على تقديرات المسعفين العاملين علـى رفـع الضـحايا. وقد أخذت الصحف اليومية اللبنانية تنشر ما يتوفر لها من أعداد الضـحايا، بدءاً من يوم الأحد في ١٩ أيلول/سبتمبر، فجاء استناداً إلى معلومات صحافية وأمنية أن ١٤٠٠ قد قتلوا في صبرا وشاتيلا.(١)

ونشرت جريدة "السفير" بعد يومين، الثلاثاء، نقلاً عن مراسل مجلة "نيوزويك"، أنه أُحصـي فـي مساحة مئة متر مربع ٧٠ جثة، الأمر الذي يوحي بضخامة العدد فيما لو أُحصيت الجثث كلها على الأرض. وأضافت الجريدة في مكان آخر من العدد نفسه، نقلاً عـن شـهود عيان، أن ثلاث جرافات كانوا قد شاهدوها (يوم السبت في ١٨ أيلول/سبتمبر)

(١) جريدة "السفير"، ١٩٨٢/٩/١٩.

تغادر صبرا ومجارفها مكدسة بالجثث.[٢] وفي هذا دلالة على أن أرض المجزرة، حتى لو أحصيت كل الجثث فوقها، لن تكون المكان الوحيد لمعرفة أعداد الضحايا. كما ورد عن تفصيلات ما جرى يوم الاثنين، في الجريدة نفسها، أنه تم حتى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاثنين انتشال ٢٠٠ جثة كوِّمت في ساحة تقع إلى يمين المخيم (مكان المقبرة الجماعية). كذلك ورد، نقلاً عن عناصر الدفاع المدني، أن هناك لا أقل من ١٠٠٠ جثة لا تزال تحت الأنقاض.[٣] أمّا جريدة "النهار" فنشرت أرقاماً أعلى في اليوم نفسه، إذ ورد أن رجال الإنقاذ انتشلوا ٣٠٠ جثة، وأن عدد الضحايا قد يصل إلى ١٥٠٠.[٤]

نُشرت يوم الأربعاء، في ٢٢ أيلول/سبتمبر، تفصيلات عن أعداد الجثث التي انتشلت حتى الثلاثاء. فقد ورد، نقلاً عن مسؤول في الدفاع المدني اللبناني، أنه تم انتشال الأعداد التالية: ٢٢ جثة يوم السبت؛ ١١٥ جثة يوم الأحد؛ ٥٦ جثة يوم الاثنين؛ ٢٦ جثة من تحت أنقاض بيت واحد يوم الثلاثاء؛[٥] ومجموعها ٢١٩ جثة. كذلك ورد، نقلاً عن أحد عناصر فريق الإنقاذ الذي قام بجولة في المنطقة، أن العدد قد يرتفع إلى ٢٥٠٠ ضحية.[٦]

أذاعت وكالة "فرانس برس" أن عدد الجثث التي انتشلت حتى مساء الثلاثاء في ٢١ أيلول/سبتمبر بلغ ٣٨٧ جثة، بالإضافة إلى الجثث التي دفنت في المقابر الجماعية وعددها ٢٥٠ جثة.[٧] وهكذا يبلغ المجموع، بناء على الوكالة الفرنسية، ٦٣٧ ضحية.

وفي حين كانت عمليات البحث عن الضحايا مستمرة على أرض المجزرة، وعمليات الدفن مستمرة أيضاً، شُغلت أوساط الدبلوماسيين العرب بأخبار الجثث التي نُقلت إلى خارج منطقة صبرا وشاتيلا، أو قُتل أصحابها خارجها. وكان فحوى تلك الأخبار، التي ترددت يومي الأربعاء والخميس، أنه تم العثور على جثث الذين أُخرجوا من المخيم في بلدتي الناعمة والدامور.[٨]

يمكن اعتبار يوم السبت في ٢٥ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ يوم الصحافة اللبنانية في نشر أخبار المجزرة بدقة وبناء على المشاهدة الحية. ففي ذلك اليوم نُشرت الأخبار عن حفرة الموت الجماعية التي اكتشفها الدفاع المدني بالقرب من المدينة الرياضية، وعن انتشال ٢٧ ضحية على

---

(٢) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٩/٢١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) جريدة "النهار"، ١٩٨٢/٩/٢١.

(٥) جريدة "السفير"، ١٩٨٢/٩/٢٢.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٩/٢٣.

(٨) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٩/٢٤.

مرأى من رجال الصحافة الذين نشروا تفصيلات الحدث المأساوي وأسماء الضحايا.[٩]

وفي اليوم التالي نشرت الصحف ما صرح به مسؤولون في الدفاع المدني، وهو أنه تم العثور على ٣٢٠ جثة أُخرى. وصرح المدعي العام الاستئنافي، كميل جعجع، أن عدد الضحايا قد ارتفع بذلك إلى ٥٩٧ ضحية.[١٠]

وبينما كانت العمليات تشارف على نهايتها قال مسؤولون في الدفاع المدني اللبناني إن عدد الضحايا هو نحو ١٥٠٠.[١١]

أمّا على الصعيد الفلسطيني، فقد كان رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، ياسر عرفات، صرح قبيل نهاية أيلول/سبتمبر خلال تشييع العميد سعد صايل (أبو الوليد)، الذي اغتيل في البقاع، والذي كان من كبار قادة جيش التحرير الفلسطيني وقائد العمليات في أثناء التصدي للاجتياح الإسرائيلي لبيروت، أن عدد ضحايا صبرا وشاتيلا هو ما بين ٥٠٠٠ و٦٠٠٠ ضحية.[١٢]

ولمّا كان الصليب الأحمر الدولي هو المسؤول عملياً عن تسجيل الضحايا والمفقودين، فقد توقع الكثيرون أن يكون هو المصدر المعتمد للأعداد الصحيحة. وكان صدر البيان الصحافي الأول من جنيف في ١٨ أيلول/سبتمبر وفيه، نقلاً عن مندوبيه في بيروت، أن مئات الأطفال والمراهقين والنساء والطاعنين في السن قد قتلوا في منطقة شاتيلا، وأن جثثهم مرمية على الطرقات.[١٣]

أمّا على أرض المجزرة طوال أيام البحث عن الضحايا، فقد قام مندوبو الصليب الأحمر، بالتعاون مع أكثر من جهة مسؤولة، بعملية تسجيل أسماء الضحايا والمفقودين. وهذا ما أكده التقرير السنوي للصليب الأحمر الدولي، إذ ورد فيه تحت عنوان فرعي "المجازر في صبرا وشاتيلا" في بند لبنان، ما قام به مندوبو الصليب الأحمر من إجلاء للمرضى والجرحى عن كل من مستشفى غزة ومستشفى عكا، ومن إيواء الآلاف الذين التجأوا إلى مقر الصليب الأحمر. كما جاء في التقرير، على صعيد دور الصليب الأحمر الدولي في التعرف على الجثث وتسجيل الأسماء، أن مندوبيه في مختلف أنحاء لبنان

---

(٩) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٩/٢٥.

(١٠) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٩/٢٦.

(١١) جريدة "النهار"، ١٩٨٢/١٠/١.

(١٢) جريدة "السفير"، ١٩٨٢/٩/٣٠.

(١٣) International Committee of the Red Cross–Information Department, “Massacre in Beirut: ICRC Reacts Strongly,” Press Release No. 1450. Geneva: September 18, 1982.

تجمعوا ونظموا هذه العملية، كما أن مندوبي الصليب الأحمر اللبناني قاموا بجهد كبير في هـذا المجـال وتعاونوا معهم. غير أن هذه الفقرات انتهت من دون أي ذكر للأعداد التي انتُشلت بإشراف الصليب الأحمر الدولي.(١٤)

وقـدم الصـليب الأحمـر الدولي لائحة أسماء الضحايا التي أشرف عليها مندوبوه أنفسـهم إلى الدولة اللبنانية في نسختين، بالفرنسية والعربية؛ وهكذا باتت مسألة نشر هذه اللائحة بيد الدولة.

غـير أن هناك مصادر أُخرى تمكنت من الاطلاع على إحصاءات الصليب الأحمر الدولـي، وكـان أهمهـا اللجنة الدولية التي جاءت إلى لبنان لتقصي الحقائق في صيف الاجتياح الإسرائيلي، ثم عاد بعض أعضائها مرة أُخرى إلى بيروت في أعقاب المجزرة. فقـد جاء في تقريرها، الذي اشتهر بتقرير ماكبرايد، أن مجموع عدد الضحايا الذين كانت اللجـنة الدولية للصليب الأحمر قد أحصتهم حتى الأحد في ١٩ أيلول/سبتمبر بلغ ١٥٠٠ ضحية، وارتفع العدد في ٢٢ من الشهر نفسه إلى ٢٤٠٠ ضحية. أمّا في اليوم التالي، ٢٣ أيلول/سبتمبر، فقد تم العثور على ٣٥٠ جثة أُخرى (العدد الإجمالي ٢٧٥٠ ضحية). وأمّا العدد الدقيق للضحايا فمن المستحيل التوصل إليه كما ورد، ذلك بأن جثث الكثيرين كانت رفعت، بينما دفن آخرون في قبور جماعية.(١٥)

أمّـا أرقـام الصـليب الأحمـر اللبناني فهي تفوق الأرقام أعلاه. وقد تقدم بها الكاتب الأميركـي رالف شونمان في شهادته أمام لجنة أوسلو التي استمعت في الشهر التالي للمجزرة إلـى شـهادات الكثيرين عن جرائم الحرب في لبنان. إذ قال، نقلاً عن مسؤولين في الصليب الأحمـر: "نحـن رفعـنا ودفـنا ٣٠٠٠ ضحية، ولا يشمل هذا العدد أولئك الذين بقوا تحت الأنقاض، ولا الذين قضت عليهم الجرافات تحت الأنقاض." لكن التقديرات الواقعية لعدد الذين قتلوا في صبرا وشاتيلا، كما قال شونمان، تتراوح ما بين ٤٠٠٠ و٤٥٠٠ ضحية.(١٦)

---

(١٤) International Committee of the Red Cross, *Annual Report* (Geneva, 1982), pp. 57-58.

(١٥) *Israel in Lebanon: The Report of the International Commission to Enquire into Reported Violations of International Law by Israel during its Invasion of the Lebanon.* Chairman Sean MacBride. London, 28 August 1982-29 November 1983 (London: Ithaca Press, 1983), p. 176.

(١٦) David Henly et al., eds., *Witness of War Crimes in Lebanon: Testimony given to the Nordic Commission, Oslo, October 1982* (London: The International Organization for the Elimination of all Forms of Racial Discrimination (EAFORD), Ithaca Press, 1983), p. 130.

أول أرقـــام رسمية صدرت عن مسؤولين في الحكومة اللبنانية لم يعرف مصدرها بالتحديد؛ ذلك بأن هؤلاء طلبوا من الصحافيين الأجانب، الذين تمكنوا من الاطلاع عليها، أن ينشروها من دون الإشارة إلى "المصدر المحدد". وقد تضمنت هذه الأرقام كما وزعتها وكالة "يونايتد برس" ما يلي:

٧٦٢ جـــثة تـــم العثور عليها في صبرا وشاتيلا، منها: ٢١٢ جثة لم يتعرف عليها أحد، وقد دفنت في مقابر جماعية؛ ٣٠٢ جثة تم التعرف عليها ودفنتها السلطات اللبنانية؛ ٢٤٨ جثة تم التعرف عليها أيضاً، وقد قام الصليب الأحمر الدولي بدفنها. أمّا الجثث التي أخذتهـــا عائلاتهـــا إلـــى خارج المنطقة لتدفنها حيث تريد، فتقدر بنحو ١٢٠٠ جثة.[١٧] وبعملية جمع بسيطة يكون المجموع ١٩٦٢ ضحية.

نشـــر أمنون كابليوك في كتابه "تحقيق حول مجزرة..." الذي صدر قبل انتهاء سنة ١٩٨٢ الأرقام أعلاه، وأضاف إليها ثلاث فئات من الضحايا لم يشملها المصدر الحكومي غير المحدد، وهي: الضحايا التي قام المهاجمون بدفنها في مقابر جماعية خلال المجزرة، والتي منعت الحكومة اللبنانية نبشها، وهي تقدر بالمئات؛ الضحايا التي تعذر انتشالها من تحـــت أنقاض مئتي بيت، وقد عثر في اليوم الأول على ١١٥ جثة في البيوت، بينما عثر في اليوم التالي على ٥٦ جثة، ثم توقف البحث داخل البيوت المهدمة على أصحابها، وهي تقـــدر أيضـــاً بالمئات؛ المفقودون الذين اقتيدوا بالشاحنات، والذين قدّرتهم وكالة الصحافة الفرنسية بأكثر من ٢٠٠٠. واستدرك كابليوك قائلاً إن تقدير عدد المفقودين بالمئات يبقى تقديـــراً معقولاً. أمّا تقدير الفئات كلها التي تحدث عنها كابليوك مجتمعة فهو نحو ٣٠٠٠ ضحية. لكنه قدر، بصورة عامة، أن هناك ما بين ٣٠٠٠ و ٣٥٠٠ ضحية.[١٨]

لم يكن القصد من التوقف عند أعداد الضحايا كما وردت في مختلف المصادر أعلاه التوصل إلى أعداد نهائية، وإنما كان القصد معرفة ما كان يجري بشأن تعداد الضحايا في الأسبوعين اللذين تم خلالهما البحث عن الضحايا ودفنها، والتنبه للتناقضات في الأعداد ما بين مصدر وآخر. أمّا القراءة المتمهلة لهذه الأعداد فيمكن التوصل منها إلى ما يلي:

- عـــدم وجـــود مرجعية واحدة مسؤولة. إذ يبدو مما نشر أن الدفاع المدني اللبناني كان المســـؤول الأول، بينما كان يبدو على أرض المجزرة أن المسؤول الأول هو الصليب

---

(١٧) "Massacre in Beirut left 2,000 dead Lebanese says," *Toronto Star*, October 14, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile, September 1982* (New York: Claremont Research and Publications, 1982), p. 47.

(١٨) Amnon Kapeliouk, *Enquête sur un massacre: Sabra et Chatila* (Paris: Seuil, 1982), pp. 93-94.

الأحمر الدولي، بالتعاون مع الجيش اللبناني والصليب الأحمر اللبناني والدفاع المدني.

- اكتفى المسؤولون في الدفاع المدني اللبناني بما كان يصدر عنهم من تصريحات متفرقة في أيام البحث عن الضحايا. أمّا فيما بعد فلم يصدر أي بيان رسمي لا عن الدفاع المدني، ولا عن أي جهة إنسانية أو رسمية أُخرى، ولا عن الدولة اللبنانية. فمع انتهاء عمليات البحث عن الضحايا، دخلت الأعداد سرداب "الممنوعات".
- تندرج الأعداد تحت نوعين: الأعداد التي يتم تدقيقها؛ الأعداد التقريبية. وهذا أمر طبيعي في حدث مأساوي ضخم كهذا.
- هناك تفاوت مذهل بين الأرقام المستقاة من المصادر الحكومية، أو الرسمية نفسها. فبينما صدر عن مسؤولين في الدفاع المدني في ٢٥ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ تصريح بأن العدد وصل إلى ٥٩٧ شخصاً، صدر عن مسؤولين في الجهاز نفسه بعد خمسة أيام ــ ولم يكن قد تم خلالها العثور إلاّ على أعداد محدودة ــ تصريح بأن عدد الضحايا هو نحو ١٥٠٠ ضحية. فكيف يبلغ التفاوت حجماً كهذا؟ ومن المسؤول؟ وهناك تفاوت آخر بين هذا الرقم الأخير، ١٥٠٠، وبين الرقم الذي توصلت إليه وكالة "يونايتد برس" استناداً إلى الأرقام التي جمعتها من مصادر في الحكومة اللبنانية، والذي بلغ ١٩٦٢ ضحية؛ أي نحو ٢٠٠٠!
- هناك تفاوت آخر سيشتد وضوحاً مع الأيام بين الأرقام التقديرية الصادرة عن المرجعية الفلسطينية، وبين الأرقام المماثلة الصادرة عن المرجعية اللبنانية، الأمر الذي أوجد الانطباع لدى الجميع بأن الأرقام الأولى هي الأرقام المرتفعة، على العكس من الأرقام الثانية المنخفضة.

ثانياً: لوائح أسماء الضحايا

تمت مرحلة جمع لوائح أسماء الضحايا خلال سنتي ١٩٨٣ و١٩٨٤. بدايةً، كانت أقصى الأماني هي في الحصول على بعض اللوائح التي جُمعت في الأيام الأولى التي تلت المجزرة، أي في مرحلة البحث عن الضحايا. لكن مثل هذه اللوائح بدا أن الوصول إليه أصعب من الوصول إلى النجوم الزاهرة. إلاّ إنه عندما تمكنا من ذلك سرعان ما اكتشفنا أنها لا تشمل غير بعض الأسماء، وهذا ما قادنا إلى ضرورة القيام بمشروع خاص لجمع الأسماء لم نتمكن من تحقيقه إلاّ بعد أن تغيرت الأوضاع في المنطقة المحرمة من حال إلى حال (راجع المقدمة، والفصل السابق عن الدراسة الميدانية في ربيع سنة ١٩٨٤).

لست في مجال تكرار الصعوبات التي رافقت عملية جمع الأسماء. غير أن هناك علامة فارقة تستحق التوقف عندها، كونها تثبت مدى الخوف الذي كان مسيطراً على

الجميع، وهي تتلخص في أن ما من لائحة قد تجاوزت رقم ٣٢٨ ضحية. كل اللوائح التي استطعت العثور عليها بلا استثناء كانت أرقامها دون هذا الرقم. ثم اتضح لي أن هذا هو الرقم الذي أعلنته جهات مسؤولة في الصليب الأحمر الدولي، على أساس أنه الرقم الذي قام مندوبوه بإحصائه وليس بتسجيل أسماء أصحابه، وهو الرقم نفسه الذي ورد أعلاه في رسـالة مـن رئيس بعثة الصليب الأحمر في لبنان إلى وزير الدفاع الإسرائيلي. غير أنه ورد في الرسالة أيضاً الأسباب التي حالت دون التوصل إلى معرفة أعداد الضحايا؛ وهي الأسـباب نفسـها التي وردت غير مرة على لسان أكثر من مسؤول في الصليب الأحمر الدولي وفي الدفاع المدني اللبناني، الأمر الذي يثبت أن الرقم الحقيقي هو أعلى من ذلك. لكـن مع ذلك، لا أحد تجاوز رقم ٣٢٨ ضحية حتى لو استطاع، أي حتى لو توفرت لديه الإثباتات والأسماء، وكأن ذلك الرقم هو الخط الأحمر الذي لا يمكن تجاوزه.

غير أن مجزرة صبرا وشاتيلا كانت أكثر عمقاً في الوجدان من كل تصورات الذين حـاولوا إخفـاء معالمهـا، وطمس حقائقها، وتغييب أسماء ضحاياها. كل من ساهم، ولو بالكشـف عـن جزء مهما كان صغيراً من حقائقها وأرقامها وأسماء ضحاياها، ساهم في الـنهاية فـي إعداد اللائحة الموحدة للضحايا والمخطوفين والمفقودين التي بلغ مجموعها لدينا ١٣٩٠ اسماً. ولولا تلك المساهمات المتعددة لما كان ممكناً أن نتمكن من التوصل في الـنهاية إلـى ١٧ مصدراً، كل منها يمثل مؤسسة إنسانية، أو جمعية أهلية، أو مشروعاً علمـياً. وهكذا مع تضافر جهود الذين كانوا وراء هذه المصادر جميعهم، أصبح التوصل إلى الأعداد والأسماء ممكناً.

بدايةً، يجدر التوقف عند ثلاث نقاط أساسية:

النقطة الأولى تتعلق بتعريف المصطلحات الثلاثة: الضحية والمخطوف والمفقود.

الضـحية: كـل مـن قُـتل في هذه المجزرة من سكان صبرا وشاتيلا منذ دخول المسـلحين المهاجمين حتى خروجهم، إذ لم يثبت لدينا أن هناك من قتل في اشتباك ما أو فـي معـركة مـا كي نميز ما بين ضحية وشهيد. لقد أثبتنا حدوث تبادل محدود لإطلاق الـنار، وخصوصـاً مساء يوم الخميس، لكن أحداً لم يقتل من المدافعين القليلين في تلك الساعات.

المخطوف: الشخص الذي ثبت أن المسلحين المهاجمين اختطفوه من أرض المجزرة خلال تلك الأيام الثلاثة، وهناك إمّا شهود يؤكدون عملية الخطف، وإمّا قرائن تؤكدها.

المفقـود: الشخص الذي غيّبته أحداث المجزرة ولم يظهر له أي أثر. فكثيرون من الذيـن اعتـبروا مفقودين في لوائح الأيام الأولى اتضح فيما بعد أنهم من الضحايا أو من المخطوفين، وإن لم تثبت أية من الحالتين استمر ذووه في اعتباره مفقوداً.

اللوائح التي تسلمناها لم تميز في معظمها بين المخطوف والمفقود، معتبرة أن هناك حالة واحدة هي "المفقود"، كونها الحالة الأكثر شمولاً والتي يمكن في حال التأكد من القتل أو الخطف أن يُنقل "المفقود" إلى خانة "الضحية"، أو إلى خانة "المخطوف". لكن بالمقارنة بين اللوائح، وبعد جمعها مع بعضها البعض في لائحة موحدة، كانت المعلومات المتوفرة فـي مخـتلف المصادر تخضع للمقارنة والتصحيح. وفي النهاية كنا نسجل حالة الخطف حين التأكد من ذلك، ونترك الاسم في خانة المفقود في حال عدم التأكد.

هـذا يعني، في حقيقة الأمر، أن الذين ما زالوا مسجلين مفقودين في اللوائح هم إمّا مخطوفون وإمّا ضحايا لم يعثر قط على جثثهم. لكن أمانة البحث العلمي التاريخي تفترض أن يبقى كل هؤلاء في لائحة المفقودين، ما دمنا لم نتأكد من مصيرهم.

الـنقطة الثانـية تـتعلق بهوية الخاطفين؛ فالمسلحون المهاجمون لم يقوموا وحدهم بعملـيات اختطاف السكان، إذ ذكر الكثيرون من ذوي المخطوفين أو المفقودين في الكثير مـن اللوائـح التي توصلنا إليها أن الجهة الخاطفة هي الجيش الإسرائيلي، وهذا ما ظهر لدينا من خلال التاريخ الشفهي أيضاً.

أمّا النقطة الثالثة، فتتعلق بما هو مشترك بين لوائح الأسماء من المصادر المتعددة، وبما هو مختلف بينها:

فالمشـترك هو في ورود أسماء كثيرة نفسها في عدة لوائح؛ والمختلف بينها هو في أن ما من لائحة إلاّ ضمت أسماء لم ترد في أية لائحة أُخرى. ويتراوح عدد الأسماء التي تنفرد بها اللائحة الواحدة بين اسم واحد وما يفوق مئة اسم.

إضـافة إلى ذلك، هناك الكثير من الفوارق التي سنتطرق إليها في أثناء توقفنا عند كل مجموعة من اللوائح، أو عند أي منها على انفراد.

ونشير أخيراً إلى سهولة مراجعة مصادر كل اسم على حدة من خلال مراجعة اللائحتين الثالـثة والرابعة في الملحق الخاص بلوائح الأسماء في نهاية الكتاب. فقد كُتب إلى جانب اسم الضـحية أو المخطوف أو المفقود المصادر الأولية، أي جداول الأسماء التي ورد فيها الاسم، واختصاراً لعناوين المصادر أُعطي كل مصدر رمزاً هو أحد حروف الأبجدية.

أ ـ تسجيل الأسماء في مرحلة البحث عن الضحايا

المجموعـة الأولى من اللوائح هي التي جُمعت خلال مرحلة البحث عن الضحايا. وقد قام بعملية الجمع عدة مؤسسات إنسانية، دولية ومحلية، وأفراد أصحاب ضمائر. وبلغ عـدد اللوائـح التي توصلنا إليها في هذه المرحلة ست لوائح، منها ثلاث لوائح تم جمعها على أرض المجزرة، والثلاث الباقية تم جمعها من مقابر بيروت.

يجمع بين اللوائح الثلاث التي جمعت على أرض المجزرة، وهي لائحة الصليب الأحمر الدولي ولائحة الدفاع المدني اللبناني ولائحة مجلس كنائس الشرق الأوسط، قاسم مشترك هو كتابة الأسماء والمعلومات المتوفرة عن كل اسم في أوضاع بالغة الصعوبة، الأمر الذي جعل مسألة تكرار بعض الأسماء في اللائحة الواحدة أمراً لافتاً للنظر؛ وهذا ما جعل الرقم الذي أخذناه بصورة نهائية من كل من هذه اللوائح الثلاث أدنى من الرقم المسجل على صفحاتها، أو من الرقم المفترض من خلال عملية الجمع حتى لو لم يكن مسجلاً.

أمّا اللوائح الثلاث التي جمعت فيها أسماء الذين دفنوا في كل من مقبرة روضة الشهيدين ومقبرة الشهداء في بيروت، فلم يحدث فيها أي تكرار، ذلك بأن شواهد القبور هي المصدر الرئيسي في المكانين. وحتى أسماء الذين دفنوا في قبر جماعي، فقد كان المسؤول في مقبرة الشهداء قد سجلها يوم الدفن نفسه في دفتر خاص، وأمام شهود.

١ ــ **لائحة تنظيم الصليب الأحمر الدولي (ب):** تعتبر هذه اللائحة من أكثر اللوائح دقة لجهة الأسماء، والأوراق الثبوتية، والتأكد من الشهود. ويظهر هذا في التعريف بالضحية ما أمكن، وتسجيل جنسيته، وسنة الولادة، ورقم الهوية أو جواز السفر إن وجد. وهناك نسختان عن اللائحة: إحداهما مطبوعة بالفرنسية، والأُخرى بخط اليد بالعربية. وبلغ مجموع أسماء الضحايا التي نقلناها عنها ١٧٩ اسماً، بينها اسم واحد لم يرد في أية لائحة أخرى.[١٩]

٢ ــ **لائحة مديرية الدفاع المدني اللبناني (ج):** وهي المؤسسة الرسمية التابعة لوزارة الداخلية، والتي عمل عشرات من المسعفين من مختلف فرق الإسعاف المحلية تحت إشرافها. أمّا لائحة الأسماء التي أشرفت عليها فهي مطبوعة بالعربية، والمعلومات الواردة فيها بالنسبة إلى كل ضحية هي على نسق لائحة الصليب الأحمر الدولي. وأمّا مجموع أسماء الضحايا التي نقلناها عنها فهو ٢٥٤ اسماً، بينها ٢١ اسماً لم ترد في أية لائحة أُخرى.[٢٠]

٣ ــ **لائحة مجلس كنائس الشرق الأوسط (ط):** وهي لائحة مطبوعة بالفرنسية تتضمن الأسماء وفقاً للجنسيات، وتمتاز بالدقة في الاهتمام بتسجيل ملاحظات عن الوثائق

---

(١٩) تنظيم الصليب الأحمر الدولي، "جدول بأسماء الجثث التي انتشلت من مخيمي صبرا وشاتيلا ابتداء من ٩/١٩ لغاية ١٩٨٢/٩/٢٢".

(٢٠) الجمهورية اللبنانية ــ وزارة الداخلية ــ مديرية الدفاع المدني، "الجثث التي تم انتشالها من مخيمي صبرا وشاتيلا من ١٩٨٢/٩/١٨ لغاية الخميس في ١٩٨٢/٩/٣٠"، بتوقيع مدير الدفاع المدني نزيه شمعون، ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٢.

الشخصـــية، وشهادات الأهل، والتعرف على الجثة. وقد أرسل مجلس الكنائس فريقاً من الأطـــباء للقيام بمهمات الإسعاف وتسجيل الأسماء والتعاون مع الصليب الأحمر الدولي. وبلغ مجموع أسماء الضحايا التي نقلناها عنها ١٩٤ اسماً، بينها ١٠ أسماء لم ترد في أية لائحة أُخرى.(٢١)

٤ ــ **لائحـــة مقبرة روضة الشهيدين (ز)**: وهي لائحة كتبت بإشراف الشيخ سلمان الخليل، الذي صلى على الضحايا وقام بمراسم دفنهم في روضة الشهيدين، وهو أيضاً من صلى على الضحايا في المقبرة الجماعية في شاتيلا بالتعاون مع أخيه الشيخ جعفر الخليل. وقـــد تـــأكد من كل الأسماء التي وردت في اللائحة قبل تسليمها، ولا تحتوي الوثيقة على معلومـــات عن أسماء الضحايا. بلغ مجموع أسماء الضحايا في هذه اللائحة ١٤٨ اسماً، بينها ١٠٥ أسماء لم ترد في أية لائحة أُخرى.(٢٢)

٥ ــ **لائحـــة الشـــيخ سلمان الخليل (ل)**: وهي لائحة بخط اليد، كتبها الشيخ سلمان نفســـه حرصـــاً على ذكرى الضحايا والمفقودين الذين تأكد من أسمائهم ومن المعلومات المتوفرة عنهم. وتحتوي هذه اللائحة على الجنسية، ومكان السكن، والعمر، وأسماء الأهل الذين سألوا عن قريبهم، إنّ كان مفقوداً أو مخطوفاً، وكيفية اختطافه. بلغ مجموع الأسماء فـــي اللائحـــة ٨٣ اسماً: ٥٨ اسماً لضحايا، و١١ لمخطوفين، و١٤ لمفقودين، بينهم ١٠ مفقودين لم ترد أسماؤهم في أية لائحة أُخرى.(٢٣)

٦ ــ **لائحـــة مقـــبرة الشهداء (ح)**: تضم هذه اللائحة أسماء الذين دفنوا في مقبرة الشـــهداء. لكـــن جمـــع الأسماء تم بعد عامين من المجزرة، في ١٩٨٤/٨/٨. ولم يتمكن الباحـــث الذي كنت أوفدته لجمع الأسماء من نقلها، بدايةً، بسبب الدمار الكثيف في المقابر نتـــيجة القصـــف، غير أنه لمّا وصل المسؤول عن المقبرة أبو فتحي قام بإرشاد الباحث متـــنقلاً مـــن ضريح إلى ضريح، حتى تمكن من نقل الأسماء عن أضرحة شهداء صبرا وشاتيلا. وقد كانت القبور متقاربة، مع علامة فارقة تميز قبور ضحايا المجزرة من قبور ضـــحايا القصـــف الإســـرائيلي، شارحاً أبو فتحي ذلك بقوله إن أسماء الشهداء في أثناء الاجتـــياح كانـــت تكتب بعد أن يهدأ القصف ويعود الأهل إلى المقبرة، فيكتب اسم الشهيد

---

(٢١) Council of Churches for the Middle East. [List of names of the Sabra and Shatila victims.] 1982.

(٢٢) مقبرة روضة الشهيدين، "أسماء الشهداء في صبرا وشاتيلا ــ مقبرة روضة الشهيدين"، أيلول/سبتمبر ١٩٨٢.

(٢٣) الشيخ سلمان الخليل، "لائحة بأسماء الضحايا والمفقودين في مجزرة صبرا وشاتيلا"، ١٩٨٢.

كــاملاً مــع تاريخ الوفاة باليوم والشهر، أمّا في أعقاب المجزرة مباشرة فقد اكتفي بكتابة "أثـناء الاجتياح الإسرائيلي". وتضم اللائحة الأسماء فقط. وقد بلغ مجموع أسماء الضحايا في هذه اللائحة ١٠٥ أسماء، بينها ٩٣ اسماً لم ترد في أية لائحة أُخرى.(٢٤)

ــ لائحــة مقبرة الشهداء ــ القبر الجماعي (ح'): كتب هذه اللائحة خليل، حارس مقــبرة الشهداء. وهي تضم أسماء الذين لم يدفنوا في قبور خاصة، وإنما في قبر جماعي واحــد. تحتوي اللائحة على الأسماء فقط. وقد بلغ مجموع أسماء الضحايا في هذا القبر الجماعي ٣٥ اسماً، منها ٣٢ اسماً لم ترد في أية لائحة أُخرى.(٢٥)

ب ــ تسجيل الأسماء في مرحلة ما بعد المجزرة

اتســمت عملية تسجيل الأسماء في هذه المرحلة بصفات مختلفة عن مرحلة الذهول الأولــى. فقد كان هناك الوقت الكافي للتأكد من الأسماء والمعلومات من قبل الجهات التي قامــت بالتسجيل. أمّا الخط الأحمر بالنسبة إلى عدد الضحايا فاستمر قائماً أيضاً في هذه الأشهر التي تلت المجزرة.

تميزت لوائح هذه المرحلة بأنها لم تكن كلها لوائح سرية؛ فبعضها أصبح علنياً. أمّا العلانــية فالسبب الرئيسي وراءها الاهتمام بمسألة المخطوفين بصورة خاصة (والمقصود في هذا المجال المخطوفون على الأراضي اللبنانية جميعهم)؛ إذ لا فائدة من العمل لعودة المخطوفين إن بقي محصورّاً في نطاق السرية. فالعمل انطلق أساساً على يد مجموعة من الســيدات اللواتي اختطف لكل منهن زوج أو ابن أو قريب، الأمر الذي دفعهن إلى مقابلة المســؤولين لشــرح قضــيتهن. وهــناك ثلاثــة مصادر عملت على لوائح المخطوفين والمفقوديــن: الأول دار الفــتوى، والثانــي لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان، والثالث هو نتاج جهد مشترك لأكثر من جهة. ويضاف إلى هذه المصادر مصدر لا يرقى إلــى علانيــته أي شك، وهو الصحافة اليومية التي بدأت منذ تشرين الأول/أكتوبر تنشر لوائح أسماء لضحايا ومفقودين.

أمّــا المصادر التي لم تتمكن من أن تقترب من العلانية حتى لسنوات طويلة لاحقة، فكانــت التنظــيمات الفلســطينية التي اهتم بعضها بتسجيل أسماء الضحايا والمخطوفين والمفقودين بدقة، إذ إنها عانت جرّاء تكرار في الأسماء كما جرى في اللوائح الأولى التي وُضعت في مرحلة البحث عن الضحايا. وكانت أكثر اللوائح شمولاً من حيث عدد الأسماء

---

(٢٤) مقبرة الشهداء، "أسماء الشهداء في صبرا وشاتيلا ــ مقبرة الشهداء"، أيلول/سبتمبر ١٩٨٢.

(٢٥) المصدر نفسه.

ودقـة المعلومـات لائحة الجبهة الديمقراطية، تتبعها لائحة تنظيم آخر بقي اسمه في طي الكتمان بناء على طلب المسؤولين فيه؛ وقد أطلقنا عليه اسم "تنظيم فلسطيني 'مجهول'".

في الأشهر التي تلت المجزرة انصرفت جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني إلى إعطاء إفـادات وفاة بحكم الضرورة. ونقلاً عن سجلات الهلال الأحمر في كل من مستشفى غزة ومستشفى عكا كانت لائحة الهلال الأحمر.

ونبدأ باللوائح السرية في حينها، ثم العلنية.

٧ ــ لائحـة جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ــ مستشفى غزة (د): كانت جمعية الهـلال الأحمـر الفلسطيني في مستشفى غزة تقوم بتصديق شهادات الوفاة التي رفضت أكـثر مـن جهة معنية إصدارها بحجة عدم توفر المستندات؛ ولذلك كان المسؤولون في الهـلال الأحمر يطلبون من ذوي الضحايا المجيء بأكثر من شاهد، كما يطلبون مستندات أُخـرى فـي حال توفرها من المؤسسات الإنسانية التي كانت على أرض المجزرة. ومن خلال سجلات المستشفى التي عدنا إليها تمكنا من أن ننقل عدداً من أسماء الضحايا الذين حصل ذووهم على شهادات وفاة لهم. كما أن المسؤولين في مستشفى غزة زودونا لائحة مطبوعة بأسماء الضحايا تحتوي، إلى جانب كل اسم، على عمر الضحية. وقد بلغ مجموع الأسماء من المصدرين معاً ١١١ اسماً، بينها ١٥ اسماً لم ترد في أية لائحة أُخرى.[٢٦]

ــ لائحـة جمعـية الهلال الأحمر الفلسطيني ــ مستشفى عكا (د'): تختلف لائحة مستشـفى عكـا عـن لائحة مستشفى غزة في كونها لا تضم إلاّ أسماء الذين سقطوا في مستشفى عكا أو في جواره، أو بعيداً عنه، لكنهم كانوا من العاملين فيه، كسائقي سيارات الإسعاف. ولا تحتوي اللائحة من المعلومات سوى على الجنسية والمهنة، والعمر أحياناً. وقـد بلغ مجموع أسماء الضحايا في هذه اللائحة المطبوعة ٢٨ اسماً، بينها ١٠ أسماء لم ترد في أية لائحة أُخرى.[٢٧]

٨ ــ لائحـة الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (هـ): تميزت لائحة الديمقراطية بأنها أطول اللوائح، حتى بعد حذف الأسماء المكررة، وبمعلوماتها الكافية الوافية عن كل ضحية أو مخطوف أو مفقود، من حيث العمر والجنسية ومكان الإقامة وتاريخ الاستشهاد، أو تـاريخ الخطـف أو الفقـدان إن عُرف. وقد بلغ مجموع أسماء الضحايا والمخطوفين

---

(٢٦) جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ــ مجمع غزة، 'كشف بعدد شهداء مجزرة صبرا وشاتيلا"، ٤/٧/ ١٩٨٣.

(٢٧) جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ــ مستشفى عكا، 'كشف بأسماء الأشخاص الذين استشهدوا أو فقدوا في مستشفى عكا وفي محطة الخطيب المجاورة"، ١٩٨٣.

والمفقودين في هذه اللائحة ٣٢٦ اسماً، منها ٢٨١ اسماً لضحايا، بينها ١٧ اسماً لم ترد في أية لائحة أُخرى، و٣٠ اسماً لمخطوفين، و١٥ اسماً لمفقودين، بينها ٨ أسماء لم ترد في أية لائحة أُخرى.(٢٨)

٩ ـ **لائحة تنظيم فلسطيني "مجهول" (م)**: تميزت هذه اللائحة بتعريف الضحايا من حيث العمر والجنسية، وباحتوائها على أسماء ضحايا ومخطوفين ومفقودين. وقد بلغ مجموع الأسماء فيها ١٦٦ اسماً، بينها العدد الأكبر للضحايا إذ يبلغ ١٤٧ اسماً، منها اسمان لم يردا في أية لائحة أُخرى. أمّا بالنسبة إلى المخطوفين فورد ١٥ اسماً، كما وردت ٤ أسماء لمفقودين، بينها اسمان لم يردا في أية لائحة أُخرى.(٢٩)

١٠ ـ **لائحة دار الفتوى (ك)**: تميزت لائحة دار الفتوى، بالنسبة إلينا، بكونها اللائحة الأولى التي لاقينا تشجيعاً وترحيباً من أصحابها، بدءاً بالدكتور حسين القوتلي المدير العام لشؤون الإفتاء الذي قابلته سنة ١٩٨٤، وانتهاء بالشيخ خلدون عريمط الذي قابلته بعد سبعة عشر عاماً، سنة ٢٠٠١. وكان الشيخ عريمط من الشهود على كيفية تسجيل أسماء الضحايا والمخطوفين والمفقودين. وقد ذكر لنا أنهم لم يكتفوا بفتح أبواب دار الفتوى للأهالي، بل أرسلوا أيضاً مندوبات ومندوبين عنهم إلى البيوت في منطقة صبرا وشاتيلا. احتوت لائحة دار الفتوى على كشف مطبوع بالأسماء. وقد بلغ مجموع الأسماء التي نقلناها عنها ٢٧٦ اسماً، منها ١٧ اسماً لمخطوفين، و٢٥٩ اسماً لمفقودين من رجال ونساء، معظمها لم يرد في أية لائحة أُخرى حتى بلغ مجموعها ٢٥٦ اسماً.(٣٠)

١١ ـ **لائحة لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان (ن)**: لعل هذه اللجنة هي اللجنة الأهلية الأولى التي انطلقت في عمل علني لا سري كي تتوصل إلى مصير المخطوفين والمفقودين على الأراضي اللبنانية. وقد تألفت اللجنة أساساً، من مجموعة من السيدات اللواتي فقدن أحباء لهن على امتداد السنوات. ومن هؤلاء السيدات تعاونت معنا السيدة وداد حلواني كل التعاون.(٣١) لكن لمّا كانت لائحة اللجنة تضم أسماء جميع

---

(٢٨) الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، "لائحة بأسماء الضحايا والمفقودين في مجزرة صبرا وشاتيلا"، ١٩٨٢ – ١٩٨٣.

(٢٩) تنظيم فلسطيني "مجهول"، "لائحة بأسماء الضحايا والمخطوفين في المجزرة"، ١٩٨٣.

(٣٠) دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية، "لائحة بأسماء الضحايا ممن استشهدوا أو اختطفوا أثناء وقوع مجزرة صبرا وشاتيلا"، ١٩٨٢– ١٩٨٤.

(٣١) وداد حلواني زوجة عدنان حلواني، كان يعمل في سلك التربية والتعليم أستاذاً في ثانوية رمل الظريف (ثانوية الشهيد الرئيس رينيه معوض فيما بعد)، وقد خطف من منزله الساعة الواحدة ظهر الرابع والعشرين من أيلول/ سبتمبر ١٩٨٢ في منطقة رأس النبع.

المخطوفيـــن والمفقودين منذ منتصف السبعينات، وكأفراد لا كجماعات، وبالتالي من دون تحديد لمجزرة صبرا وشاتيلا أو لغيرها من الأحداث والأيام الحمر أو السود إلاّ حين تقدم الأهالي بإيضاح ذلك، فقد توصلنا إلى معرفة الذين لم يحدد أهاليهم المجزرة بوضوح من خلال موقع الخطف وزمانه من جهة، ومن خلال مقابلة هذه الأسماء بالأسماء الواردة في بقـــية اللوائح من جهة أُخرى. وقد طبع الكثير من هذه الأسماء في الصحافة اليومية. بلغ مجمـــوع أسماء المخطوفين والمفقودين التي نقلناها عن اللائحة ٨٨ اسماً، منها ٣٨ اسماً لمخطوفين، و٥٠ اسماً لمفقودين، بينها ١١ اسماً لم ترد في أية لائحة أُخرى.[٣٢]

١٢ ــ اللائحــة المشــتركة للمخطوفيــن والمفقودين (ي): كانت هذه اللائحة المطولة والمطـــبوعة على أوراق دار الفتوى أكثر اللوائح دقة ومنهجية في العمل. وهي نتاج مشترك قامـــت برعايته والمساهمة فيه دار الفتوى، كما ساهمت فيه لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين فـــي لبـــنان من جهة، والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية من جهة أُخرى، بالإضافة إلى كثير من الأفـــراد المتطوعيـــن. امتدت هذه اللائحة المطبوعة على ٨٧ صفحة من القياس الكبير، وبلغ عـــدد الأسماء فيها ١٩٧١ اسماً من الذين خُطفوا أو فُقدوا على الأراضي اللبنانية منذ منتصف الســـبعينات حـــتى ســـنة-١٩٨٣. وقد سجلت الأسماء وفقاً للجنسيات، وهي كما وردت تباعاً: أصـــحاب الجنســـيات غـــير المسجلة؛ اللبنانيون؛ الفلسطينيون؛ السوريون؛ الأكراد؛ أصحاب بطاقات قيد الدرس؛ الأردنيون؛ الأتراك؛ المصريون؛ أصحاب الجنسيات المختلفة.

بالإضـــافة إلـــى الأســـماء الثلاثية ما أمكن، والجنسية، احتوت الوثيقة على العمر وتاريخ الاختطاف ومكانه، في حال توفر المعلومات.

كـــان الحصول أيضاً على أسماء المخطوفين والمفقودين في صبرا وشاتيلا في هذه اللائحـــة مـــن خـــلال المعلومات الواضحة أولاً، ثم من خلال الاستنتاج والمقارنة. وقد توصـــلنا إلـــى ٦٦ اســـماً لمخطوفيـــن ومفقودين، منها ٣٧ اسماً لمخطوفين، و٢٩ اسماً لمفقودين، بينها اسمان لم يردا في أية لائحة أُخرى.[٣٣]

وعليـــنا الـــتوقف هـــنا للقول إن اللائحة قد تحتوي على أسماء أُخرى، لكن لم يكن في الإمكان تخطي القواعد التي وضعناها للاختيار؛ فمبدأ الشك ما كان معمولاً به في هذا المجال.

١٣ ــ لوائح الصحافة اللبنانية: جريدة "السفير" (و): نشرت جريدة "السفير" وثيقة

---

(٣٢) لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان، "لائحة بأسماء المخطوفين والمفقودين في لبنان"، ١٩٨٢-١٩٨٣.

(٣٣) دار الفتوى ــ الجمهورية اللبنانية، "أسماء المخطوفين والمفقودين من اللبنانيين ــ الفلسطينيين ــ جنسيات غير مسجلة"، ١٩٨٢ – ١٩٨٣.

اللائحــة المشــتركة أعلاه في ١٩٨٢/١٠/١٥. كما تابعت موضوع المخطوفين فنشرت أســماء ومعلومات أكثر من مرة. غير أن مجزرة صبرا وشاتيلا لم ترد مع أسماء الذين اخــتُطفوا أو فُقدوا خلالها نصاً، وإنما حكماً وقياساً باللوائح الأُخرى والوقائع. وقد بلغت الأسماء من جريدة "السفير" ١٠٤ أسماء، كانت في معظم الحالات تحتوي على الجنسيات، وكــان بيــنها ٣٣ اســماً لضحايا، منها اسمان لم يردا في أية لائحة أُخرى، و٢٥ اسماً لمخطوفين، و٤٧ اسماً لمفقودين، منها ٣٨ اسماً لم ترد في أية لائحة أُخرى.(٣٤)

ــ جريدة "النداء" (و٬): كانت اللائحة الأكبر والأهم على صفحات "النداء" هي التي نشــرت فــي ١٩٨٢/١٢/١. كما نُشر في العدد نفسه وقائع مؤتمر صحافي للمفتي حسن خــالد، حضــره العشرات من ذوي المخطوفين. وقد صرخ بعضهم بشكاويه أمام المفتي شــارحاً له الصعوبات التي يتعرضون لها في البحث عن أبنائهم المخطوفين، فرد المفتي بوعــد واقعــي بعد أن حثهم على الصبر والإيمان، إذ قال: "هذا ليس معناه أنني سأجلس فقــط، على عاتقنا مساع. وسأتحرك وأتصل برئيس الجمهورية وكل المسؤولين وسأحاول كل ما في وسعي وأُبلغهم إرادتكم وسألح على وجوب رد المخطوفين والمعتقلين، إذا كانوا موجودين، وسأعمل على أن تسعى الدولة لمنع تكرار ذلك."

غير أن المخطوفين والمعتقلين لم يعد منهم أحد على الرغم من كل المساعي، وهذا ما سوف يثبت مع مطلع القرن الحادي والعشرين.

أمّا لوائح الأسماء التي دأبت جريدة "النداء" على نشرها، وخصوصاً اللائحة التي نشرت فــي ١٩٨٢/١٢/١، فالذين عملوا عليها كانوا أكثر من جهة أيضاً، وقد كان عنوانها الفرعي: "لائحــة بأســماء مختطفين لدى 'القوات اللبنانية'"، وتميزت بتنوع المعلومات التي صاحبتها، فشــملت مهــنة المخطــوف وعمره، وزمان الاختطاف ومكانه. وبناء على زمان الاختطاف ومكانــه، ومقارنــة باللوائح الأُخرى، بلغ عدد الأسماء التي توصلنا إليها ٣٧ اسماً لمخطوفين ومفقوديــن، منها ٢٠ اسماً لمخطوفين، و١٧ اسماً لمفقودين، بينها اسمان لم يردا في أية لائحة أُخرى.(٣٥)

ــ لائحــة مخــتارة من الصحف المتعددة (و٬٬): نشرت عدة صحف لبنانية يومية خــلال الأيــام التي تلت المجزرة أخباراً عن الضحايا، وخصوصاً أسماء الذين دفنوا في الخــارج، أو الذين أقام لهم ذووهم المآتم. كذلك كانت هناك أخبار متفرقة عن مخطوفين. وقــد بلــغ عــدد هذه الأسماء ٦١ اسماً، معظمها للضحايا الذين بلغ مجموع أسمائهم ٤٥

---

(٣٤) "أسماء ١١٠ أشخاص اختطفوا أثناء المذابح في مخيمي صبرا وشاتيلا"، جريدة "السفير"، ١٩٨٢/١٠/١٥.

(٣٥) "الاستمارات تضمنت ٦٠٠ اسم خلال يومين"، جريدة "النداء"، ١٩٨٢/١٢/١.

اسماً، بينها ١٠ أسماء لم ترد في أية لائحة أُخرى. أمّا أسماء المخطوفين فكان عددها ١٠ أسماء، والمفقودين ٦ أسماء، بينها اسمان لم يردا في أية لائحة أُخرى.(٣٦)

ج ــ لائحتان من خلال

التاريخ الشفهي والدراسة الميدانية

لم تكن الأسماء ولا الأعداد من أهداف مشروع التاريخ الشفهي حين شرعت فيه قبل نهاية سنة ١٩٨٢ (راجع المقدمة). لكن لمّا تولدت لديّ القناعة بضرورة البحث عن الأسماء كان هذا المشروع هو الميدان الأول الذي بحثت في أرجائه من خلال المقابلات. أمّا حين توصلت إلى القناعة بضرورة القيام بدراسة ميدانية، فكانت هذه الدراسة هي البوابة التي لولاها لما اكتمل، نسبياً على الأقل، مشروع البحث عن الأسماء.

١٤ ــ لائحة التاريخ الشفهي (س): كانت هذه اللائحة الأولى التي انطلقتُ منها للبحث عن الأسماء من خلال المقابلات مع ذوي الضحايا منذ شباط/فبراير ١٩٨٣، كما أنها كانت اللائحة الأخيرة التي توقف البحث عندها؛ أي أن إعداد هذه اللائحة قد امتد ما بين سنة ١٩٨٣ وسنة ٢٠٠٢. لماذا؟

بعد الانتهاء من مشروع المقابلات في المرحلة الأولى طوال عامين بعد المجزرة، غالباً ما كنت أصادف أناساً يخبرني الواحد منهم أن فلاناً من أقربائه قد "راح" (قتل) في صبرا وشاتيلا، أو "راح" ولم يعد (اختطف). وكنت أعد الناس دوماً أن أضيف أسماء أحبائهم، وأفي بوعدي. لكن جاء يوم، في مطلع سنة ٢٠٠٢، انتهيت فيه من الجدول الرئيسي الموحد لجميع أسماء الضحايا والمخطوفين والمفقودين، وقمت بالإحصاء والتحليل، وعاهدت نفسي على التوقف عن إضافة أي اسم جديد. ولا أنسى الرقم الذي حفر في ذاكرتي يومذاك، وهو رقم ١٣٨٩ للضحايا والمخطوفين والمفقودين.

بعد شهرين، في نيسان/أبريل، طلب مني أحد طلابي القدامى مقابلة لطرح أسئلة تتعلق برسالته في "القضية الفلسطينية". وفي نهاية اللقاء سألني عن مشروع صبرا وشاتيلا، فأجبت باقتضاب وأنا أجمع أوراقي. لكنني فوجئت به يقول: "عمي استشهد في صبرا وشاتيلا." فسألته: "من هو عمك؟" أجاب: "عمي هارون عبد عثمان. كان يوم استشهد شاباً عمره ٢٢ سنة فقط." ونظر إليّ الطالب نظرة رجاء بعد أن فهم من نظرتي أن هذا الاسم لم يطرق باب ذاكرتي، فهل أردّ له طلباً بذكر عمه في سطر واحد من عشرات الصفحات من أسماء الضحايا؛ عمه الذي قتلوه يوم كان في الثانية والعشرين من

(٣٦) جريدة "السفير"، أيلول/سبتمبر ــ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢.

عمــره؟ مســتحيل أن أرد الــرجاء. وقد كلفني ذلك العودة إلى تصحيح أكثر من لائحة وجدول وإحصاء ونسبة، كنت أعتقد أنني انتهيت من البحث فيها.

لــو كــان مقــدراً لهذا الكتاب أن يصدر بعد عام واحد فقط، لفاقت أسماء الضحايا والمخطوفيــن والمفقوديــن الرقم ١٣٩٠. أمّا الذين سوف يكتبون عن صبرا وشاتيلا بعد عشرة أعوام، فسيكون الرقم لديهم أكبر.

تلك هي مأساة صبرا وشاتيلا.. فهي ليست مجرد مأساة، بل ينبوع من المآسي.

بعــد إضافة اسم هارون عبد عثمان إلى قائمة الضحايا، أصبح عدد أسماء الضحايا والمخطوفيــن في لائحة التاريخ الشفهي ٢٥١ اسماً، معظمها للضحايا الذين بلغ مجموع أسمائهم ٢٢٤ اسماً، بينها ١٤ اسماً لم ترد في أية لائحة أُخرى. أمّا من المخطوفين فكان هناك ٢٧ مخطوفاً.[٣٧]

١٥ ــ لائحة الدراسة الميدانية (أ): كانت لائحة الدراسة الميدانية هي اللائحة التي تأكدنــا من خلالها أن احتمالات النجاح في البحث تفوق احتمالات الفشل. وعلى النقيض مــن لائحة التاريخ الشفهي، التي استمرت فترة تقارب العشرين عاماً، فقد استغرقت هذه اللائحــة شــهرين مــن ربــيع سنة ١٩٨٤، استكملت خلالهما عملية توزيع الاستمارات وتعبئــتها. ثم ثبت أنها اللائحة الأطول بين مجموع اللوائح، والأكثر دقة وشمولية في كل ما يتعلق بالفرد من حيث العمر والجنسية والمهنة، وكذلك من حيث القربى العائلية.

اشــتملت لائحة الدراسة الميدانية على ٥٣٠ اسماً للضحايا والمخطوفين، منها ٤٣٠ اسماً للضحايا، بينها ٦٦ اسماً لم ترد في أية لائحة أُخرى. أمّا مجموع أسماء المخطوفين فهو ١٠٠ اسم، بينها ٢٢ اسماً لم ترد في أية لائحة أُخرى.[٣٨]

د ــ لائحتان ما بين انتهاء قرن وولادة قرن

مــر خمســة عشر عاماً قبل أن تضاف لائحتان جديدتان إلى اللوائح الخمس عشرة الأولــى، أعــلاه. ففــي أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، صدرت وثيقتان تتضمن كل منهما أسماء لضحايا ومخطوفين في صبرا وشاتيلا.

لم تكن العبرة في عدد الأسماء الجديدة التي أضافتها هاتان اللائحتان؛ فمعظم الأسماء في كل منهما ورد في أكثر من لائحة، وبالتالي فالعدد الجديد المضاف لا يتعدى خانة الآحاد. إنما العــبرة كانت في أن كلاً من هاتين اللائحتين أحيت في الذاكرة عمق المأساة. كما أنه كان لكل

---

(٣٧) تاريخ فلسطين الشفهي: صبرا وشاتيلا، "لائحة أسماء الضحايا والمخطوفين"، إعداد بيان الحوت، بيروت، ١٩٨٢ – ١٩٨٤.

(٣٨) سجل الدراسة الميدانية لصبرا وشاتيلا، إشراف بيان الحوت، ربيع ١٩٨٤.

مـــنهما أهمية خاصة؛ فاللائحة الأولى تعبر عن الاهتمام الذي كان مفتقداً داخل الساحة اللبنانية طـــوال الأعوام الماضية في قضية المخطوفين، بينما تعبر اللائحة الثانية عن الاهتمام المتزايد بمجزرة صبرا وشاتيلا في الساحة الدولية، وفي مقدمها القضاء.

١٦ ــ لائحـــة لجنة التحقيق الرسمية في مصير المخطوفين والمفقودين (ع): قبل انـــتهاء القـــرن العشـــرين، تألفت لجنة رسمية للتحقيق في مصير المخطوفين والمفقودين بطلب رسمي من رئاسة مجلس الوزراء اللبناني، وذلك بهدف جمع المعلومات التي تتعلق بالذيـــن خُطفـــوا وفُقدوا على الأراضي اللبنانية خلال أكثر من ربع قرن؛ أي منذ اندلاع الحـــرب الأهلـــية فـــي منتصـــف الســـبعينات حتى التسعينات. وهي اللائحة التي تتميز بالمعلومات التي أُخذت كلها استناداً إلى استمارات الأهالي.

اســـتمر العمـــل على إعداد هذا السجل أكثر من عام، كي يتمكن الجميع من الإدلاء بما لديهـــم من معلومات. أمّا المعلومات المطلوبة فكانت أكثر شمولاً من أي لائحة أو سجل سابق فـــي موضوع المخطوفين والمفقودين: هناك الاسم الكامل، والاسم الرباعي إن أمكن، وتاريخ الـــولادة ومكانهـــا، والجنســـية، ومكان الخطف وتاريخه، والجهة الخاطفة، والانتماء السياسي للمخطـــوف، والانـــتماء الطائفي، ووضعه العائلي، ومكان وجوده إن كان معلوماً. وقد طبعت الأســـماء كلها في سجل خاص امتد على تسعين صفحة، ولا توجد أرقام متسلسلة. لكن يمكن الاستنتاج أن الرقم يتجاوز الـــ ٢٠٠٠ من المخطوفين والمفقودين.

أمّـــا من أجل التوصل إلى معرفة المخطوفين والمفقودين في صبرا وشاتيلا فكان لا بـــد من الاطلاع على الملف كاملاً. وكانت معرفة الأسماء ممكنة إمّا بسبب ذكر المجزرة بوضـــوح، وإمّـــا بســـبب المعلومات العامة من حيث المكان والزمان والمقارنة باللوائح الأُخـــرى. لكـــن هذا لا يعني أننا واثقون بأننا توصلنا إلى كل المخطوفين والمفقودين في المجزرة عبر صفحات السجل؛ فحيث كان هناك شك لم يتم أخذ الاسم.

بلـــغ مجموع الأسماء التي نقلناها عن السجل ٥٩ اسماً يفترض أنها كلها لمخطوفين أو لمفقوديـــن. لكن لمّا كنا واثقين، من مصادر أُخرى، بأن عدداً من هؤلاء قتل، فالواجب اقتضى نقل أسماء هؤلاء إلى خانة الضحايا. وهكذا، فهذه اللائحة باتت تحتوي على أسماء ١٢ ضحية، منها اسم واحد لم يرد في أية لائحة أُخرى، و٣٢ اسماً لمخطوفين، و١٥ اسماً لمفقودين، بينها اسمان لم يردا في أية لائحة أُخرى.(٣٩)

بعـــد إعـــلان الانتهاء من سجل المخطوفين والمفقودين، وبعد فشل كل المحاولات

---

(٣٩) الجمهورية اللبنانية ــ رئاسة مجلس الوزراء ــ لجنة التحقيق الرسمية في مصير المخطوفين والمفقودين، "معلومات استناداً لاستمارات ذويهم"، ١٩٩٩.

للتوصـــل إلى معرفة مصير هؤلاء جميعاً، أو حتى مصير بعضهم، أعلن رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص، سنة ٢٠٠٠، أن الدولة اللبنانية تعتبر هؤلاء جميعاً قد توفوا. وهكذا أصبح في إمكان ذوي المفقودين/المتوفين إجراء المعاملات الرسمية لتسجيل وفاتهم.(٤٠)

هكـــذا بـــدا أن قضية المخطوفين والمفقودين انتهت قانونياً، لكنها في واقع الأمر لم تنته، إذ لم يرضخ كل الأهالي للمصير المحتوم.

١٧ ـ لائحـــة الدعـــوى ضـــد شارون أمام القضاء البلجيكي (ف): أقام المحامون الـــثلاثة شـــبلي المـــلاط اللبناني، ولوك والين وميشيل فيرهيغي البلجيكيان، دعوى أمام القضـــاء البلجيكـــي، باســـم عـــدد من الناجين من مجزرة صبرا وشاتيلا، ضد شارون والمسؤولين عن المجزرة، مرفقاً بها أسماء الضحايا والمخطوفين كما وردت في شهادات ذويهـــم، أصـــحاب الدعـــوى. وقد تقدم المحامون بدعواهم هذه في بروكسل بتاريخ ١٨ حزيران/يونيو ٢٠٠١.

تمـــيزت الأســـماء في هذه اللائحة بكونها جُمعت من الأهالي بعد مرور نحو ثمانية عشر عاماً على المجزرة. وكانت عملية جمع الشهادات اتسمت بالهدوء والسرية من قبل الفريق المتعاون مع المحامي الملاط.

بلغ مجموع الأسماء الواردة في شهادات الناجين ٩٤ اسماً لضحايا ومخطوفين، منها ٨٨ اســـماً لضـــحايا، بينها اسم واحد انفردت به هذه اللائحة حتى بعد نحو عشرين عاماً على المجزرة. كذلك بينها ٦ أسماء لمخطوفين. وكان لافتاً للنظر أن ثمة أهالي من الذين ســـجلوا أسماء أبنائهم مخطوفين في سجل لجنة التحقيق الرسمية أعلاه، عادوا بعد إعلان الحكومـــة موقفها من اعتبار جميع هؤلاء المخطوفين قد قتلوا، فسجلوا الأسماء أنفسها في شهاداتهم في ملف الدعوى ضد شارون على أن أبناءهم من الضحايا.(٤١)

نحن، مع كل تقديرنا لرغبة الأهل وقرارهم النهائي، موقفنا واضح من حيث أهمية الإبقاء على لوائح المخطوفين كما سجلت؛ وقد شرحنا الأسباب سابقاً.

ثالثاً: الأعداد الموثقة بالأسماء

من خلال لوائح الأسماء السبع عشرة التي حددناها في البند السابق، والتي تستند كل

---

(٤٠) جريدة "السفير"، ٢٦/٧/٢٠٠٠.

(٤١) Shibli Mallat, Luc Walleyn and Michael Verhaeghe, “The Lawsuit made by a number of the Sabra and Shatila massacre survivors against Sharon and other parties responsible for the Sabra and Shatila massacre of 1982 to the Belgian judiciary,” Brussels: June 18, 2001.

منها إلى مصدر محدد، أعددنا لوائح الأسماء الأربع في ملحق الأسماء، بناء على القواعد الثلاث أدناه:

القاعدة الأولى: الفصل بين أسماء الضحايا وأسماء المخطوفين والمفقودين.

القاعدة الثانية: عدم الاكتفاء بتحديد المصادر بصورة عامة، بل ذكر مصادر كل اسم بمفرده، الأمر الذي حتم استعمال الرموز للمصادر. غير أن هذا لا يعني إطلاقاً أن الاسم الموثق بعشرة مصادر أفضل من ذاك الذي يستند إلى مصدر واحد، ذلك بأن المصدر الواحد يكفي؛ فالمصادر جميعها موثوق بها. أمّا الاهتمام بتسجيل ما يتوفر منها إلى جانب كل اسم على حدة، فهو من أجل اللائحة مجتمعة أولاً؛ وهو اعتراف بفضل جميع الذين ساهموا في إعداد هذه اللوائح، ثانياً؛ وهو من أجل ذوي الضحايا والمخطوفين والمفقودين، ثالثاً؛ فلعل أحداً من الأهل يتمكن من التوصل إلى معلومات ما زال يبحث عنها من خلال مصدر ما.

القاعدة الثالثة: تسجيل كل ما توفر من معلومات أساسية على اللوائح نفسها.

وبناء على هذه القاعدة الأخيرة، ولمّا كانت المعلومات عن الفرد كما عن العائلة متكاملة ومتوفرة لجميع الأسماء الواردة في الدراسة الميدانية، فقد سجلت الأسماء في هذا المصدر مع المعلومات الأساسية في لائحتين: الأولى للضحايا، والثانية للمخطوفين، بينما أفردت اللائحة الثالثة للضحايا من المصادر كلها، واللائحة الرابعة للمخطوفين والمفقودين من المصادر كلها، مع تسجيل ما توفر من معلومات في اللائحتين الثالثة والرابعة.

اللائحة رقم ١ ـ "ضحايا صبرا وشاتيلا، استناداً إلى الدراسة الميدانية (١٩٨٤)":

اعتمدنا في الدراسة الميدانية منهجية واحدة في استقاء المعلومات عن الضحية الواحدة، وعن عائلة الضحية، وذلك من خلال طرح الأسئلة الموحدة في الاستمارات؛ وهذا ما ساهم في تسجيل العمر والجنسية والجنس والمهنة إلى جانب كل اسم. أمّا بالنسبة إلى القربى العائلية، فقد أشير باللون الأزرق حيث خسارة العائلة كانت ما بين ضحيتين وإحدى عشرة ضحية.

وطغت أهمية مأساة العائلة على الترتيب الهجائي. فحيث يصل القارئ إلى مأساة عائلة معينة يبتدئ الترتيب باسم الأكبر عمراً من العائلة، أباً كان أو أماً أو أخاً أكبر أو أختاً كبرى أو عماً، إلخ، ثم تسجل أسماء أفراد العائلة تباعاً بحكم السن من الأكبر إلى الأصغر. أمّا اللون الأزرق، الذي تتميز به مآسي العائلات، فيكاد يطغى على اللون الأبيض.

وقد بلغ مجموع أسماء الضحايا في هذه اللائحة ٤٣٠ اسماً.

يلاحظ في نهاية اللائحة ١٠ أسماء ورد منها الاسم الأول فقط أو الكنية فقط، ذلك بأن الذين شهدوا على موتهم لم يكونوا يعرفون أسماءهم الكاملة. كذلك يلاحظ ١٥ ضحية لا أسماء

لهـــا، لكـــن ذاكرة صبرا وشاتيلا تعرف كيف مات هؤلاء جميعاً: ٦ ضحايا من هؤلاء كانوا عمالاً شباباً من بنغلادش، لم يذكر أحد أسماءهم، لكن الكثيرين شهدوا على موتهم، كما شهدوا علـــى أنهم ماتوا في أسرّتهم؛ و٦ ضحايا أُخرى لجثث أطفال صغار وجدت في أحد الملاجئ في الحي الغربي؛ بينما ٣ جثث أُخرى لأطفال أيضاً وجدت محترقة في مستشفى عكا.

إن عدم معرفة أسماء هؤلاء العمال والأطفال لا يلغي حقهم في ذكراهم؛ فهم كانوا بشراً.

اللائحـــة رقم ٢ ــ "المخطوفون في صبرا وشاتيلا، استناداً إلى الدراسة الميدانية (١٩٨٤)": أُعـــدت هـــذه اللائحة سنة ١٩٨٤ كما يظهر من تاريخ الدراسة الميدانية. غير أن عملـــية الـــتأكد من صحة ما جاء فيها تمت خلال سنتي ١٩٩٨ و١٩٩٩، حين قام ثلاثة شبان من المنطقة بزيارات لكل ذوي المخطوفين، بيتاً بيتاً، للسؤال عن مصير الأبناء أو الآباء الذين خطفوا. وكانت الأجوبة، من دون استثناء، أن أحداً لم يعد.[٤٢]

أعـــدت هـــذه اللائحـــة على نسق اللائحة الأولى، وهي تضم ١٠٠ اسم، ورد فيها الأخيران بالاسمين الأولين فقط. لكن هذا لا يعني أن لكل من هذين مأساة لم يتحدث عنها أكثر من شاهد في صبرا وشاتيلا (راجع الرواية الأربعين: "كان معروفاً باسم 'عثمان'").

اللائحة رقم ٣ ــ "ضحايا صبرا وشاتيلا، استناداً إلى المصادر المتعددة": تضم هذه اللائحة أسماء جميع الضحايا الذين وردت أسماؤهم في اللوائح السبع عشرة التي حددناها في البند السابق، بما فيها لائحة الدراسة الميدانية نفسها؛ ذلك بأن هذه اللائحة الثالثة تنفرد بذكر المصادر كلها لكل اسم.

تتميز اللائحة أيضاً بتكامل المعلومات، إذ سجلت فيها المعلومات الواردة في مختلف اللوائح، بعد التدقيق والمقارنة ما أمكن؛ فهناك مصدر لم يذكر عمر الضحية، لكن مصدراً آخر ذكره. وهناك مصدر لم يذكر جنسية الضحية، لكن مصدراً آخر ذكره. وعلى الرغم مـــن تكامل المعلومات فإنه يتضح في النهاية أن الكثير منها بقي ناقصاً، لأن هذه اللائحة إنما تستند إلى ما ورد في اللوائح الوثائق المذكورة.

كل ما توفر من معلومات بالنسبة إلى العمر والجنس والجنسية تم ذكره. أمّا المهنة فلـــم تذكر لسببين: الأول أنها لم تذكر إلاّ نادراً في المصادر المتعددة، والثاني أن الدراسة الميدانية التي تنفرد بذكر المهنة سُجلت كل المهن منقولة عنها في اللائحة الأولى.

بلغ مجموع الضحايا في هذه اللائحة ٩٠٦ ضحايا.

اللائحـــة رقـــم ٤ ــ "المخطوفـــون والمفقـــودون في صبرا وشاتيلا، استناداً إلى

---

(٤٢) سجل الدراسة الميدانية لصبرا وشاتيلا (ملحق)، "مصير المخطوفين"، ١٩٩٨-١٩٩٩.

المصـــادر المتعددة": أعدت هذه اللائحة على نسق اللائحة الثالثة، مصادر ونهجاً وتوثيقاً، لكنها تتميز منها باستنادها إلى مصادر حديثة.

ضمت هذه اللائحة ٤٨٤ اسماً لمخطوفين ومفقودين.

* * *

بناء على اللوائح أعلاه يبلغ مجموع أسماء الضحايا والمخطوفين والمفقودين ١٣٩٠ اسماً.

إن كانت الأرقام المالية باللغة التجارية لا يعترف بها إلاّ حين تكتب كتابة، فما بالنا حين تكون الأرقام لبشر عاشوا على هذه الأرض؟

هؤلاء هم ألف وثلاثمئة وتسعون من الضحايا والمخطوفين والمفقودين.

أمّا بلغة الأمر الواقع، فالمخطوفون لم يعد منهم أحد. وقد تأكدنا من ذلك.

وأمّـــا المفقـــودون فلـــيس مـــن مجال للتأكد من أنهم كلهم لم يعودوا. لكن في أبعد التقديرات، لا يتعدى مجموع الذين عُرف أنهم رجعوا رقم ٥٠ أو ٦٠. ومع ذلك، نفضل احتساب عدد هؤلاء ٩٠ مفقوداً، على أمل أن يصبح الرقم حقيقة، ويعود هؤلاء فعلاً.

وهكـــذا، مع احتساب أن ٩٠ مفقوداً عادوا بحكم التمني في الكثير من الحالات، فلا مفـــر من احتساب جميع الباقين من المخطوفين والمفقودين ضحايا. وهذا معناه أن هناك ١٣٠٠ ضحية.

واحتراماً للإنسان، هؤلاء هم ألف وثلاثمئة ضحية.

رابعاً: الأعداد التقديرية للضحايا

لا تعتـــبر الأعداد الواردة في اللوائح أعلاه هي الأعداد النهائية، وذلك لثلاثة أسباب رئيسية:

كـــل من قام بعملية إحصائية محدودة، بمعنى أنه شارك عن كثب في إعداد لائحة ما من لوائح الأسماء، صرح أن الأعداد الحقيقية تفوق بمراحل ذلك الجهد المحدود الذي شارك فيه.

حـــتى بعـــد جمع الجهود المحدودة كلها، فالعدد الموثق بالأسماء، الذي بلغ ١٣٠٠ ضـــحية، وإن فاق ما كان متوقعاً من مجموع لوائح الأسماء، يبقى دون الواقع الذي تدل عليه القرائن كافة.

يجـــب الإقرار بأن ما من جهة واحدة، رسمية أو إنسانية أو أهلية، كان لديها القرار والإرادة والإمكانـــات لإجـــراء إحصاءات دقيقة بهدف الاقتراب من الحقيقة، ولا في أية مـــرحلة مـــن المراحل. وهذا بغض النظر عن الأوضاع السياسية والأمنية التي ما كانت يومـــاً مشجعة على القيام بإحصاء الضحايا كما يجب، لا في مرحلة البحث عن الضحايا

ولا فيما بعدها. وليس من داع للتكرار أنها كانت أوضاعاً محبطة للغاية، وتبعث على الخوف أو التوتر في أحسن الحالات.

هذه الأسباب المجتمعة أعلاه تطرح السؤال: ما هو العدد التقديري؟

في البند الأول من هذا الفصل، حين ناقشنا "التناقض في الأعداد المعلنة ما بين المصادر"، توقفنا عند الأعداد التقديرية التي وردت في مختلف المصادر. ونضيف أدناه ما أمكننا تقديره من خلال هذه الدراسة، وهو التقدير الذي ينطلق من نوعين من الحسابات يختلف كل منهما عن الآخر: الأول حسابات لوائح الأسماء، والثاني حسابات المدافن والقبور الجماعية وحفر الموت.

أ ــ لوائح الأسماء

ما كان أحد ليظن أن تكون لوائح الأسماء باباً لمعرفة هذا الكم من الأسماء. وما كان أحد ليظن أن تتنوع مصادر الأسماء إلى الحد الذي بلغت معه سبع عشرة لائحة. غير أن هناك لوائح أُخرى ما زالت في الأدراج لم يسلمها أصحابها لأحد. وتلك هي اللوائح التي قام بإعدادها أكثر من تنظيم للدفاع المدني الأهلي، والتي كانت الحماسة قد استبدت بالمسعفين الشباب الذين تحدثوا عنها في شهاداتهم، حتى أنهم وعدوا أن يسلموها بأسرع وقت لمنى سكرية التي حاورتهم. غير أن هذه الحماسة تبخرت أمام امتناع المسؤولين في تلك التنظيمات فيما بعد مرتين من تسليمها: الأولى قبل انتهاء سنة ١٩٨٣، والثانية خلال سنة ١٩٩٩.

وهكذا، لم نتمكن من معرفة الأسماء التي سجلت في تلك اللوائح. غير أن التوقف عند أعدادها يساعد في تقدير العدد النهائي.

قال المسعف زياد، من اتحاد الشبيبة الإسلامية:

> إحنا اللّي طلع معنا صراحة أساميهم ٥١٥ زلمة. كل هيدول اللّي معنا أساميهم، واللّي أهلهم تعرّفوا عليهم.(٤٣)

وقال المسعف نهاد، من الدفاع المدني المقاصدي:

> العدد حسب تقديراتنا رسمياً بصراحة هو بحدود ٢٧٠٠ جثة. طبعاً هناك مفقودين كتار، لكن ما قدرنا نحصيهم، وما قدرنا نعرف شي عنهم لغاية اليوم. بعدهم مفقودين. طبعاً عنّا أسماء متوفرة، وعنّا جداول، وكان عنّا حتى الهويات والبطاقات الشخصية كلها وقسم كبير تسلّم للدولة، وبعدين تسلّموا للأهالي، أهالي القتلى. وكمان

(٤٣) POH. S/SH. No. 81 (244/T.70). Ziad N. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983.

> أعطيـنا إفادات كتيرة، متلاً إحنا الدفاع المدني المقاصدي أعطينا ما يقارب ٧٠٠ إفادة للدفن. منعطيكي جردة ما في إشكال أبداً. ما في إشكال.(٤٤)

وقال المسعف حسن، من كشاف التربية الوطنية:

> إحـنا عـنّا إحصاءات بأسامي ومواليد وتواريخ. السبت أنا بجبلك نسخة من التقرير. مسـتعدين نجـبلك نسخة بأسامي. بالنسبة للمجزرة العدد بِقارب ١٥٠٠ جثة اللّي إحنا تبلّغـنا عـنها وعنّا أساميها. أمّا التقرير اللّي إحنا رفعناه للمديرية كان بهالعدد، هيدا العدد اللّي رفعتو لجنة المتطوعين. ما بعرف ليش انحكى بالجرايد إنّو العدد من ٣٠٠ لـــ ٤٠٠. هـاي إحـنا ما منقدر ندخل فيها على أساس إحنا دفاع مدني عَمَلْنا شيل جريح، حط جريح، إنقذ جريح.(٤٥)

يبلغ مجموع الأسماء في هذه اللوائح الثلاث ٢٧١٥ اسماً، فكيف الاستدلال من هذا الرقم؟

بلغ مجموع الأسماء في اللوائح السبع عشرة التي اعتمدناها من ضحايا ومخطوفين ومفقوديـن ٣١٩٦ اسـماً، وبلغ مجموع اللائحة الموحدة (وهي مجموع اللائحتين الثالثة والرابعة في ملحق لوائح الأسماء) ١٣٩٠ اسماً، لكننا حذفنا من كل من المجموعتين كما ذكرنا سابقاً ٩٠ من عدد المفقودين، مَعتبرين ــ نظرياً على الأقل ــ أن هؤلاء عادوا. أمّا سائر المخطوفين والمفقودين فاعتبرناهم بعد عشرين عاماً، واقتداء بقرار رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص، أنهم جميعاً قتلوا. هكذا أمكن اعتبار أن مجموع الأسماء في اللوائح كلهـا مـن الضحايا يبلغ ٣١٠٦ أسماء، واعتبار أن مجموع الأسماء في اللائحة الموحدة للضحايا يبلغ ١٣٠٠ اسم.

وهكـذا، بالقياس النسبي، ما دام العدد ٣١٠٦ ــ الذي هو مجموع الأسماء في سبع عشرة لائحة، والذي يحتوي على أسماء مكررة ــ قد نتجت منه لائحة موحدة من ١٣٠٠ اسـم، فمجمـوع الأسـماء فـي عشرين لائحة، الذي يبلغ ٥٨٢١ اسماً ضمنها الأسماء المكررة، ستنتج منه ــ افتراضياً ــ لائحة موحدة من ٢٤٦٣ اسماً.

مـن الضروري التعليق، أولاً، بأن رقم اللائحة الموحدة الافتراضي قد يكون أعلى بنسبة محدودة، أو أقل بنسبة محدودة، لكنه يبقى قريباً من الرقم ٢٤٦٣.

أمّـا لو أضيفت إلى هذه اللوائح تلك التي نعرف بوجودها لكنها لم تتوفر لنا ــ مثل

---

(٤٤) POH. S/SH. No. 75 (242/T. 67). Nuhad L. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983.

(٤٥) POH. S/SH. No. 73 (238/T. 66). Hasan H. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983.

بعض اللوائح التي كانت في حيازة لجنة التحقيق اللبنانية، إذ كان لديها خمس لوائح لم يتوفر لنا منها سوى اثنتين، أمّا الثلاث الأُخرى، أي لائحة الجهاز الطبي للجيش اللبناني، ولائحة الصليب الأحمر اللبناني، ولائحة أقارب القتلى، فلم تتوفر أي منها لنا؛ ومثّل اللوائح التي أعدتها اتحادات ومنظمات فلسطينية آثرت الاحتفاظ بها لنفسها كي تتمكن من القيام بنشرها، وهي وفق معلوماتنا أربع لوائح على الأقل ــ لارتفع العدد التقريبي، ولا ريب، إلى ما فوق ٣٠٠٠ ضحية.

ومن الضروري التعليق، ثانياً، بأن لوائح الأسماء ليست مؤهلة وحدها لطرح الأعداد الحقيقية إلاّ في حالة واحدة، هي القيام بمسح إحصائي موحد مسؤول؛ وهذا ما لم يحدث قط.

أمّا من خلال تجربتنا في توزيع استمارات الدراسة الميدانية، فكثيراً ما قيل لأعضاء الفريق: "شوفوا، هاي البيوت المهدمة ورانا، راح أهاليها كلهم." وأحياناً كان المتحدثون يستكملون حديثهم بمعلوماتهم عن جيرانهم، وأحياناً أُخرى كانوا يعقبون بأن الكثيرين من هؤلاء السكان الذين هدمت بيوتهم وهم فيها كانوا عمالاً سوريين ومصريين، أو عائلات فلسطينية ولبنانية جاءت من الجنوب إلى صبرا وشاتيلا بسبب الاجتياح الإسرائيلي، وهم لم يتعرفوا عليها بعد.

ونضيف أن تجربة جمع الأسماء في التاريخ الشفهي خاصة كانت دائماً تشير إلى أعداد لم يتمكن الرواة من تذكر أسماء أصحابها؛ وكثيراً ما كانوا يتحدثون عن أشخاص محددين، مع الوعد بالبحث عن أسمائهم. ثم لا يتحقق الوعد.

وعبر السنوات العشرين الماضية كلها، كنا نستمع إلى مآس جديدة لم نكن سمعنا بها سابقاً.

وهكذا.. تقودنا أعداد الأسماء المسجلة في اللوائح، وأعداد اللوائح التي لم نطّلع عليها، مع الأسباب المجتمعة أعلاه لغياب الكثير من الأسماء حتى عن ذاكرة الناس، إلى تقدير عدد الضحايا بما ليس أقل من ٣٥٠٠ ضحية.

ب ــ المدافن والقبور الجماعية وحفر الموت(٤٦)

ليس سهلاً تقدير العدد في كل قبر جماعي وفي كل حفرة موت وفي كل ملجأ قتل من فيه، لذلك نكتفي بذكر الأرقام الواردة في مصادرها. أمّا التقدير النهائي فهو قائم، بصورة عامة، على هذا الكم الهائل من أماكن الدفن الواردة أدناه؛ ذلك بأن من الصعب جداً، إنسانياً ونفسياً، محاولة تقدير عدد الضحايا في كل حفرة موت لم ينبشها أحد بعد.

---

(٤٦) القسم الأكبر من الشهادات والأقوال الواردة في هذا البند ذُكر في أمكنة سابقة، لذلك لن نكرر مصادرها، ونكتفي بذكر مصادر المعلومات التي ترد أول مرة.

نبتدئ بأماكن الدفن داخل منطقة المجزرة.

كـان المهـاجمون قد قاموا بدفن الكثير من الضحايا في حفر متعددة في أكثر من مكـان: بعضها تم اكتشافه وإعادة دفن ضحاياه، وبعضها الآخر لم يُعرف مكانه في الأيام الأولـى، ثـم بعد مرور أسبوع وأكثر تغلب الرأي في عدم نبش القبور خوفاً من انتشار الأوبـئة. وكـان آخر قبر جماعي حفره شباب الدفاع المدني وأخرجوا منه ١٩ جثة، قد اكتشف على مقربة من الشارع الترابي الفاصل ما بين المدينة الرياضية والحي الغربي.

توزعـت حفر الموت في أماكن متعددة من شاتيلا وما حولها، حتى بلغ تعدادها مع الملاجـئ والكاراجـات التي امتلأت بالضحايا، أكثر من ٢٠ موقعاً. وقد توزعت مواقع المـوت هـذه في حي الحرش والحي الغربي وحي عرسال ورمال نادي الفروسية سابقاً (المعروف بنادي التورف/Turf Club) ورمال السفارة الكويتية بصورة خاصة. كما كان هناك حفر في بئر حسن وداخل المدينة الرياضية.

أمّـا الملاجـئ فكانت هي الأماكن المستهدفة قبل غيرها، إذ كان السكان يُقتلون إمّا داخلها وإمّا خارجها عند جدران قريبة أو في ساحات قريبة. ومن هذه الملاجئ: ملجأ أبو ياسر؛ ملجأ الشعبية؛ ملجأ الديمقراطية؛ الملجأ السري؛ ملجأ فتح؛ كاراج أبو جمال؛ كاراج درويـش. وكـان ثمـة إلى جانب هذه الملاجئ عدد آخر لم يعرف الشهود أسماءه لكن أماكنه تظهر في الخريطة (أنظر الخريطة الخامسة: "الملاجئ وحفر الموت").

قُتلـت عـائلات كثيرة ثم هدمت بيوتها عليها. والكثير من هذه البيوت، التي عدت بالعشرات، لم يستطع أحد انتشال الجثث من تحت أنقاضه فدُفن سكانه حيث قتلوا.

قام المهاجمون القتلة بإخفاء معالم الموت في الكثير من الأماكن، فكانت عملية القتل تتبعها عملية قلب الجثث بواسطة الجرافات وطمرها. وقد اتبعت هذه الوسيلة في أكثر من مكـان، وخصوصـاً في حي عرسال والحي الغربي وحرش ثابت. وهؤلاء الضحايا هم الذين لم يعثر على جثثهم، أو على بقايا منهم.

لـم يـبال المهاجمون بإخفاء كل الجثث. وقد كان بين الجثث الظاهرة جثث أولئك الأربعة الذين قتلوهم ورموا بهم في حوض السباحة في المدينة الرياضية. كما كان هناك ثماني وعشرون جثة مقيدة في المدينة أيضاً.[٤٧]

أخرج المهاجمون الكثير من جثث الضحايا بواسطة الجرافات وسيارات الشحن إلى خارج المنطقة، وخصوصاً يوم السبت.

قـتل المهـاجمون الكثيرين من سكان صبرا وشاتيلا خارج منطقة صبرا وشاتيلا:

---

(٤٧) Kapeliouk, op. cit., p. 79.

منهم من وجدت جثثهم في الناعمة والدامور؛ ومنهم من وُجدت جثثهم في أماكن أُخرى جنوباً بعد أن رماها المهاجمون من الشاحنات التي كانوا انطلقوا بها من رمال السفارة الكويتية، مروراً بالأوزاعي وخلدة وحارة الناعمة والناعمة وكفرشيما في اتجاه الجنوب؛ ومنهم من وُجدت جثثهم على طريق المطار.(٤٨)

لكن، بحسب إحدى الشهادات، كان هناك أيضاً ضحايا ألقوا بهم وهم أحياء في البحر، بالقرب من الناعمة والدامور، مع أكياس ثقيلة كي يغرقوا في الأعماق؛ فكان من المستحيل اكتشاف جثثهم.(٤٩)

بعد مرور أشهر على المجزرة تم اكتشاف بعض الجثث في المجارير، وكان من الذين اكتشفوها أعضاء في الفريق الدانماركي الذي جاء للعمل على تحسين البنية التحتية في أول شتاء يمر على شاتيلا بعد أيلول/سبتمبر ١٩٨٢. فقد كان مستغرباً أن تغمر مياه الأمطار الطرقات بدلاً من أن تستوعبها المجارير الكبيرة التي أُعدت أساساً لتكون ممراً تحت الأرض. لكن ما إن فتح الدانماركيون المجارير حتى تبين لهم أنها مسدودة بالجثث التي ألقيت فيها خلال المجزرة.(٥٠) كما تم لاحقاً اكتشاف جثث أُخرى في المجارير في منطقة بئر حسن بالقرب من محطة الوقود، وذلك عندما فتح شباب لبنانيون متطوعون "الريغارات" لإصلاحها، فصدموا برائحة كريهة قوية. وكانوا كلما فتحوا مجروراً يجدون خمس جثث أو ست جثث.(٥١)

وننتقل إلى عمليات الدفن في مرحلة البحث عن الضحايا.

في الأيام الأولى ما بعد المجزرة، كانت الجرافات تجرف بشكل جماعي بيوتاً مهدمة وأكواماً من الردم والجثث، ثم تقوم بدفن الموتى جماعات. وتم معظم ذلك قبل يوم الاثنين في ٢٠ أيلول/سبتمبر، وقبل البدء بالدفن في المقبرة الجماعية. وقد قال الشيخ سلمان الخليل، نقلاً عن عناصر من الجيش، إنهم قاموا بدفن الموتى بأسرع ما يمكن منعاً لانتشار الأوبئة.(٥٢)

يقدَّر عدد الضحايا الذين دفنوا في أيام متتابعة بدءاً من يوم الاثنين الواقع فيه ٢٠

---

(٤٨) Ibid., p. 80.

(٤٩) POH. S/SH. No. 16 (248/T.18). Hajj Mahmoud R. Interview with author. Beirut: Author's house, February 16, 1983.

(٥٠) POH. S/SH. No. 52 (249/T.51). Ann Sunde. Interview with author. Beirut: Author's house, April 6, 1983.

(٥١) POH. S/SH. No. 126 (243/T.96). Hajj Maysam. Interview with author. Beirut: Author's house, August 17, 1999.

(٥٢) POH. S/SH. No. 90 (241/N.14). "Sheikh" Khalil Salman. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's house, June 1983.

أيلول/سبتمبر في المقبرة الجماعية ـــ تلك المقبرة التي باتت معلماً من معالم المجزرة إلى يمين المقبل من أول شاتيلا ـــ ما بين ٧٠٠ و٨٠٠ ضحية.

أمّـــا الأهالي الذين تمكنوا من أخذ ضحاياهم لدفنهم خارج المنطقة، فقد قاموا بدفنهم إمّـــا فـــي مقابر بيروت وإمّا في بلداتهم وقراهم. وقد عُرف عدد الذين دفنوا في روضة الشـــهيدين وفـــي مقبرة الشهداء، وهو ٣٣٤ ضحية، كان بينهم ٤٥ جثة لم تعرف أسماء أصحابها فدفنوا في الخشخاشة الفرنسية، وكان معظمهم من العمال، لكن عرفت جنسياتهم؛ فكانوا من باكستان والهند وسورية وبنغلادش.(٥٣)

آخـــرون بالمئات دفنوا في مقابر أُخرى في بيروت أو نقلوا كي يدفنوا في مناطقهم. وقد قـــدرت مصادر في الدفاع المدني والصليب الأحمر أن هناك نحو ١٢٠٠ جثة أخذها الأهالي لدفنها على حسابهم. لكن هذا الرقم مبالغ فيه، وربما كان الهدف من نشره عدم الرغبة في نشر تلك الأعداد الكبيرة التي اكتشف أن المهاجمين قاموا بإخفاء معالمها، وأيضاً تلك التي دفنت في شاتيلا قبل يوم الاثنين، أي قبل الدفن وفقاً للأصول الدينية وفي المقبرة الجماعية.

قـــدر مسؤول في جهاز الدفاع المدني التابع لكشافة الرسالة الإسلامية أن عدد الذين أخذوهم للدفن خارج بيروت يقدر ما بين ٢٠٠ و٣٠٠ ضحية.(٥٤)

أمّـــا الأماكـــن التي دفن فيها الضحايا خارج بيروت، فكان أهمها في قضاء صور حيـــث دفن في بلدتي قانا ومجدل زون ٢٠ ضحية بتاريخ ٢٠ أيلول/سبتمبر،(٥٥) كما تم دفـــن ٥٦ ضحية في ٢٤ من الشهر نفسه، منها ٤٠ ضحية في برعشيت، و٨ ضحايا في مجـــدل زون، و٣ ضـــحايا في أبو الأسود، و٥ ضحايا في مخيم الرشيدية.(٥٦) أمّا في مـــنطقة بعلـــبك، فقـــد تم دفن ٢٠ ضحية في بلدة النبي شيت بعد ٢٠ أيلول/سبتمبر.(٥٧) كذلك دفن عدد من الضحايا في منطقة الشوف.(٥٨)

إن أية محاولة لتقدير عدد الضحايا لدى الفئات المذكورة، مع تقدير الحد المعقول إن لم نقل الحد الأدنى، تصل بالعدد إلى ٣٥٠٠ ضحية.

---

(٥٣) POH. S/SH. No. 114 (241/N.23). "Guard" Khalil. Interview by Q. Beirut: al- Shuhada Cemetery, July 8, 1984.

(٥٤) POH. S/SH. No. 126 (243/T. 96), as above.

(٥٥) جريدة "السفير"، ١٩٨٢/٩/٢١.

(٥٦) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٩/٢٥.

(٥٧) POH. S/SH. No. 90 (241/N.14), as above.

(٥٨) POH. S/SH. No. 16 (248/T.18), as above.

خامساً: نسبة الجنسيات

مقارنة بين المصادر

قدمنا في الفصل الأول من هذا القسم تحليلاً لأعداد الدراسة الميدانية، وكانت جنسية الضحايا من الموضوعات التي خضعت للتحليل. أمّا في هذا البند فسنقارن بين نسب جنسيات الضحايا كما استخلصت من لائحة الدراسة الميدانية (راجع ملحق لوائح الأسماء: اللائحة رقم ١ ــ ضحايا صبرا وشاتيلا، استناداً إلى الدراسة الميدانية/١٩٨٤ ــ اختصاراً: الميدانية الأولى) وبين الجنسيات في لائحة الضحايا استناداً إلى المصادر المتعددة (راجع ملحق لوائح الأسماء: اللائحة رقم ٣ ــ ضحايا صبرا وشاتيلا، استناداً إلى المصادر المتعددة ــ اختصاراً: المتعددة الثالثة).

بلغ مجموع أسماء الضحايا في لائحة الميدانية الأولى ٤٣٠ اسماً، وفي لائحة المتعددة الثالثة ٩٠٦ أسماء. بعض الأسماء في هذه اللائحة عرفت جنسيته نقلاً عن مصدر واحد أو أكثر، بينما بقي بعضها الآخر مجهول الجنسية لعدم ورودها في أي من المصادر. أمّا أسماء الضحايا الذين عُرفت جنسياتهم في المتعددة الثالثة فبلغ مجموعها ٥٩٧ اسماً. وسنقارن بين نسبة جنسيات الـ ٤٣٠ في لائحة الميدانية الأولى وبين نسبة جنسيات الـ ٥٩٧ في لائحة المتعددة الثالثة.

بلغ عدد الفلسطينيين في لائحة الميدانية الأولى ٢٠٩ ضحايا، بنسبة ٤٨,٦٠٪، وفي لائحة المتعددة الثالثة ٣٠٥ ضحايا، بنسبة ٥١,٠٩٪.

بلغ عدد اللبنانيين في لائحة الميدانية الأولى ١٢٠ ضحية، بنسبة ٢٧,٩١٪، وفي لائحة المتعددة الثالثة ١٧٨ ضحية، بنسبة ٢٩,٨٢٪.

بلغ عدد الذين يحملون بطاقة قيد الدرس (لا جنسية لهم) ٣١ ضحية في لائحة الميدانية الأولى، بنسبة ٧,٢١٪، وفي لائحة المتعددة الثالثة ٣٥ ضحية، بنسبة ٥,٨٨٪.

بلغ عدد السوريين في لائحة الميدانية الأولى ٢٣ ضحية، بنسبة ٥,٣٥٪، وفي لائحة المتعددة الثالثة ٣٠ ضحية، بنسبة ٥,٠٤٪.

بلغ عدد المصريين في لائحة الميدانية الأولى ١٨ ضحية، بنسبة ٤,١٩٪، وفي لائحة المتعددة الثالثة ٢٣ ضحية، بنسبة ٣,٨٥٪.

يلاحَظ أن تقارب النسب ما بين اللائحتين يؤكد صدقيتها. فنسبة الفلسطينيين ارتفعت نحو ٣٪، وكذلك ارتفعت نسبة اللبنانيين نحو ٢٪؛ وهذه نتيجة طبيعية أدى إليها تعدد المصادر في اللائحة الثالثة. أمّا انخفاض نسبة أصحاب بطاقات قيد الدرس في لائحة المتعددة الثالثة عن مثيلتها في لائحة الميدانية الأولى، فمن أسبابه أن عائلات هؤلاء

الضحايا لم تكن من المبادرين إلى تسجيل أسماء ضحاياهم، إذ منها من كان غادر المنطقة، ومنها من استمر يشعر بأن حرمانه من الجنسية اللبنانية يعني بالتالي حرمانه من سائر الحقوق؛ والدليل على ذلك أن أعضاء فريق العمل في الدراسة الميدانية بذلوا جهداً في التوصل إلى المعلومات عن ضحايا هذه الفئة، ومعظم ما عُلم عنهم كان من خلال الجيران والأصدقاء.

أمّا فيما يتعلق بنسبة الضحايا السوريين والمصريين فهي لم تتغير إلاّ قليلاً جداً، إذ انخفضت لدى كل من الفئتين بمقدار ضئيل من الواحد في المئة.

كذلك سائر الجنسيات التي كان لكل من أصحابها نسبة نحو ١٪، أو ما دون ١٪. فقد استمرت النسب متقاربة جداً. وكانت تلك الجنسيات للبنغلادشيين والأردنيين والأتراك والسودانيين والجزائريين والباكستانيين والإيرانيين والتونسيين.

وأمّا بالنسبة إلى جنسيات المخطوفين والمفقودين، فستتم المقارنة بين لائحة الدراسة الميدانية (راجع ملحق لوائح الأسماء: اللائحة رقم ٢ ـ المخطوفون في صبرا وشاتيلا، استناداً إلى الدراسة الميدانية/١٩٨٤ ـ اختصاراً: الميدانية الثانية)، وبين لائحة المخطوفين والمفقودين استناداً إلى المصادر المتعددة (راجع ملحق لوائح الأسماء: اللائحة رقم ٤ ـ المخطوفون والمفقودون في صبرا وشاتيلا، استناداً إلى المصادر المتعددة ـ اختصاراً: المتعددة الرابعة).

بلغ مجموع أسماء المخطوفين في لائحة الميدانية الثانية ١٠٠ اسم، وبلغ مجموع أسماء المخطوفين والمفقودين في لائحة المتعددة الرابعة ٤٨٤ اسماً؛ لكن لم تعرف جنسيات هؤلاء جميعاً (في اللائحة الرابعة) للأسباب نفسها التي لم تعرف فيها جنسيات الضحايا (في اللائحة الثالثة) كما ورد أعلاه. أمّا الذين عُرفت جنسياتهم فكان عددهم ١٧٣ مخطوفاً ومفقوداً.

بلغ عدد الفلسطينيين في لائحة الميدانية الثانية ٦٦ مخطوفاً، بنسبة ٦٦٪، وفي لائحة المتعددة الرابعة ١١٦ مخطوفاً ومفقوداً، بنسبة ٦٧,٠٥٪.

بلغ عدد اللبنانيين في لائحة الميدانية الثانية ١١ مخطوفاً، بنسبة ١١٪، وفي لائحة المتعددة الرابعة ٢٦ مخطوفاً ومفقوداً، بنسبة ١٥,٠٣٪.

بلغ عدد السوريين في لائحة الميدانية الثانية ١٣ مخطوفاً، بنسبة ١٣٪، وفي لائحة المتعددة الرابعة ١٨ مخطوفاً ومفقوداً، بنسبة ١٠,٤٠٪.

بلغ عدد الذين يحملون بطاقة قيد الدرس في لائحة الميدانية الثانية ٦ مخطوفين، بنسبة ٦٪، ولم يرتفع عددهم في لائحة المتعددة الرابعة، الأمر الذي جعل النسبة تنخفض إلى ٣,٤٧٪.

بلغ عدد المصريين في لائحة الميدانية الثانية ٣ مخطوفين، بنسبة ٣٪، وفي لائحة المتعددة الرابعة ٤ مخطوفين ومفقودين، بنسبة ٢,٣١٪.

تميزت لائحة الميدانية الثانية بوجود بريطاني واحد مخطوف، هو نفسه في اللائحة

الرابعة. كذلك تميزت الرابعة من الثانية بإضافة تركيبين اثنين مفقودين.

نلاحظ أن نسبة الفلسطينيين ارتفعت ١٪ في اللائحة الرابعة عن مثيلتها في الثانية، وهـذا طبيعـي جـداً. أمّـا ارتفاع نسبة اللبنانيين ٤٪ فناجم عن الاهتمام العلني بقضية المخطوفيـن والمفقوديـن وقـيام دار الفـتوى بتسجيل أسمائهم بالتعاون مع لجنة أهالي المخطوفيـن والمفقودين في لبنان وغيرها. وأمّا انخفاض نسبة السوريين نحو ٣٪ فناجم عن رحيل معظم المقيمين السوريين في تلك المرحلة. ويعود سبب احتواء الميدانية الثانية علـى الكثير من أسماء السوريين وغيرهم من أصحاب الجنسيات الأُخرى، حتى لو كان الأهالـي قد غادروا، إلى أن فريق الدراسة الميدانية لم يعتمد في تعبئة الاستمارات على الأهالي فقط، بل على الجيران والأصدقاء أيضاً.

بصـورة عامـة، نلاحظ أن نسب لائحة المتعددة الثالثة في الجنسيات أكدت صحة نسـب لائحة الميدانية الأولى، كذلك أكدت نسب لائحة المتعددة الرابعة صحة نسب لائحة الميدانية الثانية.

سادساً: نسبة الإناث والأطفال

مقارنة بين المصادر

كانـت نسـبة الإناث والأطفال من الموضوعات التي تناولناها بالتحليل في الفصل الأول السـابق، وسنقارن بين هذه النسب كما كنا استخلصناها من لائحة الميدانية الأولى وبين تلك التي نستخلصها من لائحة المتعددة الثالثة (راجع البند الخامس أعلاه بالنسبة إلى تعريف أسماء اللوائح وأعدادها).

بلغ عدد الإناث في لائحة الميدانية الأولى ١١٢ أنثى، بنسبة ٢٦,٠٥٪، وفي لائحة المتعددة الثالثة ٢٠١ أنثى، بنسبة ٢٢,١٨٪.

إن انخفـاض نسـبة الإناث الظاهر في لائحة المتعددة الثالثة عن مثيلتها في لائحة الميدانـية الأولـى نحـو ٤٪ يعود إلى أن فريق الدراسة الميدانية كان توجه إلى أرض المجـزرة لـتوزيع الاستمارات ولم ينتظر مجيء الأهالي لتسجيل أسماء ضحاياهم. لذلك كـان طبيعياً أن يكون عدد العائلات والإناث أكثر ارتفاعاً عنه في لائحة المتعددة الثالثة التـي استندت بصورة عامة إلى مبادرة السكان إلى تسجيل أسماء ضحاياهم. وبالإضافة إلى ذلك فمصادر الاستمارات لم تقتصر على معلومات الأهالي، وإنما امتدت إلى الجيران والأقرباء، وهو ما سمح بتعبئة الكثير منها لعائلات لم تكن في المنطقة خلال مرحلة إعداد الدراسـة الميدانـية، أي فـي ربـيع سنة ١٩٨٤، وخصوصاً عائلات الجنسيات العربية وعائلات فئة بطاقات قيد الدرس (لا جنسية لها).

تختلف أعداد الإناث بين المخطوفين والمفقودين اختلافاً بيناً عنها بين الضحايا؛ إذ تم اختطاف بعض النساء في الليلة الأولى، غير أن اختطاف النساء لم يُلاحَظ قط يوم السبت، مثلاً، حين اختُطف الشباب بالعشرات. ومن الواضح أن خطة الاختطاف كانت تشمل الشباب في الدرجة الأولى، فلائحة الميدانية الثانية (للمخطوفين) لم تشمل أسماء إناث، في حين اشتملت لائحة المتعددة الرابعة على ٣٢ أنثى (فتاة وامرأة) من مجموع المخطوفين والمفقودين في اللائحة، الذين بلغ عددهم ٤٨٤ مخطوفاً ومفقوداً. أمّا نسبة هؤلاء الإناث فتبلغ ٦,٦١٪؛ وهي نسبة تبدو ضئيلة، لكنها كان يجب ألاّ تكون متوفرة في الأساس.

أمّا الأطفال من عمر الجنين فالرضيع وحتى السنة الثانية عشرة، فقد بلغ عددهم في لائحة الميدانية الأولى ٩٥ طفلاً، بنسبة ٢٢,٠٩٪؛ لكن في لائحة المتعددة الثالثة لم تذكر الأعمار إلاّ أحياناً، بحيث لم يكن هناك من مجموع ٩٠٦ ضحايا سوى ٥٨٥ ضحية ذكرت أعمارها، وقد بلغ عدد الأطفال بين هؤلاء ١٠٨ أطفال، بنسبة ١٨,٤٦٪.

تدل المؤشرات كلها على أن معرفة الأعمار، فيما لو توفرت لعدد أكثر من الضحايا، كان يمكن أن تُستخلص منها نسبة تقارب نسبة لائحة الميدانية الأولى. ذلك بأن قراءة أسماء العائلات والمعرفة المسبقة بمآسي الكثير منها تشيران إلى وجود صغار في هذه العائلة أو تلك. غير أن استنتاج المعلومات قاعدة لم تتبع لدينا في نقل أسماء الضحايا عن المصادر الأولى، أي لوائح الأسماء؛ فما كان غير متوفر في الأساس لم يكتب شيء مكانه. غير أنه تجدر الإشارة، في هذا المجال، إلى استثناء واحد عن القاعدة، وهو تسجيل جنس الضحية على الرغم من أن تصنيف الجنس لم يكن متوفراً في اللوائح، غير أنه تم تلقائياً من خلال تصنيف الأسماء نفسها ما بين أسماء الذكور وأسماء الإناث.

سابعاً: التقرير اللبناني

أعداد الضحايا

التقرير اللبناني الرسمي، الشهير بتقرير جرمانوس، نسبة إلى قاضي التحقيق العسكري أسعد جرمانوس الذي ترأس لجنة التحقيق، لم يُنشر رسمياً من قبل الدولة اللبنانية، ولا لاحت يوماً بوادر يستدل منها أنه قد ينشر. وقيل غير مرة إنه مفقود من الوزارات والمؤسسات التي يفترض وجوده فيها. غير أن جريدة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية كانت أول من نشر مقتطفات منه وموجزاً له حال صدوره.[٥٩] ونقلاً عن هذه الجريدة نشرت جريدة "السفير"

(٥٩) شلومو نكديمون، "تقرير المدعي العام جرمانوس حول مجزرة صبرا وشاتيلا"، جريدة "يديعوت أحرونوت"، ١٩٨٢/١٢/٢.

اللبنانــية موجزاً للموجز.[٦٠] ثم نشرت صحف أُخرى لاحقاً المعلومات نفسها. ويستنتج من أنــباء الصــحف أن التقرير انتهى وضعه في ٢٩ أيلول/سبتمبر، أي بعد أحد عشر يوماً من انتهاء المجزرة.

أبرز النقاط وضوحاً في المجتزأ من هذا التقرير كانت أعداد الضحايا والجهات التي قامــت بــتعدادها. فقد ذكرت "يديعوت أحرونوت"، استناداً إلى التقرير الذي حصلت على نســخة كاملة عنه، أن الضحايا جرى تعدادهم من قبل خمس جهات، هي: الجهاز الطبي للجيش اللبناني؛ أقارب القتلى؛ رجال الدفاع المدني في بيروت؛ الصليب الأحمر اللبناني؛ الصليب الأحمر الدولي. أمّا مجموع عدد "القتلى" فهو ٤٧٠ قتيلاً وفقا للتوزيع التالي:

٣٢٨ فلسطينياً، منهم: ٧ نساء، و٨ أطفال؛

١٠٩ لبنانيين، منهم: ٨ نساء، و١٢ طفلاً؛

٧ سوريين؛

٣ باكستانيين؛

٢ جزائريين؛

٢١ إيرانياً.[٦١]

مــن الواضــح أن هذه الأعداد أقل كثيراً من الأعداد التي كانت الصحافة اللبنانية تنشرها يوماً فيوماً. غير أن المشكلة ليست في المجموع النهائي، وخصوصاً إذا عدنا إلى نظــرية توينبــي في أنك يكفي أن تقتل مرة كي تكون قاتلاً!! إنما المشكلة هي في جوهر الــتقرير الذي تقودنا إليه الأرقام المضللة. فهل يُعقل أن يكون عدد الأطفال الضحايا في صــبرا وشــاتيلا ٢٠ طفــلاً فقط؟ هل تصور من وضعوا هذا التقرير أن من الممكن أن يســيطر "داء النســيان" علــى البشر الذين يسكنون لبنان، سواء أكانوا لبنانيين أم من أية جنســية أُخــرى، إلى هذا الحد؛ حد أن ينسوا ما شاهدوه بأعينهم على شاشات التلفزيون، وعلى صفحات الجرائد؟ كم من صور وجد فيها من الأطفال الضحايا أكثر من هذا العدد؟

كم طفلاً قتل في عائلة المقداد اللبنانية وحدها؟!

كم طفلاً قتل في عائلة المحمد الفلسطينية وحدها؟!

وماذا عن النساء؟ ثماني نساء لبنانيات فقط؟ وسبع نساء فلسطينيات فقط؟ أين المنطق؟

معظــم التعلــيقات التي انصبت على هذا الموجز للتقرير انصب على أن مثل هذه الأعــداد وُضع بهدف البرهان على أنه كان هناك معركة لا مجزرة؛ ففي المعارك عادة يقتل الرجال، وها هي صبرا وشاتيلا كانت أكثرية القتلى فيها من الرجال!!

---

(٦٠) جريدة "السفير"، ١٩٨٢/١٢/٣.

(٦١) نكديمون، مصدر سبق ذكره.

لكـــن، ســـواء أكان هؤلاء المعلقون على حق أم لا، فليس من شك في أن التعليقات على أي تقرير أو بحث لا يجوز إطلاقها من دون قراءة التقرير أو البحث كاملاً. لكن هذا لا يعني عدم التعليق على الأرقام المنشورة.

أمّـــا مـــا قد نشر نصاً في المجتزأ من التقرير، بأن التقرير نفسه توصل إلى أن ما جرى كان معركة لا مجزرة، فنرجئ مناقشته إلى خاتمة الكتاب: "من المسؤول؟"

بالنسبة إلى تلك الأرقام، وأعني تحديداً أرقام النساء والأطفال، هناك نوعان من الرد على مثل هذا التجاهل الأعمى لمشاعر المصابين من أهل صبرا وشاتيلا، وعلى مثل هذا التجاوز اللامعقول للعقل والذاكرة:

الرد الأول يقتضي التجاهل المطلق لأعداد لا تستند إلى أي عقل أو منطق؛

الـــرد الثانـــي يقتضـــي الانصراف المطلق إلى البحث عن الأعداد الحقيقية، وعن أصـــحابها، وعـــن أســـمائهم، وعن جنسياتهم، وعن جنسهم، وحتى عن ملامح وجوههم؛ فلهؤلاء الضحايا صور كانت معلقة على جدران بيوتهم.

وقد اخترنا الرد الثاني.

نـــبدأ بمصـــادر الأرقام التي استقى منها "تقرير جرمانوس". وكنا ذكرنا أعلاه أنها خمســـة مصادر، لكن لم يتوفر لنا منها سوى مصدرين فقط هما: لائحة الصليب الأحمر الدولـــي، ولائحـــة الدفاع المدني. والسؤال المطروح للبحث عن جواب عنه هو: كم عدد النساء والأطفال الذين قتلوا في صبرا وشاتيلا في تينك اللائحتين؟

حدد "تقرير جرمانوس" مجموع الأعداد بخمس عشرة امرأة وعشرين طفلاً من مجموع ٤٧٠ ضحية، مع جنسيات النساء والأطفال كما ورد أعلاه. فماذا في كل من اللائحتين؟

بلـــغ مجموع الأسماء التي نقلناها عن لائحة الدفاع المدني ٢٥٤ اسماً،(٦٢) وعن لائحة الصليب الأحمر الدولي ١٧٩ اسماً.(٦٣)

---

(٦٢) الجمهورية اللبنانية ــ وزارة الداخلية ــ مديرية الدفاع المدني، مصدر سبق ذكره. احتوت اللائحة في الأصل على ٣٠٢ من الأسماء. لكن بعد دراستها اتضح أن هناك ٣٣ اسماً مكرراً، منها ما كان قد طبع إلى جانب الاسم كلمة "مكرر"، ثم حذفت أسماء أُخرى لأخطاء أُخرى نجمت عن السرعة في العمل يوم إعداد اللائحة. أمّا الأسماء التي اعتمدناها في النهاية فكان مجموعها ٢٥٤ اسماً. كما احتوت اللائحة على الأعمار.

(٦٣) International Committee of the Red Cross, "Liste des Corps Identifies au Camp Chatila entre le 19.09.82 et le 22.09: Après le Massacre du 16/17.09.82."
احتوت اللائحة في الأصل على ١٨٣ اسماً، وبعد البحث فيها اعتمدنا ١٧٩ اسماً. وقد استندنا إلى اللائحة الفرنسية في هذه المقارنة لأنها تحتوي في معظم الحالات على الأعمار، وما كان ناقصاً منها استكمل من اللوائح الأُخرى.

وردت الأسماء المدرجة في لائحة الصليب الأحمر الدولي جميعها في لائحة الدفاع المدني، باستثناء ٧ أسماء؛ وهذا ما يجعل مجموع الأسماء الموحدة من اللائحتين ٢٦١ اسماً.

هناك من مجموع ٢٦١ اسماً ٢٩ أنثى فلسطينية(٦٤) و٢٦ أنثى لبنانية.(٦٥)

غير أن الموجز الذي قرأناه مترجماً عن "تقرير جرمانوس" (من العربية إلى العبرية إلى العربية)، حدد كلمة نساء، ولم يقل إناث. أمّا ما جاء نصاً في الترجمة عن الترجمة:

> ويقول التقرير إن معظم القتلى الفلسطينيين من الذكور الذين قتلوا نتيجة لمعركة عسكرية، وأنه لم يقتل في المجزرة سوى سبع نساء وثمانية أطفال فلسطينيين. وذكر التقرير أن ١٠٩ لبنانيين قتلوا في المخيمين، بينهم ١٢ طفلاً و٨ نساء.(٦٦)

لكن ما معنى كلمة "نساء" في هذا التقرير؟ هل هن المتزوجات فقط؟ وماذا عن الضحايا من الفتيات الصغيرات اللواتي ما زلن في أحضان أمهاتهن؟ وماذا عن الفتيات في عمر الورود، في الرابعة عشرة أو السابعة عشرة؟ ففي أية خانة يوضعن؟

نحن في الدراسة الميدانية حددنا الأعمار بدقة (راجع الفصل السابق)، ونتبع النهج نفسه في هذه المقارنة.

هناك بين الإناث الفلسطينيات: اثنتان في عمر السنتين؛ واحدة في عمر الثلاث سنوات؛ ثلاث في عمر الخمس سنوات؛ واحدة في عمر الست سنوات؛ ثلاث في عمر السبع سنوات؛ واحدة في عمر الإحدى عشرة سنة؛ واحدة في عمر الاثنتي عشرة سنة. ومجموع هؤلاء الفتيات الصغيرات ما دون الثانية عشرة يبلغ ١٢ طفلة. أمّا الإناث الفلسطينيات في عمر ما فوق الثانية عشرة، فكان بينهن واحدة في السادسة عشرة، واثنتان في السابعة عشرة إحداهما متزوجة، وتراوحت أعمار الباقيات بين ١٩ سنة و٦٧ سنة، وقد كان معظمهن أمهات وجدّات.

وهناك بين الإناث اللبنانيات: طفلة رضيعة؛ واحدة في عمر السنتين؛ واحدة في عمر الثلاث سنوات؛ اثنتان في عمر السبع سنوات؛ واحدة في عمر الإحدى عشرة سنة. ومجموع هؤلاء الفتيات الصغيرات ٦. أمّا الإناث اللبنانيات في عمر ما فوق الثانية عشرة، فكان بينهن اثنتان في الثالثة عشرة، واثنتان في الخامسة عشرة، وواحدة في السادسة عشرة، وتراوحت أعمار الباقيات بين ٢٥ سنة و٦٢ سنة، وقد كنّ في معظمهن أمهات وجدّات.

---

(٦٤) من هؤلاء فلسطينية متزوجة بلبناني. غير أن القاعدة بالنسبة إلى جنسية المرأة كانت اعتماد جنسيتها الأولى، وذلك لكون المرأة غير الفلسطينية المتزوجة بفلسطيني لا تستطيع حمل جنسيته وفقاً للقوانين السائدة؛ وهذا ما حتم اتباع قاعدة موحدة لكل النساء، وهي اعتماد جنسية المرأة الأصلية.

(٦٥) من هؤلاء لبنانية متزوجة بسوري، ولبنانيتان متزوجتان بفلسطينيين.

(٦٦) جريدة "السفير"، ١٩٨٣/١٢/٣.

بالمقارنـــة مع "تقرير جرمانوس" الذي حدد ٧ نساء فلسطينيات من خمس لوائح بلغ مجموع الأسماء فيها ٤٧٠ اسماً، وجدنا أن هناك ٢٩ أنثى فلسطينية في لائحتين فقط من اللوائح الخمس المعتمدة لديه، بلغ مجموع الأسماء فيهما ٢٦١ اسماً. أمّا في مقابل ٨ نساء لبنانيات كما ورد في التقرير، فقد وجدنا فقط في اللائحتين المذكورتين ٢٦ أنثى لبنانية.

مجموع اللبنانيات والفلسطينيات معاً حدد في "التقرير" بـــ ١٥ ضحية، في حين بلغ لدينا من اللائحتين ٥٥ ضحية. غير أن المجموع العام للإناث من اللائحتين أيضاً بلغ ٦٥ ضـــحية؛ ذلـــك بأن هناك ١٠ نساء ضحايا من جنسيات أُخرى. وعليه، ألا يتوجب على الضـــمير الإنســـاني ذكـــر هؤلاء بالتحديد؟ ومعظمهن نساء متزوجات جئن مع أزواجهن للعمـــل؟ كان من هؤلاء العشر: ثلاث نساء سوريات؛ امرأتان مصريتان؛ امرأة باكستانية واحدة؛ أربع نساء لم تُعرف جنسياتهن.

ننـــتقل إلى أعمار الأطفال التي كان واضحاً أنها جمعت بين الذكور والإناث. فماذا هـــناك في مقابل الأطفال الفلسطينيين الضحايا الثمانية في لائحتي الصليب الأحمر الدولي والدفاع المدني؟

بلـــغ مجموع الفلسطينيين في اللائحتين ١٠٣ ضحايا، بينهم ١٩ ضحية لأطفال من الذكور والإناث، توزعت أعمارهم كالآتي: ثلاثة أطفال في عمر السنتين؛ طفلان في عمر الـــثلاث ســـنوات؛ أربعة أطفال في عمر الخمس سنوات؛ طفلان في عمر الست سنوات؛ ثلاثة أطفال في عمر السبع سنوات؛ طفل في عمر التسع سنوات؛ طفلان في عمر الإحدى عشرة سنة؛ طفلان في عمر الاثنتي عشرة سنة.

وماذا لو تمكنا من الاطلاع على اللوائح الثلاث الأُخرى، أليس من المتوقع أن يزيد عـــدد الأطفـــال علـــى ١٩ ضحية، وخصوصاً أن إحدى اللوائح المشار إليها جُمعت من شهادات الأهالي؟

أمّا بالنسبة إلى مجموع اللبنانيين في اللائحتين فقد بلغ ٩٩ ضحية، بينهم ١٦ ضحية لأطفـــال مـــن الذكور والإناث، توزعت أعمارهم كالآتي: طفل رضيع؛ طفلان في عمر الســـنتين؛ طفل في عمر الثلاث سنوات؛ طفلان في عمر الست سنوات؛ طفلان في عمر السبع سنوات؛ أربعة أطفال في عمر الثماني سنوات؛ ثلاثة أطفال في عمر العشر سنوات؛ طفل في عمر الإحدى عشرة سنة.

إن مجمـــوع الأطفال العشرين الضحايا في "التقرير اللبناني الرسمي"، المستند إلى خمـــس لوائح، يقابله بحسب ما ورد في لائحتين من هذه اللوائح الخمس ما مجموعه ٣٥ طفلاً ضحية.

والســـؤال نفســـه يتكرر: ماذا لو اطلعنا على بقية اللوائح الأُخرى، فلا يعقل أن الأطفال

انحصروا بهاتين اللائحتين فقط، بينما خلت اللوائح الثلاث الأُخرى من الأطفال الضحايا.

وأخيراً، لا من باب المقارنات وإنما من باب الاحترام لأرواح الضحايا، يمكن العودة إلى الفصل السابق الذي تضمن تحليلاً لأرقام الدراسة الميدانية، التي بلغ مجموعها ٤٣٠ ضحية؛ فبين هؤلاء الضحايا كان هناك ٩٥ طفلاً.(٦٧)

ثامناً: التقرير الإسرائيلي

أعداد الضحايا

عندما صدر تقرير كاهان في ٧ شباط/فبراير ١٩٨٣ اعتبر صدوره حدثاً على غاية من الأهمية. ولم ينل تقرير مشابه في العالم عبر القرن العشرين كله ما ناله تقرير كاهان من ضجة إعلامية، لا بسبب ما جاء في تفصيلاته وحيثياته وأحكامه، وإنما بسبب كونه العنوان للديمقراطية التي تتمتع بها إسرائيل؛ فتلك هي الصورة التي قُدم بها التقرير إلى العالم. لكن ليس موضوعنا في هذا البند تحديداً مدى الديمقراطية في إسرائيل، ولا الإعجاب العالمي الذي رافق صدور التقرير ــ ولنا وقفة إزاء هذا كله في خاتمة الكتاب لدى مناقشتنا "من المسؤول؟" ــ لكننا معنيون هنا بموضوع واحد يتعلق بالأعداد التي وردت في التقرير. فكم كان عدد الضحايا؟

ورد في تقرير كاهان أن من المستحيل معرفة عدد الذين قتلوا بدقة؛ فالأعداد التي ذكرت كانت إلى حد بعيد منحازة، ولم تكن قائمة على إحصاء دقيق من قبل أشخاص موثوق بهم. كما ورد أن التخمينات المنخفضة جاءت من مصادر ذات علاقة بالحكومة اللبنانية، أو بالقوات اللبنانية.

عرض التقرير، بدايةً، أرقام الصليب الأحمر الدولي استناداً إلى رسالة من رئيس بعثة الصليب الأحمر في لبنان إلى وزير الدفاع الإسرائيلي، وفيها أن مندوبي الصليب الأحمر تمكنوا من أن يحصوا ٣٢٨ جثة. غير أن هذا الرقم لا يشتمل على كل الجثث، إذ وفقاً لما ورد في الرسالة قامت عائلات كثيرة بدفن جثث أقربائها على مسؤوليتها ومن دون الرجوع إلى الصليب الأحمر. كذلك ورد أن القوات التي قامت بالعملية نقلت جثثاً بالشاحنات قبل أن تغادر شاتيلا، وأن من الممكن أن يكون هناك جثث تحت الأنقاض في المخيمات، أو في قبور حفرها المهاجمون قرب المخيمات. أمّا بالنسبة إلى المفقودين فقد ورد في الرسالة أن لدى الصليب الأحمر قائمة بـ ٣٥٩ شخصاً فُقدوا جميعهم من

---

(٦٧) راجع عدد الضحايا الأطفال في كل فئة من فئات العمر ما بين الجنين فالطفل الرضيع حتى عمر الثانية عشرة، في الفصل السابق ــ البند الرابع ــ الفقرة ج "العمر".

"بـــيروت الغربـــية" ما بين ١٨ آب/أغسطس و٢٠ أيلول/سبتمبر، معظمهم فُقد في صبرا وشاتيلا في أواسط أيلول/سبتمبر.[٦٨]

تطرق تقرير كاهان بعد أرقام الصليب الأحمر الدولي إلى أرقام استقاها من وثيقة لم يذكر مصدرها، كالكثير من الوثائق والمستندات التي بقيت سرية، لكن مع إعطاء كل منها رقماً خاصاً للدلالة عليها، وكان رقم المستند السري هذا ١٥١. غير أن المرء ما إن يبدأ بقراءة تفصيلات أرقام هذا المستند والجهات المسؤولة عن جمع هذه الأرقام، حتى يكتشف أنـــه يقـــرأ الأعـــداد نفســـها، وأســـماء الجهات المسؤولة نفسها التي وردت في التقرير اللبنانـــي/تقرير جرمانوس كما نشرته جريدة "يديعوت أحرونوت". إنما هناك فارق واحد هو أن المجموع الذي نشره تقرير كاهان يبلغ ٤٦٠ جثة لا ٤٧٠ جثة كما نشرت الجريدة. ولـــم يقـــدم تقرير كاهان تفصيلات عن الجنسيات الأُخرى كي يعرف القارئ من عملية الجمع البسيطة أي رقم هو الصحيح.[٦٩]

غـــير أن تقريـــر كاهـــان قـــدم تفصيلات واضحة فيما يتعلق بالقتلى الفلسطينيين واللبنانييـــن، فكرر ما جاء في التقرير اللبناني بالنسبة إلى المجموع العام لكل من الفئتين، كما كرر أن هناك ٢٠ طفلاً، بينهم ١٢ طفلاً لبنانياً و٨ أطفال فلسطينيين، وأن هناك ١٥ امرأة، بينهن ٨ نساء لبنانيات و٧ نساء فلسطينيات.

لم يعلق تقرير كاهان على هذه الأرقام التي يدحضها العقل والضمير والذاكرة. ولعل واضـــعي التقرير يتصورون أن لا مسؤولية عليهم؛ فهم لم يفعلوا شيئاً سوى أنهم نقلوا ما جاء في ذلك المستند السري الذي أُعطي الرقم ١٥١. لكن هذا لا يكفي.

إنهـــم يتحملون المسؤولية لأن العالم نظر إلى هذا التقرير نظرة احترام، وخصوصاً أنـــه جـــاء بعـــد جلسات استماع إلى عشرات الشهود؛ وخصوصاً أيضاً أن ما من قارئ لـــتقرير كاهـــان إلاّ وســـيقرأ هذه الأضاليل، فالموقف المطلوب من واضعي التقرير كان يفترض حالة من ثلاث:

(١) عدم إعادة نشر الأرقام المضللة؛

(٢) نشـــرها مـــع شرح عدم صدقيتها، فالذين حاصروا صبرا وشاتيلا من الجنود الإسرائيليين رأوا بأعينهم كم قُتل من النساء والأطفال؛

(٣) نشر هذه الأرقام مع تبريرها فيما لو كان واضعو التقرير يعتقدون أنها صحيحة.

---

(٦٨) *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report*. Introduction by Abba Eban (New York: Karz-Cohl Publishing, 1983), p. 44.

(٦٩) Ibid.

مــن خــلال صفحات تقرير كاهان سرعان ما يتضح أكثر عمق الهوة بين الأرقام المضــللة هــذه وبيــن الواقع؛ وذلك حين يرفض التقرير مجموع الضحايا كما ورد في المستند السري الذي أعطي الرقم ١٥١، فيؤكد التقرير ما يلي:

أنه لا يستطيع الاعتماد على الأرقام من المصادر اللبنانية؛

أنه لا يستطيع الاعتماد على الأرقام من المصادر الفلسطينية التي تصل إلى الآلاف؛

أن هــناك صــعوبات فــي التمييز بين ضحايا عمليات مجابهة قتالية، وبين ضحايا أعمال القتل (الذبح).

ثــم يتوصــل التقرير، استناداً إلى أن مندوبي الصليب الأحمر لم يحصوا أكثر من ٣٢٨ جــثة، إلــى أن عدد الضحايا لم يكن مرتفعاً إلى رقم الألف ضحية، وحتماً لم يكن بالآلاف.

وبناء على مصادر جهاز الاستخبارات في الجيش الإسرائيلي، كما وردت في شهادة مدير الاستخبارات العسكرية أمام لجنة كاهان، فإن عدد الضحايا يتراوح بين ٧٠٠ و ٨٠٠ ضحية. وقد عقب التقرير على هذا الرقم بأنه الرقم الأقرب إلى الواقع.[٧٠]

هناك مصدر إسرائيلي سبق صدور كاهان بأكثر من أربعة أشهر، لكن من الواضح أن واضعي تقرير كاهان لم يأخذوا به، وهو إذاعة الجيش الإسرائيلي التي أكدت، في ٢٣ أيلــول/سبتمبر، أن عدد ضحايا المذابح في صبرا وشاتيلا يفوق ٤٠٠٠ ضحية، وأنه قد يصــل إلى ٧٠٠٠ ضحية. ثم قالت الإذاعة إنه تم دفن ٢٤٠٠ جثة، وأن هناك مئات ما زالت تحت الأنقاض، كما أن مئات الجثث تم دفنها لإخفاء عدد الضحايا.[٧١]

مــن الواضح أن رقم ٧٠٠٠ الذي صدر عن إذاعة الجيش الإسرائيلي رقم مضخم، وواضح أنه صدر بينما كان البحث عن الضحايا ما زال مستمراً. وكل من كانت له صلة بمراقــبة مـــا يجري على أرض المجزرة في تلك المرحلة كان يعطي أرقاماً عالية قائمة على أكوام الجثث والمناظر المروعة، أكثر من استنادها إلى الحسابات القائمة على العقل والبراهين. والدليل هو أن دركياً لبنانياً كان من الذين يراقبون ما يجري في تلك الأيام قال لـــي أنـــه يؤكـــد أن عدد الضحايا كان ٦٠٠٠ ضحية، ولمّا سألته كيف يؤكد ذلك أجاب: "بشـــهادة اللّـــي شاهدوا كل شي صار بعد المجزرة، بسبب القبور الجماعية، بسبب اللّي راحوا وما رجعوا."[٧٢]

---

(٧٠) Ibid., pp. 44- 45.

(٧١) جريدة "السفير"، ١٩٨٢/٩/٢٣.

(٧٢) POH. S/SH. No. 101 (256/N. 20). M. Z. Interview with author. Beirut: Author's house, December 2, 1983.

ما بين ٧٠٠٠ أو ٦٠٠٠ التي أوحت بها أهوال المجزرة للذين رأوها بالعين المجردة، وعلى الرغم من الاختلاف في انتماءاتهم وجنسياتهم، وما بين الرقم الذي تبناه تقرير كاهان وهو ٧٠٠ ــ ٨٠٠ ضحية، فارق كبير. غير أن معرفة الرقم الأقرب إلى الحقيقة تستوجب دراسة دقيقة لحدث مأساوي ضخم كهذا؛ وهو ما حاولنا أن نقوم به. لذلك فالرد على الرقم التقديري الوارد في تقرير كاهان سبق أن قدمناه في هذا الفصل، حين حددنا العدد الموثق بالأسماء ١٣٠٠ ضحية،(٧٣) وحين توصلنا من خلال الاستدلال إلى أن العدد التقديري يبلغ كحد أدنى ٣٥٠٠ ضحية.(٧٤)

خلاصة

- مجزرة صبرا وشاتيلا لم تحظ بمرجعية واحدة مسؤولة عن نشر أعداد الضحايا وأسمائهم، لا على الصعيد اللبناني، ولا على الصعيد الفلسطيني.
- نشرت الصحافة اليومية بتواصل أعداداً للضحايا منذ انتهاء المجزرة حتى نهاية أيلول/سبتمبر؛ منها ما كان أعداداً تقديرية، ومنها ما كان يستند إلى إحصاءات رسمية. غير أن الأعداد كانت متناقضة إلى حد الفارق ما بين المئات والآلاف، كما أن التناقض كان ظاهراً في الأعداد الصادرة عن المرجعية الواحدة.
- أوردت الإحصاءات غير المعلنة رسمياً من قبل الحكومة اللبنانية نحو ٢٠٠٠ ضحية، ومن قبل أجهزة في الصليب الأحمر الدولي ٢٧٥٠ ضحية، ومن قبل الصليب الأحمر اللبناني ٣٠٠٠ ضحية. غير أن هذه الإحصاءات التي لم تعلن رسمياً من قبل أي من المصادر الثلاثة، كانت تقال سراً لمحققين وكتّاب أجانب.
- اعتمدت هذه الدراسة في إحصاء الأعداد الموثقة بالأسماء على سبع عشرة لائحة للأسماء، يمكن تصنيفها في ثلاثة أنماط من اللوائح، هي:

ــ اللوائح التي تم جمعها على أرض المجزرة أو في المقابر، وهي من المصادر التالية: تنظيم الصليب الأحمر الدولي؛ مديرية الدفاع المدني اللبناني؛ مجلس كنائس الشرق الأوسط؛ مقبرة روضة الشهيدين؛ الشيخ سلمان الخليل؛ مقبرة الشهداء.

ــ اللوائح التي جمعت في الأشهر التي تلت المجزرة، وهي من المصادر التالية: جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني؛ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين؛ تنظيم فلسطيني "مجهول"؛ دار الفتوى اللبنانية؛ لجنة أهالي

(٧٣) راجع أعلاه في هذا الفصل، البند الثالث، "الأعداد الموثقة بالأسماء".

(٧٤) راجع أعلاه في هذا الفصل، البند الرابع، "الأعداد التقديرية للضحايا".

المخطوفيــن والمفقودين في لبنان؛ لائحة مشتركة للمخطوفين والمفقودين؛ الصحافة اليومية.

ـ اللوائح التي جمعت من خلال دراسات خاصة، أو لجان حكومية رسمية، أو لجــان قضائية دولية، وهي من المصادر التالية: التاريخ الشفهي؛ الدراسة الميدانية؛ لجنة التحقيق الرسمية في مصير المخطوفين والمفقودين؛ الدعوى ضد شارون أمام القضاء البلجيكي.

- نشرت الأسماء من مختلف المصادر كاملة في ملحق الأسماء في أربع لوائح، وقد بلغ مجموعها ٩٠٦ ضحايا، و٤٨٤ مخطوفاً ومفقوداً.
- لمّــا كان المخطوفون لم يعد منهم أحد بحكم اليقين، ولمّا كان المفقودون لم يعد معظمهم، ولمّــا كانت الشائعات تناولت بعض المفقودين بأنه قد عاد، واستناداً إلى موقف الحكومة مــن قضــية المخطوفين والمفقودين على الأراضي اللبنانية منذ منتصف السبعينات من القــرن العشرين على أساس أنهم جميعاً في عداد المتوفين، بناء على ذلك كله تم اعتبار عدد الضحايا من مجموع ١٣٩٠ ضحية ومخطوفاً ومفقوداً ١٣٠٠ ضحية؛ أمّا الــ ٩٠ الــباقون فاستمر تصنيفهم في عداد المفقودين أو الذين عادوا فعلاً، وذلك احتراماً لبعض الشائعات التي ربما انطلقت من الواقع أو من التمنيات بعودة هؤلاء.
- مــن أجــل التوصل إلى "الأعداد التقديرية" كان هناك منهجان مختلفان: فقد تم تقدير أعــداد الضــحايا من خلال دراسة لوائح الأسماء أولاً، ومن خلال تقدير عام لأعداد الضحايا الذين دفنوا في المدافن وفي القبور الجماعية وفي حفر الموت وتحت الأنقاض ثانياً. ومن خلال كل من المنهجين تم التوصل إلى أن الحد الأدنى للضحايا هو ٣٥٠٠ ضحية.
- تــم تأكيد صحة نسب أعداد الجنسيات المتعددة ونسب الإناث والأطفال بين الضحايا، مــن خــلال المقارنة بين النسب التي حصلنا عليها من خلال الدراسة الميدانية، وبين النســب التي استخلصناها من خلال لائحة الأسماء استناداً إلى المصادر المتعددة. وقد كانت النسب لكل فئة من الفئات متقاربة.
- تمــت مناقشــة الأعــداد التــي وردت فــي كل من التقرير اللبناني الرسمي (تقرير جــرمانوس) والتقرير الإسرائيلي الرسمي (تقرير كاهان)، فثبت أن الأعداد كما قدمت في كل من التقريرين مضللة، وبعيدة عن الواقع بمراحل.

خَاتِمَة

مَن المسْؤُول ؟

بعد عشرين عاماً على مجزرة صبرا وشاتيلا يبقى السؤال الرئيسي المطروح: من المسؤول؟

منذ انتشار النبأ، لم يتردد البعض في إلقاء المسؤولية على القوات الإسرائيلية؛ فهي التـي حاصرت المنطقة، وسيطرت على مداخلها، ومنعت سكانها من الخروج، وأشرفت علـى عملية دخول المسلحين المهاجمين القتلة الذين لم تكن هويتهم قد عُرفت بعد تماماً، لكـن كان تأكد أنهم لبنانيون يأتمرون بأوامر الجيش الإسرائيلي الذي اتخذ له مقراً للقيادة يشرف منه على صبرا وشاتيلا.

كان بين الذين توجهوا بإصبع الاتهام إلى الإسرائيليين مواطنون إسرائيليون، يتميز مـنهم الكاتب جاكوبو تيمرمان لكونه من أوائل الذين كتبوا في موضوع المسؤولية، وذلك بينما كانت عمليات رفع الأنقاض والبحث عن الضحايا ما زالت قائمة.

كـان الكاتب أرسل إلى المطبعة مخطوطة له عن أطول الحروب، ويعني بها حرب إسرائيل في لبنان. لكن بعد سماعه أنباء المجزرة عاد فأضاف إليها صفحات أخيرة.

أشـار تـيمرمان إلـى ثلاث حوادث احتجاج جرت في إسرائيل بعد يوم واحد من انتشار النبأ: واحدة على طريق حيفا العام، وواحدة في القدس، وواحدة بالقرب من الحدود اللبنانـية حيث تظاهر بضع مئات احتجاجاً. وقد عقب على هذه الحوادث التي كانت أقل مما كان يتمنى، بقوله:

> كـان هذا تقريباً هو كل ما جرى في إسرائيل، مع أن نبأ المجزرة التي ارتكبت ضـد الفلسطينيين كان انتشر منذ أربع وعشرين ساعة، ومع أننا جميعاً كنا أدركنا أن جيشنا هو الذي قام بتنظيمها.
>
> لماذا يعجز الإسرائيليون عن إدراك المستوى الإجرامي العالي في حملة جيشهم ضد الشعب الفلسطيني؟[١]

على النقيض من موقف تيمرمان في اتهامه الجيش الإسرائيلي بتنظيم المجزرة، بل أبعـد مـن ذلـك، فـي اتهامه إياه بشن حملة على درجة عالية من الإجرام ضد الشعب الفلسـطيني، كان موقف الحكومة الإسرائيلية الرسمي في أول بيان صادر عنها هو النفي

---

(١) Jacobo Timerman, *The Longest War: Israel in Lebanon.* Translated from the Spanish by Miguel Acoco (New York: Alfred A. Knopf, 1982), pp. 164-165.

القاطع لأية مسؤولية:

> فـــي رأس السنة [العبرية] نسجت فرية دم ضد دولة اليهود وحكومتها وجيشها. مـــن موضـــع لـــم يكن الجيش الإسرائيلي موجوداً فيه دخلت وحدة لبنانية إلى منطقة يختبـــئ فيها مخربون، لإلقاء القبض عليهم وآذت هذه الوحدة السكان المدنيين وأوقعت بهـــم خســـائر كبيرة. والحكومة، إذ تذكر هذه الحقيقة، تعبّر عن أسفها لها. إن الجيش الإســـرائيلي، حـــال ملاحظته لما كان يجري، وضع حداً لقتل الأبرياء وأرغم الوحدة اللبنانية على مغادرة المنطقة. وأعرب السكان المدنيون عن تقديرهم للجيش الإسرائيلي لمسارعته إلى المساعدة.
>
> إن الحكومة ترفض باشمئزاز شديد كل الاتهامات الكاذبة /.../ من الواضح أن المخربيـــن خرقوا بفظاظة اتفاق الجلاء [....] بتركهم وراءهم ٢٠٠٠ من رجالهم في بـــيروت. ليس هذا فحسب، بل اتضح أنهم تركوا وراءهم كميات هائلة من الأسلحة ــ دبابات، مدافع، مدافع هاون وذخيرة.[٢]

فـــي هذا البيان الإسرائيلي الرسمي المختصر ستة أخطاء ستكون هناك ردود عليها عـــبر الصـــفحات التالية، لكننا نشير إليها هنا باقتضاب: ليس صحيحاً أن الوحدة اللبنانية دخلت من موضعٍ لم يكن الجيش الإسرائيلي موجوداً فيه، فهي كانت دخلت عبر المداخل التي كان هذا الجيش مشرفاً عليها إشرافاً تاماً، كما أنها كانت سلكت منذ البداية الطرقات التـــي كـــان حـــدد لها استعمالها؛ ثبت أنه لم يكن في المنطقة "مخربون"؛ لم يضع الجيش الإسرائيلي حداً لما كان يجري حال علمه بذلك؛ لم يعرب السكان عن أي تقدير للمساعدة الإسرائيلية التي لم توجد أصلاً؛ لم يترك المقاتلون الفلسطينيون وراءهم ٢٠٠٠ "مخرب"، لا فـــي المخيمات ولا في بيروت؛ لا علم لأحد بوجود دبابات فلسطينية، ولا بتلك الكميات "الهائلة" من المدافع وغيرها.

بعد يومين من صدور البيان الرسمي، قال رئيس الحكومة الإسرائيلية، مناحم بيغن، جملته الشهيرة التي ذهبت مثلاً في الدلالة على العنصرية الصهيونية: "ماذا هناك للتحقيق؟ غوييم [غير اليهود] يقتلون غوييم ــ ونحن ينبغي شنقنا؟"[٣]

مـــا بين هذين الموقفين الإسرائيليين المتناقضين ــ موقف تيمرمان الكاتب الإنسان الحـــر، وموقـــف بيغن العنصري الذي لا يبالي بمآسي الآخرين ــ تبادل السياسيون في

---

(٢) كما وردت في: أحمد خليفة، "المذبحة إسرائيلياً: بين الكذب والتنصـــل!"، مجلة "اليـــوم الســـابع"، العدد ١٩، ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٤، ص ١٨.

(٣) المصدر نفسه.

إســرائيل الاتهامات وشد الحبال، وكان من أبرزها ذلك النقاش الحاد بين أريئيل شارون وشــمعون بــيرس في الكنيست. فقد تكلم شارون مستعيداً بعض فصول الحرب اللبنانية والدور الذي قامت به الحكومة العمالية السابقة في إذكائها، ثم قال مخاطباً بيرس: "إنك لم تظهر الكثير من الانفعال عند حصول مذبحة تل الزعتر، فهل تجرؤ على القول أين كان الضباط الإسرائيليون لدى حصول مذبحة تل الزعتر؟ وبمنِ كانوا يأتمرون؟"

ما قاله شارون كان يمثل لأول مرة اتهاماً أو اعترافاً إسرائيلياً بمشاركة ضباط من الجيش الإسرائيلي في محاصرة مخيم تل الزعتر للاجئين الفلسطينيين الذي سقط بــأيدي الكتائب، في الثاني عشر من آب/أغسطس ١٩٧٦، بعد حصار دام أكثر من خمسين يوماً.

وجــاء دور شــمعون بيرس، رئيس حزب العمل المعارض في عهد حكومة بيغن، ليعتلــي المنصــة وينفي أن يكون للجيش الإسرائيلي وقتها أية علاقة بمذبحة تل الزعتر. غير أنه على الرغم من نفي بيرس، فقد بقي شارون متمسكاً باتهاماته، وسانده مناحم بيغن فــي خــتام المناقشــات حين رد على كل الاتهامات قائلاً "إن المعارضة تحاول استغلال المأساة التي شهدتها بيروت لخدمة مآربها السياسية الضيقة."(٤)

أمّا الشارع الإسرائيلي فكان له موقف مغاير لموقف الحكومة، وقد عبر عن موقفه بالــتظاهرة الكبرى التي جمعت في صفوفها ٤٠٠,٠٠٠ مواطن في شوارع تل أبيب، في الخــامس والعشرين من أيلول/سبتمبر، والتي هتف المتظاهرون فيها مستنكرين المجزرة ومطالبيــن بالتحقــيق. ثــم كان هناك تحقيق فعلاً، وصدر عنه بعد أكثر من أربعة أشهر تقرير رسمي هو المعروف بتقرير كاهان، نسبة إلى رئيس اللجنة القاضي يتسحاق كاهان، رئيس المحكمة العليا (سنشير إلى تقرير كاهان أيضاً باسم "التقرير" لاحقاً).(٥)

تــتلخص نتائج تقرير كاهان في أن مسؤولية الإسرائيليين الكبار في موقع القرار لم تكــن مســؤولية مباشــرة لكونهم لم يكونوا يعلمون!! وهذا ما جعل "التقرير" يضع عليهم مســؤولية غــير مباشرة، بينما ألقى بالمسؤولية المباشرة على الذين نفذوها، محدداً إياهم بميليشــيا القوات اللبنانية، من دون الإشارة إلى غيرها من الميليشيات اللبنانية المسيحية، ومع النفي القاطع لأية مسؤولية فيما خص قوات سعد حداد.

ليس هناك عبر الصفحات التالية محاكمة قضائية، وليس من أهداف هذه الخاتمة ولا في استطاعتها إصدار أحكام، لكنها ستناقش المعطيات المتوفرة بالنسبة إلى كل فريق من

---

(٤) إذاعة مونت كارلو، ١٩٨٢/٩/٢٢، الساعة السابعة مساء.

(٥) كانت لجنة التحقيق ثلاثية، وقد شارك فيها إلى جانب رئيسها القاضي يتسحاق كاهان، كل من القاضي أهارون براك، والجنرال يونا إفرات.

الفــرقاء، ســواء تلــك المعطــيات التي يمكن استخلاصها من التاريخ الشفهي والدراسة الميدانــية، أو تلك المستقاة من مختلف المصادر، لعله يتكون منها مادة تفيد المدافعين عن حقــوق الإنســان، فــي أيــة محكمة تحكم بالقوانين الدولية والأعراف الدولية والإنسانية المتعارَف عليها بين الأمم والدول.

أولاً: القوانين الدولية

إن احــتلال بلد ما، أو جزء من بلد ما، لا يعفي الدولة التي تحتل هذا البلد أو جزءاً منه من واجباتها المتعددة التي في مقدمها حماية السكان المدنيين.

ولا تقتصر مسؤولية القادة العسكريين أو السياسيين الذين يحتلون منطقة معينة على ما يرتكبونه هم من جرائم حرب، فهم أيضاً يتحملون مسؤولية جرائم الحرب التي يرتكبها مــن هــم أدنى منهم رتبة في قواتهم المسلحة، ويتحملون كذلك مسؤولية من يرتكبها من قــوات أُخــرى أو مــن عملاء آخرين يخضعون لسيطرتهم، وتشمل جرائم الحرب هذه المجازر ضد المدنيين.

وفي القانون الدولي المتعارف عليه، يُعتبر القائد العسكري أو السياسي مسؤولاً في حــال كانــت لديه معرفة حقيقية، أو في حال كان يجب أن تكون لديه المعرفة من خلال التقارير التي تصل إليه أو من خلال وسائل أُخرى، بأن الكتائب التي تخضع لسيطرته، أو بــأن أشخاصاً آخرين يخضعون لسيطرته، كانوا على وشك أن يرتكبوا جريمةِ حرب، أو أنهــم ارتكــبوها فعلاً، وفشل في اتخاذ الخطوات الضرورية التي تضمن الإذعان لقوانين الحرب، أو فشل في معاقبة الذين ينتهكونها.

وفعلاً، فإن فشل القائد في اتخاذ خطوات تحول دون انتهاك القوانين الدولية، أو فشله في معاقبة الذين انتهكوها، يفترض موافقة منه على الجريمة، أو على الأقل تغاضياً عنها.(٦)

وبمعنى آخر، إن المسؤولية الجنائية تقع على عاتق المسؤولين الذين يثبت أنهم:

كانوا يعلمون، أو أنهم كان يجب أن يعلموا، بأن هناك جرائم كانت ترتكب بشكل منظم؛

كانت لديهم السلطة للتدخل من أجل منع الممارسات الإجرامية؛

كانوا يتحملون مسؤولية خاصة في الموضوع المحدد.(٧)

إن القيام بمجزرة، أو إصدار أوامر بالقيام بها من قبل مسؤول حكومي، يؤدي بهذا المســؤول إلى التعرض للعقاب كمجرم حرب، بغض النظر عن كون قوانين بلده تعاقب

---

(٦) Franklin P. Lamb, *International Legal Responsibility for the Sabra-Shatila Massacre* (France: Imp. TIPE, 1983), p. 22.

(٧) Ibid., p. 24.

على مثل هذا الفعل أم لا. وهكذا يبقى المسؤول عرضة للعقاب من قبل المجتمع الدولي، أو مـن قـبل محكمة دولية لجرائم الحرب، أو من قبل أية دولة تطال تشريعاتها مجرمي الحرب.(٨)

بـناء على اتفاقية جنيف سنة ١٩٤٩ لا يحق لأي طرف وقّعها أن يحل نفسه منها. وتعتـبر المجازر وسائر الأعمال الوحشية من "الخروقات الخطرة" لاتفاقية جنيف، وكذلك للـبروتوكول الملحـق بهـا سنة ١٩٧٧. وعلى الرغم من أن الدول الضالعة في النزاع المسـلح فـي لبـنان لم تصدق أي منها رسمياً على بروتوكول سنة ١٩٧٧، فهناك رأي قانوني دولي أساسي يعتبر أن البروتوكولات ملزمة لكل الأطراف، بما فيها إسرائيل، لأن البروتوكولات لا تخرج عادة عن إطار تنظيم القوانين والأعراف الدولية القائمة وتدوينها.

تمـيز اتفاقية جنيف بدقة ما بين "الخروقات الخطرة" و"الانتهاكات القانونية التي لا تعتـبر خروقات خطرة." وفي حالة "الخروقات الخطرة"، التي تعتبر جرائم حرب، هناك التزام من قبل جميع الأطراف السامية المتعاقدة على الاتفاقية أن تسن تشريعات لعقوبات جزائية فعالة في بلادها. كذلك يتوجب على الأطراف السامية الموقعة للاتفاقية البحث عن أشـخاص يدّعى عليهم بأنهم ارتكبوا أو أمروا بارتكاب "خروقات خطرة" لمحاكمتهم، أو القيام بتسليم أشخاص كهؤلاء للمحاكمة من قبل طرف متعاقد آخر، وهذا بغض النظر عن جنسية الفاعلين.(٩)

والسـؤال: ما هي واجبات الدولة أو السلطة التي تحتل أراضي الغير لوقف جرائم الحرب؟

بـناء على اتفاقية جنيف، والقانون الدولي العرفي، تبقى الدولة أو السلطة المحتلة، حـتى لـو لـم تقم هي نفسها بالمجازر، المسؤولة أمام القانون الدولي؛ وفي حالة صبرا وشاتيلا، فإسرائيل هي المسؤولة، ذلك بأن من واجب سلطة الاحتلال أن تعمل حالاً على إيقـاف المجزرة بمجرد معرفتها بها، وكذلك من واجبها أن تعتقل المسؤولين، وأن تعاقب الذين يثبت أنهم مذنبون.(١٠)

علـى النقيض مما ادعته إسرائيل أكثر من مرة، من أن القوانين الدولية التي تطبق على الدولة التي تحتل أراضي الغير لا تنطبق عليها، فهي بناء على القانون الدولي كانت فعلاً دولة تحتل أراضي الغير، وبالتالي يجب أن تطبق عليها القوانين الدولية المعترف بها والتي تسري على الدول المحتلة كما وردت في المادة ٤٢ من اتفاقية لاهاي سنة ١٩٠٧،

---

(٨) Ibid., p. 25.

(٩) Ibid., pp. 26-28.

(١٠) Ibid., p. 29.

وفـــي اتفاقـــية جنـــيف الرابعة سنة ١٩٤٩، وفي البروتوكول الأول سنة ١٩٧٧ الملحق باتفاقية جنيف. فهذه القوانين تجمع على أن أية دولة (nation) تقوم بإخضاع سلطة أجنبية في منطقة ما، تصبح هي السلطة المحتلة لتلك المنطقة. وتتمتع السلطة التي تحتل أراضي الغير بفعل الغزو أو الحرب بحقوق معينة، غير أنها ترث أيضاً الواجبات المتعلقة بالسكان المحليين.(١١)

وبإيجـــاز، كـــان سكان صبرا وشاتيلا "أشخاصاً يتمتعون بالحماية" بناء على اتفاقية جنـــيف الـــرابعة، وكان على إسرائيل كسلطة محتلة واجب خاص لمنع ارتكاب عمليات "الاعتداءات الوحشية" التي ارتكبت ضدهم.(١٢)

المـــادة ٧٣ من البروتوكول الأول تتناول الأشخاص الذين يتمتعون بالحماية، ومنهم اللاجـــئون والأشـــخاص الذين لا جنسية لهم (وينطبق هذا على الفلسطينيين وعلى حاملي بطاقـــات "قـــيد الـــدرس" من المقيمين على الأراضي اللبنانية). والمواد ٧٥ ــ ٧٧ من البروتوكول تتوسع في نوعية الحماية التي على السلطة المحتلة أن توفرها. فالمادتان ٧٦ و٧٧ تتـــناولان حقوق النساء والأطفال باهتمام خاص، والمادة ٥١ تؤكد القاعدة الأساسية وهي أن "السكان المدنيين والأفراد المدنيين يتمتعون بحماية شاملة ضد المخاطر التي تنشأ عـــن عمليات الاحتلال العسكري." وبناء على أوضاع المخيمات في أوائل أيلول/سبتمبر، التي اتســـمت بالأمن والهدوء، فهناك كل الأسباب التي تدعو إلى اعتبار السكان فيها "مدنيين"، حتى لو وجد بعض الأفراد الذين تربطهم علاقات بمنظمة التحرير الفلسطينية.(١٣)

ورد في تقرير ماكبرايد، في موضوع المسؤولية، أن المسؤولية الإسرائيلية في هذه الأحـــداث هـــي أيضاً مسؤولية مشتركة مع عناصر الميليشيات اللبنانية والمقاتلين الأفراد الذين قاموا بالمجزرة.(١٤) ويخلص هذا التقرير إلى القول إن إسرائيل كانت هي السلطة المحـــتلة لمـــنطقة المخيمات منذ ١٥ أيلول/سبتمبر حتى انسحابها، أي أنها كانت السلطة المحـــتلة خـــلال أيـــام المجزرة الثلاثة. وعلى صعيد القانون الدولي تعتبر اتفاقية جنيف الرابعة سنة ١٩٤٩، والبروتوكول الأول سنة ١٩٧٧ كلاهما معاً المرجع القانوني الدولي. وقد تحددت فيهما بوضوح واجبات السلطة التي تحتل أراضي الغير، وكذلك صيغت بنود

---

(١١) Ibid., p. 32.

(١٢) *Israel in Lebanon: The Report of the International Commission to Enquire into Reported Violations of International Law by Israel during its Invasion of the Lebanon.* Chairman Sean MacBride. London, 28 August 1982 – 29 November 1983 (London: Ithaca Press, 1983), p. 163.

(١٣) Ibid.

(١٤) Ibid.

الحمايـــة التـــي يحق للسكان الذين يقعون تحت الاحتلال التمتع بها. وإسرائيل هي إحدى الدول الموقعة لاتفاقية جنيف الرابعة.(١٥)

بعـــد عشرين عاماً على مجزرة صبرا وشاتيلا لم يحاكَم المجرمون الذين قاموا بارتكابها مـــن عناصـــر الميليشـــيات اللبنانـــية، كذلك لم يُحاكَم أحد من الإسرائيليين الذين قاموا بحماية المجرمين القتلة وتسهيل مهماتهم، عوضاً عن قيامهم بحماية المدنيين العزل من السلاح.

القوانيـــن الدولية متوفرة، غير أن المحاكم الدولية المطلوبة ما زال البحث عن عناوينها جارياً.

ثانياً: الضمانات الدولية والأميركية

بـــدأ الحديـــث في الدهاليز السياسية قبل شهرين من حدوث المجزرة، وأكثر، عن الضـــمانات الدولـــية، ولـــم ينته إلاّ قبيل خروج المقاتلين الفلسطينيين بأيام معدودة. لكن الحديث كان تحول من الضمانات الدولية إلى الضمانات الأميركية. أمّا على أرض الواقع، فقد كانت كل من الضمانات الدولية والأميركية غائبة كلياً في منتصف أيلول/سبتمبر.

لـــو كـــان هناك ضمانات دولية أو ضمانات أميركية حقاً لحماية المدنيين، لما كانت مجزرة صبرا وشاتيلا.

فماذا كان هناك؟

الواقـــع أنـــه كـــان هناك ضمانات أميركية، لكن غير كافية. وهناك تصوُّر أنه لو روعيت حتى هذه الضمانات غير الكافية، لما كانت مجزرة صبرا وشاتيلا.

غـــير أن الضـــمانات شيء، وحماية الضمانات نفسها كي لا تبقى حبراً على ورق شيء آخر.

كـــان موقـــف مـــنظمة التحرير الفلسطينية من هذه الضمانات في منتهى الجد، في مـــرحلة الإعداد وتبادل الآراء. وقد كان على رأس اللقاءات مع كل من الجانبين اللبناني والفلسطيني في العاصمة اللبنانية المبعوث الأميركي فيليب حبيب، وهو من دعيت الاتفاقية بشأن خروج المقاتلين الفلسطينيين باسمه.

فـــي الـــيوم الثامن من تموز/يوليو، أرسلت القيادة الفلسطينية من بيروت إلى مكاتبها في مختلف أنحاء العالم، عبر أجهزة التلكس، مسودة اتفاقية من إحدى عشرة نقطة يقترحها الجانب الفلسطيني، طالبة من السفراء ومديري المكاتب تعميمها وتسويقها لدى الدول الصديقة خاصة. وكـــان مـــن أهم ما تضمنته من موضوعات: وقف لإطلاق النار؛ توفير قوة دولية للإشراف

---

(١٥) Ibid.

على فصل القوات؛ انسحاب القوات الإسرائيلية مسافة خمسة أميال؛ انسحاب القوات الفلسطينية براً من بيروت مع الأسلحة الفردية وفي حماية "الضمانات الدولية"؛ يُتفق على أوضاع القوات التي ستبقى في لبنان في سياق الاتفاقية الشاملة.(١٦)

أمّـا بشأن الضمانات للفلسطينيين المدنيين الباقين في لبنان تحت رعاية دولية، فقد أدرج في مسودة الاتفاقية ثلاث مواد تناولت أوضاعهم بوضوح، وهي التالية:

> ٦ ــ إن أمن المخيمات الفلسطينية ستوفره القوة الدولية مع ضمانة دولية. وهذا سوف يتم بالتنسيق مع منظمة التحرير الفلسطينية لتجنب ما كان جرى في المخيمات الفلسطينية في الجنوب اللبناني، وفي مخيم تل الزعتر على أيدي الإسرائيليين وقوات الفالانج.
>
> [.......]
>
> ٩ ــ يجب أن يُفهم جيداً أن حقوق الشعب الفلسطيني [في لبنان] ستكون مصونة، وأن القوات الدولية ستضمن هذه الحقوق، المعترف بها من قبل الحكومة اللبنانية والأمم المتحدة.
>
> [.......]
>
> ١١ ــ ساعة الصفر هي حين يبلغنا قائد القوة الدولية استعداد قواته لتنفيذ مهمتها ذات الشقين:
>
> أ ــ حماية المخيمات الفلسطينية ضد أي اعتداء كان.
>
> ب ــ اتخاذ المواقع في منطقة فصل القوات وتأمين الطرقات، بما فيها طريق بيروت ــ دمشق الدولية.(١٧)

عندما توصل الفرقاء إلى اتفاقية نهائية في الحادي عشر من آب/أغسطس، كانت البنود أعلاه التي اقترحها الجانب الفلسطيني قد تبخرت بشكل شبه نهائي.

نشرت الاتفاقية في العشرين من آب/أغسطس، وبدأ العمل بها في اليوم التالي، أي في الحادي والعشرين، وهو اليوم الأول لخروج المقاتلين الفلسطينيين، ولم يكن قد وصل بعد من القوات الدولية سوى القوات الفرنسية. غير أن الفرنسيين قبيل إرسال قواتهم للإشراف على سلامة خروج المقاتلين كانوا أبدوا مخاوفهم من الضمانات المكتوبة لأمن المدنيين الفلسطينيين، والتي كانت خرجت عن الإطار الدولي نهائياً، وانحصرت في كونها

---

(١٦) Rashid Khalidi, *Under Siege: P.L.O. Decisionmaking During the 1982 War* (New York: Columbia University Press, 1986), p. 183.

(١٧) Ibid., p. 184.

ضـمانات أميركـية قائمة على أساس ما تحصل عليه أميركا نفسها من كل من إسرائيل و"القـوات اللبنانية" التي لم تحدد بالاسم، لكنها كانت هي المعنية في الدرجة الأولى بتعبير "جماعـات لبنانية معينة". ووعد الفرنسيون أن يثيروا الموضوع مع الأميركيين. غير أن النتائج النهائية تشير إلى تفرد الأميركيين برأيهم، ذلك بأنهم ما إن انتهت مهمة قواتهم التي أرسـلوها للإشـراف علـى سلامة خروج المقاتلين، حتى غادرت هذه القوات لبنان قبل الموعد المحدد لها، وقد استتبع رحيلها رحيل القوات الإيطالية والفرنسية.(١٨)

وتبقى أسئلة بلا أجوبة:

لماذا كان رحيل القوات الدولية قبل الأوان؟

هـل كانـت مجـزرة صبرا وشاتيلا ستحدث لو كان هناك قوات إيطالية وفرنسية تشرف على أمن المخيمات؟

كيف غادرت القوات الأميركية، بالذات، وبهذه السرعة، قبل أن تضمن الأمن الذي وافقت على توفيره للفلسطينيين في اتفاقية فيليب حبيب الشهيرة؟ إذ ورد فيها:

> إن حكومتـي لبنان والولايات المتحدة ستوفران الضمانات المناسبة... من أجل حماية الفلسـطينيين غـير المقاتليـن الذين يبقون في بيروت ملتزمين القوانين. وتشمل هذه الحمايـة عـائلات الذين غادروا منهم... إن الولايات المتحدة ستعطي ضماناتها على أسـاس تأكيدات تتلقاها من الحكومة الإسرائيلية ومن قادة جماعات لبنانية معينة كانت على اتصال بها.(١٩)

أمّـا لبـنان الـذي يبدو من خلال النص أعلاه شريكاً للولايات المتحدة في توفير الضـمانات، فلا يبدو أن هذا الموضوع كان له أي أثر في أجوائه السياسية؛ إذ كان الهمّ الأكـبر أمامـه خروج المقاتلين بأي ثمن، وبأي شكل. وقد صرح الرئيس المنتخب بشير الجميل للتلفزيون الإسرائيلي في مرحلة خروج المقاتلين:

> ... أمّا المقاتلون الفلسطينيون فعليهم مغادرة لبنان حتى آخرهم.
>
> لست أنا الذي طردهم من بيوتهم ولست أنا سبب مشاكلهم... إن لبنان بذل أكثر من أي بلد آخر من أجل أن يحاول أن يساعد الفلسطينيين.(٢٠)

وفي حديث آخر له مع مراسلين أجانب، قال:

---

(١٨) Ibid., p. 175.

(١٩) Noam Chomsky, *The Fateful Triangle: The United States, Israel & The Palestinians* (Boston: South End Press, 1983), p. 389.

(٢٠) جريدة "النهار"، ١٩٨٢/٨/٢٦.

القـوة المسلحة الفلسطينية يجب أن تنسحب، وفي استطاعتها أن تذهب إلى حيث تشاء. وفي مـا يـتعلق بالمدنييـن الفلسطينيين، ستطبق عليهم القوانين المعمول بها في لبنان، يجب أن يدفعـوا كـل ما يتوجب عليهم، إن من حيث الفواتير أو من حيث مخالفات السير... عندما يسـتكمل ترحـيل المقاتلين الفلسطينيين من بيروت، سأعمل بالتعاون مع المبعوث الأميركي فيليب حبيب على ترحيل المقاتلين الفلسطينيين عن البقاع والشمال والجنوب أيضاً.[٢١]

ولـم تصـدر عـن الجانب اللبناني الرسمي أية ضمانات علنية إلى أن جاء موعد مغـادرة الرئـيس الفلسطيني ياسر عرفات بيروت بحراً، إذ بعث الرئيس اللبناني الياس سـركيس إلـيه برسـالة وداعية شفوية مع مدير الاستخبارات في الجيش اللبناني، العقيد جونـي عبده. وقد استغرق اللقاء بينهما ساعتين، لكن لم يعرف عن أي وعد باسم الرئيس اللبنانـي، باسـتثناء التمنـيات الطيبة.[٢٢] وفي اليوم التالي عاد العقيد نفسه ليخمل إلى الرئـيس الفلسـطيني رسالة وداعية أُخرى من الرئيس المنتخب بشير الجميل، ويقال إنها تضمنت "بعض التطمينات في كل ما يتعلق بالفلسطينيين المدنيين الباقين في لبنان"!![٢٣]

وفي تونس، في أول منفى انتقلت إليه القيادة الفلسطينية بعد منفاها في لبنان، أعرب الرئيس الفلسطيني عن مخاوفه البالغة بشأن أمن المدنيين الفلسطينيين الباقين في بيروت، وذلك في أثناء لقائه المبعوثين الفرنسيين غوتمان ودولاي، ثم "ألمح بأنه سيؤمن لو أبقيت القـوة الفرنسـية فـترة أطول من المدة المقررة لها أي ٢١ أيلول [سبتمبر]."[٢٤] وأنى للرئـيس عـرفات أن يـدرك فـي تلك اللحظات وهو يجتمع بالفرنسيين في الرابع من أيلول/سبتمبر، أن القوة الفرنسية ستنسحب قبل أيام من موعدها، وأن جميع الضمانات لن يبقى لها أثر، وأن مخاوفه سيكون لها كل المبررات.

ثالثاً: أسطورة "الألفين والخمسمئة مقاتل"

بـدا للكثيرين أن الأسطورة/الشائعة ببقاء ألفي مقاتل فلسطيني (أو أكثر أو أقل) قد أخـذت تنتشر منذ منتصف أيلول/سبتمبر فقط، غير أنها كانت في الواقع أُطلقت قبل ذلك، أي قـبل أن يغـادر المقـاتلون، مـع أنه يُستغرب منطقياً أن يكون حديث بالأرقام عمن سيتخلف عن الرحيل ما دام أحد لم يكن قد رحل بعد.

---

(٢١) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٨/٢٥.

(٢٢) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٨/٢٦.

(٢٣) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٨/٢٧.

(٢٤) إيلان هاليفي، "إسرائيل: من المجازر إلى إرهاب الدولة"، ترجمته عن الفرنسية منى عبد الله، قدّم له محجوب عمر (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥)، ص ٣١ – ٣٢.

كتـــب ديفـــيد شيبلر أنه قبل أن تغادر منظمة التحرير الفلسطينية كان لدى كل من الاســـتخبارات الأميركـــية والاســـتخبارات الإسرائيلية معلومات فحواها أن الفلسطينيين خططوا كي يتركوا وراءهم ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ مقاتل مهمتهم الانخراط بين السكان المدنيين، مع الاستعداد لتنظيم صفوفهم في أول فرصة.(٢٥) وسيثبت أدناه كم كانت هذه المعلومات بعيدة عن الواقع.

أمّـــا الموضوع الذي أثار اهتماماً كبيراً، ولا يقل عن عدد "المقاتلين المتخلفين عن الرحـــيل"، فكان عدد المقاتلين الفلسطينيين الذين اتفق بدايةً على مغادرتهم لبنان، ثم عدد الذين غادروه فعلاً. ووصلت التباينات في الأرقام إلى حد لا يصدق. وقد اعترفت جريدة "يديعـــوت أحرونوت" قبل الرحيل بأن التقديرات بشأن عدد عناصر منظمة التحرير تتبدل باســـتمرار، فالحديث سابقاً كان يجري عن وجود ستة آلاف، بينما يبدو أن عددهم عشرة آلاف.(٢٦)

بعـــد أسبوع واحد، في منتصف آب/أغسطس، نشرت الجريدة نفسها على صفحتها الأولـــى أنه سيتم إجلاء سبعة آلاف ومئة "مخرب"، وثلاثة آلاف سوري وأنصارهم. أمّا علـــى الصفحة الثانية، فنشرت لمراسلها العسكري إيتان هابر أرقاماً مرتفعة جداً، إذ نقل المرّاسل عن مسؤول رفيع المستوى في شعبة الاستخبارات العسكرية (أمان) ما أعلنه قبل حرب "سلامة الجليل" أمام أعضاء لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، من أن للمنظمات "الإرهابـــية" فـــي لبنان خمسة عشر ألف شخص. أمّا يوم بدأت الحرب، فقد نشر الناطق باســـم الجيش مذكرة مفصلة ذكر فيها أن عدد "المخربين" (يقصد الفلسطينيين وحدهم) في لبـــنان هـــو نحـــو خمسة عشر ألفاً. لكن الأرقام اليوم مغايرة كلياً ولا يمكن معرفة مدى صـــحتها، إذ يدل حساب بسيط على أن الأمر يتعلق برقم يتراوح بين خمسة وعشرين ألفاً وثلاثيـــن ألفاً. وانتهى الناطق باسم الجيش إلى القول إنه تجدر الإشارة إلى أن تعريف من هو المخرب يعتبر أمراً إشكالياً!!(٢٧)

أمّـــا جـــريدة "جـــيروزالم بوست" فتنبأت، نقلاً عن مصدر عسكري، بأنه حتى لو انســـحب كـــل عناصر "العدو" من "بيروت الغربية" ولم يعد منهم أحد عن طريق سورية،

---

(٢٥) David K. Shipler, "Israel asserts its troops intervened to minimize the Beirut Massacre," *New York Times*, September 19, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile, September 1982* (New York: Claremont Research and Publications, 1982), p. 9.

(٢٦) جريدة "يديعوت أحرونوت"، ١٩٨٢/٨/٩.

(٢٧) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٨/١٦.

فسيبقى هناك ألفان وخمسمئة من قوات منظمة التحرير والقوات السورية.[٢٨]

في اليوم التالي مباشرة حصرت جريدة "جيروزالم بوست" نفسها عدد المقاتلين الذي ذكرته سابقاً، أي الألفين وخمسمئة عنصر من فلسطينيين وسوريين، بـ "المخربين الفلسطينيين" وحدهم، ومن التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية.[٢٩]

أمّا عن العدد الفعلي الذي غادر لبنان، فقد كان هناك تباينات في الأرقام، حتى في الجريدة الواحدة. وقد اتضح فيما بعد أن تلك التباينات ما كانت إلاّ لتمهد لأسطورة الألفين الذين تخلفوا. فقد ذكرت "يديعوت أحرونوت" أن المجموعة الأخيرة من "المخربين" ستغادر بيروت اليوم (١ أيلول/سبتمبر)، وبذلك تستكمل عملية إجلاء اثني عشر ألف "مخرب" عن عاصمة لبنان.[٣٠] غير أن العدد تناقص في الجريدة نفسها بعد يومين، إذ ذكرت أن أكثر من عشرة آلاف "مخرب" خرجوا من لبنان.[٣١] ثم تناقص العدد أكثر بعد أربعة أيام، فذكرت الجريدة نفسها أن عدد الذين تم إجلاؤهم عن بيروت بلغ ١٩,٥١٨ شخصاً، بينهم ٨٨٥٦ "مخرباً"، بينما الباقون هم من الجنود السوريين وفق ما ذكر وزير الخارجية شمير.[٣٢] وقد مهد هذا التباين في أعداد المغادرين لجريدة "يديعوت أحرونوت" أن تدّعي صباح اليوم الأول للمجزرة أن الذين بقوا في بيروت هم أكثر من ألفي "مخرب"، بالإضافة إلى عناصر الميليشيات اليسارية.[٣٣]

في مساء اليوم الأول للمجزرة تناقلت وسائل الإعلام المتعددة تصريحاً أدلى به رئيس الحكومة بيغن لوكالة "رويتر"، وجاء فيه "أن المخربين خدعوا القوة الأجنبية المراقبة ولم ينقلوا كل عناصرهم كما كان متفقاً عليه."[٣٤] وذكرت "يديعوت أحرونوت" صباح اليوم التالي، وبينما كانت المجزرة في أوجها، أن بيغن قال: "إن 'مخربين' كثيرين بقوا هناك مع أسلحتهم، وهذا ما تأكدنا منه خلال الليلتين الأخيرتين."[٣٥]

غير أن ما "تأكد" منه بيغن كان مغايراً لما كان وافق عليه سابقاً، من دون أن يصدر عنه أي اعتراض؛ وذلك لمّا أعلنت حكومة الولايات المتحدة أعداد المقاتلين الفلسطينيين الذين غادروا لبنان مع تحديد الوجهة التي رحلت إليها كل مجموعة وعددها، وذلك نقلاً

---

(٢٨) *The Jerusalem Post*, August 18, 1982.

(٢٩) Ibid., August 19, 1982.

(٣٠) جريدة "يديعوت أحرونوت"، ١٩٨٢/٩/١.

(٣١) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٩/٣.

(٣٢) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٩/٧.

(٣٣) المصدر نفسه، ١٩٨٢/٩/١٦.

(٣٤) *Reuters* (Jerusalem), September 16, 1982.

(٣٥) جريدة "يديعوت أحرونوت"، ١٩٨٢/٩/١٧.

عن تقارير قواتها من المارينز التي كانت وصلت إلى مرفأ بيروت للإشراف على خروج المقاتليـــن. وقـــد كان الجيش الإسرائيلي نفسه يقوم بالمراقبة أيضاً من فوق مبنى حكومي قريـــب، غير مكتف بمراقبة الأميركيين والفرنسيين والإيطاليين. أمّا الأرقام التي أعلنتها وزارة الخارجية الأميركية فكانت كالتالي:

بلـــغ مجمـــوع الذين غادروا من المقاتلين الفلسطينيين ما يقرب من أحد عشر ألفاً، منهم ٨٣٠٠ من أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية و ٢٦٠٠ مقاتل تابعين لجيش التحرير الفلسطيني. غير أن هذه الأرقام تقريبية ولا تشمل أرقام الجرحى. وقد توجه ٣٨٥٠ مقاتلاً مـــنهم إلـــى سورية، و ١٠٠٠ مقاتل إلى تونس، و ١١٠٠ مقاتل إلى اليمن الديمقراطية، و ٢٦٢٠ مقـــاتلاً إلـــى الأردن، و ٥٠٠ مقاتل إلى السودان، و ٦٠٠ مقاتل إلى الجزائر، و ٨٥٠ مقاتلاً إلى اليمن الشمالية، و ١٣٠ مقاتلاً إلى العراق.(٣٦)

شارون، وزير الدفاع، كانت له أرقامه في تعداد المقاتلين الفلسطينيين الذين في رأيه تخلفوا عن الرحيل. فيوم الخميس، اليوم الأول للمجزرة، وفي الساعة الخامسة بعد الظهر، وبينما كانت الميليشيات اللبنانية المسلحة تستعد للهجوم، كان شارون يجتمع في مكتبه في تـــل أبيب بكل من موريس درايبر المبعوث الأميركي، وسام لويس السفير الأميركي في إســـرائيل، وكـــان يحضـــر الاجتماع إلى جانب شارون إيتان وساغاي، وغيرهما. وكان موقـــف الأميركيَيْن واضحاً في اللقاء، وهو أن بلدهما يقف ضد دخول الجيش الإسرائيلي "بيروت الغربية"، وقد أبديا مخاوفهما من دخول الكتائب. ومما قاله درايبر:

> الـــنقطة الحرجة بالنسبة إلينا هي أن كل إنسان في العالم صدقنا عندما قلنا إنكم لن تدخلوا "بيروت الغربية"، وأنكم قطعتم لنا وعداً بذلك. هذه نقطة حاسمة بالنسبة إلينا.(٣٧)

ورد عليه شارون ببرود: "لقد اختلفت الظروف سيدي."

فعاد درايبر ليقول: "كان الناس في وقت ما يثقون بصدقيتكم."

أخـــيراً وقف شارون وأعلن بقوة: "نحن دخلنا بسبب المخربين الذين بقوا هناك، من ألفين إلى ثلاثة آلاف مخرب... ولدينا أسماؤهم." لكن درايبر رد عليه بالقول:

> "لقـــد طلبتُ تلك الأسماء، فقلت أنت إن هناك لائحة **هائلة**"، وكان درايبر يغمز مـــن قناة شارون، "ولكن ما انتهيتم إليه هو لائحة بأحرف جد صغيرة... إن اللبنانيين سيهتمون بأمر الذين بقوا هناك..."

---

(٣٦) كما ورد في جريدة "السفير"، ١٩٨٢/٩/٢.

(٣٧) Ze'ef Schiff & Ehud Ya'ari, *Israel's Lebanon War: The First Inside Story Account of a Disastrous Military Adventure and its Ongoing Consequences* (New York: Simon & Schuster, 1984), p. 259.

"أنت تعرف اللبنانيين"، رد شارون باستهزاء، "نحن سنهتم بشؤوننا الخاصة..."(٣٨)

أمّا التركيز من قبل الأميركيين على الوعود السابقة وضرورة الانسحاب الإسرائيلي من بيروت، فقد قابله شارون بلامبالاة انتهت به إلى قطع النقاش لاضطراره إلى الذهاب لحضـــور جلســـة حكومية، ومن دون أن يعبأ بالرد على سؤال درايبر عن موعد خروج قواته من بيروت.(٣٩)

وفـــي الواقـــع، إن قرار دخول الجيش الإسرائيلي بيروت لم يكن قائماً، منذ البداية، على ادعاء وجود المقاتلين "المخربين" المتخلفين؛ فقد بررت الحكومة الإسرائيلية قرارها، مباشرة بعد اغتيال بشير الجميل، بحجة حماية المسلمين من ثأر المسيحيين منهم!!

لـــيس مـــن شـــك في أن هذا التبرير يخلو من كل منطق، فهل كانت مهمة الجيش الإسرائيلي طوال أشهر الاجتياح ومحاصرة بيروت حماية المسلمين؟

أمّا بعد اغتيال بشير الجميل، فهل تحقق الادعاء الإسرائيلي وثبت، ولو مرة واحدة، أن اللبنانيـــن المســـيحيين هاجموا اللبنانيين المسلمين في "بيروت الغربية" أو في أية بقعة أُخرى من لبنان، بحجة أنهم قتلوا "رئيسهم المحبوب" ــ هذا الوصف الذي كان يحلو لبيغن أن يلصقه ببشير الجميل ويردده دائماً؟

وكان بيغن هو الذي صاغ بنفسه القرار الذي صدر عن مجلس الوزراء في اجتماعه الساعة ١٩:٣٠ مساء الخميس، والذي جاء فيه:

> في أعقاب اغتيال الرئيس المنتخب بشير الجميل، استولى جيش الدفاع الإسرائيلي على مواقع في "بيروت الغربية" كي يدرأ أخطار العنف، وسفك الدماء، والفوضى، ذلك بأن ألفيـــن من المخربين المزودين بأسلحة حديثة ثقيلة قد تخلفوا في بيروت، منتهكين بذلك انتهاكاً فاضحاً اتفاقية الإجلاء.(٤٠)

والمســـتغرب حقـــاً أن الحجـــة بحقـــن دماء المسلمين من المسيحيين، هذه الذريعة اللامنطقـــية والتي لم يثبت شيء من صحتها، قد تقبلتها لجنة كاهان كأنها حقيقة مسلَّم بها، فلم تناقشها قط. غير أن شارون نفسه، وهو الذي كان رددها مراراً بنفسه أيضاً، عاد فاعترف فـــي برنامج تلفزيوني في إسرائيل بتاريخ ٢٤ أيلول/سبتمبر، بأن هذا الادعاء لم يكن إلاّ عملية تمويه وخداع (camouflage) للتغطية على المبرر الحقيقي، وهو القضاء على ألفي

---

(٣٨) Ibid., p. 259.

(٣٩) Ibid., p. 261.

(٤٠) *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report.* Introduction by Abba Eban (New York: Karz-Cohl Publishing, 1983), p. 28.

"إرهابي" أو "مخرب".(٤١)

إن إثـــارة مثل هذه الذريعة التي وصفها من أطلقها بأنها عملية خداع، لبرهان على مدى ازدرائه العقل البشري والمشاعر الإنسانية.

ومـــا كـــان الادعاء الآخر الذي أكد شارون أنه هو "الذريعة الأساسية"، أي بقاء ألفي "إرهابـــي"، ليستحق التوقف عنده مطولاً لولا أن تقرير كاهان أخـــذ به كحقيقة لا تقبل النقاش. فقـــد ورد فـــي "الـــتقرير"، استناداً إلى معلومات من مصادر متعددة، أن "الإرهابيين" لم يوفوا بـــتعهداتهم بالرحيل، فتركوا وراءهم بحسب عدة تقديرات نحو ألفي مقاتل.(٤٢) وهكذا يكون تقريـــر كاهـــان أخـــذ بالشائعات التي اتضح معنا أعلاه أنها لم تكن أكثر من ذريعة لاحتلال إســـرائيل بيروت. والمستغرب أن اللجنة ــ كلجنة قضائية ــ لم تتحقق أين ذهب هؤلاء الألفا مقـــاتل؟ أو أين وُجدوا أساساً؟ أو ماذا كان مصيرهم؟ فإن كان "التقرير" أخذ بتقديرات الجيش الإســـرائيلي بأن عدد الضحايا من رجال ونساء وأطفال كان بين سبعمئة وثمانمئة ضحية، فكم كان عدد الضحايا المقاتلين من هؤلاء؟ وأين ذهب الباقون؟ وإن كانوا اختُطفوا فأين هم؟

أثبتـــت فصول التاريخ الشفهي كم كان "المقاتلون" في واد وهذه الأسطورة الخرافية فـــي واد آخر؛(٤٣) كما أثبتت أنه لم يكن هناك ألفا مقاتل ولا مئات من المقاتلين. لم يكن هـــناك ســـوى مقاتليـــن بالعشرات، أقلهم من المقاتلين المحترفين، ومعظمهم من الشباب المتحمســـين للدفاع عن أهلهم وعن كرامتهم؛ كذلك أثبتت أن القتال، على محدوديته، كان موجهـــاً ضد قوات الجيش الإسرائيلي التي حاصرت المخيمات، وقد انتهى ذلك قبل البدء بالمجـــزرة؛(٤٤) أمّا ليلة الخميس وصباح الجمعة، فلم تشهد منطقة شاتيلا غير اشتباكات محـــدودة جداً، يصعب معها القول إنها كانت حقاً اشتباكات. وهذا ما أثبتته أيضاً المصادر الأُخـــرى التي استشهدنا بها. وأمّا الدراسة الميدانية، التي شملت تحليلاً لأربعمئة وثلاثين اســـتمارة للضـــحايا، ولمـــئة استمارة للمخطوفين، فقد أثبتت أن المجتمع الذي انتمى إليه هـــؤلاء كـــان مجتمعاً شعبياً بكل ما في الكلمة من معنى، وأنه كان يتألف من فلسطينيين ولبنانييـــن وعرب من جنسيات متعددة، بالإضافة إلى عمال من باكستان وبنغلادش؛ ومن هؤلاء جميعاً كان الضحايا الذين قتلوا كلهم غدراً وليس في ساحات قتال.(٤٥) وفيما يتعلق

---

(٤١) Michael Jansen, *The Battle of Beirut: Why Israel invaded Lebanon* (London: Zed Press, 1982), p. 96.

(٤٢) *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report*, op. cit., p. 10.

(٤٣) راجع القسم الأول ــ الفصل الأول ــ البند الرابع: "خروج المقاتلين الفلسطينيين".

(٤٤) راجع القسم الأول ــ الفصل الثاني ــ البند الخامس: "محاولات التصدي للجيش الإسرائيلي المحاصر".

(٤٥) راجع القسم الثاني ــ الفصل الأول: "دراسة ميدانية، ربيع سنة ١٩٨٤".

بـــتعداد المقاتليـــن، اتضح في الدراسة الميدانية أنه لم يكن هناك بين الضحايا سوى ست عشـــرة ضحية من الذين قال عنهم ذووهم إنهم مقاتلون. ثم اتضح، بعد التوقف عند مقتل كـــل من هؤلاء فرداً فرداً، أن أياً منهم لم يُقتل وهو يحمل سلاحه، فكلهم قُتلوا غدراً، وقد كان بينهم لبنانيان وأردني واحد.(٤٦)

ولـــم يكن ما توصلنا إليه خافياً أساساً على الكثير من الكتّاب والصحافيين الأجانب الذين نشـــروا مقـــالات وكتباً قبل صدور تقرير كاهان، ومن هؤلاء إسرائيليون استشهدنا بالكثير من أقوالهـــم عبر صفحات هذا الكتاب. غير أن "المشكلة الأساسية" أمام لجنة التحقيق كانت الإطار الذي حددته الحكومة الإسرائيلية لها، و"المعطيات" التي فرضتها كأنها حقائق.

فـــي طلـــيعة المصادر التي دحضت هذه الأسطورة كان تقرير ماكبرايد، وهو أول تقريـــر شـــامل عـــن الاجتياح الإسرائيلي للبنان ومجزرة صبرا وشاتيلا. فقد جاء فيه أن ادعـــاء شارون بقاء ألفي مقاتل كان حجة خادعة هدفها تبرير الغزو الذي كان قرار القيام بـــه قد اتخذ من قبل. كما جاء فيه أنه كان لا يزال هناك بعض الذخائر، لكن لم يتوفر أي دليل على وجود ألفي مقاتل.(٤٧)

وذكـــرت ميشيل جانسن أنه لو كان هناك فعلاً مثل هذا العدد من المقاتلين لكان لا بد من أن تكون هناك معركة حقيقية في مدينة بيروت، ولكانت جماعات المهاجمين القتلة واجهت في صبرا وشاتيلا مقاومة مسلحة مؤكدة، بينما في الواقع لم يكن هناك شيء من الأمرين. وفي كل الشـــهادات عـــن المجـــزرة لم يكن هناك دعوى إسرائيلية بأن بضع مئات من "المخربين" قد اعتقلوا أو قُضي عليهم، فكيف يمكن أن يكون هناك "مخربون" بالآلاف؟(٤٨)

أمّـــا إيلان هاليفي فقد تحدث عن زيف هذا الادعاء حتى قبل حدوث المجزرة، فقال إن الجـــيش الإســـرائيلي سيطر على المدينة بكاملها منذ ضحى يوم الخميس في السادس عشـــر من أيلول/سبتمبر، وقد ظهر أن لا أثر للألفي "مخرب" المزعومين؛ كان هناك فقط بضع عشرات من "المرابطون" وعناصر من الحركة الوطنية اللبنانية.(٤٩)

وأمّا جوناثان راندل فقد اختصر موقفه بالقول إن شارون أصر على عزمه القضاء على "الألفي مخرب" في مخيمات "بيروت الغربية" ــ هؤلاء الذين تبين أنهم لم يكونوا هناك.(٥٠)

---

(٤٦) راجع القسم الثاني ــ الفصل الأول ــ البند السادس: "المقاتلون الضحايا: من هم؟ وكيف قُتلوا؟"

(٤٧) *Israel in Lebanon...* (MacBride Report), op. cit., p. 170.

(٤٨) Jansen, op. cit., p. 96.

(٤٩) هاليفي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

(٥٠) Jonathan C. Randal, *Going All the Way: Christian Warlords, Israeli Adventures, and the War in Lebanon* (New York: The Viking Press, 1983), p. 286.

وانفـــرد توماس فريدمان بمتابعته للموضوع انطلاقاً من اتفاقية فيليب حبيب حتى النهاية، فذكــر أن الذين كان يحق لهم البقاء في لبنان هم الفلسطينيون العاملون في البعثة الدبلوماسية، وشـــباب الميليشـــيا الفلســـطينيون الذين كان معظمهم من الذين ولدوا في لبنان وعملوا حراساً مدنييـــن لحمايـــة المخيمات وحفظ الأمن فيها؛ ولمّا كان هؤلاء لا يعملون بشكل دائم كمقاتلين، فهـــم لم يعتبروا من المقاتلين وفقاً لاتفاقية فيليب حبيب. ووفقاً لهذه الاتفاقية كان يحق لكل من هؤلاء، في حال تخلى عن سلاحه ووافقت الحكومة اللبنانية على بقائه، البقاء في لبنان.

أمّـــا عـــن الشباب الفلسطينيين الذين جمعوهم من المخيمات في أثناء المجزرة فقد نقل فريدمان تصريحاً للكولونيل نتلي بحيري، أحد الضباط الإسرائيليين الذين قاموا بالاستجوابات، فحـــواه أن نســـبة كبيرة منهم كانت لشباب ميليشيا توقع أن يفرج عنهم، وأن نسبة ضئيلة منهم يـــتوقع أن تكون من المقاتلين الذين تخلفوا انتهاكاً لاتفاقية فيليب حبيب. وعقب الكاتب بقوله إنه لا يـــبدو أن الإسرائيليين وجدوا ألفي مقاتل، ولا يبدو أيضاً أنه كان هناك ألفا مقاتل تخلفوا في "بيروت الغربية". كان هناك بعض المقاتلين، غير أن المعطيات تشير إلى أن عددهم كان بضع مئات في أبعد تقدير.[٥١]

أمّا نوعام تشومسكي، فهو الذي صور المشهد من خلال متابعته الدقيقة، فقال:

> الـــرواية الأخيرة هي أنهم [أي الميليشيات المسلحة] أُرسلوا من أجل "تطهير" المخيمات من ألفي مخرب مدججين بأسلحة ثقيلة كانت منظمة التحرير الفلسطينية تركتهم هناك، منتهكة بذلك اتفاقية حبيب. وفي جريدة "هآرتس" يعلق ب. مايكل: "يا لبطولة المقاتلين المســـيحيين!" فـــي حين ينقل إدوارد ولش رد بيغن الرسمي على لجنة التحقيق، الذي يكـــرر فيه "تأكيده أنه لم يكن هناك من سبب لتوقع حدوث مجزرة، وقال إنه كان لدى الحكومـــة 'معلومـــات موثـــوق بهـــا' فحواها أن نحواً من ألفي مقاتل فلسطيني كانوا يـــتمركزون فـــي المـــنطقة." ويعلـــق ولـــش: "لكـــن لا أحد شرح علانية كيف توقع الإســـرائيليون من مئة إلى مئة وثلاثين مقاتلاً فالانجياً أن يهزموا قوة فلسطينية كهذه."
> أمّـــا روبرت سيرو من مجلة "تايم" فقد زار المخيمات قبل بضعة أيام من الهجوم، ولم يجد فيها أي حضور عسكري.[٥٢]

ونختصر التعقيب على هذه الأسطورة/الشائعة بما عقب به تشومسكي نفسه على ما

(٥١) Thomas Friedman, "The Beirut Massacre: The Four Days," *New York Times*, September 26, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile*..., op. cit., p. 76.

(٥٢) Chomsky, op. cit., p. 369.

كتبه أعلاه بقوله: "إن الألفي مخرب أثبتوا حقاً قدرتهم الفائقة على الزوَغان."(٥٣)

إن طبيعة المجابهات المحدودة جداً التي جرت بين الشباب المسلحين من شاتيلا والجنود الإسرائيليين، كانت هي الدليل على أن لا وجود للمقاتلين "المخربين" الذي يستدعي كل هذا الحصار وهذا الاقتحام للقضاء عليهم. وقد استشهدنا سابقاً بالكثير من أقوال الإسرائيليين أنفسهم، ومنها ما كان أذيع مساء الخميس. غير أن المستغرب حقاً أن يكون وزير الدفاع شارون نفسه، وكبار القادة معه، مطلعين تماماً على هذا الوضع، إذ يبدو أن التقارير وصلتهم بهذا الشأن ولم تتبخر كالتقارير التي أُرسلت إليهم بعد بدء المجزرة، لكنهم مع ذلك تصرفوا كأنهم لا يعرفون!

عقد وزير الدفاع اجتماعاً في الساعة العاشرة من صباح الخميس حضره كل من رئيس هيئة الأركان العامة، ومدير الاستخبارات العسكرية العميد ساغاي، والكولونيل زيخارين، والسيد دوداي، ورئيس مركز الاستخبارات الرئيسي، الذي افتتح الاجتماع بقوله: "المدينة بكاملها تحت سيطرتنا؛ الهدوء التام سائد حالياً؛ المخيمات مقفلة ومحاصرة؛ الفالانج سيدخلونها ما بين الساعة الحادية عشرة والساعة الثانية عشرة. لقد تكلمنا معهم أمس... الوضع الآن هو أن المدينة برمتها بين أيدينا، والمخيمات مقفلة." وخلال الاجتماع اتصل وزير الدفاع برئيس الحكومة وبلّغه قائلاً: "إن القتال انتهى. مخيمات اللاجئين محاصرة، وإطلاق النار توقف. لم نخسر مزيداً من الضحايا. كل شيء ساكن وهادئ. إن رئيس هيئة الأركان العامة يجلس أمامي وقد عاد لتوه من هناك. كل النقاط الرئيسية في أيدينا. كل شيء قد انتهى..."(٥٤)

ما دام وزير الدفاع، شارون، أقر بأن القتال انتهى، فلماذا إذاً قام بإرسال الفالانج إلى المخيمات؟ هل كان مقتنعاً حقاً بأن هناك "مخربين بالآلاف" يختبئون في البيوت؟ وبأنهم تواروا عن قتال عدوهم الذي حاصر مخيماتهم عوضاً عن أن يجابهوه بكل ما أوتوا من قوة؟ هل من منطق يقول بأن ينتهي ذلك "القتال" الذي كان أقل من قتال محدود سريعاً، فيما لو كان هناك حقاً مقاتلون بالمئات فقط؟ وكيف كان الوضع الذي سيكون القتال عليه فيما لو كانوا حقاً بالآلاف؟

سوف يبقى مثل هذه التناقضات بلا حلول إلى أن يخضع الذين قاموا بمجزرة صبرا وشاتيلا، والذين خططوا لها، والذين مهدوا لها، والذين أشرفوا عليها، لمحاكمة دولية قانونية. أمّا التقرير الذي أصدرته اللجنة الدولية، برئاسة القاضي ماكبرايد، فقد كان

---

(٥٣) Ibid.

(٥٤) *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report*, op. cit., pp. 18-19.

المصـــدر القانونـــي الوحـــيد الـــذي تصدى في حينه للادعاء الإسرائيلي بتخلف مقاتلين فلسطينيين في المخيمات. فقد جاء فيه:

> ترفض اللجنة رفضاً باتاً الادعاءات الإسرائيلية بأن ألفي "مخرب" في المخيمات أعطوا مبرراً لشن عمل عسكري ضد السكان. وتعتبر [اللجنة] المخيمات مدنية، وأنها لم تكن أمكـــنة حربية في أثناء المجازر. ولا تعتقد اللجنة أن الاستخبارات الإسرائيلية ــ التي قبلـــت بوضوح عدد المقاتلين الفلسطينيين المغادرين كعدد صحيح ــ استطاعت لاحقاً، وبحســـن نية، أن تقدر عدد المقاتلين الذين بقوا بذلك العدد المرتفع. وبالتالي، ما دامت اللجـــنة تـــرفض بصورة قاطعة أرقام شارون، فمما يجدر تأكيده أنه حتى فيما لو كان الادعـــاء الإسرائيلي صحيحاً، وحتى فيما لو كانت إسرائيل اعتقدت عن حسن نية أنه فعـــلاً صحيح، فالأعمال التي جرت بعد محاصرة المخيمات تشكل على الرغم من ذلك أخطر انتهاك لمسؤولية إسرائيل كسلطة محتلة. إن ما جرى يشكل قصوراً فاضحاً في التمييز ما بين المدنيين والمقاتلين.[٥٥]

رابعاً: هل كانوا حقاً لا يعلمون؟

مـــن الانطـــباعات الرئيســـية التـــي يخرج بها القارئ لتقرير كاهان أن العسكريين الإســـرائيليين مـــا كان في إمكانهم قط أن يروا من مقر قيادتهم شيئاً مما جرى في صبرا وشـــاتيلا. غـــير أن هذا لم يكن ليعني، وفقاً لتقرير كاهان أيضاً، أن بعضهم لم تصل إليه الأخـــبار بوســـائط أُخـــرى. ومن هذا البعض من بلّغ رؤساءه الأعلى رتباً منه، أو كتب تقاريـــر وأرسلها بالطرق المعتادة. غير أن المصادفات العجيبة أدت إلى ألاّ يصل أي من هذه الأخبار أو التقارير إلى المسؤولين الكبار، أمثال بيغن وشارون!! ونطرح أدناه ثلاثة أسئلة لعلها تلقي الضوء على بعض الحقيقة:

الســـؤال الأول: أيـــن كان يقع مقر القيادة الإسرائيلية هذا، وما هي أوصاف المبنى الذي كان يقوم فيه؟

ورد في تقرير لجنة كاهان أن مقر القيادة المتقدم كان يتألف من خمس طبقات،[٥٦] ولا يـــدري المرء على أيـــة قاعدة تم عـــدّ الطبقات، بينما كان يمكن التأكد من معلومات كهـــذه مـــن العشرات من الضباط والجنود الإسرائيليين الذين صعدوا إلى مقر القيادة، أو

---

(٥٥) *Israel in Lebanon*... (The MacBride Report), op. cit., pp. 170 – 171.

(٥٦) *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report*, op. cit., p. 14.

مـــروا بالقـــرب مـــنه على الأقل، والذين كان في إمكانهم أن يروه بالعين المجردة. فعدد الطــبقات هـــو ســـت. أمّا بالنسبة إلى المصادر التي حددته بسبع طبقات، فالأرجح أنها اعتبرت السطح الذي كان عليه مقر القيادة بمثابة الطبقة السابعة. وأمّا وفقاً لكل المقاييس الهندســـية التي يمكن استخدامها، فإنه يمكن القول إن هناك طبقة أرضية لا تحتسب عادة، وفوقهـــا ست طبقات، وفوقها السطح (أنظر صورة مبنى مقر القيادة الإسرائيلية في ملحق الصور).

وقد كان هذا المبنى الذي اتخذه الجيش الإسرائيلي مقراً لقيادته، والذي أصبح يدعى "موقـــع القـــيادة المتقدم"، يقع في مجمع من ثلاثة مبان سكنية للضباط في الجيش اللبناني، كمـــا ذكرنا سابقاً، ولا يفصل بينه وبين منطقة شاتيلا غير بولفار المدينة الرياضية/بولفار كمـــيل شـــمعون. وكانت أقرب منطقة مقابلة له مباشرة منطقة رملية كان نادي الفروسية ســـابقاً (المعروف بنادي التورف/Turf Club) يقوم عليها. أمّا خلف هذه الرمال فكان يقع حي عرسال، ومن بعده شارع شاتيلا الرئيسي، إلخ...

الســـؤال الثانـــي: هل كان في الإمكان رؤية صبرا وشاتيلا من سطح مبنى موقع القيادة المتقدم؟

ورد فـــي "التقرير" أنه من على سطح مبنى موقع القيادة المتقدم كان من الممكن رؤية مـــنطقة المخيمات بصورة عامة. لكن، بناء على شهادات كثيرين زاروا مقر القيادة، اتضح أنه كان من المستحيل رؤية ما يجري في أزقة المخيم من السطح.(٥٧) والحق يقال إن هذه الصـــورة مشوهة لأنها لم تنقل كاملة، وخصوصاً أننا نلاحظ أن تعبير منطقة "المخيمات" ـــ بـــالجمع ـــ قـــد اســـتعمل حيـــن كان الحديث عن الرؤية العامة، بينما استعمل تعبير أزقة "المخـــيم" ـــ بالمفرد ـــ حين كان الحديث عن استحالة الرؤية في "أزقة المخيم". والواقع أن هذه الصورة المفصلة هكذا لا تنطبق إلاّ على مخيم شاتيلا بالذات، المتوغل في عمق منطقة صبرا وشاتيلا والجوار، المنطقة التي أطلقنا عليها "شاتيلا الكبرى" لتمييزها من مخيم شاتيلا الصـــغير، وهو الذي لم تجر في أزقته أساساً أية مجزرة، أو أية أعمال عنف، وبمعنى آخر لم تكن هناك أية عمليات يمكن رؤيتها. أمّا مسرح المجزرة الكبير فكان كل صبرا وشاتيلا، أو "شاتيلا الكبرى"، لكن مع استثناء القلب منها، أي مخيم شاتيلا.

فهل كان من المستحيل رؤية كل المواقع والمناطق كما كان الحال بالنسبة إلى مخيم شاتيلا، هذا إن سلمنا جدلاً بأن رؤية مخيم شاتيلا لم تكن ممكنة؟

مـــن الطبيعـــي أن تتفاوت الرؤية. وقد أثبتنا سابقاً أنه كان من المؤكد إمكان رؤية

---

(٥٧) Ibid., p. 15.

المـــناطق القريبة على الأقل، والتي تغطي مساحتها قسماً كبيراً من أرض المجزرة، وقد حددناها في الدراسة الميدانية بالأمتار.(٥٨) ومن الثابت، من خلال التاريخ الشفهي أيضاً، أن مـــنطقة رمـــال نادي التورف وكذلك حي عرسال وما حولهما، وغيرهما، كان يمكن رؤيتها بالعين المجردة.

قـــام الكاتب المحامي فرانكلين لامب بالتقاط صورة للمكان بعد أربعة أشهر فقط من حـــدوث المجـــزرة، أي حيـــن لم يكن قد تغير شيء من معالم المنطقة بعد (أنظر ملحق الصـــور: صورة مشهد صبرا وشاتيلا من سطح مبنى مقر القيادة الإسرائيلية)، وليس بعد هذه الصورة من دليل.

مـــن الصحافيين الذين لم يكتفوا بالرؤية من بُعد، كان راي ويلكنسون، مراسل مجلة "نـــيوزويك". فهو قاس المسافة بين مركز القيادة و"المخيمات" بمئتين وخمسين خطوة، كما قـــاس مســـافة خط مرمى النظر من سطح مبنى القيادة، وأكد: "من هناك يمكن رؤية كل تفصيلات المخيمات بوضوح، حتى بالعين المجردة، وبمنظار مكبر (binoculars) كان في إمكـــان الإسرائيليين أن يروا حتى أصغر التفصيلات." وقال أيضاً إن الإسرائيليين كانوا موجودين في مقر الجيش اللبناني، حيث كانت المخيمات ترى بشكل مستقيم.(٥٩)

أمّـــا أمـــنون كابليوك، مراسل "لو موند ديبلوماتيك"، فقال إن "السطح والمخيمين ما زالا موجوديـــن ويكفـــي لأي شخص أن يصعد كما فعلنا مؤخراً ليكتشف أنه على الأقل بالإمكان رؤية ما حصل في المنطقة التي تضررت أكثر من غيرها."(٦٠)

السؤال الثالث: لماذا لم تصل الأخبار والتقارير إلى المسؤولين الكبار؟

مـــن الملاحـــظ أن حادثة عدم وصول تقرير معين إلى من كان يجب أن يصل إليه في الـــنهاية تكـــررت إلى الحد الذي خرجت فيه عن مجرد كونها خطأً؛ فهي أضحت منهجاً في الـــتعامل. وقـــد تنـــبه تقرير كاهان لهذا الأمر بوضوح، فتناولت الملاحظات الأخيرة فيه هذه المسألة.(٦١) لكن هذا ليس بكاف، فتكرار حدوث الانقطاع في إيصال الأخبار وحتى التقارير يبعث على التساؤل: لماذا؟ وهل هذا معقول؟ ومن المسؤول؟ وفيما يلي بعض الأمثلة:

---

(٥٨) راجع القسم الثاني ـــ الفصل الأول ـــ البند الخامس ـــ فقرة "الإنسان أمام المكان والزمان والمصير".

(٥٩) Mark Whitaker & Ray Wilkinson (in Beirut), Scott Sullivan (in Jerusalem), "The Making of a Massacre," *Newsweek*, October 4, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile*…, op. cit., p. 85.

(٦٠) كما وردت في: خليفة، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(٦١) *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report*, op. cit., pp. 99-103.

ـ كان التقرير الواحد يفهمه كل ضابط بطريقة مختلفة عن الآخر. فما فهمه الملازم (على سطح مبنى مقر القيادة مساء الخميس) من أن الموضوع يتعلق بقتل النساء والأطفال، فهمه الجنرال بأنه يتعلق بقتل "الإرهابيين".(٦٢)

ـ استمع عدد من الضباط الإسرائيليين إلى تقرير شفهي من ضابط ارتباط في ميليشيا القوات اللبنانية (في غرفة للطعام في مبنى مقر القيادة مساء الخميس). وقد ورد في تقرير كاهان أن لجنة التحقيق حصلت على عدة روايات لهذه الحادثة من كل فرد من المجتمعين. أمّا التحقيق من أجل معرفة الرواية الصحيحة، فشأن لم تسع إليه لجنة التحقيق.(٦٣)

ـ حدث اختلاف في وجهات النظر بين ضابط استخبارات بدا مقتنعاً بأنه لم يكن ثمة قتال جدي، ومقتنعاً أيضاً بأن السكان المدنيين في خطر (في مقر القيادة مساء الخميس)، وبين جنرال كان يرى عدم إمكان حدوث أي أذى للمدنيين. ثم كان رأي الجنرال هو الغالب.(٦٤)

ـ قدّم جنرال (صباح الجمعة) تقريراً إلى جنرال آخر عما جرى، لكنه لم يذكر في تقريره شيئاً عما جرى فعلاً في صبرا وشاتيلا، ومما كان مدار الحديث بينه وبين أقرانه الضباط مساء اليوم السابق (الخميس).(٦٥)

ـ هناك ذكر لعدة تقارير كتبها ضباط لمن هم أعلى منهم رتبة، لكنها لم توزع كما يجب. وكانت النتيجة أنها لم تصل إلى أصحاب الشأن.(٦٦)

ـ هناك ذكر لعدد من المحادثات الهاتفية بين الوزراء، أو بين كبار الضباط والوزراء، غير أن كل واحد من المتحدثَيْن الاثنين يروي الحديث بطريقة مختلفة عن الآخر، وتكون النتيجة أن الرسالة الشفهية لا تصل من المتحدث إلى المستمع، عبر الهاتف، إذ إن المستمع يستمع لكن يستوعب بطريقته الخاصة. وفي حالات أُخرى، قد يستمع المستمع فعلاً، وقد يستوعب فعلاً، لكنه يتخذ قراراً بأن المعلومات غير ذات شأن للتحقق منها.(٦٧)

ـ في حالات كان يفترض أن يبلغ الجنرال المجتمعين معه كل ما يعرف عما يجري من قتل وذبح، كان لا يفعل ذلك على الإطلاق، لأنه شخصياً كان يرى أن لا

---

(٦٢) Ibid., pp. 22-23.

(٦٣) Ibid., pp. 23-24.

(٦٤) Ibid., pp. 24-25.

(٦٥) Ibid., pp. 27-28.

(٦٦) Ibid., pp. 26, 29, 32.

(٦٧) Ibid., pp. 33, 39.

ضـــرورة لذلـــك، والســـبب الذي يقدمه هو تصوره الخاص بأن الآخرين الذين كان مجتمعاً معهم حتماً يعرفون؛ فما دام هو يعرف، وما داموا هم يعرفون، فلا ضرورة للكلام.(٦٨)

ـ أراد بعض العسكريين في محيط شاتيلا إبلاغ الذين هم أعلى منهم رتبة بما كان يجـــري، غـــير أنهم صادفوا زملاء لهم طلبوا منهم ألاّ يبلغوا أحداً، ذلك بأنهم سمعوا قائد الموقـــع (Battalion Commander) يقول تعقيباً على خبر وصله بشأن قتل المدنيين: "نحن نعلم، وهذا لا يسرنا، لكن لا تتدخلوا."(٦٩)

ـ كانـــت مشـــكلة عـــدم الفهم مشكلة أساسية، فكم من كلام على ما كان يجري سمعه ضابط رفيع المستوى من غيره، لكنه لم يفهم قط أنه كان هناك عمليات ثأر وسفك للدماء.(٧٠)

ـ فـــي الاجتماع الذي عقد بين مسؤولين إسرائيليين ومسؤولين في القوات اللبنانية، في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة، لم يسأل الإسرائيليون حلفاءهم "الفالانج" عما يفعلونه، وهؤلاء بدورهم لم يتبرعوا بتقديم أي تقرير لرؤسائهم.(٧١)

لمّـــا توصل تقرير كاهان إلى شرح "المسؤولية غير المباشرة" توقف عند مسألة "ضياع" التقارير، إذ جاء فيه:

> ... يتضـــح مـــن مجريات الأحداث أن التقارير عندما بدأت تصل عن أفعال الفالانج في المخـــيمات لم تلق الاهتمام المطلوب، ولم تُستخلص منها الاستنتاجات الصحيحة، وبالتالي لـــم تُتخذ خطوات سريعة وفعالة للجم الفالانج ووضع حد لأفعالهم. إن هذا يعكس ويضع على إسرائيل مسؤولية غير مباشرة فيما جرى في مخيمات اللاجئين.(٧٢)

ســـنتوقف إزاء موضـــوع المســـؤولية المباشرة أو غير المباشرة لاحقاً، لكن يجدر الـــتوقف الآن إزاء موضوع مدى انتشار الأنباء عما كان يجري دقيقة فدقيقة في صفوف الجـــيش الإسرائيلي المحاصِر، ذلك بأن حصر المشكلة في وصول تقرير أو عدم وصوله إلى مكتب مسؤول ما في تل أبيب، يكاد ينأى بالموضوع الرئيسي إلى كوكب آخر لا يمت إلى كوكبنا الأرضي بصلة، ناهيك عن "جزيرة" صبرا وشاتيلا التي لا ترى على خريطة الدنـــيا، وذلك لأن ليس بـــ "التقارير" وحدها كان ممكناً للحكومة الإسرائيلية أن تتأكد من

---

(٦٨) Ibid., p. 33.

(٦٩) Ibid., p. 35.

(٧٠) Ibid., p. 37.

(٧١) Ibid., p. 39.

(٧٢) Ibid., p. 63.

حدوث مجزرة رهيبة، كي تقوم بواجبها في اتخاذ قرار سريع بإيقافها، ما دامت هي السلطة الأجنبية التي كانت تحتل "بيروت الغربية" كلها في تلك الأيام، وما دام جيشها كان محاصراً منطقة صبرا وشاتيلا بالذات، ومحيطاً بها إحاطة السوار بالمعصم.

من المستغرب حقاً أن يحصر تقرير كاهان مسألة إمكان معرفة الضباط الإسرائيليين بما كان يجري في الرؤية من على سطح مبنى مقر القيادة المتقدم، وأن تلك الرؤية، سواء أكانت بالعين المجردة أم بأحدث النواظير، كانت مستحيلة كما ورد. لكن ماذا عن الوسائل الأُخرى التي يصعب حصرها، والتي لم يأت "التقرير" إلى ذكرها قط؟ وفيما يلي ست نقاط تدحض أقوالهم:

١ ـ **أماكن المراقبة:** كان الجيش الإسرائيلي يحتل المنطقة بأسرها، وكان من واجبه عند إرسال القوات اللبنانية ومن معها داخل صبرا وشاتيلا أن يكون هو في الأماكن التي تمكنه من المراقبة، فلماذا حصر نفسه على ذلك السطح، وكذلك على سطح المبنى المجاور له؟ لماذا لم يرسل جنوده للمراقبة من أماكن متعددة تسمح لهم بالرؤية، وبالتالي المعرفة؟ لماذا لم يقف جنوده على أعلى موقع في المدينة الرياضية نفسها حيث تبدو مناطق الحي الغربي وعرسال وصبرا وشارع شاتيلا، إلخ، بوضوح أكثر؟ لماذا لم يرسل جنوده إلى سطوح بنايات في بئر حسن مقابلة تماماً لشاتيلا، وخصوصاً لحي الحرش؟ وهناك أماكن أُخرى كثيرة كانت أصلاً فارغة من السكان، وحتى لو كان فيها سكان فإن الجيش الإسرائيلي المحتل لم يكن بحاجة إلى إذن سكانها كي يراقب من سطوح مبانيهم ويتأكد مما كان يجري.

واقع الأمر أنه كان هناك عدة أماكن أُخرى راقب منها الإسرائيليون، فعلاً، لكن تقرير كاهان لم يتوقف عندها؛ أمّا شهادات السكان في التاريخ الشفهي فقد توقفت إزاءها، وخصوصاً في بئر حسن (أنظر ملحق الخرائط: الخريطة الثالثة، "المواقع الإسرائيلية وحدود المجزرة").

٢ ـ **الآليات العسكرية:** كانت الآليات العسكرية الإسرائيلية تجوب المنطقة. صحيح أن بعض النقاط الإسرائيلية كان أشبه بالنقاط الطيارة، التي ما إن توجد حتى تختفي، ثم تعود، كما حدث بالقرب من مستديرة المطار مثلاً، غير أن آلياته كانت هي المسيطرة على الشوارع كلها. ولو حددنا بولفار المدينة الرياضية مثلاً، وتوقفنا عند حفر الموت ومشاهد التعذيب التي كانت تمارس على تلال نادي التورف، وعلى التلال المحيطة بالمدينة الرياضية، لكان العجب شديداً من إمكان حدوث ذلك كله من دون أن يلفت انتباه أحد من الإسرائيليين الذين كانوا يجوبون الطرقات.

٣ ـ **شكاوى السكان:** يصعب حصر شكاوى السكان التي تقدموا بها، إمّا إلى عدد من المراكز الإسرائيلية وإمّا إلى ضباط وجنود كانوا يلتقونهم على الطرقات. إن مراجعة تلك الشكاوى تستوجب إعادة قراءة الشهادات كلها في فصول التاريخ الشفهي. أمّا ما يلفت النظر بصورة خاصة فهو ردات فعل الإسرائيليين التي كانت متناقضة إلى أبعد الحدود. فبعضهم أبدى قسوة وعدم اكتراث، أو كان لامبالياً، بينما أبدى بعضهم الآخر تأثراً واهتماماً، حتى أنه عرض مساعدته. لكن هذا البعض الأخير كان يشكل الأقلية.

٤ ـ **تدخل الإسرائيليين:** لم يكن موقف الإسرائيليين دائماً موقف الذي لا يعلم، أو موقف الذي لا يريد أن يعلم، أو موقف المتفرج في الخفاء. فقد كان بعض الجنود في نقاط قريبة تسمح له برؤية كل ما كان يجري. وللمثال، تلك الحادثة التي تدخّل فيها أحد الجنود أو الضباط من موقعه على تلة رمل بالقرب من السفارة الكويتية، لمنع قتل مجموعة من النساء والأطفال صباح يوم الجمعة ما بين السادسة والسابعة،[٧٣] وكذلك تدخّل ضابط كان يمر بسيارته لمنع حادثة مماثلة لعدد آخر من النساء والأطفال، يوم الجمعة أيضاً، لكن ظهراً، وفي ساحة المدينة الرياضية.[٧٤] من الطبيعي أن هذه الحوادث تدل على أن هؤلاء العسكريين الذين ورد الحديث عنهم كانوا يرفضون قتل المدنيين. صحيح أن هناك حوادث غيرها على النقيض منها، لكن هذه الحوادث في مجموعها، الإيجابي منها والسلبي، تثبت من ناحية أُخرى أن عدد الذين كانوا يعرفون عن كثب ما كان يجري، كان أكثر من كل التصورات.

٥ ـ **التقاط الصور:** ردد ضباط في الجيش الإسرائيلي مراراً، ومن بعدهم تردد في تقرير كاهان مراراً، أن الإنارة المتواصلة ليلاً كانت من أجل مساعدة المسلحين المهاجمين في التعرف على "المخربين"!! وقد ناقشنا هذه النقطة سابقاً، كما ناقشنا أن الجيش الإسرائيلي لم يكن بحاجة إلى كل هذه الإنارة لالتقاط الصور. أمّا وأن الإنارة كانت مستمرة، وأنها كانت إنارة مزدوجة بالمدفعية ومن الطائرات، فمن المستغرب ألاّ يكون الجيش الإسرائيلي التقط الصور. أمّا إن لم يكن ـ فعلاً ـ قد التقط صوراً، فذلك ما يدعو إلى الاستغراب أكثر. غير أن تقرير كاهان لم يطرح أسئلة في هذا الخصوص.

٦ ـ **كان من واجبهم أن يعلموا:** ما دام الجيش الإسرائيلي قد حاصر المنطقة بكاملها منذ يوم الأربعاء، وما دام سيطر على مداخل "المخيمات" مانعاً الناس من الخروج، وما دام جيشاً محتلاً، فقد كان من واجبه أن يجد مختلف السبل لمعرفة كل ما كان يجري؛ فهو الذي يعتبر، من وجهة نظر القانون الدولي، المسؤول عن حماية أمن

---

(٧٣) راجع القسم الأول ـ الفصل الرابع ـ البند السادس ـ الرواية الثالثة والثلاثين: "قرب السفارة الكويتية".
(٧٤) راجع القسم الأول ـ الفصل الرابع ـ البند السادس ـ الرواية الرابعة والثلاثين: "في المدينة الرياضية".

السكان. ولا عذر له على الإطلاق بالقول أنه لم يكن يعلم، أو أن التقارير كان يساء فهمها. فهو كان يجب أن يكون المصدر لكل التقارير.

خامساً: متى توقفت المجزرة؟

في الاجتماع الذي عقده الجنرال إيتان وآخرون مع مسؤولين في القوات اللبنانية، الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر الجمعة، وافق إيتان على بقاء عناصرها المسلحة حتى فجر السبت.[٧٥] وكان واضحاً أن الضغط الأميركي كان وراء هذا الطلب.

غير أنهم لم يغادروا فعلاً فجر السبت، فمتى غادروا؟

جاء في تقرير كاهان أن الفالانج غادروا المخيمات نهائياً في الساعة الثامنة تقريباً من صباح يوم السبت،[٧٦] لكن هل المغادرة هذه كانت مغادرة فعلية لأرض المجزرة؟ وهل كانت في الوقت نفسه تعني توقف المجزرة؟ هكذا يفهم من سياق التقرير حتى نهايته.

ننتقل من التوقيت الزمني إلى الحيز الجغرافي. ترى عن أي مخيمات يتحدث "التقرير" موحياً بأن كل شيء انتهى منذ غادر هؤلاء "الفالانج" تلك المخيمات؟ هل الحديث عن مخيم شاتيلا الصغير الذي لم يدخله أحد منهم أساساً، أم عن منطقة صبرا التي لم يدخلوا منها سوى الشارع الرئيسي حتى ساحة صبرا ومستشفى غزة؟

إن هذه الكلمات المعدودة في "التقرير" والتي تتحدث عن مغادرة الفالانج للمخيمات نهائياً في الساعة الثامنة تقريباً من صباح يوم السبت، لا توحي سوى بالقول إن التورية بالكلمات وأبعادها أصبحت من شأن القضاة بعد أن كانت من شأن الشعراء!!

لقد كانت "شاتيلا الكبرى" وكان جوار شاتيلا الكبرى مسرحاً للمجزرة.[٧٧] لذلك فالقول إنهم انسحبوا من المخيمات قول بعيد كل البعد عن الواقع الجغرافي لأرض المجزرة، وكذلك عن الواقع التاريخي وفقاً لتسلسل أحداث المجزرة، وهي الأحداث التي يحفظها سكان صبرا وشاتيلا كما يحفظون أسماء أجدادهم وقراهم في فلسطين.

الانسحاب من ساحة صبرا لم يكن انسحاباً وفقاً لمفهوم الانسحاب الفعلي لأية قوات مسلحة مهاجمة لمنطقة ما. وبمعنى آخر، فالانسحاب هذا لا يعني توقف المجزرة، وإنما بداية ساعات طويلة من العذاب انطلقت من ساحة صبرا وتواصلت على امتداد شارع شاتيلا الرئيسي؛ هناك حيث كان المئات من سكان صبرا وشاتيلا يجرهم المسلحون

---

(٧٥) Schiff & Ya‘ari, op. cit., p. 272.

(٧٦) *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report*, op. cit., p. 50.

(٧٧) راجع القسم الأول ـ الفصل الأول ـ البند السابع: "موقع المجزرة وحدودها".

بعصبية ونزق وازدراء، ثم يطلبون منهم الوقوف تارة والجلوس تارة أُخرى في الساحات، وخصوصاً في ساحة الشهيد أبو حسن سلامة، ثم يجمعونهم بالقرب من التلال الرملية قرب السفارة الكويتية والتلال الرملية المقابلة لها والملاصقة لحي عرسال (تلال نادي التورف)؛ هناك حيث كان الكثير من حفر الموت؛ هناك حيث استمرت عمليات القتل طوال قبل الظهر؛ هناك حيث كان ضجيج الجرافات يسمع وهي تهدم البيوت فوق جثث ساكنيها؛ هناك حيث كان المئات، وهم يسيرون في الطابور، في "المارش الأخير"، يشاهدون الشاحنات المتوقفة إلى جانب بولفار المدينة الرياضية وهي تستعد لحمل العشرات من الرجال والشباب نحو المجهول. أمّا هؤلاء الذين كان يُطلب منهم الاستمرار في سيرهم نحو المدينة الرياضية، فكان الموت في انتظارهم هناك؛ فمنهم من قضى في حفر أُخرى للموت، ومنهم من قضى في حقول الألغام التي كان الاجتياح الإسرائيلي خلّفها وراءه.

كل هذا كان يجري هنا وهناك. كانت تجري عمليات الاستجواب السريع والقتل والخطف والإهانات المتواصلة طوال ساعات قبل الظهر، وقد كانت الساعة تجاوزت الثانية عشرة ظهراً، حين أُطلق الرصاص على مجموعة من الرجال في إحدى حفر الموت في منطقة تلال نادي التورف.

وهكذا، على النقيض مما ورد في تقرير كاهان من أنهم غادروا في الساعة الثامنة صباحاً، قال كتّاب كثيرون إنه بدا واضحاً أنه لم تتخذ أية خطوات من أجل إخراجهم بسرعة، ومن أجل حقن الدماء.(٧٨)

كانت المجزرة عملية مستمرة طوال ثلاث وأربعين ساعة، من الساعة السادسة مع غروب شمس يوم الخميس في السادس عشر من أيلول/سبتمبر، حتى الواحدة ظهراً من يوم السبت في الثامن عشر من أيلول/سبتمبر.(٧٩)

كل يوم من أيام المجزرة الثلاثة كانت له حكايته، وكانت له مأساته. ومن مأساة يوم السبت بالذات أنه تميز بالعلانية في العمليات. هناك شواهد لا تحصى على معرفة الجيش الإسرائيلي بطرق مباشرة بمآسي السبت، غير أن عناصر هذا الجيش كانوا هم أنفسهم منهمكين في أمور أُخرى، منها قيامهم باستجواب السكان في المدينة الرياضية وفي مبنى اليونسكو المقابل.

ويبقى السؤال: لو كانت المجزرة توقفت فعلاً في الساعة الثامنة صباحاً، أما كان في هذا حقن لدماء المئات من الضحايا الأبرياء الذين سقطوا يوم السبت؟ أما كان في ذلك حياة لمئات من الذين مروا بالعذابين، عذاب الاختطاف والتعذيب، ثم عذاب القتل؟ كل

---

(٧٨) Schiff & Ya‘ari, op.cit., p. 275.

(٧٩) راجع القسم الأول ــ الفصل الخامس: "السبت ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢".

هؤلاء الذين اختطفوا يوم السبت لم يعد منهم أحد.(٨٠)

ليس من شك في أن هناك ترابطاً ما بين "الساعة" التي أعلن المسؤولون في إسرائيل أنهـم عرفوا فيها بالمجزرة، وبين "الساعة" التي أصدروا فيها الأوامر بضرورة انسحاب القوات المسلحة المهاجمة، أو الفالانج، هذا إن كانت أوامر كهذه صدرت حقاً.

هـناك ثلاثة فصول للرواية التي نسجها شارون حول صبرا وشاتيلا، متصوراً أن هـذه الفصـول عندما تعرض متكاملة تلقي بالمسؤولية الكاملة على تلك القوات اللبنانية، وفـي الوقـت نفسه لا تبرئ ساحة جيشه فحسب، بل ربما تهنئه على قيامه بحقن "دماء المسلمين" في "بيروت الغربية"!!

الفصل الأول من روايته يدور حول الجهل المطبق للقيادة الإسرائيلية العسكرية حتى بإمكـان قيام القوات اللبنانية بأعمال عنف، أو بمجزرة، وقد شاركه الكثيرون من زملائه في هذا النهج.

قال شارون أمام لجنة كاهان في شهادته بتاريخ ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٢:

> إننـي باسـم المؤسسة الدفاعية كلها، وبالنيابة عنها، أريد أن أقول إن لا أحد كان في وسعه أن يتنبأ، أو أن يتصور مسبقاً الفظائع التي ارتكبت في جوار صبرا وشاتيلا.(٨١)

هذه الشهادة المختصرة لشارون تتناقض جزئياً مع ما سجله في مذكراته حين تحدث عـن لقاء تم بين الجنرال أمير دروري في مقر قيادته وبين مسؤولين في القوات اللبنانية يوم الخميس تهيئة لعملية الاقتحام، فقد ذكر ما يلي:

> لقـد تلقـوا، ضمن أمور أُخرى، تعليمات بأن يراعوا الدقة في تعيين هويات المخربين التابعيـن لمنظمة التحرير الفلسطينية. فالمهمة كانت تستهدف هؤلاء فقط. وقد أعطيت لهم تعليمات محددة بألاّ يتعرضوا بالأذى للسكان المدنيين.(٨٢)

فلمـاذا أعطيـت التعليمات لهم بشكل محدد كي لا يسببوا أذى للمدنيين؟ هل تعطى تعلـيمات كهذه لمن يثق القادة بأنهم لا يمكن أن يؤذوا المدنيين؟ وما معنى إيذاء المدنيين فـي حالات كهذه؟ هل هو الضرب، أم التعذيب، أم الخطف؟ ألا يمكن أن ينقاد من يؤذي المدنيين إلى ما يؤدي به إلى قتلهم؟ ألم يحدث هذا؟

الواقـع أن جندياً إسرائيلياً بسيطاً من جنود شارون تمكن من أن يرى ما لم يكن في

---

(٨٠) راجع القسم الثاني ــ الفصل الثاني: "عدد الضحايا".

(٨١) *Israel in Lebanon*... (The MacBride Report), op. cit., p. 168.

(٨٢) Ariel Sharon, with David Ghanoff, *Warrior: An Autobiography* (New York: Simon & Schuster, 1989), p. 504.

إمكان قائده الأعلى شارون أن يراه!! أمّا ذلك الجندي فقد تحدث عن تجربته في لبنان ومع القوات اللبنانية:

> لقد أثيرت عاصفة في الدولة بالنسبة إلى علاقة الفالانج بمسألة صبرا وشاتيلا. كان من الضروري حتماً التعرف إلى الفالانج من أجل إدراك أنهم قادرون على أن يفعلوا ما فعلوا. أنا، على الأقل، جندي بسيط، استطعت أن أعرف هذا حين كنت في بيروت قبل أن تحدث [المجزرة]. لقد صادف أن صادقت شاباً من الفالانج. أنا لغاية اليوم لا أستطيع أن أنسى صورتين أراني إياهما بزهو حقيقي. في الأولى كان يقف وهو يتخذ وضعاً بطولياً ويحمل بيديه وعاءين زجاجيين ملآنين بآذان للإرهابيين! لقد أخبرني أنه قطعها مؤخراً من أجساد إرهابيين [أي بعد أن وضع الجيش الإسرائيلي "الإرهابيين" في عهدة الفالانج]. في الصورة الثانية رأيته واقفاً وهو يرفع بكل يد من يديه رأساً مقطوعاً، وكان هناك رأس ثالث بين ساقيه! لقد شرح لي بكثير من الاعتداد بالنفس أن تلك كانت رؤوساً لفلسطينيين قام هو بقطعها.(٨٣)

أمّا الفصل الثاني من رواية شارون فيدور حول الجهل المطبق للقيادة الإسرائيلية بما كان يجري داخل صبرا وشاتيلا في أيام المجزرة، وكأن شاتيلا تقع في جزر واق الواق الخرافية في الحكايات، وكأنها لا ترى من خلال تلك النواظير الحديثة التي يعتز بها جيشه. قال شارون في شهادته أمام لجنة كاهان:

> لو سئلت بعد حلف اليمين من ارتكب الجرائم لكنت قلت لا أعلم. لم يكن الجيش الإسرائيلي هناك. كان هناك مدخلان للمخيم لم نسيطر عليهما. أعرف من دخل ومن خرج لكنني لا أعرف من قتل.(٨٤)

وأصر شارون على أن يثبت للمحققين صدق ادعائه بأنه لم يكن قط في استطاعة الجنود المتمركزين حول المخيمين رؤية ما يجري في الداخل، فأخرج صوراً وخرائط لمنطقة صبرا وشاتيلا، وقال إن ما بين مئة ومئتي عنصر كتائبي شاركوا فيما وصفه بأنه عملية تمشيط للمخيمات لإفراغها ممن بقي من المقاتلين الفلسطينيين بعد خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت.(٨٥)

أمّا الفصل الثالث من رواية شارون فهو يدور حول السؤال: "متى عرف [شارون] بالمجزرة؟" وعلى الرغم من أن سؤالاً كهذا يصدم أهالي الضحايا الأبرياء، وهم الذين لا

---

(٨٣) As cited in Chomsky, op. cit., p. 253.

(٨٤) جريدة "السفير"، ١٩٨٢/١٠/٢٦.

(٨٥) المصدر نفسه.

يشكون لحظة في التخطيط الإسرائيلي الشاروني لهذه المجزرة، من قبل أن تبدأ، فشهاداتهم تحدثت عن تصوراتهم ومشاعرهم، لكن مع ذلك لا بد من التوقف عند ما قاله الكتّاب الإسرائيليون عنه، وعند ما قاله شارون نفسه عن نفسه.

أدرج زئيف شيف وإيهود يعري في كتابهما نص المكالمة التي جرت بين المراسل التلفزيوني رون بن ــ يشاي وشارون، وكان الأول قد طلب التحدث إلى الثاني مساء يوم الجمعة في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين ليلاً. والرواية الأولى أدناه هي رواية بن ــ يشاي:

> اعتذرت عن اتصالي في وقت متأخر، وشرحت أنني أتصل هاتفياً من بيروت، وأطلعته على كل ما كنت أعلم... أنا أتذكر قولي له، ضمن أمور أُخرى، إنه يجب فعل شيء لإيقاف ما يجري، وإن جيشَ الدفاع الإسرائيلي على علم بما يجري، وأن ذلك سيوقعنا في ورطة رهيبة... إن وزير الدفاع الذي أيقظته مخابرتي، استمع إليّ بانتباه. سألني إن كنت أعرف أية تفصيلات، فأعلمته بدقة أين رأى الجنود الإسرائيليون عمليات القتل والإعدام، وشرحت له أن المكان غير بعيد عن شعبة مركز القيادة جنوبي شاتيلا. استمرت المخابرة نحو أربع أو خمس دقائق، قمت خلالها بمعظم الكلام. لكن وزير الدفاع بالكاد تجاوب معي، وأنا أحجمت عن طرح أية أسئلة عليه. أخيراً، تمنينا لبعضنا البعض عيد رأس سنة [عبرية] سعيداً وأقفلنا الخط.(٨٦)

كان أول تصريح لشارون عن هذه المكالمة في الإذاعة بتاريخ ٢٤ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، إذ سأله المذيع:

> [سؤال]: سيد شارون، هل لك أن تؤكد المعلومات التي نقلها إليك رون بن ــ يشاي حول المجزرة في بيروت عشية رأس السنة في الساعة الحادية عشرة ليلاً؟
>
> [جواب]: أجل، اتصل بي رون بن ــ يشاي في نحو الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين ليلاً وأعطاني بعض المعلومات ــ أنا أقدره كثيراً ــ وقد سبق أن تلقيت مذكرة عن الوقائع عبر القنوات المألوفة. في المساء كنت تلقيت تقريراً أن العملية أُوقفت بعد أن اتضح أن الفالانج لم يتصرفوا تبعاً للاتفاقية.(٨٧)

---

(٨٦) As cited in Schiff & Ya‘ari, op. cit., p. 274.

(٨٧) Yoram Ronen, “Sharon interviewed on Massacre Responsibility,” *Jerusalem Domestic Television Service* (Interview with Defense Minister Arie’l Sharon), September 24, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 36.

كتـــب شـــارون في مذكراته أيضاً عن مكالمة بن ـــ يشاي معه ما يؤيدها في المضمون العام، لكن هناك ما يخالفها في التفصيلات، فقال:

> أخبرنـــي بن ـــ يشاي بأنه سمع أن جنود الفالانج كانوا يقتلون المدنيين في شاتيلا. وكـــان تكلـــم مع ضباط إسرائيليين سمعوا بدورهم من جنودهم أنهم شاهدوا عمليات قتل وهـــي تجـــري. لمّـــا سألت بن ـــ يشاي هل كان شاهد ذلك بأم عينه، أجاب بالنفي، لكنه سـمع بالأمـــر مرتين، الرابعة تقريباً بعد الظهر، ثم في وقت لاحق مساء. لا، إن الناس الذين سمع منهم النبأ لم يروا أيضاً ما حدث بأم العين، فهم أيضاً سمعوا عنه.
>
> كـــان بن ـــ يشاي منفعلاً، لكن لم يكن هناك أي جديد فيما قاله لي. إن التقارير التـــي تلقيتها من رئيس هيئة الأركان ومن مكتب الأوضاع ذكرت جوهر الأمر نفسه، وهـــو أن القوات المسيحية تورطت في عمليات القتل. أنا كنت أعرف هذا. كذلك كنت أعـــرف مـــا لم يكن بن ـــ يشاي يعرفه، وهو أن رفول وأمير دروري قد قاما بما هو ضروري لوضع حد لذلك.(٨٨)

أمّـــا شـــارون في شهادته أمام لجنة كاهان، فادعى أن المعلومات عما حدث لم تبدأ بالورود إلاّ صباح السبت،(٨٩) وتابع يقول:

> نحـــن لم نكن نتصور في أسوأ أحلامنا أن يتصرف الفالانج بهذه الطريقة وهم ذاهبون إلى حرب.(٩٠)

عـــن أية معلومات كان شارون يتحدث بأنها وصلتهم فقط صباح السبت؟ ولماذا قال فـــي حديثه الإذاعي أعلاه إنه وصله أن العملية تم إيقافها بمجرد أن علموا بأن الفالانج لم يكونـــوا يتصرفون بناء على الاتفاقية فيما بين الطرفين؟ هل المعلومات بأن هناك مجزرة أمـــر قـــد لا يصـــدق؟ وأمّا التفصيلات فشيء آخر بالنسبة إلى القائد العسكري المسؤول ووزير الدفاع في دولة إسرائيل؟ وهو الذي ألح على بن ـــ يشاي في أن يؤكد له إن كان رأى بعينيه، وكأن لا أهمية لشهادات الجنود الذين بإمرته!!

لـــيس الهـــدف هو الغرق في استنتاجات لا طائل من ورائها، وخصوصاً أن سائر العســـكريين ممن معه كانوا على هذا النهج نفسه، فهذا ما ورد في شهادة إيتان الذي كان أشرف على تقاعده، الأمر الذي أعفاه من أية مسؤولية فيما بعد بالنسبة إلى لجنة كاهان:

---

(٨٨) Sharon, op. cit., p. 506.

(٨٩) *Israel in Lebanon*... (The MacBride Report), op. cit., p. 167.

(٩٠) Ibid., p. 168.

لـم يكـن لجيش الدفاع الإسرائيلي أي علم بما كان يجري حتى صباح السبت. إننا لا نصـدر الأوامر إلى الفالانج، ولسنا مسؤولين عنهم. إن الفالانج لبنانيون ولبنان بلدهم، وهـم يتصـرفون بمقتضـى ما يرونه مناسباً. كان الفالانج يقاتلون داخل شاتيلا وفقاً لـنهجهم الحربـي، إن كنـت تسـتطيع أن تسميه كذلك. لم نعرف في الحقيقة ما كان يجـري. كـان الوقـت ليلاً. وكان يفترض أن القتال كان قتالاً عادياً. لكن مع ضوء الصباح، حين شاهدنا ما كان يحدث وما كان يمكن أن يحدث أكثر، تدخلنا بسرعة.(٩١)

لا نرى ضرورة للتعليق على كلام إيتان سوى التذكير بأن الإنارة المتواصلة طوال اللـيل، والتي أقر بها الضباط الإسرائيليون وشارون نفسه، لا تسمح بالقول إنه كان هناك ظلام لا يسمح بالرؤية. أمّا في الصباح (ليس معروفاً أي صباح) فإيتان ومن معه تدخلوا حالاً، وبالتأكيد كما مر معنا لا أحد منهم تدخل حالاً، لا صباح الجمعة ولا صباح السبت، ولـيس هـناك صباح ثالث. لكن من المؤكد أن المجزرة استمرت على عنفها حتى ظهر السبت في الثانية عشرة، وانتهت عملياً في نحو الواحدة بعد الظهر.

اجتمعـت الحكومة الإسرائيلية مساء الأحد في ١٩ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ واستمعت إلـى إيـتان، كمـا استمعت بالتأكيد إلى كل من شارون ودروري. وقد تكلم هؤلاء أمام الـوزراء كلامـاً مناقضـاً لما كانوا يقولونه للجانب الأميركي، أو يصرحون به لوسائل الإعـلام، ومنها أن الفالانج دخلوا بالتنسيق التام مع الجيش الإسرائيلي، وأمّا الخطأ الذي جرى فهـو ببساطة أن قيادة الفالانج لم تكن لها سيطرة على عناصرها، وهنا أقسموا كلهم على أنهم تدخلوا في الدقيقة التي عرفوا بها بتصرفات الفالانج الشاذة، وأمروهم بالخروج.(٩٢)

علـق الكاتبان شيف ويعري على اجتماع الحكومة هذا بقولهما إن الحكومة اختارت أن تصـدق أن نـتائج هذه المجزرة لا بد من أن تنقضي بسرعة ما دامت ــ كما صورت لها ــ تنحصر بشكـل خاص في سوء التصرف اللبناني، لا أكثر. فهؤلاء "غـوييم يقتـلون غوييم" (goyim killing goyim).(٩٣) وبمعنى آخر، كان الوزراء على درب رئيسهم الذي قال هذا علـناً. حـتى الوزير ديفيد ليفي، الذي عُرف أنه كان الصوت الوحيد الذي ارتفع في الاجتماع الـوزاري السابق مساء الخميس منبهاً إلى مخاوفه من أن مفهوم الثأر عند هؤلاء الفالانج يعني الذبـح، بـنى هو نفسه اعتراضه لا رحمة بالأبرياء من القتل، وإنما خوفاً من الملامة فقط، إذ قال: "بعد هذا لن يصدق أحد أننا ذهبنا إلى هناك لحفظ الأمن، ونحن الذين سوف نلام..."(٩٤)

---

(٩١) Ibid.

(٩٢) Schiff & Ya'ari, op. cit., p. 279.

(٩٣) Ibid., p. 280.

(٩٤) *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report*, op. cit., p. 28.

أمّا لو انتقلنا إلى أجواء الكلمة الحرة، المكتوبة أو المسموعة، داخل إسرائيل نفسها، فنكتشف أن الكثيرين فعلاً أذاعوها ونشروها، ومن هؤلاء كان غابي زوهر، مراسل الإذاعة الإسرائيلية، الذي قال بانفعال بعد أن زار صبرا وشاتيلا: "سواء تألفت لجنة تحقيق أو لم تتألف، فسيبقى أننا عرفنا بأن ثمة مذبحة جارية، وأنه كان في وسعنا أن نمنعها، وأننا لم نفعل ذلك."(٩٥)

سادساً: قالوا في مسؤولية الإسرائيليين

ردد الكثير من الكتّاب أقوالاً متشابهة، تشير كلها إلى حتمية معرفة المسؤولين الإسرائيليين بأبعاد المخاطر من مجزرة، ونكتفي ببعضها أدناه، وإلاّ احتجنا إلى صفحات كثيرة.

لمّا صرخ وزير الداخلية يوسف بورغ: "مسيحيون قتلوا مسلمين، أين هي مسؤولية اليهود؟" انبرى الروائي يتسهار سميلانسكي يرد عليه ساخراً: "أفلتنا الأسود الجائعة في الحلبة، فافترست الناس، إذاً الأسود هي المذنبة، لأنها هي التي افترست، أليس كذلك؟ من كان يمكنه أن يتصور، عندما فتحنا الباب أمام الأسود وتركناها تَلِج الحلبة، أنها ستفترس الناس؟"(٩٦)

كذلك علق الكاتب عاموس عوز بقوله: "إن الذي يدعو سفاح 'يوركشاير' إلى تمضية ليلتين في ميتم للبنات لا يحق له فيما بعد أن يدعي، وهو يتأمل الجثث المكومة، أنه اتفق مع السفاح على أن يكتفي بغسل رؤوس البنات."(٩٧)

وكتب أوري أفنيري صورة مشابهة: "إنْ وضع أحدهم ثعباناً في سرير الرضيع ومات الطفل من جرّاء لدغات الأفعى، فإننا لسنا بحاجة إلى برهان أن الذي وضع الثعبان في السرير كان يريد الموت للطفل، وإنْ أنكر هذه النية فعليه أن يقدم الدليل بنفسه."(٩٨)

أمّا الكاتب عاموس ألون فقد كتب المثل نفسه مشدداً على جريمة الرجل، بقوله: "إنّ الرجل الذي يضع ثعباناً في سرير طفل ويقول: 'أنا آسف. أنا قلت للثعبان ألاّ يلدغ. أنا لم أكن أعلم أن الثعابين خطرة إلى هذا الحد'، يستحيل فهمه. إن هذا الرجل مجرم حرب."(٩٩)

---

(٩٥) Amnon Kapeliouk, *Enquête sur un Massacre: Sabra et Chatila* (Paris: Seuil, 1982), p. 112.

(٩٦) As cited in ibid., p. 111.

(٩٧) As cited in ibid.

(٩٨) كما وردت في: هاليفي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩.

(٩٩) As cited in Chomsky, op cit., p. 392.

وأمّا المحلل العسكري زئيف شيف، فقد كتب تعليقاً بعيداً كل البعد عن المفاهيم العسكرية: "مهما يكن الذي سمح للفالانج بدخول مخيمات اللاجئين على عاتقهم، فهو يقارَن بالذي يسمح للثعلب بأن يدخل قن الدجاج ثم يتعجب لماذا أكل الدجاج كله." (١٠٠)

ونختم هذه الأقوال بما قاله الأستاذ في العلوم السياسية زئيف شطرنهل لطلابه في الجامعة العبرية:

> إن الحكومة والمجتمع الإسرائيليين يتحملان المسؤولية الأدبية والسياسية والقانونية في جريمة الحرب التي ارتكبت في بيروت. إننا وإن كنا لم نرتكبها بأنفسنا، فمما لا جدال فيه أننا سمحنا بها.(١٠١)

أمّا تشومسكي الذي يصعب تعريفه سوى بأنه إنسان مفكر عالمي، فقد علل السبب الذي حدا المسؤولين الإسرائيليين على ارتكاب ما ارتكبوه، بقوله:

> ما دام الفلسطينيون كلهم مصنفين إرهابيين، أو أمهات لإرهابيين، أو إرهابيين في المستقبل – أي مختلفين عن بيغن وشمير وشارون على سبيل المثال – فكل ما جرى لهم كان يعتبر شرعياً.(١٠٢)

نكتفي بهذه التعليقات أعلاه لنطرح السؤال: أين تقف نتائج تحقيق لجنة كاهان من هذه الأقوال كلها؟ وهي اللجنة القضائية التي قامت بمجهود كبير، ولا ريب، في الاستماع إلى الشهادات وفي جمع الوثائق وفي دراسة القضية.

لقد انتهى "التقرير" إلى حكم بالمسؤولية المباشرة على القوات اللبنانية التي نفذت المجزرة، وإلى حكم بالمسؤولية غير المباشرة على عدد من المسؤولين الإسرائيليين، كان أبرزهم شارون وزير الدفاع الذي اضطر إلى الاستقالة من منصبه كوزير للدفاع فقط، لكنه استمر وزيراً بلا حقيبة، غير أنه في "الدفاع" خرج من باب الوزارة ليدخل من نافذة الكنيست، حيث أصبح مسؤولاً عن لجنة الدفاع، وفي الوقت نفسه عن لجنة الشؤون اللبنانية!

كتب إيلان هاليفي عن نتائج التحقيق معلقاً، في جملة مقتضبة، أن التحقيق الرسمي الوحيد الذي وصل إلى نتائج ملموسة هو تقرير كاهان، "إلاّ إنه يحتوي على عرض للوقائع لا ينطبق تماماً مع خلاصاته."(١٠٣)

---

(١٠٠) As cited in ibid.

(١٠١) As cited in Kapeliouk, op. cit., p. 112.

(١٠٢) Chomskey, op. cit., p. 224.

(١٠٣) هاليفي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

وكتب هاليفي أيضاً، معلقاً على طبيعة التحقيق، إنه كان يفترض إجراء التحقيق انطلاقاً من الجريمة والمجرمين وكل من تدور حولهم أهم الشكوك. أي تماماً كما تصرفت اللجنة الأميركية التي حققت في قضية مي لاي للتعرف على المنفذين، ثم من هذه الحلقة الأخيرة الوصول بمتابعة السلسلة إلى مركز القرار، من الجرم إلى المسؤولية. والاثنان بصورة مباشرة. الآن توجد جريمة ولا يوجد مجرمون! لا يمكن محاكمة المسؤولين الإسرائيليين لأن مسؤوليتهم غير مباشرة، بينما لا يمكن محاكمة المذنبين، ولا حتى الاستماع إليهم، لأنهم لبنانيون![١٠٤]

أمّا أوري أفنيري فكتب مباشرة بعد صدور تقرير كاهان، متوقفاً عند بعض التفصيلات:

> كانت المجزرة واردة في نية البعض (ربما شارون وإيتان)، وكان الآخرون على علم بهذه النية! وهذا هو السبب الذي جعلهم يتصرفون بالطريقة المعروفة ــ حجب المعلومات والوقائع، دعم منفذي العملية، تدمير الإثباتات، الامتناع عن تسجيل الأحاديث، الامتناع عن الرؤية والسماع، الامتناع عن إبلاغ المعلومات ــ كل ذلك لإفساح المجال أمام الرتب الرفيعة المستوى وحتى رئيس الوزراء بأن يدعوا في الوقت المناسب أنهم لم يكونوا على علم بشيء. أؤكد أن هذه النظرية أقرب إلى الحقيقة من نظرية "الجمود العاطفي"،[١٠٥] إذ إنها تتطابق إلى درجة أكبر بكثير مع تصرفات مرتدي ثياب البطولة هؤلاء، من مناحم بيغن حتى القائد المجهول الهوية الذي قال لجنوده بواسطة اللاسلكي: "تعلم. لا نحب ذلك، ولكن لا تتدخلوا!". وعلاوة على ذلك، فإني أؤكد أن التقرير يتطرق إلى وقائع ليس لها من سبب غير هذا السبب.[١٠٦]

أمّا تشومسكي، الذي رأى أيضاً أن المجزرة كانت واردة في تصورات الإسرائيليين، فقد طرح تسلسل الحدث بناء على قراءته لتقرير كاهان بما يستحق التوقف عنده، بالتفصيلات. قال:

> إن الصورة التي تظهر من خلال تقرير لجنة كاهان جد واضحة. فأصحاب المقامات السياسية والعسكرية العليا، بمجموعهم، توقعوا أن يرتكب الفالانج المجازر

---

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ٦٤ – ٦٥.

(١٠٥) نظرية "الجمود العاطفي" تعني أن بيغن وإيتان وغيرهما قالوا إن الأنباء الأولى عن المجزرة لم تلفت انتباههم نظراً إلى جمودهم العاطفي تجاه الفلسطينيين.

(١٠٦) هاليفي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠.

فـيما لو سمح لهم بدخول المخيمات الفلسطينية. وعلاوة على ذلك، فهم كانوا يعرفون أن لا حراسة على المخيمات، ولذلك كانوا عازمين على أن يرسلوا نحو مئة وخمسين من الفالانج المعروفين بعدم استعدادهم للانخراط في أي قتال مع رجال مسلحين. وفي حـدود ساعة أو ساعتين بعد دخول الفالانج يوم الخميس في السادسة مساء، كان هناك لـدى مقـر القـيادة الذي كان يطل على المخيمات وعلى بعد مئتي متر منها، البينات الواضـحة بأن مجازر ترتكب، وبأن لا مقاومة جدية هناك. وفي مقر القيادة، كان قادة جـيش الدفـاع الإسرائيلي والفالانج ومساعدوهم، الذين كان بينهم رجال الاستخبارات وضباط الارتباط، فهؤلاء كانوا كلهم موجودين وعلى اتصال مستمر. قام جيش الدفاع الإسـرائيلي بتوفـير الإنارة، وفي اليوم التالي، بعد أن تلقوا أدلة تؤكد أن المجازر ما زالـت مسـتمرة، وبـأن لا مقاومـة هـناك، أرسل الفالانج ثانية إلى المخيمات، مع الجـرافات، التـي كان جيش الدفاع الإسرائيلي يعلم أنها تستعمل لدفن الجثث في القبر الجماعـي الذي كان في إمكانهم مراقبته (هذه الحقيقة الأخيرة تجاهلتها اللجنة). وكان اختـيار الفـالانج قد تم لهذه العملية لأنه كما قال رئيس هيئة الأركان العامة، "كان في استطاعتنا أن نعطيهم الأوامر بينما كان مستحيلاً إعطاء الأوامر للجيش اللبناني." وفي الحقيقة فإن جيش الدفاع الإسرائيلي أعطى الفالانج أوامر، من الدقيقة التي أرسلوا فيها إلى المخيمات ليقوموا بعملياتهم الإجرامية حتى ... [نهاية المجزرة].

على الرغم من البينات الوفيرة وبكثرة على مستوى التخطيط العالي والاشتراك فـي المجـزرة، إن مـن حيث التخطيط المسبق أو من حيث عملية القيام بها، فاللجنة رفضـت هذه النتائج. لكنها، مع ذلك، حددت نوعاً من "مسؤولية غير مباشرة"، وبنت توصياتها على "الموجبات المفروضة على كل دولة متحضرة."[١٠٧]

أمّـا الكاتب تيمرمان، فقد كتب عن التحقيق الإسرائيلي قبل سواه من الكتّاب، وقبل أن تؤلف أساساً لجنة للتحقيق، وذلك انطلاقاً من فهمه لطبيعة النظام الإسرائيلي. قال:

إن ثقتـي ضـعيفة بديمقراطـية المعارضة الإسرائيلية. أنا أخشى أن ينتج من النظام الإسـرائيلي الـذي يسيطر سيطرة تامة على اللاوعي فينا جميعاً، تحقيق هو في واقع الأمر لحماية المجرمين من العقاب الذي يستحقونه...[١٠٨]

لقد ثبت أن مخاوف تيمرمان كانت في محلها.

---

(١٠٧) Chomsky, op. cit., pp. 404-405.

(١٠٨) Timerman, op. cit., pp. 166-167.

سابعاً: قالوا في مسؤولية اللبنانيين

على الرغم من اتهام الصحافة العالمية وسائر وسائل الإعلام للقوات اللبنانية تحديداً، وعلى الرغم من اتهام تقرير كاهان لهذه القوات أيضاً، فقد كان موقف الحكومة اللبنانية الرسمي هو الرفض القاطع لهذا الاتهام. وقد تجسد هذا الرفض في التقرير اللبناني الذي عُرف بتقرير جرمانوس (نسبة إلى رئيس اللجنة، المدعي العام العسكري أسعد جرمانوس)، والذي صدر في ٢٩ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، أي بعد انتهاء المجزرة بأحد عشر يوماً فقط.

أهم ما يقال عن تقرير جرمانوس أن حكايته ترافقت، منذ صدوره، مع موضوع السرية التامة، وخصوصاً أن القوات اللبنانية التي اتهمت بالمجزرة كمنفذ رئيسي هي التي باتت المسيطرة على أجهزة الحكم بصورة عامة. وهكذا فالتقرير لم ينشر في أعقاب المجزرة، وكذلك لم ينشر خلال العشرين عاماً التي تلت المجزرة. كل ما نشر منه كان مقتطفات في كل من الصحافة الإسرائيلية والصحافة اللبنانية، وكان أبرز ما تناولته تلك المقتطفات موضوع عدد الضحايا الذي ناقشناه في الصفحات السابقة، بالإضافة إلى موضوع المسؤولية الذي لخصت الصحافة ما ورد بشأنه في النقاط التالية:

ـ برّأ تقرير جرمانوس ساحة القوات اللبنانية نهائياً استناداً إلى أنه لم يتوفر لدى التحقيق أدلة على أن قيادة حزب الكتائب أو قيادة القوات اللبنانية كانتا على علم مسبق بما حدث، كما أنه لم يثبت من التحقيق صدور أي أوامر عن هاتين القيادتين إلى مقاتليهما للمؤازرة أو للاشتراك في هذه العمليات.

ـ أثبت التحقيق اشتراك عناصر مسلحة من غير الجيش الإسرائيلي في أعمال داخل المخيم، وربما هي من عناصر الحدود أو غيرها من تلك التي تضررت جرّاء التجاوزات الفلسطينية خلال الأعوام السابقة.

ـ طالب التقرير بالتريث في الملاحقة القضائية ريثما يتم تحديد المرجع القضائي الصالح، ما دام الفصل لم يتم بعد بين الأعمال الحربية والأعمال الفردية التي أدت إلى المجزرة.[١٠٩]

كان من أبرز التعليقات على ما نشر من نتائج "التقرير اللبناني الرسمي" أنه يتهم الأشباح بارتكاب المجزرة، فما من عقل بشري يمكن أن يصدق أن كل ذاك الذي جرى كان من فعل حفنة معدودة من الذين أطلق عليهم "عناصر الحدود". ولذلك لا قيمة فعلاً لهذا التقرير في شأن المسؤولية.

---

(١٠٩) جريدة "النداء"، ١٩٨٣/٦/٢١.

أمّا ما يصعب تجاوزه بشأن الموقف اللبناني الرسمي آنذاك فهو ما كان يجري في أروقة الأمم المتحدة، حيث كانت التعليمات تعطى للبعثة الدبلوماسية اللبنانية بأن ترفض رفضاً قاطعاً كل أنواع لجان التحقيق الدولية بشأن المجزرة، وكذلك كل أنواع الحماية للفلسطينيين.

كانت النمسا تقدمت باقتراح لتأليف لجنة دولية للتحقيق في المجزرة، ثم دعا مجلس الأمن إلى تأليف لجنة تحقيق دولية في المذابح التي تعرض لها المدنيون الفلسطينيون في مخيمات "بيروت الغربية"، غير أن لبنان رفض في ٢٤ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ هذه الدعوة إلى التحقيق، وقال نائب رئيس البعثة اللبنانية لدى الأمم المتحدة، فخري صاغية: "إننا لم نطلب تشكيل هذه اللجنة. ولن تكون هناك لجنة تحقيق. نريد أن نكتفي بالإجراءات التي تقوم بها الحكومة." وأضاف: "لا نريد حفر قبور لهياكل عظمية قديمة."(١١٠)

أمّا عندما تقدمت مجموعة دول عدم الانحياز بمشروع قرار تضمّن إدانة للمذابح التي ارتكبت بحق الفلسطينيين واللبنانيين، فقد تدخلت البعثة الدبلوماسية اللبنانية أيضاً مطالبة بحذف كلمة "اللبنانيين" واستبدالها بكلمتي "مدنيين آخرين".(١١١) وهكذا جاء نص القرار الصادر في ٢٤ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢ عن الجمعية العامة، بعد الإشارة في الحيثيات إلى "مذبحة المدنيين الفلسطينيين في بيروت"، كما يلي:

> ١ ــ **تدين** المذبحة الإجرامية التي تعرض لها الفلسطينيون وغيرهم من المدنيين في بيروت في ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢؛
>
> ٢ ــ **تحث** مجلس الأمن على إجراء تحقيق، باستخدام الوسائل المتاحة له، في ظروف ومدى مذبحة الفلسطينيين وغيرهم من المدنيين في بيروت في ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢، ونشر التقرير عن النتائج التي يتوصل إليها، في أقرب وقت ممكن.(١١٢)

كان أمراً متوقعاً أن تتبنى الجمعية العامة هذا القرار بأغلبية ساحقة؛ فكان هناك ١٤٧ صوتاً مع القرار، في مقابل امتناع لا أحد، وغياب ٦، وعدم اشتراك في التصويت ١. أمّا عدد الدول التي صوتت ضد القرار فكان اثنين فقط، هما إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية.(١١٣)

وأمّا ردات فعل أهالي الضحايا اللبنانيين في مجزرة صبرا وشاتيلا بسبب عدم الاعتراف بالضحايا اللبنانيين، فكانت المزيد من تجرع الآلام الصامتة. فقد بلغت نسبة القتلى

---

(١١٠) جريدة "السفير"، ١٩٨٢/٩/٢٥.

(١١١) المصدر نفسه.

(١١٢) "قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ــ الإسرائيلي"، المجلد الثالث ١٩٨٢ – ١٩٨٦ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٤)، ص ١٦ ــ ١٨.

(١١٣) المصدر نفسه، ص ١٨.

مـن اللبنانيين ومـن حاملـي بطاقات "قيد الدرس" إلى مجموع قتلى المجزرة ٣٥٪.(١١٤) ألا يستحق هؤلاء من حكومتهم، ومن دولتهم، أن تعترف بموتهم؟ لقد تملك هؤلاء الشعور بأن إنكـار موتـاهم هو إنكار لحقهم في الحياة. وقد تحدث الكثيرون منهم في شهاداتهم عن آلامهم تلك، وكما قالت لي أم علي: "لقد قتلونا مرتين".(١١٥)

انعكس الوضع اللبناني الداخلي بالتناقض في الموقف من المجزرة حتى على بعثات لبنان الدبلوماسـية. فما كان يجري في أروقة الأمم المتحدة من قبل السفير اللبناني لديها عبد الله أبو حبيـب، ومساعده فخري صاغية، كان يجري نقيضه في واشنطن من قبل السفير اللبناني خليل عيتانـي، الـذي طلـب مـن الكونغـرس الأميركي تأليف لجنة للتحقيق في مذبحة المدنيين الفلسـطينيين في بيروت، واصفاً إياها بأنها واحدة من أبشع المآسي الإنسانية في هذا القرن. أمّا علـى صـعيد حماية المدنيين الفلسطينيين، فقد تقدم عدد من الدول الإسلامية بطلب إلى الأمين العـام، جافيـيه بيريز دي كويار، اتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية الفلسطينيين تحت الاحتلال وفي مناطق نزوحهم، وتزويدهم ببطاقات دولية خاصة بهم للحفاظ على هويتهم. وكانت النتيجة أن وقـف لبـنان ضد هذا المشروع، كذلك خرج مندوبه فخري صاغية على الإجماع العربي عـندما ألقـى كلمة أشار فيها إلى أن لبنان يرفض السماح بأي عملية إحصاء للفلسطينيين على أرضـه، كما يرفض دخول أي مساعدة لهم لا تأتي عبر الحكومة اللبنانية. وقال إن أي إنسان موجود على أرض لبنان بطريقة شرعية تتولى الحكومة اللبنانية حمايته!!(١١٦)

اسـتمرت مصـادر القوات اللبنانية تنفي نفياً قاطعاً أي مسؤولية عن المجزرة. وكان الشيخ بيار الجميل قد اتخذ القرار بأن على القوات اللبنانية ألاّ تعترف تحت أي ظـرف كان بمشاركتها، وذلك خوفاً من أن تهتز مكانة ابنه أمين كرئيس للجمهورية من ناحية، ومن ناحية أُخرى كان الشيخ حريصاً على علاقاته بالزعماء المسلمين، وقد كـان يعـترف في جلساته الخاصة معهم بأنه كان هناك القليل من شباب القوات في المجـزرة، وقد وصفهم بأنهم كانوا "عملاء لإسرائيل"، ولم يكونوا يتبعون أوامره. ثم كان يختم بأن "شارون كان له الكثير من أمثال يهودا الإسخريوطي في صفوفنا."(١١٧)

---

(١١٤) وفقاً للدراسة الميدانية تبين معنا أن نسبة الضحايا من الذين يحملون الجنسية اللبنانية هي ٢٧,٩١٪، ونسبة الضحايا من حاملي بطاقات "قيد الدرس" من المقيمين على الأراضي اللبنانية الذين كان يحق لهم حمل الجنسية اللبنانية منذ عشرات السنين، هي ٧,٢١٪ (راجع القسم الثاني ــ الفصل الأول ــ البند الرابع: "الضحايا والمخطوفون: بطاقات هوية ناقصة").

(١١٥) POH. S/SH. No.18 (238/T. 20). D. M. H. (Um ‘Ali). Interview with author. Beirut Author’s house, February 22, 1983.

(١١٦) جريدة "السفير"، ٢٥/٩/١٩٨٢؛ ٥/١٢/١٩٨٢.

(١١٧) Schiff & Ya‘ari, op. cit., p. 278.

ولـم يبدأ بعض المسؤولين في القوات اللبنانية بالاعتراف إلاّ بعد مرور عام كامل. غير أنه في الوقت نفسه كانت أسماء المسؤولين منهم تظهر في المقالات والمؤلفات، ولعـل آخرها صدوراً كان أكثرها وضوحاً في تحديد دور إيلي حبيقة وشخصيته، إذ ورد فـي كتاب "ملعون هو صانع السلام..."، الصادر بعد عشرين عاماً ليتحدث عن تفصيلات أحداث صيف سنة ١٩٨٢ ودور المبعوث الأميركي فيليب حبيب، أن إيلي حبيقة، رئيس جهاز الاستخبارات في "القوات اللبنانية"، قد اختير من دون سواه للقيام بهذه المهمة، أي اقتحام المخيمات؛ وهو من وصفه السفير الأميركي روبرت ديلون، الذي كـان يعـرفه جـيداً مـنذ كـان يعمل حارساً لبشير الجميل، بأنه "قاتل مصاب بمرض القـتل."[١١٨] وقد كان بعض الكتّاب لا يؤكد مسؤولية القوات اللبنانية فحسب، بل يشير أيضاً إلى مراكز بعض قادتها ومهماتهم في القوات اللبنانية؛ فمن هؤلاء من اتخذ القرار، ومـنهم من اجتمع عدة مرات بالعسكريين الإسرائيليين، ومنهم من أشرف على التنفيذ إمّا مـن مراكز المراقبة المحيطة بالمكان، وإمّا مباشرة على أرض صبرا وشاتيلا. لكن لمّا كانـت المصـادر نفسها لا تتوسع في تلك المهمات، فسنكتفي بسرد الأسماء، ونكتفي بحد أقصى للمصادر في الحواشي أدناه بعشرة مصادر: إيلي حبيقة؛[١١٩] فادي افرام؛[١٢٠] ديب

---

(١١٨) John Boykin, *Cursed the Peacemaker: The American Diplomat Versus the Israeli General, Beirut 1982* (Belmont, CA: Applegate Press, 2002), p. 269.

(١١٩) Ibid., pp. 269- 270; Schiff & Ya'ari, op. cit., p. 272; John Bulloch, *Final Conflict: The War in the Lebanon* (London: Century Publishing, 1983), p. 231; Randal, op. cit., p. 155; *Israel in Lebanon...* (The MacBride Report), op. cit., p. 165; Colin Campbell, "Key Phalangist Aides Implicated in Operation that led to Killings," *New York Times*, September 30 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 53; Loren Jenkins, "Phalangists implicated in Massacre," *Washington Post,* September 30, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 57; *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report,* op. cit., p. 7;
مصطفى طلاس، "مذبحة صبرا وشاتيلا" (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٤)، ص ٢٥٥؛ صقر أبو فخر، "كي لا ننسى صبرا وشاتيلا: من يذكر تلك الأيام؟"، جريدة "السفير"، ٢٠٠١/٩/١٥.

(١٢٠) Schiff & Ya'ari, ibid., pp. 256, 271-272; *Israel in Lebanon...* (The MacBride Report), ibid., p. 165; *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report*, ibid., p. 7;
طلاس، المصدر نفسه؛ أبو فخر، المصدر نفسه.

أنستاز؛[١٢١] جيسي سكر؛[١٢٢] فؤاد أبو ناضر؛[١٢٣] جوزيف (جو) إده؛[١٢٤] مارون مشعلاني؛[١٢٥] ميشيل زوين؛[١٢٦] إميل عيد؛[١٢٧] زاهي بستاني؛[١٢٨] جوزيف أبو خليل.[١٢٩]

كان من أولى الدلالات على مسؤولية القوات اللبنانية في صبرا وشاتيلا ملاحقة عناصرها للكثيرين من الكتّاب الأجانب الذين علموا بالمجزرة وأرسلوا الأخبار عنها. وقد كان من هؤلاء لورين جنكينز مراسل صحيفة "واشنطن بوست"، وروبرت سيرو مراسل مجلة "تايم"؛ فقد تلقى كل منهما الأوامر من الإسرائيليين ومن القوات اللبنانية بمغادرة البلد فوراً يوم الجمعة، في ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢. وكذلك أُتلفت أفلام لعدد من المصورين.[١٣٠] غير أن منع تسرب الأخبار والصور في أثناء المجزرة لم يكن حائلاً دون انتشارها في العالم كله بمجرد خروج المهاجمين المسلحين من المنطقة.

في مرحلة الإنكار التام لقيام القوات اللبنانية، الفريق الأكبر، بالمجزرة، كانت تثار من قبل المتهمين بها ردود كالقول إنه كان في الإمكان لأي جماعة مسلحة أن ترتدي زي القوات اللبنانية، أو أن تضع شاراتها. غير أن أهم ما مر معنا خلال فصول التاريخ الشفهي، وفي أقوال الأطباء والممرضات الأجانب، كان قول الكثيرين من عناصر الفريق المتهم على أرض المجزرة، وباعتزاز، أنهم من القوات اللبنانية، والأهم من ذلك، كانت العلاقات الخاصة السابقة التي ربطت بعض الشباب من القوات بسكان من المنطقة، وفي أكثر من حالة لم يسمح هؤلاء بإيذاء الذين تربطهم بهم معرفة سابقة، وود سابق.

---

(١٢١) Bulloch, op. cit., p. 231; Campbell, op. cit., p. 53; Jenkins, op. cit., p. 56; أبو فخر، المصدر نفسه.

(١٢٢) Schiff & Ya‘ari, op. cit., pp. 261, 262; أبو فخر، المصدر نفسه.

(١٢٣) Schiff & Ya‘ari, op. cit., pp. 268, 271-272.

(١٢٤) Bulloch, op. cit., p. 231; Randal, op. cit., p. 155; Campbell, op. cit., p. 53; Jenkins, op. cit., p. 57.

(١٢٥) Bulloch, ibid., p. 231; Randal, ibid., p. 155; Campbell, ibid., p. 53; أبو فخر، مصدر سبق ذكره.

(١٢٦) Bulloch, ibid., p. 231; Randal, ibid., p. 155; Campbell, ibid., p. 53; أبو فخر، المصدر نفسه.

(١٢٧) أبو فخر، المصدر نفسه.

(١٢٨) Schiff & Ya‘ari, op.cit., pp. 271-272.

(١٢٩) Ibid.

(١٣٠) Jansen, op. cit., p. 106.

كـــان مـــن أول الذيـــن اعترفوا بتبجح بقتل الفلسطينيين المدعو ميشيل، على شاشة التلفزيون الإسرائيلي، ومن أقواله أنه قتل بيديه خمسة عشر فلسطينياً، وعلى استعداد ليقتل المـــزيد.(١٣١) ثم اعترف بيار يزبك، ممثل القوات اللبنانية في باريس، بمسؤولية القوات عـــن المجـــزرة في حديث على شاشة التلفزيون الإسرائيلي أيضاً.(١٣٢) أمّا إيلي حبيقة، الـــذي تعرض أكثر من سواه لتهجمات المشاهدين اللبنانيين وأسئلتهم قبل الفلسطينيين كلما ظهـــر فـــي بـــرنامج متلفز، فقد تفاوتت ردوده عبر السنوات الطوال، من قوله في بداية التســعينات مـــن القرن المنصرم أنه فيما لو تكلم فسيتكلم عن الكثيرين، إلى الإنكار التام الذي استمر عليه حتى اغتياله في سنة ٢٠٠٢، مؤكداً أن لديه من الوثائق والمعلومات ما يدين الإسرائيليين وحدهم، وما يبرئ ساحته وساحة اللبنانيين.

أمّا الجهة اللبنانية التي اتهمت حبيقة بارتكاب المجزرة فكانت من رفاق سابقين له، إذ أرســـل روبـــير فـــرح باسم "القوات اللبنانية"، أو بالأحرى باسم "القوات" منها التي لم تشارك في جريمة صبرا وشاتيلا، كما قال، رداً على حبيقة في مجلة "الوسط"، جاء فيه:

> إن مسؤولياته [يقصد حبيقة] المباشرة عن هذه المجزرة واضحة وجلية عبر تباهيه بهذا الإنجـــاز أمـــام العديـــد من رفاقه القواتيين آنذاك وعبر مشاركة عناصر جهاز الأمن وســـقوط العديد من بينهم، وظهور بعضهم على شبكات التلفزة العالمية، وعبر تحرك قـــيادة الأركـــان فـــي القوات في حينها فور علمها بهذه الأحداث وعقدها الاجتماعات وإجرائها الاتصالات اللازمة لسحب حبيقة ومجموعاته من هناك.(١٣٣)

ذكـــر في تقرير كاهان اسمان فقط من اللبنانيين هما الياس حبيقة وفادي افرام. أمّا الـــتقرير اللبنانـــي الـــذي نفى كل مسؤولية عن القوات اللبنانية فقد ضاع هو نفسه لا في غياهب النسيان فحسب، بل فُقد إيضاً من الملفات الرسمية في الدولة اللبنانية. ذلك بأنه لم يعـــثر علـــيه فـــي أدراج مكاتب المحكمة العسكرية، ولا لدى الرئيس أمين الجميل الذي أرسلت إليه نسخة عن التقرير حملها إليه أسعد جرمانوس، وكذلك لم يعثر على نسخة لدى مفـــوض الحكومة اللبنانية أسعد جرمانوس الذي أجرى التحقيق، ولا لدى قاضي التحقيق العسكري أسعد دياب.(١٣٤)

---

(١٣١) ABC News, *Oh tell the World what happened.* Presented by Bill Redeker, January 7, 1983.

(١٣٢) جريدة "السفير"، ١٩٨٤/٩/٥.

(١٣٣) روبير فرح، "القوات اللبنانية ترد على إيلي حبيقة"، مجلة "الوسط"، العدد ٩٨، ١٢ ــ ١٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٧، ص ٢٧.

(١٣٤) راجع: بهجت جابر، "مجزرة صبرا وشاتيلا أمام القضاء: ولا ملف عنها ولا إفادات"، جريدة "النهار"، ٢٠٠١/٦/٢٣.

إن تغييب تقرير كتب على عجل لا يعني محو المأساة من ذاكرة صبرا وشاتيلا على مـدى الأيـام الثلاثة الدامية ساعة فساعة. فقد كان من الواضح أن القوات اللبنانية قادت العملـيات وأعطـت الأوامـر، غير أنه ثبت أن المسلحين المهاجمين لم يكونوا كلهم من القوات نفسها، وإن كان معظمهم منها.

أمّا الفريق الثاني المشارك فكان من عناصر قوات سعد حداد. وبغض النظر إن ثبت أنهـم شاركوا بأوامر منه، أو بمعرفته، أو أنهم شاركوا بمحض خيارهم الخاص، فقد كان عددهـم بالعشـرات، وقد قاموا ــ بشهادة السكان ــ بالكثير من عمليات القتل الجماعي، وكان منهم أيضاً زمر على حواجز على طريق المطار. وكذلك انكشفت هوية رجال سعد حـداد بعد أن تعرف عدد من أبناء المنطقة عليهم، وخصوصاً على الجنوبيين منهم، من لهجـاتهم الجنوبية خاصة. وكما ساعد "القواتيون" أولئك الذين كانت تربطهم بهم صلات معرفة سابقة، فعل رجال سعد حداد الشيء نفسه، وتلك هي الطبيعة البشرية؛ فقد ساعدوا بعـض النساء وأولادهن وأخرجوهم من أتون المجزرة، فالقاتل ومن كانوا على وشك أن يصبحوا قتلى جاؤوا من قرية واحدة.

أمّـا إنكـار تقريـر كاهان إنكاراً تاماً لمشاركة قوات سعد حداد فلم يمنحها "صك براءة"، وإنما -على العكس من ذلك، أثار الشكوك من حولها أكثر، وخصوصاً أن الضباط والجنود الإسرائيليين المحاصِرين لشاتيلا، لم يلصقوا بداية جريمة المجزرة دوماً بالقوات اللبنانـية، وإنما قال الكثيرون منهم للسكان في أحاديث عفوية، هؤلاء "قوات سعد حداد". وقد مرت هذه الأقوال معنا في فصول التاريخ الشفهي.

لن نتوقف عند الشائعات التي حاولت إلصاق الجريمة كاملة بسعد حداد وقواته،(١٣٥) ولـن نتوقف عند ذاكرة السكان عن المهاجمين القتلـة،(١٣٦) لكننا نذكّر بشهادات الذين قـالوا أنهـم رأوا سعد حداد بالقرب من السفارة الكويتية،(١٣٧) وبما رواه شابان للكاتب مـارك فاينمان عن مشاهدتهما سعد حداد.(١٣٨) ولعل مشكلة حداد كانت في شهرته وفي معرفة الناس له من خلال صوره في الصحافة؛ فهذه الميزة لم تكن متوفرة للكثير من قادة القـوات اللبنانـية في حينه، كذلك كانت مشكلته في ارتباطه العلني بإسرائيل، الأمر الذي جعـل الأضـواء مسلطة عليه، فكانت جريدة "التايمز" في لندن من أول من نشر في ٢٢/٩/

---

(١٣٥) راجع القسم الأول ــ الفصل السادس ــ البند الثاني ــ الفقرة ج: "الشائعات عن عودة سعد حداد".

(١٣٦) راجع القسم الأول ــ الفصل السادس ــ البند الخامس: "القاتل".

(١٣٧) POH. S/SH. No. 63 (232/T. 61). Siham Balqis. Interview with author. Massacre area: May 9, 1983.

(١٣٨) Mark Fineman, “In Shatila, the stench of death,” *Philadelphia Inquirer,* September 20, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile*..., op. cit., p. 14.

١٩٨٢، نقـــلاً عـــن شهادات لضباط لبنانيين من الجيش والشرطة، أنهم شاهدوا بعد ظهر الخميس (١٩٨٢/٩/١٦) طائرات نقل إسرائيلية في مطار بيروت الدولي، وقد ترجل منها عـــدة مئات من المسلحين الذين يرتدون لباساً مشابهاً لزي الكتائب العسكري مع الشارات الخاصة بسعد حداد. كذلك كان هناك دليل آخر عندما أطلق الجيش الإسرائيلي النار على بعض المسلحين الذين اتضح أنهم من جماعة سعد حداد، وقد قتل اثنان منهم.(١٣٩)

أمّا روبرت فيسك، فهو إضافة إلى تحديده أن الميليشيات التي شاركت كانت تنتمي إلى كل من القوات اللبنانية وسعد حداد، أشار إلى أنها تلقت التدريب والسلاح والتوجيهات مـــن إسرائيل على مدى السنوات الخمس السابقة، وهذا ما يجعل إسرائيل لا تكاد تستطيع تفادي المسؤولية عن تصرفات هذين الفريقين.(١٤٠)

أمّـــا ســـعد حداد الذي هدد المصورين والصحافيين الذين نشروا صور جنوده وهم يغـــادرون شاتيلا وقد ظهرت الشارات على أكتافهم،(١٤١) فقد استقبل روبرت فيسك في مرجعيون ورد على أسئلته التي قادته إلى القول بما لم يكن اعترف به لأي كاتب آخر، إذ قـــال إن بعـــض رجاله "من الممكن أنهم كانوا مع قوات أُخرى في بيروت" عندما حدثت المجزرة. ثم قال: "رسمياً، لم يكن لديّ رجال قط في بيروت."

ولمّـــا ســـأله فيســـك عـــن المراسلين والعشرات من الناجين الذين رأوا رجاله خارج المخـــيمات وهم يرتدون زيهم الأخضر، قال: "كل هؤلاء كاذبون. ومنظمة التحرير الفلسطينية تدفـــع لهـــم." ثم عاد فقال إنهم ربما رأوا بعض شارات لرجال له كانوا في بيروت، لكنه عاد فأكد أنه رسمياً لم يكن هناك أي واحد منهم.

غـــير أن روبـــرت فيسك عاد فسأله كم كان لديه حقيقة من الرجال في بيروت يوم الجمعة، فقال حداد أخيراً:

> ربما كان هناك عشرة أشخاص يعملون مع ناس آخرين هناك، ومن الممكن أن يكونوا عشرين. [ثم توقف ليقول:] لكن لا علاقة لي أبداً بهذا الأمر. لماذا؟ أنا حتى لا يمكنني معرفة كيف أجد شاتيلا.(١٤٢)

---

(١٣٩) إذاعة مونت كارلو، ١٩٨٢/٩/٢٢، الساعة السابعة مساء.

(١٤٠) Robert Fisk, "Militias are sustained by Israelis," *The Times,* September 20, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...,* op. cit., p. 15.

(١٤١) ABC News, *Oh tell the World what happened.* Presented by Bill Redeker, January 7, 1983.

(١٤٢) Robert Fisk, "I am innocent of killings: Haddad explains," *The Times,* September 23, 1982, as cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...,* op. cit., p. 51.

كان الفريق الثالث المشارك في المجزرة من ميليشيا النمور الأحرار، وهي الميليشيا التابعة لحزب الأحرار الذي أسسه رئيس الجمهورية السابق كميل شمعون، أمّا ميليشيا الحزب فأسسها نجله داني شمعون. لكن لمّا كان هؤلاء يرتدون لباس القوات اللبنانية فإن معرفتهم لم تكن ممكنة، وكذلك لم يصادف أن تعرف السكان على بعضهم، أو على أحد منهم، غير أن أخبار مشاركتهم جاءت اعترافاً مجانياً مباشراً على لسان واحد من المشاركين منهم، وهو الحديث الذي نشرته له مجلة "دير شبيغل" الألمانية، والذي جاء فيه أن المجموعة التي دخل معها اجتمعت في اليوم السابق للمجزرة في وادي شحرور، وكانت تتألف من ثلاثمئة رجل من "بيروت الشرقية"، والكل كان يرتدي اللباس الرسمي الكتائبي بمن فيهم المتحدث ورفاقه من أعضاء النمور الأحرار. ومما قاله لهم أحد الضباط الكتائبيين: "لقد أتيتم إلى هنا بحرية قراركم كي تثأروا لموت بشير الجميل. أنتم أدوات الله... كل واحد منكم منتقم."(١٤٣)

شهادة هذا المقاتل في "النمور" أعلاه اقتبسنا منها سابقاً، وليس في الإمكان معرفة الحقيقة من الخيال، أو الصواب من الخطأ، فذلك كله ينتظر محاكمة عادلة لمنفذي المجزرة، في أي بقعة من بقاع العالم، وتحت سقف أية محكمة دولية، غير أننا استطعنا أن نكتشف خطأً واحداً في هذه الشهادة لكونه يتعلق بما كان يوجد أساساً في شاتيلا قبل المجزرة. فقد قال هذا الشاب، الذي لم يفصح عن اسمه:

> بعض المناظر المفاجئة برهن على ما كان الفلسطينيون قادرين عليه. فبعض المسلحين، والنساء من جملتهم، حصنوا أنفسهم في ممر ضيق طويل في القسم الشمالي خلف بعض الحمير. وللأسف الشديد اضطررنا إلى قتل هذه الحيوانات البريئة كي نقضي على الفلسطينيين الذين وراءهم. شعرت بأن الحمير المصابين كانوا يصرخون من الألم؛ كان أمراً لا يحتمل.(١٤٤)

صاحب الشهادة حر في أن يتألم لموت كائنات حية معينة، فذاك دليل على إنسانيته، وحر في أن يفرح لموت كائنات معينة أُخرى، فذاك دليل على همجيته، وذلك شأنه، لكنه ليس حراً في أن يكذب في شهادته، ذلك بأنه لم يكن في شاتيلا كلها التي اقتحمها مع رفاقه حمار واحد، فقد كان هناك فقط عدد من الأحصنة التي كانت تستعمل لبيع الكاز، وهذا ما أكده الكثيرون. وربما كان للشاهد عذر إن كان حقاً لا يعرف الفارق بين الحمار والحصان.

---

(١٤٣) "Jeder von euch ist ein Racher: Ein Libanesischer Milizionar uber seine Taten beim Massaker von Beirut," *Der Spiegel,* February 14, 1983, p. 112.

(١٤٤) Ibid., p. 113.

أمّا الفريق اللبناني الرابع، المتهم بالاشتراك في المجزرة، فهو حزب حراس الأرز الـذي أسسه إتيان صقر.(١٤٥) ويتميز هذا الفريق، باعتراف مباشر من رئيسه، بالمشاركة مع الاعتزاز بذلك. وقد كان الوحيد بين المسؤولين من رؤساء الأحزاب أو الميليشيات الذي تفرد بإعلان مشاركة حزبه، والذي تفرد حتى بالدفاع عنها بقوله في أثناء زيارة له لإسرائيل: "إننا نملك الحق الكامل بالتعامل مع أعدائنا في لبنان بالطريقة التي نراها مناسبة، هذا شأننا الداخلي فلا تتدخلوا به."(١٤٦)

أمّا قبل المجزرة بثلاثة عشر يوماً فكان الحزب يعقد اجتماعاً أسبوعياً برئاسة نديم شويري، ويصدر بياناً يدعو فيه إلى القضاء على الوجود الفلسطيني بشكل نهائي. وقد طالب البيان بما يلي:

مصادرة الممتلكات الفلسطينية في لبنان واعتبارها حقاً للشعب اللبناني كتعويض جزئي عن خسائره في الحرب الفلسطينية على لبنان.

العمل على تقليص عدد اللاجئين الفلسطينيين ليأتي يوم لا يبقى فيه فوق أرضنا فلسطيني واحد.

إزالة كل المخيمات القائمة فوق أرض الغير أو فوق الأراضي الأميرية وأملاك الدولة.(١٤٧)

اشتهر عن "أبو أرز" (إتيان صقر) براعته في تدريب أعضاء حزبه على كره الفلسطينيين بامتياز، فهم كانوا رواداً في كتابة الشعارات على الحيطان: "على كل لبناني أن يقتل فلسطينياً". غير أن جوناثان راندل كشف عن أن المثقفين من أتباعه كانوا مثله في كراهيتهم للغير أيضاً، وهذا ما قاله له طبيب لبناني من أطباء الجيش ومن أعضاء حراس الأرز: "لن يبقى فلسطيني واحد في لبنان. فهؤلاء بكتيريا يجب القضاء عليها."(١٤٨)

حين أصدرت ميشيل جانسن كتابها الذي كان من أوائل الكتب عن الاجتياح الإسرائيلي والمجزرة، حددت الفئات التي قامت بالمجزرة بقولها إن العناصر كانوا في معظمهم من ميليشيا القوات اللبنانية (ميليشيا الفالانج)، التي كان منها الكتيبة المختارة والمدربة تدريباً جيداً كما كانت توصف (كانت هذه تابعة لالياس حبيقة)، وكتيبة الدامور، وكان هناك ما بين الأربعين والخمسين من رجال سعد حداد، وعدد محدود من ميليشيا

---

(١٤٥) أبو فخر، مصدر سبق ذكره.

(١٤٦) وسام سعادة، "'حراس الأرز': من تل الزعتر إلى 'الإنترنت'"، جريدة "السفير"، ٢٠٠١/٨/٢٥.

(١٤٧) جريدة "النهار"، ١٩٨٢/٩/٣.

(١٤٨) Randal, op. cit., pp. 282, 281.

النمور التابعة لكميل شمعون، وقد بلغ عدد الجميع ما بين ألف وألف ومئتي مقاتل.[١٤٩]

أمّا تقرير ماكبرايد الذي انتهى إعداده في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢، فقد ورد فيه أن الذين قاموا بارتكاب المجزرة هم القوات اللبنانية وقوات سعد حداد، ولم يرد ذكر لغيرهما. وربمـــا السبب في ذلك أن الفريق الذي عاد إلى بيروت لاستقصاء الحقائق عن المجزرة (بعد أن كـــان جـــاء فـــي الـــزيارة الأولى لتتبع أحداث الاجتياح ثم استقر بلندن لكتابة التقرير)، لم تتوفر له شهادات كافية خلال مهلة محصورة من الزمن. والواقع أنه يتضح مما تقدم أعلاه أن القوات اللبنانية كانت فعلاً صاحبة القرار والقيادة، وأن قوات سعد حداد كان لها مشاركة فعالة. أمّـــا الفـــريقان الآخـــران فلم يلحظ أحد من السكان عناصرهما، بل عُرف عنهما فيما بعد من خلال اعترافات مسؤوليهم وعناصرهم. وقد جاء في تقرير ماكبرايد:

> إن الأدلـــة التـــي ظهـــرت بصـــورة نهائية تحدد الفالانج وميليشيا سعد حداد المنفذين الرئيســـيين، وربما الوحيدين، للمجزرة. بالنسبة إلى الفالانج، فالأدلة ليست شاملة ولها وزنهـــا فحسب، بل إنهم أيضاً لم يبذلوا جهوداً جدية لإنكار تورطهم في العملية (مثلاً مـــن خـــلال اعترافاتهم لمراسل التلفزيون الإسرائيلي، دان سيمونا). الرائد حداد، مع ذلـــك، اعترف للجنة التحقيق الإسرائيلية بأن لا علاقة لأية وحدة من وحداته (...) إن اللجـــنة تعتـــبر أن الـــتقارير الوفيرة والمستقلة للناجين في التعريف بالذين هاجموهم، بقولهـــم إنهـــم كانوا يضعون شارة سعد حداد ويتكلمون اللهجات الجنوبية، فهذا يشكل إثباتاً قاطعاً على أن ميليشيا سعد حداد قد أدت دوراً مميزاً في المجازر. غير أن نسبة مشـــاركة كل من ميليشيات الفالانج وحداد بالتتابع في القوة المهاجمة لا يمكن تحديدها مـــن المعلومات المتوفرة. لكن يبدو، في كل حال، أن الفالانج شاركوا بنسبة أعلى من الـــرجال فـــي القوة المهاجمة (تتألف من عدة مئات من الرجال)، كما أنهم عملوا على التنسيق وعلى قيادة العملية بكاملها.[١٥٠]

ثامناً: التحقيق الدولي المنتظَر

مـــع وفـــرة المعطـــيات عن هذه المأساة المروعة، بات يصعب على أي قضاء أن يـــتجاهلها بعد عشرين عاماً من المجزرة. وقد طرح المحامي الأميركي فرانكلين لامب، وهـــو الذي صرف جهداً كبيراً في توثيق الشهادت عن صبرا وشاتيلا، ست نقاط أساسية للبحث فيها، فإن توفرت هذه النقاط كان لا بد من إدانة شارون وحكومته:

---

(١٤٩) Jansen, op. cit., pp. 101-102.

(١٥٠) *Israel in Lebanon*... (The MacBride Report), op. cit., pp.176-177.

من المسائل الواقعية المطروحة للدراسة:

- ما إذا كانت السلطات الإسرائيلية توقعت، أو كان عليها أن تتوقع حدوث المجزرة.
- ما إذا كانت إسرائيل تدعم ميليشيات القتلة، أو كان لها سلطة عليها.
- ما إذا كانت السلطات الإسرائيلية حرضت الذين قاموا بارتكاب المجزرة.
- ما إذا، ومتى، علمت سلطات الجيش الإسرائيلي بأن مدنيين كانوا يُقتلون.
- ما إذا كان في إمكان الإسرائيليين أن يعملوا لمنع المجزرة، أو لوضع حد لها.
- ما إذا كان المسؤولون الإسرائيليون حاولوا وضع حد للمجزرة.[١٥١]

ثمة عبر الصفحات السابقة وَفْرة من المعلومات تتعلق بكل من هذه النقاط الست أكثر من كافية لإدانة شارون ومن كان معه من المسؤولين العسكريين والسياسيين، وخصوصاً أن هناك إجماعاً على أن إسرائيل كانت دولة محتلة.

شارون نفسه أول من يعلم ذلك، وهذا ما حداه على تجنيد كل قواه لعرقلة مسار الدعوى التي رفعها ضده وضد عاموس يارون، قائد المنطقة في حينه، وكل من يظهره التحقيق من المسؤولين عن المجزرة، ثلاثة وعشرون ناجياً وناجية من المجزرة، أمام القضاء البلجيكي، في ١٨ حزيران/يونيو ٢٠٠١، عن طريق المحامين الثلاثة، شبلي الملاط اللبناني، ولوك والين وميشيل فيرهيغي البلجيكيين.

ولولا القانون الصادر في بلجيكا سنة ١٩٩٣، والمعدل سنة ١٩٩٩، وهو القانون المتعلق بمعاقبة الانتهاكات الخطرة للحقوق العالمية للإنسان، لما كان في إمكان المحامين تقديم الدعوى.

غير أنه ليس من الواضح حتى الآن إمكان الاستمرار في القضية لأسباب تعود إلى صلاحية المحكمة. غير أن أهمية هذه القضية تكمن في أنها فتحت الباب لمحاكمة دولية، سواء أكانت في بلجيكا أم في أي مكان آخر، وخصوصاً أن فكرة المحاكمة الدولية كانت طرحت أكثر من مرة، وكان في طليعة من طرحها الصحافي فيرغل كين عبر البرنامج الذي بثته محطة التلفزة البريطانية BBC سنة ٢٠٠١، إذ طرح إمكان محاكمة شارون أمام محكمة جرائم الحرب الدولية.[١٥٢]

جريمة صبرا وشاتيلا جريمة ضد الإنسانية. وكما قال إيلان هاليفي، فإن غياب التحقيق الرسمي من قبل الأمم المتحدة ليس إلاّ دليلاً على عجزها أمام المأساة التي ليست

---

(١٥١) Lamb, op. cit., p. 37.

(١٥٢) BBC, *The Accused.* Producer Aidan Laverty; editor Mike Robinson, 2001.

صبرا وشاتيلا إلاّ جزءاً منها.[153] وقد قال مبرراً ضرورة توفر محكمة دولية جزائية:

> إن أسباباً كثيرة، جيدة وسيئة، تقاطعت لتخفي قضية المنفذين هذه. غير أنه من الممكن أن تكون المطالبة الأكثر إفحاماً، وتأثيراً، ودماراً على إسرائيل، هي المطالبة بمحكمة دولية جزائية للمنفذين...
>
> أليس من الأفضل أن يتم التسلسل من الأسفل إلى الأعلى وأن يبدأ بالمسؤولين المباشرين المتحقق من أمرهم؟ ولو مثل هؤلاء أمام محكمة قضائية دولية (أو قومية) حيث تتعرض حريتهم الشخصية إلى الخطر، فكم من واحد سيتمسك بالصمت؟ وقد يصل الأمر إلى اكتشاف أنه بالتسلسل انتقلت المسؤولية المباشرة من الأسفل إلى الأعلى...
>
> إن بدت اليوم مثل هذه المطالبة وكأنها مبنية على الوهم، فذلك يعود إلى تسيب النظام القانوني الدولي، وإلى تقاعسه وعجزه. وأي نظام سيبقى إن كان من الممكن أن تمر جرائم بهذه الضخامة دون عقاب؟[154]

لكن، هل يكفي العثور على محكمة دولية تحكم بالقوانين الدولية، وبالعدل، إن لم تكن المجتمعات البشرية مهيأة لتقبل الأحكام؟ وكذلك لعدم السماح لأي مجرم كان بارتكاب جرائم ضد الإنسانية؟

من الواضح أن المجتمعات البشرية ليست كلها مهيأة لذلك، وهذا ما عناه الكاتب الإسرائيلي يوئيل ماركوس في مقاله الذي نشره بعيد البدء بنشر الشهادات علناً أمام لجنة كاهان، وقد وضع عنواناً لمقاله العمودي في ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢: "اللجنة ستنتهي ــ الحكومة ستستمر":

> في موضوع صبرا وشاتيلا هناك قسم كبير من المجتمع، وربما الأغلبية، لا تقلقه أبداً المجازر بحد ذاتها. إن قتل العرب بشكل عام، والفلسطينيين بشكل خاص، لأمر شائع، أو هو على الأقل "لا يزعج أحداً"، كما يقول شباب هذه الأيام. منذ حدثت المجزرة تعجبت أكثر من مرة وأنا أسمع من ناس مثقفين ومستنيرين، يرددون "ضمير تل أبيب"، فالمجزرة بحد ذاتها، كخطوة نحو إزالة من تبقى من الفلسطينيين في لبنان، ليست أمراً فظيعاً، لكنها كانت سيئة فقط لأننا كنا في الجوار.[155]

أمّا جاكوبو تيمرمان، وهو اليهودي الروسي ولادة، والأرجنتيني نشأة، والإسرائيلي

---

(١٥٣) هاليفي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

(١٥٤) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(١٥٥) As cited in Chomsky, op. cit., p. 395.

موطناً، فكانت دعوته أو صرخته للعدالة تشمل إنقاذ المجتمع اليهودي الإسرائيلي الذي كان يراه في انحدار، ولذلك راح يطالب يهود العالم بإنقاذ يهود إسرائيل. وقد كتب هذا قبل موافقة الحكومة الإسرائيلية على تأليف لجنة للتحقيق، وذلك في ٢١ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢:

> أنا أعتقد أن يهود العالم هم فقط الذين في استطاعتهم الآن أن يفعلوا شيئاً من أجلنا. إن على يهود الشتات الذين حافظوا على قيم تراثنا الخلقي والحضاري ـ تلك القيم التي تداس اليوم هنا بالتعصب والقومية الإسرائيلية ـ أن ينشئوا محكمة يهودية لإصدار الحكم على بيغن، وشارون، وإيتان، وكامل هيئة الأركان العامة للقوات الإسرائيلية المسلحة. هذا وحده من الممكن أن يعمل على تحريرنا من المرض الذي يعمل على تدمير إسرائيل، وربما أن يعمل على تحرير مستقبل إسرائيل.
>
> ما هو الشيء الذي حوّلنا إلى مجرمين على هذه الدرجة من الكفاءة؟
>
> أنا أخشى أننا في لاوعينا الجماعي، ربما نحن لا نرفض بشكل كلي إمكان إبادة للشعب الفلسطيني. أنا لا أعتقد أننا نحن الإسرائيليين قادرون على الشفاء من غير مساعدة الآخرين.(١٥٦)

لمّا كتب تيمرمان هذه الصرخة لم يكن يعلم أن هناك "تمرداً" بين ضباط الكتيبة ٤٢٩. والواقع أن أحداً من الإسرائيليين خارج الدائرة العسكرية الضيقة والقيادة السياسية العليا لم يكن له أن يعلم إلاّ بعد مرور عشرين عاماً، وذلك حين تحدث يوسي دانزيغر، أحد ضباط الكتيبة، عن ذلك "التمرد" في كتاب صدر بالعبرية بعنوان: "من بيروت إلى جنين"، في نهاية سنة ٢٠٠٢؛ وبينما كان كتابنا هذا في طريقه إلى المطبعة، في نهاية سنة ٢٠٠٢، نشرت جريدة "هآرتس" بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/٦ مقالاً عن الكتاب أعلاه، وفيه شهادة الضابط دانزيغر، وسرعان ما تناقلتها شبكات الإنترنت. لكن الأهم أن تصل هذه الشهادة، وشهادات أُخرى مماثلة، إلى محكمة عدل دولية.

قال يوسي دانزيغر: "نحن سمعنا الأكاذيب التي تقول إن الجيش الإسرائيلي لا يعلم شيئاً." وقال إن أول ما خطر له ولرفاقه أن يذهبوا إلى رئيس الدولة، يتسحاق نافون، لإطلاعه على ما جرى، وعلى أن كثيرين كانوا يعلمون بالمجزرة لكنهم لم يتدخلوا لإيقافها. غير أن هؤلاء الضباط عادوا فقرروا أن يقدموا استقالاتهم، وقابلوا لهذا الغرض قائد الكتيبة، عاموس مالكا، طالبين إليه أن يبلّغ القائد العسكري لفرقتهم استقالاتهم. ودهش القائد، لكنه لبى رغبتهم، فاتصل حالاً بالقيادة هاتفياً، وبلّغها النبأ؛ وهو النبأ الذي كان يشار

---

(١٥٦) Timerman, op. cit., p. 167.

إلـــيه في الجيش الإسرائيلي بالثورة، على الرغم من أن الشاهد الراوي نفسه وصفه بأنه كان "إنذاراً" لا أكثر، وأكد أن رئيس الحكومة، مناحم بيغن، قد أصدر أمره في تلك الليلة نفسها بتأليف لجنة التحقيق التي عرفت فيما بعد بلجنة كاهان.(١٥٧)

أمّـــا خلاصـــة رأي دانزيغـــر في اجتياح الجيش الإسرائيلي للبنان في صيف سنة ١٩٨٢، فهو ما قاله بنفسه لرئيس هيئة الأركان العامة، رفائيل إيتان، حين زار الكتيبة بعد نحو أسبوع ونصف أسبوع:

"هذه الحرب خديعة كاملة؛ لقد استغفلتمونا. ما تفعلونه ليس عملية لإيقاف صواريخ الكاتيوشا. لقد عملتم على حركة سياسية في لبنان، وأردتم خلق نظام جديد؛ لقد أرسلتمونا لتتويج الفالانج هناك."(١٥٨)

واستشـــاط إيـــتان غضـــباً، وربما كان نتيجة هذا الغضب أن الإسرائيليين عامة لم يعرفوا بما جرى إلاّ بعد عشرين عاماً.

أمّـــا وأن محكمة العدل الدولية لم تتألف بعد لمحاكمة المسؤولين عن مجزرة صبرا وشـــاتيلا، فلسوف يكون لشهادة يوسي دانزيغر وأمثاله أثر مهم في إيضاح الصورة أمام القضاة باسم القانون الدولي.

وأخيراً: هل من مسؤول؟

وتطرح أسئلة ما زالت بلا أجوبة:

هل المذنبون هم وحدهم المسؤولون؟

هل الذين يقومون بتنفيذ الجريمة هم وحدهم المجرمون؟

حتى الذين أصدروا الأوامر، هل هم حقاً وحدهم مسؤولون؟

وحـــتى الذين يقومون بمجزرة جماعية بالمئات، من عناصر أحزاب وميليشيات، ألا توجد فوارق بين الواحد منهم والآخر؟

هل الجريمة واحدة؟

هل العقاب واحد؟

هل يُعقل إنسانياً أن يمر الزمن على الجرائم ضد الإنسانية؟

ألا يُعقـــل أن شباباً من الميليشيات المهاجمة نفسها قد جُروا إلى ساحة المجزرة وهم

---

(١٥٧) Tom Segev, "The fight at the end of the time tunnel," *Ha'aretz-Week's End*, December 6, 2002 (visited 10/12/2002), pp. 6-7 http://www.haaretzdaily.com

(١٥٨) Ibid., pp. 7-8.

لا يعلمون إلى أين هم ذاهبون؟

أما ادعى شباب من القوات اللبنانية نفسها أنهم شاركوا في شاتيلا، وبكل فخر، بينما شهد جيرانهم على أنهم كانوا في بيوتهم أيام المجزرة؟ وأنهم كانوا معاً يمضون تلك الأيام والليالي منذ احتلال بيروت؟

هناك بين القتلة الأدوات من تبجح بما فعل، ومن توعد بارتكاب فعله الجهنمي مرة أُخرى، ومن أقسم اليمين لأمه وذويه بأنه لم يقتل بيديه.

ونعود إلى السؤال الأهم: حقيقة.. من المسؤول؟

خلال الحملة ضد حرب فيتنام قال الحاخام أبراهام هيشل:

"في المجتمع الحر، البعض مذنب، لكن كل الناس مسؤولون."[١٥٩]

من هم كل الناس؟

هم حقاً كل الناس.

هم الناس في بقاع الأرض كلها. وكما غنّى ألبيرتو كورتيز، المغني الأرجنتيني، في أعقاب صبرا وشاتيلا:

"أين كانت الشمس عندما ثار الغضب في صبرا وشاتيلا؟ ...

"أين كنتُ أنا؟ وفي أي حفلة؟ بلا أي شعور، عندما قرأتُ الخبر؟

"وأين كنتَ أنت أيها المغرور في دفاعك عن المظلومين عند المجزرة؟

"أين كبرياء الرجال؟ ...

"أيــن كنتَ يا صديقي النائمَ الضمير، هل كنتَ تصفق للغازي الذي قتل الأطفال في صبرا وشاتيلا؟"

هــذا هو ألبيرتو كورتيز قد اعترف بمسؤوليته وهو يغني "أين كانت الشمس عندما ثــار الغضــب فــي صبرا وشاتيلا؟" وذلك في بيونس أيرس، أمام سبعة آلاف من أبناء الأرجنتين والجوالي العربية، منذ عشرين عاماً.

فمتى يعترف الآخرون؟

وأولهم من حاصر صبرا وشاتيلا في أيلول ١٩٨٢..

ومن اقتحم صبرا وشاتيلا في أيلول ١٩٨٢.

في تاريخ المجازر يتكلم الموت أولاً، ثم يتكلم القتيل، ثم يتكلم القاتل.

---

(١٥٩) As cited in Timerman, op. cit., p. 167.

مَلاحِق

المحتويات

مُلحق لوائح الأسماء

لائحة الأسماء رقم ١ ــ ضحايا صبرا وشاتيلا
استناداً إلى الدراسة الميدانية (١٩٨٤)

الاسم	القربى	المهنة	الجنسية	العمر	المصدر*
أبو حرب، قاسم محمود	أب	تاجر يمتلك متجراً صغيراً	فلسطيني	٤٨	أ – ١
أبو حرب، وليد قاسم	ابن	تاجر يمتلك متجراً صغيراً	فلسطيني	٢٨	أ – ١
أبو حرب، حسن قاسم محمود	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٤	أ – ١
أبو حرب، ميرفت وليد	حفيدة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	١٠	أ – ١
أبو خميس، أمون علي		(ربة منزل)	فلسطينية	٥٦	أ – ١
أبو ديب، محمود قاسم		حلاق / خباز / طباخ / لحام	أردني	٤١	أ – ٢
أبو ذهب، منير		عامل حر	لبناني	٦٢	أ – ٣
أبو ردينة، محمد دياب	أب	(كبير في العمر)	فلسطيني	٦٢	أ – ٢
أبو ردينة، كايد محمد	ابن	تاجر يمتلك متجراً صغيراً	فلسطيني	٢٤	أ – ٢
أبو ردينة، عايدة محمد	ابنة	(في سن الدراسة)	فلسطينية	١٧	أ – ٢
أبو ردينة، شوكت محمد	ابن أخ	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٤٥	أ – ١

* يشير الرمز (أ) إلى الدراسة الميدانية. أمّا الرمز (أ – ١) فهو للقريب داخل العائلة، كالأب أو الأم أو الأخت أو الزوجة، إلخ؛ والرمز (أ – ٢) للقريب خارج العائلة، كالعم أو ابن العم أو الخال، إلخ؛ والرمز (أ – ٣) للصديق؛ والرمز (أ – ٤) للجار؛ والرمز (أ – ٥) للشاهد.

اللون الأزرق يُظهر العائلات الضحايا. وقد أُدرجت أسماء أفراد كل عائلة على حدة، من الأكبر عمراً إلى الأصغر، مع مراعاة نوعية القربى. أمّا الأفراد الضحايا فأسماؤهم وفق الترتيب الهجائي المعتاد.

الاسم	القرابة	المهنة	الجنسية	العمر	الرمز
أبو ردينة، آمال شوكت (زوجة حسين..	حفيدة أخ	(ربة منزل)	فلسطينية	٢١	أ – ١
حسين	صهر	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٥	أ – ١
؟ ، ـــ (جنين أمه آمال أبو ردينة)	؟	(جنين لم يولد بعد)	فلسطيني		أ – ١
أبو سويد، صالح محمد		(كبير في العمر)	فلسطيني	٦٥	أ – ٣
أبو شليح، محمد حسن		عامل حر	فلسطيني	٣٥	أ – ١
أبو ياسر، أحمد	أب	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	سوري	٤٥	أ – ٣
أبو ياسر، هدى	أم	(ربة منزل)	لبنانية	٤٣	أ – ٣
أبو ياسر، ياسر أحمد	ابن	موظف	سوري	١٦	أ – ٣
أبو ياسر، ناصر أحمد	ابن	(في سن الطفولة)	سوري	١٢	أ – ٣
أبو ياسر، نبال أحمد	ابنة	(في سن الطفولة)	سورية	٩	أ – ٣
أبو يحيى، إسماعيل محمود		موظف	جزائري	٥٢	أ – ٥
أحمد، نزيه محمود		مقاتل	فلسطيني	١٩	أ – ١
أسعد، علي محمد	أب	سائق / ميكانيكي	لبناني	٥٣	أ – ٢
أسعد، محمد علي	ابن	فنان / موسيقي	لبناني	٢٠	أ – ٢
أسعد، خالد علي	ابن	بواب / حارس / جوكي	لبناني	١٨	أ – ٢
اسكملجي، فتنة غندور (زوجة محمد)	أم	(ربة منزل)	سورية	٤٥	أ – ٥
اسكملجي، خالد محمد علي	ابن	(في سن الدراسة)	لبناني	١٦	أ – ٥
اسكملجي، خديجة محمد علي	ابنة	(في سن الدراسة)	لبنانية	١٥	أ – ٥
اسكملجي، سوسن محمد علي	ابنة	(في سن الدراسة)	لبنانية	١٣	أ – ٥

الاسم	الصلة	المهنة	الجنسية	العمر	
اسكملجي، وليد محمد علي	ابن	(في سن الطفولة)	لبناني	٨	أ – ٥
إسماعيل، إنتصار		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	فلسطينية	٢٨	أ – ٥
إسماعيل، وحش محمد		(كبير في العمر)	فلسطيني	٧١	أ – ١
أشوح، نبيه سعيد		عامل حر	فلسطيني	٢٨	أ – ١
أطرش، صبحي موسى	أب	سائق / ميكانيكي	فلسطيني	٥٥	أ – ٣
أطرش، ماجد صبحي	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٦	أ – ٣
أورلي، أحمد		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	سوداني	٣٥	أ – ٥
برجي، علي إبراهيم	أب	بواب / حارس / جوكي	لبناني	٣٧	أ – ٢
برجي، قاسم علي إبراهيم	ابن	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	لبناني	١٤	أ – ٢
برجي، علي ملحم	ابن أخ	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	لبناني	١٤	أ – ٢
بركة، عبد السلام محمد		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٧	أ – ١
بعبوع، بديعة أحمد		(ربة منزل)	فلسطينية	٧١	أ – ٤
بعلبكي، حسين محمد		(كبير في العمر)	لبناني	٧١	أ – ١
بقاعي، حسين موسى	أب	بائع: خضار/ سمك/ متجول	لبناني	٦٠	أ – ١
بقاعي، ربيع حسين موسى	ابن	موظف	لبناني	١٩	أ – ١
بقاعي، إكرام حسين موسى (زوجة خالد)	ابنة	موظفة	لبنانية	٣٠	أ – ١
بقاعي، خالد صالح	صهر	موظف	لبناني	٤١	أ – ١
بقاعي، فادية خالد صالح	حفيدة	(في سن الدراسة)	لبنانية	١٥	أ – ١
بقاعي، عماد خالد صالح	حفيد	(في سن الطفولة)	لبناني	١٠	أ – ١
بقاعي، شادي خالد صالح	حفيد	(في سن الطفولة)	لبناني	٨	أ – ١

الاسم	القرابة	المهنة	الجنسية	العمر	
بقاعي، وسام خالد صالح	حفيد	(في سن الطفولة)	لبناني	٦	أ - ١
بكر، مصطفى عثمان		مهنة غير محددة	سوري	٧٢	أ - ٥
بلقيس، علي (أبو ماجد)		موظف	فلسطيني	٦٥	أ - ١
بيومي، محمد زهير		(في سن الرضاعة)	فلسطيني	١	أ - ١
تركي، حسين محمد		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	تركي	٣٥	أ - ٥
تعبانة، سليم عبد الباسط	أخ	رسام خرائط / مصمم ديكور	لبناني	٢٢	أ - ٢
تعبانة، سميح عبد الباسط	أخ	كهربائي/ مصلح تليفونات	لبناني	٢٠	أ - ٢
جدعون، أحمد ديب		عامل حر	فلسطيني	٦٨	أ - ٣
جريدي، فاطمة م. راشد (زوجة سعيد)	أم	(ربة منزل)	فلسطينية	٣١	أ - ٤
جريدي، مريم سعيد	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٧	أ - ٤
جريدي، سوزان سعيد	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٥	أ - ٤
جريدي، جنان سعيد	ابنة	(في سن الطفولة المبكرة)	فلسطينية	٣	أ - ٤
جريدي، نضال سعيد	ابنة	(في سن الطفولة المبكرة)	فلسطينية	٢	أ - ٤
جمعة، مريم (زوجة عيسى قاسم)	أم	(ربة منزل)	فلسطينية	٤٣	أ - ١
جمعة، ماجد عيسى قاسم	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١٢	أ - ١
جميلة، رياض محمود	أخ	مقاتل	أردني	١٩	أ - ١
جميلة، سمر محمود	أخت	(في سن الدراسة)	أردنية	١٤	أ - ١
جهير، سعيد عبد الكريم		بائع: خضار/ سمك/ متجول	فلسطيني	٢١	أ - ١
حاج، جهاد علي		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	فلسطيني	٢٤	أ - ٣

حاج، سارة قاسم	أم	(ربة منزل)	فلسطينية	٢٧	أ – ١
حاج، وسيم وليد	ابن	(في سن الطفولة المبكرة)	لبناني	٢	أ – ١
حاج، سمر وليد	ابنة	(في سن الرضاعة)	لبنانية	١	أ – ١
حاج، صالح يوسف		حلاق / خباز / طباخ / لحام	فلسطيني	٤٣	أ – ٢
حافظ، سعيد أحمد		سائق / ميكانيكي	مصري	٢٥	أ – ٢
حرب، أحمد حسن		عامل حر	لبناني	٢٠	أ – ١
حسين، إسماعيل محمود		بواب / حارس / جوكي	فلسطيني	٤٢	أ – ٢
حسين، حسين علي		رسام خرائط / مصمم ديكور	فلسطيني	٢٤	أ – ٢
حسين، رقية أمين		عاملة حرة	مصرية	٣٨	أ – ٥
حسين، صالحة معروف (زوجة أحمد)	أم	(ربة منزل)	فلسطينية	٣٥	أ – ١
حسين، عبد الله جبر	عم	(مريض / مريض مزمن)	فلسطيني	٥٠	أ – ١
حسين، كارم أحمد جبر	ابن	مقاتل	فلسطيني	١٧	أ – ١
حسين، عماد أحمد جبر	ابن	سائق / ميكانيكي	فلسطيني	١٣	أ – ١
حسين، فؤاد أحمد جبر	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١٢	أ – ١
حسين، محمد أحمد جبر	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١١	أ – ١
حسين، ربيع أحمد جبر	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١١	أ – ١
حسين، نوال أحمد جبر	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	١٠	أ – ١
حسين، سعاد أحمد جبر	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٩	أ – ١
حسين، فضة جمعة	جدة	(ربة منزل)	فلسطينية	٧٠	أ – ١
حسين، فادي الياس موسى	حفيد	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١٢	أ – ١

حسين، فادية الياس موسى	حفيدة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	١٠	أ – ١
حسين، نديم مهدي		عامل حر	لبناني	٤٦	أ – ٢
حشمة، توفيق		مهنة غير محددة	فلسطيني	٤٧	أ – ٤
حلاوي، علي موسى		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	لبناني	٢١	أ – ١
حلبي، سميرة علي		خياط/حائك/ منجد	لبنانية	١٨	أ – ١
حمزة، زيدان محمد زيد	أب	عامل حر	لا جنسية له	٤٥	أ – ٢
حمزة، تيسير زيدان	ابن	عامل حر	لا جنسية له	٢٠	أ – ٢
حمزة، حمزة زيدان	ابن	عامل حر	لا جنسية له	١٨	أ – ٢
حمزة، ناصر زيدان	ابن	عامل حر	لا جنسية له	١٦	أ – ٢
حمود، فادي موسى		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٧	أ – ١
حمود، هدى (زوجة محمد)	أم	(ربة منزل)	فلسطينية	٤١	أ – ١
حمود، خليل محمد	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٤	أ – ١
حمود، هنادي محمد	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٩	أ – ١
حناوي، ديب حسين		موظف	لبناني	٥٥	أ – ٣
حنفي، محمد		عامل حر	مصري	١٨	أ – ٥
حيدر، كلثوم سلامة	أم	(ربة منزل)	لبنانية	٥٥	أ – ١
حيدر، فهد علي	ابن	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	لبناني	١٩	أ – ١
حيدر، زينب إدلبي (زوجة فهد)	كنة	(ربة منزل)	فلسطينية	١٧	أ – ١
حيدر، ـــ (جنين أمه زينب أدلبي)	؟	(جنين لم يولد بعد)	لبناني		أ – ١
حيدر، فؤاد علي	ابن	(في سن الدراسة)	لبناني	١٤	أ – ١

الاسم	القرابة	المهنة	الجنسية	العمر	
خطيب، إبراهيم صبحي		بائع كاز	لبناني	١٨	أ – ١
خطيب، حسين محمد		عامل حر	فلسطيني	٢٠	أ – ١
خطيب، سامي محمد		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	فلسطيني	٣٠	أ – ٣
خطيب، عبد الرحمن أحمد		بائع كاز	لبناني	٣١	أ – ١
خطيب، غالية مصطفى	جدة	(كبيرة في العمر)	فلسطينية	٧٣	أ – ١
خطيب، علي حسين	أب	عامل حر	فلسطيني	٤٦	أ – ١
خطيب، ديبة (زوجة علي حسين)	أم	(ربة منزل)	فلسطينية	٤٣	أ – ١
خطيب، صابر علي	ابن	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٤	أ – ١
خطيب، آمنة علي	ابنة	موظفة	فلسطينية	٢٢	أ – ١
خطيب، حسين علي	ابن	خياط/حائك/ منجد	فلسطيني	٢٠	أ – ١
خطيب، نادر علي	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٤	أ – ١
خطيب، منذر علي	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١٢	أ – ١
خطيب، إمتثال علي	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	١١	أ – ١
خطيب، مريم علي	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٧	أ – ١
خطيب، محمد حسن		عامل حر	فلسطيني	٢٦	أ – ١
خليفة، حميد مصطفى	أب	حلاق / خباز / طباخ / لحام	فلسطيني	٤٤	أ – ١
خليفة، محمد عبد	عم	بائع: خضار/ سمك/ متجول	فلسطيني	٥٢	أ – ١
خليفة، حسين حميد مصطفى	ابن	سائق / ميكانيكي	فلسطيني	١٦	أ – ١
خليفة، حسن حميد مصطفى	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٥	أ – ١
خليل، خليل عبدو		حلاق / خباز / طباخ / لحام	لا جنسية له	١٩	أ – ١

خميس، محمد		عامل حر	مصري	٤٤	أ – ٣
درويش، حيدر محمد		كهربائي/ مصلح تليفونات	لبناني	٢٣	أ – ٢
دسوقي، محمد وجيه		حلاق / خباز / طباخ / لحام	فلسطيني	٤٢	أ – ٣
دغينو، أحمد حمدو	أب	بائع: خضار/ سمك/ متجول	سوري	٤٨	أ – ٢
دغينو، مريم (زوجة أحمد)	أم	(ربة منزل)	فلسطينية	٣٧	أ – ٢
دغينو، محمد أحمد	ابن	(في سن الطفولة)	سوري	٦	أ – ٢
دغينو، محمود أحمد	ابن	(في سن الطفولة)	سوري	٤	أ – ٢
دلبين، حسين علي		عامل حر	لبناني	١٩	أ – ٥
دماش، سمير محمد		مهنة غير محددة	فلسطيني	٢١	أ – ٢
دوخي، علي عبد الله		تاجر يمتلك متجراً صغيراً	فلسطيني	٤٤	أ – ١
دياب، محمد		(كبير في العمر)	فلسطيني	٧٢	أ – ٥
رشيد، بديعة مراد (زوجة محمد علي)	أم	(ربة منزل)	لبنانية	٤٥	أ – ٢
رشيد، حيدر محمد علي	ابن	مهنة غير محددة	لبناني	١٩	أ – ٢
رشيد، محمود محمد علي	ابن	(في سن الدراسة)	لبناني	١٥	أ – ٢
رشيد، زينب محمد علي	ابنة	(في سن الدراسة)	لبنانية	١٤	أ – ٢
رشيد، علي محمد علي	ابن	(في سن الطفولة)	لبناني	١٠	أ – ٢
رعد، سعدية محمد		(ربة منزل)	لبنانية	٧٠	أ – ٢
رمضان، رجاء علي		(ربة منزل)	فلسطينية	١٦	أ – ٢
زلغوط، أحمد حسين		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	لبناني	٢٧	أ – ٥
زمار، سلامة عزت		حلاق / خباز / طباخ / لحام	فلسطيني	٤٧	أ – ١

زهر الدين، صلاح عباس	أخ	(في سن الدراسة)	لبناني	١٣	أ – ١
زهر الدين، محمد عباس	أخ	(في سن الطفولة)	لبناني	٦	أ – ١
زهر الدين، نبيلة عباس	أخت	(في سن الطفولة المبكرة)	لبنانية	٣	أ – ١
زهر الدين، حسين عباس	أخ	(في سن الرضاعة)	لبناني	١	أ – ١
زينة، حسين (الحاج أبو سليمان)		(كبير في العمر)	فلسطيني	٧٥	أ – ١
زيوني، آمنة (زوجة محمد)	أم	(ربة منزل)	لبنانية	٤٣	أ – ٣
زيوني، سمير محمد	ابن	بائع كاز	لبناني	٢٥	أ – ٣
زيوني، أميرة محمد	ابنة	(ربة منزل)	لبنانية	٢٢	أ – ٣
زيوني، سميرة (زوجة سمير)	كنة	(ربة منزل)	لبنانية	٢٠	أ – ٣
زيوني، جمال محمد	ابن	(في سن الدراسة)	لبناني	١٦	أ – ٣
زيوني، عبد محمد	ابن	(في سن الطفولة)	لبناني	١١	أ – ٣
زيوني، سهيلة محمد	ابنة	(في سن الطفولة)	لبنانية	١١	أ – ٣
سالم، سالم محمد		عامل حر	فلسطيني	٢٠	أ – ١
سرساوي، عبد الله محمود		موظف	فلسطيني	٥٢	أ – ١
سرّيس، جمال محمد حسين		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٩	أ – ٥
سعد، آسيا محمد		(ربة منزل)	لبنانية	٢٥	أ – ٢
سعد، إسماعيل أحمد		مهنة غير محددة	فلسطيني	٦٠	أ – ٣
سعد، محمود محمد	أب	موظف	فلسطيني	٦٢	أ – ١
سعد، عفاف محمود	ابنة	موظفة	فلسطينية	١٧	أ – ١
سعيد، أحمد علي		عامل حر	سوري	٣٨	أ – ٢

سعيد، أحمد محمد		سائق / ميكانيكي	فلسطيني	٤٠	أ – ٣
سعيد، جهاد علي		سائق / ميكانيكي	فلسطيني	٣٠	أ – ٣
سعيد، فرج إبراهيم		كهربائي/ مصلح تليفونات	مصري	٣٥	أ – ٣
سكرية، مرعي هولو		مقاتل	لبناني	٤٥	أ – ٥
سلام، محمد حسن		(كبير في العمر)	سوداني	٨٠	أ – ١
سلوم، أحمد عبد الحسن		عامل حر	لبناني	٢٨	أ – ١
سليم، خضر حسين		عامل حر	لا جنسية له	٤٠	أ – ٢
سليم، محمد شوكت	أب	عامل حر	لا جنسية له	٥٢	أ – ٢
سليم، أكرم محمد شوكت	ابن	عامل حر	لا جنسية له	٢٠	أ – ٢
سليم، جهاد محمد شوكت	ابن	عامل حر	لا جنسية له	١٦	أ – ٢
سليم، نضال محمد شوكت	ابن	بواب / حارس / جوكي	لا جنسية له	١٤	أ – ٢
سليمان، عرابي عبد الرحمن		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	مصري	٣٠	أ – ٣
سمرجي، إمام محمود علي		موظف	مصري	٢٥	أ – ٤
شحاده، سمير محمد		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٧	أ – ١
شحرور، علي كامل		بائع: خضار/ سمك/ متجول	فلسطيني	٧٢	أ – ١
شعبان، علي عمر		حلاق / خباز / طباخ / لحام	مصري	٣٠	أ – ٣
شمص، محمد راضي	أب	موظف	لبناني	٤٨	أ – ١
شمص، عارف محمد	ابن	موظف	لبناني	٢٢	أ – ١
شوفاني، ثنيا دياب خروب (أم أحمد)	أم	(ربة منزل)	فلسطينية	٥٥	أ – ١
شوفاني، شحاده أحمد عزة	ابن	مقاتل	فلسطيني	٢٨	أ – ١

شوفاني، وفاء شحاده أحمد	حفيدة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٤	أ - ١
شوفاني، أحمد شحاده أحمد	حفيد	(في سن الطفولة المبكرة)	فلسطيني	٢	أ - ١
شيخ، إبراهيم علي		سائق / ميكانيكي	لبناني	٤٥	أ - ٢
شيخ، ليلى أحمد		(ربة منزل)	سورية	٣٠	أ - ٤
صادق، عماد محمد		مقاتل	لبناني	٢٣	أ - ١
صادق، نزار إبراهيم		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	فلسطيني	٢٢	أ - ٥
صغير، جمعة عبد الزين	أب	عامل حر	فلسطيني	٤٥	أ - ٣
صغير، موسى جمعة	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٨	أ - ٣
صغير، منى عباس محمد		(في سن الدراسة)	لبنانية	١٥	أ - ١
ضاهر، شكيب أسعد		موظف	لبناني	٥٥	أ - ٥
ضاهر، محمد سلمان	زوج	بائع: خضار/ سمك/ متجول	لبناني	٧٩	أ - ١
ضاهر، سعدى عباس (زوجة محمد)	زوجة	(ربة منزل)	لبنانية	٤٥	أ - ١
طالب، فايزة أمين		(ربة منزل)	لبنانية	٥١	أ - ١
طه، محمد أحمد		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	فلسطيني	٥٨	أ - ٣
طيطي، حسين صالح	أب	عامل حر	فلسطيني	٥٥	أ - ١
طيطي، صالح حسين صالح	ابن	مقاتل	فلسطيني	٢١	أ - ١
طيطي، سامية طالب (زوجة محمد)	أم	(ربة منزل)	لبنانية	٢٥	أ - ١
طيطي، طارق محمد	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	٥	أ - ١
طيطي، محمود محمد	ابن	(في سن الرضاعة)	فلسطيني	١	أ - ١

عايدي، مصطفى سعيد	أب	(كبير في العمر)	فلسطيني	٧٥	أ – ١
عايدي، موسى مصطفى سعيد	ابن	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٣١	أ – ١
عايدي، سعيد مصطفى سعيد	ابن	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٧	أ – ١
عايدي، حسين مصطفى سعيد	ابن	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٢	أ – ١
عايدي، إبراهيم مصطفى سعيد	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٧	أ – ١
عباس، أحمد غيث		(كبير في العمر)	فلسطيني	٧٥	أ – ١
عبد الرحمن، علي صالح		تاجر يمتلك متجراً صغيراً	فلسطيني	٦٠	أ – ١
عبد السلام، عبد المنعم		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	مصري	٢٣	أ – ٣
عبد الفتاح، محمود قاسم		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٣٥	أ – ٢
عبد اللطيف، رضا		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	مصري	٢٢	أ – ٣
عبد الله، حسن عبد الله	أب	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٦٠	أ – ٥
عبد الله، نوال حسن	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٥	أ – ٥
عبد الله، يوسف حسن	ابن	(في سن الطفولة المبكرة)	فلسطيني	٣	أ – ٥
عبد الله، طرفة حسين (زوجة محمود)	جدة	(ربة منزل)	فلسطينية	٦٥	أ – ١
عبد الله، جميلة أحمد	حفيدة	(في سن الدراسة)	فلسطينية	١٣	أ – ١
عبد الله، فواز حسن		عامل حر	لا جنسية له	٣٥	أ – ١
عطوات، عبد الغني	أب	عامل حر	فلسطيني	٦١	أ – ٣
عطوات، يوسف عبد الغني	ابن	الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	فلسطيني	٣٢	أ – ٣
عكيلي، (أبو غازي)		بائع: خضار/ سمك/ متجول	فلسطيني	٦٢	أ – ٥
علاء الدين، زينب عبد		موظفة	لبنانية	٢٠	أ – ١

الاسم	الصلة	المهنة	الجنسية	العمر	الرمز
علوية، خيرية (أم يوسف)	جدة	(ربة منزل)	لبنانية	٥٥	أ – ٤
علوية، خضر يوسف نعيم	حفيد	(مريض / مريض مزمن)	لبناني	٢٢	أ – ٤
علوية، زينب يوسف نعيم	حفيدة	(ربة منزل)	لبنانية	٢٠	أ – ٤
علي، إمام محمود		عامل حر	مصري	٤٢	أ – ٢
علي، حسين علي		مهنة غير محددة	فلسطيني	٢٥	أ – ١
علي، محمد سليمان	أب	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٥٠	أ – ١
علي، خالد محمد سليمان	ابن	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٠	أ – ٣
عنتر، حميد	أب	عامل حر	سوري	٣٥	أ – ٥
عنتر، محمد حميد	ابن	عامل حر	سوري	١٥	أ – ٥
عنتر، خالد حميد	ابن	(في سن الدراسة)	سوري	١٣	أ – ٥
عوض، نور الدين سعود	أخ	مقاتل	فلسطيني	٢٥	أ – ٣
عوض، ميسر سعود	أخت	موظفة	فلسطينية	٢٢	أ – ٣
عوض، فاطمة سعود	أخت	(في سن الدراسة)	فلسطينية	١٤	أ – ٣
عوض، حسين سعود	أخ	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١٢	أ – ٣
عوف، محمد حنفي		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	مصري	٢٢	أ – ٣
عيد، عبد الله محمد خراساني		حلاق / خباز / طباخ / لحام	إيراني	٣٢	أ – ٥
غانم، سيد أحمد		موظف	مصري	٤٠	أ – ٣
غندور، يوسف		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	سوري	٥٠	أ – ٢
فرفور، سمير عبد الفتاح		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	مصري	٣٠	أ – ٣

فريجة، محمد حسين	أب	مقاتل	فلسطيني	٤٠	أ – ١
فريجة، خالد محمد حسين	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٣	أ – ١
فقيه، فاطمة محمد	أخت	(في سن الدراسة)	لبنانية	١٤	أ – ٢
فقيه، ليلى محمد	أخت	(في سن الطفولة المبكرة)	لبنانية	٣	أ – ٢
فياض، تميمة درويش مراد (زوجة علي)	أم	(ربة منزل)	لبنانية	٤٧	أ – ١
فياض، نجاح علي	ابنة	موظفة	لبنانية	٢١	أ – ١
فياض، عباس علي	ابن	موظف	لبناني	١٩	أ – ١
فياض، نهى علي	ابنة	(في سن الدراسة)	لبنانية	١٨	أ – ١
قاسم، حسن ديب		(طالب: كلية/ مدرسة مهنية)	فلسطيني	٢٢	أ – ١
قاسم، محمد متعب		عامل حر	فلسطيني	٤٨	أ – ١
قاسم، منذر سامي		موظف	فلسطيني	٢٣	أ – ٢
قاضي، ساري أحمد		(كبير في العمر)	فلسطيني	٨٠	أ – ٢
قاضي، صالح دخيل	أب	مقاتل	فلسطيني	٥٢	أ – ١
قاضي، بسام صالح دخيل	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٨	أ – ١
قاضي، إبتسام صالح دخيل	ابنة	(في سن الدراسة)	فلسطينية	١٤	أ – ١
قاضي، حسام صالح دخيل	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١٢	أ – ١
قاضي، عصام صالح دخيل	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١٠	أ – ١
قاضي، فهمي أحمد		مقاتل	فلسطيني	٣١	أ – ١
قاضي، فواز ماضي		حلاق / خباز / طباخ / لحام	فلسطيني	٤٣	أ – ٢

الاسم	الصلة	المهنة	الجنسية	العمر	
قدورة، بدران حسين		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٨	أ – ١
قسوات، محمد أحمد		عامل حر	سوري	٥٨	أ – ٢
قطناني، محمد عبد الرحمن		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٣١	أ – ١
كانون، علي محمد ياسين	أب	موظف	سوري	٦١	أ – ٤
كانون، سكينة السيد (زوجة علي)	أم	(ربة منزل)	لبنانية	٥٦	أ – ٤
كانون، أحمد علي محمد	ابن	مهنة غير محددة	سوري	٢٥	أ – ٤
كانون، يحيى علي محمد	ابن	(في سن الدراسة)	سوري	١٤	أ – ٤
كردي، يوسف		عامل حر	تركي	٣٠	أ – ٤
كرمو، جميل محسن	أب	(كبير في العمر)	لا جنسية له	٧٨	أ – ٢
كرمو، توفيق محسن	عم	(كبير في العمر)	لا جنسية له	٧١	أ – ٢
كرمو، خالد جميل محسن	ابن	فنان / موسيقي	لا جنسية له	٤٠	أ – ٢
كرمو، حميد جميل محسن	ابن	عامل حر	لا جنسية له	٢٩	أ – ٢
كرمو، محمد	أب	(كبير في العمر)	لا جنسية له	٨٠	أ – ٢
كرمو، نايف محمد	ابن	عامل حر	لا جنسية له	٤٢	أ – ٢
كرمو، ؟ (زوجة نايف محمد)	كنة	(ربة منزل)	لا جنسية لها	٣٥	أ – ٢
كرمو، علي محمد	ابن	عامل حر	لا جنسية له	٣١	أ – ١
كليب، حسن عبد الله	أب	بائع: خضار/ سمك/ متجول	فلسطيني	٥١	أ – ١
كليب، أحمد حسن عبد الله	ابن	سائق / ميكانيكي	فلسطيني	١٨	أ – ١
كيوان، جميل فرحان		موظف	سوري	٤٣	أ – ٥

الاسم	الصلة	المهنة	الجنسية	العمر	
لداوي، محمد		مهنة غير محددة	فلسطيني	٥٢	أ – ٤
ماضي، يونس	أب	(مريض / مريض مزمن)	فلسطيني	٦٥	أ – ١
ماضي، أحمد يونس	ابن	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٠	أ – ١
ماضي، ماضي يونس	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٧	أ – ١
ماضي، محمد يونس	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٤	أ – ١
مجدوب، محمود عبد	أخ	مهنة غير محددة	فلسطيني	٣٥	أ – ٤
مجدوب، محمد عبد	أخ	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٧	أ – ٤
محسن، توفيق كرما	أب	(كبير في العمر)	لبناني	٦٥	أ – ١
محسن، موسى توفيق كرما	ابن	سائق / ميكانيكي	لبناني	٣٥	أ – ١
محمد، خالد يوسف	أب	عامل حر	فلسطيني	٤٧	أ – ١
محمد، فاطمة (زوجة خالد)	أم	(ربة منزل)	فلسطينية	٤٤	أ – ١
محمد، سهيلة خالد يوسف	ابنة	مقاتلة	فلسطينية	١٩	أ – ١
محمد، سناء خالد يوسف	ابنة	(في سن الدراسة)	فلسطينية	١٧	أ – ١
محمد، بهاء خالد يوسف	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	١٢	أ – ١
محمد، ليلى خالد يوسف	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	١١	أ – ١
محمد، أكرم خالد يوسف	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	٩	أ – ١
محمد، إيمان خالد يوسف	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٧	أ – ١
محمد، منال خالد يوسف	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٥	أ – ١

محمد، سامر خالد يوسف	ابن	(في سن الطفولة المبكرة)	فلسطيني	٢	أ – ١
محمد، أحلام خالد يوسف	ابنة	(في سن الرضاعة)	فلسطينية	١	أ – ١
محمد، زهرة (زوجة أحمد موسى)	أم	(ربة منزل)	فلسطينية	٤٠	أ – ١
محمد، عايدة أحمد موسى	ابنة	(في سن الدراسة)	فلسطينية	١٦	أ – ١
محمد، مفيد أحمد موسى	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٥	أ – ١
محمد، معين أحمد موسى	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١١	أ – ١
محمد، فادية أحمد موسى	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٧	أ – ١
محمد، إيمان أحمد موسى	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٦	أ – ١
محمد، عنايات الله بشير		موظفة	باكستانية	٢٧	أ – ٤
محمد، محمد سليم		عامل حر	لا جنسية له	١٩	أ – ١
محمد، يحيى أحمد	زوج	مقاتل	فلسطيني	٣٠	أ – ١
محمد، خولة (زوجة يحيى)	زوجة	(ربة منزل)	فلسطينية	٢٥	أ – ١
محمود، أرشاد		عامل حر	باكستاني	٢٧	أ – ٥
مرتضى، أديب حسن		تاجر يمتلك متجراً صغيراً	لبناني	٣٣	أ – ٣
مرعي، رسمي محسن	أب	عامل حر	لا جنسية له	٤٢	أ – ٢
مرعي، يحيى محسن	عم	عامل حر	لا جنسية له	٢٤	أ – ٢
مرعي، زكريا محسن	عم	عامل حر	لا جنسية له	٢٢	أ – ٢
مرعي، علي رسمي محسن	ابن	(في سن الطفولة)	لا جنسية له	١٢	أ – ٢
مرعي، محسن رسمي محسن	ابن	(في سن الطفولة)	لا جنسية له	٩	أ – ٢

الاسم	القرابة	المهنة	الجنسية	العمر	الرمز
مرعي، سرور محمد سعيد	أب	كهربائي/ مصلح تليفونات	فلسطيني	٤٣	أ – ١
مرعي، بسام سرور محمد	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١٢	أ – ١
مرعي، فريد سرور محمد	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	٦	أ – ١
مرعي، شادي سرور محمد	ابن	(في سن الطفولة المبكرة)	فلسطيني	٣	أ – ١
مرعي، شادية سرور محمد	ابنة	(في سن الطفولة المبكرة)	فلسطينية	٢	أ – ١
مصري، سيد محمد		بائع كاز	مصري	٣٠	أ – ٤
مصري، عايشة فايز أبو طيونة		(ربة منزل)	فلسطينية	٣٥	أ – ١
مصطفى، صالح أحمد		عامل حر	مصري	٣٤	أ – ٣
مصطفى، محمد	عم	(كبير في العمر)	لا جنسية له	٧٣	أ – ١
مصطفى، رياض مصطفى	ابن أخ	سائق / ميكانيكي	لا جنسية له	٢٣	أ – ١
مصطفى، خالد مصطفى	ابن أخ	بواب / حارس / جوكي	لا جنسية له	١٦	أ – ١
مطر، خديجة يحيى		(ربة منزل)	فلسطينية	٣٢	أ – ٢
مطر، محمد عدنان		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٨	أ – ٢
معروف، زياد عبد الله		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	فلسطيني	٣١	أ – ٣
مغربي، صبحي محمد	عم	مقاتل	فلسطيني	٤٣	أ – ١
مغربي، خالد سليم	ابن أخ	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	١٨	أ – ١
مغربي، عامر سليم	ابن أخ	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٦	أ – ١
مقداد، حسين ضاهر	أب	كهربائي/ مصلح تليفونات	لبناني	٤٠	أ – ١
مقداد، وفاء حمود (زوجة حسين ضاهر)	أم	(ربة منزل)	لبنانية	٣٠	أ – ١
مقداد، محمد حسين ضاهر	ابن	(في سن الطفولة)	لبناني	٨	أ – ١

مقداد، ياسر حسين ضاهر	ابن	(في سن الطفولة)	لبناني	٦	أ – ١
مقداد، صفاء حسين ضاهر	ابنة	(في سن الرضاعة)	لبنانية	١	أ – ١
مقداد، ـــ (جنين أمه وفاء مقداد)	؟	(جنين لم يولد بعد)	لبناني		أ – ١
مقداد، عبد الرؤوف	أب	حلاق / خباز / طباخ / لحام	لبناني	٤٠	أ – ١
مقداد، إلهام (زوجة عبد الرؤوف)	أم	(ربة منزل)	لبنانية	٢٧	أ – ١
مقداد، ميرفت عبد الرؤوف	ابنة	(في سن الطفولة)	لبنانية	١٢	أ – ١
مقداد، ناريمان عبد الرؤوف	ابنة	(في سن الطفولة).	لبنانية	١١	أ – ١
مقداد، نسرين عبد الرؤوف	ابنة	(في سن الطفولة)	لبنانية	٧	أ – ١
مقداد، محاسن عبد الرؤوف	ابنة	(في سن الطفولة)	لبنانية	٧	أ – ١
مقداد، فاطمة عبد الرؤوف	ابنة	(في سن الطفولة المبكرة)	لبنانية	٣	أ – ١
مقداد، ألفت عبد الرؤوف	ابنة	(في سن الطفولة المبكرة)	لبنانية	٢	أ – ١
مقداد، ـــ (جنين أمه إلهام مقداد)	؟	(جنين لم يولد بعد)	لبناني		أ – ١
مقداد، علي حسين إسماعيل	زوج	(كبير في العمر)	لبناني	٦٥	أ – ١
مقداد، فاطمة وهبة (زوجة علي حسين)	زوجة	(ربة منزل)	لبنانية	٦٢	أ – ١
مقداد، رضا حسين علي	أخ	موظف	لبناني	٦٢	أ – ١
مقداد، فريزة دياب (أم يوسف)	أم	(ربة منزل)	لبنانية	٦٠	أ – ١
مقداد، يوسف عبد القادر	ابن	عامل حر	لبناني	٢٢	أ – ١

مقداد، ياسر ضاهر	أب	سائق / ميكانيكي	لبناني	٣٥	أ – ١
مقداد، زينب عبد (زوجة ياسر ضاهر)	أم	(ربة منزل)	لبنانية	٣٠	أ – ١
مقداد، فايزة ياسر ضاهر	ابنة	(في سن الدراسة)	لبنانية	١٦	أ – ١
مقداد، فريال ياسر ضاهر	ابنة	(في سن الدراسة)	لبنانية	١٣	أ – ١
مقداد، فادي ياسر ضاهر	ابن	(في سن الطفولة)	لبناني	١٠	أ – ١
مقداد، حسين ياسر ضاهر	ابن	(في سن الطفولة)	لبناني	٨	أ – ١
مقداد، عدنان ياسر ضاهر	ابن	(في سن الطفولة)	لبناني	٦	أ – ١
مقداد، رفاق ياسر ضاهر	ابنة	(في سن الرضاعة)	لبنانية	١	أ – ١
مقداد، ـــ (جنين أمه زينب مقداد)	؟	(جنين لم يولد بعد)	لبناني		أ – ١
مكية، فاروق سلامة		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	١٩	أ – ٢
منصور، علي عبدو		(في سن الطفولة)	لبناني	٥	أ – ١
مهنا، علي حسن		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	لبناني	٢٠	أ – ٤
موسى، محمود محمد	أب	معلم مدرسة	فلسطيني	٣٤	أ – ٤
موسى، منير محمد	عم	(طالب: كلية/مدرسة مهنية)	فلسطيني	٢٠	أ – ٤
موسى، مازن محمود	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	١٢	أ – ٣
موسوي، حسن سيد		بائع كاز	لبناني	٤٢	أ – ٣
ميناوي، بلال أحمد		كهربائي/ مصلح تليفونات	فلسطيني	١٨	أ – ١
نابلسي، محمد		مهنة غير محددة	فلسطيني	٣٥	أ – ١
ناصر، حسين عبد الرضا		موظف	لبناني	٤٢	أ – ١
ناصيف، علي عيسى		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٦٥	أ – ١

نجار، حسين حسن أحمد		مقاتل	فلسطيني	٤٥	أ – ١
نزال، محمد سليم		مقاتل	فلسطيني	٣٣	أ – ٣
نعمة، (الحاج) نعيم علي		بائع كاز	لبناني	٨٠	أ – ٢
نوري، عدنان		(كبير في العمر)	فلسطيني	٩٠	أ – ٥
نونو، فرج عبدو		رسام خرائط / مصمم ديكور	فلسطيني	٢٢	أ – ١
هاشم، عبد الهادي أحمد		سائق / ميكانيكي	فلسطيني	٤٥	أ – ١
هبرات، موسى عبد الحليم	جد	عامل حر	فلسطيني	٥٣	أ – ١
هبرات، آمال حليوي (زوجة مصطفى)	أم	(ربة منزل)	جزائرية	٢٧	أ – ١
هبرات، سيرين مصطفى موسى	ابنة	(في سن الطفولة)	فلسطينية	٦	أ – ١
هبرات، موسى مصطفى موسى	ابن	(في سن الطفولة)	فلسطيني	٤	أ – ١
هبرات، مروان مصطفى موسى	ابن	(في سن الرضاعة)	فلسطيني	١	أ – ١
هرامشة، خالد فارس	زوج	عامل حر	لا جنسية له	٥٥	أ – ٢
هرامشة، فاطمة (زوجة خالد)	زوجة	(ربة منزل)	لا جنسية لها	٥٢	أ – ٢
هويدي، سليم محسن		عامل حر	سوري	٧٢	أ – ١
والي، حسن محمد		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	فلسطيني	٢٤	أ – ٣
وهبة، نجلا سعيد طه (زوجة وهبة)	أم	(ربة منزل)	فلسطينية	٦٧	أ – ١
وهبة، فيصل محمود	ابن	(مريض / مريض مزمن)	فلسطيني	٣٥	أ – ١
وهبة، علي محمود	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	٢٠	أ – ١
وهبة، فاطمة أحمد سرية (زوجة خليل)	كنة	(ربة منزل)	فلسطينية	٢٣	أ – ١
وهبة، إبراهيم خليل محمود	حفيد	(في سن الرضاعة)	فلسطيني	١	أ – ١

وهبة، ناهد سعد (زوجة علي)	أم	(ربة منزل)	لبنانية	١٧	أ - ١
وهبة، ــ (جنين أمه ناهد سعد)	؟	(جنين لم يولد بعد)	فلسطيني		أ - ١
يوسف، رياض عبد الله		كهربائي/ مصلح تليفونات	فلسطيني	٣٤	أ - ١
يونس، حسين محمود		(كبير في العمر)	لبناني	٧٥	أ - ١
يونس، محمد عبد		رسام خرائط / مصمم ديكور	فلسطيني	٣٠	أ - ١
الاسم مجهول لا يتذكره الشهود		(في سن الطفولة المبكرة)	مصري	٣	أ - ٥
أبو رتيبة		عامل حر	تونسي	٦٤	أ - ٤
أبو طارق		بواب / حارس / جوكي	لبناني	٥٧	أ - ٥
أبو فريد		عامل حر	فلسطيني	٢٨	أ - ٣
أبو نضال		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	سوري	٢٤	أ - ٤
حسين		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	تركي	٣١	أ - ١
حمدي		موظف	مصري	٣٥	أ - ٤
حميد عزيز		عامل حر	لا جنسية له	٣٤	أ - ٣
خليل		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	فلسطيني	٢٨	أ - ٤
عبد الله		(مريض / مريض مزمن)	فلسطيني	٣٥	أ - ٥
فهد		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	سوري	٢٥	أ - ٥
وجد مقتولاً على فراشه في الحرش		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	بنغلادشي	٣٠؟	أ - ٤
وجد مقتولاً على فراشه في الحرش		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	بنغلادشي	٣٠؟	أ - ٤
وجد مقتولاً على فراشه في الحرش		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	بنغلادشي	٣٠؟	أ - ٤
وجد مقتولاً على فراشه في الحرش		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	بنغلادشي	٣٠؟	أ - ٤
وجد مقتولاً على فراشه في الحرش		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	بنغلادشي	٣٠؟	أ - ٤

وجد مقتولاً على فراشه في الحرش	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	بنغلادشي	٣٠؟	أ – ٤
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	(في سن الرضاعة)	غير محددة	١	أ – ٥
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	(في سن الرضاعة)	غير محددة	١	أ – ٥
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	(في سن الرضاعة)	غير محددة	١	أ – ٥
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	(في سن الرضاعة)	غير محددة	١	أ – ٥
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	(في سن الرضاعة)	غير محددة	١	أ – ٥
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	(في سن الرضاعة)	غير محددة	١	أ – ٥
وجدت الجثة محترقة في مستشفى عكا	(في سن الرضاعة)	غير محددة	١	أ – ٥
وجدت الجثة محترقة في مستشفى عكا	(في سن الرضاعة)	غير محددة	١	أ – ٥
وجدت الجثة محترقة في مستشفى عكا	(في سن الرضاعة)	غير محددة	١	أ – ٥

لائحة الأسماء رقم ٢ ــ المخطوفون في صبرا وشاتيلا
استناداً إلى الدراسة الميدانية (١٩٨٤)

الاسم	القربى	المهنة	الجنسية	العمر	المصدر*
إبريق، خليل محمود	أب	عامل حر	فلسطيني	٥٤	أ – ١
إبريق، محمود خليل محمود	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٧	أ – ١
أبو زيد، محمد	أب	عامل حر	لا جنسية له	٤٠	أ – ٤
أبو زيد، تيسير محمد	ابن	عامل حر	لا جنسية له	١٨	أ – ٤
أبو زيد، حمزة محمد	ابن	عامل حر	لا جنسية له	١٧	أ – ٤
أبو زيد، ناصر محمد	ابن	عامل حر	لا جنسية له	١٥	أ – ٤
أبو عدس، رأفت عبد الحميد		(طالب: كلية/مدرسة مهنية)	فلسطيني	٢٠	أ – ١
أحمد، فرج علي السيد		كهربائي/ مصلح تليفونات	مصري	٣٤	أ – ١
أحمد، محمد حسين		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٤٣	أ – ١

* يشير الرمز (أ) إلى الدراسة الميدانية. أمّا الرمز (أ – ١) فهو للقريب داخل العائلة، كالأب أو الأم أو الأخت أو الزوجة، إلخ؛ والرمز (أ – ٢) للقريب خارج العائلة، كالعم أو ابن العم أو الخال، إلخ؛ والرمز (أ – ٣) للصديق؛ والرمز (أ – ٤) للجار؛ والرمز (أ – ٥) للشاهد.

اللون الأزرق يُظهر عائلات المخطوفين. وقد أُدرجت أسماء أفراد كل عائلة على حدة، من الأكبر عمراً إلى الأصغر، مع مراعاة نوعية القربى. أمّا الأفراد المخطوفون فأسماؤهم وفق الترتيب الهجائي المعتاد.

الاسم	القرابة	المهنة	الجنسية	العمر	الرمز
أسود، حسن أحمد		تاجر يمتلك متجراً صغيراً	سوري	٥٢	أ – ١
أطير، حسن هاشم		عامل حر	فلسطيني	٢٣	أ – ١
بنات، محمود بكري		سائق / ميكانيكي	لبناني	٣٣	أ – ١
بيبي، بسام عبد السلام		عامل في الأدوات الصحية	فلسطيني	١٨	أ – ١
بيتم، فياض حسن		(طالب: كلية/مدرسة مهنية)	فلسطيني	٢٢	أ – ١
جمّال، أحمد عبيد		بائع : خضار/سمك/ متجول	سوري	٥٣	أ – ١
حايك، أسعد محمد		عامل حر	فلسطيني	٢٧	أ – ١
حجار، أحمد مصطفى		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	١٧	أ – ١
حجازي، محمد كاظم		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	لبناني	١٩	أ – ١
حريري، خالد حميد	أخ	عامل حر	لا جنسية له	١٧	أ – ٣
حريري، محمد حميد	أخ	(في سن الدراسة)	لا جنسية له	١٦	أ – ٥
حسن، حسن أحمد	أب	موظف	فلسطيني	٥٠	أ – ١
حسن، جلال حسن أحمد	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٥	أ – ١
حسن، خليل محمود	أب	بواب/ حارس/ جوكي	فلسطيني	٥٥	أ – ٥
حسن، أحمد خليل	ابن	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٦	أ – ٥
حسين، كامل حسين		عامل حر	فلسطيني	٤١	أ – ١
حمو، جمال محمد		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	١٧	أ – ١
خروبي، مصطفى سليمان		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٨	أ – ١

خطيب، عبد الله قاسم		عامل حر	فلسطيني	٢٠	أ – ١
ديراوي، عزيز فيصل	أخ	سائق / ميكانيكي	فلسطيني	٣٣	أ – ١
ديراوي، إبراهيم فيصل	أخ	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٨	أ – ١
ديراوي، منصور فيصل	أخ	سائق / ميكانيكي	فلسطيني	٢٥	أ – ١
ديراوي، أحمد فيصل	أخ	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٥	أ – ١
راضي، حسن		عامل حر	فلسطيني	١٨	أ – ٣
زرين، وليد درويش		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٢	أ – ١
سابق، محمود حسن		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٣٩	أ – ١
سالم، أحمد خليل		خياط / حائك / منجد	فلسطيني	١٦	أ – ١
سالم، خليل محمد	أب	بائع : خضار/ سمك/ متجول	فلسطيني	٤٥	أ – ١
سالم، إحسان محمد	عم	سائق / ميكانيكي	فلسطيني	٣٧	أ – ١
سالم، عوني خليل	ابن	سائق / ميكانيكي	فلسطيني	١٨	أ – ١
سالم، محمود عبد الوهاب		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٥	أ – ١
سرّي، إبراهيم مصطفى		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٨	أ – ١
سرّي، نبيل غريب		كهربائي/ مصلح تليفونات	فلسطيني	٢٣	أ – ١
سعد، محمود صلاح الدين		عامل في الأدوات الصحية	لبناني	٢٥	أ – ١
سعدي، محمد عاصي	أب	موظف	فلسطيني	٦٠	أ – ١
سعدي، خالد محمد عاصي	ابن	مقاتل ،	فلسطيني	٢١	أ – ١
سعيد، أحمد محمد		عامل حر	سوري	٤٠	أ – ١

الاسم	القرابة	المهنة	الجنسية	العمر	
سقا، عبد القادر محمود	أخ	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٨	أ – ١
سقا، محمد محمود	أخ	معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	١٨	أ – ١
شرقاوي، أنور إبراهيم		(في سن الدراسة)	لبناني	١٦	أ – ١
صانع، ناصر أسعد		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٠	أ – ١
صبّاغ، رياض يحيى		عامل حر	لبناني	٢١	أ – ١
صعيدي، أحمد مصطفى		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٦	أ – ١
صفر، عبد الله سهيل		صانع أحذية	فلسطيني	٢٧	أ – ١
صفوري، يوسف شفيق		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٣	أ – ٢
صوالحة، خليل	أخ	عامل حر	فلسطيني	٢٦	أ – ١
صوالحة، محمود	أخ	عامل حر	فلسطيني	٢٣	أ – ١
عابد، غسان يوسف		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٦	أ – ٢
عبد المنعم (المصري)		عامل حر	مصري	٢٨	أ – ١
عزام، عدنان خالد		عامل حر	فلسطيني	٢٦	أ – ١
عزوقة، إبراهيم محمود		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٣	أ – ١
عطعوط، بشير أحمد		عامل في الأدوات الصحية	فلسطيني	١٨	أ – ١
علامة، علي حسن		(طالب: كلية/مدرسة مهنية)	لبناني	١٨	أ – ١
علي، أحمد	أب	عامل حر	فلسطيني	٥٠	أ – ١
علي، محمد أحمد	ابن	عامل حر	فلسطيني	٢٣	أ – ١
علي، محمود أحمد	ابن	(طالب: كلية/مدرسة مهنية)	فلسطيني	١٩	أ – ١
علي، أحمد محمد سعيد		بائع : خضار/ سمك/ متجول	سوري	٣٢	أ – ١

الاسم	القرابة	المهنة	الجنسية	العمر	المرجع
علي، عمر محمد		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٥	أ – ١
علي، محمد محمد		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٣١	أ – ١
عمري، خالد إبراهيم		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	لبناني	٢٣	أ – ١
عيساوي، مجدي مصباح		عامل حر	فلسطيني	٤٥	أ – ١
غزاوي، علي أحمد	أب	عامل حر	سوري	٤٥	أ – ٤
غزاوي، حسين علي أحمد	ابن	عامل حر	سوري	٢٠	أ – ٤
غزاوي، محمد علي أحمد	ابن	عامل حر	سوري	١٦	أ – ٤
قاسم، يوسف رحيل		عامل حر	فلسطيني	٤٠	أ – ٢
قاضي، محمد فوزي	أخ	موظف	فلسطيني	١٨	أ – ١
قاضي، علي فوزي	أخ	(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٦	أ – ١
كبارة، سليم عيسى		سائق / ميكانيكي	فلسطيني	٣٢	أ – ١
كثيّر، أحمد محمد سليم	أخ	عامل حر	فلسطيني	٢٨	أ – ١
كثيّر، جمال محمد سليم	أخ	عامل حر	فلسطيني	٢٦	أ – ١
كيالي، أحمد نمر		(في سن الدراسة)	فلسطيني	١٤	أ – ١
لبان، محمد توفيق		مهنة غير محددة	فلسطيني	٢٠	أ – ١
محسن، نعيم فايز		صانع أحذية	لبناني	١٧	أ – ١
محمد، حسن محمود		(طالب: كلية/مدرسة مهنية)	فلسطيني	١٧	أ – ١
محمد، علي محمد	أب	عامل حر	سوري	٤٤	أ – ١
محمد، حسين علي محمد	ابن	عامل حر	سوري	٢٠	أ – ١

محمد، وليد علي محمد	ابن	عامل حر	سوري	٢٠	أ – ١
محمد، محمد علي محمد	ابن	عامل حر	سوري	١٨	أ – ١
محمد، محمود سليم		عامل حر	سوري	٣٥	أ – ١
مشهراوي، إبراهيم خليل		معلم مدرسة	فلسطيني	٥٥	أ – ١
مصري، محمود محمد صبحي		سائق / ميكانيكي	فلسطيني	٢٢	أ – ١
معروف، جمال كمال		كهربائي/ مصلح تليفونات	فلسطيني	١٩	أ – ١
مهاوش، مهاوش محمود		(كبير في العمر)	فلسطيني	٦٥	أ – ١
نصر الدين، عبد الرحيم خضر	أخ	عامل حر	لبناني	٢٧	أ – ١
نصر الدين، حسن خضر	أخ	عامل حر	لبناني	٢٢	أ – ١
نصر الله، حسن نمر		عامل حر	لبناني	١٦	أ – ١
نطط، سامي شاكر عبد الغني		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	فلسطيني	٢٣	أ – ١
نعيم، سعيد أحمد		معماري/ دهان/ نجار/ حداد	مصري	٢٤	أ – ١
هويدي، أورانس عمار		(في سن الدراسة)	سوري	١٥	أ – ١
حسين		الهلال: طبيب/ ممرض/ عامل	فلسطيني	٣٥	أ – ٤
عثمان		كهربائي/ مصلح تليفونات	بريطاني	٣٠	أ – ٥

لائحة الأسماء رقم ٣ ــ ضحايا صبرا وشاتيلا
استناداً إلى المصادر المتعددة

الاسم	العمر	الجنسية	المصادر*
إبراهيم، أحمد توفيق		لم تحدد جنسيته	ز
إبراهيم، محمد حسن		لم تحدد جنسيته	هـ
إبراهيم، (الحاجة) نسيم حسين		لم تحدد جنسيتها	ز
أبو حرب، حسن قاسم محمود	١٤	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط م س
أبو حرب، قاسم محمود	٤٨	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط م س
أبو حرب، ميرفت وليد	١٠	فلسطينية	أ د هـ ل م س
أبو حرب، وليد قاسم	٢٨	فلسطيني	أ د هـ ح م س
أبو خميس، أمون علي	٥٦	فلسطينية	أ
أبو دهيم، علي قاسم		لم تحدد جنسيته	حʼ
أبو ديب، محمود قاسم	٤١	أردني	أ ف
أبو ذهب، منير	٦٢	لبناني	أ
أبو ربيع، خليل		لم تحدد جنسيته	ح
أبو ردينة، آمال شوكت (زوجة حسين ...)	٢١	فلسطينية	أ هـ و م س ف
أبو ردينة، شوكت محمد	٤٥	فلسطيني	أ ب ج هـ ط س ف
أبو ردينة، عايدة محمد	١٧	فلسطينية	أ هـ م س ف

* مصادر اللوائح التي اعتمدت وفقاً لتاريخ صدورها، هي التالية مرفقة برموزها: تنظيم الصليب الأحمر الدولي (ب)؛ مديرية الدفاع المدني اللبناني (ج)؛ مجلس كنائس الشرق الأوسط (ط)؛ مقبرة روضة الشهيدين (ز)؛ لائحة الشيخ سلمان الخليل (ل)؛ مقبرة الشهداء (ح)؛ مقبرة الشهداء ــ القبر الجماعي (حʼ)؛ جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ــ مستشفى غزة (د)؛ جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ــ مستشفى عكا (دʼ)؛ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (هـ)؛ تنظيم فلسطيني "مجهول" (م)؛ دار الفتوى (ك)؛ لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان (ن)؛ اللائحة المشتركة للمخطوفين والمفقودين (ي)؛ جريدة "السفير" (و)؛ جريدة "النداء" (وʼ)؛ لائحة مختارة من الصحف المتعددة (وʼʼ)؛ التاريخ الشفهي (س)؛ الدراسة الميدانية (أ)؛ لجنة التحقيق الرسمية في مصير المخطوفين والمفقودين (ع)؛ الدعوى ضد شارون أمام القضاء البلجيكي (ف).

أبو ردينة، كايد محمد	٢٤	فلسطيني	أ ب ج هـ ط م س ف
أبو ردينة، محمد دياب	٦٢	فلسطيني	أ هـ م س ف
؟ ـ (أمه آمال أبو ردينة)	جنين	فلسطيني	أ س
أبو سعيد، صالح أحمد		لم تحدد جنسيته	هـ
أبو سليمان، عوض سليمان		لم تحدد جنسيته	ح'
أبو سويد، صالح محمد	٦٥	فلسطيني	أ ب ج د ح ط م س
أبو شليح، محمد حسن	٣٥	فلسطيني	أ د
أبو طعمة، جمعة أحمد		فلسطيني	ح
أبو عزيز، عبد العزيز		فلسطيني	ح
أبو عيسى، محمد		فلسطيني	ح'
أبو ياسر، أحمد	٤٥	سوري	أ س
أبو ياسر، ناصر	١٢	سوري	أ س
أبو ياسر، نبال	٩	سورية	أ س
أبو ياسر، هدى (زوجة أحمد)	٤٣	لبنانية	أ س
أبو ياسر، ياسر	١٦	سوري	أ س
أبو يحيى، إسماعيل محمود	٥٢	جزائري	أ ب ج ط
أحمد، بدران		لم تحدد جنسيته	ح
أحمد، عبد الكريم		لم تحدد جنسيته	ح
أحمد، عدنان محمد		لم تحدد جنسيته	ط
أحمد، علي أحمد		لم تحدد جنسيته	ح'
أحمد، فاطمة (زوجة أمين محمد)		فلسطينية	ب ج ط
أحمد، فطوم (أم فاروق)	٤٠	مصرية	م
أحمد، محمود حميد		لم تحدد جنسيته	ح
أحمد، نزيه محمود	١٩	فلسطيني	أ د هـ
أخرس، جعفر الشيخ أحمد		لم تحدد جنسيته	ز
أسعد، جمال أسعد		لم تحدد جنسيته	د
أسعد، خالد علي	١٨	لبناني	أ هـ ع

أسعد، خليل أسعد	١٧	لم تحدد جنسيته	د					
أسعد، علي محمد	٥٣	لبناني	أ	د	هـ			
أسعد، محمد علي	٢٠	لبناني	أ	هـ				
اسكملجي، خالد محمد علي	١٦	لبناني	أ	ج	هـ			
اسكملجي، خديجة محمد علي	١٥	لبنانية	أ	ج	هـ			
اسكملجي، سوسن محمد علي	١٣	لبنانية	أ	ج	هـ			
اسكملجي، فتنة غندور (زوجة محمد)	٤٥	سورية	أ	ب	ج	هـ	ط	
اسكملجي، وليد محمد علي	٨	لبناني	أ	ب	ج	هـ	ط	
اسكندراني، سعاد محمد	٢١	لبنانية	هـ					
اسكندراني، سليم محمد	١٩	لبناني	ب	ج	هـ	ط		
إسماعيل، إنتصار	٢٨	فلسطينية	أ	د'	ل	س		
إسماعيل، حسين عبد الله		لم تحدد جنسيته	ح					
إسماعيل، شريفة حسين		لم تحدد جنسيتها	ز					
إسماعيل، فهد عبد	٦٥	لبناني	ج	هـ				
إسماعيل، قاسم محمد		لبناني	ب	ج	ز	ط		
إسماعيل، وحش محمد -	٧١	فلسطيني	أ	د				
أشوح، نبيه سعيد	٢٨	فلسطيني	أ	د	م			
أطرش، (الحاج) حسن		لم تحدد جنسيته	ز					
أطرش، صبحي موسى	٥٥	فلسطيني	أ	ج	د	هـ	و	م
أطرش، ماجد صبحي موسى	١٦	فلسطيني	أ	ج	د	هـ	و	م
أمين، فاطمة (زوجة محمد أحمد)		فلسطينية	ب					
أورلي، أحمد	٣٥	سوداني	أ	ز				
أيمن، حلاق		لم تحدد جنسيته	ح					
باشا، زينب يوسف		لم تحدد جنسيتها	ز					
باشا، علي محمود		لم تحدد جنسيته	ز					
بتار، فاطمة		لم تحدد جنسيتها	ج	هـ				
بحري، عباس		لم تحدد جنسيته	ب	ج	ط			
بدري، أحمد		لم تحدد جنسيته	ج					
بدوي، محمود		لم تحدد جنسيته	ح'					

برجي، حسين علي	٢٦	لبناني	ب ج ز ط
برجي، علي إبراهيم	٣٧	لبناني	أ ب ج هـ و'' ز ط ف
برجي، علي ملحم	١٤	لبناني	أ ب ج هـ ز ط ف
برجي، قاسم علي إبراهيم	١٤	لبناني	أ ب ج هـ و'' ز ط ف
برجي، محمد علي إبراهيم		لبناني	ج ز ط
بركة، جمال		فلسطيني	س
بركة، عبد السلام محمد	١٧	فلسطيني	أ د م
بشري، شريف		لم تحدد جنسيته	ح
بشير، ثنيا قاسم		فلسطينية	ب ج ط
بطحيش، حبيب		لم تحدد جنسيته	ح
بعبوع، بديعة أحمد	٧١	فلسطينية	أ هـ
بعلبكي، حسين محمد	٧١	لبناني	أ
بعلبكي، سميرة		لبنانية	س
بعلبكي، فاطمة		لبنانية	ز
بقاعي، إكرام حسين موسى (زوجة خالد)	٣٠	لبنانية	أ ب ج د هـ ط ل م س
بقاعي، حسين موسى	٦٠	لبناني	أ ب ج د هـ ط ل م س
بقاعي، خالد صالح	٤١	لبناني	أ ب ج د هـ ط ل م س
بقاعي، ربيع حسين موسى	١٩	لبناني	أ ب ج د هـ ط ل م س
بقاعي، شادي خالد صالح	٨	لبناني	أ ب ج د هـ ط ل م س
بقاعي، صلاح الدين		لبناني	ح

الاسم	العمر	الجنسية	الرموز
بقاعي، عماد خالد صالح	١٠	لبناني	أ ب ج د هـ ط ل م س
بقاعي، فادية خالد صالح	١٥	لبنانية	أ ب ج د هـ ط ل م س
بقاعي، وسام خالد صالح	٦	لبناني	أ ب ج د هـ ط ل م س
بكار، فاطمة	١٥	لبنانية	هـ
بكر، عدنان علي	٤٥	لبناني	ب ج ز ط
بكر، مصطفى عثمان	٧٢	سوري	أ ب ج ط
بكرو، محمد أحمد		لم تحدد جنسيته	ح
بلقيس، صالح صلاح		فلسطيني	ح‘
بلقيس، علي (أبو ماجد)	٦٥	فلسطيني	أ ل س
بلوط، لطيفة أحمد	٤١	لبنانية	ب ج ط
بوري، أحمد		فلسطيني	ب ط
بيومي، محمد زهير	١	فلسطيني	أ ل س
تركي، حسين محمد	٣٥	تركي	أ ز
تعبانة، سليم عبد الباسط	٢٢	لبناني	أ ب ج د‘ هـ ط ف
تعبانة، سميح عبد الباسط	٢٠	لبناني	أ ب ج هـ ط ف
توتونجي، فاطمة حسين		لم تحدد جنسيتها	ج
تون، حنين		لم تحدد جنسيته	ح
جابر، محمود علي		لم تحدد جنسيته	ز
جابر، نبيل جميل		لم تحدد جنسيته	ز
جادو، حسان ديب	٢٠	فلسطيني	ب ج د ط م
جانا، مصطفى محمد	٢٠	فلسطيني	هـ و
جبري، محمود مسعود	٢٠	فلسطيني	ب ج ط
جبيلي، (الحاج) فضل محمد		لم تحدد جنسيته	ز
جبيلي، (الحاج) مصطفى محمد		لم تحدد جنسيته	ز
جدعون، أحمد ديب	٦٨	فلسطيني	أ

الاسم	العمر	الجنسية	الرموز
جريدي، جنان سعيد	٣	فلسطينية	أ ب ج و'' ط
جريدي، سوزان سعيد	٥	فلسطينية	أ ب ج و'' ط
جريدي، فاطمة منصور راشد (زوجة سعيد)	٣١	فلسطينية	أ ب ج و''
جريدي، مريم سعيد	٧	فلسطينية	أ ب ج و'' ط
جريدي، نضال سعيد	٢	فلسطينية	أ ج و''
جشي، درويش عبد الله		لم تحدد جنسيته	د
جشي، محمد درويش عبد الله		لم تحدد جنسيته	د
جغلب، صالح عيسى		لم تحدد جنسيته	ح
جلال، خالد الشيخ		لم تحدد جنسيته	ح
جمعة، ماجد عيسى قاسم	١٢	فلسطيني	أ هـ ل س
جمعة، مريم (زوجة عيسى قاسم)	٤٣	فلسطينية	أ ل س
جميلة، رياض محمود	١٩	أردني	أ هـ
جميلة، سمر محمود	١٤	أردنية	أ
جهير، سعيد عبد الكريم	٢١	فلسطيني	أ هـ و ل
جواد، حسن علي		لم تحدد جنسيته	ز
جود، حسن		لم تحدد جنسيته	ز
جولاني، عبد الله سعيد		لم تحدد جنسيته	ط
حاج، جهاد علي	٢٤	فلسطيني	أ ب ج د' و'' ط س
حاج، خالد يوسف	٣٩	لم تحدد جنسيته	هـ م
حاج، رياض عبد الله	٢٨	لم تحدد جنسيته	و
حاج، سارة قاسم	٢٧	فلسطينية	أ س
حاج، سمر وليد	١	لبنانية	أ س
حاج، صالح يوسف	٤٣	فلسطيني	أ
حاج، علي غالب سميع		لم تحدد جنسيته	ز
حاج، غالب سميع		لم تحدد جنسيته	ز
حاج، محمود علي		لم تحدد جنسيته	ح
حاج، وسيم وليد	٢	لبناني	أ س
حافظ، سعيد أحمد	٢٥	مصري	أ و

الاسم	العمر	الجنسية					
حافي، عيسى محمود		لم تحدد جنسيته	هـ	م			
حامو، مصطفى		لم تحدد جنسيته	ح				
حجازي، عبدي		لم تحدد جنسيته	ز				
حجازي، عواطف		لم تحدد جنسيتها	ز				
حدرج، حسين عبد الأمين		لبناني	ز				
حرب، أحمد حسن	٢٠	لبناني	أ	ط	ع		
حرب، محمد حسن		لبناني	ب	ج			
حرب، محمود	٣٨	لبناني	ب	ج	ط		
حريري، محمود سليمان		لا جنسية له	ح'				
حريس، عبود عبد الله		لم تحدد جنسيته	ز				
حسن، أحمد يحيى		لم تحدد جنسيته	و''				
حسن، بدر الدين نايف		لم تحدد جنسيته	ح				
حسن، محمد إبراهيم		لم تحدد جنسيته	ح				
حسنة، أحمد توفيق سعيد		لم تحدد جنسيته	د'				
حسني، حسين محمد		فلسطيني	ج				
حسين، إسماعيل محمود	٤٢	فلسطيني	أ				-
حسين، إنتصار كمال		فلسطينية	ح'				
حسين، حسين علي	٢٤	فلسطيني	أ	س			
حسين، ربيع أحمد جبر	١١	فلسطيني	أ	هـ	س	ف	
حسين، رقية أمين	٣٨	مصرية	أ	ب	ج	هـ	ط
حسين، سعاد أحمد جبر	٩	فلسطينية	أ	هـ	م	س	ف
حسين، صالح	١٧	فلسطيني	ب	ج	ط	ف	
حسين، صالحة معروف (زوجة أحمد جبر)	٣٥	فلسطينية	أ	هـ	س	ف	
حسين، عبد الله جبر	٥٠	فلسطيني	أ	هـ	و	م	
حسين، عدنان		لم تحدد جنسيته	ح				
حسين، عربي		لم تحدد جنسيته	ح				
حسين، علي	٤٠	فلسطيني	ج	هـ	ط	م	ف
حسين، عماد أحمد جبر	١٣	فلسطيني	أ	هـ	م	س	ف
حسين، فادي الياس موسى	١٢	فلسطيني	أ	م	س	ف	

الاسم	العمر	الجنسية						
حسين، فادية الياس موسى	١٠	فلسطينية	أ	م	س	ف		
حسين، فضة جمعة	٧٠	فلسطينية	أ	هـ	م	س	ف	
حسين، فؤاد أحمد جبر	١٢	فلسطيني	أ	هـ	م	س	ف	
حسين، كارم أحمد جبر	١٧	فلسطيني	أ	هـ	و	م	س	ف
حسين، محمد أحمد جبر	١١	فلسطيني	أ	هـ	م	س	ف	
حسين، نديم مهدي	٤٦	لبناني	أ					
حسين، نوال أحمد جبر	١٠	فلسطينية	أ	هـ	م	س	ف	
حسيني، إحسان محمد		فلسطيني	ب	ج	ط			
حشمة، توفيق	٤٧	فلسطيني	أ	هـ	و	ل	م	س
حشيمي، دلال		لبنانية	ط					
حلاف، محمود محمد		لم تحدد جنسيته	ب	ج				
حلاوة، محمود محمد		لم تحدد جنسيته	ح					
حلاوي، علي موسى	٢١	لبناني	أ	هـ				
حلبي، أحمد عبد الله		لم تحدد جنسيته	ب	ج				
حلبي، أحمد محمد		لم تحدد جنسيته	ح					
حلبي، سميرة علي	١٨	لبنانية	أ	هـ	م			
حلبي، (الحاج) فاضل محمد		لبناني	ب	ج	ط			
حماد، فاطمة حسن	٣٥	لم تحدد جنسيتها	هـ	و				
حمدو، طه محمود		لم تحدد جنسيته	هـ	م				
حمدوه، أحمد	٤٥	فلسطيني	هـ					
حمدوه، محمد أحمد	٦	فلسطيني	هـ					
حمدوه، محمود أحمد	٤	فلسطيني	هـ					
حمزة، تيسير زيدان	٢٠	لا جنسية له	أ					
حمزة، حمزة زيدان	١٨	لا جنسية له	أ					
حمزة، زيدان محمد زيد	٤٥	لا جنسية له	أ					
حمزة، ناصر زيدان	١٦	لا جنسية له	أ					
حمصي، نادر		لم تحدد جنسيته	ح					
حمود، أحمد محمد		لم تحدد جنسيته	د					
حمود، خليل محمد	١٤	فلسطيني	أ	د	هـ			

حمود، رشد		لم تحدد جنسيته	ب ج ط
حمود، زينب أحمد		لم تحدد جنسيتها	ز
حمود، فادي موسى	١٧	فلسطيني	أ ب ج ط
حمود، هدى (زوجة محمد)	٤١	فلسطينية	أ ب ج د هـ ط
حمود، هنادي محمد	٩	فلسطينية	أ د هـ
حميد، فاطمة علي		لم تحدد جنسيتها	ز
حناوي، ديب حسين	٥٥	لبناني	أ ب ج د هـ ط س
حناوي، صالح يوسف		لم تحدد جنسيته	ز
حنبلي، عايشة محمد	٥١	فلسطينية	هـ م
حنبلي، محمد عبد الرحيم	٢١	فلسطيني	د
حنفي، محمد	١٨	مصري	أ هـ
حيدر، ــ (الأم زينب حسن إدلبي حيدر)	جنين	لبناني	أ س
حيدر، حسين محمد		لم تحدد جنسيته	ز
حيدر، رشدية مصطفى		لم تحدد جنسيتها	ز
حيدر، زينب حسن إدلبي (زوجة فهد)	١٧	فلسطينية	أ ب ج د و‘‘ ط ل م س ف
حيدر، شفيقات		باكستانية	ط
حيدر، علي يوسف		لم تحدد جنسيته	ز
حيدر، فهد علي	١٩	لبناني	أ ب ج د هـ و‘‘ ط ل م س ف
حيدر، فؤاد علي	١٤	لبناني	أ ب ج د هـ و‘‘ ط ل م س
حيدر، كلثوم محمد سلامة (زوجة علي)	٥٥	لبنانية	أ ب ج د هـ و‘‘ ط س ف
خالد، علي إبراهيم		لم تحدد جنسيته	ح
خالد، محمود		لم تحدد جنسيته	ح
خريبي، ماجد محمد (هاشم)	٢٧	فلسطيني	هـ م
خريس، عبود عبد الله		لم تحدد جنسيته	ز

الاسم	العمر	الجنسية	
خشاب، رقية أمين		لم تحدد جنسيتها	هـ
خضر، خالد علي		لم تحدد جنسيته	ح
خضور، إسماعيل أحمد	٦٥	لبناني	هـ
خطيب، آمنة علي حسين	٢٢	فلسطينية	أ هـ ل م س ف
خطيب، إبراهيم صبحي	١٨	لبناني	أ ب ج هـ و ف
خطيب، إمتثال علي حسين	١١	فلسطينية	أ هـ ل م س ف
خطيب، حسان صالح		لم تحدد جنسيته	ح'
خطيب، حسن عبد الله		لم تحدد جنسيته	ز
خطيب، حسين عبد الله		لم تحدد جنسيته	ح
خطيب، حسين علي حسين	٢٠	فلسطيني	أ هـ ل س ف
خطيب، حسين محمد	٢٠	فلسطيني	أ
خطيب، خالد أسعد		لم تحدد جنسيته	د
خطيب، خليل أحمد		لم تحدد جنسيته	ج
خطيب، ديبة (زوجة علي)	٤٣	فلسطينية	أ هـ ل م س ف
خطيب، سامي محمد	٣٠	فلسطيني	أ د'
خطيب، سوسن عبد الرحمن		لم تحدد جنسيتها	ح'
خطيب، صابر علي حسين	٢٤	فلسطيني	أ ج هـ ل م س ف
خطيب، صالح نايف		لم تحدد جنسيته	ح'
خطيب، عبد الرحمن أحمد	٣١	لبناني	أ ب ج هـ و'' ز ح' ط ف
خطيب، عصام محمد شحاده		لم تحدد جنسيته	و ط
خطيب، علي حسين	٤٦	فلسطيني	أ د هـ ل م س ف
خطيب، غالي أحمد		لبناني	ب ج ط
خطيب، غالية مصطفى	٧٣	فلسطينية	أ د ل م س ف
خطيب، ليلى عبد الرحمن		لم تحدد جنسيتها	ح'
خطيب، محمد حسن	٢٦	فلسطيني	أ
خطيب، محمود		لم تحدد جنسيته	ح

الاسم	العمر	الجنسية	
خطيب، مريم علي حسين	٧	فلسطينية	أ د هـ ل م س ف
خطيب، منذر علي حسين	١٢	فلسطيني	أ د هـ ل م س ف
خطيب، نادر علي حسين	١٤	فلسطيني	أ هـ ل م س ف
خطيب، نايف عبد الرحمن		لم تحدد جنسيتها	ح'
خطيب، وفاء عبد الرحمن		لم تحدد جنسيتها	ح'
خفاجي، علاء الدين		لم تحدد جنسيته	ز
خلف، محمود حمد	٣٧	سوري	ب ج ط
خليفة، حسن حميد مصطفى	١٥	فلسطيني	أ د هـ
خليفة، حسين حميد مصطفى	١٦	فلسطيني	أ د هـ
خليفة، حميد مصطفى	٤٤	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط
خليفة، محمد عبد	٥٢	فلسطيني	أ ب ج د هـ ز ط ف
خليل، حسين عباس	٢٦	لبناني	ب ج ط
خليل، خضر أحمد		لم تحدد جنسيته	ح
خليل، خليل إسماعيل	٢٢	لبناني	ب ج ط
خليل، خليل عبدو	١٩	لا جنسية له	أ
خليل، زهرة محمود	٧٠	لم تحدد جنسيتها	هـ م
خليل، صابر علي	٢٩	لبناني	ب ج ط
خليل، ناصر إسماعيل	٢٥	لبناني	ب ج ط
خميس، محمد	٤٤	مصري	أ
خياط، ماجد		لم تحدد جنسيته	ح
خير الدين، توفيق أسعد حسين		لم تحدد جنسيته	ز
خيزران، محمد عبد الله	٦٥	فلسطيني	هـ
دالاتي، محمود ياسين		لم تحدد جنسيته	ح
داوود، أحمد سليم	٢١	لم تحدد جنسيته	د
داوود، محمد		لم تحدد جنسيته	ح م
دايخ، فاطمة سليم		لم تحدد جنسيتها	د

الاسم	العمر	الجنسية	الرموز
درباس، أحمد		لم تحدد جنسيته	ح
دروبي، فريد محمد		لم تحدد جنسيته	ح
درويش، حيدر محمد	٢٣	لبناني	أ ج هـ
درويش، محمد		لبناني	ب ج ط
دسوقي، محمد وجيه	٤٢	فلسطيني	أ د‘
دغينو، أحمد حمدو	٤٨	سوري	أ ب ج ط م
دغينو، محمد أحمد	٦	سوري	أ م
دغينو، محمود أحمد	٤	سوري	أ م
دغينو، مريم عبد الرحمن (زوجة أحمد)	٣٧	فلسطينية	أ هـ م
دلبين، حسين علي	١٩	لبناني	أ هـ
دماش، سمير محمد	٢١	فلسطيني	أ ب ج ط
دوخي، علي عبد الله	٤٤	فلسطيني	أ ب ج د هـ و‘‘ ط م س ف ـ
دياب، محمد	٧٢	فلسطيني	أ و‘‘
ديب، أحمد خليل		لم تحدد جنسيته	ح
راشد، فاطمة منصور		لم تحدد جنسيتها	ج
رزق، علي إبراهيم		لم تحدد جنسيته	ز
رستم، عدنان فوزي		لم تحدد جنسيته	ح
رشيد، بديعة د. مراد (زوجة محمد علي)	٤٥	لبنانية	أ ب ج هـ و‘‘ ط س
رشيد، جميل		لم تحدد جنسيته	ح
رشيد، حيدر محمد علي	١٩	لبناني	أ ب ج ط س
رشيد، زينب محمد علي	١٤	لبنانية	أ هـ س
رشيد، علي محمد علي	١٠	لبناني	أ ب ج ط س
رشيد، محمود محمد علي	١٥	لبناني	أ هـ س
رعد، سعدية محمد	٧٠	لبنانية	أ ف
رمضان، رجاء علي	١٦	فلسطينية	أ ب ج ط
رمضان، محمود حسين		لم تحدد جنسيته	ح
ريان، عماد أحمد		لم تحدد جنسيته	ح

زتلي، جسوم كجكد	٢٤	فلسطيني	ج
زعبي، طه حسين		لم تحدد جنسيته	ح
زعرورة، وسام عبد الله	٨	فلسطيني	هـ م
زغزية، سعاد أحمد محمد		لم تحدد جنسيتها	هـ م
زلغوط، أحمد حسين	٢٧	لبناني	أ ب ج هـ ط
زمار، سلامة عزت	٤٧	فلسطيني	أ
زهر الدين، حسين عباس	١	لبناني	أ س
زهر الدين، صلاح عباس	١٣	لبناني	أ س
زهر الدين، محمد عباس	٦	لبناني	أ س
زهر الدين، نبيلة عباس	٣	لبنانية	أ س
زور، محمود ذار		لم تحدد جنسيته	ح،
زين، توفيق		لم تحدد جنسيته	ح
زين، محمد أحمد		لم تحدد جنسيته	ح
زين، محمد حسين		لم تحدد جنسيته	ز
زينة، حسين (الحاج أبو سليمان)	٧٥	فلسطيني	أ د س
زيوني، آمنة (زوجة محمد)	٤٣	لبنانية	أ
زيوني، أميرة محمد	٢٢	لبنانية	أ هـ
زيوني، جمال محمد	١٦	لبناني	أ هـ و
زيوني، سمير محمد قاسم	٢٥	لبناني	أ ب ج هـ ز ط
زيوني، سميرة سمير	٢٠	لبنانية	أ هـ
زيوني، سهيلة محمد	١١	لبنانية	أ
زيوني، عبد محمد	١١	لبناني	أ هـ و
سالم، أمينة طنان		لم تحدد جنسيتها	ز
سالم، حسن علي	٥٢	لم تحدد جنسيته	د
سالم، سالم محمد	٢٠	فلسطيني	أ د هـ
سالم، علي أحمد		لم تحدد جنسيته	هـ م
سامي، منذر		لم تحدد جنسيته	د،
سبع، خليل		لم تحدد جنسيته	ح
سردار، حسين عبد الرحمن		لم تحدد جنسيته	ز

سرساوي، عبد الله محمود	٥٢	فلسطيني	أ هـ م س
سرور، حسين عبد المنعم		لم تحدد جنسيته	ز
سريّس، جمال محمد حسين	١٩	فلسطيني	أ هـ م س
سعادة، محمد	٥٥	فلسطيني	ب ج ط
سعادي، عكولة محمد		لبناني	ط
سعد، آسيا محمد	٢٥	لبنانية	أ
سعد، إسماعيل أحمد	٦٠	فلسطيني	أ د هـ ح م س
سعد، عايشة محمود	٢١	لم تحدد جنسيتها	هـ م
سعد، عدنان		سوري	س
سعد، عفاف محمود	١٧	فلسطينية	أ ب ج د هـ ل م س ف
سعد، محمود محمد	٦٢	فلسطيني	أ د هـ ل م س ف
سعيد، أحمد توفيق	٦٠	لم تحدد جنسيته	د
سعيد، أحمد علي	٣٨	سوري	أ
سعيد، أحمد محمد	٤٠	فلسطيني	أ
سعيد، جهاد علي	٣٠	فلسطيني	أ
سعيد، فرج إبراهيم	٣٥	مصري	أ
سقا، خطار سليم		لم تحدد جنسيته	ح
سكر، محمد حسين		لم تحدد جنسيته	ح
سكرية، مرعي هولو	٤٥	لبناني	أ
سلام، محمد		لبناني	ب ج و'' ط
سلام، محمد حسن	٨٠	سوداني	أ ب ج و'' ز
سلامة، أحمد سعيد	٦٧	لم تحدد جنسيته	هـ م
سلامة، خديجة عقيل		لم تحدد جنسيتها	ز
سلامة، سامية	٢٥	لبنانية	ج
سلامة، سعيد (أبو أحمد)	٧٠	فلسطيني	ب ج ط س
سلامة، علي		لم تحدد جنسيته	ج
سلامة، محمد أمين		لم تحدد جنسيته	هـ م

الاسم	العمر	الجنسية				
سلوم، أحمد عبد الحسن	٢٨	لبناني	أ			
سليم، أكرم محمد شوكت	٢٠	لا جنسية له	أ			
سليم، جهاد محمد شوكت	١٦	لا جنسية له	أ			
سليم، خضر حسين	٤٠	لا جنسية له	أ			
سليم، محمد شوكت	٥٢	لا جنسية له	أ			
سليم، نضال محمد شوكت	١٤	لا جنسية له	أ			
سليمان، عرابي عبد الرحمن	٣٠	مصري	أ	د'	و''	س
سليمان، منير شوقي		لم تحدد جنسيته	ح			
سمرجي، إمام محمود علي	٢٥	مصري	أ	ج	د	
سهلي، نبيل		لم تحدد جنسيته	ح			
سوري، إبراهيم		لم تحدد جنسيته	ح			
سوقي، حسين	٢٥	سوري	هـ			
سيد، إسماعيل محمد		لم تحدد جنسيته	ز			
سيد، محمد	٥٥	فلسطيني	ج			
سيف الدين، ليلى		لم تحدد جنسيتها	ز			
شاكوش، صالح محمد		لم تحدد جنسيته	ح			
شاهين، سليم سعيد		لم تحدد جنسيته	هـ	م		
شبلي، أحمد		لم تحدد جنسيته	ح			
شحاده، سمير محمد	١٧	فلسطيني	أ	هـ	م	ف
شحاده، عبد الرحمن محمود		لم تحدد جنسيته	ح			
شحاده، محمد أحمد		لم تحدد جنسيته	د			
شحاده، منذر كايد		لم تحدد جنسيته	ح			
شحرور، علي كامل	٧٢	فلسطيني	أ	ج	هـ	ز
شحرور، محمد حسين	٦٥	لم تحدد جنسيته	هـ	م		
شعبان، علي عمر	٣٠	مصري	أ			
شعبان، محمد حسين	٣٥	لبناني	ب	ج	ط	
شكر، حسين محمد	١٧	لبناني	ب	ج	ط	
شكر، علي محمد	١٩	لبناني	ب	ج	هـ	ط
شمص، عارف عمر		لبناني	ب	ج		

شمص، عارف محمد	٢٢	لبناني	أ	ط	ف			
شمص، محمد راضي	٤٨	لبناني	أ	ب	ج	ط	ف	
شهاب، يحيى حميد	٣٤	فلسطيني	ب	ج	ط			
شوفاني، أحمد شحاده أحمد	٢	فلسطيني	أ	هـ	ل	س	ف	
شوفاني، ثنيا دياب خروب (زوجة أحمد)	٥٥	فلسطينية	أ	س	ف			
شوفاني، شحاده أحمد عزة	٢٨	فلسطيني	أ	هـ	ل	س	ف	
شوفاني، وفاء شحاده أحمد	٤	فلسطينية	أ	هـ	ل	س	ف	
شويكر، فيصل مصباح		لم تحدد جنسيته	ح					
شيباني، جليلة عيسى		لم تحدد جنسيتها	ز					
شيباني، حسن سامي		لم تحدد جنسيته	ز					
شيباني، علي سامي		لم تحدد جنسيته	ز					
شيباني، هدى أحمد		لم تحدد جنسيتها	ز					
شيخ، إبراهيم علي -	٤٥	لبناني	أ					
شيخ، ليلى أحمد	٣٠	سورية	أ	ب	ج			
شيخ، نبيه سعيد	٢٣	لم تحدد جنسيته	د					
صادق، عماد محمد	٢٣	لبناني	أ	ب	ج	ط	م	
صادق، نزار إبراهيم	٢٢	فلسطيني	أ	ب	ج	د'	و''	ط
صادق، وفاء محمد نجيب		لم تحدد جنسيتها	ز					
صالح، حسين علي		لم تحدد جنسيته	ط					
صالح، سامي خليل		لم تحدد جنسيته	هـ	م				
صالح، منيرة محمد		لم تحدد جنسيتها	ز					
صاوي، (الحاج) علي حسن		مصري	ج					
صغير، جمعة عبد الزين	٤٥	فلسطيني	أ					
صغير، منى عباس محمد	١٥	لبنانية	أ	هـ	و			
صغير، موسى جمعة	١٨	فلسطيني	أ					
صفا، إلهام رضا		لم تحدد جنسيتها	ز					
صوان، عصام محمد		لم تحدد جنسيته	ح					
صيداوي، علي أحمد		لبناني	ح					
ضاهر، سعدى عباس (زوجة محمد)	٤٥	لبنانية	أ					

ضاهر، شكيب أسعد	٥٥	لبناني	أ ب ج و‘‘ ط ع
ضاهر، محمد سلمان	٧٩	لبناني	أ ب ج هـ و‘‘ ز ط
ضاهر، منير خليل		لم تحدد جنسيته	ح
ضيا، هويدا كمال		لم تحدد جنسيتها	ز
طالب، فايزة أمين	٥١	لبنانية	أ ب ج هـ ط س
طالب، نجيب محمد		لم تحدد جنسيته	ز
طقوش، فريد عبد الرحمن		لم تحدد جنسيته	ز
طنطوري، يوسف ديب	٢٢	لم تحدد جنسيته	د
طه، سعاد محمد محمود	٣٧	فلسطينية	هـ م
طه، كامل محمود	٤٢	فلسطيني	هـ م
طه، محمد أحمد	٥٨	فلسطيني	أ د‘ م
طه، محمد كامل	١٥	فلسطيني	هـ م
طه، محمود كامل	١٧	فلسطيني	هـ م
طهماز، أحمد علي		لم تحدد جنسيته	ز
طويل، موسى خليل		لم تحدد جنسيته	ز -
طيطي، حسين صالح	٥٥	فلسطيني	أ م س ف
طيطي، سامية إبراهيم طالب (زوجة محمد)	٢٥	لبنانية	أ ب ج س
طيطي، صالح حسين صالح	٢١	فلسطيني	أ د هـ م س ف
طيطي، طارق محمد	٥	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط م س
طيطي، محمود محمد	١	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط م س
عاصي، خالد محمد	٢٠	فلسطيني	ب ج ط
عايد، أحمد توفيق		فلسطيني	د
عايدي، إبراهيم مصطفى سعيد	١٧	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط ل م س ف
عايدي، حسين مصطفى سعيد	٢٢	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط ل م س ف

عايدي، سعيد مصطفى سعيد	٢٧	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط م س ف
عايدي، مصطفى سعيد	٧٥	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط ل م س ف
عايدي، موسى مصطفى سعيد	٣١	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط ل م س ف
عباس، أحمد غيث	٧٥	فلسطيني	أ
عبد الحليم، مصطفى عبد الحليم		فلسطيني	د'
عبد الخالق، محمد أحمد		لم تحدد جنسيته	ز
عبد الرحمن، علي صالح	٦٠	فلسطيني	أ هـ و م
عبد الرحمن، مريم إبراهيم	٤٠	فلسطينية	هـ
عبد السلام، عبد المنعم	٢٣	مصري	أ د'
عبد العال، علي فهيم		لم تحدد جنسيته	ح
عبد الفتاح، محمود قاسم	٣٥	فلسطيني	أ هـ م
عبد القادر، عدلي سليم		لم تحدد جنسيته	ح
عبد اللطيف، رضا	٢٢	مصري	أ د'
عبد الله، جميلة أحمد	١٣	فلسطينية	أ س
عبد الله، حسن عبد الله	٦٠	فلسطيني	أ ب ج ط
عبد الله، حسين كامل		فلسطيني	ز
عبد الله، داوود سليمان		لم تحدد جنسيته	ز
عبد الله، طرفة م. حسين (زوجة محمود)	٦٥	فلسطينية	أ س
عبد الله، فواز حسن	٣٥	لا جنسية له	أ
عبد الله، نوال حسن	٥	فلسطينية	أ ب ج ط ل
عبد الله، يوسف حسن	٣	فلسطيني	أ ب ج ط
عبود، زهير		لم تحدد جنسيته	ح
عبود، عايد		لم تحدد جنسيته	ح
عتريس، محمد حسين		لم تحدد جنسيته	ح
عثمان، سلمى سليم		لم تحدد جنسيتها	ز
عثمان، علي		فلسطيني	د' ل س

عثمان، محمد صدقي		لم تحدد جنسيته	ح		
عثمان، محمد صفدي		لم تحدد جنسيته	ح		
عثمان، هارون عبد	٢٢	فلسطيني	س		
عزيز، محمد خليل		لم تحدد جنسيته	ز		
عسيلي، محمد علي إبراهيم		لم تحدد جنسيته	ز		
عطوات، عبد الغني	٦١	فلسطيني	أ	د	هـ
عطوات، يوسف عبد الغني	٣٢	فلسطيني	أ	د	هـ
عطية، بهيجة خليل		لم تحدد جنسيتها	ز		
عطية، توفيق الحاج علي		لم تحدد جنسيته	ز		
عفو، نور الدين		لم تحدد جنسيته	ج		
عفيفي، محمد رمضان سليم		لم تحدد جنسيته	ح		
عقل، عماد أحمد	٥١	لبناني	هـ	ح	م
عكيلي، (أبو غازي)	٦٢	فلسطيني	أ	س	
عكيلي، حسن عوض	٤٥	فلسطيني	هـ	م	
عكيلي، خالد أحمد	٧	فلسطيني	هـ	م	
عكيلي، عمر أحمد	٣٥	فلسطيني	هـ	م	
علاء الدين، ديب	٢٠	لبناني	هـ		
علاء الدين، زينب عبد	٢٠	لبنانية	أ		
علامة، علي	٣٥	لبناني	ج	د،	و
علامة، نجيب محمد سعيد		لم تحدد جنسيته	ز		
علوان، صبحي حسين		لم تحدد جنسيته	ح		
علوية، (الحاج) حبيب		لم تحدد جنسيته	ز		
علوية، خضر يوسف نعيم	٢٢	لبناني	أ	ب	ج د ط
علوية، خيرية (أم يوسف)	٥٥	لبنانية	أ	ب	ج د ط
علوية، زينب يوسف نعيم	٢٠	لبنانية	أ	د	
علي، أحمد إبراهيم	٥٥	لم تحدد جنسيته	د		
علي، إمام محمود	٤٢	مصري	أ		
علي، جمال محمد		لم تحدد جنسيته	ح		
علي، حسن خليل	٢٥	فلسطيني	ج		

علي، حسين علي ٢٥ فلسطيني أ ب ج د هـ س ف

علي، خالد محمد سليمان ٢٠ فلسطيني أ ب ج هـ ط م

علي، عصام مصطفى لم تحدد جنسيته هـ

علي، عماد محمد مصطفى لم تحدد جنسيته ح

علي، عيده (أبو مصطفى) لم تحدد جنسيته ح

علي، محمد سليمان ٥٠ فلسطيني أ ب ج هـ ط م

عماش، خالد موسى لم تحدد جنسيته ح

عمر، سليم ياسين لم تحدد جنسيته ح'

عمر، شكري رمضان لم تحدد جنسيته ح'

عميري، أسامة لم تحدد جنسيته ز

عنان، أحمد محمد ٤٥ لم تحدد جنسيته د

عنبر، عادل لم تحدد جنسيته ح

عنتر، حميد ٣٥ سوري أ س

عنتر، خالد حميد ١٣ سوري أ س

عنتر، محمد حميد ١٥ سوري أ س

عواضة، (الحاج) محمد خليل لم تحدد جنسيته ز

عودة، فضة رشيد نايف ٤١ فلسطينية د' م

عوض، حسين سعود ١٢ فلسطيني أ هـ س

عوض، فاطمة سعود ١٤ فلسطينية أ هـ س

عوض، ميسر سعود ٢٢ فلسطينية أ هـ س

عوض، نور الدين سعود ٢٥ فلسطيني أ ب ج هـ ط س

عوف، محمد حنفي ٢٢ مصري أ

عيد، عبد الله محمد خراساني ٣٢ إيراني أ ب ج د هـ ط

عيد، علي حسين لم تحدد جنسيته ح'

عيد، محمد ٣٠ سوري س

عيسى، أيمن محمد لم تحدد جنسيته ح

عيسى، ثنيا محمد ٧٠ فلسطينية هـ م

عيسى، محمد علي لم تحدد جنسيته ح

غانم، سيد أحمد	٤٠	مصري	أ	د‘		
غانم، محمود عيسى		لبناني	ط			
غباين، عبد السلام سالم	١٩	لم تحدد جنسيته	د			
غز، محمد خليل		لم تحدد جنسيته	ز			
غصن، فاطمة أسعد وهبه		لم تحدد جنسيتها	ز			
غنام، علي حسين	٣٢	لبناني	ب	ج	ط	
غنام، محمد علي حسن	٢٢	لم تحدد جنسيته	ج			
غندور، عباس صادق		لم تحدد جنسيته	ز			
غندور، يوسف	٥٠	سوري	أ	ب	ج	ط
غوش، محمد خليل		لم تحدد جنسيته	ز			
فارس، أحمد محمد		لم تحدد جنسيته	ح‘			
فارس، خالد	٥٠	لا جنسية له	هـ			
فارس، فاطمة	٥٠	لا جنسية لها	هـ			
فاروق، ـ (الأب)		لم تحدد جنسيته	و‘‘			
فاروق، ـ (الأم)		لم تحدد جنسيتها	و‘‘			
فاروق، ـ (ابن ١)		لم تحدد جنسيته	و‘‘			
فاروق، ـ (ابن ٢)		لم تحدد جنسيته	و‘‘			
فاروق، ـ (ابن ٣)		لم تحدد جنسيته	و‘‘			
فتوح، محمد كامل		لم تحدد جنسيته	ح			
فحام، إسماعيل يوسف		لم تحدد جنسيته	ح			
فحص، رضا كامل		لم تحدد جنسيته	ز			
فرج، إبراهيم عبد الله		لم تحدد جنسيته	ح‘			
فرج، بهية عبد الله		لم تحدد جنسيتها	ح‘			
فرج، عايدة		لم تحدد جنسيتها	ح‘			
فرج، فؤاد زعل		لم تحدد جنسيته	ح‘			
فرج، فادية زعل		لم تحدد جنسيتها	ح‘			
فرج، نجلاء عبد الله		لم تحدد جنسيتها	ح‘			
فرج، نجوى عبد الله		لم تحدد جنسيتها	ح‘			
فرج، نهاد عبد الله		لم تحدد جنسيتها	ح‘			

فرج، هالة عبد الله		لم تحدد جنسيتها	ح‘					
فرحات، ربيحة مصطفى		لم تحدد جنسيتها	ز					
فرحات، وجيه		لبناني	ب	ج	ط			
فرفور، سمير عبد الفتاح	٣٠	مصري	أ	د‘				
فريج، حسن عبد الله	٤٢	فلسطيني	م					
فريجة، خالد محمد حسين	١٣	فلسطيني	أ					
فريجة، محمد حسين	٤٠	فلسطيني	أ					
فقيه، فاطمة محمد	١٤	لبنانية	أ	هـ	و	س	ف	
فقيه، ليلى محمد	٣	لبنانية	أ	هـ	و	س	ف	
فهماوي، محمود		لم تحدد جنسيته	ب	ج	ط			
فؤاد، محمد حسين		لم تحدد جنسيته	ب	ج	ط			
فواز، محمد علي حسن		لم تحدد جنسيته	ز					
فياض، تميمة درويش مراد (زوجة علي)	٤٧	لبنانية	أ	هـ	و	ل	س	ف
فياض، عباس علي	١٩	لبناني	أ	هـ	ل	س	ف	
فياض، نجاح علي	٢١	لبنانية	أ	هـ	ل	س	ف	
فياض، نهى علي	١٨	لبنانية	أ	هـ	ل	س	ف	
قابي، أحمد		لم تحدد جنسيته	و‘‘					
قاسم، حسن ديب	٢٢	فلسطيني	أ	هـ				
قاسم، محمد قيصر	٦٥	فلسطيني	ب	ج				
قاسم، محمد متعب	٤٨	فلسطيني	أ	ب	هـ	ط		
قاسم، محمود	٤٥	أردني	هـ					
قاسم، منذر سامي	٢٣	فلسطيني	أ	د				
قاضي، إبتسام صالح دخيل	١٤	فلسطينية	أ	د	هـ	و	م	
قاضي، بسام صالح دخيل	١٨	فلسطيني	أ	د	هـ			
قاضي، جلال حسن	١٦	فلسطيني	هـ	و				
قاضي، حسام صالح دخيل	١٢	فلسطيني	أ	د	هـ	و	م	
قاضي، حسن	٥٠	فلسطيني	هـ					
قاضي، ساري أحمد	٨٠	فلسطيني	أ	هـ	و			
قاضي، صالح دخيل	٥٢	فلسطيني	أ	د	هـ	م		

الاسم	العمر	الجنسية	الرموز
قاضي، عصام صالح دخيل	١٠	فلسطيني	أ د هـ و م
قاضي، فهمي أحمد	٣١	فلسطيني	أ ج د هـ ط
قاضي، فواز ماضي	٤٣	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط
قاضي، محمد فارس	٢٣	فلسطيني	ب ج هـ و ط
قدوح، حازم عفيف		لم تحدد جنسيته	ز
قدوح، غيدا عفيف		لم تحدد جنسيتها	ز
قدوح، لما عفيف		لم تحدد جنسيتها	ز
قدورة، آمنة فايز		لم تحدد جنسيتها	ح‘
قدورة، إقبال		فلسطينية	ز
قدورة، بدران حسين	١٨	فلسطيني	أ د
قدورة، سعدى مصطفى	٢٣	فلسطينية	ب ج ط
قزاز، بسام عبد الحميد		لم تحدد جنسيته	ح‘
قسوات، محمد أحمد	٥٨	سوري	أ
قصاب، وحيد حاج مصطفى	٣٧	لم تحدد جنسيته	د
قطناني، محمد عبد الرحمن	٣١	فلسطيني	أ
كالوت، إنصاف علي		لبنانية	ز
كالوت، خديجة علي		لبنانية	ز
كالوت، فاطمة علي		لبنانية	ز
كانون، أحمد علي محمد	٢٥	سوري	أ ج
كانون، سكينة السيد (زوجة علي)	٥٦	لبنانية	أ ج
كانون، علي محمد ياسين	٦١	سوري	أ ج
كانون، يحيى علي محمد	١٤	سوري	أ ج
كردي، يوسف	٣٠	تركي	أ هـ
كركي، حسين حبيب		لم تحدد جنسيته	ز
كرملي، توفيق محسن	٦٠	فلسطيني	ب ج ط
كرمو، ــ (زوجة نايف محمد)	٣٥	لا جنسية لها	أ
كرمو، توفيق محسن	٧١	لا جنسية له	أ
كرمو، جميل محسن	٧٨	لا جنسية له	أ هـ ع
كرمو، حميد جميل محسن	٢٩	لا جنسية له	أ هـ

الاسم	العمر	الجنسية	
كرمو، خالد جميل محسن	٤٠	لا جنسية له	أ هـ ع
كرمو، علي محمد	٣١	لا جنسية له	أ
كرمو، محمد	٨٠	لا جنسية له	أ
كرمو، نايف محمد	٤٢	لا جنسية له	أ
كلاب، جميل		لم تحدد جنسيته	ب ج ط
كلالي، أحمد عبد الله		لم تحدد جنسيته	ج ط
كليب، أحمد حسن عبد الله	١٨	فلسطيني	أ هـ و
كليب، حسن عبد الله	٥١	فلسطيني	أ هـ و ل
كوسراني، محمد عبد الله		إيراني	ط
كيركي، حسين حبيب		لم تحدد جنسيته	ز
كيوان، جميل فرحان	٤٣	سوري	أ ب ج ط
لحام، سامي		فلسطيني	د'
لداوي، محمد	٥٢	فلسطيني	أ
لمع، مروان		لم تحدد جنسيته	ح
ماجد، مايا نبيل محمد		لم تحدد جنسيتها	ز
ماجد، نبيل محمد		لم تحدد جنسيته	ز
ماضي، أحمد يونس	٢٠	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط ل م س ف
ماضي، ماضي يونس	١٧	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط ل م س ف
ماضي، محمد يونس	١٤	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط ل م س ف
ماضي، يونس	٦٥	فلسطيني	أ ب ج د هـ ط ل م س ف
مبارك، علي حسن		لبناني	ب ج ز ط
مبارك، ممدوح علي		لم تحدد جنسيته	ح
مبدأ، عبد الرحيم		فلسطيني	د'
مجدوب، محمد عبد	١٧	فلسطيني	أ
مجدوب، محمود عبد	٣٥	فلسطيني	أ

محسن، توفيق كرما	٦٥	لبناني	أ
محسن، موسى توفيق كرما	٣٥	لبناني	أ
محمد، أحلام خالد يوسف	١	فلسطينية	أ ل س
محمد، أكرم خالد يوسف	٩	فلسطيني	أ ج هـ ط م س
محمد، إيمان أحمد موسى	٦	فلسطينية	أ ج هـ ط م س
محمد، إيمان خالد يوسف	٧	فلسطينية	أ ج هـ ط م س
محمد، بهاء خالد يوسف	١٢	فلسطينية	أ ج هـ ط م س
محمد، خالد يوسف	٤٧	فلسطيني	أ ب ج هـ ط م
محمد، خولة (زوجة يحيى)	٢٥	فلسطينية	أ ل س
محمد، رقية أنور	٣٥	مصرية	م
محمد، زهرة (زوجة أحمد موسى)	٤٠	فلسطينية	أ ج هـ ط م س
محمد، سامر خالد يوسف	٢	فلسطيني	أ ج ط م س
محمد، سعد كوسا		لم تحدد جنسيته	ح
محمد، سعيد طه	٣٨	فلسطيني	هـ م
محمد، سميرة	١٨	فلسطينية	هـ
محمد، سناء خالد يوسف	١٧	فلسطينية	أ ج هـ ط م س
محمد، سهيلة خالد يوسف	١٩	فلسطينية	أ ج هـ ط م س
محمد، عايدة أحمد موسى	١٦	فلسطينية	أ ج هـ ط م س
محمد، عنايات الله بشير	٢٧	باكستانية	أ ب ج ط
محمد، غصوب محمد		لم تحدد جنسيته	ح
محمد، فادية أحمد موسى	٧	فلسطينية	أ ج هـ ط م س
محمد، فاطمة (زوجة خالد)	٤٤	فلسطينية	أ ب ج هـ ط م س
محمد، ليلى خالد يوسف	١١	فلسطينية	أ ج هـ ط م س
محمد، محمد سليم	١٩	لا جنسية له	أ
محمد، معين أحمد موسى	١١	فلسطيني	أ ج هـ ط م س
محمد، مفيد أحمد موسى	١٥	فلسطيني	أ ج هـ ز ط م
محمد، منال خالد يوسف	٥	فلسطينية	أ ج هـ ط م س
محمد، يحيى أحمد	٣٠	فلسطيني	أ ل س

محمود، أحمد	٤٠	فلسطيني	هـ
محمود، أحمد محمد	٢٣	فلسطيني	د
محمود، أرشاد	٢٧	باكستاني	أ ب ج ط
محمود، إسماعيل		جزائري	ج
محمود، عبد الجليل محمد		لم تحدد جنسيته	ح'
محمود، نزيه		لبناني	ب ج ط
محو، عبد الناصر ضاهر		لم تحدد جنسيته	ح
مراد، حسن عادل		لم تحدد جنسيته	ز
مرتضى، أديب حسن	٣٣	لبناني	أ ع
مرتضى، مروان خليل		لم تحدد جنسيته	ز
مرعي، بسام سرور محمد	١٢	فلسطيني	أ ج د هـ ح ل م س ف
مرعي، ديبة حسن		لم تحدد جنسيتها	ح'
مرعي، رسمي محسن	٤٢	لا جنسية له	أ هـ
مرعي، زكريا محسن	٢٢	لا جنسية له	أ هـ ع
مرعي، سرور محمد سعيد	٤٣	فلسطيني	أ ب ج د هـ ح ط م س ف
مرعي، شادي سرور محمد	٣	فلسطيني	أ هـ ح ل م س ف
مرعي، شادية سرور محمد	٢	فلسطينية	أ ب ج د هـ ح ل م س ف
مرعي، علي رسمي محسن	١٢	لا جنسية له	أ هـ
مرعي، فريد سرور محمد	٦	فلسطيني	أ ب ج د هـ ح ل م س ف
مرعي، محسن رسمي محسن	٩	لا جنسية له	أ هـ
مرعي، يحيى محسن	٢٤	لا جنسية له	أ هـ ع
مروة، إبراهيم محمد		لم تحدد جنسيته	ز
مسلخ، أبو جهاد		لم تحدد جنسيته	ح
مشورب، محمد حسن		لم تحدد جنسيته	ز

الاسم	العمر	الجنسية	الرموز
مصري، سيد محمد	٣٠	مصري	أ
مصري، عايشة فايز أبو طيونة	٣٥	فلسطينية	أ ج ز
مصري، فؤاد خالد		لم تحدد جنسيته	ح
مصري، محمود محمد		لم تحدد جنسيته	ح
مصطفى، إحسان محمد		لم تحدد جنسيته	ح
مصطفى، خالد مصطفى	١٦	لا جنسية له	أ هـ ع
مصطفى، رياض مصطفى	٢٣	لا جنسية له	أ هـ
مصطفى، صالح أحمد	٣٤	مصري	أ
مصطفى، محمد	٧٣	لا جنسية له	أ
مصطفى، محمد مصطفى	٢١	لا جنسية له	ع
مصطفى، مصطفى		فلسطيني	ب ج ط
مطر، خديجة يحيى	٣٢	فلسطينية	أ هـ س
مطر، سهيلة عبد الرحيم	٣٤	فلسطينية	هـ م
مطر، محمد عدنان	١٨	فلسطيني	أ ب ج هـ ط م
مطر، محمد علي		فلسطيني	ز .
معباط، فايزة		لم تحدد جنسيتها	ط
معروف، زياد عبد الله	٣١	فلسطيني	أ ب ج د' هـ و'' ط س
معروف، عصام		فلسطيني	د' ح'
معروف، محمد		فلسطيني	د
معروف، نجيبة علي	٣٠	سورية	م
مغربي، أحمد	٢٥	سوري	ب ج و''
مغربي، أحمد صبح		فلسطيني	هـ
مغربي، أحمد محمد	٣٠	فلسطيني	ب هـ ح ط م
مغربي، خالد سليم	١٨	فلسطيني	أ هـ س
مغربي، خولة محمد سعد (زوجة أحمد)		فلسطينية	هـ م
مغربي، صبحي محمد	٤٣	فلسطيني	أ هـ س
مغربي، عامر سليم	١٦	فلسطيني	أ هـ س
مغربي، محمد أحمد		فلسطيني	ح

مغربي، محمود		فلسطيني	ح
مقداد، ــ (أمه إلهام مقداد)		جنين لبناني	أ س
مقداد، ــ (أمه زينب مقداد)		جنين لبناني	أ س
مقداد، ــ (أمه وفاء مقداد)		جنين لبناني	أ س
مقداد، ألفت عبد الرؤوف	٢	لبنانية	أ ج ز س
مقداد، إلهام (زوجة عبد الرؤوف)	٢٧	لبنانية	أ ب ج هـ ز ط س ف
مقداد، حسن محمد		لبناني	ز
مقداد، حسين ضاهر	٤٠	لبناني	أ ب ج هـ ز ط س ف
مقداد، حسين ياسر ضاهر	٨	لبناني	أ ج هـ ز ط س ف
مقداد، رضا حسين علي	٦٢	لبناني	أ ب ج ز ط س ف
مقداد، رفاق ياسر ضاهر	١	لبنانية	أ ز س
مقداد، زينب عبد (زوجة ياسر ضاهر)	٣٠	لبنانية	أ ب ج ز ط س ف
مقداد، صفاء حسين ضاهر	١	لبنانية	أ ب ج ز ط س
مقداد، عبد الرؤوف	٤٠	لبناني	أ ج ز س
مقداد، عدنان ياسر ضاهر	٦	لبناني	أ ز س
مقداد، علي حسين إسماعيل	٦٥	لبناني	أ د ز س ف
مقداد، فادي ياسر ضاهر	١٠	لبناني	أ ج هـ ز س ف
مقداد، فاطمة عبد الرؤوف	٣	لبنانية	أ ج ز ط س
مقداد، فاطمة وهبة (زوجة علي حسين)	٦٢	لبنانية	أ ج د هـ ز س ف
مقداد، فايزة ياسر ضاهر	١٦	لبنانية	أ ب ج هـ س ف
مقداد، فريال ياسر ضاهر	١٣	لبنانية	أ ج هـ ز س
مقداد، فريزة دياب (أم يوسف)	٦٠	لبنانية	أ ج س
مقداد، محاسن عبد الرؤوف	٧	لبنانية	أ ج ز س

مقداد، محمد حسين ضاهر	٨	لبناني	أ ب ج هـ ز ط س
مقداد، محمد علي		لبناني	ز
مقداد، ميرفت عبد الرؤوف	١٢	لبنانية	أ ز س
مقداد، ناريمان عبد الرؤوف	١١	لبنانية	أ ب ج ز ط س
مقداد، نسرين عبد الرؤوف	٧	لبنانية	أ ج ز س
مقداد، نوفا		لبنانية	ب ج ط س
مقداد، وفاء حمود (زوجة حسين ضاهر)	٣٠	لبنانية	أ ب ج ز ط س ف
مقداد، ياسر حسين ضاهر	٦	لبناني	أ ب ج ز س ف
مقداد، ياسر ضاهر	٣٥	لبناني	أ ب ج هـ ز ط س ف
مقداد، يوسف عبد القادر	٢٢	لبناني	أ ج ز ط س ف
مقدم، عباس صادق		لم تحدد جنسيته	ز
مكية، أحمد سلامة	١٨	فلسطيني	ج
مكية، فاروق سلامة	١٩	فلسطيني	أ
مكية، منير سلامة	٢٠	فلسطيني	ج
ملاح، خالد رفيق		لم تحدد جنسيته	ح
ملحم، عبد الله		لبناني	ج
ملحم، علي		لبناني	ب ج
منادي، (الحاج) علي حسين		لم تحدد جنسيته	ب ج ط
منصور، علي عبدو	٥	لبناني	أ
مهجاوي، محمد عباس		لم تحدد جنسيته	ج
مهنا، علي حسن	٢٠	لبناني	أ ب ج هـ ز ط
موسى، مازن محمود	١٢	فلسطيني	أ
موسى، محمود علي		لم تحدد جنسيته	ز
موسى، محمود محمد	٣٤	فلسطيني	أ
موسى، مصطفى		فلسطيني	ف
موسى، منير محمد	٢٠	فلسطيني	أ

موسوي، أحمد صالح	٥٨	لبناني	ب ج ط
موسوي، حسن سيد	٤٢	لبناني	أ هـ و ط ع
موسوي، حسين صالح	٤٥	لبناني	ب ج ط
موسوي، عبيري		لم تحدد جنسيته	ج
موسوي، محمد سلمان		لبناني	ز
ميناوي، بلال أحمد	١٨	فلسطيني	أ د
ميناوي، علي خميس		فلسطيني	ز
نابلسي، عماد أحمد	٢٦	فلسطيني	هـ م
نابلسي، محمد	٣٥	فلسطيني	أ هـ ل س
ناصر، حسين عبد الرضا	٤٢	لبناني	أ ز س
ناصر، محمد علي		لم تحدد جنسيته	ح
ناصر، وحيد	٣٥	سوري	ب ج ط
ناصر الدين، حسن خليل		لم تحدد جنسيته	ز
ناصر الدين، علي فهد		لم تحدد جنسيته	ز
ناصيف، علي عيسى	٦٥	فلسطيني	أ هـ
نجا، بلال جورج		لم تحدد جنسيته	ب ج ط
نجار، جمال سليم خضر	٢٠	فلسطيني	هـ
نجار، حسين حسن أحمد	٤٥	فلسطيني	أ س
نجم، عليا محمد صالح	٥٢	لم تحدد جنسيتها	د
نحال، أميرة		مصرية	ط
نزال، محمد سليم	٣٣	فلسطيني	أ
نزال، محمد محمود	٣٠	فلسطيني	ب ج ح ط
نصار، خليل صالح		لم تحدد جنسيته	هـ م
نعمان، علي		لم تحدد جنسيته	ح
نعمة، (الحاج) نعيم علي	٨٠	لبناني	أ ب ج هـ و‘‘ ز ط
نمر، وهيب		لم تحدد جنسيته	ج
نور، محمد رياض أحمد		باكستاني	ب ج ط
نور الدين، بسام شريف		لم تحدد جنسيته	ز

الاسم	العمر	الجنسية	الرموز
نور الدين، ربى حسن		لم تحدد جنسيتها	ز
نور الدين، مصطفى أحمد		لم تحدد جنسيته	ز
نوري، عدنان	٩٠	فلسطيني	أ و''
نونو، أحمد أحمد		لم تحدد جنسيته	د'
نونو، فايزة عبدو أنيس	٢٢	فلسطينية	ج و
نونو، فرج عبدو	٢٢	فلسطيني	أ ج هـ
نونو، محمد أحمد		فلسطيني	د'
نونو، محمود أحمد		فلسطيني	د'
هاشم، عبد الله أحمد		لبناني	ب ج
هاشم، عبد الهادي أحمد	٤٥	فلسطيني	أ ج ط ل س
هاشم، ياسين عبد المنعم		لم تحدد جنسيته	ز
هبرات، آمال حليوي (زوجة مصطفى)	٢٧	جزائرية	أ د هـ س
هبرات، سيرين مصطفى موسى	٦	فلسطينية	أ د هـ س
هبرات، مروان مصطفى موسى	١	فلسطيني	أ د هـ س
هبرات، موسى عبد الحليم	٥٣	فلسطيني	أ د . هـ س
هبرات، موسى مصطفى موسى	٤	فلسطيني	أ د هـ س
هرامشة، خالد فارس	٥٥	لا جنسية له	أ
هرامشة، فاطمة (زوجة خالد)	٥٢	لا جنسية لها	أ
هلال، محمد سلمان	٤٢	لبناني	ب ج ط
هلال، ياسر محمد		لم تحدد جنسيته	ب ج ط
همدر، عصام أحمد		لم تحدد جنسيته	ز
هندي، عبد المجيد		لم تحدد جنسيته	ح
هويدي، سليم محسن	٧٢	سوري	أ ج هـ
هويلي، (الحاج) محمد		لم تحدد جنسيته	ز
والي، حسن محمد	٢٤	فلسطيني	أ ب ج هـ و'' ط ع
والي، حسين محمود	٥٨	فلسطيني	ج
وعرية، فكرية		فلسطينية	د'
وهبة، ــ (أمه ناهد سعد)		جنين فلسطيني	أ س

الاسم	العمر	الجنسية	
وهبة، إبراهيم خليل محمود	١	فلسطيني	أ ب ج هـ و‘‘ ط م س
وهبة، أحمد مفلح		فلسطيني	هـ م
وهبة، (الحاج) حسين محمد		لم تحدد جنسيته	ز
وهبة، خضر محمود	١٠	فلسطيني	هـ م
وهبة، علي محمود	٢٠	فلسطيني	أ د
وهبة، فاطمة أحمد سرية (زوجة خليل)	٢٣	فلسطينية	أ ب ج هـ و‘‘ ط م س
وهبة، فيصل محمود	٣٥	فلسطيني	أ ب ج هـ ط م س
وهبة، محسن محمد	٤٧	لبناني	ب ج ط
وهبة، ناهد سعد (زوجة علي)	١٧	لبنانية	أ ب ج هـ و‘‘ ط م س
وهبة، نجلا سعيد طه (زوجة وهبة)	٦٧	فلسطينية	أ ب ج هـ و‘‘ ط س
ياسين، سليم حبيب		لم تحدد جنسيته	ز
ياسين، عباس حسين		لم تحدد جنسيته	ز
ياسين، علي حسين		لم تحدد جنسيته	ز
ياسين، عيسى عبد الرحيم		لم تحدد جنسيته	ح
ياسين، محمود		لم تحدد جنسيته	ح
يحياوي، يوسف أحمد حمدان	٢٣	لم تحدد جنسيته	د
يحيى، أحمد		لم تحدد جنسيته	ح‘
يحيى، علي ناصر		فلسطيني	هـ
يحيى، يوسف أسعد		لم تحدد جنسيته	م
يسير، عصام	٢٥	فلسطيني	س
يماني، سالم		لم تحدد جنسيته	ح
يوسف، رياض عبد الله	٣٤	فلسطيني	أ د هـ
يوسف، صالح علي حسين		لم تحدد جنسيته	ح
يوسف، عباس حاوي		لبناني	ب ج ط

الاسم	العمر	الجنسية	الرموز
يونس، حسن محمد	٧٦	لم تحدد جنسيته	هـ م
يونس، حسين محمود	٧٥	لبناني	أ ج د هـ
يونس، محمد عبد	٣٠	فلسطيني	أ هـ م
آمنة	٤٠	لبنانية	هـ و''
أبو رتيبة	٦٤	تونسي	أ هـ
أبو ركابي		جزائري	ب ج ط
أبو طارق	٥٧	لبناني	أ
أبو فادي	٢٠	فلسطيني	ج
أبو فريد	٢٨	فلسطيني	أ
أبو قاسم	٩٠	لبناني	ج
أبو كفاح	٢٦	لبناني	و'' س
أبو نبيل	٤٠	فلسطيني	ج
أبو نضال	٢٤	سوري	أ س
إحسان	٣٥	فلسطيني	هـ
أحمد		لم تحدد جنسيته	س
إمام		مصري	د'
بسام	١١	لم تحدد جنسيته	ب ط
جمال		لم تحدد جنسيته	و''
حسين	٢٥	فلسطيني	أ هـ
حسين	٣١	تركي	أ هـ
حمدي	٣٥	مصري	أ د'
حميد عزيز	٣٤	لا جنسية له	أ
خليل	٢٨	فلسطيني	أ س
ر.، س.		فلسطيني	هـ
سعاد		لم تحدد جنسيتها	و''
سمعان	٣	لم تحدد جنسيته	ب ج ط
سيد		لم تحدد جنسيته	و''
شادية	٢	لم تحدد جنسيتها	ب ط
عبد الله	٣٥	فلسطيني	أ

فاتن		لم تحدد جنسيتها	ج	و‘‘
فريد	٨	لم تحدد جنسيته	ب	ط
فهد	٢٥	سوري	أ	
محمد		لم تحدد جنسيته	س	
منى	١٦	لم تحدد جنسيتها	و	
شوهد يقتل السبت قرب المدينة الرياضية	٣	مصري	أ	س
وجد مقتولاً على فراشه في الحرش	>٣٠	بنغلادشي	أ	س
وجد مقتولاً على فراشه في الحرش	>٣٠	بنغلادشي	أ	س
وجد مقتولاً على فراشه في الحرش	>٣٠	بنغلادشي	أ	س
وجد مقتولاً على فراشه في الحرش	>٣٠	بنغلادشي	أ	س
وجد مقتولاً على فراشه في الحرش	>٣٠	بنغلادشي	أ	س
وجد مقتولاً على فراشه في الحرش	>٣٠	بنغلادشي	أ	س
وجد مقتولاً مع العائلة في أثناء العشاء	٤٠	فلسطيني	س	
وجد مقتولاً مع العائلة في أثناء العشاء	١٠	فلسطيني	س	
وجد مقتولاً مع العائلة في أثناء العشاء	٧	فلسطيني	س	
وجد مقتولاً مع العائلة في أثناء العشاء	٥	فلسطيني	س	
وجدت مقتولة مع العائلة في أثناء العشاء	٢٧	فلسطينية	س	
وجدت مقتولة مع العائلة في أثناء العشاء	٢	فلسطينية	س	
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	١	غير محددة	أ	س
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	١	غير محددة	أ	س
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	١	غير محددة	أ	س
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	١	غير محددة	أ	س
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	١	غير محددة	أ	س
وجدت الجثة في ملجأ في الحي الغربي	١	غير محددة	أ	س
وجدت الجثة محترقة في مستشفى عكا	١	غير محددة	أ	س
وجدت الجثة محترقة في مستشفى عكا	١	غير محددة	أ	س
وجدت الجثة محترقة في مستشفى عكا	١	غير محددة	أ	س
وجد مقتولاً قرب محطة الوقود		لم تحدد جنسيته	ج	
وجدت جثتها في حي عرسال		مصرية	ج	
وجدت جثته في حي عرسال		لم تحدد جنسيته	ج	

لائحة الأسماء رقم ٤ ـ المخطوفون والمفقودون في صبرا وشاتيلا
استناداً إلى المصادر المتعددة

الاسم	العمر	المصير	الجنسية	المصادر*
إبراهيم، حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
إبراهيم، خليل		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
إبراهيم، سامي كريم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
إبراهيم، ماهر غازي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
إبريق، خليل محمود	٥٤	مخطوف	فلسطيني	أ
إبريق، محمود خليل محمود	١٧	مخطوف	فلسطيني	أ
ابشير، جمال سليم		مفقود	فلسطيني	ي ن
أبو راشد، خيرية علي	٤٥	مفقودة	لبنانية	ل
أبو رميلة، سامي محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أبو زاهر، عاطف توفيق		مفقود	لم تحدد جنسيته	ن
أبو زيد، تيسير محمد	١٨	مخطوف	لا جنسية له	أ ك ن ع
أبو زيد، حمزة محمد	١٧	مخطوف	لا جنسية له	أ ك ن ع
أبو زيد، محمد	٤٠	مخطوف	لا جنسية له	أ ك ل ع
أبو زيد، ناصر محمد	١٥	مخطوف	لا جنسية له	أ ك ن ع
أبو سود، محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أبو شليح، أحمد حسن		مفقود	فلسطيني	ي
أبو شليح، محمد علي		مفقود	فلسطيني	ي
أبو شليح، محمود علي		مفقود	فلسطيني	ي م ن
أبو ضاهر، محمد أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أبو عدس، رأفت عبد الحميد	٢٠	مخطوف	فلسطيني	أ

* مصادر اللوائح التي اعتمدت وفقاً لتاريخ صدورها، هي التالية مرفقة برموزها: تنظيم الصليب الأحمر الدولي (ب)؛ مديرية الدفاع المدني اللبناني (ج)؛ مجلس كنائس الشرق الأوسط (ط)؛ مقبرة روضة الشهيدين (ز)؛ لائحة الشيخ سلمان الخليل (ل)؛ مقبرة الشهداء (ح)؛ مقبرة الشهداء ـ القبر الجماعي (حˆ)؛ جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ـ مستشفى غزة (د)؛ جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ـ مستشفى عكا (دˆ)؛ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (هـ)؛ تنظيم فلسطيني "مجهول" (م)؛ دار الفتوى (ك)؛ لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان (ن)؛ اللائحة المشتركة للمخطوفين والمفقودين (ي)؛ جريدة "السفير" (و)؛ جريدة "النداء" (وˆ)؛ لائحة مختارة من الصحف المتعددة (وˆˆ)؛ التاريخ الشفهي (س)؛ الدراسة الميدانية (أ)؛ لجنة التحقيق الرسمية في مصير المخطوفين والمفقودين (ع)؛ الدعوى ضد شارون أمام القضاء البلجيكي (ف).

الاسم	العمر	الحالة	الجنسية	
أبو عودة، محمد صالح		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أبو عودة، محمود صالح		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أبو نوفل، محمد فايز		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أبو هيجاء، خالد محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أبو هيجاء، نبيل محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أحمد، أحمد صبري		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أحمد، فرج علي السيد	٣٤	مخطوف	مصري	أ هـ و ي ن س ع
أحمد، محمد حسين	٤٣	مخطوف	فلسطيني	أ
أسدي، عمر	٢٨	مفقود	فلسطيني	هـ و ن
اسكندراني، وليد درويش	٢٢	مفقود	فلسطيني	هـ ن
أسمر، عيسى وارد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أسمر، فريد ملحم	٨٠	مفقود	لبناني	ل
أسود، حسن أحمد	٥٢	مخطوف	سوري	أ و و'' ل ن
إشراقية، طلال حسن		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أطرش، إبراهيم محمد	٢٧	مفقود	فلسطيني	هـ ن
أطرش، خليل محمد	٢٨	مفقود	فلسطيني	هـ ن ع
أطير، حسن هاشم	٢٣	مخطوف	فلسطيني	أ هـ و و'' ي ن س ع ف
أعرج، عبد الله شفيق		مفقود	لم تحدد جنسيته	و
أغواني، موسى سلطان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أمين، أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أمين، دياب عيسى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أمين، رامز حمادي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أمين، غسان حمادي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أيوب، داود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أيوب، سليمان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
أيوب، موسى		مفقود	سوري	ك
بحرين، محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
برجاوي، عبد الحليم علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
برجاوي، محمود علي عبود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
بركة، فايز علي		مفقود	فلسطيني	ي ن

بري، حسيب عباس	١٩	مفقود	لبناني	و'' ع
بري، محمد عباس	١٧	مفقود	لبناني	و'' ع
بري، موسى عباس	١٨	مفقود	لبناني	و'' ع
بعيد، إبراهيم كريم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
بنا، نبيل محمد محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
بنات، محمود بكري	٣٣	مخطوف	لبناني	أ هـ و'' س
بواب، رياض محمد		مفقود	فلسطيني	ي ن
بيبي، بسام عبد السلام	١٨	مخطوف	فلسطيني	أ و و'' ي م ن ع
بيتم، فياض حسن	٢٢	مخطوف	فلسطيني	أ ي
بيطار، سعيد محمد	١٧	مفقود	فلسطيني	ع
بيك، خالد مصطفى	٢٧	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
بيك، محمد مصطفى	١٤	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
تعمري، أحمد أسعد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
جبر، عبد الله	٤٠	مفقود	فلسطيني	و ي ن
جحا، وليد أحمد		مفقود	فلسطيني	ي ن
جدعون، أحمد يوسف	٥٥	مفقود	لم تحدد جنسيته	و ع
جمّال، أحمد عبيد	٥٣	مخطوف	سوري	أ هـ و'' ي ن
جمول، شوقي علي	٣٠	مفقود	لبناني	ل
جواد، جميل محمد	٤٤	مفقود	فلسطيني	ي ن
جوهر، جوهر محمود		مفقود	فلسطيني	ن
حاج، صالح حسين	٤٠	مفقود	فلسطيني	ي ل ن
حاج، عدنان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حاج، فادي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حاج، فادية		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك
حاج، فاطمة		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك
حاج، فوزية أحمد		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك
حاج، نمر أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حالي، عايدة أحمد		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك
حايك، أسعد محمد	٢٧	مخطوف	فلسطيني	أ و
حايك، سعيد		مفقود	لم تحدد جنسيته	و
حجار، أحمد مصطفى	١٧	مخطوف	فلسطيني	أ

حجازي، حسن مرعي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حجازي، طاهر موسى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حجازي، عمر كاظم		مفقود	لم تحدد جنسيته	و					
حجازي، محمد كاظم	١٩	مخطوف	لبناني	أ	و'	و''	ل	ن	
حجازي، موسى حسن		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حري، محمود	١٨	مفقود	لم تحدد جنسيته	و					
حريري، خالد حميد	١٧	مخطوف	لا جنسية له	أ	هـ				
حريري، محمد حميد	١٦	مخطوف	لا جنسية له	أ	هـ				
حسان، عبد الباسط		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسن، أحمد خليل	١٦	مخطوف	فلسطيني	أ	و'	و''	ي	ن	
حسن، أكرم غالب رضى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسن، جلال حسن أحمد	١٥	مخطوف	فلسطيني	أ	هـ	ي	ك	ن	ع
حسن، حسن أحمد	٥٠	مخطوف	فلسطيني	أ	هـ	ي	ك	ع	
حسن، خالد محمد علي	-	مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسن، خليل محمود	٥٥	مخطوف	فلسطيني	أ	و'	و''	ن		
حسن، شحاده حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسن، عبد الناصر		مفقود	فلسطيني	ي	ن				
حسن، غازي محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسن، فؤاد حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسن، محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسن، يونس نعيم		مفقود	لم تحدد جنسيته	هـ					
حسين، جميل محمود ضاهر		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسين، حمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسين، خالد خليل		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسين، دياب شحاده		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسين، عبد الرؤوف خالد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسين، فايز يوسف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسين، فطوم فهد		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك					
حسين، كامل حسين	٤١	مخطوف	فلسطيني	أ					
حسين، كامل محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسين، لميا ضاهر		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك					
حسين، لويزا ضاهر		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك					

حسين، محمد كامل		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حسين، محمد مرعي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حسين، مصطفى كامل		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حسين، ناصر محمود ضاهر		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حشمة، أحمد سعيد		مفقود	فلسطيني	و
حصري، فؤاد مصطفى		مفقود	لم تحدد جنسيته	هـ
حماده، أحمد حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حماده، أحمد ناجي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حماده، داوود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حماده، محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حماده، محمد حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حماده، محمد عطية		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حماده، نايف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حماده، ياسين محمد عطية		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حمد، أحمد يوسف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حمد، جمال	١٧	مفقود	فلسطيني	ل
حمد، حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حمد، محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حمد، محمد أحمد يوسف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حمزه، عثمان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حمزه، مصطفى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حمو، جمال محمد	١٧	مخطوف	فلسطيني	أ و‘‘ ي م ن س ع
حمود، جمال محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	و
حموي، وليد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
حميد، رسلان	٢٤	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
حوصو، حسن إسماعيل		مفقود	فلسطيني	ن
خالد، أيوب محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
خالد، عصام		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
خالد، محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
خالد، نجيب عاصم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
خالد، وليد عاصم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك

خالد، وليد علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خالد، ياسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خروبي، مصطفى سليمان	١٨	مخطوف	فلسطيني	أ		
خريبي، عبد الله أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خضير، داوود سليمان		مفقود	فلسطيني	ي	ن	
خطيب، أحمد يوسف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خطيب، توفيق علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خطيب، جمال محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خطيب، سليمة علي		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك		
خطيب، صلاح يوسف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خطيب، عبد الله قاسم	٢٠	مخطوف	فلسطيني	أ	و''	ن
خطيب، عيسى علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خطيب، فايز يوسف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خطيب، محمد حسين		مفقود	فلسطيني	ي	ن	
خطيب، محمد علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خطيب، محمد يوسف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خطيب، مريم يوسف		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك		
خطيب، نجمة عبد الهادي		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك		
خطيب، يوسف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
خليل، سميرة علي	١٧	مفقودة	لم تحدد جنسيتها	و		
خليل، محمد حسن الحاج		مفقود	لم تحدد جنسيته	و		
خليل، ناصر محمد حسن الحاج		مفقود	لم تحدد جنسيته	و		
خليل، وليد محمد حسن الحاج		مفقود	لم تحدد جنسيته	و		
خميس، عباس حسن	٢٢	مفقود	لبناني	و''	ع	
داروي، أحمد نايف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
داروي، حسين نمر		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
داوود، خالد عدنان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
داوود، سليمان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
داوود، سناء		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك		
داوود، عمر		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
داوود، غازي إبراهيم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك		
داوود، نادية		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك		

داوود، وفاء		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك
درويش، خالد علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
ديب، أنيس نعيم	٢٣	مفقود	لبناني	ل ن ع
ديراوي، أحمد فيصل	١٥	مخطوف	فلسطيني	أ و' و'' ي ن س ع
ديراوي، إبراهيم صالح		مفقود	فلسطيني	و'' ي ن
ديراوي، إبراهيم فيصل	٢٨	مخطوف	فلسطيني	أ و' و'' ي ن س ع
ديراوي، عزيز فيصل	٣٣	مخطوف	فلسطيني	أ و' و'' ي ن س ع
ديراوي، منصور فيصل	٢٥	مخطوف	فلسطيني	أ و'' ي ن س ع
ديلاوي، نعيم أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
راضي، حسن	١٨	مخطوف	فلسطيني	أ هـ س
راضي، صالح		مفقود	فلسطيني	ن
راوي، حسن محمود محمد	١٦	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
راوي، طلال محمود محمد	٢٥	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
رشيد، جاسر محمود عبد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
رشيدة، طلال حسن		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
رعد، رعد محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
رعد، صالح محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
رمزي، فؤاد		مفقود	لم تحدد جنسيته	و
رميحي، حسين علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
زامل، رياض محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	و
زرين، وليد درويش	٢٢	مخطوف	فلسطيني	أ ي م ن ع ف
زمزم، عماد محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
زياده، جهاد صالح		مفقود	فلسطيني	ي ن
زياده، صبحي صالح محمود		مفقود	فلسطيني	ي ن
سابق، محمود حسن	٣٩	مخطوف	فلسطيني	أ هـ ي ف
سالم، إحسان محمد	٣٧	مخطوف	فلسطيني	أ هـ و ي ك ن
سالم، أحمد خليل	١٦	مخطوف	فلسطيني	أ هـ ي ك ن
سالم، خليل محمد	٤٥	مخطوف	فلسطيني	أ و ك
سالم، عوني خليل	١٨	مخطوف	فلسطيني	أ هـ و ي ك ن

سالم، محمود عبد الوهاب	١٥	مخطوف	فلسطيني	أ
سباعي، محمد وجيه	٤٥	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
سرحال، محمد حسين ديب		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
سري، إبراهيم مصطفى	٢٨	مخطوف	فلسطيني	أ و و'' م ن ع
سري، نبيل غريب	٢٣	مخطوف	فلسطيني	أ و و'' ي ك م ن
سعد، محمود صلاح الدين	٢٥	مخطوف	لبناني	أ و م ن
سعدي، خالد محمد عاصي	٢١	مخطوف	فلسطيني	أ هـ ي ك ن س
سعدي، خليل عبد الرحمن		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
سعدي، خولة محمد		مفقودة	فلسطينية	ي ن
سعدي، علي محمد	١٩	مفقود	فلسطيني	ك ع
سعدي، محمد عاصي	٦٠	مخطوف	فلسطيني	أ هـ ك س
سعيد، أحمد محمد	٤٠	مخطوف	سوري	أ
سعيد، حسين أحمد علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
سعيد، دياب أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
سعيد، زينب	١٧	مفقودة	لم تحدد جنسيتها	و
سعيد، علي	١٢	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
سعيد، محمود	١٣	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
سقا، عبد القادر محمود	٢٨	مخطوف	فلسطيني	أ هـ ع ف
سقا، محمد محمود	١٨	مخطوف	فلسطيني	أ هـ ي ع ف
سقال، عبد محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	و
سقال، محمد محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	و
سكران، سلطان عيسى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
سلامة، حمدي محمد سعيد	٢٧	مفقود	مصري	ل
سلطان، محمد	٢٧	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
سلطي، خالد		مفقود	فلسطيني	ل م
سلطي، عطره	٤٠	مفقودة	فلسطينية	ل م
سليم، محمود	٣٥	مفقود	سوري	ل
سليمان، حسن محمد		مفقود	فلسطيني	ن
سنجر، عبد الله	٢٥	مفقود	لم تحدد جنسيته	و' و'' ن
سنونو، أحمد محمود		مفقود	فلسطيني	ي ن
سويدي، محمد خليل	٢١	مفقود	لم تحدد جنسيته	و

سيف الدين، محمد أحمد		مفقود	لبناني	ن	ع				
شالح، محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ن					
شاهين، محمد إبراهيم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
شاهين، وليد إبراهيم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
شحاده، أسعد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
شحاده، عبد العزيز		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
شحاده، علي عبد العزيز شحاده		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
شحاده، فتحي حسن		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
شحاده، كامل حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
شحاده، متعب		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
شحادين، صبحي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
شرقاوي، إبراهيم حسن	٢٥	مفقود	لم تحدد جنسيته	و					
شرقاوي، أنور إبراهيم	١٦	مخطوف	لبناني	أ					
شعبان، سمير خليف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ن					
شكنتت، محي الدين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
صالح، صالح محمد	٣٤	مفقود	فلسطيني	ي	ن				
صالح، محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	و''					
صانع، ناصر أسعد	٢٠	مخطوف	فلسطيني	أ	هـ	ي	ل	ن	
صباغ، رياض يحيى	٢١	مخطوف	لبناني	أ	و	و''	م	ن	
صبرا، عبد زغلول		مفقود	لم تحدد جنسيته	و					
صعيدي، أحمد مصطفى	٢٦	مخطوف	فلسطيني	أ	و				
صفدي، أحمد مصطفى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
صفدي، خالد عبد الناصر		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
صفر، عبد الله سهيل	٢٧	مخطوف	فلسطيني	أ	و	ي	م	س	ع
صفوري، يوسف شفيق	١٣	مخطوف	فلسطيني	أ	هـ				
صفير، إبراهيم حسن		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
صفير، حسين محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
صفير، سمير حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
صلح، موسى شحاده		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
صوالحة، خليل	٢٦	مخطوف	فلسطيني	أ					
صوالحة، محمود	٢٣	مخطوف	فلسطيني	أ					
ضني، فرج محمود العبد الله		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					

طعمه، عزة منيف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
طعمه، فايز منيف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
طعمه، منيف محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
طلال، طلال محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
ظاهر، أحمد	٤٠	مفقود	فلسطيني	هـ
ظاهر، رفاعيه أحمد	٨	مفقود	فلسطيني	هـ
ظاهر، علي أحمد	٦	مفقود	فلسطيني	هـ
ظاهر، فداء أحمد	٢	مفقودة	فلسطينية	هـ
ظاهر، كفاح أحمد	١٠	مفقود	فلسطيني	هـ
عابد، غسان يوسف	١٦	مخطوف	فلسطيني	أ
عاشور، محمد صالح	١٧	مفقود	فلسطيني	و و'' ي ك ن
عبادي، أحمد خالد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبادي، أحمد علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبادي، حمد محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبادي، علي محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبادي، علي محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبادي، محمد خالد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبادي، محمود خالد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبادي، محمود علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبد الرازق، محمد كمال		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبد الرازق، مروان كمال		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبد الرازق، مصلح حمد	٤٣	مفقود	فلسطيني	و ي ن
عبد الرخيم، أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبد الرحيم، سهيل علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبد العال، أحمد إبراهيم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبد الله، أحمد حمادة		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عبد المنعم (المصري)	٢٨	مخطوف	مصري	أ
عبير، أحمد جميل	٥٠	مفقود	فلسطيني	هـ م
عتريس، حمد قاسم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عثمان، أحمد حسن		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عثمان، حنان علي		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك
عثمان، علي نايف حسن	٥٢	مفقود	لبناني	ع

الاسم	العمر	الحالة	الجنسية	
عثمان، محمد عبد يوسف		مفقود	فلسطيني	ي ن
عجه، أسعد محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عديسي، أحمد محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	و
عديسي، جمال محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	و
عرابيه، توفيق عبد الكريم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عزام، عدنان خالد	٢٦	مخطوف	فلسطيني	أ
عزوقة، إبراهيم محمود	١٣	مخطوف	فلسطيني	أ
عطعوط، بشير أحمد	١٨	مخطوف	فلسطيني	أ و و'' ي ن ع
عطيه، علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
عفش، أحمد سعد الدين	٣٢	مفقود	لبناني	و'' ن ع
عفش، حسين سعد الدين	٣٥	مفقود	لبناني	و'' ن ع
عفيفي، عبد الحفيظ		مفقود	فلسطيني	هـ ي
عكاوي، عبد الكريم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
علاص، عبد محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
علام، أحمد سلام		مفقود	فلسطيني	ي ن
علامة، علي حسن	١٨	مخطوف	لبناني	أ هـ و ن س ع ف
علي، آمنة		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	و
علي، أحمد	٥٠	مخطوف	فلسطيني	أ
علي، أحمد محمد سعيد	٣٢	مخطوف	سوري	أ هـ ي ل
علي، خليل داوود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
علي، صالح سعيد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
علي، عادل مصطفى	٤٥	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
علي، عدنان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
علي، علي بدري		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
علي، علي سعيد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
علي، عمر محمد	٢٥	مخطوف	فلسطيني	أ هـ و
علي، عيسى بدوي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
علي، فاطمة محمد		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك
علي، كمال علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
علي، محمد أحمد	٢٣	مخطوف	فلسطيني	أ ك
علي، محمد داوود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك

علي، محمد محمد	٣١	مخطوف	فلسطيني	أ				
علي، محمود أحمد	١٩	مخطوف	فلسطيني	أ	ك			
عمر، أحمد محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
عمر، ياسين محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
عمران، عمر		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
عمران، عمران أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
عمري، خالد إبراهيم	٢٣	مخطوف	لبناني	أ	و''	م	ن	ع
عمري، خالد محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	و	و''			
عميري، حسن سلمان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
عوده، عادل أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ل				
عوض، أحمد حسن		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
عوض، حسين علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
عوض، محمد أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
عيادي، محمد حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
عيادي، محمد علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
عيساوي، مجدي مصباح	٤٥	مخطوف	فلسطيني	أ				
غزاوي، حسين علي أحمد	٢٠	مخطوف	سوري	أ	هـ	ل	س	
غزاوي، علي أحمد	٤٥	مخطوف	سوري	أ	هـ	ل	س	
غزاوي، محمد علي أحمد	١٦	مخطوف	سوري	أ	هـ	ل	س	
غزاوي، وليد علي	٢٠	مفقود	سوري	ل				
غواني، موسى سلطان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
فاعور، خالد علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ن				
فريجه، علي أحمد حمدان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
فريجه، علي موسى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
فريجه، موسى محمد حموده		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
فريجه، يوسف أحمد حمدان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
فياض، عامر عمر		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
فياض، عمر عمر		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
قاسم، جمال محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
قاسم، رياض محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				
قاسم، فاطمة		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك				
قاسم، ياسين نمر		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك				

قاسم، يوسف رحيل	٤٠	مخطوف	فلسطيني	أ
قاضي، حسن أحمد	٥٠	مفقود	فلسطيني	هـ و
قاضي، علي فوزي	١٦	مخطوف	فلسطيني	أ هـ ي ك س ف
قاضي، محمد فوزي	١٨	مخطوف	فلسطيني	أ هـ ي ك س ف
قبلاوي، سامي		مفقود	لم تحدد جنسيته	و
قدح، جمال كايد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
قدره، جهاد محمود	٢٢	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
قدوره، أحمد خالد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
قدوره، خالد يوسف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
قدوره، صالح مصطفى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
قدوره، صبحية عبد المجيد	٣٥	مفقودة	فلسطينية	هـ
قدوره، محمد مصطفى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
قلقان، خليل عبد	١٨	مفقود	تركي	ل
قهراوي، غسان سهيل		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
كامل، أحمد محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
كايد، فيصل علي	٤٥	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
كايد، نايف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
كبارة، سليم عيسى	٣٢	مخطوف	فلسطيني	أ و و'' م ن ع
كثير، أحمد محمد سليم	٢٨	مخطوف	فلسطيني	أ ي م س
كثير، جمال محمد سليم	٢٦	مخطوف	فلسطيني	أ ي م س
كردي، صالح يوسف	١٣	مفقود	تركي	و و'' ع
كروم، آمنة		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك
كروم، إسماعيل صالح		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
كروم، زهير علي عمر		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
كروم، صالح موسى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
كروم، غالب صالح		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
كروم، مازن		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
كروم، هيثم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
كعكي، حسين عبد القادر	٥٥	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
كيالي، أحمد نمر	١٤	مخطوف	فلسطيني	أ ع
لبان، محمد توفيق	٢٠	مخطوف	فلسطيني	أ س
لوباني، جهاد أحمد		مفقود	فلسطيني	ي ن

الاسم	العمر	الحالة	الجنسية	الرموز
ماحوس، محمود		مفقود	فلسطيني	ي ن
محسن، فايز نعيم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ن
محسن، نعيم فايز	١٧	مخطوف	لبناني	أ هـ و ن ع
محمد، أحمد إبراهيم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محمد، أحمد محمود	٣٠	مفقود	لبناني	ك ع
محمد، حسن محمود	١٧	مخطوف	فلسطيني	أ هـ و ي ن ع
محمد، حسين علي محمد	٢٠	مخطوف	سوري	أ ي
محمد، خليل محمود		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محمد، علي إبراهيم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محمد، علي محمد	٤٤	مخطوف	سوري	أ
محمد، محمد علي محمد	١٨	مخطوف	سوري	أ ي
محمد، محمود إبراهيم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محمد، محمود سليم	٣٥	مخطوف	سوري	أ
محمد، نظير عبدو		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محمد، وليد علي محمد	٢٠	مخطوف	سوري	أ ي
محمود، أحمد خالد موسى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محمود، أحمد زعل		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محمود، حسن علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محمود، خالد محمود	٢٠	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
محمود، زعل		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محمود، صبح خالد موسى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محمود، علي خالد موسى		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محمود، محمود خالد		مفقود	لم تحدد جنسيته	و''
محمود، محمود زعل		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محو، جمال محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محيسن، جهاد حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
محيسن، نمر حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
مرعي، محمود خالد	٢٢	مفقود	لم تحدد جنسيته	و
مشهراوي، إبراهيم خليل	٥٥	مخطوف	فلسطيني	أ و و'' ي م ن س ع
مشهراوي، سامي إبراهيم	٢٥	مفقود	لم تحدد جنسيته	و' و'' ن
مشهراوي، غسان سهيل	١٧	مفقود	لم تحدد جنسيته	و' و'' ن

الاسم	العمر	الحالة	الجنسية	
مصري، عبد الكريم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ن
مصري، محمود محمد صبحي	٢٢	مخطوف	فلسطيني	أ و و'' م ن
مصري، نصرية خالد		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك
مصطفى، شحاده علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
مطر، عطا الله أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
مطر، عمر		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
معروف، جمال كمال	١٩	مخطوف	فلسطيني	أ و و'' ي م ن س ع
معروف، رمزي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
معروف، صبحي عبد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
معروف، لطيفة		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك
معروف، نبيل أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
معوض، أحمد إبراهيم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
مغربي، سليم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
مقداد، محمود إبراهيم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
ملاحي، عبد محمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
منصور، محمود نايف		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
مهاوش، مهاوش محمود	٦٥	مخطوف	فلسطيني	أ و ل س
موسى، أيوب نزال		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
موسى، سليم نزال		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
موسى، عدنان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
موسى، محمود أيوب		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
موسى، موسى أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
ناصر، تيسير		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
ناصر، جمال إبراهيم		مفقود	فلسطيني	ي ن و
ناصر، حمزه		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
نايف، أحمد موسى	٥٠	مفقود	لم تحدد جنسيته	و' و'' ن
نايف، محمد أحمد موسى	٢٢	مفقود	لم تحدد جنسيته	و'' ن
نايفة، نعيم علي		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك
نجدي، عبد الكريم	٢٦	مفقود	لبناني	و''
نجدي، علي محمد	٢٤	مفقود	لبناني	و''
نصر الدين، حسن خضر	٢٢	مخطوف	لبناني	أ س ع

نصر الدين، عبد الرحمن		مفقود	لم تحدد جنسيته	ن					
نصر الدين، عبد الرحيم خضر	٢٧	مخطوف	لبناني	أ	س	ع			
نصر الله، حسن نمر	١٦	مخطوف	لبناني	أ					
نطط، سامي شاكر عبد الغني	٢٣	مخطوف	فلسطيني	أ	و	و''	ي	ل	ن
				س	ع				
نعيم، سعيد أحمد	٢٤	مخطوف	مصري	أ					
نونو ، سلامه محمد سلامه	١٩	مفقود	لم تحدد جنسيته	و					
هاشم، محمد حسن		مفقود	فلسطيني	ي	ن				
هاشم، محمد صالح		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
هبطه، محمد توفيق		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
هويدي، أورانس عمار	١٥	مخطوف	سوري	أ	هـ	ي	ل		
هويدي، قاسم		مفقود	سوري	ي	ن				
ياسين، خالد محمد سليم		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
ياسين، محمود حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
يحيى، أيوب		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
يحيى، عبد الرحمن		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
يحيى، يوسف أحمد حمدان		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
يوسف، أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
يوسف، إيمان محمد حسين		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك					
يوسف، حياة محمد حسين		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك					
يوسف، علي حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
يوسف، محمد أحمد		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
يوسف، نجاة حسين		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك					
يوسف، نجية محمد حسين		مفقودة	لم تحدد جنسيتها	ك					
يوسف، وليد حسين		مفقود	لم تحدد جنسيته	ك					
حسين	٣٥	مخطوف	فلسطيني	أ					
عثمان	٢٠	مخطوف	بريطاني	أ					
موافي		مفقود	سوري	ل					

مُلحق صُوَر



Mya Shone

وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)



وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)



Mya Shone



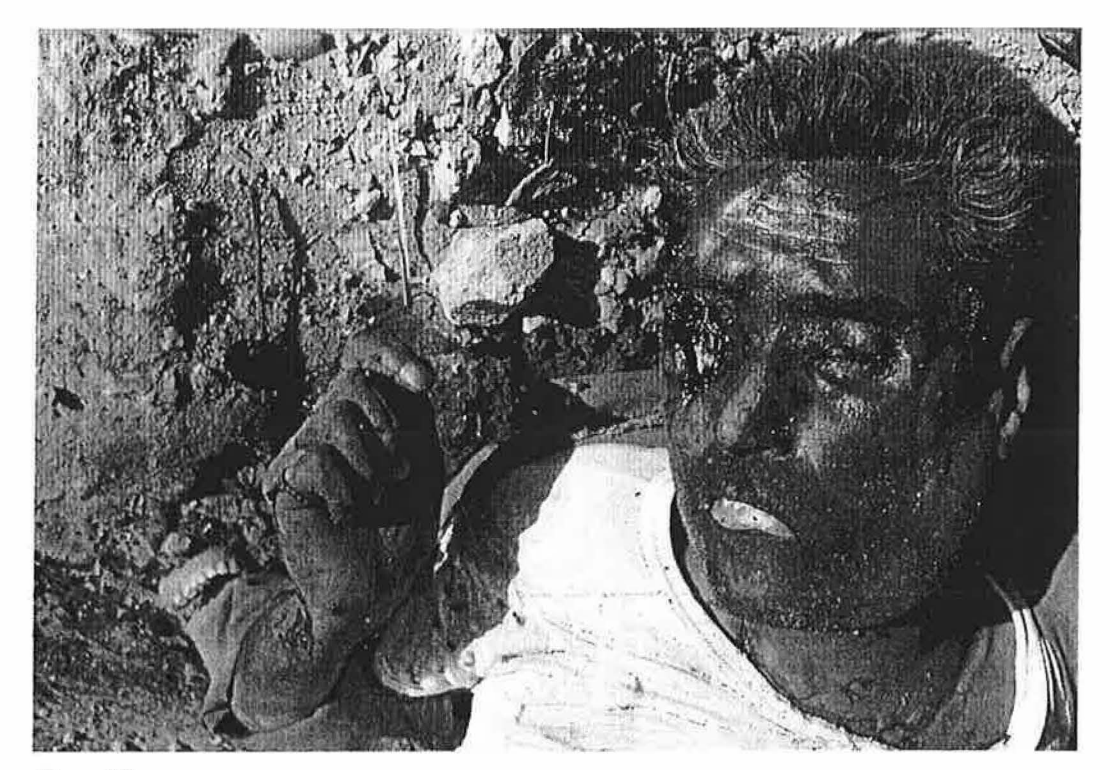
Mya Shone



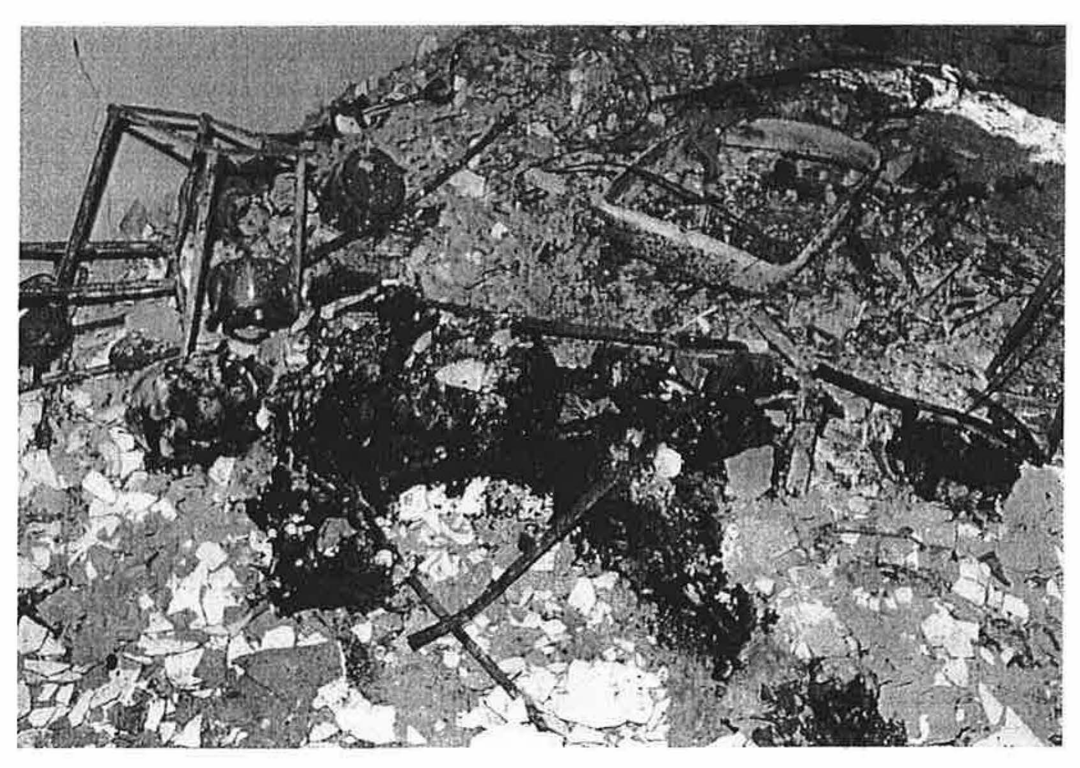
وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)



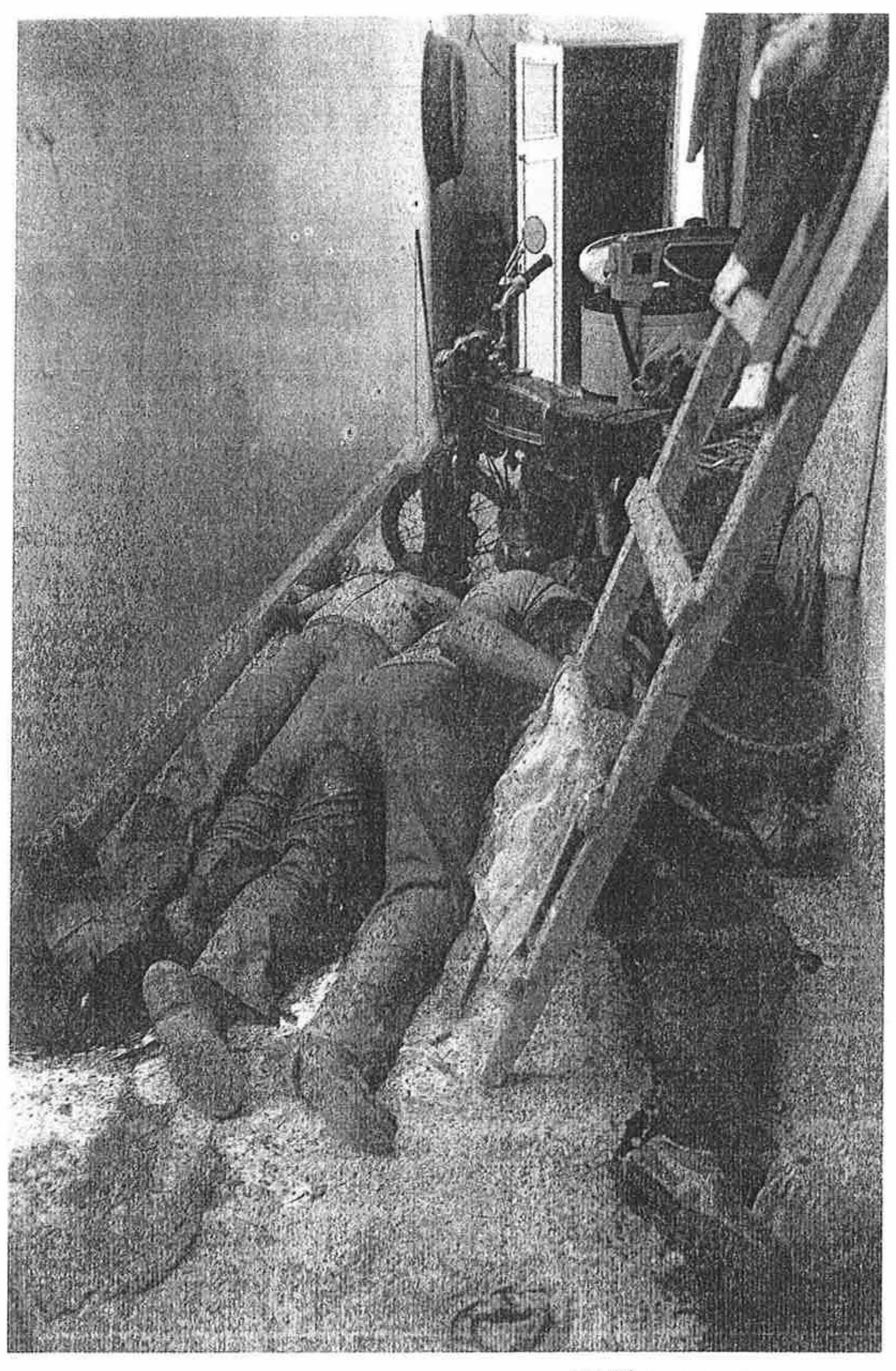
وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)



Mya Shone



Mya Shone



وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)



Ryuichi Hirokawa



Günter Altenburg



Günter Altenburg

علي حسن سلمان

علي حسن سلمان



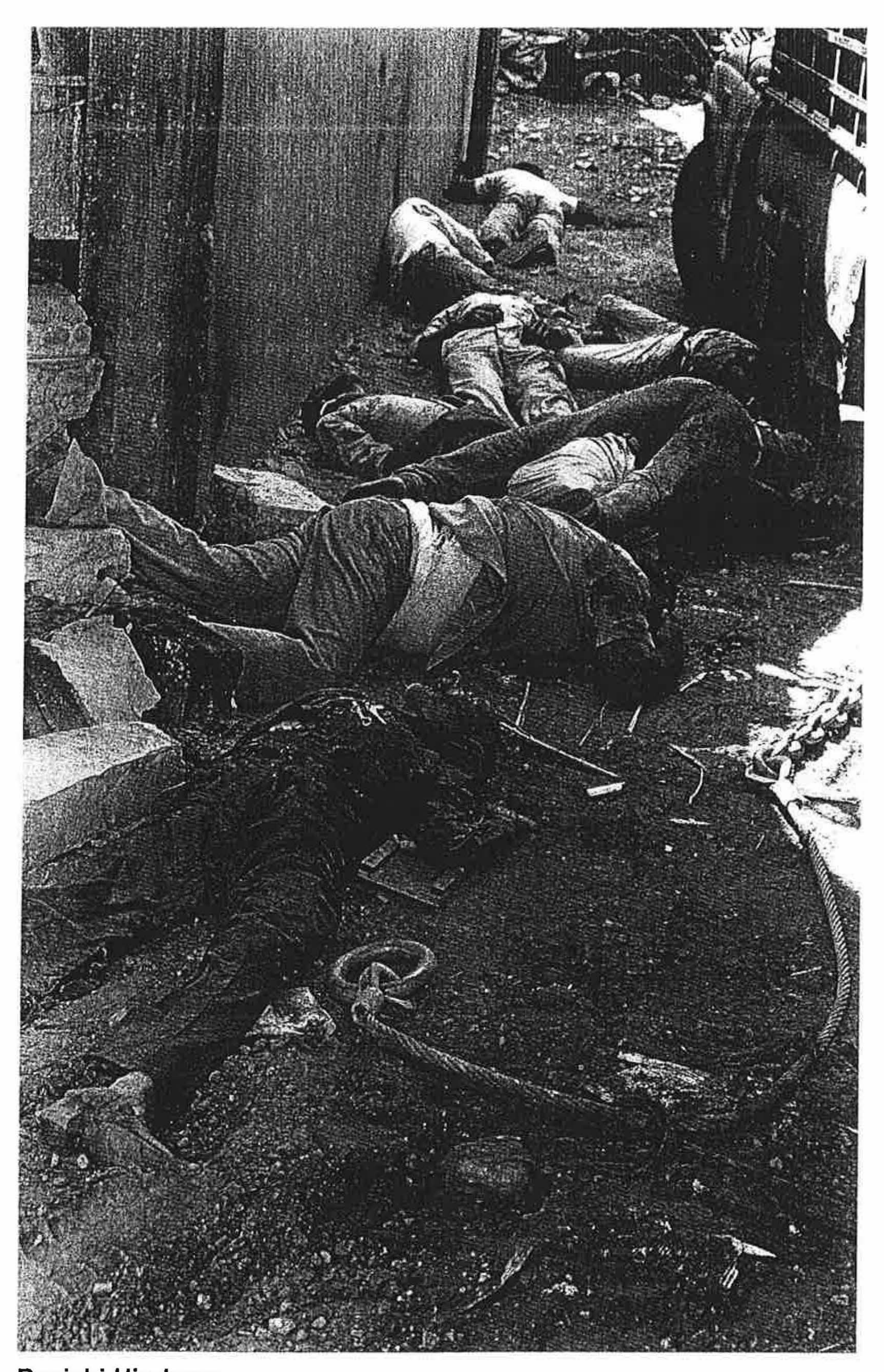
علي حسن سلمان

وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)

Mya Shone



Ryuichi Hirokawa



Ryuichi Hirokawa



Mya Shone

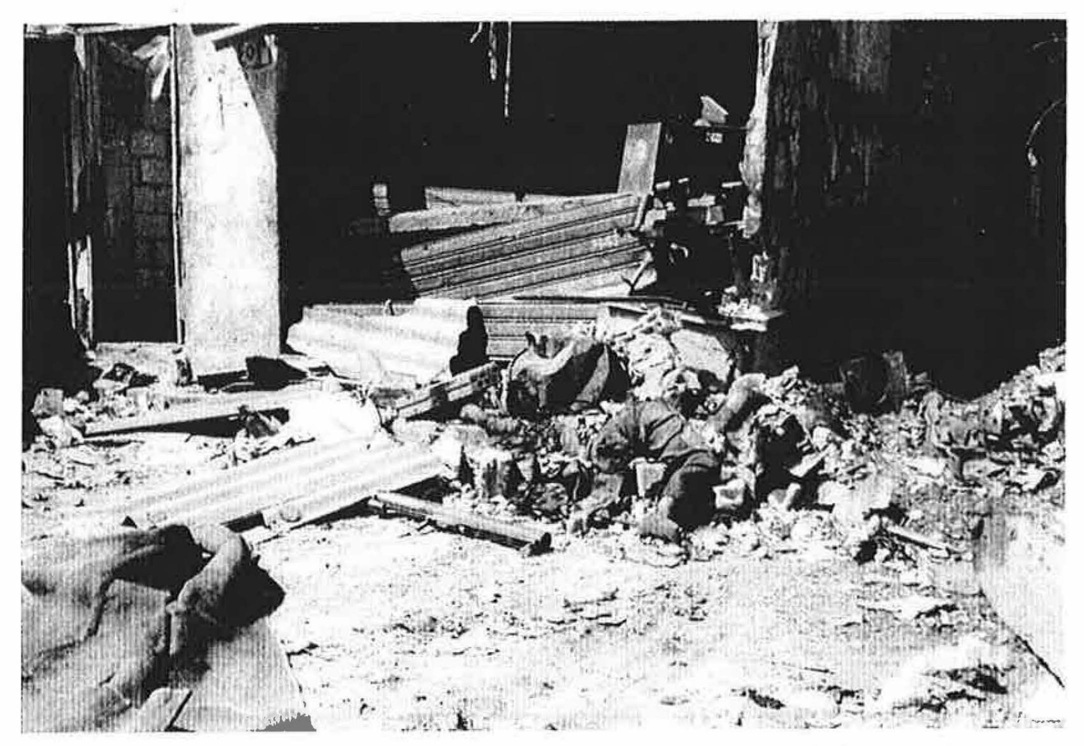
وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)

وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)

Mya Shone

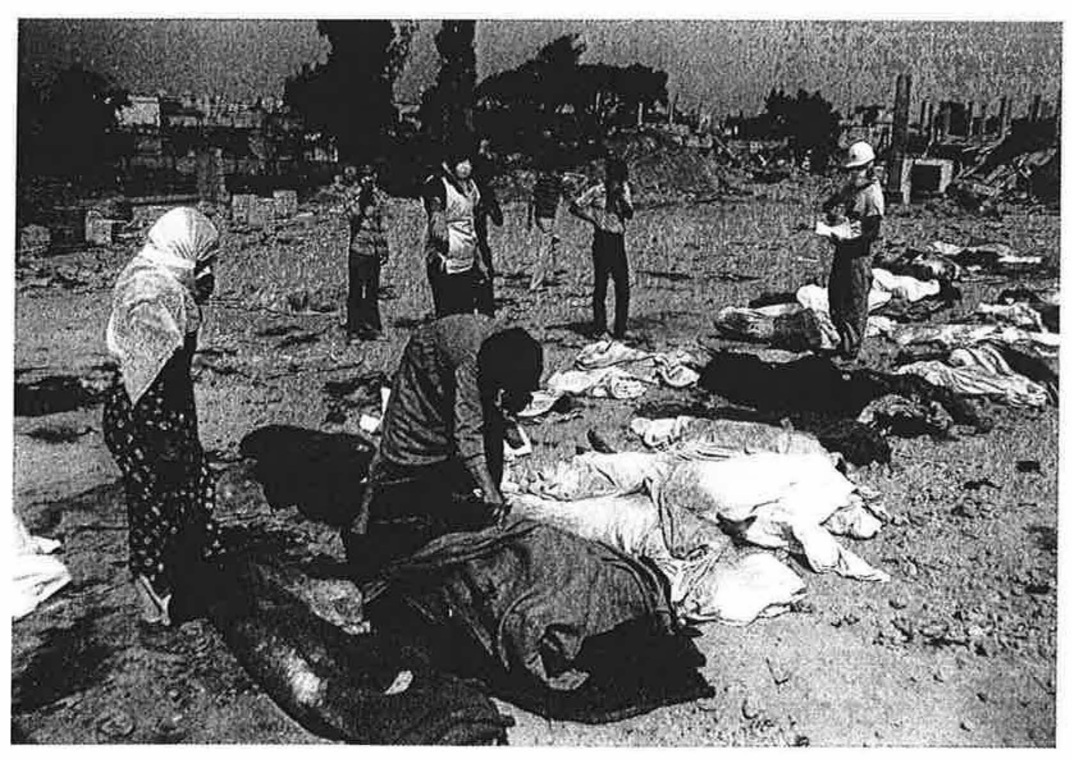


Günter Altenburg



Günter Altenburg

علي حسن سلمان

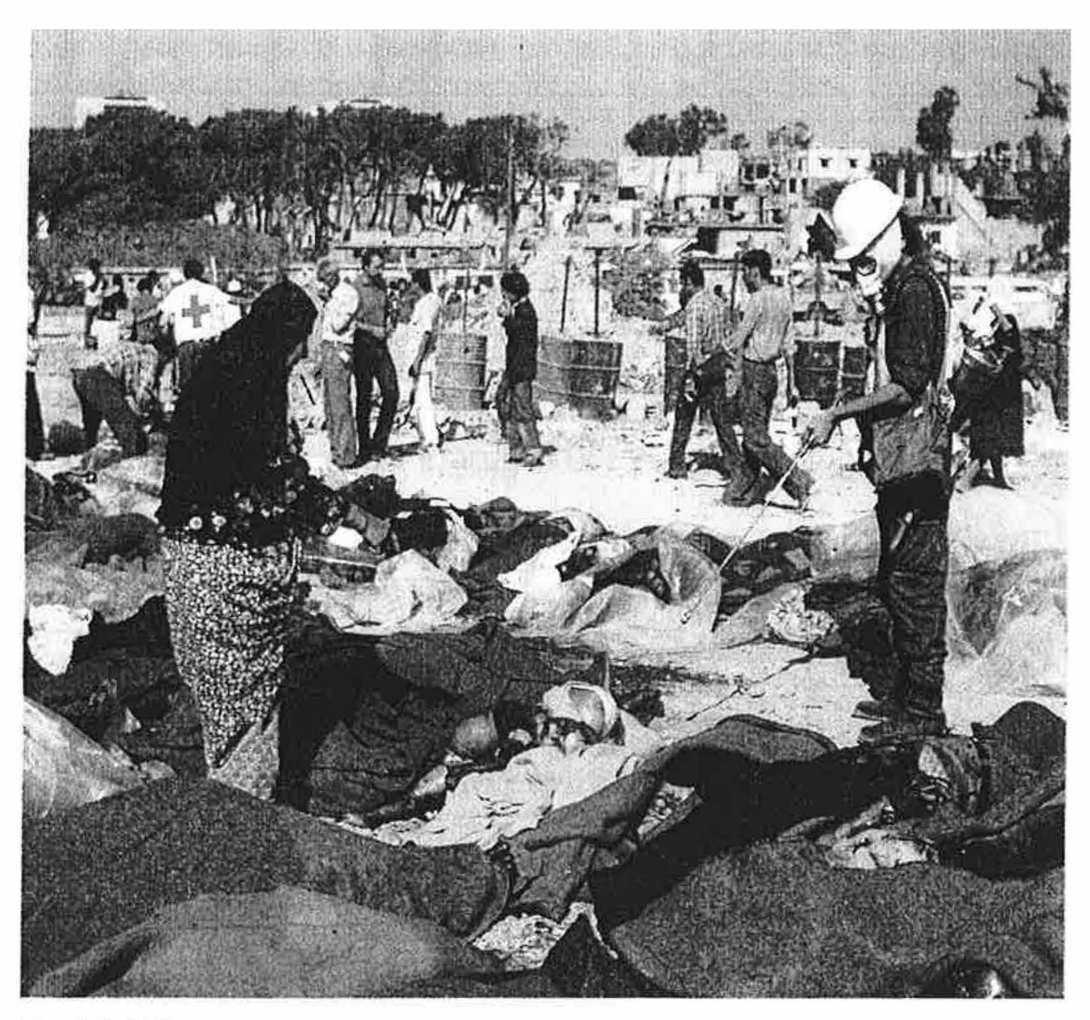


وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)



Günter Altenburg

وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)



Ryuichi Hirokawa



Mya Shone (هناء وهبة. راجع الروايتين العاشرة والسادسة والأربعين)

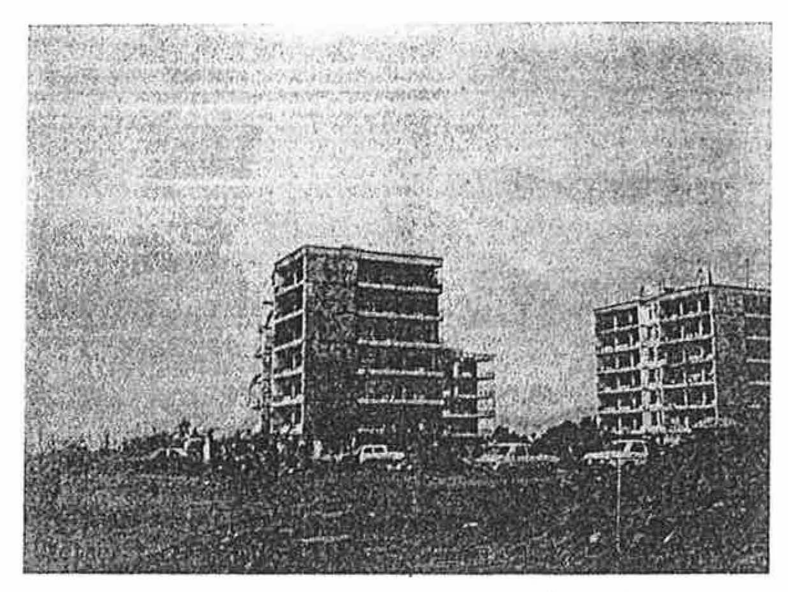


Mya Shone (الحاج أبو سليمان. راجع الرواية الثامنة والثلاثين)



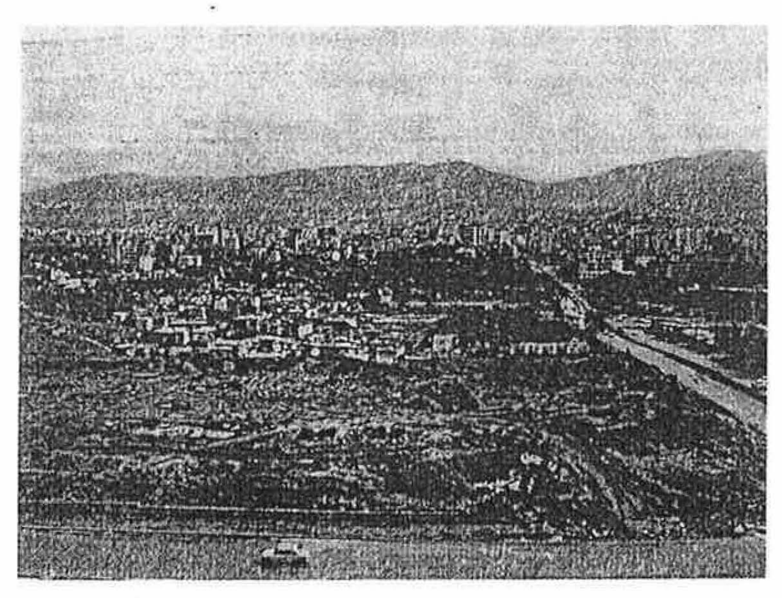
Günter Altenburg

(AFP) وكالة الصحافة الفرنسية



مبنى مقر القيادة الإسرائيلية

Franklin P. Lamb, *International Legal Responsibility for the Sabra-Shatila Massacre,* p. 18.



مشهد عام لصبرا وشاتيلا من سطح مبنى مقر القيادة الإسرائيلية

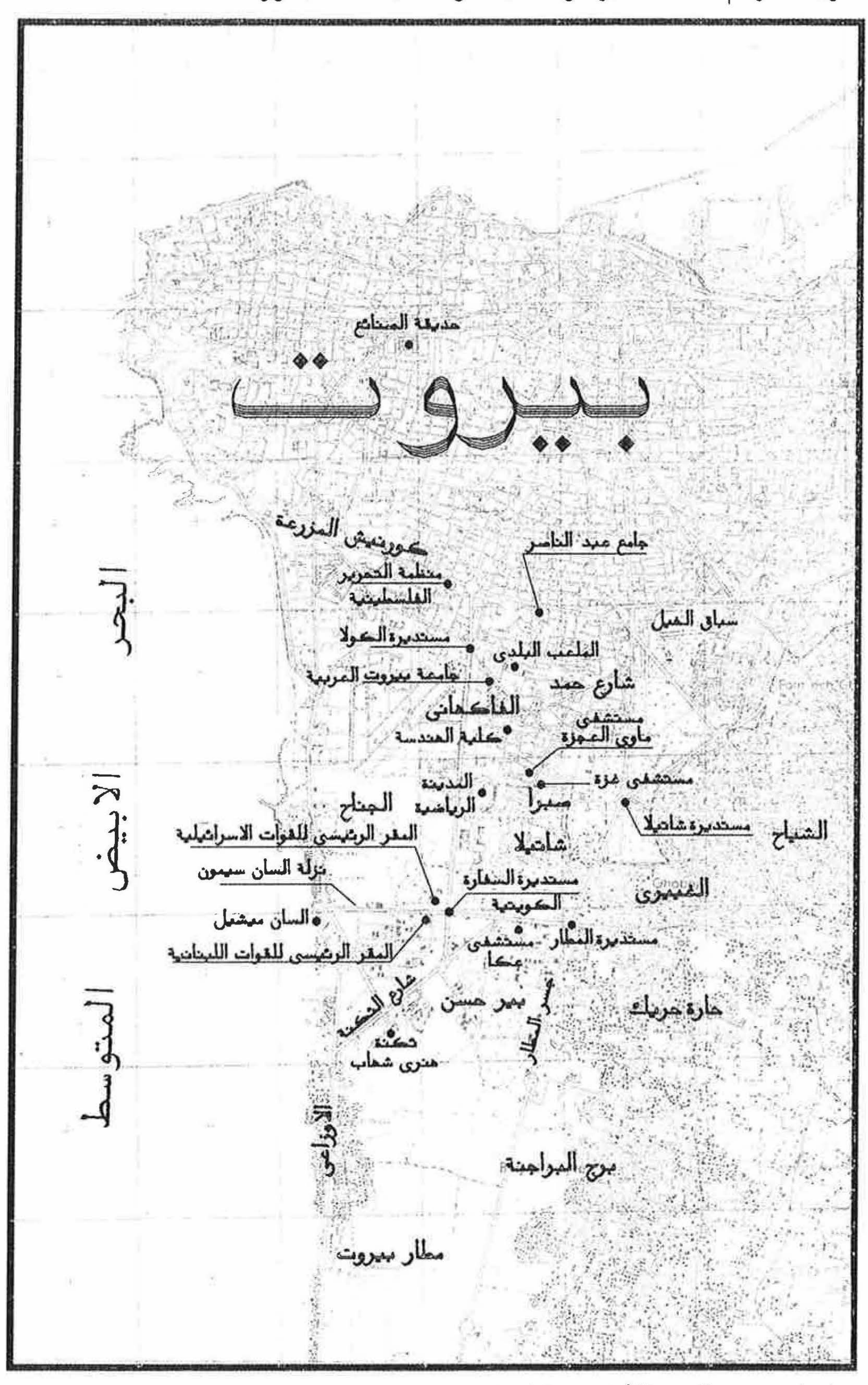
Franklin P. Lamb, *International Legal Responsibility for the Sabra-Shatila Massacre,* p. 18.



وكالة الصحافة الفرنسية (AFP)

مُلحق خرائط

خريطة رقم ١ - صبرا وشاتيلا والأحياء المجاورة



إعداد حسن باكير، وتنفيذ عمر الشريف

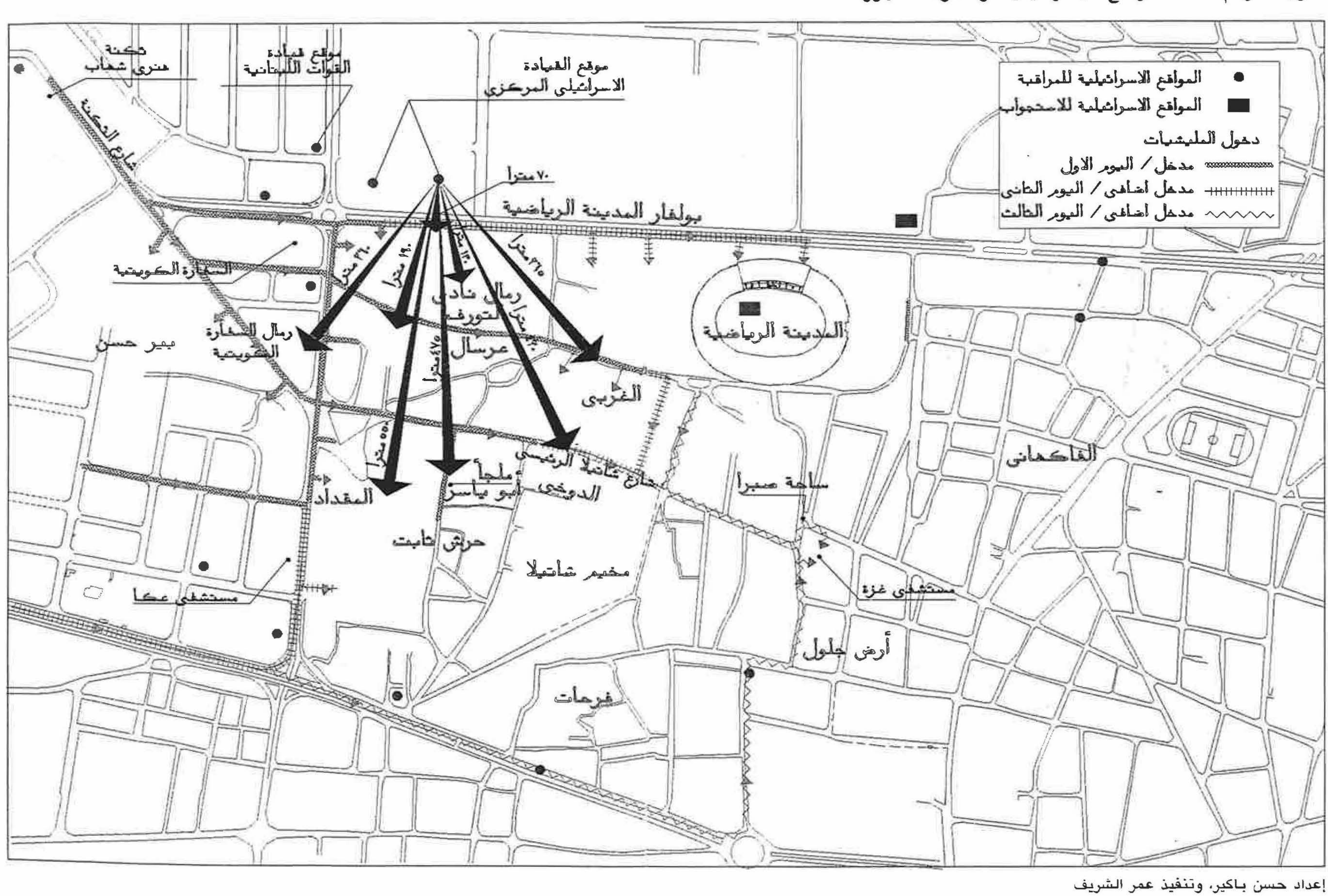
خريطة رقم ٢ – الأحياء والمعالم الداخلية

موقع القيادة الاسرائيلى المركزى
بولفار المدينة الرياضية
رمال نادى الجولف
السفارة الكويتية
رمال السفارة الكويتية
بير حسن
حى عرسال
المدينة الرياضية
الحى الغربى
شارع ابو حسن سلامة
شارع شاتيلا الرئيسى
حى الدوخى
حى المقداد
حرش ثابت
الحدود ما بين صبرا و شاتيلا
مخيم شاتيلا
زاروب الديك
ساحة صبرا
شارع صبرا
مستشفى عكا
مستشفى غزة
ارض جلول
حى فرحات
قصر صبرى حمادة
شارع فانا
حى الفاكهانى
جسر الكولا

١ – سوق الخضار
٢ – مقر الهلال الأحمر حيث كان تجمع السبت
٣ – بناية مخللاتى
٤ – مستودع الستوديو
٥ – جامع شاتيلا
٦ – قهوة على همدر / قهوة الشرق
٧ – بيت ابو لطفى
٨ – مدرسة الانعاش
٩ – مفرق صبرى حمادة من شارع شاتيلا
١٠ – روضة الشهيد غسان كنفانى
١١ – مكتب جبهة النضال
١٢ – مكتب الحزب الشيوعى
١٣ – محطة الرحاب
١٤ – مكتب الجبهة العربية
١٥ – مكتب الجبهة الشعبية
١٦ – ارض الكلية العسكرية
١٧ – مستودع حى فرحات
١٨ – بناية يعقوبيان
١٩ – محطة الخطيب
٢٠ – بناية بعجور- مدرسة الصمود
٢١ – الموقع الاسرائيلى قرب قصر صبرى حمادة
٢٢ – مقر اليونسكو حيث استجوبوا الناس
٢٣ – الملعب فى المدينة الرياضية حيث جمعوا الناس و استجوبوهم
٢٤ – المركز الاسرائيلى على تلة الغولف
٢٥ – الكاراج الباركينغ
٢٦ – كلية الهندسة
٢٧ – بناية الصادق

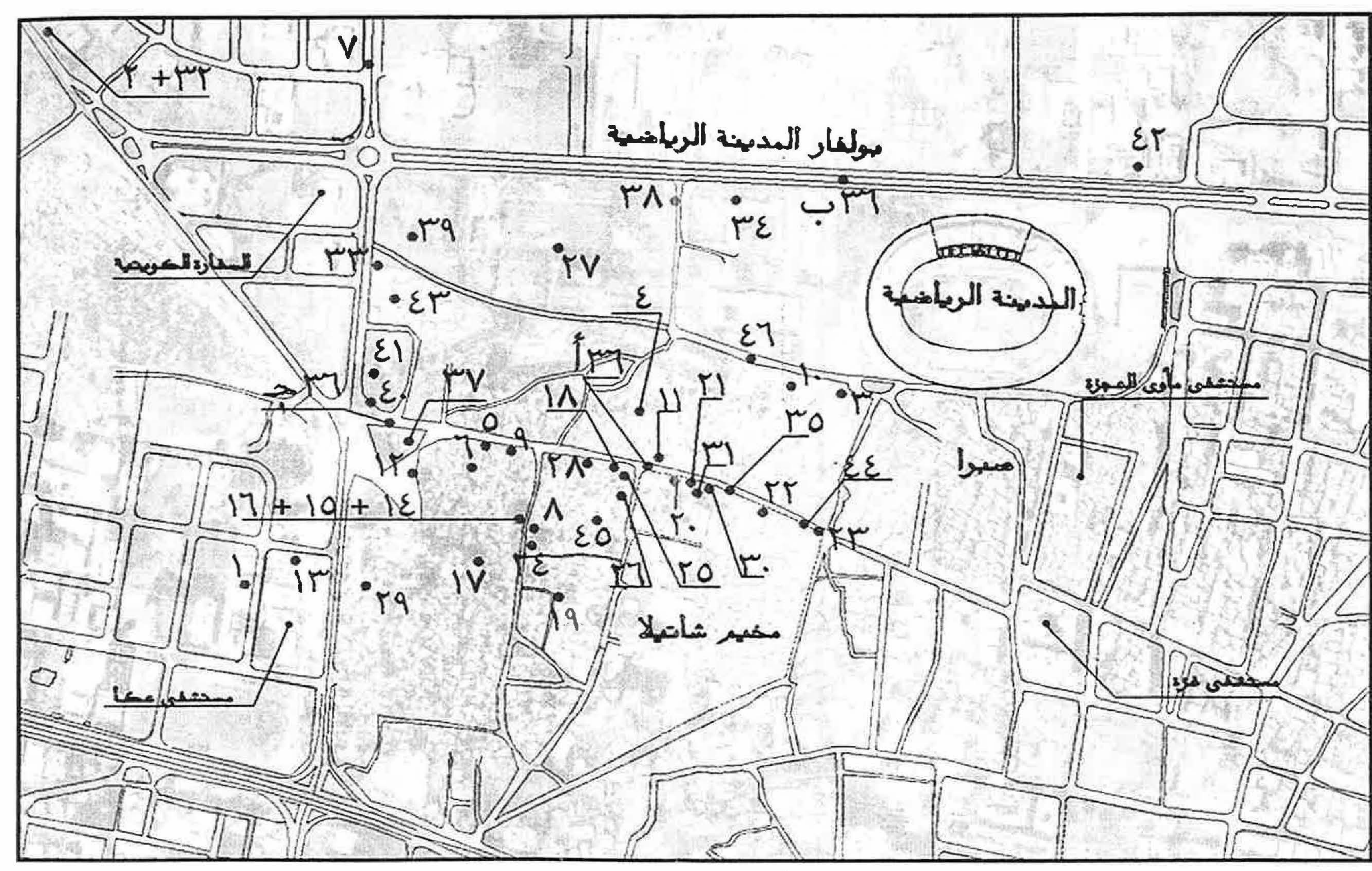
إعداد حسن باكير، وتنفيذ عمر الشريف

خريطة رقم ٣ – المواقع الإسرائيلية وحدود المجزرة



إعداد حسن باكير، وتنفيذ عمر الشريف

خريطة رقم ٤ – أماكن الروايات



إعداد حسن باكير، وتنفيذ عمر الشريف

خريطة رقم ٥ – الملاجئ وحفر الموت

حفر الموت
ملجأ قتل من فيه
ملجأ نجا من فيه
جامع نجا من فيه

بولفار المدينة الرياضية
رمال نادي الجولف
السفارة الكويتية
المدينة الرياضية
ملجأ فتح ١٧
حي عرسال
بير حسن
ملجأ
كاراج ابو جمال
الحي الغربي
كاراج درويش
المقبرة الجماعية
ملجأ
ملجأ
ملجأ
الملجأ السري
جامع شاتيلا
صبرا
ملجأ الديمقراطية
ملجأ ابو ياسر
جدار الموت
مستشفى مأوى العجزة
حرش ثابت
حي المقداد
ملجأ مدرسة الجليل
ملجأ
مخيم شاتيلا
مستشفى عكا
قصر صبري حمادة

إعداد حسن باكير، وتنفيذ عمر الشريف

المَصَادِرِ وَالمَرَاجِع

المحتويات

أولاً: المصادر الأولية غير المنشورة

أ ــ الشهادات*

Palestine Oral History (POH); Sabra & Shatila (S/SH); Notes (N); Tape (T); mother (um); father (abu); Palestinian (Pal.); Lebanese (Leb.); Syrian (Syr.).

- POH. S/SH. No. 1 (250/N.1). "Um Kamal" T. Interview with author. Beirut: Author's house, November 10,1982. (Pal. grandmother, born 1940, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 2 (232/N.2). "Um Zuheir" B. Interview with author. Beirut: Author's house, December 13, 1982. (Pal. grandmother, born [1930], resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 3 (234/N.3). Dib D. Interview with author. Beirut: Author's house, November 10, 1982. (Leb. lawyer, born 1928, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 4 (244/N.4). Qader N. Interview with author. Beirut: Author's office, December 23, 1982. (Leb. witness, born 1960, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 5 (241/N.5). Adele Kh. Interview with author. Beirut: Author's house, January 9, 1983. (Leb. writer, born 1930, resident of Aramoun).
- POH. S/SH. No. 6 (231/T.1). Hana A. Interview with author. Beirut: Author's house, January 15, 1983. (Pal. teacher, born 1938, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 7 (242/T.2, 3). 'Abdul Rahman Labban. Interview with author. Beirut: Narrator's house, January 22, 1983. (Leb. psychiatrist, minister of Social Affairs, born 1924, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 8 (249/T.4). Mya Shone. Interview with author. Beirut: Author's house, January 27, 1983. (American photographer, born 1947).
- POH. S/SH. No. 9 (249/T.5). Ralph Shoenman. Interview with author. Beirut: Author's house, January 27, 1983. (American journalist, born 1935).
- POH. S/SH. No. 10 (238 /T.6). Hakimah S. Interview with author. Beirut: Friend's house, January 28, 1982. (Iraqi doctor at the PRCr, born [1930], resident of Beirut).

---

* الأسماء الكاملة للذين أجريت معهم المقابلات لا تظهر إلاّ بناء على موافقة أصحابها. هناك أقلية رغبت في ذلك، غير أن الأكثرية فضلت عدم التعريف الكامل عن أسمائها، بسبب الأوضاع الأمنية التي سادت لبنان فيما بعد المجزرة؛ وكان الخيار الثاني كتابة الاسم الأول مع الحرف الأول من اسم العائلة؛ كما كان الثالث كتابة الكنية بالأم أو الأب مقرونة باسم الابن البكر، كما هي العادة الدارجة؛ وما عدا ذلك فكان الاكتفاء بالأحرف الأولى من الأسماء، مع استثناء عدد ضئيل جداً آثر مع ذلك أن يشار إليه بكلمة "مجهول" (Anonymous).

- POH. S/SH. No. 11 (231/T.7). K. A. Interview with author. Beirut: Author's house, January 29, 1983. (Pal. witness, born 1964, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 12 (240/T.8). Nabil J. Interview with author. Beirut: February 5, 1983. (Pal. father, born [1927], resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 13 (238/T.9). Salim Hout. Interview with author. Beirut: Narrator's office, February 11, 1983. (Leb. doctor at the Palestinian Red Crescent Society, born 1950, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 14 (243/T.10,11,12,13). A. M. Interview with author. Beirut: Author's house, February 14, 1983. (Pal. officer, born [1950], resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 15 (256/T.14). W. Z. Interview with author. Beirut: Author's house, February 15, 1983. (Leb. official administrative, born 1950, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 16 (248/T.16,17,18). Hajj Mahmoud R. Interview with author. Beirut: Author's house, February 16, 1983.(Pal. skilled laborer, born 1930, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 17 (231/T.21). Y. A. (Um Ahmad). Interview with author. Beirut: Author's house, February 22, 1983. (Pal. mother, born 1943, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 18 (238/T.19, 20). D. M. H. (Um 'Ali). Interview with author. Beirut: Author's house, February 22, 1983. (Leb. mother, born 1932, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 19 (249/T.22). H. Sh. (Um Akram). Interview with author. Beirut: Author's house, February 24, 1983. (Pal. mother, born 1940, resident of S/SH. Interviewed with her daughter, no. 20 below).
- POH. S/SH. No. 20 (249/T.22). Dalal Sh. Interview with author. Beirut: Author's house, February 24, 1983. (Pal. young mother, born 1959, resident of S/SH. Interviewed with her mother, no. 19 above).
- POH. S/SH. No. 21 (241/T.23). Khadijah Khatib. Interview with author. Beirut: Friend's house, February 25, 1983. (Pal. laborer, born 1947, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 22 (232/T.24). Jumana B. Interview with author. Beirut: Author's house, February 27, 1983. (Leb. student, born 1968, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 23 (238/T.25). Samiha H. (Um 'Ali). Interview with author. Beirut: Author's house, February 27, 1983. (Leb. woman married to a Pal., born 1943, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 24 (240/T.26). Harbeh J. (Um Rabi'). Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, February 28, 1983. (Pal. nurse at Akka Hospital, born 1948, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 25 (230/T.27). "Abu 'Imad". Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 1, 1983. (Pal. freedom fighter, born [1950], resident of S/SH).

- POH. S/SH. No. 26 (241/T.28). Ahmad Khatib. Interview with author. Beirut: Author's house, March 1, 1983. (Pal. student, born 1964, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 27 (231/T.29). A. M. A. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house. March 2, 1983. (Pal. witness, born 1955, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 28 (230/T.29). Anonymous. Interview by A. M. Massacre area: Friend's house, March 2, 1983. (Pal. witness, born [1957], resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 29 (241/T.30). Nofa Khatib (Um Wassim). Interview with author. Massacre area: Narrator's house, March 3, 1983. (Pal. mother, born 1945, resident of Bir Hasan. Interviewed with her father in law, no. 30 below).
- POH. S/SH. No. 30 (249/T.30). 'Abdullah Sayyed. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, March 3, 1983. (Pal. old guard, born [1922], resident of Bir Hasan. Interviewed with his daughter in law, no. 29 above).
- POH. S/SH. No. 31 (231/T.31). Ahmad A. Interview with author. Massacre area: Outside talk all through Shatila main street, March 3, 1983. (Leb. driver, born 1930, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 32 (232/T.31). Thunaya B. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, March 3, 1983. (Pal. woman, born 1940, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 33 (231/T.32). Amina A. (Um Ibrahim). Interview with author. Massacre area: Friend's house, March 3, 1983. (Leb. woman married to a Pal., born [1940], resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 34 (241/T.33, 34). 'Aziza Khalidi. Interview with author. Beirut: Author's house, March 4, 1983. (Pal./Leb. director of Gaza Hospital, born 1953, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 35 (238/T.35). Nuzha H. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 6, 1983. (Pal. nurse at Akka Hospital, born 1966, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 36 (236/T.36). Hamzah F. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 9, 1983. (Leb. young man, born 1967, resident of S/SH. Interviewed with his sister, no. 37 below).
- POH. S/SH. No. 37 (236/T.36). Randa F. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 9, 1983. (Leb. young woman, born 1963, resident of S/SH. Interviewed with her brother, no. 36 above).
- POH. S/SH. No. 38 (240/T.37, 38). Ussama J. Interview with author. Beirut: Narrator's house, March 10, 1983. (Leb. volunteer at the Lebanese Red Cross, born 1962, resident of Beirut. Interviewed with his colleague, no. 39 below).
- POH. S/SH. No. 39 (240/T.37, 38). Bilal J. Interview with author. Beirut: Narrator's house, March 10, 1983. (Leb. volunteer at the Lebanese Red Cross, born 1964, resident of Beirut. Interviewed with his colleague, no. 38 above).
- POH. S/SH. No. 40 (240/T.39). Moussa Kh. Interview with author. Massacre

area: Narrator's house, March 14, 1983. (Pal. employee, born [1948], resident of S/SH.).
- POH. S/SH. No. 41 (249/T.40). Munira M. Sayyed. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, March 14, 1983. (Syr. woman married to a Pal., born [1952], resident of Bir Hasan).
- POH. S/SH. No. 42 (238/T.41, 42). Nawal H. Interview with author. Beirut: Author's house, March 15, 1983. (Pal. nurse at Gaza Hospital, born 1948, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 43 (249/T.43). Brenda Smith. Interview with author. Beirut: Author's house, March 17, 1983. (South African social worker with Palestinian Refugees, born [1940], resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 44 (231/T.44, 45). "Abu Jamal". Interview with author. Beirut: Outside talk all through Shatila main street, March 19, 1983. (Pal. owner of a garage in Shatila, born 1932, resident of Beirut); Massacre area: March 3, 1983.
- POH. S/SH. No. 45 (231/T.46). Harbeh A. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 22, 1983. (Pal. witness, born 1960, resident of Bir Hasan).
- POH. S/SH. No. 46 (234/T.47). Sa'ida D. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, March 22, 1983. (Pal. worker at Akka Hospital, born 1964, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 47 (251/T.48). "Um Kamal". Interview with author. Massacre area: Narrator's house, April 1, 1983. (Leb. mother, born 1944, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 48 (231/T.49). "Um Muhammad" 'Aidi. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, April 1, 1983. (Pal. mother, born 1924, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 49 (238/N.6). Ahmad H. Interview with author. Beirut: Narrator's house, April 2, 1983. (Leb. witness, born 1932, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 50 (231/N.7). 'Afifa A. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, April 5, 1983. (Pal. worker, born 1956, resident of Fakhani).
- POH. S/SH. No. 51 (238/N.8). Yusra N. H. Interview by A. M. Massacre area: Narrator's house, April 5, 1983. (Pal. mother, born 1938, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 52 (249/T.50, 51). Ann Sunde. Interview with author. Beirut: Author's house, April 6, 1983. (Norweigen volunteer at Akka Hospital, born 1949).
- POH. S/SH. No. 53 (231/T.52). "Abu Qassem". Interview with author. Beirut: Friend's house, April 28, 1983. (Pal. employee at Ma'wa al–'Ajaza Hospital, born 1943, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 54 (230/T.53). Anonymous. Interview with author. Beirut: Friend's house, April 28, 1983. (Pal. employee at Akka Hospital, born 1963, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 55 (249/T.54). Shawqi Sh. Interview with author. Beirut:

Author's house, April 30, 1983. (Syr. civil defense volunteer at the United Front of Ras Beirut, born 1965, resident of Beirut. Interviewed with two of his colleagues, no. 56 & no. 57 below).

- POH. S/SH. No. 56 (231/T.54). Ziad A. Interview with author. Beirut: Author's house, April 30, 1983. (Leb. civil defense volunteer at the United Front of Ras Beirut, born 1964, resident of Beirut. Interviewed with two of his colleagues, no. 55 above & no. 57 below).
- POH. S/SH. No. 57 (248/T.54). Nabil R. Interview with author. Beirut: Author's house, April 30, 1983. (Leb. civil defense volunteer at the United Front of Ras Beirut, born 1966, resident of Beirut. Interviewed with two of his colleagues, no. 55 & no. 56 above).
- POH. S/SH. No. 58 (231/N.9). Muhammad 'Awwad. Interview with author. Beirut: Author's house, May 2, 1983. (Pal. cameraman, born [1950], resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 59 (234/T.55, 56). Hind D. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, May 3, 1983. (Leb. mother, born 1948, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 60 (234/T.57). Amaal Dirawi. Interview with author. Beirut: Author's house, May 4, 1983. (Pal. mother, born 1963, resident of Bir Hasan).
- POH. S/SH. No. 61 (243/T.58). Munir Muhammad. Interview with author. Beirut: Friend's house, May 4, 1983. (Pal. teenager, born 1970, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 62 (232/T.59). "Um Majed" Balqis. Interview with author. Beirut: Friend's house, May 5, 1983. (Pal. mother, born 1925, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 63 (232/T.60, 61). Siham Balqis. Interview with author. Massacre area: May 9, 1983. (Pal. social activist, born 1954, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 64 (243/T.62). Paul Maurice. Interview with author. Beirut: Friend's house, May 17, 1983. (British volunteer doctor at Gaza Hospital, born [1955]).
- POH. S/SH. No. 65 (241/N.10). 'Aisha K. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 24, 1983. (Pal. mother, born 1938, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 66 (249/N.11). Mahmoud S. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 24, 1983; Shatila Camp, May 16, 1983. (Pal. old refugee, born 1912, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 67 (231/N.12). Mariam Abu Harb. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 24, 1983.(Pal. mother, born 1948, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 68 (256/N.13). T. Z. Interview with author. Beirut: Narrator's office, May 30, 1983. (Leb. government employee, born [1930], resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 69 (231/T.63). Shahira Abu Rudaineh. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 30, 1983. (Pal. mother, born 1959,

resident of S/SH).

- POH. S/SH. No. 70 (243/T.64). "Um Ghazi" Madi. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, May 30, 1983.(Pal. mother, born 1940, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 71 (231/T.65). Ibrahim A. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. civil defense volunteer at Kashafat al–Risalah al–Islamiyyah, born 1958, resident of Beirut. Interviewed with his colleague, no. 72 below).
- POH. S/SH. No. 72 (253/T.65). 'Ali W. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. civil defense volunteer at Kashafat al–Risalah al–Islamiyyah, born 1962, resident of Beirut. Interviewed with his colleague, no. 71 above).
- POH. S/SH. No. 73 (238/T.66). Hasan H. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. civil defense volunteer at Kashaf al–Tarbiyah al–Wataniyyah, born 1960, resident of Beirut. Interviewed with his colleague, no. 74 below).
- POH. S/SH. No. 74 (231/T.66). Hasan A. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. civil defense volunteer at Kashaf al–Tarbiyah al–Wataniyyah, born 1964, resident of Beirut. Interviewed with his colleague, no. 73 above).
- POH. S/SH. No. 75 (242/T.67). Nuhad L. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. volunteer at the Civil Defense of al–Makased, born [1957], resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 76 (238/T.68). Wafiq H. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. volunteer at the Civil Defense of al–Makased, born 1957, resident of Beirut. Interviewed with his colleague, no. 77 below).
- POH. S/SH. No. 77 (237/T.68). Marwan Gh. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. volunteer at the Civil Defense of al–Makased, born 1962, resident of Beirut. Interviewed with his colleague, no. 76 above).
- POH. S/SH. No. 78 (231/T.69). Fayez A. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. civil defense volunteer at the United Front of Ras Beirut, born 1961, resident of Beirut. Interviewed with two of his colleagues, no. 79 & no. 80 below).
- POH. S/SH. No. 79 (238/T.69). Ghassan H. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. civil defense volunteer at the United Front of Ras Beirut, born [1960], resident of Beirut. Interviewed with two of his colleagues, no. 78 above & no. 80 below).
- POH. S/SH. No. 80 (239/T.69). Mazen I. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. civil defense volunteer at the United Front of Ras Beirut, born 1962, resident of Beirut. Interviewed with two of his colleagues,

no. 78 & no. 79 above).
- POH. S/SH. No. 81 (244/T.70). Ziad N. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. civil defense volunteer at Union of al–Shabibah al–Islamiyyah, born 1961, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 82 (244/T.71). 'Imad T. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. civil defense volunteer at the Organization of al–Iss'af al–Sha'bi, born 1960, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 83 (249/T.72). Wijdan S. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. volunteer at the Lebanese Red Cross, born [1957], resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 84 (249/T.73). Diala I. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. volunteer at the Lebanese Red Cross, born [1964], resident of Beirut. Interviewed with her colleague, no. 85 below).
- POH. S/SH. No. 85 (249/T.73). Jamil B. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. volunteer at the Lebanese Red Cross, born [1965], resident of Beirut. Interviewed with his colleague, no. 84 above).
- POH. S/SH. No. 86 (231/T.74). Tony A. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. volunteer at the Lebanese Red Cross, born [1965], resident of Beirut. Interviewed with two of his colleagues, no. 87 & no. 88 below).
- POH. S/SH. No. 87 (240/T.74). Bassel J. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. volunteer at the Lebanese Red Cross, born [1965], resident of Beirut. Interviewed with two of his colleagues, no. 86 above & no. 88 below).
- POH. S/SH. No. 88 (236/T.74). Malek F. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's office, June 1983. (Leb. volunteer at the Lebanese Red Cross, born [1965], resident of Beirut. Interviewed with two of his colleagues, no. 86 & no. 87 above).
- POH. S/SH. No. 89 (231/T.75). Sadeq A. Interview by Siham Balqis. Massacre area: Narrator's house, June 1983. (Pal. laborer, born 1966, resident of Bir Hasan).
- POH. S/SH. No. 90 (241/N.14). "Sheikh" Khalil Salman. Interview by Mona Sukkarieh. Beirut: Narrator's house, June 1983. (Leb. religious man, born [1930], resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 91 (244/T.76). 'Aadel N. Interview with author. Beirut: Narrator's office, July 11, 1983. (Leb. witness, born 1925, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 92 (231/T.77). 'Issam S. Interview with author. Beirut: Author's house, July 11, 1983. (Pal. politician, born [1930], visitor).
- POH. S/SH. No. 93 (231/N.15). A. A. Interview by Q. D. Massacre area: Narrator's house, July 14, 1983. (Pal. witness, born [1940], resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 94 (238/N.16). M. H. Interview with author. Beirut: Author's

house, July 21, 1983. (Pal. witness, born 1948, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 95 (234/N.17). Charles D. L. Interview with author. Beirut: Author's house, August 1983. (French officer of the Multi International Forces, born 1958).
- POH. S/SH. No. 96 (251/N.18). "Um Sulaiman". Interview with author. Massacre area: Friend's house, August 3, 1983. (Pal. woman, born 1937, resident of Burj al–Barajneh).
- POH. S/SH. No. 97 (231/T.78). Michael Ghurayeb. Interview with author. Beirut: Author's house, August 11, 1983. (Leb. professor, born 1932 , resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 98 (251/T.79). "Um Isma'il". Interview with author. Beirut: Friend's house, September 1, 1983. (Pal. woman, born 1925, resident of Burj al–Barajneh).
- POH. S/SH. No. 99 (234/T.80). Mustafa Dabbagh. Interview with author. Beirut: Author's house, September 5, 1983. (Pal. historian, born 1897, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 100 (230/N.19). Anonymous. Interview with author. Beirut: Friend's house, December 1, 1983. (Leb. witness, born 1947, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 101 (256/N.20). M. Z. Interview with author. Beirut: Author's house, December 2, 1983. (Leb. officer, born [1953], resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 102 (241/T.81). Kh. Interview with author. Beirut: Author's house, January 9, 1984. (Pal. witness, born 1952, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 103 (234/N.21). Q. D. Interview with author. Beirut: Author's house, March 1, 1984. (Pal. freedom fighter, born 1954, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 104 (232/T.82). "Um 'Abdullah" B. Interview with author. Beirut: Author's house, March 6, 1984. (Leb. witness, born 1932, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 105 (243/T.83). Muhammad. Interview with author. Beirut: Friend's house, March 7, 1984. (Pal. witness, born [1965], resident of Beirut. Interviewed with no. 106 & no. 107 below).
- POH. S/SH. No. 106 (243/T.83). Mahmud M. Interview with author. Beirut: Friend's house, March 7, 1984. (Pal. witness, born [1964], resident of Beirut. Interviewed with no. 105 above & no. 107 below).
- POH. S/SH. No. 107 (231/T.83). Muhammad N. Interview with author. Beirut: Friend's house, March 7, 1984. (Pal. witness, born [1964], resident of Beirut. Interviewed with no. 105 & no. 106 above).
- POH. S/SH. No. 108 (249/T.84). Zainab S. Interview with author. Beirut: Narrator's house, March 7, 1984. (Pal. witness, born 1930, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 109 (238/T.85). Faidi H. Interview with author. Beirut: Narrator's office, March 11, 1984. (Leb. mediaman, born 1942, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 110 (231/T.86). Hasan A. (Abu 'Ali). Interview with author.

Beirut: Narrator's office: May 11, 1984. (Pal. contractor, born 1944, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 111 (243/T.87). As'ad M. Interview with author. Beirut: Narrator's office, May 11, 1984. (Pal. employee at Gaza Hospital, born 1952, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 112 (241/T.88). Intissar Khalil (Um Nabil). Interview with author. Massacre area: Narrator's house, June 3, 1984. (Pal. mother, born 1960, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 113 (241/N.22). M. Kh. Interview with author. Beirut: Narrator's office, June 5, 1984. (Pal. doctor at Akka Hospital, born 1948, resident of Burj al–Barajneh).
- POH. S/SH. No. 114 (241/N.23). "Guard" Khalil. Interview by Q. Beirut: al–Shuhada' Cemetery, July 8, 1984. (Leb. guard, born [1930], resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 115 (231/T.89). Fatima 'Ajami. Interview with author. Massacre area: Narrator's house, July 13, 1984. (Leb. witness, born 1963, resident of S/SH. Her father hajj "Abu 'Ali" was interviewed with her).
- POH. S/SH. No. 116 (239/T.90). "Ibrahim". Interview by Q. Massacre area: Narrator's house, August 1984. (Pal. freedom fighter, born 1952, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 117 (230/T.91). Anonymous. Interview by Q. Massacre area: Narrator's house, August 1984. (Pal. woman, born 1947, resident of S/SH. Interviewed with no. 118 below).
- POH. S/SH. No. 118 (230/T.91). Anonymous. Interview by Q. Massacre area: Narrator's house, August 1984. (Pal. woman, born 1945, resident of S/SH. Interviewed with no. 117 above).
- POH. S/SH. No. 119 (238/N.24). Amir H. Interview with author. Massacre area: Gaza Hospital, October 22, 1984. (Leb. doctor at Gaza Hospital, born 1948, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 120 (247/N.25). I. Q. Interview with author. Beirut: Author's house, August 1986. (Leb. officer, born 1959, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 121 (231/T.92). "Abu Muhammad". Interview with author. Beirut: Narrator's office, November 15, 1998. (Pal. witness, born 1964, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 122 (231/T.93). "Abu Khalil". Interview with author. Beirut: Author's house, November 22, 1998. (Pal. witness, born 1962, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 123 (235/N.26). Huda H. Interview with author. Beirut: Narrator's house, December 2, 1998. (Pal. teacher, born 1939, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 124 (232/T.94). Hajj Hasan Bakir. Interview with author. Beirut: Author's house, November 24, 1998. (Pal. researcher, born 1952, resident

of Beirut).
- POH. S/SH. No. 125 (243/T.95). Ma'moun Mukahhal. Interview with author. Beirut: Author's house, April 19, 1999. (Leb. volunteer at the Lebanese Civil Defense, born 1960, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 126 (243/T.96). Hajj Maysam. Interview with author. Beirut: Author's house, August 17, 1999. (Leb. civil defense volunteer at the Kashafat al–Risalah al–Islamiyyah, born 1963, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 127 (239/T.97). Ibrahim I. Interview with author. Beirut: Author's house, September 11, 1999. (Pal. employee at the Palestinian Red Crescent Society, born 1962, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 128 (245/T.98). Khaled A. Interview with author. Beirut: Author's house, September 11, 1999. (Pal. witness, born 1964, resident of Beirut).
- POH. S/SH. No. 129 (238/T.99). Hajj "Abu Hisham". Interview by Khaled 'Abadi. Beirut–Shatila: Narrator's house, September 15, 1999. (Pal. freedom fighter, born 1932, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 130 (231/T.100). "Abu Ra'ed". Interview by Khaled 'Abadi. Beirut–Shatila: Narrator's house, September 29, 1999. (Leb. freedom fighter, born 1952, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 131 (231/T.101). "Abu 'Imad". Interview by Khaled 'Abadi. Beirut: Narrator's house, October 6, 1999. (Pal. freedom fighter, born 1951, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 132 (237/T.102, 103). "Um 'Ali". Interview with author. Beirut: Author's house, October 14, 1999. (Leb. witness, born 1932, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 133 (249/T.104). Riadh Sharqieh. Interview with author. Beirut–Shatila: Narrator's house, October 21, 1999. (Pal. witness, born 1942, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 134 (243/T.105). Munir Muhammad. Interview with author. Beirut: Narrator's house, September 2000. (Pal. young man interviewed for the second time [see no.61 above], born 1970, resident of Washington D.C.).
- POH. S/SH. No. 135 (243/T.106). 'Ali M. Interview by Khaled 'Abadi. Beirut: Narrator's house, November 2000. (Pal. witness, born 1964, resident of Fakhani).
- POH. S/SH. No. 136 (231/T.107). Hajj "Abu Ahmad". Interview by Sana' Hammoudeh. Beirut–Shatila: Narrator's house, March 2, 2001. (Pal. contractor, born 1932, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 137 (231/T.108). Hajj "Abu Khodr". Interview by Sana' Hammoudeh. Beirut–Shatila: Narrator's house, March 2, 2001. (Pal. contractor, born 1934, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 138 (234/T.109). "Mu'allem" Deeb. Interview by Sana' Hammoudeh. Beirut–Shatila: Narrator's house, March 2, 2001. (Pal. contractor,

born 1937, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 139 (243/T.110). Muhammad. Interview by Sana' Hammoudeh. Beirut–Shatila: Narrator's house, March 2, 2001. (Pal. young man, born 1970, resident of S/SH).
- POH. S/SH. No. 140 (243/T.111). Ahmad M. Interview by Sana' Hammoudeh. Beirut–Shatila: Narrator's house, March 2, 2001. (Pal. electrician, born 1956, resident of S/SH).

ب ــ الأرشيف

- سجل الدراسة الميدانية لصبرا وشاتيلا. إشراف بيان الحوت. ربيع ١٩٨٤. (يحتوي السجل على ٤٥٠ استمارة للضحايا و١٠٠ استمارة للمخطوفين، دونت استناداً إلى معلومات ذوي الضحايا والمخطوفين وآخرين من سكان صبرا وشاتيلا).
- سجل الدراسة الميدانية لصبرا وشاتيلا... (ملحق). "مصير المخطوفين" (١٩٩٨–١٩٩٩).

ج ــ الوثائق

- تاريخ فلسطين الشفهي: صبرا وشاتيلا. "لائحة أسماء الضحايا والمخطوفين". إعداد بيان الحوت. بيروت، ١٩٨٢ – ١٩٨٤. (أعدت اللائحة استناداً إلى المقابلات مع السكان والشهود).
- تنظيم الصليب الأحمر الدولي. "جدول بأسماء الجثث التي انتشلت من مخيمي صبرا وشاتيلا ابتداء من ٩/١٩ لغاية ١٩٨٢/٩/٢٢". (نسخة مصورة عن وثيقة مخطوطة).
- تنظيم فلسطيني "مجهول". "لائحة بأسماء الضحايا والمخطوفين في المجزرة". ١٩٨٣. (نسخة مصورة عن وثيقة مخطوطة).
- الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. "لائحة بأسماء الضحايا والمفقودين في مجزرة صبرا وشاتيلا". ١٩٨٢ – ١٩٨٣. (نسخة مصورة عن وثيقة مخطوطة).
- جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ــ مجمع غزة. "كشف بعدد شهداء مجزرة صبرا وشاتيلا". ١٩٨٣/٤/٧. (نسخة مصورة عن وثيقة مطبوعة).
- جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ــ مستشفى عكا. "كشف بأسماء الأشخاص الذين استشهدوا أو فقدوا في مستشفى عكا وفي محطة الخطيب المجاورة". ١٩٨٣. (نسخة مصورة عن وثيقة مخطوطة).

- الجمهورية اللبنانية ـــ رئاسة مجلس الوزراء ـــ لجنة التحقيق الرسمية في مصير المخطوفين والمفقودين. "معلومات استناداً لاستمارات ذويهم". ١٩٩٩. (نسخة مصورة عن سجل مطبوع يحتوي على أسماء المخطوفين والمفقودين منذ بداية الحروب الأهلية في منتصف السبعينات حتى التسعينات).
- الجمهورية اللبنانية ـــ وزارة الداخلية ـــ مديرية الدفاع المدني. "الجثث التي تم انتشالها من مخيمي صبرا وشاتيلا من ١٨/٩/ ١٩٨٢ لغاية الخميس في ١٩٨٢/٩/٣٠". بتوقيع مدير الدفاع المدني نزيه شمعون. ١٥ تشرين الأول ١٩٨٢. (نسخة مصورة عن وثيقة طبق الأصل مطبوعة).
- الخليل، الشيخ سلمان. "لائحة بأسماء الضحايا والمفقودين في مجزرة صبرا وشاتيلا". ١٩٨٢. (نسخة مصورة عن وثيقة مخطوطة).
- دار الفتوى – الجمهورية اللبنانية. "أسماء المخطوفين والمفقودين من اللبنانيين – الفلسطينيين – جنسيات غير مسجلة". ١٩٨٢–١٩٨٣. (نسخة مصورة عن سجل مطبوع أعدته دار الفتوى بالتعاون مع لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية).
- دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية. "لائحة بأسماء الضحايا ممن استشهدوا أو اختطفوا أثناء وقوع مجزرة صبرا وشاتيلا". ١٩٨٢–١٩٨٤. (نسخة مصورة عن وثيقة مطبوعة، مرفقة برسالة من المدير العام لشؤون الإفتاء حسين القوتلي إلى مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان شفيق الحوت. بيروت في ١٩٨٤/٥/١٦).
- الدراسة الميدانية لصبرا وشاتيلا. "لائحة أسماء الضحايا والمخطوفين". إشراف بيان الحوت. ١٩٨٤. (أعدت اللائحة استناداً إلى الاستمارات التي وزعت من قبل فريق الدراسة على ذوي الضحايا والمخطوفين).
- "الذكرى السنوية الثانية لشهداء آل المقداد في مجزرة صبرا ـــ شاتيلا ١٦ أيلول ١٩٨٢". حسينية روضة الشهيدين. ١٩٨٤/٩/١٦. (منشور تضمن صور ضحايا آل المقداد وأسماءهم).
- شهادات الوفاة: أربعة نماذج (نسخ مصورة عن وثائق مطبوعة):

(١) جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني. (شهادة وفاة) باسم علي حسين الخطيب وأسماء تسعة أفراد آخرين من أسرته. بيروت في ١٩٨٢/١١/٢٧.

(٢) جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ـــ مستشفى غزة الجراحي. (شهادة وفاة) باسم ربيع حسين البقاعي. بيروت في ١٩٨٣/١/١٥.

(٣) كشافة الرسالة الإسلامية ـــ قيادة الدفاع المدني التابعة للمجلس الشرعي الإسلامي

الأعلى. (شهادة وفاة) باسم حسين البقاعي وأسماء سبعة أفراد آخرين من أسرته. مفوضية بيروت في الشياح. ١٩٨٢/٩/٢١.
(٤) اللجنة الدولية للصليب الأحمر ــ الوفد المنتدب إلى لبنان. (شهادة وفاة) باسم إكرام حسين حمد البقاعي. بيروت في ١٩٨٢/١٢/٨ (النص باللغتين العربية والفرنسية).
- لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان. "لائحة بأسماء المخطوفين والمفقودين في لبنان". ١٩٨٢– ١٩٨٣. (نسخة مصورة عن وثيقة مطبوعة تتضمن أسماء المخطوفين والمفقودين في لبنان منذ أواسط السبعينات).
- مقبرة روضة الشهيدين. "أسماء الشهداء في صبرا وشاتيلا ــ مقبرة روضة الشهيدين". أيلول ١٩٨٢. (نسخة مصورة عن وثيقة أصلية مخطوطة من الشيخ سلمان الخليل الذي صلّى على الضحايا وأشرف على دفنهم).
- مقبرة الشهداء. "أسماء الشهداء في صبرا وشاتيلا ــ مقبرة الشهداء". أيلول ١٩٨٢. (جمعت الأسماء من شواهد القبور بإرشاد المسؤول عن المقبرة أبو فتحي، وسجلت أسماء الضحايا المدفونين في المقبرة الجماعية من دفتر الحارس خليل، سنة ١٩٨٤).

- Council of Churches for the Middle East. [List of names of the Sabra and Shatila victims]. 1982. (Photocopy of a document typed in French).
- Mallat, Shibli, Luc Walleyn and Michael Verhaeghe. “The Lawsuit made by a number of the Sabra and Shatila massacre survivors against Sharon and other parties responsible for the Sabra and Shatila massacre of 1982 to the Belgian judiciary.” Brussels: June 18, 2001. (Photocopy of a typed document that includes names of the victims and kidnapped, based on the testimonies of their family members, the plaintiffs).
- Mary. “Testimonies on Sabra and Shatila Massacre.” 1983. (Photocopy of thirteen handwritten testimonies).

د ــ اليوميات الخاصة والمذكرات

- أبو شوقي. "من يوميات الغزو الإسرائيلي ــ بيروت عام ١٩٨٢". (مخطوطة اقتبست عن يوميات الغزو). بيروت: كانون الأول، ٢٠٠٠.
- ح.، باسم. "مذكرات". ١٩٩٩. (مخطوطة تتناول الحصار الإسرائيلي والقتال ضد الجيش الإسرائيلي).
- الخليل، الشيخ سلمان. "يوميات". (مخطوطة كتبت في أيام الغزو الإسرائيلي وفي مرحلة دفن ضحايا صبرا وشاتيلا). بيروت: ١٩٨٢.

ثانياً: الشهادات المرئية والمسموعة

أ ــ صور، تقارير، أنباء تلفزيونية

ــ تلفزيون أبو ظبي ــ وكالة أنباء الإمارات. [مقتطفات من نشرات الأنباء الرسمية والبعثة الإعلامية لتلفزيون أبو ظبي إلى لبنان: ١٩٨٢]. أشرطة فيديو، عدد ٤.

- BBC News. *Parts of the BBC News during the Israeli Invasion & the aftermath of the Massacre.* 11 videotapes.
- Shoenman, Ralph & Mya Shone. *Collection of Slides on Sabra & Shatila.* (This collection was taken during four days following the Massacre). Beirut: 18, 19, 20, 22 September 1982 .
- The International Hearing in Oslo. Supervised by the Nordic Commission. ،5 videotapes. Oslo: 30–31 October 1982. (Eyewitnesses testified on nine items connected with the Israeli Invasion of the Lebanon. The Massacre is on videotape no. 4. Testimonies were given by journalists & photographers who were among the first to enter the Palestinian camps after the Massacre, & by foreign medical staff working in Akka & Gaza hospitals during the Massacre).
- Visnews. *Special: Selected News during the Israeli Invasion in 1982 & the Massacre.* 5 videotapes. (No comments or dialogues, only motion pictures, original sounds, explosions, screams & protests).

ب ــ أفلام وبرامج تلفزيونية

– تلفزيون الإمارات العربية المتحدة ــ أبو ظبي. "حرب ٦ يونيو: ١٩٨٢". تقديم علي عبيد، وإخراج إبراهيم العباسي. أبو ظبي: تلفزيون الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٢. أشرطة فيديو، عدد ٢.

– تلفزيون المستقبل. "بالجرم المشهود".(سلسلة حلقات موثقة). ٢٠٠٢.

- ABC News. *Oh tell the World what happened.* Presented by Bill Redeker. 7/1/1983.
- ADC. *Report from Beirut: Summer of 82.* Narrated by James Abu Rizk.
- BBC. *Q.E.D.: Before the Massacre.* Film cameraman John Cray. Research Sana Issa. Producer Christopher Sykes. BBC, 1982. (This film was made in the area of Sabra & Chatila – West Beirut, 5 – 13 September 1982).
- BBC. *The Longest War.*
- BBC Panorama. *The Accused.* Producer Aidan Laverty. Editor Mike Robinson. 2001.

- BBC Panorama. *Fighting for Survival.* Presented by Richard Lindley. Reported by David Sells. Film cameraman Alan Stevens. 1982.
- BBC Panorama. *Israel The Wasted War?* Reported by Peter Taylor. Film cameraman Bill Broomfield & Jacob Sapporta. Produced by David Wickham. [1985].
- Danish cameraman et al. [*The Massacre Video*]. (This most famous videotape on the massacre is the production of several cameramen, among which was a Danish whom the people remember well his nationality but have forgotten his name. It became known by the Danish Video, after it was collected by an anonymous. [1982]).
- Danish television group. *tv – aktuelt: daglog fra Beirut.* 24 September [1982].
- The German Production. *Blutiger Sommer: Wiedersehen mit Beirut.* Ein film von Ulrich Kienzle. Kamera Peter C. I.
- The German Production. *Ist der Libanon noch zu retten.* Bericht Patrick Lecerq.
- The German Production. *Kreuz und Zeder.* Ein Berich von Gerhard Konzelmann. Kamera Abdel Majid Kassir. Ton Abdel Latif Adnani. Redaktion Heinrich Butgen.
- Masri, Mai. *Children of Shatila.* 1999.
- NRK- (Norweigen Broadcasting Corporation). Correspondent Karsten Tveit. Norweigen Television. *Horror Days in Beirut.* September 1982. Cameramen Suheil Rashid, Muhammad Awwad et al. Collected from various sources.
- Norwegian Television. Location Special for the Norwegian Television. *Constructions in Sabra & Shatila.* [1984].
- SBS TV's *Timewatch* series. *See no Evil: The Sabra and Shatila Massacres.*

ثالثاً: المصادر المنشورة

أ ــ وثائق، شهادات، صور

- "الاستمارات تضمنت ٦٠٠ اسم خلال يومين". جريدة "النداء" اللبنانية، ١/١٢/١٩٨٢. (شمل التقرير لائحة بأسماء المفقودين منذ أواسط السبعينات حتى سنة ١٩٨٢).
- "أسماء ١١٠ أشخاص اختطفوا أثناء المذابح في مخيمي صبرا وشاتيلا". جريدة "السـفير" اللبنانية، ١٥/١٠/١٩٨٢.
- حماد، مازن. (إعداد). "المذبحة ــ صبرا وشاتيلا وحصار بيروت: يونيو ــ سبتمبر ١٩٨٢". إشراف فني طلعت يوسف. لا مكان: إصدار طاهر الفرخ، أبريل ١٩٨٣.

- Aksoy, Mehmet. & others. ... *eine woche im September.* Wien: Hilger E. 1983.
- *The Beirut Massacre: The Complete Kahan Commission Report.* Introduction by Abba Eban. New York: Karz–Cohl Publishing, 1983. (An authorized translation of "The Commission of Inquiry into the Events at the Refugee Camps in Beirut, 1983, Final Report").
- *Children of Palestine: Eyewitness Evidence of International Photographers.* Introduction by Lord Caradon. Summing up by Muhammad el–Farra. Research by Amal Abasi. London and New York: W. and P. Morris International Ltd., 1983.
- *Developments in the Middle East, September 1982: Hearings before the Subcommittee on Europe and the Middle East of the Committee on Foreign Affairs, House of Representatives, September 22 and 29, 1982.* U.S. Congress, House, Committee on Foreign Affairs, Subcommittee on Europe and the Middle East, 1983. (IPS, R.)
- "Document, Chronologie, Revue de la Presse." *Revue d'études palestiniennes,* no. 5, automne 1982, pp. 73 – 395; Ibid., no. 6, hiver 1983, pp. 131 – 272.
- "Documents and Source Material: Documents on Palestine and the Arab – Israeli Conflict." *Journal of Palestine Studies,* vol. XI, no. 4, vol. XII, no. 1, Summer/Fall 1982, pp. 292 – 349; Ibid., vol. XII, no. 2, Winter 1983, pp. 109 – 236.
- *La Guerre israélienne de génocide, 1982: La tragedie des peuples libanais et palestinien.* [Vienne]: FMJD (la Federation Mondiale de la Jeunesse Democratique), 1982.
- Henly, David et al. eds. *Witness of War Crimes in Lebanon: Testimony given to the Nordic Commission, Oslo, October 1982.* London: The International Organization for the Elimination of all Forms of Racial Discrimination (EAFORD), Ithaca Press, 1983.
- Hirokawa, Ryuichi. (Photographer & Editor). *Beirut 1982: From the Israeli Invasion to the Massacre of Sabra and Chatila Camps.* Additional photographs by Hiromi Nagakura. Damascus: PLO Central Council's Adhoc Committee on Sabra and Chatila, December 1982.
- International Committee of the Red Cross – Information Department. "Massacre in Beirut: ICRC Reacts Strongly." Press release No. 1450. Geneva: September 18, 1982.
- *Israel in Lebanon: The Report of the International Commission to Enquire into Reported Violations of International Law by Israel during its Invasion of the Lebanon.* Chairman Sean MacBride, London, 28 August 1982 – 29 November 1983. London: Ithaca Press, 1983.
- *Israel "Peace Operation in Galilee": Eyewitness Reports and Conclusions of an International Inquiry.* Cyprus–Nicosia: International Commission of Inquiry into

Israeli Crimes Against the Lebanese and Palestinian Peoples Medical Sub – committee, November 1982. (The Commission held its first meeting in Cyprus on 15–16 August 1982).
- *Israeli Practices against the Lebanese and Palestinian Peoples: Eyewitness Reports and Conclusions of an International Inquiry.* London: International Commission of Inquiry into Israeli Crimes Against the Lebanese and Palestinian Peoples, 1982.
- Lamb, Franklin P. (Compiler & Editor). *Israel's War in Lebanon: Eyewitness Chronicles of the Invasion and Occupation.* With a forward by Sean MacBride. Boston: South End Press & Spokesman, 2nd printing 1984. First printing published: *Reason not the Need: Eyewitness Chronicles of Israel's War in Lebanon.* Great Britain: Spokesman, 1984.
- *Livre Blanc sur L'Agression Israélienne au Liban: Association Internationale des Juristes Democrates, Union des Juristes Palestiniens.* Paris: Editions Publisud, [1983]. (Les 23 et 24 octobre 1982, l'Association Internationale des Juristes Democrates a organise a Bruxelles une Conférence Internationale de Juristes sur "Les evenements du Liban, leurs premisses et leurs suites au regard du droit international").
- Mallison, Sally V. & W. Thomas Mallison. *Armed Conflict in Lebanon, 1982: Humanitarian Law in a Real World Setting.* Washington: American Educational Trust, 1985.
- Yuzo, Itagaki, Oda Makoto & Shboh Mitsukazu. eds. *The Israeli Invasion of Lebanon, 1982: Inquiry by the International People's Tribunal, Tokyo.* Tokyo: Sanyusha, 1983. (The International People's Tribunal on the Israeli Invasion of Lebanon (IPTII), held in Tokyo, 18 – 21 March 1983.

ب ـ اليوميات

- عبد الله، حسين. (إعداد). "يوميات المقاومة الوطنية اللبنانية، حزيران ١٩٨٢ ـ كانون الأول ١٩٨٣". تقديم معن بشور. بيروت: دار الكتاب الحديث، ١٩٨٥.
- مركز دراسات الوحدة العربية. (إعداد). "يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٢". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣.
- المركز العربي للأبحاث والتوثيق. (إعداد). "وثائق الحرب اللبنانية (١٩٨٢ - ١٩٨٣ - ١٩٨٤) سنوات في ظل الاحتلال الإسرائيلي: يوميات. صور. وثائق". رئاسة تحرير رجا سري الدين. بيروت: المركز العربي للأبحاث والتوثيق، ١٩٨٥.
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية، قسم الشؤون الإسرائيلية. (إعداد). "يوميات الحرب الإسرائيلية في لبنان [حزيران/يونيو ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٢]: وقائع ووثائق

ومقالات مختارة من مصادر عبرية". إشراف محمود سويد. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٥.
- ناصر الدين، سويدان؛ وعبيدو باشا وآخرون. (إعداد). "لبنان ١٩٨٢: يوميات الغزو الإسرائيلي: وثائق وصور". تقديم فيصل سلمان. بيروت: المركز العربي للمعلومات [توزيع دار الأندلس، ١٩٨٢].
- وكالة مختارات الأخبار العربية والعالمية. (إعداد). "اجتياح لبنان: يوميات. صور. وثائق". رئاسة تحرير [إشراف] رجا سري الدين. بيروت: وكالة مختارات الأخبار العربية والعالمية، [١٩٨٢].

- *Days of Wrath: Lebanon, Liban: Jours de colère 77–82.* Edited by Joseph G. Chami. Composition: Ets Georges Y. Azar. [Beirut]: Impression Arab Printing Press, n.d.
- *Haliyyat.* [Panorama of Events] (Quarterly). the Lebanese Center for Documentation and Research, Editions 26–27, Spring and Summer 1982. [Arabic – English – French].
- *Liban: L'été 82, Lebanon: The Summer of 82.* Edited by Marie Therese Arbid and Paula Fattouh. Text by John Roberts, MEED Consultants, London. Beirut: Express International Printing Company, 1983.

رابعاً: مراجع تتناول المجزرة بشكل كلي أو رئيسي

- إدريس، محمد جلاء. "مذبحة المخيمات". الرياض: دار عبد الرحمن الناصر، ١٩٨٤.
- أسمر، حلمي. "صبرا وشاتيلا مجزرة حضارة". عمان: [دار العودة]، ١٩٨٣.
- الدجاني، أحمد صدقي. "صبرا وشاتيلا: الجريمة الإسرائيلية والمسؤولية الأمريكية (نقد تقرير كاهان)". القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٤.
- زيتون، صفاء حسين. "صبرا وشاتيلا المذبحة: ١٦-١٧-١٨ أيلول ـ سبتمبر ١٩٨٢". لا مكان: لا ناشر، [١٩٨٢]. [أنظر الكتاب بالإنكليزية أدناه]
- السعدي، غازي. (إعداد). "الحرب الفلسطينية في لبنان: وثيقة جرم وإدانة". عمان: دار الجليل للنشر، ١٩٨٣.
- السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية. "شهادات عن المذبحة صبرا وشاتيلا: الشعب الفلسطيني سينتصر". القاهرة: السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية ـ مطبوعات إفريقية آسيوية رقم (١٢٠)، [١٩٨٢].

- صباغ، زهير. "صبرا، شاتيلا، المجزرة: بحث في خلفياتها ودوافعها". القدس: منشورات صلاح الدين، ١٩٨٣.
- طلاس، (العماد) مصطفى. "مذبحة صبرا وشاتيلا". دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٤.
- عبد الهادي، أسعد. (إعداد). "مجزرة صبرا وشاتيلا: أو الفاشية الجديدة". دمشق: منظمة التحرير الفلسطينية ـــ دائرة الإعلام والثقافة، ١٩٨٣.
- كابوليوك، أمنون. "صبرا وشاتيلا: تحقيق حول مجزرة". ترجمة المكتب العربي للترجمة (عن النسخة الفرنسية الصادرة سنة ١٩٨٢). دمشق: منظمة التحرير الفلسطينية ـــ دائرة الإعلام والثقافة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣. [أنظر الكتاب بالفرنسية أدناه]
- هاليفي، إيلان. "إسرائيل: من المجازر إلى إرهاب الدولة". ترجمته عن الفرنسية منى عبد الله. قدم لـــه محجوب عمر. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥. [أنظر الكتاب بالفرنسية أدناه]
- وكالة الأنباء القطرية. (إعداد). "الغزو والمذبحة: جريمة القرن العشرين". تقديم عيسى غانم الكواري. قطر: وكالة الأنباء القطرية، ١٩٨٢.

- Aharoni, Dov. *General Sharon's War against Time Magazine: His Trial and Vindication.* New York: Steimatzky/Shapolsky, 1985.
- Ang, Swee Chai. *From Beirut to Jerusalem.* London: Grafron Books, 1989.
- *The Beirut Massacre: Press Profile, September 1982.* New York: Claremont Research and Publications, 1982. *Massacre Follow up.* 1983.
- *Genet Á Chatila.* Textes Réunis par Jérome Hankins. Paris: Solin, 1992. About 4 hours in Chatila, an interview with Leila Shahid.
- Halevi, Ilan. *Israël: De la terreur au masssacre d'État.* Paris: Papyrus, 1984.
- International Progress Organization. *Sabra und Schatila: Die israelishe Invasion und das Schicksal des palastinensischen Volkes.* Wien: IPO, 1983.
- Kapeliouk, Amnon. *Enquête sur un massacre: Sabra et Chatila.* Paris: Seuil, 1982.
- Lamb, Franklin P. *International Legal Responsibility for the Sabra–Shatila Massacre.* France: Imp. TIPE, 1983.
- Limiti, Stefania. ed. *I Fantasmi di Sharon. II Massacro dei palestinesi nei campi di Sabra e Shatila, 16–18 settembre 1982.* Roma : SINNOS editrice, 2002.
- Noureddine, Aba. *C'était hier Sabra et Chatila : Un chant d'épreuve.* Paris : L'Harmattan, 1983.

- *Sabra – Chatila in Memoria: Recueil de textes et de photos.* Tunis: Sud Editions, 1983.
- *Tel est le crime: L'invasion israélienne au Liban en 1982.* Edited by le Secreteriat International de Solidarite avec le Peuple Arabe et sa cause centrale: La Palestine. France: Imp. TIPE, 1983.
- Weisfeld, Abie H. *Sabra and Shatila: A New Auschwitz.* Ottawa, Ontario, Canada: Jerusalem International Publishing House, 1984.
- Zaitoun, Safa'. *Sabra & Shatila, the Massacre.* Cairo: Dar al–Fata al–Arabi, 1983.
- Ziegler, Jean. *N'oubliez pas le martyre de Sabra et Chatila.* Genève: Comité Internationale pour l'Application des Conventions de Genève aux Prisonniers Libanais et Palestiniens dans les Territoirs Arabes Occupés, 1983.

خامساً: مراجع تتناول المجزرة بشكل جزئي

- أبو عز الدين، حليم. "تلك الأيام: مذكرات وذكريات: سيرة إنسان ومسيرة دولة ومسار أمة". الجزء الثاني. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢.
- أغاريشيف، أناتولي. "من كامب دايفيد إلى مأساة لبنان". ترجمة ساسين نون. بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٦.
- البندك، مازن. (رئيس التحرير). "الجيل : عدد وثائقي خاص عن الحرب". المجلد ٣، الأعداد ٧–١٢. نيقوسيا: مؤسسة الجيل للصحافة، كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٢.
- البيادر السياسي. "الرقم الصعب والحرب التي لم تنته". [القدس]: البيادر السياسي، ١٩٨٣.
- حزب الله، الوحدة الإعلامية المركزية. "كي لا ننسى: مجازر إسرائيل". بيروت: حزب الله، الوحدة الإعلامية المركزية، ٢٠٠٠.
- السعدي، غازي. (إعداد). "من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين: مجازر وممارسات ١٩٣٦ – ١٩٨٣". عمان: دار الجليل للنشر، ١٩٨٥.
- سلمان، رضى؛ ورندة شرارة، ويولا البطل. (إعداد). "إسرائيل وتجربة لبنان: تقويمات خبراء إسرائيليين". نيقوسيا: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦.
- السواحري، خليل. "أحاديث الغزاة: شهادات إسـرائيلية". القاهـرة: دار الموقـف العربـي، [١٩٨٣].
- الشريف، خديجه؛ وحفيظه شقير، وآمنه صوله، وآخرون. (تحرير جماعي). "عدالة من خلال عيون النساء". تونس: التابير، ١٩٩٥.

- شيمون، شيفر. "كرة الثلج: أسرار التدخل الإسرائيلي في لبنان". مترجم عن العبرية. [لبنان]: لا ناشر، ١٩٨٤.
- طرابلسي، فواز. "عن أمل لا شفاء منه: من دفاتر حصار بيروت حزيران ـ تشرين ١٩٨٢". بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤.
- طلاس، مصطفى. (إشراف). "الغزو الإسرائيلي للبنان". تأليف مجموعة من الباحثين. دمشق: مؤسسة تشرين، ١٩٨٣.
- عايد، خالد. "قطار الموت: معركة بيروت في سياق الإرهاب والتوسع الصهيوني". بيروت: دار الشرق الأوسط، ١٩٨٤.
- كوستي، اندراش. "الحرب الخاطفة الطويلة". ترجمه عن المجرية أسد محمد قاسم. دمشق: دار الكرمل، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ـ الأمانة العامة، ١٩٨٣.
- لانغر، (مذكرات المحامية) فيليتسيا. "الغضب والأمل: مسيرة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال". ترجمه عن العبرية أحمد خليفة وخالد عايد وسمير صراص. نيقوسيا: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣.
- اللبدي، محمود. "بيروت ٨٢: الحصار والصمود". دمشق: دار الجليل، ١٩٨٤.
- مركز القدس للأبحاث. "الحرب التي لم تنته: أسرار لم تنشر عن حرب لبنان". القدس: مركز القدس للأبحاث، منشورات الوكالة الفلسطينية، ١٩٨٧.
- المكتبة الحديثة. "حرب لبنان، ١٩٧٥ - ١٩٨٢: مقتطفات من الصحف اللبنانية والأوروبية والكتب اللبنانية والأوروبية ووكالات الأنباء العالمية والعربية وصور المعارك للمصورين اللبنانيين والأوروبيين". بيروت: المكتبة الحديثة، ١٩٨٣.
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية. "الاجتياح الإسرائيلي للبنان ـ ١٩٨٢: دراسات سياسية وعسكرية". بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤.
- ميم، باني؛ وآخرون. "شهادات الهزيمة: إسرائيل في لبنان". (ترجمة). [بيروت]: المركز اللبناني للبحوث والإعلام والتوثيق، ١٩٩١.

- Abu Lughod, Ibrahim & Eqbal Ahmad. eds. *The Invasion of Lebanon.* Special Double Issue of the Journal *Race & Class* (A Journal for Black & Third World Liberation), vol. XXIV, no. 4, Spring 1983.
- Association Internationale des Juristes Democrates, et Union des juristes Palestiniens. *Livre blanc sur l'agression israélienne au Liban.* Association Internationale des Juristes Democrates, Union des Juristes Palestiniens. Paris: Publisud, 1983.

- Ball, George W. *Error and Betrayal in Lebanon: An Analysis of Israel's Invasion of Lebanon and the Implications for U.S.–Israeli Relations.* Preface by Stanely Hoffmann. Washington, D.C. : Foundation for Middle East Peace, 1984.
- Ball, George W. & Douglas B. Ball. *The Passionate Attachment: America's Involvement with Israel, 1947 to the Present.* New York, London: W. W. Norton & Company, 1992.
- Bavly, Dan and Eliahu Salpeter. *Fire in Beirut: Israel's War in Lebanon with PLO.* New York: Stein and Day, 1984.
- Becker, Jillian. *The PLO: The Rise and Fall of the Palestine Liberation Organization.* London: Weidenfeld & Nicolson, 1984.
- Benassar. *Paix d'Israël au Liban (A l'heure de l'épreuve de force URSS – USA).* Beirut: L'Orient– Le Jour, 1983.
- Ben–Dor, Gabriel et al. eds. *Israel's Lebanon Policy: Where To?* Tel Aviv: Tel Aviv University, Jaffee Center for Strategic Studies (JCSS), 1984.
- Bourgi, Albert and Pierre Weiss. *Liban, la cinquième guerre du Proche – Orient.* Paris: Publisud, 1983.
- Boykin, John. *Cursed is the Peacemaker: The American Diplomat Versus the Israeli General, Beirut 1982.* Belmont, CA: Applegate Press, 2002.
- Brenner, Lenni. *The Iron Wall: Zionist Revisionism from Jabotinsky to Shamir.* London: Zed Books, 1984.
- Bulloch, John. *Final Conflict: The War in the Lebanon.* London: Century Publishing, 1983.
- Chalvron, Alain de. *Le piège de Beyrouth.* Paris: Le Sycomore, 1982.
- Chomsky, Noam. *The Fateful Triangle: The United States, Israel & The Palestinians.* Boston: South End Press, 1983.
- Clifton, Tony and Catherine Leroy. *God Cried.* New York: Quartet Books, 1983.
- Corm, Georges. *Le Proche – Orient éclate: De suez á l'invasion du Liban 1956 – 1982.* Paris: La Decouverte / Maspero, 1983.
- Feldman, Shai and Heda Rechnitz Kijner. *Deception, Consensus and War: Israel in Lebanon.* Tel Aviv: Tel Aviv University, Jaffee Center for Strategic Studies (JCSS), 1984.
- Fisk, Robert. *Pity the Nation: Lebanon at War.* London: Andre Deutch, 1990.
- Friedman, Thomas L. *From Beirut to Jerusalem.* New York: Farran, Straus, Giroux, 1989.
- Gabriel, Richard A. *Operation Peace for Galilee: The Israeli – PLO War in Lebanon.* New York: Hill and Wang, 1984.
- Gilmour, David. *Lebanon: The Fractured Country.* London: The Sphere Books, 1983.
- Gresh, Alain. *The PLO: The Struggle Within: Towards an Independent Palestinian State.* Preface by Maxime Rodinson. Translated by A.M. Berrett.

London: Zed Books, 1985. (Originally published in French by S.P.A.G /Papyrus, 1983).
- Jansen, Michael. *The Battle of Beirut: Why Israel invaded Lebanon.* London: Zed Press, 1982.
- Khalidi, Rashid. *Under Siege: P.L.O. Decisionmaking During the 1982 War.* New York: Columbia University Press, 1986.
- Kriegel, Annie. *Israël est–il coupable?* Paris: Editions Robert Laffont, 1982.
- Laurant, Annie & Antoine Basbous. *Guerres secrètes au Liban.* Paris: Gallimard, 1987.
- Lerer, Shim'on. *Ha – 'Ikar he–haser: Va'adah la – hakirat ha – Iro'im ba – Mahanot ha – Plitim be – Beirut 1982. Din ve – Hishon* [*The Missing Crucial Point: Committee for Investigating the Events in the Refugee Camps in Beirut 1982. A Report*]. [Jerusalem]: 1983. [Hebrew].
- Makdadi, Lina. *Surviving the Siege of Beirut.* London: Onyx Press, 1983.
- Makdisi, Jean Said. *Beirut Fragmants: A War Memoir.* New York: Persea Books, 1990.
- Naor, Arye. *Mimshala ba Milhama: Tiqfoud mimshalat Yisrael Bamilhemet Levanon (1982).* [*Cabinet at War: The Functioning of the Israeli Cabinet during the Lebanon War (1982)*]. n.p.: Lahav, 1986. [Hebrew].
- Nassib, Selim. *Paix en Galilee: Beyrouth.* Paris: Editions de Minuit, 1983.
- Nassib, Selim & Caroline Tisdall. Photographs by Chris Steele–Perkins. *Beirut: Frontline Story.* USA: Africa World Press, 1983.
- O'Ballance, Edgar. *Civil War in Lebanon, 1975–92.* London: Macmillan Press Ltd., 1998.
- O'Brien, William V. *Law and Morality in Israel's War with the PLO.* New York and London: Routledge, 1991.
- *The Palestinian Legend.* Afro–Asian Publications No. 117. Cairo: AAPSO Permanent Secretariat, September 1982.
- Perry, Glenn E. ed. *Palestine: Continuing Dispossession.* Belmont, Massachusetts: Association of Arab – American University Graduates (AAUG), 1986.
- Pintak, Larry. *Beirut Outtakes: A TV Correspondent's Portrait of America's Encounter with Terror.* Lexington: Lexington Books, 1988.
- Rabinovich, Itamar. *The War for Lebanon, 1970 – 1985.* Rev. ed. Ithaca: Cornell University Press, 1985.
- Randal, Jonathan C. *Going All the Way: Christian Warlords, Israeli Adventures, and the War in Lebanon.* New York: The Viking Press, 1983.
- Sachar, Howard. *A History of Israel.* Vol. 2. New York: Oxford University Press, 1987.
- Said, Edward W. *The Politics of Dispossession: The Struggle for Palestinian Self– Determination 1969 – 1994.* New York: Pantheon Books, 1994.

- Schiff, Ze'ef & Ehud Ya'ari. *Israel's Lebanon War: The First Inside Story Account of a Disastrous Military Adventure and its Ongoing Consequences.* New York: Simon & Schuster, 1984.
- Sharon, Ariel. With David Ghanoff. *Warrior: An Autobiography.* New York: Simon & Schuster, 1989.
- Timerman, Jacobo. *The Longest War: Israel in Lebanon.* Translated from the Spanish by Miguel Acoco. New York: Alfred A. Knopf, 1982.
- Yariv, Avner. *Dilemmas of Security: Politics, Strategy, and the Israeli Experience in Lebanon.* Oxford: Oxford University Press, 1987.

سادساً: المقالات والدوريات

أ ـ المقالات

- أبو فخر، صقر. "كي لا ننسى صبرا وشاتيلا: من يذكر تلك الأيام؟". جريدة "السفير"، ٢٠٠١/٩/١٥.
- الجنيدي، محمد سعيد. (حوار). "شين ماكبرايد: ركز العالم على تقرير كاهان وتجاهل تقريرنا عن غزو لبنان!" مجلة "الحوادث"، العدد ١٣٧٨، ١ نيسان/أبريل ١٩٨٣، ص ٢٠-٢١.
- الحوت، بيان نويهض. "في الذكرى الرابعة لصبرا وشاتيلا: أما آن للضحايا أن تتكلم؟". جريدة "السفير"، ١٩٨٦/٩/٢٠.
- خليفة، أحمد. "المذبحة إسرائيلياً: بين الكذب والتنصل!". مجلة "اليوم السابع"، العدد ١٩، ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٤، ص ١٨-١٩.
- خوري، الياس. "الأسماء". جريدة "السفير"، ١٩٨٦/٩/٢٠.
- سعادة، وسام. "'حراس الأرز': من تل الزعتر إلى 'الإنترنت'". جريدة "السفير"، ٢٠٠١/٨/٢٥.
- سكرية، منى. "سنتان على مجازر صبرا وشاتيلا: صراع الذاكرة والنسيان". مجلة "الشراع"، العدد ١٣١، ١٩٨٤/٩/١٧، ص ٧٠ - ٧٣.
- شربل، غسان. (حوار). "إيلي حبيقة يتذكر (٤)". مجلة "الوسط"، العدد ٩٥، ٢٢-٢٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٧، ص ٢٠ - ٢٥.
- شهاب، زكي. "الحوادث تلتقي شهود العيان ومديرالدفاع المدني يقول: تسعون بالمائة من ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا... لبنانيون!" مجلة "الحوادث"، ١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٢، ص ٦٨ - ٧٢.

- فرح، روبير. "القوات اللبنانية ترد على إيلي حبيقة". مجلة "الوسط"، العدد ٩٨، ١٢-١٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٧، ص ٢٦ - ٢٧.
- "مجزرة صبرا وشاتيلا: نتائج بحث ميداني". (إعداد فريق من الباحثين). مجلة "شؤون فلسطينية"، العدد ١٣٨، أيار/مايو ١٩٨٣، ص ٩٧-١٣٦.
- نجار، منير. (حوار). "الياس حبيقة لـ'الصياد': أعدّ كتاباً بالوثائق والحقائق لمواجهة التزوير في كتابة تاريخ الحرب". مجلة "الصياد"، العدد ٢٩٦٠، ٢٧ تموز/يوليو ـــ ٢ آب/أغسطس ٢٠٠١، ص ٤ - ٨.
- نكديمون، شلومو. "تقرير المدعي العام جرمانوس حول مجزرة صبرا وشاتيلا"، جريدة "يديعوت أحرونوت"، ٢/١٢/١٩٨٢.

- Abdullah, Daud. "In Remembrance of Sabra and Shatila: A review of Israeli terrorism against the Palestinian refugees." September 16, 1999 (visited 10/4/2000)
  http://www.flinet.com/politics/palestine/sabra.htm
- Barrada, Layla Shahid. "Les massacres de Sabra et Chatila: Chronologie et temoignages." *Revue d'études palestiniennes,* no. 6. hiver 1983. pp. 89–112.
- Ben–Yishay, Ron. "Ben–Yishay details Beirut Massacre Chronologically." *Jerusalem Domestic Television Service,* September 20, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile, September 1982.* New York: Claremont Research and Publications, 1982, p. 19. *Massacre Follow up.* 1983.
- Ben–Yishay, Ron. "Ben–Yishay Reconstructs Beirut Massacre." *Jerusalem Domestic Television Service.* As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...,* op. cit., pp. 60 – 62.
- Buchalla, Carl E. "Beirut: Lokaltermin an der Statte des Massenmords: Ein Horrorfilm aus der Wirklichkeit." *Suddeutche Zeitung,* September 23, 1982.
- Buchalla, Carl E. "Saad Haddad: Ein Libanesischer Major im Sold des Feindes: Der Kreuzritter unter dem Davidsstern." *Suddeutche Zeitung,* April 18, 1983.
- Campbell, Colin. "Key Phalangist Aides Implicated in Operation that led to Killings." *New York Times,* September 30, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...,* op. cit., pp. 53–54.
- Campbell, Colin. "Survivors of Massacre tell of Reign of Terror." *New York Times,* September 21, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...,* op. cit., p. 23.
- Diab, Youssef. "Military Prosecutor re–opens Sabra and Shatila Inquiry: Will not Question Lebanese Traitor and Instigator of Sabra & Chatila." *Daily Star,* June 26, 2001.
- Fineman, Mark. "In Shatila, the Stench of Death." *Philadelphia Inquirer,*

September 20, 1982 . As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...,* op. cit., p. 14.

- Fisk, Robert. " 'Down every alleyway .. women, young men, babies – lying where they had been knifed or machine gunned to death'." *The Times,* September 20, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...,* op. cit., p. 7.
- Fisk, Robert. "Fifteen Years after the Bloodbath, the World turns its back" (visited 18/9/2000) http://unity.ancient–news.com/sabra/Testimonies/fisk1.html
- Fisk, Robert. "I am Innocent of Killings: Haddad explains." *The Times,* September 23, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...,* op. cit., p. 51.
- Fisk, Robert. "Militias are sustained by Israelis." *The Times*, September 20, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...,* op. cit., p. 15.
- Fisk, Robert. "Reluctant testimony on Chatila." *The Times,* September 25, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 40.
- Flint, Julie. "Vanished Victims of Israelis return to accuse Sharon." *The Observer,* November 25, 2001.
- Friedman, Thomas. "The Beirut Massacre: The Four Days." *New York Times,* September 26, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., pp. 64 –76.
- Genet, Jean. "Four Hours in Shatila." *Journal of Palestine Studies,* vol. XII, no. 3, Spring 1983, pp. 3–22. (A translation of the French original: "Quatre Heures à Chatila." *Revue d'études palestiniennes,* no. 6. hiver 1983, pp. 3–19).
- Glover–James, Ian. "New Panic in Camp." *The Daily Telegraph,* September 20, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 16.
- Goldberg, John. "Israel reacts to the Massacres." *New Outlook: Middle East Monthly,* 25, O. 1982, pp. 17–18.
- Green, Leslie C. "The Kahan Commission Report .. Sabra and Shatila: A Judical Study" (visited 9/17/2000) http://www.unity.ancient–news.com/sabra/ background/kahan_commission.hl
- Halevi, Ilan. "Des massacres democratiques." *Revue d'études palestiniennes,* no. 7, printemps 1983, pp. 13 –19.
- Hemphill, Clara. "A Shattered Life in the Midst of Death." *Washington Post,* September 22, 1982.
- "Jeder von euch ist ein Racher: Ein Libanesischer Milizionar uber seine Taten beim Massaker von Beirut." *Der Spiegel,* February 14, 1983, pp. 112–113.
- Jenkins, Loren. Interview with Loren Jenkins. *Washington Post*, Beirut Correspondent. Excerpts from Transcript of "All Things Considered," National Public Radio, September 20, 1982. As cited in *The Beirut Massacre:*

Press Profile..., op. cit., p. 13.
- Jenkins, Loren. "Israelis Hunt Palestinian Sympathizers in Beirut." *Washington Post,* September 18, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 3.
- Jenkins, Loren. "Phalangists implicated in Massacre." *Washington Post,* September 30, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., pp. 55–57.
- Jenkins, Loren. "The Massacre: Witnesses describe Militiamen passing through Israeli Lines." *Washington Post,* September 20, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., pp. 10 – 13.
- The Jewish Student Online Research Center. "Sabra & Shatila" (visited 9/4/2000)
  http://www.us.israel.org/jsource/History/Sabra_%26_Shatila.html
- Kapeliouk, Amnon. "Les insuffisances de l'enquête israeliénne sur les massacres de Sabra et de Chatila." *Le Monde diplomatique,* juin 1983.
- Lamb, David. "Survivors raise Doubts on Israel Troops' Actions." *Los Angeles Times,* September 20, 1982 . As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., pp. 17–18.
- Lamb, Franklin P. "The Kahan Commission and International law." *MEI,* March 18, 1983, pp. 10–11.
- Mallat, Chibli. "September 2001 and September 1982: Two Crimes against Humanity." *A Quest for Justice.* Published with the *Daily Star,* November 29, 2001.
- Naylor, R. T. "From Bloodbath to the Whitewash: Sabra–Shatila and the Kahan Commission Report." *Arab Studies Quarterly,* 5, Fall 1983, pp. 337–361.
- Neff, Donald. "Israeli Leaders found Indirectly Responsible for Massacres in Lebanon" (visited 17/9/2000)
  http://www.unity.ancient–news.com/sabra/background/responsibility.html
- Nir, Arad. "Phalangists entrusted with Sabra, Shatila 'Purge'." Tel Aviv Israeli Defence Forces Radio, September 16, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 4.
- Rabinovich, Abraham. "IDF fired Flares to light Camps for Phalangists." *Jerusalem Post,* September 22, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 25.
- Ronen, Yoram. "Sharon interviewed on Massacre Responsibility." *Jerusalem Domestic Television Service.* (Interview with Defense Minister Ariel Sharon). September 24, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., pp. 36–39.
- Rubenberg, Cheryl. "Beirut under Fire." *Journal of Palestine Studies,* vol. XI, no. 4, vol. XII, no. 1, Summer/ Fall 1982, pp. 62–68; *Journal of Palestine Studies,* vol. XIV, no. 1, Fall 1984, pp. 57–90.

- Safieh, Afif. "Un scandale sans precedent mais non pas un massacre sans prececent." *France Pays Arabs,* no. 106, mars 1983.
- Salpeter, Eliahu. "Israel's changed Political Landscape: Aftermath of the Inquiry." *New Leader: A Biweekly of News and Opinion,* 66, F. 18, 1982, p. 304.
- Salpeter, Eliahu. "Placing the Blame in Israel: The Inquiry Begins." *New Leader: A Biweekly of News and Opinion,* 65, O. 18, 1982, pp. 3–4.
- Schiff, Ze'ev. "Massacre not Revenge planned Earlier." *Ha'artez,* September 28, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 52.
- al–Shaikh, Zakaria. "Sabra and Shatila 1982: Resisting the Massacre." *Journal of Palestine Studies,* vol. XIV, no. 1, Fall 1984, pp. 57–90.
- Shipler, David K. "Israel asserts its Troops intervened to minimize the Beirut Massacre." *New York Times,* September 19, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 9.
- Siegel, Ellen. "Inside and Outside the Hospital, People were Screaming: 'Haddad, Kataeb, Israel – Massacre'." *Journal of Palestine Studies,* vol. XII, no. 2, Winter 1983, pp. 61 – 71.
- Siegel, Ellen and Nabil Ahmed. "Shared Memories of Sabra and Shatila" (visited 9/4/2000) http://www.adc.org/press/1999/sept99.htm
- Smith, Colin (in Beirut), Ian Mather & Eric Silver (in Jerusalem). "Lebanon Massacre/The Evidence: How the Cover – Up was blown." *The Observer,* September 26, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*op. cit., pp. 79 – 82 .
- Smith, William E. & Robert Slater (in Jerusalem), William Stewart (in Beirut). "Crisis of Conscience." *Time,* October 4, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., pp. 88 – 89.
- Al–Tal, Ahmad. "The Massacre of Sabra and Shatila in 1982" (visited 17/9/2000) http://www.unity.ancient–news.com/sabra/background/responsibility.html
- Tel Aviv Israeli Defence Forces Radio, September 16, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., p. 4.
- Wall, James M. "There is another Israel." *The Christian Century,* October 6, 1982, p. 971.
- Walsh, Edward. "Israeli Army under Siege: Questions Surrounding Massacre Strain Credibility." *Washington Post,* September 26, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., pp. 77 – 78.
- Whitaker, Mark & Ray Wilkinson (in Beirut), Scott Sullivan (in Jerusalem). "The Making of a Massacre." *Newsweek,* October 4, 1982. As cited in *The Beirut Massacre: Press Profile...*, op. cit., pp. 83 – 87.

ب ـ الدوريات

- جريدة "السفير" (١٩٨٢ – ١٩٨٣).
- جريدة "النداء" (١٩٨٢ – ١٩٨٣).
- جريدة "النهار". بيروت (١٩٨٢ – ١٩٨٣).
- جريدة "هآرتس" (١٩٨٢ – ١٩٨٣).
- جريدة "يديعوت أحرونوت" (١٩٨٢ – ١٩٨٣).
- نشرة "الصليب الأحمر اللبناني". بيروت. ١٩٨٢.
- "وفا" – وكالة الأنباء الفلسطينية. تصدر عن منظمة التحرير الفلسطينية – الإعلام الموحد. تونس (١٩٨٢ – ١٩٨٣).
- *The Jerusalem Post* (1982–1983).

سابعاً: مصادر ومراجع
تتناول أوضاع الفلسطينيين في لبنان

- حلاق، حسان. "موقف لبنان من القضية الفلسطينية". بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث، ١٩٨٢.
- الحوت، شفيق. "عشرون عاماً في منظمة التحرير الفلسطينية: أحاديث الذكريات (١٩٦٤ – ١٩٨٤)". بيروت: دار الاستقلال، ١٩٨٦.
- الحوت، شفيق. "مستقبل العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية" في: "لبنان وآفاق المستقبل: أوراق ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١، ص ٢٢٣ – ٢٣٩.
- خوري، يوسف قزما. (إعداد وتحقيق). "البيانات الوزارية اللبنانية ومناقشاتها في مجلس النواب ١٩٢٦ – ١٩٨٤". ٣ مجلدات. بيروت: مؤسسة الدراسات اللبنانية، ١٩٨٦.
- الناطور، سهيل محمود. "أوضاع الشعب الفلسطيني في لبنان". بيروت: دار التقدم العربي، ١٩٩٣.

فهرست

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(هـ)

(و)

(ي)